أبجد العلوم

الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم

ألّفه

صدّيق بن حسن القنّوجي

ت : ١٣٠٧ هـ ، ١٨٨٩ م

أعدّه للطبع ووضع فهارسه

عبد الجبّار زكار

منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي

دمشق - ١٩٧٨

أبجد العلوم

الجزء الأول

الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم

ألفه

صديق بن حسن القنوجي

ت : ١٣٠٧ هـ ، ١٨٨٩ م

أعده للطبع ووضع فهارسه

عبد الجبار زكار

منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي

دمشق – ١٩٧٨

بين يدي الكتاب

مضى لواذ ثلاثة عشر قرناً من الزمان مابين إرهاصات حركة التدوين عند العرب في أوائل القرن الثاني للهجرة ونشاطها منذ النصف الثاني لهذا القرن ، وبين عهد صدّيق بن حسن القنوجي مؤلف كتاب « أبجد العلوم » في النصف الثاني من القرن الثالث عشر للهجرة .

ألف وثلاثمئة من السنين غنيت بالتّراث العربي المكتوب ، وعُدّت الكتب المؤلفة في مختلف فنون المعارف الإنسانية بمئات الآلاف إن لم نقل بالملايين ، شردت في أنحاء المعمورة ، قاصيها ودانيها ، حتّى وجدت مستقرّاتها في دور الكتب العامة ، وفي خزائن الناس من العلماء والأعيان . كانت كتباً مخطوطة، في بطونها نتاج حضارة هذه الأمة التي ننتمي اليها : آداباً وعلوماً وفنوناً وسياسة واجتماعاً واقتصاداً وتاريخاً وبلداناً وجغرافية ، وما يلحق بذلك من عطاء حضاري تكاملت جوانبه ، ورسخت أصوله ، وتشعبت فروع المعارف الإنسانية فيه .

ثم كانت الآلة الطابعة بعد اكتشافها في القرن الخامس عشر للميلاد، فنهد نفرٌ من أولي الفضل لنشر العيون من هذا التّراث إلا أن مانشر منه حتى الآن لايعدو بُلْغَةً من زاد وافر ، ونغبةً من فُرات زاخر . فكان لامناص ، والتّراث العربي المكتوب في هذا النحو من الغنى والكثْرة ، من أن ينهد رجال ذوو فضل إلى لملمة أطرافه وجَمعه

والتعريف به ، فوضعوا له الفهارس الوصفية ، فكان أولها فهرست ابن النديم المتوفى سنة ٤٣٨ هـ = ١٠٤٧ م ، وجاء بعده من ترسّم سنته في الجمع والتعريف وصُنع الفهارس والتفنن في طرائقها ، فكان كتاب « مفتاح السعادة ومصباح السيادة » لطاشكبري زاده المتوفى سنة ٩٦٨ هـ = ١٥٦١ م ، وكتاب « مدينة العلوم » للإزنيقي في القرن العاشر ترجيحاً ، وكتاب « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » لحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ = ١٦٥٧ م ، وكتاب « كشّاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي سنة ١١٥٨ هـ = ١٧٤٥ م ، وكتاب « إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون » لإسماعيل بن محمد البغدادي المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ = ١٩٢٠ م .

وسلك كل من هؤلاء المؤلفين في وضع كتابه طريقة ، والتزم منهاجاً ، فمنهم من جعل الكتب زمراً تضم الزمرة منها عدداً من الكتب اشتركت في فن قائم برأسه ، وجعلها في باب . وهكذا تعددت أبواب الكتاب بتعدد طوائف الكتب فيه . وهذا مافعله ابن النديم في فهرسه ، وطاشكبري زاده في مفتاحه ، والإزنيقي في مدينته ، والتهانوي في كشّافه . يعرّف كل منهم الفن ، ثم يُدرج فيه أسماء الكتب وأسماء مؤلفيها .

ومنهم من رتب أسامي الكتب على حروف المعجم تيسيراً للكشف عنها ، وهكذا كانت طريقة حاجي خليفة في كشفه ، والبغدادي في ذيله عليه .

ويأتي القنوجي متأخراً عن هؤلاء ، فيدلي بدلوه في هذا الميدان ، ويؤلف كتابه « أبجد العلوم » في أدقّ ترتيب وأحسن نظام ، وأخرج

به مايمكن أن نسميه مَعْلَمة وصفية في التربية والعلوم، وما أُلِّف فيها من كتب عند العرب ، ومن ألف في ذلك .

وطبع الكتاب على عين مؤلفه في القرن الماضي ، ونفِدت طبعته فأصبح في عداد الكتب الخطية لندرته .

وها نحن أولاء نقدم هذه المعلمة القيمة إلى المهتمين بالتراث الحضاري المكتوب عند العرب بحلة جديدة ميسرة ، تنير جوانب المكتبة العربية للكشف عن ذخائر ماغنيت به من تراث مجيد لهذه الأمة العظيمة .

* * *

القنّوجي
مؤلف الكتاب

جرى القنّوجي على أن يترجم لنفسه في خواتيم بعض كتبه الجامعة الهامة . نجد ذلك مثلا في آخر كتابه « التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول » في الصفحة ٥٤١ . وفعل مثل ذلك في خاتمة كتابه « أبجد العلوم » الذي نخرجه اليوم . وهو إذ يترجم لنفسه يتوسع في ذلك ويفيض ، فيذكر مولده ونشأته وأخذه عن العلماء ورحلاته وأعماله والجمع والتأليف والكتابة . نجد ذلك كله مستوفى مفصلا في آخر كتابه الذي بين أيدينا ، مما يغني عن التعريف به والترجمة له .

بيد أنه لامناص في هذا الموضع من مقدمة الكتاب من وِجازة تضع بين يدي القارىء نغبة من حياة المؤلف يتعلل بها ريثما يبلغ آخر الكتاب ليتناول القارىء ماينقع به غلته من ترجمة مبسوطة وضعها المؤلف لنفسه .

فالقنوجي هو أبو الطيب صدِّيق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنّوجي ، نزيل بهوبال بالهند .

ولد يوم الأحد التاسع والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٤٨ للهجرة = ١٨٣٢ للميلاد ، في بلدة بريلي موطن جده لأمه ، ونشأ في قَنّوج ، وهي من أقدم بلاد الهند وأعظمها ، حيث وطن

آبائه . واحتضنته أمه ، وربّته يتيماً ، حتّى إذا يفع راح يتلقى الدروس الأولى من فنون شتّى على صفوة من علماء بلده قنوج ونواحيها . فكان منهم شقيقه أحمد بن حسن القنوجي . ثم ارتحل إلى دهلي ، وتتلمذ على المفتي محمد صدر الدين خان المتوفى سنة ١٢٨٥ هـ = ١٨٦٨ م فأخذ عنه من العلوم فنوناً منها العقليات والنقليات والأدب العربي ، وعاد إلى بلده قنوج ، ورحل منها ثانية إلى بهوبال التماساً للرزق والمعاش . وهناك لم ينفك عن السعي في لقاء العلماء والأخذ عنهم ، فأخذ عن القاضي حسن بن محسن السبيعي الأنصاري وأخيه الشيخ زين العابدين ، ولقي آخرين أجازوا له ، منهم الشيخ عبد الحق بن فضل الله الهندي المتوفى سنة ١٢٨٦ هـ ، والشيخ محمد يعقوب الدهلوي المتوفى سنة ١٢٨٢ هـ = ١٨٦٥ م . وطاب له المقام في بهوبال حيث المناخ العلمي الملائم والشيوخ والعلماء ، وتزوج بملكة بهوبال شاه جهان بيكم في سنة ١٢٨٨ هـ = ١٨٦٩ م ، وعمل وزيراً لها ونائباً عنها ، ولُقّب بـ (نواب عالي جاه أمير الملك بهادر) ، وعاش حياة عريضة أتاحت له الاشتغال بالتأليف والتصنيف بنشاط ودأب، فكثرت مؤلفاته حتّى أربت على ستين كتاباً في فنون مختلفة من علوم القرآن والحديث والعقائد والأدب واللغة . ثم يقدمها إلى المطابع ليخرجها على عينه ، حتّى طبع له مايناهز خمسة وأربعين كتاباً ، ولم تفتر له عزيمة، أو يفلّ له جهد حتّى توفي سنة ١٣٠٧ هـ = ١٨٨٩ م .

* * *

مؤلفاته :

أحصى الدكتور جميل أحمد في كتابه « حركة التأليف باللغة

العربية في الإقليم الشماليالهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد » (١) مؤلفات القنوجي بعد استقصاء وتتبع ، وجعلها في ثلاث زمر :

١ – ماطبع ونشر .

٢ – مالا يزال مخطوطاً .

٣ – ماكان مجهولا، وقف على اسمه في كتبالقنوجي الأخرى، أو في غيرها من الكتب .

أما الكتب التي طبعت فهي :

١ – فتح البيان في مقاصد القرآن : المطبعة الكبرى الأميرية بالقاهرة : ١٣٠٠ – ١٣٠٢ هـ (في عشرة أجزاء) ، الطبعة الأولى ببهوبال .

٢ – نيل المرام من تفسير آيات الأحكام : لكهنو ١٣٩٢ هـ . مطبعة المدني بمصر ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م .

٣ – الدين الخالص (جمع فيه آيات التوحيد الواردة في القرآن، ولم يغادر آية منها إلا أتى عليها بالبيان الوافي) : دهلي – مطبعة المدني بمصر – ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م .

---

(١) انظر الصفحة ٢٧٤ – ٢٨١ طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق – ١٩٧٧ .

٤ — حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة : الجوائب ١٣٠١ هـ

٥ — عون الباري بحل أدلة البخاري (شرح كتاب التجريد) : بولاق ١٢٩٧ هـ (٨ أجزاء) على هامش « نيل الأوطار » ، بهوبال ١٢٩٩ هـ (جزآن) .

٦ — السراج الوهاج ، من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج : بهوبال ١٣٠٢ هـ

٧ — أربعون حديثاً في فضائل الحج والعمرة : بهوبال .

٨ — أربعون حديثاً متواترة : بهوبال .

٩ — العبرة بما جاء في الغزو والشهادة والهجرة : بهوبال ١٢٩٤هـ = ١٨٧٧ م .

١٠ — الحرز المكنون من لفظ المعصوم المأمون (في الحديث) : بهوبال .

١١ — الرحمة المهداة إلى من يريد زيادة القلم على أحاديث المشكاة : دلهي .

١٢ — الجنة في الأسوة الحسنة بالسنة ، في اتباع السنة : بهوبال ١٢٩٠ هـ .

١٣ ــ يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار : بهوبال ١٢٩٤ هـ .

١٤ ــ الحطة في ذكر الصحاح الستة : النظامية بكانبور ١٢٨٣ هـ

١٥ ــ المواثد العوائد من عيون الأخبار والفوائد (جمع فيه حوالي ثلاثمئة حديث) : بهوبال ١٢٩٨ هـ .

١٦ ــ الاذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة : بهوبال ١٢٩٣ هـ = ١٨٧٦ م ، الجوائب بالآستانة ــ ١٨٧٦ أيضاً .

١٧ ــ الروضة الندية ، شرح الدرر البهية للقاضي محمد اليمني الشوكاني : العلوية بلكهنو ١٢٩٠ هـ ، مصر ١٢٩٦ هـ .

١٨ ــ فتح العلاّم ، شرح بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني : المطبعة الميرية ، القاهرة : ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م .

١٩ ــ حصول المأمول من علم الأصول (تلخيص إرشاد الفحول للشوكاني) ، (في أصول الفقه) : الجوائب ١٢٩٦ هـ = ١٨٧٩ م، مصر ١٣٣٨ هـ .

٢٠ ــ الإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد : الجوائب ١٢٩٥ هـ = ١٨٧٨ م

٢١ ــ ظفر اللاضي بما يجب في القضاء على القاضي : الصديقية ، بهوبال ١٢٩٤ هـ .

٢٢ ــ ذخر المحتي من آداب المفتي : بهوبال ١٢٩٤ هـ .

٢٣ — الغنة ببشارة أهل الجنة ، (في التصوف) : بولاق ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م .

٢٤ — الموعظة الحسنة بما يخطب به في شهور السنة : بهوبال ١٢٩٥ هـ ، مصر ١٣٠٧ هـ .

٢٥ — الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح : لكهنو .

٢٦ — قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر : كانبور .

٢٧ — إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة : بهوبال ١٢٩٤ هـ = ١٨٧٧ م .

٢٨ — حضرات التجلي من نفحات التجلي والتخلي (في الكلام) : بهوبال ١٢٩٨ هـ .

٢٩ — الطريقة المثلى في الإرشاد إلى ترك التقليد واتباع ما هو الأَولى : الآستانة ١٢٩٦ هـ = ١٨٧٩ م .

٣٠ — قصد السبيل إلى ذم الكلام والتأويل : بهوبال ١٢٩٠ هـ

٣١ — قضاء الأرب في تحقيق مسألة النسب : كانبور ١٢٨٣ هـ

٣٢ — البلغة في أصول اللغة : الشاهجهانية ببهوبال ١٢٩٤ هـ ، الجوائب ١٢٩٦ هـ = ١٨٧٩ م .

٣٣ — لَف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرب والدخيل والمولّد والأغلاط : بهوبال ، ١٢٩١ هـ ، ١٢٩٦ هـ = ١٨٧٩ م

٣٤ — العَلَم الخفاق من علم الاشتقاق : الجوائب ١٢٩٦ هـ ، مصر ١٣٤٦ هـ .

٣٥ ــ طلب الأدب من أدب الطلب .

٣٦ ــ مثير ساكن الغرام إلى روضات دار السلام (في الجنة وأهل الجنة) : النظامية بكانبور ١٢٨٩ هـ .

٣٧ ــ غصن البان المورق بمحسنات البيان (يشتمل على ثلاثة علوم : علم البيان ، وعلم المعاني ، وعلم البديع) : الجوائب ، بهوبال ١٢٩٤ هـ = ١٨٧٧ م .

٣٨ ــ نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان ، في ذكر أنواع العشق وأحوال العشاق والعشيقات من النسوان ، وما يتصل بذلك من تطورات الصبوة والهيمان : بهوبال ١٢٩٤ ، الجوائب ١٢٩٦ هـ = ١٨٧٩ م

٣٩ ــ الكلمة العنبرية في مدح خير البرية (قصيدة)

٤٠ ــ لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان . (يحوي من تواريخ الأمم السالفة قسطاً وافراً ، ويذكر الليالي والأيام والشهور والأعوام والساعات والدقائق وفصول العام) : الجوائب ١٢٩٦ هـ = ١٨٧٩ م .

٤١ ــ خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان : الجوائب ١٢٩٦ هـ = ١٨٧٩ م (في آخر لقطة العجلان) ، كانبور .

٤٢ ــ أبجد العلوم : الصديقية ببهوبال ١٢٩٦ هـ = ١٨٧٨ م

٤٣ ــ التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول : (كتاب حافل مشحون بتراجم ٥٤٣ عالماً وعالمة من العالم الإسلامي) : المطبعة الهندية العربية ، بمبي ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م .

٤٤ – رحلة الصديق إلى البيت العتيق : العلوية بلكنهو ١٢٨٩ هـ = ١٨٧٢ م .

٤٥ – تخريج الوصايا من خبايا الزوايا : مصر .

* * *

أما الكتب التي لاتزال مخطوطة فهي :

١ – ربيع الأدب .

٢ – تكحيل العيون بتعاريف العلوم والفنون .

٣ – إحياء الميت بذكر مناقب أهل البيت .

٤ – التذهيب ، شرح التهذيب : في المنطق .

* * *

وأما الكتب المجهولة فهي :

١ – خلاصة الكشاف .

٢ – ملاك السعادة .

٣ – اللواء المعقود لتوحيد الرب المعبود .

٤ – النذير العريان من دركات الميزان .

٥ – الروض البسام .

٦ – هداية السائل إلى أدلة المسائل .

٧ – رياض الجنة في تراجم أهل السنة .

وله كتب أخرى بالفارسية .

* * *

أبجد العلوم

من أضخم كتب القنوجي وأوسعها إحاطة واستيعاباً ، وأجلّها فائدة . جعله في ثلاثة أجزاء ، أطلق على كل منها عنواناً .

فعنوان الجزء الأول : « الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم » .

وعنوان الثاني « السحاب المركوم المسطّر بأنواع الفنون وأصناف العلوم » .

وعنوان الثالث : « الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم » .

الجزء الأول : أبدع في تبويبه وتفصيله ، فجعله على مقدمة وستة أبواب كبيرة وخاتمة . وتندرج في كل باب فصول وفقر اصطنع لها عنوانات مبتكرة مبتغياً من ذلك حسن الترتيب ودقة النظام في التصنيف والعرض .

جعل المقدمة لبيان مايطلق عليه اسم العلم ونسبته ومحله وبقائه وعلم الله تعالى .

والباب الأول : في تعريف العلم وتقسيمه وتعليمه وفيه تسعة فصول :

الفصل الأول : في ماهية العلم .

الفصل الثاني : فيما يتصل بماهية العلم من الاختلاف والأقوال .

والفصل الثالث : في تقسيم العلم .

والفصل الرابع : في العلم المدون وموضوعه ومباديه ومسائله وغايته . وختم هذا الفصل بالكلام في غاية العلوم .

والفصل الخامس : في بيان تقسيم العلوم المدونة وما يتعلق بها .

والفصل السادس : في بيان أجزاء العلوم .

والفصل السابع : فيما يجب على من شرع في شرح كتاب ما أن يتعرض في صدره لأشياء قبل الشروع في المقصود ، وذلك مايسميه قدماء الحكماء الرؤوس الثمانية . ويبيّن فيه هذه الرؤوس الثمانية .

والفصل الثامن : في مراتب العلم وشرفه وما يلحق به . وفيه ثمانية إعلامات : الإعلام الأول : في شرف العلم وفضله ، والثاني : في كون العلم ألذ الأشياء وأنفعها ، والثالث : في دفع مايتوهم من الضرر في العلم وسبب كونه مذموماً . والرابع : في مراتب العلوم من التعليم . والخامس : في تعليم الولدان واختلافات مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه . والسادس : في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم . والسابع : في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادتها . والثامن : في آداب المتعلم والمعلم .

ويختم هذا الباب بالفصل التاسع وضمّنه بحثاً في حالة العلماء .

الباب الثاني : في منشأ العلوم والكتب ، وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : في سبب منشأ العلوم والكتب ، وفيه أربعة إفهامات :

الإفهام الأول : في أن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري

والبشر محتاج اليه ، والثاني : في أن العلم والكتابة من لوازم التمدن . والثالث : في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية ، والرابع : في أوائل ماظهر من العلم والكتاب .

الفصل الثاني : في منشأ إنزال الكتب واختلاف الناس وانقسامهم ، وجعل فيه ثلاث فقر سمى كلا منها إفصاحاً : الإفصاح الأول : في حكمة إنزال الكتب ، والثاني : في أقسام الناس بحسب المذاهب والديانات . والثالث : في أقسام الناس بحسب العلوم .

وقسم الإفصاح الثالث فقراً سمى كلا منها تلويحاً ، وجعلها ثمانية : التلويح الأول : في أهل الهند ، الثاني : في الفرس ، الثالث : في الكلدانيين . الرابع : في أهل اليونان . الخامس : في الروم . السادس : في أهل مصر . السابع : في العبرانيين ، وهم بنو إسرائيل . الثامن : في العرب .

الفصل الثالث : في أهل الإسلام وعلومهم ، وقسم هذا الفصل أيضاً فِقراً سمى كلا منها إشارة . وكانت في هذا الفصل أربع إشارات . الإشارة الأولى : في صدر الإسلام . الثانية : في الاحتياج إلى التدوين. الثالثة : في أول من صنف في الإسلام . الرابعة : في اختلاط علوم الأوائل والإسلام .

الفصل الرابع : وهو آخر فصول الباب الثاني ، وجعله في بحث أن التعليم للعلم من جملة الصنائع .

الباب الثالث : في المؤلفين والمؤلفات والتحصيل ، وشقق هذا

الباب في فِصَلٍ سمى كلا منها ترشيحاً ، وجعلها خمسة ترشيحات : الترشيح الأول : في أقسام التدوين وأقسام المدونات . الثاني : في الشرح وبيان الحاجة اليه والأدب فيه. الثالث : في أقسام المصنفين وأحوالهم. الرابع : في بيان مقدمة العلم ومقدمة الكتاب ، وآداب البحث والمطالعة . الخامس : في تحصيل العلم والتدريس والتلمذة والتصنيف .

الباب الرابع : في فوائد منثورة من آداب العلم ، وقد فرع موضوعات هذا الكتاب فروعاً سماها مناظر ، فكانت أحد عشر منظراً ، وقسم بعض هذه المناظر إلى فقر أدنى منها . جعل لكل منها عنواناً كلمة (فتح) ، وفي بعض المناظر فروع أيضاً سماها (فوائد) .

فالمنظر الأول : في العلوم الإسلامية . والثاني : في أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم من العجم . والثالث : في علوم اللسان العربي . والرابع : في أن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم . والخامس : في أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها. والسادس : في موانع العلوم وعوائقها . ويتفرع من هذا المنظر تسعة أفرع سمى كلا منها فتحاً . والسابع : في أن الحفظ غير الملكة العلمية . والثامن: في شرائط تحصيل العلم وأسبابه. ويتفرع من المنظر الثامن هذا ثلاثة عشر فرعاً سمى كلا منها فتحاً أيضاً . والتاسع : في شروط الإفادة ونشر العلم ، وفيه أربع فوائد . والعاشر : فيما ينبغي لأهل العلم أن يكونوا عليه . والحادي عشر : في التعلم ، واستطرد فيه إلى ذكر إحراق الكتب وإعدامها، وضم هذا المنظر فروعاً ستة سمى كلا منها (فائدة) وختم الباب بمناظرة ومحاكمة بين فريقين ، لكل منهما نظر حول موضوع هذا المنظر .

الباب الخامس :في لواحق الفوائد،وقسم هذا الباب إلى فقر كبيرة أطلق على كل منها اسم (مطلب) فكانت تسعة مطالب .

فالمطلب الأول : في فروع علم العربية . والثاني : في العلوم العقلية وأصنافها . والثالث : في أن اللغة ملكة صناعية . والرابع : في أن لغة العرب في عهد المؤلف لغة مستقلة مغايرة للغة مضر وحمير . والخامس: في أن لغة الحضر والأمصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر . والسادس: في تعليم اللسان المضري . والسابع : في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية . والثامن : في تفسير الذوق في مصطلح أهل السياسة وتحقيق معناه وبيان أنه لايحصل غالباً للمستعربين من العجم . والتاسع : في أن أهل الأمصار على الإطلاق قاصرون عن تحصيل الملكة اللسانية التي تستفاد بالتعليم .

الباب السادس : في انقسام الكلام إلى فني النظم والنثر ، وضم هذا الباب ثلاثة عشر مطلباً أيضاً . المطلب الأول : في كون لسان العرب على فنين : النظم والنثر . والثاني : في أنه لاتتفق الإجادة في فني المنثور والمنظوم معاً إلا للأقل . والثالث : في صناعة الشعر ووجه تعلمه.والرابع : في أن صناعة النظم والنثر إنما هي في الألفاظ لافي المعاني . والخامس : في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ . والسادس : في ترفع أهل المراتب عن انتحال الشعر . والسابع : في أن الشعر لايختص باللسان العربي فقط ، بل هو موجود في كل لغة . والثامن : في بيان الحروف والمستزاد والمزدوج . والتاسع : في طبقات الشعراء . والعاشر : في مدح المنظوم من الكلام . والحادي عشر : في تعيين العلم الذي هو فرض عين على كل مكلف . والثاني عشر :

في طبقات أهل العلم . والثالث عشر : في مباحث من الأمور العامة الّتي يكثر استعمالها والاشتباه بإهمالها .

أما خاتمة هذا الجزء فأفردها لمبحث بيان تطبيق الآراء والأنظار فيما سبق . وعقد لهذا الموضوع ستة فصول ، في كل فصل عدد من الفقرات أسمى كلا منها نكتة .

فالفصل الأول : في ماهية التطبيق وهليته ، وفيه خمس نكت . والثاني : في موازين التحقيق ، وفيه سبع نكت . والثالث : في أسباب الاختلاف ، وفيه ست نكت . والرابع : في ضوابط التحقيق ، وفيه سبع نكت . والخامس : في الجرح والتجريح ، وفيه سبع نكت . والسادس : في أمثلة التطبيق ، وفيه أربع عشرة نكتة .

وبهذه الخاتمة يتم الجزء الأول من « أبجد العلوم » والذي سماه « الوشي المرقوم » .

وجملة القول في محتوى الجزء الأول هذا أنه يعتبر مصدراً هاماً في التربية وطرائق التعلم والتعليم ، وما ينبغي على المعلم تعليمه ، وعلى المتعلم تعلمه من فنون العلم والمعارف الإنسانية الّتي انتجتها حضارة الأمة منذ كانت حركة التدوين حتّى عصر المؤلف .

* * *

الجزء الثاني : أما هذا الجزء من « أبجد العلوم » فقد جعل عنوانه كما أسلفنا « السحاب المركوم المسطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم » فهو أضخم الثلاثة حجماً وأغناها مادة ، فقد استقصى فيه ماألف بالعربية

من العلوم منذ بدء التدوين حتى عصره في شتى ميادين المعرفة من فنون علوم القرآن والحديث واللغة والنحو والأدب والفلسفة والعقائد والتاريخ والسياسة والفلك والجغرافية والبلدان والطب والصيدلة والرياضيات والموسيقى ، ومايتفرع عن ذلك . تناول ذلك على سبيل الاستقصاء والحصر ، ثم أخذ بتعريف كل علم وفن بعد أن رتبها على حروف المعجم . ويأتي في آخر التعريف بالعلم أو الفن بنماذج من الكتب المؤلفة فيه . فما على الشادي معرفة علم من العلوم أو فن من الفنون إلا أن يعرف عنوانه ويكشف عنه في موضعه من الترتيب المعجمي فيجد فيه بغيته وينقع غلتّه بمعرفة موضوع العلم المطلوب وأصوله وقواعده وفروعه ونماذج من الكتب التي ألفت في موضوعه .

* * *

الجزء الثالث : وهو الذي سماه « الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم» وأفرده لتراجم رجال ألفوا في العلوم والفنون التي عرّف بها في الجزء الثاني من الكتاب . وقد رأى في تراجمه لهؤلاء أن يقسمهم زمراً ، كل زمرة تضم أعلاماً في التأليف بعلم من العلوم . فجعلهم عشرين زمرة غلب عليهم الاختصاص . فكانوا علماء اللغة : وعلماء التصريف ، وعلماء النحو ، وعلماء العروض والقوافي ، وعلماء الانشاء والادب ، وعلماء المعاني والبيان ، وعلماء المحاضرة ، وعلماء الشعر ، وعلماء التواريخ ، وعلماء المنطق ، وعلماء الجدل ، وعلماء الخلاف ، وعلماء الحكمة ، وعلماء الطب ، وعلماء أصول الفقه ، وعلماء المقالات ، وعلماء الفقه ، والحفاظ من العلماء ، وعلماء الفرائض ، وعلماء النجوم .

وبعد أن يستوفي ترجمة هؤلاء العلماء ، ويذكر أهم ماوضعوه

من الكتب ، يفرد قسماً في آخر هذا الجزء لتراجم علماء الأقاليم . فترجم لعلماء الحرمين الشريفين مكة والمدينة ، وعلماء اليمن ، وعلماء الهند ، وعلماء بلدة قنّوج ، وأخيراً علماء مقاطعة بهوبال في الهند . ويذكر أيضاً في آخر الترجمة أشهر كتب المترجم له .

وبآخر هذا الجزء يتم كتاب « أبجد العلوم » الذي يعتبر بحق من أشمل الكتب المعلمية في هذا الباب من الجمع والتصنيف .

* * *

طبع هذا الكتاب بأجزائه الثلاثةفي بهوبال في حياة مؤلفه، وتولى بنفسه الاشراف على اخراجه مطبوعاً إلى الناس. ونحن إذ نخرجه اليوم نرجو أن نلبي به حاجة المعنيين بالتراث العربي المكتوب من علوم وثقافة ومن ألف وما ألف في ذلك . وقد حاولنا إخراج النص كما أراد له مؤلفه أن يخرج من حيث المحافظة على صحته ، وأضفنا في هوامش هذه الطبعة مالابد من إضافته من إحالة نقل إلى أصله ، أو شرح لمصطلح أو لفظ يستغلق على القارىء فهم معناه . وألحقنا بكل جزء من أجزائه الثلاثة فهارس تفصيلية تيسر للقارىء الرجوع إلى بغيته منه فكانت سبعة فهارس:

الأول : لأبواب الجزء وفصوله .

والثاني : لأسماء الأعلام .

والثالث : لأسماء الأماكن .

والرابع : لأسماء الكتب .

والخامس: للآيات القرآنية .

والسادس : للأحاديث النبوية .

والسابع : للشعر .

ونرجو أن نكون قد وفقنا لإخراج هذا الكتاب إلى الناس في طبعة ميسرة صحيحة . والله ولي التوفيق والسداد .

دمشق ١٩٧٨

* * *

أبجد العلوم

الجزء الأول

الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم

ألّفه

صدّيق بن حسن القنّوجي

ت : ١٣٠٧ هـ ، ١٨٨٩ م

أعدّه للطبع ووضع فهارسه

عبد الجبّار زكّار

منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي

دمشق – ١٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل العلم سُلّماً إلى معارج المعلوم . والمعلوم فضلاً مُسلّماً عند عصابة المنطوق والمفهوم ، وسرّح أبصار البصائر في رياض الفنون والمعارف ، رياض زهت فيها أزهار المعاني والبيان، فتفتحت بنسائمها أنوار الفضل التالد والطارف . فاجتنت منها أيدي المنى فواكه القلوب وأقوات الأرواح ، واقتطفت منها جني الحقائق والدقائق من بين أقاحي الصباح ، فهو قوت الفؤاد ومراح الأشباح ، وروح جثمان الكمال، وحادي النفوس إلى بلاد الأفراح . به فَضلُ الذوق الروحاني على المذاق الجسماني فضلاً لايعرفه إلا من تضلع منه أو ذاق ، ولا يدرك كُنهه إلا من غاص في قعرِ بحاره وسبح في ثبج(١) أنهاره ثم برع وفاق .

والصلاة والسلام على سيد العلماء سند الفضلاء تاج الكملاء محمد النبي المصطفى أحمد الأمي المجتبى ، المؤيد من السماء ، الموحى إليه بالقرآن الذي فيه هدى وشفاء . الذي أكمل الله تعالى به علوم الأوائل والأواخر ، وخصّه من بين خلقه بمزايا المعارف وخبايا المفاخر . فياله من نبي رفيع القدر ماترقى رقيّه الأنبياء ، ورفيع كريم الذكر ماطاولته

(١) ثبج كل شيء : معظمه ووسطه وأعلاه .

السماء . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، وحزبه المتأدبين بآدابه ، الذين تفتحت لهم كمائم المنقول والمعقول . وتحلّت بعقود علومهم أجياد الفحول ، حتى اشتفت نفوس الإسلام والمسلمين من داء الأعداء ، وزال كَلَب الكفر ومرض الإشراك بما أريق من دمائهم تحت أديم السماء على وجه الغبراء . فهم مخازن الفضائل والعوائد ، ومعادن الفواضل والفوائد ، ومجامع المكارم والمحامد ، ومناحي المعارف والمقاصد . لازالت سُحب الرحمة هاطلةً على مراقدهم ، وتحايا الرضوان نازلة على معاهدهم . ماطلعت شموس العلوم من أفلاك الدواوين والدفاتر ، وسطعت نجوم الفنون من مشارق الأقلام والمحابر .

★ ★ ★

وبعد : فهذا بثٌ لما وقر في صدري من أحوال العلوم العالية ، وتراجم الفنون الفاخرة ، وأثر بعد عين في تحصيل مانيطت به سعادة الدنيا والآخرة ، ورَدْتُ من بحارها الطامية ماء عذباً فراتاً حالياً ، وكرعْتُ من أنهارها الصافية ماكان عن القذى طاهراً وعن الأكدار خالياً . حررته إحرازاً لما تشتت من أحوال العلوم وتراجم أسمائها وسماتها ، وجمعته إفرازاً للفنون مع بيان مباديها وأغراضها وغاياتها . مستمداً في ذلك من كتب الأئمة السادة ، وصحف الكبراء القادة ، بعد أن عرفت مجاريها ، وتعلمت الرمي من القوس وقد كنت باريها . لأني لما وقفتُ على كتاب (عنوان العبر وديوان المبتدأ والخبر) (١) لقاضي القضاة مؤيد الدين أبي زيد عبد الرحمن ابن خلدون الأندلسي وجدت مؤلفه رحمه الله تعالى قد عقد في الكتاب الأول (٢) منه فصلاً سادساً في العلوم وأنواعها وسائر طرقها وأنحائها ، وما يعرض في

(١) عنوانه الكامل : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر . وتوفي مؤلفه ابن خلدون سنة ٨٠٨ هـ = ١٤٠٦ م .

(٢) يريد به مقدمة ابن خلدون .

ذلك كله من الأحوال . ثم رأيت خواجه خليفة زاده ملا كاتب الجلبي (١) لخص منه تلك العلوم وأحوالها في مقدمة كتابه (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) وأضاف إليه أشياء من (مفتاح السعادة)(٢) لأبي الخير . ثم اطلعت على كتاب (مدينة العلوم) للأزنيقي (٣) تلميذ قاضي زاده موسى بن محمود الرومي شارح (جغميني) (٤) وفيه بيان أنواع العلوم وتراجم بعض علماء الفنون . ثم عثرت على كتاب (كشاف اصطلاحات الفنون) للشيخ الفاضل محمد علي بن علي التهانوي الهندي ، وقد ذكر فيه أنواعاً من العلوم المتداولة وطُرقاً من الفنون المتناولة .

ورأيت المترفين قد عجزت هممهم عن معرفة هذه العلوم والفنون ، ووجدت العلماء قد قنعوا بالطّلّ من الوابل الهتون ، فكل واحدة من هاتين القبيلتين في غنى عن جباتها وقصور عن بلوغ غايتها ، إلا ماشاء الله تعالى من شواذ القبائل وأفراد الإنسان .

وموضوع الكتاب الأول (٥) تاريخ أحوال العالم . وموضوع الكتاب الثاني (٦) جمع أسامي الكتب التي صنفها بنو آدم . فالأول ليس فيه ماخلا ذكر تلك العلوم في فصول خاصة إلا أحوال العمران وأمم الإنسان ،

---

(١) اسمه : مصطفى بن عبد الله ، كاتب جلبي ، المعروف بحاجي خليفة ، تركي الأصل ، مستعرب وهو مورخ بحاثة ، مولده ووفاته بالقسطنطينية : ١٠١٧ – ١٠٦٧ هـ = ١٦٠٩ – ١٦٥٧ م .

(٢) عنوان الكتاب : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، وهو في موضوعات العلوم . مؤلفه هو المولى أبو الخير أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبري زاده المتوفى سنة ٩٦٨ هـ = ١٥٦١ م

(٣) هو : محمد بن قطب الدين الازنيقي الرومي ، محيي الدين ، عالم مشارك في بعض العلوم ، توفي سنة ٨٨٥ هـ = ١٤٨٠ م .

(٤) هو كتاب الملخص في الهيئة البسيطة لمحمود بن محمد الجغميني .

(٥) أي العبر لابن خلدون .

(٦) أي الكشف لحاجي خليفة .

ووقائع الدهور والأزمان .والثاني ليس فيه ماعدا تراجم تلك العلوم والخطب إلا الكشف عن أسامي الكتب . والثالث(١) مقتصر على ذكر أنواع العلوم وتراجم المصنفين فيها . والرابع(٢) مختص بذكر اصطلاحاتها المتداولة في كتب الفنون .

فأردت أن أُفرد منها أحوال العلوم وتراجم الفنون في تأليف مختصر تقريباً للبعيد وتحصيلاً للتجريد ، مضيفاً إليه ماحصل الوقوف عليه في أثناء ملاحظة الكتب الشاذة وعطفها ، واجتناء ثمار الفوائد من الصحف الفاذة وقطفها . ليكون هذا السفر التام المقصود،وكوكب المراد الطالع من أفق السعود ، سهل الحصول لمن رام الوصول إليه ، ويسير النتاج لمن أراد الحصول منه والتعويل عليه ، لأنه دراسات عديدة في كراريس محدودة ، وفراسات سديدة في قراطيس مشهودة ، تحلت بعون الله وحسن توفيقه بكل زين ، ورُتبت على قسمين :

الأول : في بيان أحوال العلوم .

والثاني : في تراجمها المنطوق منها والمفهوم ،

وكل قسم من هذين القسمين اشتمل على مقدمة وخاتمة وأبواب على أكمل وضع وأجمل أسلوب تسوق ناظريها من طلبة العلوم إلى أعز مقصود وأعزّ مطلوب .

وأنت تعلم إن كنت ممن طالع الكتب المشار إليها واطلع عليها ، أن بعدهذاالتجريد مما فيها لم يبق من المقاصدالعلميةإلا القليل من تراجم

---

(١) أي مدينة العلوم للأزنيقي .

(٢) أي كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي .

الكتب وأهليها . لكن الذي أهمني أني رأيت أبناء هذا الزمان لاتتوجه طبائعهم إلى إدراك العلوم ومبانيها ، واقتباس فوائد الفنون ولو بفهم بعض معانيها . فضلاً عن أن يحيطوا بجميع المقاصد والغايات ، ويبلغوا من معرفتها وضبطها إلى النهايات . إلا واحداً من الألوف المؤلفة ، وفرداً من الأحزاب المتحزبة ممن لهم همة شامخة وروية دارية في كسب المعارف والعلوم . أو دولة باذخة وقدرة سارية في جمع المقسوم . فإنه قد يرفع الرأس إلى معرفة العلم بدءاً وغاية ، وينحو إلى استعلام أمر الأول والنهاية. وكل الخلق وجُلهم مغمورون في اللذات العاجلة الخاطئة الكاذبة الفانية ، ويؤثرونها ولو كان بهم خصاصة على النعم الآجلة الدائمة الباقية . إلا من عصمه الله تعالى . فكأن الناس كلهم قد صاروا أجناساً بلا فصول ، أو إناثاً بلا فحول . مع أن الانسان إنما تميز عن الحيوان بالنطق والعلم والعرفان . ولو لم يكن العلم في البشر لكان هو وجميع الحيوانات سواسية في كل شان . فإنا لله على ذهاب العلم وأهليه وفشو الجهل وعُلوّ ذويه .

وبالجملة فهذا المؤلف الذي جمع أحوال العلوم وتراجمها في كنّ(١) واحد ، وأوعى أشتات الفنون في وعاء صامد . قد تجلى نوره في آخر الزمان من عمر الدنيا حين ولىّ شبابها ، ولم يبق من بحار حياتها إلا سرابُها ، وتوالت فيها الآفات والفتن ، وعمت بأهلها البلوى والمحن . ولذلك كان أثراً بعد عين ، أو حديثاً من خُرَافَةِ حُنَين .

ومع ذلك قد جاء بحمدالله تعالى في بابه بديع المثال ، منيع المنال ، مُبدئ العجب العجاب . إذا سئل أعطى وإذا دعي أجاب ، كأنه سماء علوم شرفت كواكبها عجائبها ، وأرض فنون أمطرت بالغرائب سحائبها ،

(١) الكن : البيت .

شامةٌ في وَجَنات النكات ، تميمةٌ في أجياد الفحول الأثبات ، جنةٌ أشجارُها مورقة ، حديقةٌ أزهارها مونقة ، أكلها دائم وظلها قائم . نعيمها مقيم ، ومزاجها من تسنيم . سفينة نجاةٍ يعبر بها الأبرار بحاراً بعيدة الأغوار ، وفلك مشحون يسبح العابرون في قاموسه المحيط التيار . وحسبك به مطيةً يصل بها الراكب إلى رياض الجنان ، ويشرب هنالك الشارب من حياض العرفان . جمعته لتفنن خواطر الولدين الكريمين السعيدين ، وتمرّن ضمائر الابنين الشريفين الحميدين : السيد نور الحسن الطيب ، والسيد علي حسن الطاهر ، بارك الله لهم وفيهم وعليهم في الدنيا والدين ، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين ، وسلك بهم مسلك السلف الصالحين خصوصاً ، ولمن عداهم من أهل العلم والفضل عموماً .

وسميت القسم الأول من هذا الكتاب : « الوشي المرقوم » . والقسم الآخر « السحاب المركوم » والكتاب نفسه « أبجد العلوم » .

وكان وضعه وجمعه في بلدة بهوبال المحمية في سنة تسعين ومائتين وألف الهجرية ، وطبعه وينعه في سنة خمس وتسعين ومائتين وألف القدسية ، في المطبعة المنسوبة إلى ذات المحامد السنية والمكارم العلية ، من أخجلت بجودها السحاب فصب عرقاً ، وأرعدت بسياستها الرعد فارتعد فَرَقاً ، لاح نور رأفتها من سواد بلاد مالوة الدكن كما لاح نور الباصرة من سواد البصر . فوصل كذلك إلى القريب والبعيد من أهل الوبر والمدر . من نزل بأعتابها نسي الأوطان والأصحاب ، ومن لاذ ببابها أتاه المطالب من كل باب . قد جمعت بين الصورة الملكية والسيرة الملكية . وقرنت بين الحكمة الإيمانية ، والحكومة اليمانية . وهنا أنشدتُ مخاطبا للصّبا والشمال على ماهو دأب أرباب الوجد والحال :

وَصَلْتِ حِمىً بهوبالَ يانَفْسُ فانْزلي
فَقَدْ نِلْتِ مأمول الفُؤادِ المعَـــــوَّلِ

ويا حَبَّذا ساحاتُـها للتِ إنّهـا
« نسيمُ الصَّبا جاءَتْ بِرَيّا القَرَنْفُلِ »

تذكـرتُ عَـهْـداً بالحِمـى وبمَـنْ بهِ
« قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حبيبٍ ومَنزِلِ »

وما هُـو إلا حَضْرةُ العِزَّةِ التي
تُخاطِبُ تاجَ الهِنْدِ عِنْدَ الأَماثِلِ

مَعاذَةُ أهْلِ الفَضْلِ مِنْ كُلِّ حادثٍ
مَلاذَةُ أَعْيانِ العُلاةِ الأَفاضِلِ

مُغيثةُ أربابِ الفَواضِلِ والحِجى
« ثِمالُ اليَتامَى عِصْمَةٌ للأَرامِلِ »

هي البَحْرُ جُوداً فَيْضُها شَمِلَ الوَرَى
وقدْ نَالَ مِنْ مَعْروفِها كُلُّ سائِلِ

هي الشمسُ إفْضالاً يَعمُّ نَوالُـها
جميعَ الرَّعايا مِنْ صُنُوفِ القَبائِلِ

أفادَتْ كَراماتٍ بِهِمّتِها التي
لها لَيْسَ مِثْلاً عِنْدَ كُلِّ مُماثِلِ

أفاضَتْ فُيُوضاً أَخْجَلَتْ جُودَ حاتِمٍ
أَسَالَتْ إلينـا هاطِلاً بعد هَاطِلِ

قِفُوا أَخبِرونا منْ يَقُومُ مَقامَها
ومَنْ ذا يَرُدُّ الآنَ لَهفَةَ سائلِ

قِفُوا أخبِرونا هَلْ لَها من مُشابِه
قِفُوا أخبِرونا هَلْ لهَا من مُشاكِلِ

فما هِيَ إلا رَحمَةٌ مُستَطابَةٌ
تَعُمُّ البَرايا مِنْ غَنِيٍّ وعائلِ

أدامَ لهَا رَبُّ البَرايا مَكَارماً
تَقَصَّر عَنْها كُلُّ حافٍ وناعِلِ

وزَادَ لهَا الإقبالَ إقبالَ عِزَّة
وكانَ لهَا عَوْناً لَدَى كُلِّ نازلِ

أعني بها مليكة العالم أهل بيتي نواب شاهجهان بيكم ،طابت أيامها ولياليها ، ونامت عيون الدواهي عن معاليها .

★ ★ ★

هذا والله أسأل أن يصعد هذا الكتاب ذروة القبول ، ويجعله خالصاً لذاته الكريمة ، وينفع به أهل العلم ومن أخلفه من السادة الفحول ، ويرخي على زلات جامعه من عفوه وعافيته وغفرانه ورضوانه أطول الذيول .

★ ★ ★

وحين بلغ القول مني إلى هذا المبلغ أخذت في سرد مقاصد الكتاب أبواباً ، ورفعت عن وجوه عرائس العلوم وتراجمها حجاباً . وأبديت فيه عللاً وأسباباً ، ونزعت عن محيا فنونه جلباباً . وسلكت فيه مسلكاً غريباً ، واخترت من بين المناحي منهجاً عجيباً .وبالله الاستعانة ومنه التوفيق في كل ماأحرر وأقول .وعليه التعويل وله الحمد على كل حال وهو خير مسئول ومأمول :

القسم الأول

من كتاب أبجد العلوم في احوالها

المسمى بالوشي المرقوم

المقدمة: في بيان ما يطلق عليه اسم العلم و نسبته و محله و بقائه و علم الله تعالى.

العلم بالكسر وسكون اللام : في عرف العلماء يطلق على معان منها الإدراك مطلقاً ، تصوراً كان أو تصديقاً يقينياً أو غير يقيني وإليه ذهب الحكماء .

ومنها التصديق مطلقاً ، يقينياً كان أو غيره . قال السيد السند(١) في (حواشي العضدي) : « لفظ العلم يطلق على المقسم ، وهو مطلق الإدراك ،وعلى قسم منه وهو التصديق . إما بالاشتراك بأن يوضع بإزائه أيضاً ، وإما بغلبة استعماله فيه لكونه مقصوداً في الأكثر ، وإنما يقصد التصور لأجله . ومنها التصديق اليقيني في الخيالي .العلم عند المتكلمين

(١) هو علي بن محمدبن علي ، المعروف بالسيد الشريف الجرجاني ، من الفلاسفة و كبار علماء العربية له مؤلفات كثيرة توفي سنة ٨١٦ هـ = ١٤١٣ م .

لامعنى له سوى اليقين ، وفي (الأطول) في باب التشبيه : العلم بمعنى اليقين في اللغة لأنه من باب أفعال القلوب » انتهى .

ومنها مايتناول اليقين والتصور مطلقاً .في (شرح التجريد)(١): « العلم يطلق تارة ويراد به الصورة الحاصلة في الذهن . ويطلق تارة ويراد به اليقين فقط . ويطلق تارة ويراد به مايتناول اليقين والتصور مطلقاً » انتهى .

قيل : هذا هو مذهب المتكلمين .

ومنها التعقل .

ومنها التوهم والتخيل . في (تهذيب الكلام) : « أنواع الإدراك إحساس وتخيل وتوهم وتعقل ، والعلم قد يقال لمطلق الإدراك وللثلاثة الأخيرة وللأخير ، وللتصديق الجازم المطابق الثابت .

ومنها إدراك الكلي مفهوماً كان أو حكماً .

ومنها إدراك المركب تصوراً كان أو تصديقاً .

ومنها إدراك المسائل عن دليل .

ومنها نفس المسائل المبرهنة .

ومنها الملكة الحاصلة من إدراك تلك المسائل،وبعضهم لم يشترط كون المسائل مبرهنة » . وقال : « العلم يطلق على إدراك المسائل وعلى نفسها ،

(١) المراد بالتجريد كتاب (تجريد الكلام) أو (تجريد العقائد) للنصير الطوسي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ، وعلى التجريد شروح كثيرة وحواش أهمها حاشية السيد الشريف الجرجاني وهي المعتمدة لدى علماء الروم والهند .

وعلى الملكة الحاصلة منها .والعلوم المدونة تطلق أيضاً على هذه المعاني الثلاثة الأخيرة .

ومنها ملكة يقتدر بها على استعمال موضوعات ما نحو غرض من الأغراض صادراً عن البصيرة بحسب مايمكن فيها ويقال لها الصناعة أيضاً » كذا في (المطول)(١) . في بحث التشبيه .

وردّه السيّد السند « بأن الملكة المذكورة المسماة بالصناعة إنما هي في العلوم العملية أي المتعلقة بكيفية العمل كالطب والمنطق ، وتخصيص العلم بإزائها غير محقق ، كيف وقد يذكر العلم في مقابلة الصناعة . نعم اطلاقه على ملكة الإدراك بحيث يتناول العلوم النظرية والعملية غير بعيد مناسب للعرف » انتهى .

قال المتكلمون : لابد في العلم من إضافة ونسبة مخصوصة بين العالم والمعلوم بها . يكون العالم عالماً بذلك المعلوم ، والمعلوم معلوماً لذلك العالم . وهذه الإضافة هي المسماة عندهم بالتعلق . فجمهور المتكلمين على أن العلم هو هذا التعلق ، إذ لم يثبت غيره بدليل فيتعدد العلم بتعدد المعلومات ، كتعدد الإضافة بتعدد المضاف إليه .

وقال قوم من الأشاعرة : هو صفة حقيقية ذات تعلق .وعند هؤلاء فثمة أمران : العلم ،وهو تلك الصفة. والعالمية ، أي ذلك التعلق . فعلى هذا لا يتعدد العلم بتعدد المعلومات ، إذ لايلزم من تعلق الصفة بأمور كثيرة تكثّر الصفة إذ يجوز أن يكون لشيء واحد تعلقات بأمور متعددة .

---

(١) هو الشرح المبسوط لكتاب تلخيص المفتاح للجلال القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ ﻫ . ومؤلف المطول هذا هو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢ ﻫ .

وأثبت القاضي الباقلاني العلم الذي هو صفة موجودة ، والعالمية التي هي من قبيل الأحوال عنده . واثبت معها تعلقاً ، فإما للعلم فقط أو للعالمية فقط . فهذه ثلاثة أمور : العلم ، والعالمية ، والتعلق الثابت لأحدهما وإما لهما معاً ، فها هنا أربعة أمور : العلم والعالمية وتعلقاتهما .

وقال الحكماء : العلم هو الموجود الذهني ، إذ لا يعقل ما هو عدم صرف بحسب الخارج كالممتنعات . والتعلق إنما يتصور بين شيئين متمايزين ، ولا تمايز إلا بأن يكون لكل منهما ثبوت في الجملة ، ولا ثبوت للمعلوم في الخارج فلا حقيقة له إلا الأمر الموجود في الذهن وذلك الأمر هو العلم ، وأما التعلق فلازم له . والمعلوم أيضاً فإنه باعتبار قيامه بالقوة العاقلة علم ، وباعتباره في نفسه من حيث هو هو معلوم . فالعلم والمعلوم متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار . وإذا كان العلم بالمعدومات كذلك وجب أن يكون سائر المعلومات أيضاً كذلك ، إذ لا اختلاف بين أفراد حقيقة واحدة نوعية . كذا في (شرح المواقف) قال مرزاهد : هذا في العلم الحصولي . وأما في الحضوري فالعلم والمعلوم متحدان ذاتاً واعتباراً ، ومن ظن أن التغاير بينهما في الحضوري أيضاً اعتباري كتغاير المعالِج والمعالَج ، فقد اشتبه عليه التغاير الذي هو مصداق تحققهما بالتغاير الذي هو بعد تحققهما . فإنه لو كان بينهما تغاير سابق لكان العلم الحضوري صورة منتزعة من المعلوم وكان علماً حصولياً .

★ ★ ★

ثم اعلم أن محل العلم الحادث سواء كان متعلقاً بالكليات أو بالجزئيات عند أهل الحق غير متعين عقلاً ، بل يجوز عندهم عقلاً أن يخلقه الله تعالى في أي جوهر أراد من جواهر البدن لكن السمع دل على أنه القلب ، قال الله تعالى: ﴿ فتكونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلونَ بِهَا ﴾ وقال: ﴿أفلا يَتَدَبّرونَ القُرآن أمْ عَلَى قُلُوبٍ أقْفالُها ﴾ .

هذا وقال الحكماء : محل العلم الحادث النفس الناطقة أو المشاعر العشر الظاهرة والباطنة .

وقد اختلف المتكلمون في بقاء العلم والعقل بعد الموت في الجنة . فالأشاعرة قضوا باستحالة بقائهما كسائر الأعراض عندهم . وأما المعتزلة فقد أجمعوا على بقاء العلوم الضرورية والمكتسبة التي لايتعلق بهاالتكليف.

واختلفوا في العلوم المكتسبة المكلف بها فقال الجُبّائي(١) : إنها ليست باقية وإلا لزم أن لايكون المكلف بها حال بقائها مطيعاًولا عاصياً ولا مثاباً ولا معاقباً مع تحقق التكليف ، وهو باطل بناء على أن لزوم الثواب أو العقاب على كلف به. وخالفه أبو هاشم(٢) في ذلك وأوجب بقاء العلوم مطلقاً .

قال شيخنا العلامةالمجتهدالمطلق قاضي القضاةمحمدبن عليالشوكاني(٣) في فتاواه المسماة (بالفتح الرباني) : « إنه وصل السؤال عن الكلام للحافظ الذهبي (٤) من أن علوم أهل الجنة تسلب عنهمفي الجنة،ولا يبقى

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي ، من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره وإليه نسبة الطائفة الجبائية ، نسبته إلى جبى من قرى البصرة ، توفي سنة ٣٠٣ هـ= ٩١٦ م .

(٢) هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي ، من كبار المعتزلة وعالم بالكلام ، تبعته فرقة سميت البهشمية ، توفي سنة ٣٢١ هـ = ٩٣٣ م .

(٣) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء ، كان يرى تحريم التقليد ، له ١١٤ مؤلفاً . ١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ = ١٧٦٠ - ١٨٣٤ م .

(٤) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين ، حافظ مؤرخ علامة محقق ، تركماني الأصل من أهل ميافارقين مولده ووفاته بدمشق . له كثير من التصانيف قد تبلغ المائة : ٦٧٣ - ٧٤٨ هـ = ١٢٧٤ - ١٣٤٨ م .

لهم شعور بشيء منها . فاقشعر جلدي عند الاطلاع على هذا الكلام من مثل الحافظ الذي أفنى عمره في خدمة الكتاب والسنة والتراجم لعلماء هذا الشأن . وقد كنت قديماً وقفت على شيء من هذا لكن لفرد شاذ من أفراد الحكماء قاله لا عن دراية ولا رواية ،فلم أعبأ به لجهله بالكتاب والسنة ، فياليت شعري كيف يجري قلم أحقر عالم من علماء الشريعة بمثل هذا . وعجبت ماأدخل هذا الحافظ في مثل هذه المداخل المقفرة المكفهرة التي يتلون الحريف في شعابها وهضابها ، ويتحمل هذا النقل الثقيل والعبء الجليل. والحاصل أن الطوائف الإسلامية على اختلاف مذاهبهم وتباين طرقهم متفقون على أن عقول أهل الجنة تزدادُ صفاءً وإدراكاً لذهاب ماكان يعتريهم من الكدورات الدنيوية . وكيف يسلبون ماهو عندهم من أوفر النعم وأوفر القسم ، وهم في دار فيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ به الأعين مما لاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ، فكأنَّ هذا القائل لم يقرأ القرآن الكريم وماشتمل عليه من تحاور أهل الجنة وأهل النار وتخاصمهم بتلك الحجج التي لاتصدر إلا عن أكمل الناس عقلاً وأوفر الخلائق فهماً ، ومايذكرونه من حالهم الذي كانوا عليه في أهليهم بل ما يودونه من إبلاغ الأحياء عنهم ماصاروا فيه من النعيم قال: ﴿ياليتَ قومي يعلَمونَ بما غَفَرلي رَبِّي وجَعَلَني منَ المكرَمين﴾(١) وورد مثل هذا المعنى في القرآن الذي رفع لفظه من المصحف ، كما ثبت في الصحاح من كتب الحديث عن أولئك الشهداء بلفظ : « بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا » وكذلك ماذكر من اجتماع أهل الجنة ومذاكرتهم بما كانوا فيه في الدنيا وما صاروا إليه في الجنة ، كما في الآيات المشتملة على مافي الجنة مما أعده الله لهم حيث يقول: وفيهاوفيها وفيها ، في آيات كثيرة . وذكر أن أهلها على سرر متقابلين ، وأنه

(١) سورة يس الآية : ٢٧ .

يطوف عليهم ولدان مخلدون . وثبت أنهم يدخلون الجنة على تلك الصفات من الجمال والشباب وكمال الخلق وحسن الهيئة مرداً جرداً أبناء ثلاث وثلاثين سنة . وأنهم يتخيرون في الجنة مايشتهون . وكم يعدُّ العادُّ من الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة.ولا يتم هذا النعيم ولابعضه إلا وهم ذووعقول صحيحة بالضرورة العقلية كما ثبت بالضرورة الدينية . ومعلوم أنهم إذا كانوا ذوي عقول فمهما وجدت معهم فهي بالإمكان العام والخاص قادرة على كسب ما تجدد لها من العلوم ، ذاكرة لما حصل لها منها من قبل هذا مالايحتاج إلى بيان ولايفتقر إلى برهان،ولو فقدوها لفقدوا الإنسانية الكاملة ، وصاروا مشابهين للدواب . وأي نعمة لمن لا عقل له كما هو مشاهد من المصابين بالجنون في الدنيا . وأي فائدة للمبالغة في نعيم من كان ذاهب العقل بما ثبت في الكتاب والسنة من أنهم على صفات فوق صفاتهم في الدنيا بمسافات لايقادر قدرها ولا يحاط بكنهها.وكذلك لايتم نعيمهم إلا بوجود الحواس الظاهرة والباطنة ،ولو فقدوها لما تنعموا كما ينبغي . وكذا لو فقدوا بعضها لم يكن لهم شعور بالتنعيم الذي وصفه الله سبحانه وبالغ فيه.وأي فائدة لفاقد العقل ، وأي شعور له بكونه على صفة كمالية في جماله ولباسه الحرير والديباج وتحليته بالذهب والجواهر وأكله من أطيب المأكل وشربه من أنفس المشروب . وكذا لانعمة تامة فضلاً عن أنتكون فاضلة لمن كان أعمى أو أصم أو لا يفهم شيئاً أو لايذكر مامضى له ولايفكر فيما هو فيه.وإذا تقرر لك هذا علمت أن أهل الجنة لهم العقول الفائقة بنسبة الدنيا شباباً وجمالاً وقوة وفهماً وذكراً وحفظاً وسلامة من كل نقص. ولو لم يكن الأمر هكذا لم تكن لهم فائدة بما بولغ به في شأنهم من الصفات ، بل يعود ذلك بالنقص لما أثبت لهم منها في الجنة . هذا معلوم بالعقل والشرع لايتمارى فيه قط.وأقل

الحال أن يكون النعيم المحكوم لهم به في الجنة كتاباً وسنة ناقصاً . والمفروض أنه بالغ في الكمال إلى غاية فوق كل غاية . وهذا خُلف يدافع نصوص الكتاب والسنة مدافعة يفهمها كل من له عقل وإدراك . فياعجباً كل العجب من التجري على أهل هذه الدار التي هي دار النعيم المقيم على الحقيقة بما ينغص نعيمهم ويشوّش حالهم ويكدر صفوهم ويمحق ماأعد الله لهم ، ومن التجري على الله سبحانه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم بما يستلزم عدم ثبوت ماأثبته الكتاب والسنة لهم وتكديره وذهاب أثره ومحق بركته . وأنت تعلم أن مثل هذا الكتاب يستلزم الكفر الصراح . فأين هذا القادح الفادح من نعيم دار يعدل موضع سوط أحدهم فيها الدنيا بأسرها وجميع مافيها ، ومن دار نصيف إحدى زوجاتهم يعدل الدنيا ومافيها ، ومن دار لوأشرفت إحدى الجواري المعدة لهم على أهل الدنيا لفتنتهم أجمعين كما ثبت في الأحاديث الصحيحة . ومع هذا فقد ثبت قرآناً أنهم على سرر متقابلين وأنه يطوف عليهم ولدان مخلدون . وثبت سنةً أنهم يجتمعون ويتزاورون . فليت شعري مافائدة هذا الاجتماع والتزاور لمن لاعقل له ولافهم ولافكر ولاذكر .

والحاصل أن التقول بمثل هذا القول هو من التقول على الله سبحانه بما لم يقل ، وعلى رسوله وعلى شريعته بما لم يكن منها . وقد ثبت في القرآن الكريم الحكم على المتقولين بما هو معلوم لكل من يعرف القرآن . وإذا ثبت أن مثل هذا باطل في الدار الآخرة فانظر إلى هذه الدار دار الدنيا التي ليست بشيء بالنسبة إلى الدار الآخرة لو قيل لأحدهم : إنه سيكون لك ماتريد من جمال الهيئة وكمالها ومن النعيم البالغ ومن الرياسة التامة ولكن ستصاب بالجنون أوتفقد جميع المشاعر ، لقال : لا ولاكرامة

دعوني أعش صعلوكاً فقيراً فهو أطيب لي مما عرضتموه عليّ وأحبّ إليّ مما جئتموني به :

خُذُوا رِفْدَكُم لاقَدَّسَ الله رِفْدَكُم
سَأَذْهَبُ عَنْهُ لا عَلَيَّ وَلا لِيا

وإنما أوردنا لك هذه الأمور لتعلم أن الروح للإنسان إذا كان ساذجاً كان كله ساذجاً ، إذ الروح هو الإنسانية التي يتميز بها صاحبها عن الدواب . وجميع ماذكرنا من العقل والحواس الباطنة والظاهرة هو له لا للحم ولالدم ولالعظم . فإذا كان الروح ساذجاً فلم يبق إلاصورة اللحم والدم ، وهو المقصود بقولهم في بيان ماهية الإنسان « إنه حيوان ناطق » أي مدرك للمعقولات ، وليس ذلك للقالب الذي هو فيه . وكما أن ماذكرناه وقررناه هو إجماع الطوائف الإسلامية على اختلاف أنواعهم فهو أيضاً إجماع أهل الشرائع كلها ، كما يحكى ذلك عن كتب الله المنزلة على رسله ، وتحكيه أيضاً كتبهم المؤلفة من أحبارهم ورهبانهم ، فإنه لاخلاف بينهم في المعاد وفي النعيم المعد لأهل الجنة كما حكاه الكتاب العزيز ؛ وقد أوردنا من ذلك في (المقالة الفاخرة في إثبات الدار الآخرة) وفي (إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على إثبات التوحيد والمعاد والنبوات) كثيراً من نصوص التوراة والإنجيل والزبور وسائر كتب نبوات بني إسرائيل . ولم يشذ منهم إلا اليهودي الزنديق موسى بن ميمون الأندلسي(١) ، وقد تبرأ منه قدماء اليهود وأخرجوه من دينهم . بل

(١) هو موسى بن ميمون بن يوسف بن اسحاق القرطبي ، طبيب فيلسوف يهودي ، ولد وتعلم في قرطبة وتظاهر بالإسلام ، ودخل مصر ، فعاد إلى يهوديته وأقام في القاهرة ٣٧ عاماً كان فيها من سنة ٥٦٧ هـ رئيساً روحيا لليهود ، ومات بها ودفن بطبرية في فلسطين ٥٢٩ - ٦٠١ هـ = ١١٣٥ - ١٢٠٤ م .

وكذلك النصارى وإن لم يكن من أهل ملتهم فقد صرحوا بخذلانه وزندقته ، قال النصراني في تاريخه : « ورأيت كثيراً من يهود بلاد الافرنج بأنطاكية وطرابلس يلعنونه ويسمونه كافراً » انتهى. قلت : وقد وقع لهذا الملعون من تحريف كثير من التوراة مايدل على إلحاده وزندقته، وقد رددت ماحرّفه وأوضحته بأتم إيضاح . وأما يهود عصرنا فصاروا يعظمونه وذلك لجهلهم بحقيقة الحال . وقد ذكرت لجماعة من أحبارهم بعض تحريفاته فلعنوه وتبرأوا منه . وكما أن هذا الذي ذكرناه مجمع عليه بين أهل الملل التابعين لانبيائهم ، فهو أيضاً مجمع عليه بين المشتغلين بالعقل والنظر كالكلدانيين والصابئين أتباع صاب بن إدريس ، كما رأيناه في حكاية مذاهبهم التي ذهبوا إليها في شأن المعاد، ومنهم اليونانيون فإنهم جميعهم من عند أسقلينوس إلى عهد جالينوس مصرحة كتبهم بمعاد الأرواح عليه في دار المعاد. وهكذا المشتغلون بالحكمة الإلهية من أهل الإسلام كالكندي ومن جاء بعده كالفارابي ومن جاء بعده منهم كابن سينا فإن كتبهم مصرحة بذلك تصريحاً لاشك فيه ولا ريب . وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية » انتهى كلام الشوكاني – رحمه الله – .

وإنما أوردناه ههنا بطوله لاشتماله على الفوائد الجليلة والشيء بالشيء يذكر .

ثم اعلم أن علم الله سبحانه بذاته نفس ذاته ، فالعالم والمعلوم واحد وهو الوجود الخاص. كذا في (شرح الطوالع) أي واحد بالذات ، أما بالاعتبار فلابد من التغاير . ثم قال : « وعلم غير الله تعالى بذاته وبما ليس بخارج عن ذاته هو حصول نفس المعلوم ، ففي العلم بذاته العالم والمعلوم واحد ، والعلم وجود العالم والمعلوم والوجود زائد . فالعلم غير العالم

والمعلوم والعلم بما ليس بخارج عن العالم من أحواله غير العالم والمعلوم ، والمعلوم أيضاً غير العالم . فيتحقق في الأول أمر واحد . وفي الثاني اثنان . وفي الثالث ثلاثة . والعلم بالشيء الذي هو خارج عن العالم عبارة عن حصول صورة مساوية للمعلوم . فيتحقق أمور أربعة : عالم ، ومعلوم ، وعلم ، وصورة . فالعلم حصول صورة المعلوم في العالم ، ففي العلم بالأشياء الخارجة عن العالم صورة ، وحصول تلك الصورة وإضافة الصورة إلى الشيء المعلوم ، وإضافة الحصول إلى الصورة وفي العلم بالأشياء الغير الخارجة عن العالم حصول نفس ذلك الشيء الحاصل ، وإضافة الحصول إلى نفس ذلك الشيء . ولاشك أنّ الإضافة في جميع الصور عرَض ، وأما نفس حقيقة الشيء في العلم بالأشياء الغير الخارجة عن العالم فإنه يكون جوهراً إن كان المعلوم ذات العالم لأنه تكون تلك الحقيقة موجودة لا في موضوع ضرورة كون ذات الموضوع العالم كذلك ، وإن كان المعلوم حال العالم يكون عرضاً . وأما الصورة في العلم بالأشياء الخارجة عن العالم فإن كانت صورة لعرَض بأن يكون المعلوم عرَضاً فهو عرَض بلا شك ، وإن كانت صورة لجوهر بأن يكون المعلوم جوهراً فعرَض أيضاً » انتهى .

وهذا مبني على القول بالشبح . وأما على القول بحصول ماهيات الأشياء في الذهن فجوهر .

وقال الصوفية: علم الله سبحانه صفة نفسية أزلية. فعلمه سبحانه بنفسه وعلمه بخلقه علم واحد غير منقسم ولا متعدد ، لكنه يعلم نفسه بما هوله ويعلم خلقه بما هم عليه . ولا يجوز أن يقال: إن معلوماته أعطته العلم من أنفسها — كما قال الشيخ محيي الدين ابن عربي — لئلا يلزم كونه استفاد

شيئاً من غيره فلنعذر أنه كاو لا ه إ ممك غ ونلالذ ، هلال بعق . ولكنا وجدناه سبحانه بعد هذا يعلمها بعلم أصلي منه غير مستفاد مما هي عليه فيما اقتضته بحسب ذواتها ، غير أنها اقتضت في نفسها ماعلمه سبحانه عليها فحكم له ثانياً بما اقتضته وهو ماعلمها عليه . ولما رأى الإمام المذكور أن الحق حكم للمعلومات بما اقتضته من نفسها ظن أن علم الحق مستفاد من اقتضاء المعلومات فقال : « إن المعلومات أعطت الحق العلم من نفسها » . وفاته أنها إنما اقتضت ماعلمها عليه بالعلم الكلي الأصلي النفسي قبل خلقها وإيجادها ، فإنها ماتعينت في العلم الإلهي إلا بما علمها لا بما اقتضته ذواتها. ثم اقتضت ذواتها بعد ذلك من نفسها أموراً هي عين ماعلمها عليه أولاً ، فحكم لها ثانياً بما اقتضته ، وما حكم إلا بما علمها عليه فتأمل . فيسمى الحق عليماً بنسبة العلم إليه مطلقاً ، وعالماً بنسبة معلومية الأشياء إليه ، وعلاّماً بنسبة العلم ومعلومية الأشياء إليه معاً . فالعليم اسم صفة نفسية لعدم النظر فيه إلى شيء مما سواه ، إذ العلم ماتستحقه النفس في كمالها لذاتها. وأما العالم فاسم صفة فعلية ، وذلك علمه للاشياء سواء كان علمه لنفسه أو لغيره فإنها فعلية ، يقال : عالم بنفسه أي علم نفسه ، وعالم بغيره أي علم غيره ، فلابد أن تكون صفة فعلية . وأما العلاّم فبالنظر إلى النسبة العلمية اسم صفة نفسية كالعليم . وبالنظر إلى نسبة معلومية الأشياء إليه اسم صفة فعلية ، ولذا غلب وصف الخلق باسم العالم دون العليم والعلاّم فيقال : فلان عالم ولايقال عليم ولا علاّم مطلقاً ، إلا أن يقال : عليم بأمر كذا ، ولا يقال : علاّم بأمر كذا ، بل إن وصف به شخص فلابد من التقييد فيقال : فلان علاّم في فن كذا ، وهذا على سبيل التوسع والتجوز ، وليس قولهم : فلان علاّمة من هذا القبيل لأنه ليس من أسماء الله تعالى ، فلا يجوز أن يقال : إن الله علاّمة فافهم . كذا في الإنسان

الكامل. ذكره في (كشاف اصطلاحات الفنون) أقول ــ عفا الله عني ــ: إن علم الله تعالى ذاتي كسائر صفاته. وإنما قلنا ذلك للرد على الحكماء القائلين بنفي الصفات وإثبات غاياتها، وللرد على المعتزلة القائلين بأنه يعلم بالذات لابصفة زائدة عليها. وقال ابن سينا في (الإشارات) تبعاً للفلاسفة: إن الله عالم بالكليات، أي دون الجزئيات. وهو كفر بواح لا يقبل التأويل. وهذا أحد ماكفّر أهل الإسلام الفلاسفة بها، ولهم من أمثال ذلك الطامات الكثيرة المعضلات، فلا يهولنك ماينسب إليهم من المعارف ودقائق الأفكار، فما منهم إلا المخالف أو على شفا جرف هار.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية(١) وغيره من علماء الإسلام أدلة عقلية أيضاً على إثبات صفة العلم لله تعالى لانطول الكلام بذكرها هنا.

وأدلة ثبوت صفة العلم لله تعالى سمعاً من الكتاب والسنة كثيرة جداً، كقوله تعالى: ﴿عالم الغيب والشّهادَة﴾ وقوله: ﴿أنزله بعلمه﴾ وقوله: ﴿إليه يُرَدُّ علمُ الساعة﴾ وقوله: ﴿ولا يُحيطون بشَيءٍ مِنْ علمه﴾ وقوله: ﴿يعلم خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وما تُخْفي الصدور﴾ إلى غير ذلك من آيات لاتحصى إلا بكلفة. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «سبق علم الله في خلقه فهم صائرون إليه» وفي حديث ابن عمر: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله».

وصفة العلم له سبحانه إمام أئمة الصفات، وقد أحاط بكل شيء علماً،

---

(١) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، الإمام، شيخ الإسلام ٦٦١ – ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ – ١٣٢٨ م.

وعلمه قد تعلق بكل شيء من الأشياء من الجائزات والواجبات والمستحيلات ، فيجب شرعاً أن يعلم أن علم الله غير متناه من حيث تعلقه . أما بمعنى أنه لاينقطع فهو واضح ،وأما بمعنى انه لايصير بحيث لايتعلق بالمعلوم فإنه يحيط بما هو غير متناه كالأعداد والأشكال. ونعيم الجنة ، فهو شامل لجميع المتصورات سواء كانت واجبة كذاته وصفاته العليا ، أو مستحيلة كشريك الباري تعالى ، أو ممكنة كالعالم بأسره الجزئيات من ذلك والكليات على ماهي عليه من جميع ذلك ،وأنه واحد لا تعدد فيه ولا تكثُّر وإن تعددت معلوماته وتكثرت .

وأما وجوب عموم تعلقه سمعاً فمثل قوله تعالى : ﴿ والله بكلِّ شَيءٍ عليم ﴾ وقوله :﴿يعلمُ خائِنَةَ الأعيُنِ وما تُخْفي الصُّدُورُ﴾ وقوله : ﴿ يعلمُ مايُسِرُّونَ وما يُعْلِنون ﴾ إلى غير ذلك من الآيات القرآنية .

وأما وجوب ذلك عقلاً فلأن المقتضي للعالمية هو الذات إما بواسطة المعنى الذي هو العلم على ماهو مذهب الصفاتية والسلف وهو الحق ، أو بدونها على ماهو رأي النفاة.والمقتضي للمعلومية إمكانها ونسبة الذات إلى الكل على السواء ، فلو اختصت عالميته بالبعض دون البعض لكان ذلك بمخصص وهو محال لامتناع احتياج الواجب في صفاته وسائر كمالاته الى التخصيص لمنافاته لوجوب الوجود والفناء المطلق.ولم يذهب إلى تعدد علوم قديمة أحد يعتمد عليه إلا أبو سهل الصعلوكي(١) من الأشاعرة وهو محجوج بالإجماع .

---

(١) هو محمد بن سليمان بن محمد بن هارون ، أبو سهل الصعلوكي . فقيه شافعي من العلماء بالتفسير والأدب ٢٩٦ – ٣٦٩ هـ = ٩٠٨ – ٩٨٠ م .

والحق أن علمه سابق محيط بالأشياء على ماهي عليه، ولا محو فيه ولا تغير ولا زيادة ولا نقصان. وهو سبحانه وتعالى يعلم ما كان ومايكون وما لايكون وما لو كان كيف كان. وأما ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ فهل يكون فيه محو وإثبات؟ فيه قولان للعلماء. وأما الصحف التي بيد الملائك فيحصل فيها المحو والإثبات. وما أطال به الحكماء وإفراخهم الكلام في بيان علم الله سبحانه وتعالى وما جاؤا به من الأدلة العقلية على إثبات عقائدهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة، وما تفوهوا به من أن الصفات زائدة على ذاته أو هي عين ذاته المقدسة، وما نفوه من الصفات فكل ذلك مما لم يخض فيه السلف ولم يأت فيه حرف واحد من الشارع عليه الصلاة والسلام. فالخوض فيه وأمثاله من المسائل بُعد عن الدين وقرب من الشياطين. وكم قد هلكوا وأهلكوا وضلوا وأضلوا الناس عن الصراط السوي، ولا معصوم إلا من عصمه الله ورحمه. والكلام على مسألة العلم يطول، وليس هذا موضع بسطه، وفيما ذكر مايكفي ويشفي.

* * *

الباب الأوّل

في تعريف العلم وتقسيمه وتعليمه وفيه فصول

الفصل الأول

في ماهية العلم

اعلم أنه اختلف في أن تصور ماهية العلم المطلق ، هل هو ضروري يتصور ماهيته بالكنه فلا يحد ، أو نظري يعسر تعريفه ، أو نظري غير عسير التعريف ؟ .

والأول : مذهب جماعة منهم الإمام الرازي (١) ، واستدلوا بما ليس فيه شيء من الدلالة . ويكفي في دفع ما قالوه ما هو معلوم بالوجدان لكل عاقل أن العلم ينقسم إلى ضروري ومكتسب .

والثاني : رأي قوم منهم إمام الحرمين(٢) والغزالي وقالوا : لا

---

(١) هو الفخر الرازي ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري ، الإمام المفسر أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل ، وهو قرشي النسبة أصله من طبرستان ومولده في الري واليها نسبته ، له مصنفات كثيرة مشهورة : ٥٤٤- ٦٠٦ ه = ١١٥٠ - ١٢١٠ م .

(٢) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، الملقب بإمام الحرمين ، أعلم المتأخرين ، من أصحاب الشافعي ، بنى له الوزير نظام الملك مدرسة في نيسابور ، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء ، له مصنفات كثيرة : ٤١٩ - ٤٧٨ ه = ١٠٢٨- ١٠٨٥ م

طريق إلى معرفته إلا القسمة والمثال ، وهو متعقب كما بينه شيخنا الشوكاني في (إرشاد الفحول) .

والثالث : هو الراجح ، وبه قال الجمهور .

ثم ذكروا له تعريفات :

الأول : لبعض المتكلمين من المعتزلة أنه اعتقاد الشيء على ما هو به ، وهو مدخول لدخول التقليد المطابق للواقع . فزيد فيه قيد عن ضرورة أو دليل ، لكن لا يمنع الاعتقاد الراجح المطابق وهو الظن الحاصل عن ضرورة أو دليل . وبعبارة أخرى هو الذي يوجب لمن قام به اسم العالم ويخرج عنه العلم بالمستحيل فإنه ليس بشيء اتفاقاً .

الثاني : معرفة المعلوم على ما هو به وهو مدخول أيضاً لخروج علم الله تعالى ، إذ لا يسمى معرفة أي إجماعاً لا لغة ولا اصطلاحاً ، ولذكر المعلوم وهو مشتق من العلم فيكون دوراً ، ولأن معنى على ما هو به هو معنى المعرفة فيكون زائداً وهذا الثاني مختار القاضي أبي بكر الباقلاني(١) .

الثالث : هو الذي يوجب كون من قام به عالماً ، وهو مدخول أيضاً لذكر العالم في تعريف العلم وهو دور .

الرابع : هو إدراك المعلوم على ما هو به ، وهو قول الشيخ أبي

---

(١) هو القاضي محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، من كبار علماء الكلام ، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة.ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي بها ، له كتب كثيرة : ٣٣٨ – ٤٠٣ هـ = ٩٥٠ – ١٠١٣ م .

الحسن الأشعري ، وهو مدخول أيضاً لما فيه من الدور الحشو كما مر . ولأن الإدراك مجاز عن العلم .

الخامس : هو ما يصح لمن قام به اتقان الفعل ، وهو قول ابن فُورَك(١) . وفيه أنه يدخل القدرة ويخرج علمنا إذ لا مدخل في صحة الإتقان فإن أفعالنا ليست بإيجادنا، وإن في المعلومات مالا يقدر العالم على إتقانه كالمستحيل .

السادس : تبيين المعلوم على ما هو به وفيه الزيادة المذكورة والدور . مع أن التبيين مشعر بالظهور بعد الخفاء فيخرج عنه علم الله سبحانه وتعالى .

السابع : إثبات المعلوم على ما هو به وفيه الزيادة والدور ، وأيضاً الإثبات قد يطلق على العلم تجوزاً فيلزم تعريف الشيء بنفسه .

الثامن : الثقة بأن المعلوم على ما هو به وفيه الزيادة والدور ، مع أنه لزم كون الباري واثقاً بما هو عالم به ، وذلك مما يمتنع إطلاقه عليه شرعاً .

التاسع : هو اعتقاد جازم مطابق لموجب إما لضرورة أو دليل ، وفيه أنه يخرج عنه التصور لعدم اندراجه في الاعتقاد مع أنه علم . ويخرج علم الله سبحانه وتعالى لأن الاعتقاد لا يطلق عليه ولأنه ليس بضرورة أو دليل . وهذا التعريف للفخر الرازي عرّفه به بعد تنزله عن كونه ضرورياً .

---

(١) هو محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني ، أبو بكر ، عالم بالأصول والكلام ، من فقهاء الشافعية ، حدث بنيسابور وبنى فيها مدرسة وتوفي على مقربة منها ، له كتب كثيرة توفي سنة ٤٠٦ هـ = ١٠١٥ م .

العاشر : حصول صورة الشيء في العقل أو الصورة الحاصلة عند العقل ، وفيه أنه يتناول الظن والجهل المركب والتقليد والشك والوهم. قال ابن صدر الدين : هو أصح الحدود عند المحققين من الحكماء وبعض المتكلمين .

قلت : وفيه أن إطلاق اسم العلم عليها يخالفُ مفهوم العلم لغة واصطلاحاً وعرفاً وشرعاً ، إذ لا يطلق على الجاهل جهلاً مركباً ، ولا على الظان والشاك والواهم أنه عالم في شيء من تلك الاستعمالات . وأما التقليد فقد يطلق عليه العلم مجازاً ، ولا مشاحة في الاصطلاح والمبحوث عنه في المنطق هو العلم بهذا المعنى ،لان المنطق لما كان جمع قوانين الاكتساب فلا بد لهم من تعميم العلم . قاله في (كشاف اصطلاحات الفنون) .

الحادي عشر : تمثل ماهية المدرك في نفس المدرك وفيه ما في العاشر . وهذان التعريفان للحكماء مبنيان على الوجود الذهني ،والعلم عندهم عبارة عنه . فالأول : يتناول إدراك الكليات والجزئيات . والثاني : ظاهره يفيد الاختصاص بالكليات .

الثاني عشر : هو صفة توجب لمحلها تمييزاً بين المعاني لا يحتمل النقيض وهو الحد المختار عند المتكلمين قال في (كشاف اصطلاحات الفنون) : « أي لبراءته عما ذكر من الخلل في غيره وتناوله للتصور مع التصديق اليقيني » انتهى .

قلت :إلا أنه يخرج عنه العلوم العادية كعلمنا مثلاً بأن الجبل الذي رأيناه فيما مضى لم ينقلب إلى الآن ذهبا ، فإنها تحتمل النقيض لجواز خرق العادة.وأجيب عنه في محله ، وقد يزاد فيه بين المعاني الكلية وهذا

مع الغنى عنه يخرج العلم بالجزئيات.وهذا المختار عند من يقول : إن العلم صفة ذات تعلق بالمعلوم .

الثالث عشر : هو تمييز معنى عند النفس تمييزاً لا يحتمل النقيض بوجه ، وهو الحد المختار عند من يقول من المتكلمين : إن العلم نفس التعلق المخصوص بين العالم والمعلوم . وفيه أن العلوم المستندة إلى العادة تحتمل النقيض لإمكان خرق العادة بالقدرة الإلهية .

الرابع عشر : هو صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت هي به.قال العلامة الشريف(١) : « وهو أحسن ما قيل في الكشف عن ماهية العلم، لأن المذكور يتناول الموجود والمعدوم والممكن والمستحيل بلا خلاف ، ويتناول المفرد والمركب والكلي والجزئي ، والتجلي هو الانكشاف التام . فالمعنى أنه صفة ينكشف بها لمن قامت به ما من شأنه أن يذكر انكشافاً تاماً لا اشتباه فيه ، فيخرج عن الحد الظن والجهل المركب واعتقاد المقلد المصيب أيضاً ، لأنه في الحقيقة عقدة على القلب فليس فيه انكشاف تام وانشراح ينحل به العقدة » انتهى .

وفيه أنه يخرج عنه ادراك الحواس فإنه لا مدخلية للمذكور به فيه إن أريد الذكر اللساني كما هو الظاهر . وإن أريد به ما يتناول الذِّكر بكسر الذال والذُّكر بضمها ، فإما أن يكون من الجمع بين معنى المشترك ، أو من الجمع بين الحقيقة والمجاز وكلاهما مهجور في التعريفات .

الخامس عشر : حصول معنى في النفس حصولاً لا يتطرق

---

(١) الجرجاني ، سبق التعريف به في ص ١١ .

إليه في النفس احتمال كونه على غير الوجه الذي حصل فيه وهو للآمدي(١) قال : « ونعني بحصول المعنى في النفس تمييزه في النفس عما سواه ، ويدخل فيه العلم بالإثبات والنفي والمفرد والمركب ، ويخرج عنه الاعتقادات . إذ لا يبعد في النفس احتمال كون المعتقد والمظنون على غير الوجه الذي حصل فيه » انتهى .

السادس عشر: هو حكم لا يحتمل طرفاه –أي المحكوم عليه وبه– نقيضه ، وفيه أنه يخرج عنه التصور وهو علم .

السابع عشر : صفة يتجلى بها المدرَك بالفتح للمدرك بالكسر ، وهو كالعاشر وفيه أن الإدراك مجاز عن العلم فيلزم تعريف الشيء بنفسه مع كون المجاز مهجوراً في التعريفات، ودعوى اشتهاره في المعنى الأعم الذي هو جنس الأخص غير مسلمة .

هذا جملة ما قيل في تعريف العلم ، وقد عرفت ما ورد على كل واحد منها .

قال شيخنا القاضي العلامة الرباني محمد بن علي الشوكاني –رحمه الله– في (إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول) : «والأولى عندي أن يقال في تحديده: هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً وهذا لا يرد عليه شيء مما تقدم فتدبر » انتهى .

وقد أطال في (كشاف اصطلاحات الفنون) في بيان الأقوال السبعة الأوَل في حد العلم إطالة حسنة ليس إيرادها في هذا المختصر من غرضنا ، فإن شئت الزيادة على هذا فارجع إليه وإلى مآخذه .

* * *

---

(١) هو علي بن محمد بن سالم التغلبي ، أبو الحسن ، سيف الدين ، أصولي ، باحث ، له كتب في الأصول وفي علم الكلام ، توفي بدمشق سنة ٦٣١ هـ = ١٢٣٣ م .

الفصل الثاني

فيما يتصل بماهية العلم

من الاختلاف والأقوال

اعلم أنه اختلف في أن العلم بالشيء هل يستلزم وجوده في الذهن —كما هو مذهب الفلاسفة وبعض المتكلمين— أو هو تعلق بين العالم والمعلوم في الذهن كما ذهب إليه جمهور المتكلمين؟

ثم إنه على الأول لا نزاع في أنا إذا علمنا شيئاً فقد تحقق أمور ثلاثة : صورة حاصلة في الذهن ، وارتسام تلك الصورة فيه ، وانفعال النفس عنها بالقبول . فاختلف في أن العلم أيُّ هذه الثلاثة ، فذهب إلى كل منها طائفة . ولذلك اختلف في أن العلم هل هو من مقولة الكيف ، أو الانفعال أو الإضافة . والأصح أنه من مقولة الكيف على ما بين في محله .

ثم اعلم أن القائلين بالوجود الذهني ، منهم من قال : إن الحاصل في الذهن إنما هو شبح للمعلوم وظل له مخالف بالماهية غايته أنه مبدأ لانكشافه.لكن دليل البحث لو تم لدل على أن للمعلوم نحواً آخر من الوجود لا كشبحه المخالف له بالحقيقة .

ومنهم من قال : الحاصل في الذهن هو نفس ماهية المعلوم ، لكنها

موجودة بوجود ظلي غير أصلي ، وهي باعتبار هذا الوجود تسمى صورة ولا يترتب عليها الآثار ؛ كما أنها باعتبار الوجود الأصلي تسمى عيناً ويترتب عليها الآثار. فهذه الصورة إذا وجدت في الخارج كانت عين العين ، كما أن العين إذا وجدت في الذهن كانت عين الصورة أي شبح قائم بنفس العالم به ينكشف المعلوم وهي العلم ، وذو صورة أي ماهية موجودة في الذهن غير قائم به وهي المعلوم ، وهما متغايران بالذات. فعلى رأي القائلين بالشبح يكون العلم من مقولة الكيف بلا أشكال مع كون المعلوم من مقولة الجوهر أو مقولة أخرى لأختلافهما بالماهية . وأما على رأي القائلين بحصول الماهيات بأنفسها في الذهن ففي كونه منها أشكال مع أشكال اتحاد الجوهر والعرض بالماهية وهما متنافيان . وأجاب عنه بعض المحققين بأن العلم من كل مقولة من المقولات وإن عدّهم العلم مطلقاً من مقولة الكيف على سبيل التشبيه به ، ويرد عليه أنه يصدق على هذا—على العلم تعريف الكيف فيكون كيفاً . وبعض المدققين جوز تبدل الماهية بأن يكون الشيء في الخارج جوهراً ، فاذا وجد في الذهن انقلب كيفاً كالمَلِحَة التي ينقلب الواقع فيها ملحاً ، وهو مبحث مشهور .

وفي أبي الفتح (حاشية الحاشية الجلالية) : « أمّا القائلون بالوجود الذهني من الحكماء وغيرهم فاختلفوا اختلافاً ناشئاً من أن العلم ليس حاصلاً قبل حصول الصورة في الذهن بداهة واتفاقاً ، وحاصل عنده بداهة واتفاقاً . والحاصل معه ثلاثة أمور : الصورة الحاصلة ، وقبول الذهن من المبدإ الفياض ، وإضافة مخصوصة بين العالم والمعلوم

فذهب بعضهم إلى أن العلم هوالصورةالحاصلة فيكون من مقولةالكيف. وبعضهم إلى أنه الثاني فيكون من مقولة الانفعال . وبعضهم إلى أنه الثالث فيكون من مقولة الإضافة . والأصح المذهب الأول ، لأن الصورة توصف بالمطابقة كالعلم والإضافة والانفعال ويوصفان بها . لكن القول بأن الصورة العقلية من مقولة الكيف إنما يصح إذا كانت مغايرة لذي الصورة بالذات قائمة بالعقل كما هو مذهب القائلين بالشبح والمثال الحاكمين بأن الحاصل في العقل أشباح الأشياء لا أنفسها . وأما إذا كانت متحدة معه بالذات مغايرة له بالاعتبار على ما يدل عليه أدلة الوجود الذهني وهو المختار عند المحققين القائلين بأن الحاصل في الذهن أنفسُ الأشياء لا أشباحها ، فلا يصح ذلك . فالحق أن العلم من الأمور الاعتبارية والموجودات الذهنية ، وإن كان متحداً بالذات مع الموجود الخارجي إذا كان المعلوم من الموجودات الخارجية سواء كان جوهراً أو عرضاً كيفاً أو انفعالاً أو إضافة أو غيرها » انتهى .

قال الرازي : « قد اضطرب كلام ابن سينا في حقيقة العلم ، فحيث بين أن كون الباري عقلاً وعاقلاً ومعقولاً يقتضي كثرة في ذاته ، فسّر العلم بتجرد العالم والمعلوم من المادة . ورُدّ بأنه يلزم منه أن يكون كل شخص انساني عالماً بجميع المجردات ، فإن النفس الإنسانية مجردة عندهم . وحيث قرر اندراج العلم في مقولة الكيف بالذات وفي مقولة الإضافة بالعرض جعله عبارة عن صفة ذات إضافة . وحيث ذكر أن تعقل الشيء لذاته ولغير ذاته ليس إلا حضور صورته عنده جعله عبارة عن الصورة المرتسمة في الجوهر العاقل المطابقة لماهية

المعقول . وحيث زعم أن العقل البسيط الذي لواجب الوجود ليس عقليته لأجل صور كثيرة بل لأجل فيضانها عنه حتى يكون العقل البسيط كالمبدإ الخلاق للصور المفصلة في النفس جعله عبارة عن مجرد إضافة » انتهى .

* * *

الفصل الثالث

في تقسيم العلم

قالوا : للعلم تقسيمات .

الأول : إلى الحصولي والحضوري .

فالحصولي : هو بحصول صورة الشيء عند المدرك ويسمى بالعلم الانطباعي أيضاً ، لأن حصول هذا العلم بالشيء إنما يتحقق بعد انتقاش صورة ذلك الشيء في الذهن لا بمجرد حضور ذلك الشيء عند العالم .

والحضوري : هو بحضور الأشياء أنفسها عند العالم كعلمنا بذواتنا والأمور القائمة بها ، ومن هذا القبيل علمه تعالى بذاته وبسائر المعلومات .

ومنهم من أنكر العلم الحضوري وقال : إن العلم بأنفسنا وصفاتنا النفسانية أيضاً حصولي ، وكذلك علم الواجب تعالى ، وقيل : علمه تعالى بحصول الصورة في المجردات . فإن جعل التعريف للمعنى الأعم الشامل للحضوري والحصولي بأنواعه الأربعة من الإحساس وغيره وبما يكون نفس المدرك وغيره فالمراد بالعقل الذات المجردة ومطلق المدرك ، وبالصورة ما يعم الخارجية والذهنية أي ما يتميز به الشيء مطلقاً ،

وبالحصول الثبوت ، والحضور سواء كان بنفسه أو بمثاله وبالمغايرة المستفادة من الظرفية أعم من الذاتية والاعتبارية وبقي معنى عِندكما اختاره المحقق الدّوّاني (١) ولا يخفى مافيه من التكلفات البعيدة عن الفهم ، وان جعل التعريف للحصولي كان التعريف على ظاهره .

والمراد بالعقل قوة للنفس تدرك الغائبات بنفسها ، والمحسوسات بالوسائط .وبصورة الشيء مايكون آلة لامتيازه سواء كان نفس ماهية الشيء أو شبحاً له والظرفية على الحقيقة .

اعلم أن القائلين بأن العلم هو الصورة فرقتان :

فرقة تدّعي وتزعم أن الصور العقلية مثل وأشباح للأمور المعلومة بها مخالفة لها بالماهية . وعلى قول هؤلاء لايكون للأشياء وجود ذهني بحسب الحقيقة بل بحسب المجاز . كأن يقال مثلاً : النار موجودة في الذهن،ويراد به يوجد فيه شبح له نسبة مخصوصة إلى ماهية النار بسببها كان ذلك الشبح علماً بالنار لابغيرها من الماهيات ويكون العلم من مقولة الكيف ويصير العلم والمعلوم متغايرين ذاتاً واعتباراً .

وفرقة تدعي أن تلك الصورة مساوية في الماهية للأمور المعلومة بها بل الصور هي ماهيات المعلومات من حيث إنها حاصلة في النفس ، فيكون العلم والمعلوم متحدين بالذات مختلفين بالاعتبار . وعلى قول هؤلاء يكون للأشياء وجودان خارجي وذهني بحسب الحقيقة ، والتعريف

---

(١) هو محمد بن أسعد الصديقي الدواني ، جلال الدين ، قاض ، باحث ، يعد من الفلاسفة ، سكن شيراز وولي قضاء فارس وتوفي بها سنة ٩١٨ هـ = ١٥١٢ م .

الثاني للعلم مبني على هذا المذهب.وعلى هذا قال الشيخ : الإدراك الحقيقة المتمثلة عند المدرك .

الثاني : إلى أن العلم الحادث إما تصور أو تصديق . والعلم القديم لايكون تصوراً ولا تصديقاً .

الثالث : إلى أن الأشياء المدركة أي المعلومة تنقسم إلى ما لايكون خارجاً عن ذات المدرك أي العالم ، وإلى مايكون . أما في الأول فالحقيقة الحاصلة عند المدرك هي نفس حقيقتها . وأما في الثاني فهي تكون غير الحقيقة الموجودة في الخارج ، بل هي إما صورة منتزعة من الخارج إن كان الإدراك مستفاداً من خارجٍ كما في العلم الانفعالي ، أو صورة حصلت عند المدرك ابتداءً سواء كانت الخارجية مستفادة منها كما في العلم الفعلي أو لم تكن .

وعلى التقديرين فإدراك الحقيقة الخارجية بحصول تلك الصورة الذهنية عند المدرك والاحتياج إلى الانتزاع إنما هو في المدرك المادي لاغير ،كذا في (شرح الإشارات)؛وفي (شرح الطوالع):الشيء المدرك إما نفس المدرك أو غيره . وغيره إما خارج عنه أو غير خارج عنه ، والخارج عنه إما مادي أو غير مادي. فهذه أربعة أقسام ، الأول : ماهو نفس المدرك . والثاني : ماهو غيره لكنه غير خارج عنه . والثالث : ماهو خارج عنه لكنه مادي : والرابع : ماهو خارج عنه لكنه غير مادي. والأولان منها إدراكهما بحصول نفس الحقيقة عند المدرك فيكون إدراكهما حضورياً ، والأول بدون الحلول ، والثاني بالحلول ، والآخران لايكون إدراكهما بحصول نفس الحقيقة الخارجية بل بحصول مثال الحقيقة سواء كان الإدراك مستفاداً من الخارجية أو الخارجية

مستفادة من الإدراك . والثالث إدراكه بحصول صورة منتزعة عن المادة مجردة عنها . والرابع لم يفتقر إلى الانتزاع .

الرابع : إلى واجب أي ممتنع الانفكاك عن العالم كعلمه بذاته ، وممكن كسائر العلوم .

الخامس : إلى فعلي ويسمى كلياً قبل الكثرة ، وهو مايكون سبباً لوجود المعلوم في الخارج كما نتصور السرير مثلاً ثم نوجده . وانفعالي ويسمى كلياً بعد الكثرة ،وهو مايكون مسبباً عن وجود العالم بأن يكون مستفاداً من الوجود الخارجي ، كما نجد أمراً في الخارج كالسماء والأرض ثم نتصوره . فالفعلي ثابت قبل الكثرة ، والانفعالي بعدها . فالعلم الفعلي كلي يتفرع عليه الكثرة وهي الأفراد الخارجية . والعلم الانفعالي كلي يتفرع على الكثرة . وقد يقال : إن لنا كلياً مع الكثرة لكنه من قبيل العلم ومبني على وجود الطبائع الكلية في ضمن الجزئيات الخارجية .

قال الحكماء : علم الله سبحانه بمصنوعاته فعلي لأنه السبب لوجود الممكنات في الخارج ، لكن كون علمه تعالى سبباً لوجودها لا يتوقف على الآلات ، بخلاف علمنا بأفعالنا ، ولذلك يتخلف صدور معلومنا عن علمنا . وقالوا : إن علمه تعالى بأحوال الممكنات على أبلغ النظام وأحسن الوجوه بالقياس إلى الكل من حيث هو كل هو الذي استند عليه وجودها على هذا الوجه دون سائر الوجوه الممكنة ، وهذا العلم يسمى عندهم بالعناية الأزلية .

وأما علمه تعالى بذاته فليس فعلياً ولا انفعالياً أيضاً ، بل هو عين ذاته بالذات وإن كان مغايراً له بالاعتبار .

السادس : إلى مايعلم بالفعل وهو ظاهر وما يعلم بالقوة ، كما إذا في يد زيد اثنان فسئلنا أزوج هو أم فرد؟ قلنا : نعلم إن كل اثنين زوج ، وهذا اثنان فنعلم أنه زوج ، علماً بالقوة القريبة من الفعل وإن لم نكن نعلم أنه بعينه زوج . وكذلك جميع الجزئيات المندرجة تحت الكليات فإنها معلومة بالقوة قبل أن يتنبه للاندراج . فالنتيجة حاصلة في كبرى القياس ، هكذا قال بعض المتكلمين .

السابع : إلى تفصيلي وإجمالي . والتفصيلي كمن ينظر إلى أجزاء المعلوم ومراتبه بحسب أجزائه بأن يلاحظها واحداً بعد واحد ، والاجمالي كمن يعلم مسألة فيسأل عنها فإنه يحضر الجواب الذي هو تلك المسألة بأسرها في ذهنه دفعة واحدة ، وهو — أي ذلك الشخص المسئول — متصور للجواب لأنه عالم بأنه قادر عليه ، ثم يأخذ في تقرير الجواب فيلاحظ تفصيله ، ففي ذهنه أمر بسيط هو مبدأ التفاصيل والتفرقة بين الحالة الحاصلة دفعة عقيب السؤال وبين حالة الجهل الثابتة قبل السؤال . وملاحظة التفصيل ضرورية وجدانية إذ في حالة الجهل المسماة عقلاً بالفعل ليس إدراك الجواب حاصلاً بالفعل بل النفس في تلك الحالة تقوى على استحضاره بلا تجشم كسب جديد فهناك قوة محضة . وفي الحالة الحاصلة عقيب السؤال قد حصل بالفعل شعور وعلم مّا بالجواب لم يكن حاصلاً قبله . وفي الحالة التفصيلية صارت الأجزاء ملحوظة قصداً . ولم يكن حاصلاً في شيء من الحالتين السابقتين ، وشبه ذلك بمن يرى نعماً كثيرة تارة دفعة فإنه يرى في هذه الحالة جميع أجزائه ضرورة ، وتارة بأن يحدّق البصر نحو واحد فيفصل أجزاءه . فالرؤية الأولى إجمالية والثانية تفصيلية . وأنكر الإمام الرازي العلم الإجمالي ، والعلم

الإجمالي على تقدير جواز ثبوته في نفسه هل يثبت لله تعالى أو لا؟ جوزه القاضي (١) والمعتزلة ومنعه كثير من أصحابنا وأبو الهاشم (٢) . والحق أنه إن اشترط في الإجمالي الجهل بالتفصيل امتنع عليه تعالى وإلا فلا.

الثامن : إلى التعقل ، والتوهم ، والتخيل ، والإحساس.

التاسع : إلى الضروري ، والنظري ، وعلم الله تعالى عند المتكلمين لايوصف بضرورة ولا كسب ، فهو واسطة بينهما . وأما عند المنطقيين فداخل في الضروري .

والفرق بين العلم بالوجه وبين العام بالشيء من وجه أن معنى الأول حصول الوجه عند العقل . ومعنى الثاني أن الشيء حاصل عند العقل لكن لاحصولاً تاماً ، فإن التصور قابل للقوة والضعف كما إذا تراءى لك شبح من بعيد فتصورته تصوراً ما ثم يزداد انكشافاً عندك بحسب تقاربك إليه إلى أن يحصل في عقلك كمال حقيقته . ولو كان العلم بالوجه هو العلم بالشيء من ذلك الوجه على ماظنه من لاتحقيق له لزم أن يكون جميع الأشياء معلومة لنا مع عدم توجه عقولنا إليها ، وذلك ظاهر الاستحالة. كذا في (شرح المطالع) في بحث الموضوع . وقال عبد الحكيم (٣) في (حاشية شرح المواقف) في المقصد الرابع من مقاصد العلم في الموقف الأول : « إنهم اختلفوا في علم الشيء بوجه وعلم وجه الشيء ، فقال من لاتحقيق له : إنه لاتغاير بينهما أصلاً . وقال المتقدمون بالتغاير بالذات ، إذ في الأول الحاصل في الذهن نفس الوجه وهو آلة

---

(١) هو القاضي عبد الجبار .

(٢) الجبائي ، سبق التعريف به ص ١٥ .

(٣) هو السيالكوتي ، عبد الحكيم بن شمس الدين الهندي السيالكوتي البنجابي الهندي ، له تآليف في العقائد والمنطق والبلاغة توفي سنة ١٠٦٦ هـ = ١٦٥٦ م .

لملاحظة الشيء والشيء معلوم بالذات . وفي الثاني الحاصل في الذهن صورة الوجه وهو المعلوم بالذات من غير التفات إلى الشيء ذي الوجه . وقال المتقدمون بالتغاير بالاعتبار : إذ لا شك في أنه لا يمكن أن يشاهد بالضاحك أمر سواه.إلا أنهإذا اعتبر صدقه على أمر واتحاده معه كما في موضوع القضية المحصورة كان علم الشيء بالوجه . وإذا اعتبر مع قطع النظر عن ذلك كان علم الوجه كما في موضوع القضية الطبيعية » انتهى .

وأثبت أبو هاشم علماً لامعلوم له كالعلم بالمستحيل فإنه ليس بشيء والمعلوم شيء . وهذا أمر اصطلاحي محض لافائدة فيه . والله أعلم .

* * *

الفصل الرابع

في العلم المدوّن وموضوعه ومَبادیه ومسائله وغايته

اعلم أن لفظ العلم كما يطلق على مايرادفه ، وهو أسماء العلوم المدونة كالنحو والفقه ، فيطلق كأسماء العلوم تارة على المسائل المخصوصة ، كما يقال : فلان يعلم النحو . وتارة على التصديقات بتلك المسائل عن دليلها . وتارة على الملكة الحاصلة من تكرر تلك التصديقات أي ملكة استحضارها . وقد يطلق الملكة على التهيؤ التام ، وهو أن يكون عنده مايكفيه لاستعلام مايراد . والتحقيق أن المعنى الحقيقي للفظ العلم هو الإدراك ، ولهذا المعنى متعلق هو المعلوم .وله تابع في الحصول يكون وسيلة إليه في البقاء وهو الملكة . فإطلاق لفظ العلم على كل منها إما حقيقة عرفية أو اصطلاحية أو مجاز مشهور . وقد يطلق على مجموع المسائل والمبادئ التصورية والمبادئ التصديقية والموضوعات ، ومن ذلك يقولون : أجزاء العلوم ثلاثة . وقد تطلق أسماء العلوم على مفهوم كلي اجمالي يفصل في تعريفه ، فإن فصل نفسه كان حداً اسمياً ، وإن بين لازمه كان رسماً اسمياً . وأما حده الحقيقي فإنما هو بتصور مسائله أو بتصور التصديقات المتعلقة بها ، فإن حقيقة كل علم مسائل ذلك العلم أو التصديقات بها . وأما المبادئ وآنية الموضوعات

فإنما عدت جزءاً منها لشدة احتياجها إليها . وفي تحقيق ماذكرنا بيانات ثلاثة :

البيان الأول : في بحث الموضوع

اعلم أن السعادة الإنسانية لما كانت منوطة بمعرفة حقائق الأشياء وأحوالها بقدر الطاقة البشرية ، وكانت الحقائق وأحوالها متكثّرة متنوعة تصدى الأوائل لضبطها وتسهيل تعليمها ، فأفردوا الأحوال الذاتية المتعلقة بشيء واحد أو بأشياء متناسبة ودّونوها على حدة وعدوها علماً واحداً وسموا ذلك الشيء أو الأشياء موضوعاً لذلك العلم ، لأن موضوعات مسائله راجعة إليه .فموضوع العلم ماتنحلّ إليه موضوعات مسائله وهو المراد بقولهم في تعريفه بما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية . فصار كل طائفة من الأحوال بسبب تشاركها في الموضوع علماً منفرداً ممتازاً بنفسه عن طائفة متشاركة في موضوع آخر . فتمايزت العلوم في أنفسها بموضوعاتها ، وهو تمايز اعتبروه مع جواز الامتياز بشيء آخر كالغاية والمحمول . وسلكت الأواخر أيضاً هذه الطريقة الثانية في علومهم ، وذلك أمر استحسنوه في التعليم والتعلم . وإلا فلا مانع عقلاً من أن يعد كل مسألة علماً برأسه ويفرد بالتعليم والتدوين ، ولا من أن يعد مسائل متكثّرة غير متشاركة في الموضوع علماً واحداً يفرد بالتدوين وإن تشاركت من وجه آخر ككونها متشاركة في أنها أحكام بأمور على أخرى . فعلم أن حقيقة كل علم مدون المسائل المتشاركة في موضعها واحد ،وأن لكل علم موضوعاً وغاية . وكل علم له جهة وَحْدة تضبط تلك المسائل المتكثّرة وتعد باعتبارها علماً واحداً .إلا أن الأولى جهة وحدة ذاتية ، والثانية جهة وحدة عرضية . ولذلك تعرف العلوم تارة

باعتبار الموضوع ، فيقال في تعريف المنطق مثلاً : علم يبحث فيه عن أحوال المعلومات ، وتارة باعتبار الغاية فيقال في تعريفه : آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر . ثم إن الأحوال المتعلقة بشيء مواحد أو أشياء مناسبة تناسباً معتداً به إما في أمر ذاتي كالخط والسطح والجسم التعليمي ، المتشاركة في مطلق المقدار الذي هو ذاتي لها كعلم الهندسة ، أو في أمر عرضي كالكتاب والسنة والإجماع والقياس المتشاركة في كونها موصلة إلى الأحكام الشرعية كعلم أصول الفقه ، فتكون تلك الأحوال من الأعراض الذاتية التي تلحق الماهية من حيث هي لا بواسطة أمر أجنبي . وأما التي جميع مباحث العلم راجعة إليها فهي إما راجعة إلى نفس الأمر الذي هو الواسطة ، كما يقال في الحساب : العدد إما زوج أو فرد ، أو إلى جزئي تحته كقولنا : الثلاثة فرد ، وكقولنا في الطبيعي : الصورة تفسد وتخلف به لا عنه ، أو إلى عرض ذاتي له كقولنا : المفرد إما أول أو مركب . وأما العرض الغريب ، وهو مايلحق الماهية بواسطة أمر عجيب ، إما خارج عنها أعم منها أو أخص فالعلوم لا تبحث عنه ، فلا ينظر المهندس في أن الخط المستدير أحسن أو المستقيم ، ولا في أن الدائرة نظير الخط المستقيم أو ضده ، لأن الحسن والتضاد غريب عن موضوع علمه وهو المقدار ، فإنهما يلحقان المقدار لا لأنه مقدار بل لوصف أعم منه كوجوده أو كعدم وجوده . وكذا الطبيب لا ينظر في أن الجرح مستدير أم غير مستدير لأن الاستدارة لا تلحق الجسم من حيث هو جريح ، بل لأمر أعم منه كما مر . وإذا قال الطبيب : هذه الجراحة مستديرة والدوائر أوسع الأشكال فيكون بطيء البرء ، لم يكن ماذكره من علمه .

ثم اعلم أن موضوع علم يجوز أن يكون موضوع علم آخر ، وأن يكون أخص منه أو أعم ، وأن يكون مبايناً عنه ، لكن يندرجان

تحت أمر ثالث ، وأن يكون مبايناً له غير مندرجين تحت ثالث ، لكن يشتركان بوجه دون وجه ، ويجوز أن يكونا متباينين مطلقاً **فهذه** ستة أقسام :

الأول : أن يكون موضوع علم عين موضوع علم آخر ، فيشترط أن يكون كل منهما مقيداً بقيد غير قيد الآخر ، وذلك كأجرام العالم فإنها من حيث الشكل موضوع الهيئة ، ومن حيث الطبيعة موضوع لعلم السماء والعالم من الطبيعي فافترقا بالحيثيتين . ثم إن اتفق أبحاث بعض المسائل فيها بالموضوع والمحمول فلا بأس إذ يختلف بالبراهين كقولهم بأن الأرض مستديرة وهي وسط السماء في الصور والمعاني ، لكن البرهان عليهما من حيث الهيئة غير البرهان من جهة الطبيعي .

الثاني والثالث : أن يكون موضوع علم أخص من علم آخر أو أعم منه. فالعموم والخصوص بينهما إما على وجه التحقيق بأن يكون العموم والخصوص بأمر ذاتي له مثل كون العام جنساً للخاص ، أو بأمر عرضي. فالأول كالمقدار والجسم التعليمي ، فإن الجسم التعليمي أخص والمقدار جنس له وهو موضوع الهندسة ، والجسم التعليمي موضوع المجسمات. وكموضوع الطب وهو بدن الإنسان فإنه نوع من موضوع العلم الطبيعي وهو الجسم المطلق ، والثاني كالموجود والمقدار فإن الموجود موضوع العلم الإلهي والمقدار موضوع الهندسة وهو أخص من الموجود لا لأنه جنسه بل لكونه عرضاً عاماً له .

الرابع : أن يكون الموضوعان متباينين ، لكن يندرجان تحت أمر ثالث كموضوع الهندسة والحساب فإنهما داخلان تحت الكم فيسميان متساويين .

الخامس: أن يكونا مشتركين بوجه دون وجه مثل موضوعي الطب والأخلاق ، فإن لموضوعيهما اشتراكاً في القوى الإنسانية .

السادس : أن يكون بينهما تباين كموضوع الحساب والطب ، فليس بين العدد وبدن الإنسان اشتراك ولا مساواة .

تنبيه : اعلم أن الموضوع في علم لايطلب بالبرهان ،لأن المطلوب في كل علم هي الأعراض الذاتية الموضوعة ، والشيء لايكون عرضياً ذاتياً لنفسه بل يكون إما بيناً بنفسه أو مبرهناً عليه في علم آخر فوقه ، بحيث يكون موضوع هذا العلم عرضاً ذاتياً لموضوعه إلى أن ينتهي إلى العلم الأعلى الذي موضوعه الموجود ، لكن يجب تصور الموضوع في ذلك العلم والتصديق بهيئته بوجه ما . فكون علم فوق علم أو تحته مرجعه إلى ماذكرنا فافهم .

* * *

البيان الثاني : في المبادىء

وهي المعلومات المستعملة في العلوم لبناء مطالبها المكتسبة عليها . وهي إما تصورية بحدود موضوعه وحدود أجزائه وجزئياته ومحمولاته ، إذ لابد من تصورهذه الأمور بالحد المشهور.وإما تصديقية وهي القضايا المتألفة عنها قياساتها وهي على قسمين :

الأول : أن تكون بينة بنفسها ، وتسمى المتعارفة. وهي إما مبادىء لكل علم كقولنا: النفي والاثبات لايجتمعان ولايرتفعان أو لبعض العلوم كقول إقليدس : إذا أخذ من المتساويين قدران متساويان بقي الباقيان متساويين .

الثاني : أن تكون غير بينة بنفسها ، لكن يجب تسليمها . ومن

شأنها أن تبين في علم آخر ، وهي مسائل بالنسبة إلى ذلك العلم الآخر. والتسليم إن كان على سبيل حسن الظن بالعلم تسمى أصولاً موضوعة كقول الفقيه: هذا حرام بالاجماع . فكون الإجماع حجة من الأمور المسلمة في الفقه لأنها من مسائل الأصول . وإن كان على استنكار تسمى مصادرات كقوله : هذا الحكم ثبت بالاستحسان. فتسليم كونه حجة عند القوم من المصادرات . ويجوز أن تكون المقدمة الواحدة عند شخص من المصادرات وعند آخر من الأصول الموضوعة . وقد تسمى الحدود والمقدمات المسلمة أوضاعاً ، وكل واحد منهما يكون مسائل في علم آخر فوقه إلى الأعلى ، لكن يجوز أن يكون بعض مسائل العلم السافل موضوعاً وأصولاً للعلم العالي بشرط أن لاتكون مبينة في العلم السافل بالأصول التي بنيت على تلك المسائل ، بل بمقدمات بينة بنفسها أو بغيرها من الأصول وإلا يلزم الدور . وأيضاً لايجوز أن يثبت شيء من المقدمات الغير البينة من الأصول الموضوعة والمصادرات بالدليل إن توقف عليها جميع مقاصد العلوم للدور، وإن توقف عليها بعض مقاصدها فيمكن بيانها في ذلك العلم . والأول : يسمى المبادئ العامة ككون النظر مفيداً للعين . والثاني : المبادئ الخاصة كإبطال الحسن والقبح العقليين .

* * *

البيان الثالث : في مسائل العلوم

وهي القضايا التي تطلب في كل علم نسبة محمولاتها بالدليل إلى موضوعاتها . وكل عام مدون المسائل المتشاركة في موضوع واحد كما مر ، فتكون المسائل موضوع العلم أعني هيئته البسيطة وهي إنيتها . وموضوع المسألة قد يكون بنفسه موضوعاً لذلك العلم ، كقول النحوي : كل كلام مركب من اسمين أو اسم وفعل. فإن الكلام هو موضوع

النحو أيضاً ، وقد يكون موضوع المسألة موضوع ذلك العلم مع عرض ذاتي له ، كقولنا في الهندسة : المقدار المباين لشيء مباين لكل مقدار يشاركه . فالموضوع في المسألة المقدار المباين ، والمباين عرض ذاتي له . وقد يكون موضوع المسألة نوع موضوع العلم ، كقولنا في الصرف: الاسم إما ثلاثي وإما زائد على الثلاثي . فإن موضوع العلم الكلمة،والاسم نوعها . وقد يكون موضوع المسألة نوع موضوع مع عرض ذاتي له ، كقولنا في الهندسة : كل خط مستقيم وقع على مستقيم فالزاويتان الحادثتان إما قائمتان أو معادلتان لهما . فالخط نوع للمقدار ، والمستقيم عرض ذاتي له . وقد يكون موضوع المسألة عرضاً ذاتياً لموضوع العلم ، كقولنا في الهندسة : كل مثلث زواياه مساوية لقائمتين . فالمثلث من الأعراض الذاتية للمقدار .

* * *

خاتمة الفصل في غاية العلوم

اعلم أنه إذا ترتب على فعل أثر فذلك الأثر من حيث إنه نتيجة لذلك الفعل وثمرته يسمى فائدة ، ومن حيث إنه على طرف الفعل ونهايته يسمى غاية . ففائدة الفعل وغايته متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار. ثم ذلك الأثر المسمى بهذين الأمرين إن كان سبباً لإقدام الفاعل على ذلك الفعل يسمى بالقياس إلى الفاعل غرضاً ومقصوداً ، ويسمى بالقياس إلى فعله علة غائية . والغرض والعلة الغائية متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار . وإن لم يكن سبباً للإقدام كان فائدة وغاية فقط ، فالغاية أعم من العلة الغائية ، كذا أفاده العلامة الشريف(١).فظهر أن غاية العلم مايُطلب ذلك العلم لأجله .

(١) الجرجاني سبقت ترجمته في ص ١١.

ثم إن غاية العلوم الغير الآلية حصولها أنفسها لأنها في حد ذاتها مقصودة بذواتها ، وإن أمكن أن يترتب عليها منافع أُخر ، والتغاير الاعتباري كافٍ فيه . فاللازم من كون الشيء غاية لنفسه أن يكون وجوده الذهني علة لوجوده الخارجي ولا محذور فيه .

وأما غاية العلوم الآلية فهو حصول غيرها لأنها متعلقة بكيفية العمل ، فالمقصود منها حصول العمل سواء كان ذلك العمل مقصوداً بالذات أو لأمر آخر يكون غاية أخيرة لتلك العلوم .

★ ★ ★

الفصل الخامس

في بيان تقسيم العلوم المدونة وما يتعلق بها

العلوم المدونة وهي التي دونت في الكتب كعلم الصرف والنحو والمنطق والحكمة ونحوها .

اعلم أن العلماء اختلفوا ، فقيل : لايشترط في كون الشخص عالماً بعلم أن يعلمه بالدليل . وقيل : يشترط ذلك حتى لوعلمه بلا أخذ دليل يسمى حاكياً لاعالماً ، وإليه يشير كلام المحقق عبد الحكيم(١) في (حاشية الفوائد الضيائية) حيث قال: «من قال: العلم عبارة عن العلم بالمسائل المبرهنة، جعل العلم بالمسائل المجردة حكاية لمسائل العلوم . ومن قال : إنه عبارة عن المسائل جعله علماً » انتهى .

وبالنظر إلى المذهب الأول ذكر المحقق المذكور في (حواشي الخيالي) من « أن العلم قد يطلق على التصديق بالمسائل ، وقد يطلق على نفس المسائل ، وقد يطلق على الملكة الحاصلة منها . وأيضاً مما يقال : كتبت علم فلان أو سمعته أو يحصر في ثمانية أبواب مثلاً ، هو المعنى الثاني ويمكن حمله على المعنى الأول أيضاً بلا بُعد ، لأن تدوين العلوم

(١) السيالكوتي مرت ترجمته ص ٤١ .

بعد تدوين العلم عرفاً . وأما تدوين الملكة فمما يأباه الذوق السليم » انتهى .

وما يقال : فلان يعلم النحو ،مثلاً لا يراد به أن جميع مسائله حاضرة في ذهنه ، بل يراد به أن له حالة بسيطة إجمالية هي مبدأ لتفاصيل مسائله بها يتمكن من استحضارها . فالمراد بالعلم المتعلق بالنحو ههنا هو الملكة وإن كان النحو عبارة عن المسائل ، هكذا يستفاد من (المطول) و (حواشيه) .

وبالنظر إلى المذهب الثاني قال صاحب (الأطول) (١) في تعريف علم المعاني : « أسماء العلوم المدونة نحو علم المعاني تطلق على إدراك القواعد عن دليل حتى لو أدركها أحد تقليداً لايقال له عالم بل حاك » ذكره السيد السند(٢) في (شرح المفتاح).وقد تطلق على معلوماتها التي هي القواعد ، لكن إذا علمت عن دليل وإن أطلقوا ، وعلى الملكة الحاصلة من إدراك القواعد مرة بعد أخرى أعني ملكة استحضارها متى أريد . لكن إذا كانت ملكة إدراك عن دليل وإن أطلقوا كما يقتضيه تخصيص الاسم بالإدراك عن دليل كما لايخفى . وكذلك لفظ العلم يطلق على المعاني الثلاثة ، لكن حقق السيد السند أنه في الإدراك حقيقة وفي الملكة التي هي تابعة للإدراك في الحصول ووسيلة إليه في البقاء وفي متعلق الإدراك الذي هو المسائل إما حقيقة عرفية أو اصطلاحية

(١) هو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢ ه .

(٢) هو الشريف الجرجاني ، سبقت ترجمته ص ١١ .

أو مجاز مشهور . وفي كونه حقيقة الإدراك نظر لأن المراد به الإدراك عن دليل لا الإدراك مطلقاً حتى يكون حقيقة » انتهى .

وقال أبو القاسم(١) في (حاشية المطول) : إن جعل أسماء العلوم المدونة مطلقة على الأصول والقواعد وإدراكها والملكة الحاصلة على سواء وكذا لفظ العلم ، صح . ثم إنهم ذكروا أن المناسب أن يراد بالملكة ههنا كيفية للنفس بها يتمكن من معرفة جميع المسائل ، يستحضر بها ماكان معلوماً مخزوناً منها، ويستحصل ماكان مجهولاً لاملكة الاستحضار فقط المسماة بالعقل بالفعل ، إذ الظاهر أن من تمكن من معرفة جميع مسائل علم بأن يكون عنده مايكفيه في تحصيلها يعد عالماً بذلك العلم من غير اشتراط العلم بجميعها فضلاً عن صيرورتها مخزونة ،ولاملكة الاستحصال فقط المسماة بالعقل بالملكة لأنه يلزم أن يعد عالماً من له تلك الملكة مع عدم حصول شيء من المسائل . فالمراد بالملكة أعم من ملكة الاستحضار والاستحصال .

قال في (الأطول) : المراد ملكة الاستحضار لا الملكة المطلقة ، وعدم حصول العلم المدون لأحد وهو يتزايد يوماً فيوماً ليس بممتنع ولا بمستبعد ، فإن استحالة معرفة الجميع لاينافي كون العلم سبباً لها . وتسمية البعض فقيهاً أو نحوياً أو حكيماً كناية عن علو شأنه في ذلك العلم بحيث كأنه حصل له الكل.وبالجملة فملكة الاستحصال ليست علماً وإنما الكلام في أن ملكة استحضار أكثر المسائل مع ملكة استحصال الباقي هل هو العلم أم لا؟فمن أراد أن يكون إطلاق الفقيه على الأئمة حقيقة مع عجزهم عن جواب بعض الفتاوى التزم ذلك .وأما على ماسلكنا من أن الإطلاق مجازي فلا يلزم .

---

(١) هو أبو القاسم بن أبي بكر الليثي السمرقندي أحد المحشين على مطول السعد التفتازاني.

ثم اعلم أن العلم وإن كان معنىً واحداً وحقيقة واحدة إلا أنه ينقسم إلى أقسام كثيرة من جهات مختلفة . فينقسم من جهة إلى قديم ومحدث ، ومن جهة متعلقه إلى تصور وتصديق ، ومن جهة طرقه إلى ثلاثة أقسام : قسم يثبت في النفس ، وقسم يدرك بالحس ، وقسم يعلم بالقياس . وينقسم من جهة اختلاف موضوعاته إلى أقسام كثيرة يسمى بعضها علوماً وبعضها صنائع . وقد أوردنا ماذكره أصحاب الموضوعات في حصر أقسامها :

التقسيم الأول :

ماذكره صاحب(١) (كشاف اصطلاحات الفنون) : « اعلم أن ههنا– أي في مقام تقسيم العلوم المدونة التي هي إما المسائل أو التصديق بها – تقسيمات على ما في بعض حواشي (شرح المطالع).وقال السيد السند : إنها بمعنى ملكة الإدراك تناول العلوم النظرية .

الأول

العلوم إما نظرية أي غير متعلقة بكيفية عمل ، وإما عملية أي متعلقة بها . فالمنطق ، والحكمة العملية ، والطب العملي ، وعلم الخياطة كلها داخلة في العملي ، لأنها بأسرها متعلقة بكيفية عمل إما ذهني كالمنطق ، أوخارجي كالطب مثلاً توضيحه أن العملي والنظري يستعملان لمعان :

أحدها : في تقسيم العلوم مطلقاً كما عرفته .

وثانيها : في تقسيم الحكمة . فإن العملي هناك علم بما يكون وجوده بقدرتنا واختيارنا . والنظري علم بما لايكون وجوده بقدرتنا واختيارنا .

---

(١) هو التهانوي ، محمد علي بن علي بن محمد الفاروقي الحنفي التهانوي ، باحث هندي توفي بعد سنة ١١٥٨ هـ = ١٧٤٥ م .

وثالثها : ماذكر في تقسيم الصناعات من أنها عملية أي يتوقف حصولها على ممارسة العمل ، أونظرية لايتوقف حصولها على ممارسة العمل، بل يتوقف على النظر فقط . وعلى هذا فعلم الفقه والنحو والمنطق والحكمة العملية والطب العملي خارجة عن العملي ، إذ لاحاجة في حصولها إلى مزاولة الأعمال بخلاف علوم الخياطة والحياكة والحجامة لتوقفها على الممارسة والمزاولة .

والعملي بالمعنى الأول أعم من العملي المذكور في تقسيم الحكمة لأنه يتناول مايتعلق بكيفية عمل ذهني كالمنطق ، ولا يتناوله العملي المذكور في تقسيم الحكمة لأنه هو الباحث عن أحوال ما لاختيارنا مدخل في وجوده مطلقاً . أوالخارجي . وموضوع المنطق معقولات ثانية لايحاذي بها أمر في الخارج ، ووجودها الذهني لايكون مقدوراً لنا ، فلا يكون داخلاً في العملي بهذا المعنى .

وأما العملي المذكور في تقسيم الصناعة فهو أخص من العملي بكلا المعنيين ، لأنه قسم من الصناعة المفسرة بالعلم المتعلق بكيفية العمل سواء حصل بمزاولةالعملأو لا.فالعملي بالمعنى الأولنفس الصناعة وبالمعنى الثاني أخص من الأول لكنه أعم من هذا المعنى الثالث لعدم المزاولة ثمة بخلافها هاهنا .

الثاني :

العلوم إما آلية أوغير آلية لأنها إما أن لاتكون في نفسها آلة لتحصيل شيء آخر بل كانت مقصودة بذواتها ، أو تكون آلة له غير مقصودة في أنفسها ، الثانية تسمى آلية ، والأولى تسمى غير آلية .

ثم إنه ليس المراد بكون العلم في نفسه آلة إذ الآلية ذاتية لأن الآلية للشيء تعرض له بالقياس إلى غيره ، وماهو كذلك وليس ذاتياً بل المراد أنه في حد ذاته بحيث إذا قيس إلى ماهو آلة تعرض له الآلية ولايحتاج في عروضها له إلى غيره . كما أن الإمكان الذاتي لايعرض للشيء إلابالقياس إلى وجوده.والتسمية بالآلية بناء على اشتمالها على الآلة ، فإن العلم الآلي مسائل كل منها مايتوصل له إلى ماهو آلة له وهو الأظهر إذ لايتوصل لجميع علم إلى علم .

ثم اعلم أن مؤدى التقسيمين واحد إذ التقسيمان متلازمان ، فإن مايكون في حد ذاته آلة لتحصيل غيره لابد أن يكون متعلقاً بكيفية تحصيله . فهو متعلق بكيفية عمل ، وما يتعلق بكيفية عمل لابد أن يكون في نفسه آلة لتحصيل غيره فقد رجع معنى الآلي إلى معنى العملي . وكذا ما لايكون آلة له ، كذلك لم يكن متعلقاً بكيفية عمل وما لم يتعلق بكيفيّة عمل لم يكن في نفسه آلة لغيره ، فقد رجع معنى النظري وغير الآلي إلى شيء واحد .

ثم اعلم أن غاية العلوم الآلية أي العلة الغائية لها حصول غيرها،وذلك لأنها متعلقة بكيفية عمل ومبيّنة لها . فالمقصود منها حصول العمل سواء كان ذلك العمل مقصوداً بالذات أومقصوداً لأمر آخر يكون هو غاية أخيرة لتلك العلوم . وغاية العلوم الغير الآلية حصولها أنفسها ،وذلك لأنها في حد أنفسها مقصودة بذواتها . وإن أمكن أن يترتب عليها منافع أخرى فإن إمكان الترتيب الاتفاقي بل وقوعه لاينافي كون المرتب عليه مقصوداً بالذات ، إنما المنافي له قصد الترتب . والحاصل أن المراد بالغاية هي الغاية الذاتية التي قصدها المخترع الواضع ، لاالغاية التي كانت حاملة

للشارع على الشروع . فإن الباعث للشارع على الشروع في العلوم الآلية يجوز أن يكون حصولها أنفسها ، وفي العلوم الغير الآلية يجوز أن يكون زائداً على أنفسها . فإن قيل : غاية الشيء علة له ، ولايتصور كون الشيء علة لنفسه فكيف يتصور كون غاية العلوم الغير الآلية حصولها أنفسها ؟ قيل : الغاية تستعمل على وجهين ، أحدهما : أن يكون مضافاً إلى الفعل وهو الأكثر ، يقال غاية هذا الفعل كذا تكون الغاية مترتبة على نفس ذي الغاية وتكون علة لها . الثاني : أن يكون مضافاً إلى المفعول ، يقال غاية مافعل كذا تكون الغاية مترتبة على فعله وعلة له لا لذي الغاية ، أعني ماأضيف إليه الغاية . والغاية فيما نحن فيه من القسم الثاني ، لأن المضاف إليه للغاية ههنا المفعول وهو المحصل أعني العلوم دون الفعل الذي هو التحصيل . فالمراد بغايتها مايترتب على تحصيلها ويكون علة له لالها . هذا كله خلاصة مافي (شرح المطالع) وحواشيه .

الثالث :

إلى عربية وغير عربية .

الرابع :

إلى شرعية وغير شرعية .

الخامس :

إلى حقيقية وغير حقيقية .

السادس :

إلى عقلية ونقلية ، فالعقلية مالايحتاج فيه إلى النقل ، والنقلية بخلاف ذلك .

السابع :

إلى العلوم الجزئية وغير الجزئية ، فالعلوم التي موضوعاتها أخص من موضوع علم آخر تسمى علوماً جزئية ، كعلم الطب فإن موضوعه وهو الإنسان أخص من موضوع الطبيعي . والتي موضوعاتها أعم تسمى بالعلم الأقدم ، لأن الأعم أقدم للعقل من الأخص ، فإن إدراك الأعم قبل إدراك الأخص كذا في (بحر الجواهر)(١)

* * *

التقسيم الثاني :

للعلامة الحفيد(٢) ، وهو « إن العلوم المدونة على نوعين :

الأول : مادونه المتشرعة لبيان ألفاظ القرآن أوالسنة النبوية لفظاً وإسناداً ،أو لأظهار ماقصد بالقرآن من التفسير والتأويل ، أولإثبات مايستفاد منهما أعني الأحكام الأصلية الاعتقادية ، أوالأحكام الفرعية العملية ، أوتعيين مايتوصل به من الأصول في استنباط تلك الفروع ، أومادوّن لمدخليته في استخراج تلك المعاني من الكتاب والسنة ، أعني الفنون الأدبية .

النوع الثاني : مادوّنه الفلاسفة لتحقيق الأشياء كما هي وكيفية العمل على وفق عقولهم » انتهى .

وذكر في علوم المتشرعة : علم القراءة ،وعلم الحديث ، وعلم

(١) كشاف اصطلاحات الفنون ٣ - ٤ . وبحر الجواهر : كتاب في الطب باللغة الفارسية لمحمد يوسف الهروي ، انظر إيضاح المكنون ١ / ١٦٤ .

(٢) هو أحمد بن يحيى بن محمد الهروي المعروف بحفيد التفتازاني ، عالم ، ممن وضع الحواشي على مطول التفتازاني.توفي سنة ٩١٦ هـ = ١٥١٠ م .

أصوله ، وعلم التفسير ، وعلم الكلام ، وعلم الفقه ، وعلم أصوله ، وعلم الأدب . وقال : « هذا هو المشهور عند الجمهور ، ولكن للخواص من الصوفية علم يسمى بعلم التصوف . بقي علم المناظرة وعلم الخلاف والجدل لم يظهر إدراجهمافي علوم المتشرعة ولافي علوم الفلاسفة لايقال الظاهر أن الخلاف والجدل باب من أبواب المناظرة سمي باسم ، كالفرائض بالنسبة إلى الفقه ، لأنا نقول الغرض في المناظرةإظهار الصواب ، والغرض من الجدل والخلاف الإلزام . ثم إن المتشرعة صنفوا في الخلاف وبنوا عليه مسائل الفقه ولم يعلم تدوين الحكماء فيه ، فالمناسب عدة من الشرعيات والحكماء بنوا مباحثهم على المناظرة لكن لم يدوّنوا علم المناظرة فيما بينهم» انتهى .

• • •

التقسيم الثالث :

ماذكره في (الفوائد الخاقانية) : «اعلم أن ههناتقسيمين مشهورين:

أحدهما : أن العلوم إما نظرية ، أي غير متعلقة بكيفية عمل . وإما عملية أي متعلقة بها.

وثانيهما : أن العلوم إما أن لاتكون في نفسها آلةلتحصيل شيءآخربل كانت مقصودة بذواتها وتسمى غير آلية . وإما أن تكون آلة له غير مقصودة في نفسها وتسمى آلية ومؤداهما واحد . فأما مايكون في حدذاته آلة لتحصيل غيره لابد أنيكون متعلقاًبكيفية عمل ،ومايتعلق بكيفية عمل لابد أن يكون في نفسه آلة لتحصيل غيره . فقد رجع معنى الآلي إلى معنى العملي . وكذا مالايكون آلة له كذلك لم يكن متعلقاً بكيفية عمل ، وما لم يتعلق بكيفية عمل لم يكن في نفسه آلة لغيره ، فقد رجع معنى النظري وغير الآلي إلى شيء واحد .

ثم إن النظري والعملي يستعملان في معانٍ ثلاثة :

أحدها : في تقسيم مطلق العلوم كما ذكرنا، فالمنطق والحكمة العملية والطب العملي وعلم الخياطة كلها داخلة في العملي المذكور ، لأنها بأسرها متعلقة بكيفية عمل إما ذهني كالمنطق أو خارجي كالطب مثلاً .

وثانيها : في تقسيم الحكمة ، فإنهم بعد ماعرّفوا الحكمة بأنه علم بأحوال أعيان الموجودات على ماهي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية ، قالوا : تلك الأعيان . أما الأفعال والأعمال التي وجودها بقدرتنا واختيارنا أولا ، فالعلم بأحوال الأول من حيث يؤدي إلى صلاح المعاش والمعاد يسمى حكمة عملية ، والعلم بأحوال الثاني يسمى حكمة نظرية .

وثالثها : ماذكر في تقسيم الصناعة ، أي العلم المتعلق بكيفية العمل من أنها إما عملية أي يتوقف حصولها على ممارسة العمل ، أو نظرية لايتوقف حصولها عليها . فالفقه والنحو والمنطق والحكمة العملية والطب العملي خارجة عن العملية بهذا المعنى ، إذ لاحاجة في حصولها إلى مزاولة الأعمال . بخلاف علم الخياطة والحياكة والحجامة لتوقفها على الممارسة والمزاولة .

* * *

التقسيم الرابع :

وهو مذكور فيه أيضاً ، اعلم أن العلم ينقسم إلى حكمي وغير حكمي . والأخير ينقسم إلى ديني وغير ديني . والديني إلى محمود ومذموم ومباح . ووجه الضبط أنه إما أن لايتغير بتغير الأمكنة

والأزمان ولا يتبدل بتبدل الدول والأديان كالعلم بهيئة الأفلاك أولا.

فالأول : العلوم الحكمية ويقال لها العلوم الحقيقية أيضاً أي الثابتة على الدهور والأعوام .

والثاني : إما أن يكون منتمياً إلى الوحي ومستفاداً من الأنبياء عليهم السلام من غير أن يتوقف على تجربة وسماع وغيرهما أولا .

فالأول : العلوم الدينية ويقال لها الشرعية أيضاً .

والثاني : العلوم الغير الدينية كالطب لكونه ضرورياً في بقاء الأبدان ، والحساب لكونه ضرورياً في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها فمحمودة،وإلا فإن لم يكن له عاقبة حميدة فمذموم كعلم السحر والطلسمات والشعبذة والتلبيسات ، وإلا فمباح كعلم الأشعار التي لاسخف فيها ، وكتواريخ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما يجري مجراها . وهذا التفاوت بالنسبة إلى الغايات ، وإلا فالعلم من حيث إنه علم فضيلة لا تنكر ولا تذم.فالعلم بكل شيء أولى من جهله ، فإياك أن تكون من الجاهلين .

* * *

التقسيم الخامس :

ماذكره صاحب (شفاء المتألم)(١) وهو: أن كل علم إما أن يكون مقصوداً لذاته أولا .

والأول : العلوم الحكمية ، وهي إما أن تكون مما يعلم لتُعتقد فالحكمة النظرية ، أو مما يعلم ليعمل بها.فالحكمة العملية .

---

(١) هو كتاب (شفاء المتألم في آداب المعلم والمتعلم) للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن المقدسي المتوفى سنة ٨٥٦ هـ .

والأول : ينقسم إلى أعلى وهو العلم الإلهي ، وأدنى وهو الطبيعي ، وأوسط وهو الرياضي .لأن النظر إما في أمور مجردة عن المادة ، أو في أمور مادية في الذهن والخارج فهو الطبيعي ، أو في أمور يصح تجردها عن المواد في الذهن فقط فهو الرياضي ، وهو أربعة أقسام ، لأن نظر الرياضي إما أن يكون فيما يمكن أن يفرض فيه أجزاء تتلاقى على حد مشترك بينهما أولا . وكل منهما إما قارّ الذات أولا . والأول : الهندسة ، والثاني : الهيئة ، والثالث : العدد ، والرابع : الموسيقات .

والحكمة العملية قسمان : علم السياسة ، وعلم الأخلاق . لأن النظر إما مختص بحال الانسان أولا.الثاني : هو الأول،وأيضاً النظر فيه إما في إصلاح كافة الخلق في أمور المعاش والمعاد فذلك يرجع إلى علم الشريعة وعلومها معلومة. وإما من حيث اجتماع الكلمة الاجتماعية وقيام أمر الخلقفهوالأحكام السلطانية أي السياسة. فإن اختص بجماعة معينة فهو تدبير المنزل .

والثاني : وهو مالا يكون مقصوداً لذاته ، بل آلة يطلب بها العصمة من الخطأ في غيرها . فهو إما مايطلب العصمة عن الخطأ فيه من المعاني ، أو مايتوصل به إلى إدراكها من لفظ أو كتابة . والأول : علم المنطق . والثاني : علم الأدب . وما يبحث فيه عن الدلالات اللسانية أو الدلالات البيانية . فالثاني : علم الخط . والأول : يختص بالدلالات الإفرادية أو التركيبية أو يكون مشتركاً بينهما . والأول : إن كان البحث فيه عن المفردات فهو علم اللغة . وإن كان البحث فيه عنها من صيغها فعلم الصرف . والثاني : إما أن يختص بالموزون أولا . والأول : ان اختص بمقاطع الأبيات فعلم القافية وإلا فعلم العروض . والثاني :

إن كانت العصمة به عن الخطأ في تأدية أصل المعنى فهو النحو وإلا فهو علم البلاغة . والثالث : علم الفصاحة ، ثم علم البلاغة إن كان ما يطلب به العصمة عن الخطأ في تطبيق الكلام لمقتضى الحال فعلم المعاني . وإن كان في أنواع الدلالة ومعرفة كونها خفية أو جلية فعلم البيان . وأما علم الفصاحة فإن اختص بالعصمة عن الخطأ في تركيب المفردات من حيث التحسين فعلم البديع .

* * *

التقسيم السادس :

ماذكره صاحب (المفتاح)(١) وهو أحسن من الجميع حيث قال : « اعلم أن للأشياء وجوداً في أربع مراتب : في الكتابة ، والعبارة ، والأذهان ، والأعيان . وكل سابق منها وسيلة إلى اللاحق ، لأن الخط دال على الألفاظ ، وهذه على مافي الأذهان ، وهذا على مافي الأعيان. والوجود العيني هو الوجود الحقيقي الأصيل ، وفي الوجود الذهني خلاف في أنه حقيقي أو مجازي ، وأما الأولان فمجازيان قطعاً . ثم العلم المتعلق بالثلاث الأول آلي البتة . وأما العلم المتعلق بالأعيان فإما عملي لايقصد به حصول نفسه بل غيره ، أو نظري يقصد به حصول نفسه . ثم إن كلاً منهما إما أن يبحث فيه من حيث إنه مأخوذ من الشرع فهوالعلم الشرعي ، أو من حيث إنه مقتضى العقل فقط فهو العلم الحكمي . فهذه هي الأصول السبعة ، ولكل منها أنواع ، ولأنواعها فروع يبلغ الكل على مااجتهدنا في الفحص والتنقير عنه بحسب موضوعاته وأساميه وتتبع مافيه من المصنفات إلى مائة وخمسين نوعاً ، ولعلي سأزيد بعد هذا »انتهى .

(١) هو كتاب (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زاده .

فرتب كتابه على سبع دوحات ، لكل أصل دوحة . وجعل لكل دوحة شعباً لبيان الفروع .

فما أورده في الأولى من العلوم الخطية : علم أدوات الخط . علم قوانين الكتابة . علم تحسين الحروف . علم كيفية تولد الخطوط عن أصولها . علم ترتيب حروف التهجي . علم تركيب أشكال بسائط الحروف . علم إملاء الخط العربي . علم خط المصحف . علم خط العروض .

وذكر في الثانية العلوم المتعلقة بالألفاظ وهي : علم مخارج الحروف . علم اللغة . علم الوضع . علم الاشتقاق . عام التصريف . علم النحو . علم المعاني . علم البيان . علم البديع . علم العروض . علم القوافي . علم قرض الشعر . علم مبادىء الشعر . علم الإنشاء . علم مبادىء الإنشاء وأدواته . علم المحاضرة . علم الدواوين . علم التواريخ .

وجعل من فروع العلوم العربية: علم الأمثال . علم وقائع الأمم ورسومهم . علم استعمالات الألفاظ . علم الترسل . علم الشروط والسجلات . علم الأحاجي والأغلوطات . علم الألغاز . علم المعمّى . علم التصحيف . علم المقلوب . علم الجناس . علم مسامرة الملوك . علم حكايات الصالحين . علم أخبار الأنبياء عليهم السلام . علم المغازي والسير . علم تاريخ الخلفاء . علم طبقات القراء. علم طبقات المفسرين . علم طبقات المحدثين . علم سير الصحابة . علم طبقات الشافعية . علم طبقات الحنفية . علم طبقات المالكية . علم طبقات الحنابلة . علم طبقات النحاة . علم طبقات الأطباء .

وذكر في الثالثة : العلوم الباحثة عما في الأذهان من المعقولات

الثانية . وهي علم المنطق ، علم آداب الدرس . علم النظر . علم الجدل . علم الخلاف .

وذكر في الرابعة العلوم المتعلقة بالأعيان وهي : العلم الإلهي . والعلم الطبيعي . والعلوم الرياضية وهي أربعة : علم العدد . علم الهندسة . علم الهيئة . علم الموسيقى .

وجعل من فروع العلم الإلهي علم معرفة النفس الإنسانية . علم معرفة النفس الملكية . علم معرفة المعاد . علم أمارات النبوة ، علم مقالات الفرق .

وجعل من فروع العلم الطبيعي علم الطب. علم البيطرة. علم البيزرة. عام النبات . علم الحيوان . علم الفلاحة . علم المعادن . علم الجواهر . علم الكون والفساد . علم قوس قزح . علم الفراسة . علم تعبير الرؤيا . علم أحكام النجوم . علم السحر . عام الطلسمات . عام السيميا . علم الكيمياء.

وجعل من فروع الطب علم التشريح . علم الكحالة . علم الأطعمة. علم الصيدلة . علم طبخ الأشربة والمعاجين . علم قلع الآثار من الثياب . علم تركيب أنواع المداد . علم الجراحة . علم الفصد . علم الحجامة . علم المقادير والأوزان . علم الباه .

وجعل من فروع علم الفراسة علم الشامات والخيلان . علم الأسارير. علم الأكتاف . علم عيافة الأثر . علم قيافة البشر . علم الاهتداء بالبراري والأقفار. علم الريافة . علم الاستنباط. علم نزول الغيث . علم العرافة . علم الاختلاج .

وجعل من فروع علم أحكام النجوم . علم الاختيارات . علم الرمل. علم القَرعة . علم الطيرة .

وجعل من فروع السحر علم الكهانة . علم النيرنجات . علم الخواص. علم الرُّقىَ . علم العزائم . علم الاستحضار . علم دعوة الكواكب . علم القلفطيرات . علم الخفاء . علم الحيل الساسانية . علم كشف الدك . علم الشعبذة . علم تعلق القلب . علم الاستعانة بخواص الأدوية .

وجعل من فروع الهندسة علم عقود الأبنية . علم المناظرة . علم المرايا المحرقة . علم مراكز الأثقال . علم جر الأثقال . علم المساحة . علم استنباط المياه . علم الآلات الحربية . علم الرمي . علم التعديل . علم البنكامات . علم الملاحة . علم السباحة . علم الأوزان والموازين . علم الآلات المبنية على ضرورة عدم الخلاء .

وجعل من فروع الهيئة : علم الزيجات والتقويم . علم حساب النجوم. علم كتابة التقاويم . علم كيفية الارصاد . علم الآلات الرصدية . علم المواقيت . علم الآلات الظلية . علم الأكر . علم الأكر المتحركة . علم تسطيح الكرة . علم صور الكواكب . علم مقادير العلويات . علم منازل القمر . علم جغرافيا . علم مسالك البلدان . علم البرُدُ ومسافاتها . علم خواص الأقاليم . علم الأدوار والأكوار . علم القرانات . علم الملاحم . علم المواسم . علم مواقيت الصلاة . علم وضع الاسطرلاب . علم عمل الاسطرلاب .علم وضع الربع المُجَيَّب والمقنطرات . علم عمل ربع الدائرة . علم آلات الساعة . .

وجعل من فروع علم العدد: علم حساب التخت والميل . علم الجبر والمقابلة . علم حساب الخطائين . علم حساب الدور والوصايا . علم

حساب الدراهم والدنانير . علم حساب الفرائض . علم حساب الهواء . علم حساب العقود بالأصابع . علم أعداد الوفق . علم خواص الأعداد . علم التعابي العددية .

وجعل من فروع الموسيقي : علم الآلات العجيبة . علم الرقص . علم الغنج .

وذكر في الخامسة : العلوم الحكمية العملية وهي : علم الأخلاق . علم تدبير المنزل . علم السياسة .

وجعل من فروع الحكمة العملية : علم آداب الملوك . علم آداب الوزارة . علم الاحتساب . علم قود العساكر والجيوش .

وذكر في السادسة العلوم الشرعية وهي: علم القراءة. علم تفسير القرآن. علم رواية الحديث . علم دراية الحديث. علم أصول الدين المسمى بالكلام. علم أصول الفقه . علم الفقه .

وجعل من فروع القراءة : علم الشواذ . علم مخارج الحروف . علم مخارج الألفاظ . علم الوقوف . علم علل القرآن . علم رسم كتابة القرآن. علم آداب كتابة المصحف .

وجعل من فروع الحديث : علم شرح الحديث . علم أسباب ورود الحديث وأزمنته. علم ناسخ الحديث ومنسوخه . علم تأويل أقوال النبي عليه الصلاة والسلام . علم رموز الحديث وإشاراته . علم غرائب لغات الحديث . علم دفع الطعن عن الحديث . علم تلفيق الأحاديث . علم أحوال رواة الأحاديث . علم طب النبي عليه الصلاة والسلام .

وجعل من فروع علم التفسير : علم المكي والمدني . علم الحضري والسفري . علم النهاري والليلي . علم الصيفي والشتائي . علم الفِراشي والنومي . علم الأرضي والسماوي . علم أول ما نزل وآخر ما نزل . علم سبب النزول . علم ما نزل على لسان بعض الصحابة — رضي الله عنهم — علم ما تكرر نزوله . علم ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه . علم ما نزل مفرقاً وما نزل جمعاً . علم ما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً . علم ما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل . علم كيفية إنزال القرآن . علم أسماء القرآن ، وأسماء سوره . علم جمعه وترتيبه. علم عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه . علم حفّاظه ورواته . علم العالي والنازل من أسانيده . علم المتواتر والمشهور . علم بيان الموصول لفظاً والمفصول معنى . علم الإمالة والفتح . علم الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب . علم المد والقصر . علم تخفيف الهمزة . علم كيفية تحمل القرآن . علم آداب تلاوته وتاليه . علم جواز الاقتباس . علم ما وقع فيه بغير لغة الحجاز . علم ما وقع فيه من غير لغة العرب . علم غريب القرآن . علم الوجوه والنظائر . علم معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر . علم المحكم والمتشابه . علم مقدم القرآن ومؤخره . علم عام القرآن وخاصه . علم ناسخ القرآن ومنسوخه . علم مشكل القرآن . علم مطلق القرآن ومقيده . علم منطوق القرآن ومفهومه . علم وجوه مخاطباته . علم حقيقة ألفاظ القرآن ومجازها . علم تشبيه القرآن واستعاراته . علم كنايات القرآن وتعريضاته . علم الحصر والاختصاص . علم الايجاز والاطناب . علم الخبر والإنشاء . علم بدائع القرآن . علم فواصل الآي . علم خواتم السور . علم مناسبة

الآيات والسور . علم الآيات المتشابهات. علم إعجاز القرآن . علم العلوم المستنبطة من القرآن . علم أقسام القرآن . علم جدل القرآن . علم ما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب . علم مبهمات القرآن . علم فضائل القرآن . علم أفضل القرآن وفاضله . علم مفردات القرآن . علم خواص القرآن . علم مرسوم الخط وآداب كتابته . علم تفسيره وتأويله وبيان شرفه . علم شروط المفسر وآدابه . علم غرائب التفسير . علم طبقات المفسرين . علم خواص الحروف . علم الخواص الروحانية من الأوفاق . علم التصريف بالحروف والأسماء. علم الحروف النورانية والظلمانية . علم التصريف بالاسم الأعظم . علم الكسر والبسط . علم الزايرجة . علم الجفر والجامعة . علم دفع مطاعن القرآن .

وجعل من فروع الحديث : علم المواعظ . علم الأدعية . علم الآثار . علم الزهد والورع . علم صلاة الحاجات . علم المغازي .

وجعل من فروع أصول الفقه : علم النظر . علم المناظرة . علم الجدل .

وجعل من فروع الفقه : علم الفرائض . علم الشروط والسجلات . علم القضاء . علم حكم التشريع . علم الفتاوى .

فيكون جميع ما ذكره من العلوم المتعلقة بطريق النظر ثلاثمائة وخمسة علوم .

ثم إنه جعل الطرف الثاني من كتابه في بيان العلوم المتعلقة بالتصفية

التي هي ثمرة العمل بالعلم ، فلخص فيه كتاب (الإحياء)(١) للإمام الغزالي ، ولم يذكر علم التصوف . فلله دره في الغوص على بحار العلوم وابراز دررها .

فإن قيل : إنه قصد تكثير أنواع العلوم فأورد في فروعها ما أورد كذكره في فروع علم التفسير ما ذكره السيوطي في (الإتقان)(٢) من الأنواع ، وهلا يرد عليه أنه إن أراد بالفروع المقاصد للعلم ، فعلم الطب مثلاً يصل إلى ألوف من العلوم . وإن أراد ما أفرد بالتدوين فلم يستوعب الأقسام في كثير من المباحث التي أفردت بالتدوين وقد أخل بذكرها ، على أنه أدخل في فروع علم ما ليس منه ، قلت : نعم يرد ، لكن الجواد قد يكبو والفتى قد يصبو ، أو لا تعد إلا هفوات العارف ويدخل الزيوف على أعلى الصيارف .

* * *

التقسيم السابع :

لصاحب (مدينة العلوم)(٣) ويأتي في أول القسم الثاني من هذا الكتاب وما أوفقه بهذا التقسيم كأنه هو .

قف : ولا يخفى عليك أن التعقب على الكتب سيما الطويلة سهل

---

(١) إحياء علوم الدين ، للإمام أبي حامد الغزالي . مشهور .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي .

(٣) بإزاء هذه العبارة في هامش الأصل حاشية نصها : « كثيراً ما يوجد عبارة مفتاح السعادة المنقولة في كشف الظنون مطابقة بعبارة مدينة العلوم كأنها واحدة بعينها ، ولم يعرف إلى الآن أهما كتابان مستقلان أم هما واحد ، فن اطلع على ذلك فليصلح في هذا الكتاب ، وليعذر مؤلف هذا الكتاب ، والله أعلم بالصواب » « سيد ذو الفقار أحمد » .

ولعل المؤلف يريد « مفتاح السعادة » وأثبت اسم كتاب « مدينة العلوم » سهواً وقد ورد الكلام على التقسيم السادس والتقسيم السابع بنصه في مقدمة كتاب(كشف الظنون) لحاجي خليفة عند الكلام على التقسيم الخامس من فصل تقسيم العلوم .

بالنسبة إلى تأليفها ووضعها وترصيفها كما يشاهد في الأبنية العظيمة والهياكل القديمة حيث يعترض على بانيها من عري في فنه عن القوى والقدر ، بحيث لا يقدر على وضع حجر على حجر .

هذا جوابي عما يرد على كتابي أيضاً . وقد كتب أستاذ العلماء البلغاء القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني إلى العماد الأصفهاني(١) معتذراً عن كلام استدركه عليه « إنه قد وقع لي شيء وما أدري أوقع لك أم لا ، وها أنا أخبرك به ، وذلك أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو غيّر هذا لكان أحسن ،ولو زيد لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل . وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » انتهى .

هذا اعتذار قليل المقدار عن جميع الإيرادات والأنظار إجمالاً ، وأما التفصيل فسيأتي في موضع كل علم مع توجيهه بإنصاف وحلم ، وربما زيد على ما ذكره من العلوم على طريق الاستدراك بتمكين مانح القريحة والذهن الدرّاك .

* * *

(١) القاضي الفاضل ، هو عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي ، وزير ، من أئمة الكتاب ، كان وزيراً للسلطان صلاح الدين الأيوبي ، توفي سنة ٥٩٦ هـ = ١٢٠٠ م .

والعماد هو محمد بن محمد الأصبهاني ، مؤرخ ، عالم بالأدب من أكابر الكتاب في عهد صلاح الدين ، توفي سنة ٥٩٧ هـ = ١٢٠١ م .

الفصل السادس

في بيان أجزاء العلوم

قالوا : كل علم من العلوم المدونة لا بد فيه من أمور ثلاثة : الموضوع ، والمسائل ، والمبادىء . وهذا القول مبني على المسامحة ، فإن حقيقة كل علم مسائله ، وعدُّ الموضوع والمبادىء من الأجزاء إنما هو لشدة اتصالهما بالمسائل التي هي المقصودة في العلم .

أما الموضوع فقالوا : موضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية ، وتوضيحُه : إن كمال الانسان بمعرفته أعيان الموجودات من تصوراتها والتصديق بأحوالها على ماهي عليه بقدر الطاقة البشرية . ولما كانت معرفتها بخصوصها متعذرة مع عدم إفادتها كمالاً معتداً به لتغيرها وتبدلها أخذوا المفهومات الكلية الصادقة عليها ذاتية كانت أو عرضية ، وبحثوا عن أحوالها من حيث انطباقها عليها ليفيد علمها بوجه كلي علماً باقياً أبد الدهر . ولما كان أحوالها متكثرة وضبطها منتشرة مختلطة متعسراً اعتبروا الأحوال الذاتية لمفهوم مفهوم وجعلوها علماً منفرداً بالتدوين ، وسموا ذلك المفهوم موضوعاً لذلك العلم ، لأن موضوعات مسائله راجعة إليه ، فصارت كل طائفة من الأحوال المتشاركة في موضوع علماً منفرداً ممتازاً في نفسه عن طائفة أخرى

متشاركة في موضوع آخر ، فجاءت علومهم متمايزة في أنفسها بموضوعاتها . وهذا أمر استحساني ، إذ لا مانع عقلاً من أن يعد كل مسألة علماً برأسه ويفرد بالتعليم ، ولا من أن تعد مسائل كثيرة غير متشاركة في موضوع واحد علماً واحداً ويفرد بالتدوين . فالامتياز الحاصل للطالب بالموضوع إنما هو للمعلومات بالأصالة ، وللعلوم بالتبع ، والحاصل بالتعريف . على عكس ذلك إن كان تعريفاً للعلم ، وإن كان تعريفاً للمعلوم فالفرق أنه قد لا يلاحظ الموضوع . ثم إنهم عمموا الأحوال الذاتية وفسروها بما يكون محمولاً على ذلك المفهوم إما لذاته أو لجزئه الأعم أو المساوي ، فإن له اختصاصاً بالشيء من حيث كونه من أحوال مقومه ، أو للخارج المساوي له سواء كان شاملاً لجميع أفراد ذلك المفهوم على الإطلاق ، أو مع مقابله مقابلة التضاد أو العدم والملكة دون مقابلة السلب والإيجاب ، إذ المتقابلان تقابل السلب والإيجاب لا اختصاص لهما بمفهوم دون مفهوم ضبطاً للانتشار بقدر الإمكان. فأثبتوا الأحوال الشاملة على الإطلاق لنفس الموضوع ، والشاملة مع مقابلتها لأنواعه ، واللاحقة للخارج المساوي لعرضه الذاتي . ثم إن تلك الأعراض الذاتية لها عوارض ذاتية شاملة لها على الإطلاق أو على التقابل فأثبتوا العوارض الشاملة على الإطلاق لنفس الأعراض الذاتية ، والشاملة على التقابل لأنواع تلك الأعراض ، وكذلك عوارض تلك العوارض . وهذه العوارض في الحقيقة قيود للأعراض المثبتة للموضوع ولأنواعه ، إلا أنها لكثرة مباحثها جعلت محمولات على الأعراض . وهذا تفصيل ما قالوا : معنى البحث عن الأعراض الذاتية أن تثبت تلك الأعراض لنفس الموضوع أو لأنواعه أو لأعراضه

الذاتية أو لأنواعها أو لأغراض أنواعها . وبهذا يندفع ما قيل : إنه ما من علم إلا ويبحث فيه عن الأحوال المختصة بالمعادن والنباتات والحيوانات وذلك لأن المبحوث عنه في العلم الطبيعي أن الجسم إما ذو طبيعة أو ذو نفس آلي أو غير آلي وهي من عوارضه الذاتية ، والبحث عن الأحوال المختصة بالعناصر وبالمركبات التامة وغير التامة كلها تفصيل لهذه العوارض وقيود لها . ولاستصعاب هذا الإشكال قيل : المراد بالبحث عن الأعراض الذاتية حملها على موضوع العلم ، كقول صاحب علم أصول الفقه : الكتاب يثبت الحكم قطعاً . أو على أنواعه كقوله : الأمر يفيد الوجوب . أو على أعراضه الذاتية كقوله : يفيد القطع. أو على أنواع أعراضه الذاتية كقوله : العام الذي خص منه يفيد الظن .

وقيل : معنى قولهم يبحث فيه عن عوارضه الذاتية أنه يرجع البحث فيه إليها بأن يثبت أعراضه الذاتية له ، أو يثبت لنوعه ما هو عرض ذاتي لذلك النوع ، أو لعرضه الذاتي ما هو عرض ذاتي لذلك العرض ، أو يثبت لنوع العرضي الذاتي ما هو عرض ذاتي لذلك النوع . ولا يخفى عليك أنه يلزم دخول العلم الجزئي في العلم الكلي كعلم الكرة المتحركة في علم الكرة ، وعلم الكرة في العلم الطبيعي ، لأنه يبحث فيها عن العوارض الذاتية لنوع الكرة أو الجسم الطبيعي أو لعرضه الذاتي أو لنوع عرضه الذاتي .

ثم اعلم أن هذا الذي ذكر من تفسير الأحوال الذاتية إنما هو على رأي المتأخرين الذاهبين إلى أن اللاحق للشيء بواسطة جزئه الأعم من أعراضه الذاتية المبحوث عنها في العلم ، فإنهم ذكروا أن العرض

هو المحمول على الشيء الخارج عنه،وأن العرض الذاتي هو الخارج المحمول الذي يلحق الشيء لذاته بأن يكون منتهاه الذات كلحوق إدراك الأمور الغريبة للإنسان بالقوة ، أو يلحقه بواسطة جزئه الأعم كلحوق التحيز له لكونه جسماً ، أو المساوي كلحوق التكلم له لكونه ناطقاً ، أو يلحقه بواسطة أمر خارج مساوٍ كلحوق التعجب له لإدراكه الأمور المستغربة .وأما ما يلحق الشيء بواسطة أمر خارج أخص أو أعم مطلقاً أو من وجه أو بواسطة أمر مبائن فلا يسمى عرضاً ذاتياً بل عرضاً غريباً .

والتفصيل أن العوارض ستة ، لأن ما يعرض الشيء إما أن يكون عروضه لذاته أو لجزئه أو لأمر خارج عنه سواء كان مساوياً له أو أعم منه أو أخص أومبائناً ، فالثلاثة الأول تسمى أعراضاً ذاتية لاستنادهاإلى ذات المعروض أي لنسبتها إلى الذات نسبة قوية وهي كونها لاحقةبلا واسطةأوبواسطة لها خصوصيةبالتقديم أو بالمساواة.والبواقي تسمى أعراضاً غريبة لعدم انتسابها إلى الذات نسبة قوية . وأما المتقدمون فقد ذهبوا إلى أن اللاحق بواسطة الجزء الأعم من الأعراض الغريبة التي لايبحث عنها في ذلك العلم وعرّفوا العرض الذاتي بالخارج المحمول الذي يلحق الشيء لذاته أو لما يساويه سواء كان جزءاً لها أو خارجاً عنها ، قيل : هذا هو الأولى ، إذ الأعراض اللاحقة بواسطة الجزء الأعم تعم الموضوع وغيره ، فلا تكون آثاراً مطلوبة له لأنها هي الأعراض المعينة المخصوصة التي تعرضه بسبب استعداده المختص ، ثم في عدّ العارض بواسطة المباين مطلقاً من الأعراض الغريبة نظراً ، إذ قد يبحث في العام الذي موضوعه الجسم الطبيعي عن الألوان مع كونها عارضة له

بواسطة مبانيه وهو السطح . وتحقيقه أن المقصود في كل علم مدون بيان أحوال موضوعه ، أعني أحواله التي توجد فيه ولا توجد في غيره ولا يكون وجودها فيه بتوسط نوع مندرج تحته ، فإن ما يوجد في غيره لا يكون من أحواله حقيقة بل هو من أحوال ما هو أعم منه ، والذي يوجد فيه فقط لكنه لا يستعد لعروضه ما لم يصر نوعاً مخصوصاً من أنواعه كان من أحوال ذلك النوع حقيقة . فحق هاتين الحالين أن يبحث عنهما في علمين موضوعهما ذلك الأعم والأخص ، وهذا أمر استحساني كما لا يخفى .

ثم الأحوال الثابتة للموضوع على الوجه المذكور على قسمين ، أحدهما : ما هو عارض له وليس عارضاً لغيره إلا بتوسطه وهو العرض الأولي .وثانيهما : ما هو عارض لشيء آخر وله تعلق بذلك الموضوع بحيث يقتضي عروضه له بتوسط ذلك الآخر الذي يجب أن لا يوجد في غير الموضوع سواء كان داخلاً فيه أو خارجاً عنه إما مساوياً له في الصدق أو مبايناً له فيه ومساوياً في الوجود . فالصواب أن يكتفى في الخارج بمطلق المساواة سواء كانت في الصدق أو في الوجود ، فإن المباين إذا قام بالموضوع مساوياً له في الوجود ووجد له عارض قد عرض له حقيقة لكنه يوصف به الموضوع كان ذلك العارض من الأحوال المطلوبة في ذلك العلم لكونها ثابتة للموضوع على الوجه المذكور .

واعلم أيضاً أن المطلوب في العلم بيان إنّية تلك الأحوال أي ثبوتها للموضوع سواء علم لميتها أي علة ثبوتها له أو لا .

واعلم أيضاً أن المعتبر في العرض الأولي هو انتفاع الواسطة في

العروض دون الواسطة في الثبوت التي هي أعم . يشهد بذلك أنهم صرحوا بأن السطح من الأعراض الأولية للجسم التعليمي ، مع أن ثبوته بواسطة انتهائه وانقطاعه ، وكذلك الخط للسطح والنقطة للخط . وصرحوا بأن الألوان ثابتة للسطوح أولاً وبالذات ، مع أن هذه الأعراض قد فاضت على محالها من المبدإ الفياض . وعلى هذا فالمعتبر فيما يقابل العرض الأولي ، أعني سائر الأقسام ، ثبوت الواسطة في العروض .

وإن شئت الزيادة على ما ذكرنا فارجع إلى (شرح المطالع) وحواشيه وغيرها من كتب المنطق .

فائدة : قالوا : يجوز أن تكون الأشياء الكثيرة موضوعاً لعلم واحد ، لكن لا مطلقاً بل بشرط تناسبها بأن تكون مشتركة في ذاتي ، كالخط والسطح والجسم التعليمي للهندسة فإنها تشارك في جنسها وهو المقدار ، أو في عرَضي كبدن الإنسان وأجزائه والأغذية والأدوية والأركان والأمزجة وغير ذلك إذا جعلت موضوعات للطب فإنها تتشارك في كونها منسوبة إلى الصحة التي هي الغاية القصوى في ذلك العلم .

فائدة : قالوا : الشيء الواحد لا يكون موضوعاً للعلمين . وقال صدر الشريعة(١) : « هذا غير ممتنع فإن الشيء الواحد له أعراض متنوعة ، ففي كل علم يبحث عن بعض منها . ألا ترى أنهم جعلوا أجسام العالم وهي البسائط موضوع علم الهيئة من حيث الشكل ، وموضوع علم السماء والعالم من حيث الطبيعة » وفيه نظر .

---

(١) هو عبيد الله بن مسعود بن محمود بن أحمد المحبوبي البخاري الحنفي ، من علماء الحكمة والطبيعيات وأصول الفقه والدين ، له مؤلفات كثيرة في ذلك ، توفي سنة ٧٤٧ هـ = ١٣٤٦ م .

أما أولاً : فلأنهم لما حاولوا معرفة أحوال أعيان الموجودات وضعوا الحقائق أنواعاً وأجناساً وبحثوا عما أحاطوا به من أعراضها الذاتية ، فحصلت لهم مسائل كثيرة متحدة في كونها بحثاً عن أحوال ذلك الموضوع . وإن اختلفت محمولاتها فجعلوها بهذا الاعتبار علماً واحداً يفرد بالتدوين والتسمية . وجوزوا لكل أحد أن يضيف إليه ما يطلع عليه من أحوال ذلك الموضوع فإن المعتبر في العلم هو البحث عن جميع ما تحيط به الطاقة الإنسانية من الأعراض الذاتية للموضوع . فلا معنى للعلم الواحد إلا أن يوضع بشيء أو أشياء متناسبة فيبحث عن جميع عوارضه ، ولا معنى لتمايز العلوم . الا أن هذا ينظر في أحوال شيء وذلك في أحوال شيء آخر مغاير له بالذات أو بالاعتبار بأن يؤخذ في أحد العلمين مطلقاً وفي الآخر مقيداً ، أو يؤخذ في كل منهما مقيداً بقيد آخر . وتلك الأحوال مجهولة مطلوبة ، والموضوع معلوم بين الموجود وهو الصالح سبباً للتمايز .

وأما ثانياً : فلأنه ما من علم إلا ويشتمل موضوعه على أعراض ذاتية متنوعة ، فلكل أحد أن يجعله علوماً متعددة ، بهذا الاعتبار مثلاً يجعل البحث عن فعل المكلف من حيث الوجوب علماً ، ومن حيث الحرمة علماً آخر إلى غير ذلك . فيكون الفقه علوماً متعددة موضوعها فعل المكلف فلا ينضبط الاتحاد والاختلاف .

فائدة : قال صدر الشريعة : « قد تذكر الحيثية في الموضوع » . وله معنيان .

أحدهما : أن الشيء مع تلك الحيثية موضوع كما يقال : الموجود من حيث إنه موجود ، أي من هذه الجهة . وبهذا الاعتبار موضوع

العلم الإلهي فيبحث فيه عن الأحوال التي تلحقه من حيث إنه موجود كالوحدة والكثرة ونحوهما . ولا يبحث فيه عن تلك الحيثية أي حيثية الوجود ، لأن الموضوع ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية لا ما يبحث عنه وعن أجزائه .

وثانيهما : أن الحيثية تكون بياناً للأعراض الذاتية المبحوث عنها ، فإنه يمكن أن يكون للشيء عوارض ذاتية متنوعة ،وإنما يبحث في علم من نوع منها . فالحيثية بيان لذلك النوع فيجوز أن يبحث عنها ، فقولهم : موضوع الطب بدن الإنسان من حيث إنه يصح ويمرض. وموضوع الهيئة أجسام العالم من حيث إن لها شكلاً يراد به المعنى الثاني لا الأول ، إذ في الطب يبحث عن الصحة والمرض ، وفي الهيئة عن الشكل ، فلو كان المراد الأول لم يبحث عنها . قيل : ولقائل أن يقول : لا نسلم أنها في الأول جزء من الموضوع بل قيد لموضوعيته ، بمعنى أن البحث يكون عن الأعراض التي تلحقه من تلك الحيثية . وبذلك الاعتبار وعلى هذا لو جعلنا في القسم الثاني أيضاً قيداً للموضوع لا بياناً للأعراض الذاتية على ما هو ظاهر كلام القوم لم يكن البحث عنها في العلم بحثاً عن أجزاء الموضوع ، ولم يلزم للقوم ما لزم لصدر الشريعة — رحمه الله — من تشارك العلمين في موضوع واحد بالذات والاعتبار . وأما الإشكال بلزوم عدم كون الحيثية من الأعراض المبحوث عنها في العلم ضرورة أنها ليست مما يعرض للموضوع من جهة نفسها ، وإلا لزم تقدم الشيء على نفسه ، مثلاً : ليست الصحة والمرض مما يعرض لبدن الإنسان من حيث يصح ويمرض ، فالمشهور في جوابه : أن المراد من حيث إمكان الصحة والمرض ، وهذا ليس من الأعراض المبحوث عنها . والتحقيق أن

الموضوع لما كان عبارة عن المبحوث عنه في العلم عن أعراضه الذاتية قيد بالحيثية على معنى أن البحث عن العوارض إنما يكون باعتبار الحيثية وبالنظر إليها ، أي يلاحظ في جميع المباحث هذا المعنى الكلي لا على معنى أن جميع العوارض المبحوث عنها يكون لحوقها للموضوع بواسطة هذه الحيثية البتة . وتحقيق هذه المباحث يطلب من (التوضيح) و(التلويح) (١) .

وأما المسائل فهي القضايا التي يطلب بيانها في العلوم وهي في الأغلب نظريات ، وقد تكون ضرورية فتورد في العلم إما لاحتياجها إلى تنبيه يزيل عنها خفاءها أو لبيان لميتها ، لأنّ القضية قد تكون بديهية دون لميتها ، ككون النار محرقة فإنه معلوم الإنية أي الوجود مجهول اللمية كذا في (شرح المواقف) وبعض حواشي (تهذيب المنطق) وقال المحقق التفتازاني — رحمه الله — : « المسألة لا تكون إلا نظرية » وهذا ممالا اختلاف فيه لأحد وما قيل من احتمال كونها غير كسبية فهو ظاهر .

ثم للمسائل موضوعات ومحمولات ، أما موضوعها فقد يكون موضوع العلم ، كقولنا : كل مقدار إما مشارك للآخر أو مبائن ، والمقدار موضوع علم الهيئة . وقد يكون موضوع العلم مع عرض ذاتي كقولنا : كل مقدار وسط في النسبة فهو ضلع ما يحيط به الطرفان ، فقد أخذ في المسألة المقدار مع كونه وسطاً في النسبة وهو عرض ذاتي . وقد يكون نوع موضوع العلم كقولنا : كل خط يمكن تنصيفه ،

---

(١) كتابان في شرح كتاب (تنقيح الأصول) لصدر الشريعة ، وقد وضع الأول (التوضيح) صدر الشريعة مؤلف (التنقيح) ، والثاني (التلويح) وضعه السعد التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢ هـ حاشية على (توضيح) صدر الشريعة .

فإن الخط نوع من المقدار . وقد يكون نوعاً مع عرض ذاتي كقولنا : كل خط قام على خط فإن زاويتي جنبتيه قائمتان أو مساويتان لهما ، فالخط نوع من المقدار ، وقد أخذ في المسألة مع قيامه على خط وهو عرض ذاتي . وقد يكون عرضاً ذاتياً كقولنا : كل مثلث فإن زواياه مثل القائمتين فالمثلث عرض ذاتي للمقدار ، وقد يكون نوع عرض ذاتي كقولنا : كل مثلث متساوي الساقين فإن زاويتي قاعدته متساويتان .

وبالجملة فموضوعات المسائل هي موضوعات العلم أو أجزاؤها أو أعراضها الذاتية أو جزئياتها . وأما محمولاتها فالأعراض الذاتية لموضوع العلم ، فلا بد أن تكون خارجة عن موضوعاتها لامتناع أن يكون جزء الشيء مطلوباً بالبرهان لأن الأجزاء بينة الثبوت للشيء. كذا في (شرح الشمسية)(١) .

اعلم : أن من عادة المصنفين أن يذكروا عقيب الأبواب ماشذ منها من المسائل ، فتصير مسائل من أبواب متفرقة فترجم تارة بمسائل منشورة وتارة بمسائل شتى. كذا في (فتح القدير)(٢) وأكثر ما يوجد ذلك في كتب الفقه . وأما المبادىء فهي التي تتوقف عليها مسائل العلم أي تتوقف على نوعها مسائل العلم أي التصديق بها ، إذ لاتوقف للمسألة على دليل مخصوص . وهي إمّا تصورات أو تصديقات .

(١) الشمسية : متن مختصر في المنطق لنجم الدين عمر بن علي القزويني المعروف بالكاتبي المتوفى سنة ٦٩٣ ﻫ وعليه شروح وحواش كثيرة.ولعله يريد بالشرح شرح السعد التفتازاني .

(٢) هو كتاب (فتح القدير للعاجز الفقير) وضعه محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام المتوفى سنة ٨٦١ ﻫ شرحاً على كتاب (الهداية) في فروع الفقه الحنفي للمرغيناني المتوفى سنة ٥٩٣ ﻫ .

أما التصورات : فهي حدود الموضوعات ، أي ما يصدق عليه موضوع العلم لا مفهوم الموضوع كالجسم الطبيعي، وحدود أجزائها كالهيولى والصورة ، وحدود جزئياتها كالجسم البسيط ، وحدود أعراضها الذاتية كالحركة للجسم الطبيعي . وخلاصته تصور الأطراف على وجه هو مناط للحكم .

وأما التصديقات : فهي مقدمات إما بينة بنفسها وتسمى علوماً متعارفة كقولنا في علم الهندسة : المقادير المتساوية لشيء واحد متساوية . وإما غير بينة بنفسها سواء كانت مبينة هناك أو في محل آخر أو في علم آخر يتوقف عليها الأدلة المستعملة في ذلك العلم سواء كانت قياسات أو غيرها من الاستقراء والتمثيل وحصرها في المبينة فيه والمبينة في علم آخر وفي أجزاء القياسات كما توهم محل نظر . ثم الغير البينة بنفسها إما مسلمة فيه أي في ذلك العلم على سبيل حسن الظن وتسمى أصولاً موضوعة ، كقولنا في علم الهندسة : لنا أن نصل بين كل نقطتين بخط مستقيم ، أو مسلمة في الوقت أي وقت الاستدلال مع استنكار وتشكك إلى أن تستبين في موضعها وتسمى مصادرات لأنه تصدر بها المسائل التي تتوقف عليها ، كقولنا فيه : لنا أن نرسم على كل نقطة وبكل بعد دائرة . ونوقش في المثال بأنه لا فرق بينه وبين قولنا : لنا أن نصل الخ في قبول المتعلم بهما بحسن الظن . وأورد مثال المصادرة قول إقليدس : إذا وقع خط على خطين وكانت الزاويتان الداخلتان أقل من قائمتين فإن الخطين إذا أخرجا بتلك الجهة التقيا . لكن لا استبعاد في ذلك إذ المقدمة الواحدة قد تكون أصلاً موضوعاً عند شخص مصادرة عند شخص آخر .

ثم الحدود والأصول الموضوعة والمصادرات يجب أن يصدر بها العلم . وأما العلوم المتعارفة فعن تصدير العلم بها غنية لظهورها ، وربما تخصص العلوم المتعارفة بالصناعة إن كانت عامة وتصدربها في جملة المقدمات كما فعل إقليدس في كتابه .

واعلم أن التصدير قد يكون بالنسبة إلى العلم نفسه بأن يقدم عليه جميع ما يحتاج إليه ، وقد يكون بالنسبة إلى جزئه المحتاج لكن الأول أولى .

هذا وقد تطلق المبادىء عندهم على المعنى الأعم ، وهو ما يبدأ به قبل الشروع في مقاصد العلم ، كما يذكر في أوائل الكتب قبل الشروع في العلم لارتباطه به في الجملة ، سواء كان خارجاً من العلم بأن يكون من المقدمات وهي ما يكون خارجاً يتوقف عليه الشروع فيه ولو على وجه البصيرة أو على وجه كمال البصيرة ووفور الرغبة في تحصيله بحيث لا يكون عبثاً عرفا أو في نظره كمعرفة العلم برسمه المفيد لزيادة البصيرة ومعرفة غايته ، أو لم يكن خارجاً عنه بل داخلاً فيه بأن يكون من المبادئ المصطلحة السابقة من التصورات والتصديقات . وعلى هذا تكون المبادئ أعم من المقدمات أيضاً ، فإن المقدمات خارجة عن العلم لا محالة بخلاف المبادىء، والمبادىء بهذا المعنى قد تعد أيضاً من أجزاء العلم تغليباً.وإن شئت تحقيق هذا فارجع إلى (شرح مختصر الأصول)(١) وحواشيه .

---

(١) مختصر الأصول : هو كتاب اختصر فيه مؤلفه جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ ه كتابه المسمى (منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل) والمختصر هذا هو المتداول المشهور وعليه شروح كثيرة .

ومنهم من فسر المقدمة بما يعين في تحصيل الفن ، فتكون المقدمات أعم ، كذا قيل ، يعني تكون المقدمات بهذا المعنى أعم من المبادي بالمعنى الأول لا من المبادي بالمعنى الثاني وإن اقتضاه ظاهر العبارة ، إذ بينها وبين المبادىء بالمعنى الثاني هو المساواة إذ ما يستعان به في تحصيل الفن يصدق عليه أنه مما يتوقف عليه الفن إما مطلقاً أو على وجه البصيرة أو على وجه كمال البصيرة . وبالجملة فالمعتبر في المبادئ التوقف مطلقاً قال السيد السند : « مبادئ العلم ما يتوقف عليه ذات للمقصود فيه أعني التصورات التي يبتنى عليها إثبات مسائله وهي قد تعد جزءاً منه . وأما إذا أطلقت على ما يتوقف عليه المقصود ذاتاً أو تصوراً أو شروعاً فليست بتمامها من أجزائه ، فإن تصور الشيء ومعرفة غايته خارجان عنه ، ولا من جزئيات ما يتضمنه حقيقة لدخوله في العلم قطعاً » انتهى .

* * *

الفصل السابع

في بيان الرؤوس الثمانية

قالوا : الواجب على من شرع في شرح كتاب ما أن يتعرض في صدره لأشياء قبل الشروع في المقصود يسميها قدماء الحكماء الرؤوس الثمانية .

أحدها : الغرض من تدوين العلم أو تحصيله ، أي الفائدة المترتبة عليه لئلا يكون تحصيله عبثاً في نظره .

وثانيها : المنفعة ، وهي ما يتشوقه الكل طبعاً وهي الفائدة المعتدة بها ليتحمل المشقة في تحصيله ولا يعرض له فتور في طلبه فيكون عبثاً عرفاً . هكذا في (تكملة الحاشية الجلالية) . وفي (شرح التهذيب) و(شرح إشراق الحكمة): إن المراد بالغرض هو العلة الغائية فإن ما يترتب على فعل يسمى فائدة ومنفعة وغاية ، فإن كان باعثاً للفاعل على صدور ذلك الفعل منه يسمى غرضاً وعلة غائية ، وذكراً لمنفعة إنما يجب إن وجدت لهذا العلم منفعة ومصلحة سوى الغرض الباعث وإلا فلا . وبالجملة فالمنفعة قد تكون بعينها الغرض الباعث .

وثالثها : السمة ، وهي عنوان الكتاب ليكون عند الناظر إجمال

ما يفصله الغرض. كذا في (شرح إشراق الحكمة) ؛وفي (تكلمة الحاشية الجلالية): السمة هي عنوان العلم ، وكأن المراد منه تعريف العلم برسمه أو بيان خاصة من خواصه ليحصل للطالب علم إجمالي بمسائله ويكون له بصيرة في طلبه . وفي (شرح التهذيب) : السمة العلامة ، وكأنّ المقصود الإشارة إلى وجه تسمية العلم وفي ذكر وجه التسمية إشارة إجمالية إلى ما يفصل العلم من المقاصد .

ورابعها : المؤلف ، وهو مصنف الكتاب ليركن قلب المتعلم إليه في قبول كلامه والاعتماد عليه لاختلاف ذلك باختلاف المصنفين . وأما المحققون فيعرفون الرجال بالحق لا الحق بالرجال، ولنعم ما قيل : لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال . ومن شرط المصنفين أن يحترزوا عن الزيادة على ما يجب والنقصان عما يجب ، وعن استعمال الألفاظ الغريبة المشتركة ، وعن رداءة الوضع وهي تقديم ما يجب تأخيره وتأخير ما يجب تقديمه .

وخامسها : أنه من أي علم هو ، أي من اليقينيات أو الظنيات ، من النظريات أو العمليات ، من الشرعيات أو غيرها ، ليطلب المتعلم ما تليق به المسائل المطلوبة .

وسادسها : أنه أية مرتبة هو ، أي بيان مرتبته فيما بين العلوم إما باعتبار عموم موضوعه أو خصوصه ، أو باعتبار توقفه على علم آخر ، أو عدم توقفه عليه ، أو باعتبار الأهمية أو الشرف ليقدم تحصيله على ما يجب ، أو يستحسن تقديمه عليه ويؤخر تحصيله عما يجب ، أو يستحسن تأخيره عنه .

وسابعها : القسمة ، وهي بيان أجزاء العلم وأبوابه ليطلب المتعلم في كل باب منها ما يتعلق به ولا يضيع وقته في تحصيل مطالب لا تتعلق به ، كما يقال : أبواب المنطق تسعة كذا وكذا . وهذا قسمة العلم وقسمة الكتاب كما يقال : كتابنا هذا مرتب على مقدمة وبابين وخاتمة . وهذا الثاني كثير شائع لا يخلو عنه كتاب .

وثامنها : الانحاء التعليمية ، وهي أنحاء مستحسنة في طرق التعليم.

أحدها : التقسيم ، وهو التكثير من فوق إلى أسفل ، أي من أعم إلى ما هو أخص كتقسيم الجنس إلى الأنواع والنوع إلى الأصناف والصنف إلى الأشخاص .

وثانيها : التحليل ، وهو عكسه أي التكثير من أسفل إلى فوق أي من أخص إلى ما هو أعم كتحليل زيد إلى الانسان والحيوان وتحليل الإنسان إلى الحيوان والجسم . هكذا في (تكملة الحاشية الجلالية) و(شرح اشراق الحكمة) وفي (شرح التهذيب) كان المراد من التقسيم ما يسمى بتركيب القياس ، وذلك بأن يقال : إذا أردت تحصيل مطلب من المطالب التصديقية فضع طرفي المطلوب واطلب جميع موضوعات كل واحد منهما وجميع محمولات كل واحد منهما ؛ سواء كان حمل الطرفين عليها أو حملها على الطرفين بواسطة أو بغير واسطة . وكذلك اطلب جميع ما سلب عنه الطرفان أو سلب هو عن الطرفين . ثم انظر إلى نسبة الطرفين إلى الموضوعات والمحمولات ، فإن وجدت من محمولات موضوع المطلوب ما هو موضوع المحمول فقد حصل المطلوب من الشكل الأول ، أو ما هو محمول على محموله فمن الشكل الثاني ، أو من موضوعات موضوعه ما هو موضوع لمحموله فمن الشكل الثالث ،

أو محمول لمحمولہ فمن الرابع . كل ذلك بحسب تعدد اعتبار الشرائط بحسب الكيفية والكمية والجهة . كذا في (شرح المطالع) .

فمعنى قولهم : وهو التكثير من فوق ، أي من النتيجة لأنها المقصود الأقصى بالنسبة إلى الدليل . وأما التحليل فقد قيل في (شرح المطالع): «كثيراً ما تورد في العلوم قياسات منتجة للمطالب لا على الهيئات المنطقية اعتماداً على الفَطِنِ العارف بالقواعد.فإن أردت أن تعرف أنه على أي شكل من الأشكال فعليك بالتحليل وهو عكس التركيب فحصل المطلوب. فانظر إلى القياس المنتج له فإن كان فيه مقدمة يشاركها المطلوب بكلا جزئيه فالقياس استثنائي ، وإن كانت مشاركة للمطلوب بأحد جزئيه فالقياس اقتراني . ثم انظر إلى طرفي المطلوب فتتميز عندك الصغرى عن الكبرى لأن ذلك الجزء إن كان محكوماً عليه في النتيجة فهي الصغرى أو محكوماً به فهي الكبرى . ثم ضم الجزء الآخرمن المطلوب إلى الجزء الآخر من تلك المقدمة ، فإن تألفا على أحد التأليفات الأربع فما انضم إلى جزئي المطلوب هو الحد الأوسط وتتميز لك المقدمات والأشكال ، وإن لم يتألفا كانالقياس مركباً فاعمل بكل واحد منهماالعمل المذكور أي ضع الجزء الآخر من المطلو ب والجزء الآخر من المقدمة كما وضعت طرفي المطلوب أولاً أي في التقسيم ، فلا بد أن يكون لكل منهما نسبة إلى شيء ما في القياس، وإلا لم يكن القياس منتجاً للمطلوب . فإن وجدت حداً مشتركاً بينهما فقد تم القياس ، وإلا فكذا تفعل مرة بعد أخرى إلى أن ينتهي إلى القياس المنتج للمطلوب بالذات وتتبين لك المقدمات والشكل والنتيجة.فقولهم: التكثير من أسفل إلىفوق أي إلى النتيجة».انتهى.

• ثالثها : التحديد ، أي فعل الحد أي إيراد حد الشيء ، وهو

ما يدل على الشيء دلالة مفصلة بما به قوامه ، بخلاف الرسم فإنه يدل عليه دلالة مجملة ، كذا في (شرح إشراق الحكمة) وفي (شرح التهذيب) كان المراد بالحد المعرف مطلقاً وذلك بأن يقال : إذا أردت تعريف شيء فلا بد أن تضع ذلك الشيء وتطلب جميع ما هو أعم منه وتحمل عليه بواسطة أو بغيرها ، وتميز الذاتيات عن العرضيات بأن تعد ما هو بين الثبوت أو ما يلزم من مجرد ارتفاعه ارتفاع نفس الماهية ذاتياً وما ليس كذلك عرضياً.وتطلب جميع ما هو مساو له فيتميز عندك الجنس من العرض العام والفصل من الخاصة .ثم تركب أي قسم شئت من أقسام المعرف بعد اعتبار الشرائط المذكورة في باب المعرف .

ورابعها : البرهان ، أي الطريق إلى الوقوف على الحق أي اليقين إن كان المطلوب نظرياً ، وإلى الوقوف عليه والعمل به إن كان عملياً ، كأن يقال : إذا أردت الوصول إلى اليقين فلا بد أن تستعمل في الدليل بعد محافظة شرائط صحة الصورة . أما الضروريات الست أو ما يحصل منها بصورة صحيحة وهيئة منتجة وتبالغ في التفحص عن ذلك حتى لا يشتبه بالمشهورات والمسلمات والمشبهات وغيرها بعضها ببعض ، وعد الأنحاء التعليمية بالمقاصد أشبه ، فينبغي أن تذكر في المقاصد.ولذ ترى المتأخرين كصاحب (المطالع) يعدون ما سوى التحديد من مباحث الحجة ولواحق القياس . وأما التحديد فشأنه أن يذكر في مباحث المعرف.كذا في (شرح التهذيب) .

واعلم أنهم إنما اقتصروا على هذه الثمانية لعدم وجدانهم شيئاً آخر يعين في تحصيل الفن ، ومن وجد ذلك فليضمه إليها . وهذا أمر استحساني لا يلزم من تركه فساد على مالا يخفى ، هكذا في (تكملة الحاشية الجلالية).

واعلم أنهم قد يذكرون وجه الحاجة إلى العلم ، ولا شك أنه ههنا بعينه بيان الغرض منه . وقد يذكرون وجه شرف العلم ويقولون : شرف الصناعة إما بشرف موضوعها مثل الصياغة ، فإنها أشرف من الدباغة لأن موضوع الصياغة الذهب والفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة التي هي الجلد . وإما بشرف غرضها مثل صناعة الطب فإنها أشرف من صناعة الكناسة لأن غرض الطب إفادة الصحة وغرض الكناسة تنظيف المستراح . وإما بشدة الحاجة إليها كالفقه فإن الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطب إذ ما من واقعة في الكون إلا وهي مفتقرة إلى الفقه ، إذ به انتظام صلاح الدنيا والدين . بخلاف الطب فإنه يحتاج إليه بعض الناس في بعض الأوقات . والمراد بذلك بيان مرتبة العلم على ما يفهم مما سبق ويؤيده ما قال السيد السند في (شرح المواقف) . وأما مرتبة علم الكلام أي شرفه فقد عرفت أن موضوعه أعم الأمور وأعلاها . . . الخ .

★ ★ ★

الفصل الثامن

في مراتب العلم وشرفه وما يلحق به

وفيه إعلامات

الأول : في شرفه وفضله .

واكتفيت مما ورد فيه من الآيات والأخبار بالقليل لشهرته وقوة الدليل . قال الله تعالى: ﴿ يرفعُ اللهُ الذينَ آمَنُوا منكُم والذينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ .

وقال تعالى: ﴿قلْ هَلْ يَسْتَوِي الذينَ يَعْلَمُونَ والذينَ لايَعْلَمون﴾

وقال تعالى : ﴿شهِدَ اللهُ أَنّهُ لا إلَهَ إلا هُوَ والملائكَةُ وأُولوا العِلْمِ قائِماً بالقِسطِ﴾ . فانظر كيفَ ثلّث بأهل العلم ، وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً وإجلالاً ونبلاً .

وقال : ﴿إنما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلماءُ﴾ .

وقال : ﴿ قل كَفَى باللهِ شَهيداً بَيْني وبَيْنكم ومَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكتاب﴾ .

وقال :﴿قالَ الذي عِنْدَهُ عِلْمٌ منَ الكِتابِ أنَا آتيكَ بهِ ﴾ فيه تنبيه على أنه اقتدر عليه بقوة العلم .

وقال : ﴿ وقالَ الذينَ أُوتُوا العِلْمَ وَيْلَكُم ثَوابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وعَمِلَ صالحاً ﴾ .بين أن عظم قدر الآخرةيعلم بالعلم.

وقال : ﴿وما يعقِلُها إلا العَالِمُون﴾ .

وقال : ﴿لعَلِمَه الذينَ يَستَنْبِطُونَهُ مِنْهم﴾ .

وقال : ﴿ولَقَدْ جِئْنَاهُمْ بكتابٍ فَصّلْناهُ على عِلْمٍ﴾ .

وقال : ﴿فلنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ﴾ .

وقال : ﴿بلْ هُوَ آياتٌ بَيّنَاتٌ في صُدُورِ الذينَ أوتوا العلم﴾.

وقال : ﴿خَلَقَ الإنسانَ عَلّمَهُ البَيَانَ﴾ .إلى غير ذلك .

وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعلموا العلم فإن تَعَلُّمه لله تعالى خشية،وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لايعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبل أهل الجنة ، وهو الأنيس في الوحشة،والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، والتزين عند الأخلاء ، يرفع الله تعالى به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتفى آثارهم ويقتدى بفعالهم ، ترغب الملائكة في خلّتهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامّه ، وسباع البر وأنعامه . لأن العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصابيح الأبصار من الظلم ، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، والتفكر فيه يعدل الصيام ، ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال والحرام،هو إمام والعمل تابعه،

ويلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء ». أورده ابن عبد البر(١) في كتاب (جامع بيان العلم) بإسناده وقال: هو حديث حسن جداً وفي إسناده ضعف. وروي أيضاً من طرق شتّى موقوفاً على معاذ . وقد يقال : الموقوف في مثل هذا كالمرفوع لأن مثله لايقال بالرأي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث ،إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » رواه مسلم .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم ، وإن العالِمَ يستغفر له من في السموات و من في الأرض والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالِمِ على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجة والدارمي .

---

(١) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي ، من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخ أديب بحاثة ، يقال له حافظ المغرب ٣٦٨ - ٤٦٣ هـ = ٩٧٨ - ١٠٧١ م له كتب كثيرة ، والعنوان الكامل لكتابه هذا هو (جامع بيان العلم وفضله) مطبوع .

وعن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه قال : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فضلُ العالِمِ على العابد كفضلي على أدناكم ». ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جُحْرها وحتى الحوت ليصلّون على معلم الخير». رواه الترمذي .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : **قال رسول الله** صلى الله عليه وسلم : « إن الناس لكم تبَع ، وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً ». رواه الترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الكلمة الحكمة ضالة الحكيم فحيث وجدها فهو أحق بها ». رواه الترمذي وقال : غريب . وإبراهيم بن الفضل الراوي يضعف في الحديث، ورواه ابن ماجة . والمراد بالحكمة في هذا الحديث السنة دون الحكمة اليونانية بدليل قوله سبحانه: ﴿ويعلمهمُ الكتابَ والحكمة﴾ وقد سافر أهل الحديث – كثّر الله تعالى سوادهم – في طلبها إلى أقطار الأرض وكانوا أحق بها وأهلها حيث وجدوها بعد الفحص الكثير والبحث الشديد في بلاد شاسعة ومدائن بعيدة ، فجمعوها في دواوين الإسلام. وامتثلوا قوله صلى الله عليه وسلم: «بلغوا عني ولو آية» رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو . فجزاهم الله تعالى عنا وعن جميع المسلمين خير الجزاء .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : « فقيه واحد أشدُّ على الشيطان من ألف عابد ».رواه الترمذي وابن ماجة . والمراد بالفقه في هذا الحديث وغيره فهم الكتاب والسنة دون الفقه المصطلح اليوم .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طلب العلمِ فريضة على كل مسلم ، وواضع العلم عند غير أهله كمقلِّدِ الخنازير الجوهرَ واللؤلؤَ ».رواه ابن ماجة ، ورواه البيهقي في (شُعَبِ الإيمان) إلى قوله « مسلم » وقال: هذا حديث مَتْنُه مشهور وإسناده ضعيف . وقد روي من أوجه كلها ضعيف .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خرجَ في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع ».رواهالترمذي والدارمي.

وعن سخبرة الأزدي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من طلب العلم كان كفارة لما مضى ».رواه الترمذي والدارمي ، وقال الترمذي: هذا حديث ضعيف الإسناد وأبو داود الراوي يضعف .

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن يشبعَ المؤمنُ من خير يسمعه حتى يكونَ منتهاه الجنة ».رواه الترمذي.والمراد بالخير : العلم . وفيه أن زمان الطلب من المهد إلى اللحد ، وأن عاقبة طلب العلم الجنة . وهذه بشارة وأيّ بشارة لمن يعلم أويتعلم . جعلنا الله من أهليه وحشرنا في زمرة ذويه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لايتعلمه إلا ليصيب به عرضاًمن الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة ».—يعني ريحها—رواه أحمد

وأبو داود وابن ماجة . وإذا كان هذا القضاء في حق طالب العلم المحمود فما ظنك بطالب العلم المذموم من علوم اليونان .

وعن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدولُه ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ». رواه البيهقي في كتاب (المدخل) مرسلا .

وعن الحسن مرسَلا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين النبيين درجة واحدة في الجنة » . رواه الدارمي .

اللهم إنك تعلم بطلبي العلمَ من بدء الشعور إلى هذه الغاية وسأطلبه إن شاء الله تعالى إلى آخر العمر والنهاية . وما مرادي به إلا إحياء السنة المطهرة وإماتة البدعة ، وهداية المتعلمين ونصيحة المسلمين ، وإيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين . وأنا سمي خليفة رسولك أبي بكر الصديق رضي الله عنه والدرجة الصديقية تلو الدرجة النبوية ، فصدّقني في هذا الرجاء وأوصلني إلى جنتك برحمتك ياأرحم الراحمين . وقد أحببتُ رسولك وأصحابه وأئمة السلف وأهل الحق من الخلف الذين قالوا بقول رسولك ولم يشركوا ولم يبدّعوا ، فاحشرني معهم واجعلني في جوارهم في دار النعيم ، والمرء مع من أحبّ وإن لم يعمل عمله ولم يجهد جهده في الطاعة . اللهم آمين .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم الرجل الفقيه في الدين — أي العالم بالكتاب والسنة — إن احتيج إليه نفع وإن استغني عنه أغنى نفسه ». رواه رزين .

وعن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من طلب العلم فأدركه كان له كِفْلان من الأجر فإن لم يدركه كان له كِفْل من الأجر » رواه الدارمي .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله عز وجل أوحى إليّ أنه من سلك مسلكاً في طلب العلم سهلت له طريق الجنة ، وفضلٌ في علمٍ خيرٌ من فضلٍ في عبادة ، وملاك الدين الورع ».رواه البيهقي في (شعب الإيمان) .

وعن ابن عباس قال : « تدارسُ العلم ساعة من الليل خير من إحيائه». رواه الدارمي .

وفي حديث ابن عمرو مرفوعاً : «إنما بعثت معلّماً ».رواه الدارمي.

وعن الأعمش مرفوعاً : « آفة العلم النسيان ».رواه الدارمي مرسلاً .

والأخبار والآثار في شرف العلم وفضل العالم والمعلم والمتعلم وطالب العلم كثيرة جداً لايسعها هذا المقام . وقد ألف الحافظ الإمام الحجة هادي الناس إلى المحجة محمد بن أبي بكر القيم(١) كتابه (مفتاح دار السعادة) في مجلدين في فضائل العلم ومايليها ، وهو كتاب نفيس عزيز المقاصد مَنّ الله تعالى به عليّ وأحسن إليّ .

والمراد بالعلم في الأحاديث المذكورة علم الدين والشرع المبين ، وهو

---

(١) هو المشهور بابن قيم الجوزية واسمه : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، شمس الدين ، من أركان الإصلاح الإسلامي وأحد كبار العلماء ، مولده ووفاته بدمشق.له مؤلفات كثيرة جداً . ٦٩١ - ٧٥١ هـ= ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م.

علم الكتاب العزيز والسنة المطهرة لاثالث لهما . وليس المراد بهالعلوم المستحدثة في العالم قديمه وجديده التي اعتنى الناس بها في هذه الأزمان ، وخاضوا فيها خوضاً منعهم عن النظر في علوم الإيمان وأشغلهم عن الاشتغال بمراد الله تعالى ورسوله سيد الإنس والجان ، حتى صار علم القرآن مهجوراً وعلم الحديث مغموراً ،وظهرت صنائع أقوام الكفر والإلحاد ، وسميت بالعلوم والفنون والكمال المستجاد،وهي كل يوم في ازدياد ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

هذا وقد تكفل كتاباي (الحطة بذكر الصحاح الستة) و (الجنة في الأسوة الحسنة بالسنة) ببيان فضيلة علم السنة فإن شئت الزيادة على هذا المقدار فارجع إليهما يزيدانك بصيرة كاملة في هذا الباب والله أعلم بالصواب .

وقال الشافعي : « من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح،ومن رفع عنه حزن» قال الأحنف : « كل عز لم يؤيد بعلم فإلى ذل مصيره » .

ثم إن العلوم مع اشتراكها في الشرف تتفاوت فيه ، فمنه ماهو بحسب الموضوع كالطب فإن موضوعه بدن الإنسان . والتفسير فإن موضوعه كلام الله سبحانه وتعالى ولا خفاء في شرفهما .

ومنه ماهو بحسب الغاية كعلم الأخلاق فإن غايته معرفة الفضائل الانسانية .

ومنه ماهو بحسب الحاجة إليه كالفقه فإن الحاجة إليه ماسة .

ومنه ماهو بحسب وثاقة الحجة كالعلوم الرياضية فإنها برهانية .

ومن العلوم مايقوى شرفه باجتماع هذه العبارات فيه أوأكثرها كالعلم الإلهي فإن موضوعه شريف وغايته فاضلة والحاجة إليه ماسة . وقد يكون أحد العلمين أشرف من الآخرباعتبار ثمرته أو وثاقة دلائله أوغايته . ثم إن شرف الثمرة أولى من شرف قوة الدلالة ، فأشرف العلوم ثمرة العلم بالله سبحانه وتعالى وملائكته ورسله وما يعين عليهفإن ثمرته السعادة الأبدية .

★ ★ ★

الإعلام الثاني

في كون العلم ألذ الأشياء وأنفعها وفيه تعليمات

الأول : في لذته

اعلم أن شرف الشيء إما لذاته أولغيره ، والعلم حائز الشرفين جميعاً لأنه لذيذ في نفسه فيطلب لذاته ، ولذيذ لغيره فيطلب لأجله.

أما الأول: فلا يخفى على أهله أنه لا لذة فوقها لأنها لذة روحانية وهي اللذة المحضة ، وأما اللذة الجسمانية فهي دفع الألم في الحقيقة ، كما أن لذة الأكل دفع ألم الجوع ، ولذة الجماع دفع ألم الامتلاء . بخلاف اللذة الروحانية فإنها ألذ وأشهى من اللذائذ الجسمانية . ولهذا كان الإمام الثاني محمد بن الحسن الشيباني(١) يقول عندما انحلت له مشكلات العلوم : « أين أبناء الملوك من هذه اللذة » سيما إذا كانت الفكرة في حقائق الملكوت وأسرار اللاهوت ، ومن لذته التابعة لعزته أنه لايقبل العزل والنصب مع دوامه لامزاحمة فيه لأحد ، لأن المعلومات متسعة مزيدة بكثرة الشركاء.

---

(١) هو محمد بن الحسن بن فرقد ، من موالي بني شيبان ، إمام بالفقه والأصول وهو الذي نشر علم أبي حنيفة ولذا نعت بالإمام الثاني ، أصله من قرية حرستة في غوطة دمشق وولد بواسط ونشأ بالكوفة ، ولي القضاء للرشيد في الرقة ، مات في الري.له مؤلفات كثيرة : ١٣١ - ١٨٩ هـ = ٧٤٨ - ٨٠٤ م .

ومع هذا لاترى أحداً من الولاة الجهال إلايتمنون أن يكون عزهم كعز أهل العلم ، إلا أن الموانع البهيمية تمنع عن نيله .

وأما اللذائذ الحاصلة لغيره :أما في الأخرى فلكونه وسيلة إلى أعظم اللذائذ الأخروية والسعادة الأبدية ، ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ، ولايتوصل إلى العمل أيضاً إلا بالعلم بكيفية العمل . فأصل سعادة الدارين هو العلم فهو إذاً أفضل الأعمال . وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع فإنك ترى أغبياء الترك وأجلاف العرب وأراذل العجم يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة . بل البهيمة تجدها توقر الإنسان بطبعها لشعورها بتمييز الإنسان بكل مجاوز لدرجتها حتى إنها تنزجر بزجره وإن كانت قوتها أضعاف قوة الإنسان .

* * *

التعليم الثاني ، في نفعه :

اعلم أن السعادة منحصرة في قسمين ، جلب المنافع ودفع المضار . وكل منهما دنيوي وديني . فالاقسام أربعة :

الأول : هو ماينجلب بالعلم من المنافع الدينية.وهوخفي وخلقي ، أشار إلى نفعه الأول قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق :«فإن تعلمه لله خشية...»إلى آخره. وإلى نفعه الثاني قوله صلى الله عليه وآله وسلم « وتعليمه لمن لايعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة» .

الثاني : وهو ماينجلب بالعلم من المنافع الدنيوية ، وهو وجداني ، وذوقي ، وجاهي رتبي . والوجداني إما راحة أو استيلاء ، والراحة إما

من مشقة وجود ظاهر للنفس أو من فقد سارٍّ لها بالأنس . وكل منهما إما خارجي وإما ذاتي . فالراحة أربعة أقسام .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «وهو الأنيس في الوحشة» إشارة إلى الأول لأنه يريح بأنسه من كل قلق واضطراب .

وقوله : « والصاحب في الغربة » إشارة إلى الثاني لأنه يقر من الغريب عينه ويريحه من كمود النفس من الحزن وانكسارها لفقد سرور الأهل والوطن .

وقوله : « والمحدث في الخلوة » إشارة إلى الثالث ، لأن العلم يريح المنفرد عن الناس بتحديثه من انقباض الفهم وخموده، وهو ألم ذاتي لأهل الكمال . وهذا هو السر في استلذاذ المسامرة والمنادمة .

وقوله : « الدليل على السراء والضراء » أي في الماضي والآتي إشارة إلى الرابع الذي هو فقدُ سارٍّ ذاتي ، أي أن العلوم تقوم مقام الرأي السديد إذا استبشر، إذ هو دال لصاحبه على السراء وأسبابها وعلى الضراء وموجباتها. فالحيرة وجهل عواقب الأمور مؤلم للنفس لفقد نور البصيرة ، فالعلم يريح من تلك الهموم والأحزان .

والاستيلاء قسمان :

أحدهما : استيلاء يمحق الشر ويدفع الضر وإليه أشار قوله : « والسلاح على الأعداء » فبالعلم يزهق الباطل وتندفع الشبهة والجهالة . قيل لبعض المناظرين : فيم لذتك ؟ فقال : في حجة تتبختر إيضاحاً، وشبهة تتضاءل افتضاحاً .

وثانيهما : استيلاء يجلب الخير ويذهب الضر، وإليه أشار قوله :

« والزين عند الأخلاّء » أي أن العلم جمال وحسن وكمال يجذب القلوب من الأخلاّء كما قيل :

العلمُ زَيْنٌ وكَنْزٌ لا نَفَادَ لَهُ
نِعْمَ القرينُ إذا ما عَاقِلاً صَحِبا

القسم الثاني : مايجلبه العلم من الوجاهة والرتبة ، وهي إما عند الله سبحانه وتعالى ، وإما عند الملإ الأعلى ، وإما عند الملإ الأسفل .

الأول : أشار إليه قوله : « يرفع الله سبحانه وتعالى به أقواماً » أي يعلي مقامهم ورتبتهم فيجعلهم في الخير قادة وأئمة،أي شرفاء الناس وسادتهم ، والقادة جمع قائد وهو الذي يجذب إلى الخير إما مع الإلزام كالقاضي والوالي اللذين إلزامهما على الظاهر وكالخطيب والواعظ اللذين إلزامهما على الباطن ،وكالأئمة الذين بعلمهم يهتدى وبحالهم يقتدى .

والثاني : أشار إليه قوله : « ترغب الملائكة في خلتهم » أي لهم من المنزلة والمكانة في قلوبهم مااستولى على غيوب بواطنهم فرغبوا في محبتهم وأنسوا بملازمتهم وما استولى على ظواهرهم فيتبركون بمسحهم .

والثالث : أشار إليه قوله صلى الله عليه وسلم : « يستغفر لهم كل رطب ويابس » فشمل الناطق والنافس . قيل : سبب استغفار هؤلاء رجوع أحكامهم إليه في صدهم وقتلهم وحلهم وحرمتهم .

القسم الثالث : مايندفع بالعلم من المضار الدنيوية وهو أيضاً نوعان :

الأول : جلب المصالح والمقاصد ودفع المعائب والمفاسد ، وإليه

أشار قوله صلى الله عليه وسلم « به توصل الأرحام » أي بالعلم توصل الأرحام بين الأنام ،وتدفع مضرة القطيعة وحقدهم وحسدهم ومحاربتهم.

والثاني : مضرة اجتلاب المفاسد برفض القانون الشرعي العاصم من كل ضلال ،وإليه أشار قوله صلى الله عليه وسلم : «وبه يعرف الحلال والحرام» أي بالعلم يتبين أحدهما من الآخر ، وهو أساس جميع الخيرات . فتأمل في بيان منافع العلم وكيفية جوامع الكلم ، وأكثر الصلاة على صاحبه عليه الصلاة والسلام .

★ ★ ★

الإعلام الثالث

في دفع مايتوهم من الضرر في العلم وسبب كونه مذموماً

اعلم : أنه لاشيء من العلم من حيث هو علم بضار ، ولا شيء من الجهل من حيث هو جهل بنافع .لأن في كل علم منفعة ما في أمر المعاد أو المعاش أو الكمال الإنساني ، وإنما يتوهم في بعض العلوم أنه ضار أو غير نافع لعدم اعتبار الشروط التي تجب مراعاتها في العلم والعلماء ، فإن لكل علم حداً لا يتجاوزه .

فمن الوجوه المغلطة أن يظن بالعلم فوق غايته كما يظن بالطب أنه يبرىء من جميع الأمراض ، وليس كذلك فإن منها مالا يبرأ بالمعالجة .

ومنها أن يظن بالعلم فوق مرتبته في الشرف ، كما يظن بالفقه أنه أشرف العلوم على الإطلاق ، وليس كذلك فإن علم التوحيد أشرف منه قطعاً .

ومنها أن يقصد بالعلم غير غايته كمن يتعلم علماً للمال أو الجاه ، فالعلوم ليس الغرض منها الاكتساب بل الاطلاع على الحقائق وتهذيب الأخلاق . على أنه من تعلم علماً للاحتراف لم يأت عالماً إنما جاء شبيهاً بالعلماء . ولقد كوشف علماء ماوراء النهر بهذا ونطقوا به لما بلغهم

بناء المدارس ببغداد أقاموا مأتم العلم وقالوا : كان يشتغل به أرباب الهمم العلية والأنفس الزكية الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به فيأتون علماء ينتفع بهم وبعلمهم، وإذا صار عليه أجرة تدانى إليه الأخساء وأرباب الكسل فيكون سبباً لارتفاعه ، ومن ههنا هجرت علوم الحكمة وإن كانت شريفة لذاتها .

ومنها أن يمتهن العلم بابتذاله إلى غير أهله ، كما اتفق في علم الطب فإنه كان في الزمن القديم حكمة موروثة عن النبوة فصار مهاناً لما تعاطاه اليهود فلم يشرفوا به بل زال العلم بهم. وما أحسن قول أفلاطون: « إن الفضيلة تستحيل في النفس الردية رذيلة كما يستحيل الغذاء الصالح في بدن السقيم إلى الفساد ».ومن هذا القبيل الحال في علم أحكام النجوم فإنه لم يكن يتعاطاه إلا العلماء به للملوك ونحوهم ، فرذل حتى صار لايتعاطاه غالباً إلا جاهل يروّج أكاذيبه .

ومنها أن يكون العلم عزيز المنال رفيع المرقى قلما يتحصل غايته ويتعاطاه من ليس من أهله لينال بتمويهه عرضاً ، كما اتفق في علوم الكيمياء والسيمياء والسحر والطلسمات . والعجب ممن يقبل دعوى من يدعي علماً من هذه العلوم فإن الفطرة قاضية بأن من يطلع على ذبابة من أسرار هذه العلوم يكتمها عن والده وولده .

ومنها ذم جاهل متعالم لجهله إياه ، فإن من جهل شيئاً أنكره وعاداه كما قيل : المرء عدو لما جهله .أو ذم جاهل متعالم لتعصبه على أهله بسبب من الأسباب ، فإنك تسمعهم يقولون بتحريم المنطق مع كونه ميزان العلوم ، وتحريم الفلسفة مع أنها عبارة عن معرفة حقائق الأشياء وليس فيها ماينافي الشرع المبين والدين المتين غير المسائل اليسيرة التي

أوردها أصحاب « التهافت » وليس في كتب الحنفية القول بتحريم المنطق غير الأشباه، فإن كان صاحبه رآه كان المناسب أن ينقل. وأما مافي كتب الشافعية من التصريح به ، فمن قبيل سد الذرائع وصرف الطبائع إلى علوم الشرائع . ولعل المراد من منع الأئمة عن تعليم بعض العلوم وتعلمه تخليص أصحاب العقول القاصرة من تضييع العمر وتوزيبه بلا فائدة فإن في تعليم أمثاله ليس له عائدة ، وإلا فالعلم إن كان مذموماً في نفسه على زعمهم فإنه لايخلو تحصيله عن فائدة أقلها ردُّ القائلين به. قال الغزالي في (الإحياء) : « إن العلم لايذم لعينه وإنما يذم في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة .

الأول : أن يكون مؤدّياً إلى ضررٍ ما إما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق إذ شهد القرآن له .

الثاني : أن يكون مضرّاً لصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم .

الثالث : الخوض في علم لا يستقل الخائض فيه فإنه مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وخفيها قبل جليها، وكالبحث عن الأسرار الإلهية » إلى آخر ما قال وأطال في بيان هذه الأسباب الثلاثة فإن شئت الزيادة فارجع إليه فإنه ينفعك نفعاً عظيماً .

★ ★ ★

الإعلام الرابع

في مراتب العلوم من التعليم

ولا يخفى أنه يقدم الأهم فالأهم فيه ، والوسيلة مقدمة على المقصد ، كما أنّ المباحث اللفظية مقدمة على المباحث المعنوية ، لأن الألفاظ وسيلة إلى المعاني . ويقدم الأدب على المنطق ثم هما على أصول الفقه . ثم هو على الخلاف . والتحقيق أن تقديم العلم على العلم لثلاثة أمور :

إما لكونه أهم منه ، كتقديم فرض العين على فرض الكفاية ، وهو على المندوب إليه ، وهو على المباح .

وإما لكونه وسيلة إليه كما سبق ، فيقدم النحو على المنطق .

وإما لكون موضوعه جزءاً من موضوع العلم الآخر والجزء مقدم على الكل ، فيقدم الصرف على النحو .

وربما يقدم علم على علم لا لشيء منها بل لفرض التمرين على إدراك المعقولات ، كما أن طائفة من القدماء قدموا تعليم علم الحساب. وكثيراً ما يقدم الأهون فالأهون ، ولذا قدم المصنفون في كتبهم النحو على الصرف ، ولعلهم راعوا في ذلك أن الحاجة إلى النحو أمسُّ .

ثم إنه تختلف فروض الكفاية في التأكد وعدمه بحسب خلو الأعصار

والأمصار من العلماء ، فَرُبَّ مصر لا يوجد فيه من يقسم الفريضة إلا واحد أو اثنان ويوجد فيه عشرون فقيهاً فيكون تعلم الحساب فيه آكد من أصول الفقه .

واعلم أن الواجب علمه هو فرض عين وهو كل ما أوجبه الشرع على الشخص في خاصة نفسه ، وما أوجبه على المجموع ليعملوا به لو قام به واحد لسقط عن الباقين ويسمى فرض كفاية. والعلوم التي هي فروض كفاية على المشهور كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمر الدينا وقانون الشرع كفهم الكتاب والسنة وحفظهما من التحريفات ، ومعرفة الاعتقاد بإقامة البرهان عليه ، وإزالة الشبهة ، ومعرفة الأوقات والفرائض والأحكام الفرعية ، وحفظ الأبدان والأخلاق والسياسة ، وكل ما يتوصل به إلى شيء من هذه كعلم اللغة والتصريف والنحو والمعاني والبيان ، وكالمنطق وتسيير الكواكب ومعرفة الأنساب والحساب إلى غير ذلك من العلوم التي هي وسائل إلى هذه المقاصد . وتفاوت درجاتها في التأكيد بحسب الحاجة إليها .

وفي هذا الباب كتاب (أدب الطلب) لشيخنا العلامة المجتهد محمد بن علي الشوكاني – رحمه الله – أبان فيه طريق التعلم والتدرج فيه ، وهو كتاب لم يؤلف قبله مثله وانه نفيس جداً .

★ ★ ★

الإعلام الخامس

في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار (١) الإسلامية في طرقه

«اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث ، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبتني عليه ما يحصل بعد من الملكات . وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده ، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات ، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما يبتني عليه .

واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات .

فأما أهل المغرب : فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله ، واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه ، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة. وهذا

(١) انظر هذا الفصل في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٣٥٩ — ١٣٦٣ تحقيق علي عبد الواحد وافي ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ م .

مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أمم المغرب في ولدانهم إلى أن يجاوزوا حدّ البلوغ إلى الشبيبة . وكذا في الكبير إذا راجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره . فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم .

وأما أهل الأندلس : فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو ، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم . إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسُّه ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلاً في التعليم ، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذ هم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب ، ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما وبرز في الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة لو كان فيها سند لتعليم العلوم ولكنهم ينقطعون عند ذلك لانقطاع سند التعليم في آفاقهم، ولا يحصل بأيديهم إلا ما حصل من ذلك التعليم الأول وفيه كفاية لمن أرشده الله تعالى واستعداد إذا وجد المعلم .

وأما أهل إفريقية : فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ، ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها. إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه ، وعنايتهم بالخط تبع لذلك . وبالجملة فطريقتهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس لأن سند طريقتهم في

ذلك متصل بمشيخة الأندلس الذين أجازوا عند تغلب النصارى على شرق الأندلس واستقروا بتونس وعنهم أخذ ولدانهم بعد ذلك

وأما أهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا ، ولا أدري بم عنايتهم منها . والذي ينقل لنا أن عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة ولا يخلطون بتعليم الخط بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده كما تتعلم سائر الصنائع ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان . وإذا كتبوا لهم الألواح فبخط قاصر عن الإجادة . ومن أراد تعلم الخط فعلى قدر ما يسنح له بعد ذلك من الهمة في طلبه ويبتغيه من أهل صنعته .

فأما أهل إفريقية والمغرب فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة اللسان جملة ، وذلك أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما أن البشر مصروفون عن الاتيان بمثله فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه والاحتذاء بها ، وليس لهم ملكة في غير أساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي وحظه الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام . وربما كان أهل إفريقية في ذلك أخف من أهل المغرب لما يخلطون في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم في قوانينها كما قلناه ، فيقتدرون على شيء من التصرف ومحاذاة المثل بالمثل إلا أن ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لما أن أكثر محفوظهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة كما سيأتي في موضعه . وأما أهل الأندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي وقصروا في سائر العلوم لبعدهم عن مدارسة القرآن والحديث الذي هو أصل العلوم وأساسها ، فكانوا

لذلك أهل حظ وأدب بارع أو مقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا.ولقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي(١) في كتاب (رحلته) إلى طريقة غريبة في وجه التعليم وأعاد في ذلك وأبدأ،وقدم تعليم العربية والشعر علىسائر العلوم كما هو مذهبأهل الأندلس قال : لأن الشعر ديوان العرب . ويدعو إلى تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة ثم ينتقل منه إلى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى القوانين ثم ينتقل إلى درس القرآن فإنه يتيسر عليه بهذه المقدمة . ثم قال : « ويا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أول أمره يقرأ مالا يفهم وينصب في أمر غيره أهم عليه ».قال : « ثم ينظر في أصول الدين ثم أصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلومه ».ونهى مع ذلك أن يخلط في التعليم علمان إلا أن يكون المتعلم قابلاً لذلك بجودة الفهم والنشاط .

هذا ما أشار إليه القاضي أبو بكر رحمه الله وهو لعمري مذهب حسن ، إلا أن العوائد لا تساعد عليه وهي أملك بالأحوال ، ووجه ما اختصت به العوائد من تقدم دراسة القرآنإيثاراً للتبرك والثواب وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم فيفوته القرآن ، لأنه ما دام في الحجر منقاد للحكم ، فإذا تجاوز البلوغ وانحل من ربقة القهر فربما عصفت به رياح الشبيبة فألقته بساحل البطالة ،

(١) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، ابن العربي ، قاض من حفاظ الحديث ولد في اشبيلية ورحل إلى المشرق ، بلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين ، وبرع في الأدب . له مصنفات كثيرة في الحديث والفقه والأصول والأدب والتاريخ ، وهو غير محيي الدين ابن العربي: ٤٦٨ – ٥٤٣ هـ = ١٠٧٦ – ١١٤٨ م .

فيغتنمون في زمان الحجر وربقة الحكم تحصيل القرآن لئلا يذهب خلواً منه . ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم وقبوله التعليم لكان هذاالمذهب الذي ذكره القاضي أولى مما أخذ به أهل المغرب والمشرق، ولكن اللهتعالى يحكم ما يشاء لا معقب لحكمه»(١).وهو أحكم الحاكمين،

★ ★ ★

(١) آخر كلام ابن خلدون في صفحة ١٣٦٣ .

الإعلام السادس

في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم(١)

وذلك أن إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الوُلْدِ لأنه من سوء الملكة . ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمله على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقا ، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله ، وصار عيالاً على غيره في ذلك ، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها ، فارتكس وعاد في أسفل السافلين . وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف.واعتبره في كل من يملك أمره عليه . ولا تكون الملكة الكافلة له رفيقة به ، وتجد ذلك فيهم استقراء وانظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء ، حتى إنهم يوصفون في كل أفق وعصر بالحرج ومعناه في الاصطلاح المشهور : التخابث والكيد ، وسببه ما قلناه . فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبدوا عليهم في التأديب .

وقد قال محمد بن أبي زيد في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين

(١) الفصل في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٣٦٣ – ١٣٦٤ .

والمتعلمين : « لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئاً » ومن كلام عمر رضي الله عنه : « من لم يؤدبه الشرع لا أدّبه الله » حرصاً على صون النفوس عن مذلة التأديب وعلماً بأن المقدار الذي عينه الشرع لذلك أملك له ، فإنه أعلم بمصلحته .

ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين فقال : « ياأحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين . أقرئه القرآن ، وعرّفه الأخبار ، وروّه الأشعار وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القوّاد إذا حضروا مجلسه ، ولا تمرّن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها ، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة » (١)والله أعلم .

★ ★ ★

---

(١) آخر كلام ابن خلدون .

الإعلام السابع

في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته(١)

«اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً، ويلقي عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم، إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله. ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته. ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصاً ولا مبهماً ولا مغلقاً إلا وضّحه وفتح له مقفله، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته.

هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات، وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه. وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم وإفادته، ويحضرون المتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من

---

(١) الفصل في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٣٥٣ — ١٣٥٨

العلم ، ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ، ويحسبون ذلك مراناً على التعليم وصواباً فيه ، ويكلفونه وعي ذلك وتحصيله ، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها وقبل أن يستعد لفهمها ، فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجاً ، ويكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا في الأقل ، وعلى سبيل التقريب والإجمال وبالأمثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ويحيط بمسائل الفن . وإذا ألقيت عليه الغايات في البدايات ، وهو حينئذٍ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له ، كَلّ ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه ، وإنما أتى ذلك من سوء التعليم .

ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكب على التعليم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئاً كان أو منتهياً ، ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى آخره ويحصل أغراضه ويستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره ، لأن المتعلم إذا حصل له ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي ، وحصل له نشاط في طلب المزيد والنهوض إلى ما فوق حتى يستولي على غايات العلم ؛ وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم وأدركه الكلال وانطمس فكره ويئس من التحصيل وهجر العلم والتعليم والله يهدي من يشاء .

وكذلك ينبغي لك أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها ، لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن

بعضها من بعض ،فيعسر حصول الملكة بتفريقها . وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة مجانبة للنسيان كانت الملكة أيسر حصولاً وأحكم ارتباطاً وأقرب صبغة ، لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره . وإذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه والله علمكم مالم تكونوا تعلمون .

ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة على المتعلم عدم جمع العلمين معاً فإنه قل أن يظفر بواحد منهما ، لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر فيستغلقان معاً ويستصعبان ويعود منهما بالخيبة . وإذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصراً عليه فربما كان ذلك أجدر بتحصيله والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب .

* * *

قف : اعلم أيها المتعلم أني أتحفك بفائدة في تعلمك ، فإن تلقيتها بالقبول وأمسكتها بيد الصناعة ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفة . وأقدم لك مقدمة تعينك في فهمها ، وذلك أن الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته ، وهو وجدان حركة للنفس في البطن الأوسط من الدماغ ، تارة يكون مبدأ للأفعال الإنسانية على نظام وترتيب ، وتارة يكون مبدأ لعلم مالم يكن حاصلاً بأن يتوجه إلى المطلوب وقد تصور طرفيه ويروم نفيه أو إثباته ، فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما أسرع من لمح البصر إن كان واحداً ، وينتقل إلى تحصيل آخر إن كان متعدداً ، ويصير إلى الظفر بمطلوبه. هذا شأن هذه الطبيعة الفكرية التي تميز بها البشر من بين سائر الحيوانات .

ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفه ليعلم سداده من خطئه،لأنها وإن كان الصواب لها ذاتياً إلا أنه

قد يعرض لها الخطأ في الأقل من تصور الطرفين على غير صورتهما من اشتباه الهيئات في نظم القضايا وترتيبها للنتاج ، فتعين المنطق للتخلص من ورطة هذا الفساد إذا عرض . فالمنطق إذاً أمرٌ صناعي مساوق للطبيعة الفكرية ومنطبق على صورة فعلها . ولكونه أمراً صناعياً استغني عنه في الأكثر ، ولذلك تجد كثيراً من فحول النظار في الخليقة يحصلون على المطالب في العلوم دون صناعة المنطق ، ولا سيما مع صدق النية والتعرض لرحمة الله فإن ذلك أعظم معنى ، ويسلكون بالطبيعة الفكرية على سدادها فيفضي بالطبع إلى حصول الوسط والعلم بالمطلوب كما فطرها الله عليه .

ثم من دون هذا الأمر الصناعي الذي هو المنطق مقدمة أخرى من التعلم ، وهي معرفة الألفاظ ودلالتها على المعاني الذهنية تردّها من مشافهة الرسوم بالكتاب ومشافهة اللسان بالخطاب . فلا بد أيها المتعلم من مجاوزتك هذه الحجب كلها إلى الفكر في مطلوبك . فأولاً دلالة الكتابة المرسومة على الألفاظ المقولة وهي أخفها . ثم دلالة الألفاظ المقولة على المعاني المطلوبة . ثم القوانين في ترتيب المعاني الاستدلال في قوالبها المعروفة في صناعة المنطق . ثم تلك المعاني مجردة في الفكر أشراكاً يقتنص بها المطلوب بالطبيعة الفكرية بالتعرض لرحمة الله ومواهبه.

وليس كل أحد يتجاوز هذه المراتب بسرعة ولا يقطع هذه الحجب في التعليم بسهولة ، بل ربما وقف الذهن في حجب الألفاظ بالمناقشات أو عثر في أشراك الأدلة بشغب الجدال والشبهات ، وقعد عن تحصيل المطلوب ولم يكد يتخلص من تلك الغمرة إلا قليل ممن هداه الله . فإذا ابتليت بمثل ذلك وعرض لك ارتباك في فهمك أو تشغيب

بالشبهات في ذهنك فاطرح ذلك وانتبذ حجب الألفاظ وعوائق الشبهات ، واترك الأمر الصناعي جملة ، واخلص إلى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه ، وسرّح نظرك فيه ، وفرغ ذهنك له للغوص على مرامك منه واضعاً لها حيث وضعها أكابر النظار قبلك ، مستعرضاً للفتح من الله كما فتح عليهم من ذهنهم من رحمته وعلّمهم ما لم يكونوا يعلمون . فإذا فعلت ذلك أشرقت عليك أنوار الفتح من الله بالظفر بمطلوبك ،وحصل الإلهام الوسط الذي جعله الله من مقتضيات ذاتيات هذا الفكر وفطره عليه كما قلنا ؛ فارجع به إلى قوالب الأدلة وصورها فأفرغه فيها ووفه حقه من القانون الصناعي ،ثم اكْسُهُ صور الألفاظ وأبرزه إلى عالم الخطاب والمشافهة وثيق العرى صحيح البنيان .

وأما إن وقفت عند المناقشة والشبهة في الأدلة الصناعية وتمحيص صوابها من خطئها — وهذه أمور صناعية وضعية تستوي جهاتها المتعددة وتتشابه لأجل الوضع والاصطلاح — فلا تتميز جهة الحق منها ، إذ جهة الحق إنما تستبين إذا كانت بالطبع ، فيستمر ما حصل من الشك والارتياب وتسدل الحجب على المطلوب ، وتقعد بالناظر عن تحصيله ، وهذا شأن الأكثرين من النظار والمتأخرين سيما من سبقت له عجمة في لسانه فربطت عن ذهنه . ومن حصل له شغف بالقانون المنطقي تعصب له فاعتقد أنه الذريعة إلى إدراك الحق بالطبع ، فيقع في الحيرة بين شبه الأدلة وشكوكها.ولا يكاد يخلص منها . والذريعة إلى درك الحق بالطبع إنما هو الفكر الطبيعي كما قلناه إذا جرّد عن جميع الأوهام وتعرض الناظر فيه إلى رحمة الله تعالى . وأما المنطق فإنما هو واصف لفعل هذا الفكر فيساوقه لذلك في الأكثر . فاعتبر ذلك واستمطر رحمة

الله تعالى متى أعوزك فهم المسائل تشرق عليك أنواره بالإلهام إلى الصواب ، والله الهادي إلى رحمته ، وما العلم إلا من عند الله تعالى»(١) .

قف : «(٢)اعلم أن العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين :

علوم مقصودة بالذات ، كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام ، وكالطبيعيات والإلهيات من الفلسفة.

وعلوم هي آلية وسيلة لهذه العلوم ، كالعربية والحساب وغيرهما للشرعيات ، وكالمنطق للفلسفة ، وربما كان آلة لعلم الكلام ولأصول الفقه على طريقة المتأخرين .

فأما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفريع المسائل واستكشاف الأدلة والأنظار . فإن ذلك يزيد طالبها تمكناً في ملكته وإيضاحاً لمعانيها المقصودة .

وأما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق وأمثالهما فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط ، ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل ، لأن ذلك مخرج لها عن المقصود، إذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير ، فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بها لغواً مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها . وربما يكون ذلك عائقاً عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها، مع أن شأنها أهم ، والعمر يقصر عن

---

(١) انتهى كلام ابن خلدون .

(٢) جاء هذا الكلام من هنا في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٣٥٨ تحت عنوان « فصل في أن العلوم الآلية لا توسع فيها الأنظار ولا تفرع المسائل » .

تحصيل الجميع على هذه الصورة . فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضييعاً للعمر وشغلاً بما لا يعني . وهذا كما فعل المتأخرون في صناعة النحو وصناعة المنطق وأصول الفقه ، لأنهم أوسعوا دائرة الكلام فيها ، وأكثروا من التفاريع والاستدلالات بما أخرجها عن كونها آلة وصيرها من المقاصد ، وربما يقع فيها أنظار لا حاجة بها في العلوم المقصودة ، فهي من نوع اللغو ، وهي أيضاً مضرة بالمتعلمين على الإطلاق لأن المتعلمين اهتمامهم بالعلوم المقصودة أكثر من اهتمامهم بوسائلها . فإذا قطعوا العمر في تحصيل الوسائل فمتى يظفرون بالمقاصد ، فلهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الآلية أن لا يستبحروا في شأنها وينبهوا المتعلم على الغرض منها ويقفوا به عنده ، فمن نزعت به همته بعد ذلك إلى شيء من التوغل فليرق له ما شاء من المراقي صعباً أو سهلاً ، وكل ميسر لما خلق له »(١) .

★ ★ ★

(١) آخر كلام ابن خلدون في صفحة ١٣٥٩ .

الإعلام الثامن

في آداب المتعلم والمعلم

أما المتعلم فآدابه ووظائفه كثيرة ، ولكن ينظم تفاريقها عشر جمل :

الأولى: تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف ، إذ العلم عبادة القلب وصلاح السر وقربة الباطن إلى الله تعالى . فلا تصح هذه العبادة إلا بعد طهارة القلب عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف .

الثانية : أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن . فإن العلائق شاغلة وصارفة ، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه. ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ، ولذلك قيل : العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ، فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه إياك بعضه على خطر . والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ الزرع .

الثالثة : أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم بل يلقي إليه

زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق ، وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته .

الرابعة : أن يحترز الخائض في العلم في مبدأ الأمر عن الإصغاء إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة ، فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه من الإدراك والاطلاع .بل ينبغي أن يتقن أولاً الطريقة الحميدة الواحدة المرضية عند أستاذه ،ثم بعدذلك يصغي إلى المذاهب والشبه وإن لم يكن أستاذه مستقلاً باختيار رأي واحد وإنما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها ، فليحترز منه فإن إضلاله أكثر من إرشاده ، فلا يصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم ، ومن هذا حاله بعدُ في عمى الحيرة وشبه الجهل .

الخامسة : أن لا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودة ولا نوعاً من أنواعها إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته ، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية . فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض . ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله ، فإن الناس أعداء ما جهلوا . قال تعالى : ﴿وإذْ لَمْ يَهتَدُوا بِهِ فَسَيَقولونَ هَذَا إفْكٌ قَدِيم﴾ .

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعاً من الإعانة ، ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود ،

والقوامون بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور ، ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى .

السادسة: أن لا يأخذ في فن من فنون العلم دفعة ، بل يراعي الترتيب ويبتدىء بالأهم . فإن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشمّه ، ويصرف جمام قوته في الميسور من علمه إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة ، ولست أعني به الاعتقاد الذي يتلقنه العامي وراثة أو تلقفاً ، ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة فيه عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم ، بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي إلى رتبة إيمان الصديق رضي الله عنه الذي لو وزن بإيمان العالمين لرجح .

السابعة : أن لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله . فإن العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طرُق إلى بعض ، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج(١) . وليكن قصده في كل علم يتحراه الترقي إلى ما هو فوقه . وينبغي أن يعرف الشيء في نفسه فلا كل علم يستقل بالإحاطة به كل شخص ، ولذلك قال علي رضي الله عنه : « لا تَعْرِفْ الحقّ بالرجال.اعرِف الحقّ تعرف أهْلَه » .

---

(١) بإزائه في هامش الأصل تعليق صورته : « وهذا الترتيب قد بينه الإمام العلامة محمد بن علي الشوكاني في كتابه (أدب الطلب ومنتهى الأرب) والشاه ولي الله المحدث الدهلوي في وصاياه وقد لخصت الكتاب الأول وسميته (طلب الأدب من أدب الطلب) وطبع بمصر بهوبال المحروسة فإن شئت الاطلاع عليه فارجع إليه » « ١٣ مولوي محمد عبد الصمد بشاوري سلمه الله تعالى » .

الثامنة : أن يعرف السبب الذي به يدرك شرف العلوم ، وأن ذلك يراد به شيئان ، أحدهما : شرف الثمرة . والثاني :وثاقة الدليل وقوته، وذلك كعلم الدين وعلم الطب .

التاسعة : أن يكون قصد المتعلم في الحال تخلية باطنه وتحميله بالفضيلة ، وفي الحال القرب من الله سبحانه والترقي إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين . ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومجاراة السفهاء ومباهاة الأقران . وإذا كان هذا مقصده طلب ـ لا محالة ـ الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة . ومع هذا فلا ينبغي أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم كالنحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك .

العاشرة : أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد ، كما يؤثر القريب الرفيع على البعيد الوضيع والمهم على غيره . ومعنى المهم ما يهمك ، ولا يهمك إلا شأنك في الدنيا والآخرة . وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له نور البصائر ما يجري مجرى العيان فالأهم ما يبقى أبد الآباد ، وعند ذلك تصير الدنيا منزلاً والبدن مركباً والأعمال سعياً إلى المقصد ولا مقصد إلا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله،وإن كان لايعرف في هذا العالم قدره إلا الأقلون .

وأما وظائف المعلم المرشد :

فالأولى : الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه ، ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين . ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم ، وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة ، كما أن الوالد سبب الوجود الحاضر الفاني . والمراد معلم علوم

الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا . فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه .

الثانية : أن يقتدي بصاحب الشرع فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ولا يقصد به جزاء ولا شكراً ، بل يعلّم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه ، ولا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة لهم ، بل يرى الفضل لهم وثوابه في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ، ولولا التعلم ماثبت هذا الثواب فلا يطلب الأجر إلا من الله تعالى .

الثالثة : أن لا يدع من نصح المتعلم شيئاً ، وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها، والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي. ثم ينبهه على أن يطلب العلوم للقرب إلى الله دون الرئاسة والمباهاة والمنافسة، ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده . فإن علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذي يطلبه فإن كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوي في الخصومات والأحكام فيمنعه من ذلك ، فإن هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها : تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم إلا أن يكون لله . وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها ، فإذا تعلم الطالب وقَصْدُه الدنيا فلا بأس أن يتركه .

الرابعة : وهي من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ماأمكن ولا يصرح ، وبطريق الرحمة لا

بطريق التوبيخ ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الإصرار .

الخامسة : أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي ألا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة ، إذ عادته تقبيح علم الفقه ، ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير، وأن ذلك نقل محض وسماع بحت وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول: ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن . فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تجتنب ، بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعليم في غيره ، وإن كان متكفلا بعلوم فينبغي أن يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة .

السادسة : أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، ولا يلقي اليه مالا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله كما قيل : كَلِّموا الناس على قدر عقولهم . وأشار علي عليه السلام إلى صدره «إن ههنا لعلوماً جَمَّة لو وَجَدَتْ لها حَمَلَةً » .

السابعة : أن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى اليه الجلي اللائق به ، ولايذكر له أن وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه ، فإن ذلك يفتر رغبته في الجلي ، ويشوش عليه قلبه ، ويوهم إليه البخل به عنه ، إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق ، فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله ، وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله .

الثامنة : أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله، لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار ، وأرباب الأبصار أكثر ، فإذا

خالف العملُ العلمَ منع الرشد . وكل من تناول شيئاً وقال للناس : لاتتناولوه فإنه سم مهلك ، سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم عليه فيقولون : لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به .

هذا خلاصة مافي (الإحياء) وقد أطال في تقرير كل أدب ووظيفة من هذه الآداب والوظائف إطالة حسنة . وعقد الباب السادس من كتاب (العلم) في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء. والله تعالى اعلم بالصواب .

وللشيخ العالم برهان الإسلام الزرنوجي(١) تلميذ صاحب(الهداية)(٢) كتاب سماه (تعليم المتعلم طريق التعلم) وجعله فصولاً قال فيه : « إنه لايفترض على كل مسلم طلب كل علم ، وإنما يفترض عليه طلب علم الحال ، أي علم مايقع له في حاله من الصلاة والزكاة والصوم والحج .ولابد له من النية في زمان تعلم العلم لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات» وينوي بطلب العلم رضاء الله تعالى والدار الآخرة وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال ، واحياء الدين وإبقاء الإسلام ، فإن بقاء الاسلام بالعلم. ولا يصح الزهد والتقوى مع الجهل. ولا ينوي به إقبال الناس اليه ، ولا استجلاب حطام الدنيا والكرامة عند السلطان وغيره. ولا يذل نفسه بالطمع ، ويتحرز عما فيه مذلة العلم وأهله . ويختار من كل علم أحسنه ويقدم علم التوحيد والمعرفة ، وإن كان إيمان المقلد صحيحاً ، ويختار العتيق دون المحدثات ، ولا يشتغل بهذا الجدل الذي ظهر بعد

---

(١) هو برهان الدين الزرنوجي صاحب كتاب (تعليم المتعلم طريق التعلم) المشهور ، وقد كان . حياً في سنة ٥٩٣ هـ = ١١٩٦ م

(٢) هو كتاب (الهداية) في فروع الفقه الحنفي. جعله شرحاً لكتاب (البداية) له . وصاحب الهداية هو برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي المتوفى سنة ٥٩٣هـ=١١٩٦م

انقراض الأكابر من العلماء . وأما اختيار الأستاذ فيختار الأعلم والأورع والأسن . والمشاورة في طلب العلم أهم وأوجب . وينبغي أن يثبت ويصبر على أستاذ وعلى كتاب حتى لايتركه أبتر ، وعلى فن حتى لايشتغل بفن آخر قبل أن يتقن الأول ، وعلى بلد حتى لاينتقل إلى بلد آخر من غير ضرورة،ولا ينال ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله وتعظيم الأستاذ وتوقيره.ولا بد لطالب العلم من الجد والمواظبة والملازمة،وإليه الإشارة في القرآن الكريم ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ و﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ قيل : اتخذ الليل جملاً تدرك به أملاً.ويواظب على الدرس والتكرار في أول الليل وآخره ، فإن مابين العشاءين ووقت السحر وقت مبارك ، والكسل من قلة التأمل في مناقب العلم وفضائله . والعلم النافع يحصل به حسن الذكر ويبقى ذلك بعد وفاته فإنه حياة أبدية . ويوقف بداية السبق على يوم الأربعاء،وهكذا كان يفعل أبو حنيفة – رحمه الله – بل كان الشيخ أبو يوسف الهمداني يوقف كل عمل من أعمال الخير على يوم الأربعاء ، وهذا لأنه يوم خلق فيه النور وهو يوم نحس في حق الكفار فيكون مباركاً للمؤمنين.وينبغي أن يكون قدر السبْق للمبتدىء قدر مايمكن ضبطه بالإعادة مرتين بالرفق ، ويزيد كل يوم كلمة وقد قيل:السبق حرف والتكرار ألف.قال الأستاذ شرف الدين العقيلي:الصواب عندي في هذا مافعله مشائخنا ، وإنهم كانوا يختارون للمبتدىء صغارات المبسوط لأنه أقرب إلى الفهم والضبط وأبعد عن الملالة وأكثر وقوعاً بين الناس ، قيل : حفظ حرفين خير من سماع وِقْرَيْن (١) وَفَهْمُ حرفين خير من حفظ وِقْرَيْن . فينبغي أن لايتهاون في الفهم .

---

(١) مفردها وقر : وهو الحمل ويريد خير من سماع حملين من الكتب .

ولابد من المذاكرة والمناظرة والمطارحة ، لكن بالإنصاف والتأني والتأمل دون الشغب والغضب ، وهي أقوى من فائدة مجرد التكرار . قيل : مطارحة ساعة خير من تكرار شهر .

ويشتري بالمال الكتب ، ويستكتب فيكون عوناً على التعلم والتفقه . وينبغي أن لايكون لطالب العلم فترة فإنها آفة . ويتوكل في طلب العلم ولايهتم لأمر الرزق ، ولايشغل قلبه بذلك .

ووقت التعلم من المهد إلى اللحد ، دخل حسن بن زياد (١) في التفقه وهو ابن ثمانين سنة. وأفضل الأوقات شرخ الشباب ووقت السحر وما بين العشاءين . وينبغي أن يستغرق جميع أوقاته ، فإذا ملّ من علم يشتغل بعلم آخر . كان ابن عباس إذا مل من علم الكلام قال : « هاتوا ديوان الشعر » ويكون مستفيداً في كل وقت حتى يحصل له الفضل .

وطريق الاستفادة أن يكون معه في كل وقت محبرة حتى يكتب مايسمع من الفوائد ، قيل : ما حفظ فرّ وما كتب قرّ . وأقوى أسباب الحفظ الجد والمواظبة وتقليل الغذاء ، وصلاة الليل ، وقراءة القرآن نظراً ، والسواك ، وشرب العسل وأكل الكندر (٢) مع السكر ، وأكل مايقلل البلغم والرطوبات يزيد في الحفظ ، وكل مايزيد في البلغم يورث النسيان ، ومن أسبابه اقتراف المعاصي وكثرة الذنوب والهموم والأحزان في أمور الدنيا وكثرة الأشغال والعلائق . وأما أسباب نسيان العلم فأكل الكسبرة (٣) الرطبة ، وأكل التفاح الحامض ، والنظر إلى

(١) هو الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي ، قاض فقيه ، من أصحاب أبي حنيفة توفي سنة ٢٠٤ هـ = ٨١٩ م .

(٢) الكندر : ضرب من اللبان أو العلك .

(٣) مانسميها اليوم الكزبرة .

المصلوب ، وقراءة ألواح القبور ،والمرور بين قطار الجمال ، والقاء القمل على الأرض ، والحجامة على نقرة القفا كلها تورث النسيان . وارتكاب الذنب سبب حرمان الرزق خصوصاً الكذب يورث الفقر ، وكذا نوم الصبح ، وكثرة النوم تورث فقد العلم إلى غير ذلك .

ومما يزيد في الرزق التسبيح بعد الفجر وبعد المغرب . ومما يزيد في العمر البِرُّ وترك الأذى ، وتوقير الشيوخ ، وصلة الرحم، والاحترازعن قطع الأشجار الرطبة إلا عند الضرورة،وإسباغ الوضوء،والصلاةبالتعظيم والخشوع ، والقِران بين الحج والعمرة ، وحفظ الصحة.

ولابد أن يتعلم شيئاً من الطبّ،ويتبركبالآثار الواردة في الطب الذي جمعه الشيخ الإمام أبو العباس المستغفري(١) في كتابه المسمى بـ(طب النبي) صلى الله عليه وسلم يجده من يطلبه .

هذا خلاصة ماذكره الزرنوجي — رحمه الله — . وكتاب (جواهر العقدين في فضل الشّرَفَيْن شرف العلم الجلي والنسب العَلي) للشيخ الإمام العلامة علي ابن الشيخ جمال الدين السمهودي (٢) الشافعي — رحمه الله — قد اشتمل على جملة كافية من بيان شرف العلم وآداب العالم والمتعلم وطريق الدرس واقتناء الكتب وغيرها اشتمالاً نافعاً فمن شاء الزيادة فعليه به ، وبالله التوفيق .

* * *

(١) هو جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المستغفر النسفي ، فقيه ، من رجال الحديث : ٣٥٠ – ٤٣٢ هـ = ٩٦١ – ١٠٤١ م

(٢) هو علي بن عبد الله بن أحمد الشافعي المعروف بالسمهودي ، نور الدين ، مؤرخ فقيه له مصنفات في ذلك : ٨٤٤ – ٩١١ هـ = ١٤٤٠ – ١٥٠٥ م

الفصل التاسع

في حالة العلماء

اعلم أن العلم له حقائق لغوية : وهو ضد الجهل . واصطلاحية : وهي كما قيل: مَنْ جَمَعَ بين علم المعقول والمنقول .وكما قيل : من تمكن من إثبات المسائل بأدلتها عن علم وثَبْت .وعرفية : وهي كل من اشتغل بتحصيل العلم ولو كان على جهة التقليد أو الشروع في التحصيل . فيطلق العالم على من تعلم النحو والصرف أو الفقه أو جميعها . وليس مرادي إلا من تمكن من إثبات المسائل بأدلتها عن علم وثَبْت ، فيشمل من عرف جميع الآلات وعرف الكتاب والسنة فإنه يتمكن من إثباتها على ذلك الوجه .

وعلوم العقل لا دخل لها في الشريعة، وإن العالم بها لا يدخل في مفهوم « العلماء ورثة الأنبياء » والله تعالى قد أغنانا عن الكتب السابقة التي أنزلت على الأنبياء عليهم السلام بما أنزله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمع فيه كل خير واحتوى على كل فضيلة لفظاً ومعنى وعلماً وحكمة وغير ذلك ، فكيف نرجع إلى كتب الحكماء لانعلم أذلك عنهم من ذات أنفسهم أو عن وحي إلى رسول منهم ؟ وأول ماخرج ذلك في دولة بني العباس ، وأكثر من أخرجه

المأمون ووقع الاشتغال به والمحن والفتن وهلك به جماعة أوقعهم في الكفر والزندقة ، واشتغل به المأمون حتّى إنه أرسل إلى ملك الفرنج وذكر له أن مراده في الكتب التي لديهم ، وعرّبوها له وَنبَش لحدَ كسرى من أجل أنه قيل له : إن في قبره تابوتاً فيه من كتب القدماء . على أنه لو كان لابد منه في العلم لكان الصحابة كلهم ليسوا بعلماء لأنهم لم يعرفوا علوم المعقول ، وكذا من بعدهم من التابعين ومن تبعهم ولاقائل به في العالم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن أُمّةٌ أُمِّيّة لانَكْتُبُ ولانحسب ».

وأما العرف فغير معمول به، لأنه إذا اشتغل بفن وعرفه سمي في العرف عالماً وليس هو من العام في شيء لأنه لا ينتفع به في الدين أصلاً ، ولا يقدر أن يعمل بفرع من فروع الشريعة بنفس ذلك الفن كالنحو وغيره. وإنما تلك الفنون آلة للكتاب والسنة، فمن اشتغل بها ولم يتوصل بها إلى تلك الأمور فهو كمن أحكم السُلّم ولم يرتقِ عليه إلى محل مرتفع ولافائدة له فيه . وكذا المقلد فإنه لايعلم ماالحَقُّ في المسألة ،ولا مع من هو ولا قاله من قلده أصواب هو أم خطأ . وهذا لايصح إطلاق العالم عليه حتّى قال النووي (١) : « إنه إجماع » وقالوا في أصول الفقه : إنه لاعبرة بالمقلد في إجماع العلماء لأنه ليس بعالم ، لأنهم حَدّوه: من يقبل قول من أفتاه من دون أن يطالبه بحجة . وقد أوضح هذا بما لامزيد عليه الشيخ الفاضل علي بن محمد (٢) ولد شيخنا الشوكاني — رحمه الله—

(١) هو محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النووي الدمشقي الشافعي ، إمام فقيه محدث حافظ لغوي ، له كتب كثيرة مشهورة : ٦٣١ – ٦٧٧ هـ = ١٢٣٣ – ١٢٧٨ م

(٢) اليمني الصنعاني الحنبلي وهو المعروف بابن الشوكاني ، توفي سنة ١٢٥٠هـ=١٨٣٤م

في (القول السديد في نصح المقلِّد وإرشاد المستفيد).

وأما المشتغل فمايثبت له ذلك إلا إذا ثبت له الملكة في الآلات وأمكنه معرفة الكتاب والسنة كما ينبغي ، لأنه عند شروعه يريد تحصيل مابه الوصول إلى معرفة العلم الذي يطلق على من قام به اسم العالم ، فإذا أطلق عليه عند الشروع فإنما هو مجاز بعلاقة الأول والقرينة الواقعة . فإذا عرفت هذا علمت أن العلم من أشرف المطالب لايساويه مساوٍ ولاتبلغ غايته غاية ولا فضيلة سواه . ولقد صدق القائل : من فاته العلم ماذا أدرك،ومن أدرك العلم ماذا فاته . قال الشافعي : إذا لم يكن العالم العامل ولياً فما لله ولي . والصحيح أن العالم له رتبة كبيرة وهي كونه وارث الأنبياء عليهم السلام وكونه ممن قال صلى الله عليه وسلم فيه : « لأن يَهدي الله رجلاً على يديك خير مما طلعت عليه الشمس ».وكونه ممن يصدق عليه قوله تعالى : ﴿إنمَا يخشَى اللهَ مِنْ عبادِهِ العُلَماء﴾ وقوله : ﴿قلْ هلْ يَستَوِي الذينَ يَعْلَمُونَ والذينَ لايَعلَمُون﴾ وقوله : ﴿ وإذْ أَخذَ اللهُ ميثاقَ الذينَ أُوْتُوا الكتَابَ لَتُبَيِّنُنّهُ للنّاس﴾ .

ثم إن العلم له فوائد منها : أنه يُؤْجَر على تعلمه وتعليمه والإفتاء به والقضاء بما دل عليه ، والتصنيف ، وإهداء الناس ، ويكون مما يتبع بعد الموت كما قال صلى الله عليه وسلم : « أو علم ينتفع به » وكما قال : « العلماء على منابرَ من نور يوم القيامة » وكما قال : « إن أنبياء بني إسرائيل يتمنى أحدهم أن يكون كعلماء هذه الأمة » وكما قال : « من يُرِدِ الله به خيراً يفقهه في الدين».

والفقه فهم الكتاب والسنة، وكما قال : «خياركم في الجاهلية خيارُكم في الإسلام إذا فقهوا ».فأثبت لهم الخيرية المطلقة .

وهذه بعض الأدلة فيهم ، والفضائل المسرودة في الكتب هي الكثير الطيب لولا خوف الإطالة لاحتاجت إلى مجلد . وقد جمع فيما ورد فيهم وفضائلهم بعض علماء مكة المكرمة مجلداً وسماه (العلم) فثبت أن العلماء لهم المحل الأسنى ؛وآدم عليه السلام لمّا ألهمه الله تعالى الأسماء وجعل له تلك الحالة رفعه على الملائكة وله حالة الرياسة على الملائكة حالة إنبائهم كالحالة التي تثبت للشيخ على التلميذ . فلما صارت له تلك الفضيلة وبلغ تلك المنزلة عظم على الملائكة وأمرهم الله سبحانه بالسجود له ، لأنه قد صار له حق المشيخة وإن كانت ماهية الملائكة أشرف وصفاتهم أعلى وأفضل من صفات الآدمي إلا أن هذه حالة خاصة ولامانع من أن يأمر الله سبحانه بعض خلقه بالسجود لبعض . ولا فائدة للتمحلات لأن المنهي عنه وهو السجود لغير الله سبحانه إنما هو في شريعته صلى الله عليه وسلم لوقوعه في شرع من قبله كسجود يعقوب وزوجته ليوسف عليهم السلام حين دخلا عليه كما حكاه الله سبحانه . ولو سلمنا أنه منهي عنه في كل شريعة فهذا خاص لكون الآمر به هو الله سبحانه وتعالى وهو الباعث للرسل والموجب للشرائع وقد حكاه عن نفسه ، ولافائدة فيما قيل :إنه إنما جعل آدم قبلة لهم لأنه ينافيه قوله :﴿اسجُدوا لِآدَم﴾ ولو كان كذلك لقيل لهم : اسجدوا إلى آدم . وكذا إنما أمروا بالسجود لله ولكن نسب إلى آدم ،

وهذا ينافيه اللفظ أيضاً . وبالجملة فكأن السجدة له عليه السلام تعظيماً لعلمه .

وقد اختلف في كيفية التعليم فقيل : بالاستعداد والإلقاء من الله تعالى إليه . وقيل : بالإلهام ويدل عليه قوله تعالى في داود ﴿وعلّمناه صنعة لبوس لكم﴾ فإنه ألهمها إلهاماً لاتعليماً حقيقة . والذي يظهر لي أنه أطلعه الله سبحانه على اللوح المحفوظ لأن فيه كل ماكان وما سيكون ، فجميع الأسماء والأشياء فيه وصفاتها وأحوالها ، فطبق تلك الكيفية التي رآها في اللوح على المسميات . وقد قال تعالى : ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ أو انه خلق له قدرة يقتدر بها على التعبير عن تلك الأمور عند الأمر له بإنباء الملائكة ، ويكون معنى (علّم) أقدر . وهذا مما يدل أكمل دلالة على أن علم الله تعالى لانسبة بينه وبين علم مخلوقاته ، وعلى أن علم المخلوق ولو بلغ الغاية القصوى والنهاية العليا لايدرك كنه الأمور ولا ينكشف له المصالح كلية الانكشاف . وبهذا تعرف قدر الشيخ ، وأنه لما صارت له تلك الفضيلة وهي العلم كان الجزاء فيه السجود ، وإن كان التلميذ شريفاً في النسب فإن شرف التعليم له زائد على شرفه ، كما كان ابن عباس يمسك بركاب شيخه وكان ينام في بابه ينتظر لخروجه حتى يُطير عن ثوبه التراب الذي تلقيه الرياح . وكذلك أمسك الإمام أحمد ركاب الشافعي . فيجب على التلميذ أن يجل الشيخ ويعظمه لما أسدى إليه ، ولايكفر نعمته فيهلك كإبليس لما أذنب هلك ، وأقل أحوال هلاك التلميذ ذهاب رونق علمه وعدم قبول فائدته مع تغير أحوال الدنيا عليه ، وكم

شاهدنا . وكفى بهذا دليلاً فإن الملائكة عليهم السلام لما عرفوا الأسماء ثبت لآدم عليه السلام ذلك الحق عليهم بعد أن كان عندهم لايصلح للخلافة فصار صالحاً للإفادة ، وأبى اللّعينُ فكان سبب هلاكه وهلاك ذريته ومن تبعه لأنه أصر على ماظهر له أنه الصواب . وإبليس وإن كانت ماهيته غير ماهية الملائكة وهو من الجن لكنه أطلق عليه ذلك الاسم ودخل في مسماهم وعوقب على عدم الامتثال لكونه قد صارت له أحوال الملائكة وقربٌ كقربهم ، وأودع فيه من النور ماشابه بهالملائكة. فلما أصَرّ واستكبر وعاد إلى الماهية الأصلية نال مانال وعوقب بما عوقب . وهذا أحسن ماتفسر به الآية الكريمة . وإن كان قد قيل في تفسيرها أمور أخر كلها صرف اللفظ عن ظاهره بغير قرينة ولا مرجِّحٍ ، وما جعلوه مانعاً من أن الملائكة لم يقع منهم الاستنكار وإنما هو على جهة العرض يأباه قطعهم بأن آدم وذريته سيفسدون ويسفكون الدماء . فهذا مما يبين أن كل مخلوق لابد له من الخطأ ، فإن الملائكة قد قص الله علينا أمرهم هذا ، والأنبياء كذلك . وكل ذلك إنما وقع منهم في الاجتهادات لافي الأوامر والتشريعات ، فلما وقع ذلك منهم وقد ثبتت لهم العصمة نبهوا على الخطأ ، فقد وقع ذلك لسيد ولد آدم وخير الخلق وأقربهم إلى الله صلى الله عليه وسلم ونُبِّهَ ، وكذا الملائكة. وكفى بهذا رادعاً وزاجراً للعلماء عن إثبات الشريعة بالرأي والقياسات الواهية غير ماكانت علّتهُ منصوصة أو منبهاً عليها .وأما فحوى الكتاب وقياس الأول فهو داخل في مفهوم اللفظ ليس من باب القياس ، وإنما القياس الممنوع الذي يكون باعتبار الأقيسة الأخرى التي توسعوا فيها مثل السّبر والتقسيم والإحالة وغير ذلك .

وإذا اعتقد أنه شرع وأوجب على غيره اتباعه أو أفتى به أو قضى عليه فقد تقوَّل على الله سبحانه بما لم يقله . فليكن هذا على ذكر منك فإنه من أعظم الأمور التي يكون بها الهلاك ، فما أحق العالم أنه إذا لم يجد علة منصوصاً عليها ولا منبهاً عليها أن يترك التشريع ، وهذا المقيس بالرأي إنما عَسَّر الشريعة والنبي صلى الله عليه وسلم يَسرَّها . وهذه نصيحة مني لمن يريد الله به خيراً ليس الموجب لها إلا حُبّ إخواني من علماء المسلمين المتبعين .

وأما المقلد أو مجتهد المذهب فليس من مبحوثنا ولا دَخلَ في نصيحتنا ، لأنه ممنوع عن التكلم محجور عن التعرض حتى يصدق عليه اسم العالم لما عرفت . ومن أراد تحقيق ذلك فعليه بكتب شيخنا الشوكاني وكتب أئمة السنة ابن تيمية وابن القيم وابن الوزير والسيد الأمير ومن حذا حذوهم وبتكميل الحجة والبيان وشرح بيتي إمام الزمان ففيها مايغني ويقني .وإنما جرى القلم بهذا في هذه وإن كان المبحوث عنه سواه لأن له دخلاً فيها .

ولما نظرت هذه الفضيلة التي ثبتت لآدم باعتبار العلم عدلتُ إلى أن هؤلاء العلماء الذين عرفت أنهم المقصودون هنا وزّع الله بينهم الفضائل وجعلهم أنواعاً .

النوع الأول : علماء الصحابة الحافظين للشريعة المبلغين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المعلمين لمن دخل في الدين ، القائمين بنشرها ، المجاهدين لمن خالفها .

* * *

النوع الثاني : التابعون لتلك الفضائل ، القافون أثر الأوائل ،

الراحلوان لتنفيذها إلى البلاد ، المبلغون إلى من بعدهم من العباد ، وهم دون النوع الأول في الرتبة .

* * *

النوع الثالث : تابعو التابعين ، وهم على نهجهم في تلك العناية ومتبعون لهم في الفضائل والشرف ، حتى كانوا خلفهم في القيام بذلك المنصب ، وفعلوا كفعلهم في إحراز ذلك المطلب . ثم من بعدهم كثرت الروايات وانتشرت في جميع الأقطار بفتح البلاد ، وفشا الكذب وعم التقليد الذي منع منه الأئمة المجتهدون وحذر منه السلف الصالحون .

* * *

النوع الرابع : العلماء البالغون إلى رتبة الاجتهاد المطلق ، وهم كثيرون غير الأربعة المشهورين كما صرح بذلك أهل السير والطبقات في كتبهم ، وكانوا لايقلدون أحداً ولاينسبون أنفسهم إلى أحد ، ولم يكونوا متمذهبين كما يزعم من لاعلم له بأحوال العلماء .

* * *

النوع الخامس : وهو من اشتغل بطلب جمع الأحاديث حتى حفظ منها مالا يقدّره طباعنا ولا يتصوره حواسنا . فمنهم من حفظ ألف ألف أي عشرة لكوك في العرف . ومنهم من حفظ عشرة آلاف ألف بمعنى مائة لك . ومنهم من حفظ أحمال جمال من المائة فما دون وما فوق ، ورحل في طلب ذلك إلى مشرق الأرض ومغربها جنوباً وشمالاً . وذلك بسبب أن الله تبارك وتعالى خلق

للسنة المطهرة خلقاً مثل هؤلاء فسعوا في طلبها وبذلوا نفوسهم وملاذهم في تحصيلها ، وداروا الأقطار ووصلوا الليل والنهار ، وأحرزوها وبثوها في الناس ، وقضوا ماكان عليهم وبقي ماكان لهم فجزاهم الله عن الإسلام جزاء خير على التمام . والسنة صنو القرآن الكريم وإنما فارقها لكونه للتحدي وهي مشاركة له في التشريع ،وقد تدارك الله بحفظ الكتاب ويلزم منه حفظ السنة لكونها وضعت بأنها وحي . ثم بعدهم .

* * *

النوع السادس : وهو أنه لما كثرت الزيادة فيها وفشا الكذب وظهر أهل الوضع والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم كل حين وكل وقت في زيادة ، واحتالوا بإدخال الأحاديث الموضوعة والمكذوبة في أسانيد الأَثْباتِ الثِّقات أوجد الله لها هذا النوع فزَبَرُوها ، وعرفوا صحيحها من سقيمها ، وبينوا موضوعها ومكذوبها وغير ذلك ، وفحصوا وداروا الأقطار وسألوا الكبار ، وأخرجوا ما دسه الأشرار ،وأوضحوا ذلك أوضح منار ، وعرفوا كل واحد من رواتها باسمه ولقبه وبلده وكنيته وحرفته ومشائخه والآخذين عنه ومجالسه،ومن حضر ومن ذهل في حال الإملاء عليهم في ذلك المجلس وما قدر ذهوله . وبينوا أسباب القدح من وضْعٍ وكَذِبٍ وتدْليس وإبْهامٍ وسوء حفظ ولين ، ومختلط في عقله وصدوق وشيخ وغير ذلك . ولهم في ذلك اصطلاحات يعرفها من عرف علم السنة فإنه لابد من معرفتها . ثم دونوا للرجال كتباً ذكروا فيها أحوالهم وما سبب القدح فيهم، وما يقبلون فيه وما لم

يقبلوا فيه إذا كان له حالات ، وما يعرض لهم وعمن رووا ومن روى عنهم . ثم دونوا كتباً في المكذوبات ، والموضوعات ، والضعاف ، والحسان ، والصحاح . ومنهم من جمع الجميع . ولما كان لايؤمن بعد أعصارهم أن لاتكون تلك الكتب ولا الأقوال أقوالهم أوجد الله تعالى من بعدهم في كل عصر علماء وهم .

* * *

النوع السابع : فشرحوا كتبهم ، وأوضحوا مرادهم ، وبينوا للناس مقاصدهم ، وعرفوا الناس بصحة نسبة ذلك إليهم ، وأنه كتاب فلان بإحراز أسانيده ، وكل خلف عن سلف معروف معلوم مشهور إلى عند المصنف . وأبدوا صناعات تطرب الألباب ، واخترعوا أساليب معونة للطلاب ، فمنها مافعلوه على أبواب الفقه ورووا فيه كل مايصلح للاحتجاج من تلك المجموعات ، وتكلموا على سنده وقربوه لطلبته كُلِّيةَ التقريب ، وأزالوا عنه النصب ومنحوه أوفر نصيب ، وما أنتجته أفكارهم السليمة وأفهامهم المستقيمة من الفوائد العجيبة والنكت الغريبة والأساليب البديعة . ولم يتهوروا في الرأي ، ولا تبعوا مالم يكن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن نقلوا ماقاله أهل المذاهب من المسائل التي لم تكن موافقة للدليل ، ودونوا ماحكوه عنهم من تلك العجائب ، فلا يخلو إما أن يكون لقصد البيان وإظهار أن خلاف كلامه هو الصواب.فهذا هو الميثاق الذي أخذه الله على أهل الكتاب . ومنهم من يكون من باب قوله :

عرفتُ الشّرَّ لا للشّرِّ لكنْ لتوّقّيه .

ومن لا يَعْرف الشرّ يقعْ فيه

ومنهم من يذكر ماقالوه بقصد أنهم إذاعرفوا أنه يعرف ماعندهم. وقد ذكر الدليل أو رجح فلا يظنوا أنه فعل ذلك وهو جاهل لما عندهم ، وهذا مأجور وإن كان قصده إنما هو ليعرفوا أنه عالم فقط ،فهذا معجب بنفسه . ومنهم من يظهر بذلك لأهل مذهبه أنه لم يخالفهم وأنه باق على وفق قول إمامهم، وهذا الفعل يخالف أخذ الميثاق وأمر العلماء بالبيان وخشية الله منهم وكونهم ورثة الأنبياء.

ولهذا البحث مزيد فائدة في (القول السديد) وقد جرت عادة الله سبحانه أن فاعل ذلك لابد أن يبقى مضطهداً خائفاً محروم العلم لاينفعه ذلك في الدنيا وفي الآخرة شيئاً ، وأن فاعل الحق ومتبعه والمتظهر بنصره والقيام لخدمته والبيان لما خالفه والرد على قائله في أعلى رتب الشرف وأرفع درجات الكمال ، مجلل مبجل مهاب ، وكان الفردَ المنظورَ إليه بعين العلم وإن كلامه هو الحق . والصواب ، متبع في الناس معمول بما قاله وإن خولف في مدة حياته كبعض العلماء الكبار . فتنظر بعد موته وإذا كلامه عند المخالف والموالف مقبول ويستدل به كل أحد . وتنظر وإذا كل مؤرّخ إذا ذكره جعل ترجمته أكبر التراجم ويذكر من فضله ونبله مايخلع قلوب مخالفيه ، ولا يقدر أحد على جحد فضائله ولا كتم مناقبه ، بل يشهد له بها المخالف كابن حزم وابن تيمية وغيرهما في كل عصر .

ثم إن لهم فضائل غير هذه منها : الصدع بالحق ونصره ، ودفع الباطل وإظهار ماوجب . ولذا ترى كثيراً من الصحابة

يقولون لولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كتم علماً » الحديث . وسمعت قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْها فإنه آثِمٌ قَلْبُه ﴾ ماحدثتك . فكم للعلماء مواقف عند أمراء الجور وسلاطين الظلم يسطع فيها بالحق ويتكلم بما يوافق الشرع ، ولاتأخذه في دين الله لومة لائم ، ولايردعه عن إظهار الحق رادع . ولذا تنظر ماكان لهم من الأجر الجزيل والجزاء الجليل في قوله صلى الله عليه وسلم : « وأفضل من ذلك كله كلمة حق عند سلطان جائر » . فتنظر ، وإذا القائل بالحق كلامه المصدق وقدره المبجل ، وشأنه عندهم المعظم وتنظر من داهن أو وافقهم على مرادهم رجاءً لقربه منهم ودنو مودتهم له يكون عندهم مدحوراً مذموماً مردوداً ؛ على أنه يصير علم الثاني سخرية وضحكة ، ويبقى في أيدي الناس لعبة ويُطرح عندهم إلى الغاية ؛ ويناله من الإهانة النهاية . وكم في كل زمان من أهل هذا الشأن ، فالأول فاز وكان من أهل السعادة في الدارين . والثاني هلك وكان من أرباب الشقاوة في الحالتين وصدق عليه قوله صلى الله عليه وسلم « أنه من الثلاثة الذين تسعّر بهم النار وأولهم دخولاً فيها » نسأل الله سبحانه الهداية والصلاح وأسباب الالطاف التي تكون موجبة للفلاح والنجاح .

ومنها : الصبر على التعليم والتهذيب لمن وصل إليهم ، واشتغال أوقاتهم بالتدريب لهم ، وبذل مجهودهم في إخلاص نصحهم في إفادتهم .

ومنها : إفادة الناس فيما يحتاجون إليه من الفتيا ودفع الخصومات

وإظهار الحق ودفع الباطل ، والقيام على الظالم والنصر للمظلوم ، وإيصال الخصم بما يستحقه من خصمه .

ومنها : أنهم أمان أهل الأرض عند إتيان الساعة وقرب حلولها ؛ فإن ارتفاع العلم من علاماتها . وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن ليس المراد ارتفاع نفس العلم وإنما هو قبض حامليه حتى تضرب أكباد الإبل في مسألة ولايجدون من يفتي فيها .

ثم لما كان للعالم والعلم هذه الفضائل وهذه الأحوال كان من قام به كما ينبغي من أهل السعادة ،ومن ترك مايليق وتبع مايجانب العلم ويخالف المراد منه كان من أهل البلاء والشقاوة ولذلك أسباب :

الأول : أنه لايقصد بالتعلم والتعب إلا الله سبحانه وما يوافق مراده .

الثاني : أنه لايكون قصده بعد أن حصل له العلم إلا أن يعمل ويخدم ويقرر ماصح عنه صلى الله عليه وسلم ويرد ماخالف سنته كائناً ماكان .

الثالث : أن لايعمل ولايترك إلا وقد قام له دليل على العمل أو الترك من الكتاب والسنة أو استنباط جلي منهما . ولايجعل لرأيه دخلاً في إثبات الشريعة ولايكلف الناس بمجرد ماخطر بباله إذا لم تكن له عليه حجة تكون له بها النجاة إذا سئل بما أثبت ذلك الحكم وما كلف به العباد .

الرابع : ترك التعصبات كلها . وهي أقسام ؛ وقد حقق ذلك شيخنا الإمام في (أدب الطلب) فمن أراد الاطلاع عليها فعليه به .

وليس للعالم مسرح في التشريع ولا كل ماقاله صواب، بل هو يجوز عليه الخطأ والصواب فكيف يقع منه التعصب لقول عالم أو لقول صدر منه .

الخامس : أن لايرى لنفسه حقاً وأن لايعتريه عجب وكبر ، لأنه محل الضعف والزلل والخطأ وكم مثله من العلماء وكم ، وأي رتبة قد بلغ إليها . فإنه إذا نظر في أبناء كل زمان وأبناء زمانه نظر وإذا فيهم من لايبلغ قدره ولاينال من الحظ والمعرفة ماله . بل إذا نظر إلى من هو أحقر منه يجدعنده من الفوائد مالم يكن عنده ولم يبلغ رتبة الكمال من الخلق فَرْد ولو بلغ إلى النهاية القصوى ، ففوقه من هو أعلى منه رتبة وأرفع منه كعباً . على أنه إذا تفكر في أمر علم أنه لايحسن منه ذلك وهو أنه اشترك هو وجميع النوع الإنساني في الماهية وفي سائر الصفات ومنحه الله سبحانه وفتح عليه بالمعرفة ، مع أنه هو والعامي والجاهل سواء . فهل يكون ذلك داعياً لأن ينظر لنفسه حقاً وأن يفتخر ويعتريه العجب ، وهل تقابل تلك المنحة بهذا .

السادس : أن يصون العلم عما يدنسه ، فالعلم جوهر شفاف نوري يكدره أدنى مكدر ويذهب برونقه أيسر شيء ، وماذاك إلا لشرفه ، ولذا قيل: «إن عيب ذي الشرف مذكور وعيب الجاهل مغمور» فيصير عند كل راءٍ وسامع أضحوكة وسخرية ، فكيف بمن علم تحريم المحرمات كالخمر والزنا والربا وأكل أموال الناس بالباطل والارتشاء ثم أقدم على أحدها فهل تكون لعلمه فائدة وهل تصير له ثمرة ، وهل كان إلا نكالا ووبالا وسبباً لهلاكه ، وداعياً لأهل البطالة إلى عدم الاقلاع عن تلك

الأفعال ومجرياً لهم إلى ملازمة الفساد ، لأنهم قد نظروه بعين العلم فيكون عليه وزره وأوزارهم . فكيف إذا انضم إلى فعله التحليل لهم والتحريم من المسامحة والموافقة في مخالفة الشرع فهو أشد من كل بلية وأعظم من كل فتنة ، لأنه أضله الله على علم ، ثم لم يكتف بذلك حتى أضل غيره فيكون من أهل الشقاوة .

السابع : أن لايفتي إلا عن ثبت إذ لو أفتى من دون ثبت كان إثم الذي أفتاه عليه وإثمه على الإقدام على الفتيا من دون معرفة ، وكان كالحاكم الذي حكم بالحق وهو لايعلمه وهو من أهل النار كما حكم بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم .

الثامن : أن لايفتي من ذات نفسه برأيه فهو محرم عليه لأنه مجتهد ، والمجتهد هو من استفرغ الوسع لتحصيل ظن بحكم ظني . فإذا أفتى من دون استنباط ولامعرفة لما يكون هذا الفرد لاحقاً به فهو من التقول على الله بما لم يقل .

التاسع : أن يجل جميع العلماء ولايستحقر أحداً منهم ويعظمهم ، فإن وافق أقوالهم الصواب كان لهم رتبة العلم ورتبة الموافقة ، وإن خالف فإن كان عن جهل وعدم استفراغ الوسع فقد أخطأ وعليه وزر الخطأ ، وإن كان عن التباس فهو مخطىء معذور وله أجر فينبهه على خطئه.

العاشر : أن يبذل نفسه ووسعه ويفرغ أوقاته لمن أراد التعلم عليه ، وينصح الطالب ويلقي عليه مايجب عليه من الفوائد والنكت إن كان أهلا لذلك ،ويعرفه ماهو الحق والصواب ومايجب عليه اتباعه واجتنابه. فما فائدة العلم والتعليم سوى ذلك ، ولم يجب علينا طلب العلم إلا للإفادة

به لمن طابه .والعالم يكون كالشاهد لكونه قد عرف ، والطالب يكون كالغائب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليبلغ الشاهد الغائب» ثم إن له على التعليم الأجر العظيم والمقام الكريم .

الحادي عشر : أنه لايكتم الحق وأن يصدع به ولايخاف لومة لائم ، ويجعل ذلك لله سبحانه وهو الناصر له والحافظ وهو الواجب على كل عالم .

الثاني عشر : أن يكون على حال الرسول وحال الصحابة من حسن الخلق وكرم السجية ، والرفق شعاره والتقوى دثاره لايفارقه ، لأنه لايكون عالماً إلا بذلك ، والعلم شرف لايقوم إلا بمن شرف .

فهذه حالة العالم التي يجب عليه القيام والتحلي بها . وهذه الأمور هي أسباب السعادة وعكسها سبب الشقاوة ؛

والذي يجب على الطالب أمور :

الأول : صلاح النية في طلبه ، فلا يكون قاصداً بذلك حرفة من حرف الدنيا كأن يكون مدرساً أو مفتياً أو حاكماً ، أو يماري به العلماء ، أو لأجل أن يكون له شرف ، أو غير ذلك من الأسباب التي تخالف أن يكون الفعل لله سبحانه .

الثاني : أن يتوجه مع العزم على أنه يريد العلم الذي يوصل إلى الجنة ، ويكون سبب السعادة ورضاء الرب سبحانه .

الثالث : يلتجىء بباب الرب بأن يفتح عليه بالعلم النافع وأن يقدره على ذلك ، وأن يمن عليه بالغاية في الطلب والإلطاف ، وأن يصرف عنه شاطين الإنس والجان .

الرابع : أن يكون مطلوبه علماً يصدق عليه بعد معرفته أنه من ورثة الأنبيـاء .

الخامس : أن يفحص ويكمل في إحراز المعاني ونيل تلك المعالي ، ويجعل ذلك أعظم شغله وأجل قصده ويترك ما سواه لأجله .

السادس : أنه إن احتاج إلى الكشف عن حقيقة مسألة فلا يقنع إلا بما قام عليه الدليل إن كان قد صارت له قدرة على ذلك ، وإلا فعليه بسؤال العلماء الكبار عما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

السابع : أن لايقنع باليسير من العلم ولايرضى بالقليل حتى يبلغ إلى مافي وسعه ودخل تحت قدرته .

الثامن : أن يجل العلماء ويتواضع لهم ويعظمهم وينظر لهم الحق الوافر على الإطلاق ، فإذا صار أهلاً للنقد عرف لكل فرد منهم المرتبة التي تليق به .

التاسع :أن يعظم شيوخه ويجلهم ويكون لهم بمثابة الرقيق فقد قيل : «إنللشيخ حقاً مثل ماللأب » بل أزيد لأن الشيخ سبب الحياة الدنيوية والأخروية والأب إنما هو سبب الحياة الدنيوية فقط ؛والعلم حياة والجهل موت ، وقد قيل في تفسير الآية ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾ إن المراد يُخرِجُ العالم من الجاهل والجاهل من العالم .

العاشر : أن لاينظر وقد شارف على أول فائدة وقرب إلى معرفة أدنى مرتبةفيظن في نفسه الظنون ويخطر بباله أنقدفاز بالقدح المعلى وبلغ الغاية القصوى ، فالعلم محتاج إلى تقرير وثبت وإلا فهو قد أقنع نفسه بالجهل وهو لايشعر وتعلق بهقلة العقل ، بل وإن داوم على جمع العلوم

وتلك العقيدة باقية فيه لاتظهر لعلمه فائدة ولا يعود عليه ذلك الطلب بعائدة بل يبقى ممحوق البركة ذاهب الرونق . وكم قد شاهدنا ممن قبلنا وفي زماننا ، وكم قد حكت ذلك التواريخ في العالم .

الحادي عشر : أن لايكون سؤاله ولا تكلمه إلا لأربعة أنواع :

إما لعدم فهمه لذلك .

أو أنه قد ظهر له اختلال في كلام المصنف ولكن لاعن مجازفة وتخيلات .

أو عدم معرفة لأصل البحث .

أو أنه قد ظهر له أن قد سبق إلى ذهن الشيخ غير ما دل عليه كلام المصنف .

فهذه أحوال الطالب . ولكل من العالم والطالب أحوال أخر لكن هذه أجلُّها وأشدها حاجة وأعظمها ماسة ، فإذا قام العالم بتلك الأحوال وقام الطالب بأحواله كان سبب السعادة والفوز .

وعلى فضل العلم والعلماء أدلة كثيرة واسعة تركتها اختصاراً .

واعلم أن العلماء تتفاوت مراتبهم وأحوالهم وإن كان قد صدق عليهم مسمى العلم وأحرزوا تلك الأمور ، والتفاوت إنما هو بقوة الاستنباط وصحة قريحة الاجتهاد ، فالاجتهاد ملكة تحصل للعالم عند جمعه لتلك العلوم وقد لاتحصل ، فحصولها متوقف على جمع تلك العلوم ولا يلزم من جمعها حصولها لأنها كالآلة مثل آلة النجار فإنه قد يعرف كيفية النجارة ويتصورها ويجمع آلاتها ولا يمكنه أن يحكم الصناعة كلية

الإحكام. فالعالم قد يجمع جميع العلوم وتحصل له تلك الكيفية التي هي الملكة ولا يمكنه العمل بتلك الملكة ، أو يمكنه العمل في بعض ولا يمكنه العمل الكامل . ولذا كان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم يعرفون جميع ماقام بلسان العرب ، وعرفوا السنة والكتاب ولم يمكنهم ذلك مثل أبي هريرة وأمثاله . وترى ابن عباس من صغار الصحابة وصار بحر الأمة ، وكانت له اليد الطولى والسهم المعلى ، وفي كل عصر هكذا فهي عطايا وحظوظ ، وقد عثر المتأخر على أدلة قد عجز عنها الأوائل وصنع في التصانيف مالا يقدر عليه الأماثل . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وأما أسباب المهالك فهي أيضاً كثيرة :

منها : أن يريد أن يكون له بذلك العلم رفعة وشأن ، وينظره الناس بذلك ، ويقال في حقه عالم أو نحرير أو مبرز لايمارى .

ومنها : أن يكون ناصر البدعة سواء علم واستدام على ذلك عجرفة ، أو عرف ماهو الحق ولم يصغ إليه ، أو نصر قولاً له قد سبق على خلاف الحق فانكشف له الحق، أو لم يسمع من المعرف له بالحق ، أو قام برياسة فأراد أن يجبر الناس على قوله وإن كان صواباً لكن المخالف له معه دليل لايؤدي مخالفته لما قاله إلا التنكيل به والعقاب له .

ومنها: أن يكون قد فتح عليه، وكان قبل ذلك مقلداً لأحد الأعلام، فلا يزال يتعصب له بعد معرفته بأن الحق خلافه عمداً وعناداً .

ومنها : أن يكون ممن له شغل بالعلم ، ولكن لم تكن له اليد الطولى ، وصار يفرع ويلحق مسائل متخيلة ويكمل الشريعة ويوجب ويحلل ويحرّم .

فهذه الأمور مع ماسبق في غضون الكلام في تفصيل هذا المقام إذا تتبعها الذي يريد النجاح وعمل بها فاز بالفلاح ، وإلا أهلك نفسه وصار من حزب النار نعوذ بالله من ذلك .

ولهذه الأمور بسطة بسطها الشيخ الفاضل العلامة علي بن محمد بن علي الشوكاني – رحمه الله – في كتابه (الدرر الفاخرة الشاملة لسعادة الدنيا والآخرة) فمن أراد الاطلاع عليه فليراجعه .

* * *

الباب الثاني

في منشأ العلوم والكتب

وفيه فصول

الفصل الأول

في سببه وفيه إفهامات

الإفهام الأول: في أن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري(١) ، والبشر محتاج إليه .

وذلك أن الإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء وغير ذلك من اللوازم، وإنما يمتاز عنها بالفكر وإدراكه الكليات التي يهتدي بها لتحصيل معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه، والاجتماع المهيىء لذلك التعاون، وقبول ماجاءت به الأنبياء عن الله تعالى ، والعمل واتباع صلاح أخراه ؛ فهو مفكر في ذلك كله دائماً لايفتر عن الفكر فيه طرفة عين ، بل اختلاج الفكر أسرع من لمح البصر . وعن هذا الفكر تنشأ العلوم والصنائع ، ثم لأجل هذا الفكر وما جبل عليه الإنسان بل الحيوان من تحصيل ماتستدعيه الطباع فيكون الفكر راغباً في تحصيل ماليس عنده من الإدراكات ، فيرجع إلى من سبقه بعلم أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك، أو أخذه ممن تقدمه من الأنبياء الذين يبلغونه

---

(١) هذا الفصل من مقدمة ابن خلدون صفحة ١١١٨ — ١١١٩ .

لمن تلقاه، فيلقن ذلك عنهم ويحرص على أخذه وعلمه ويرجع إلى مااستفاده عنه إما من الأفواه أو من الدوالّ عليه . فهذا ميل طبيعي من البشر إلى الأخذ والاستفادة ، فمنهم من ساعده فهمه ، ومنهم من لم يساعده مع ميله إليه . وأما عدم الميل فلأمر عارضي كفساد المزاج وبعد المكان عن الاعتدال ولا اعتداد به . ثم إن فكره ونظره يتوجه إلى واحد واحدمن الحقائق وينظر مايعرض لهلذاتهواحداً بعد آخر ،ويتمرن على ذلك حتى يصير إلحاق العوارض بتلك الحقيقة ملكةً له، فيكون حينئذٍ علمه بما يعرض لتالك الحقيقة علماً مخصوصاً ، وتتشوف نفوس أهل الجيل الناشيء إلى تحصيل ذلك ، فيفزعون إلى أهل معرفته ويجيء التعليم من هذا . فقد تبين بذلك أن العلم والتعليم طبيعي في البشر »(١) .

* * *

الإفهام الثاني في أن العلم والكتابة من لوازم التمدن :

اعلم أن نوع الإنسان لما كان مدنياً بالطبع وكان محتاجاً إلى إعلام مافي ضميره إلى غيره وفهم مافي ضمير الغير اقتضت الحكمة الإلهية إحداثَ دوالٍّ يخف عليه إيرادها ، ولا يحتاج إلى غير الآلات الطبعية ؛ فقاده الإلهام الإلهي إلى استعمال الصوت وتقطيع النفس الضروري بالآلة الذاتية إلى حروف يمتاز بعضها عن بعض باعتبار مخارجها وصفاتها ، حتى يحصل منها بالتركيب كلمات دالة على المعاني الحاصلة في الضمير فيتيسر لهم فائدة التخاطب والمحاورات والمقاصد التي لابد منها في معاشهم . ثم إن تركيبات تلك الحروف لما أمكنت على وجوه مختلفة وأنحاء متنوعة حصل لهم ألسنة مختلفة ولغات متباننة وعلوم متنوعة .

ثم إن أرباب الهمم من بني الأمم لما لم يكتفوا بالمحاورة في إشاعة

(١) آخر كلام ابن خلدون .

ءهذه النعم لاختصاصها بالحاضرين سمت همتهم السامية إلى إطلاع الغائبين ومن بعدهم على ما استنبطوا من المعارف والعلوم وأتعبوا أنفسهم في تحصيلها لينتفع بها أهل الأقطار ولتزداد العلوم بتلاحق الأفكار، ووضعوا قواعد الكتابة الثابتة نقوشها على وجه كل زمان ، وبحثوا عن أحوالها من الحركات والسكنات والضوابط والنقاط وعن تركيبها وتسطيرها لينتقل منها الناظرون إلى الألفاظ والحروف ومنها إلى المعاني، فنشأ من ذلك الوضع جملة العلوم والكتب .

* * *

الإفهام الثالث: في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية(١):

وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على مافي النفس ، فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية ، وهو صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص الإنسان التي تميز بها عن الحيوان . وأيضاً فهي تطلع على مافي الضمائر وتتأدّى بها الأغراض إلى البلد البعيد فتقضى الحاجات ، وقد دفعت مؤنة المباشرة لها ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم ، فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع . وخروجها في الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم ، وعلى قدر الاجتماع والعمران والتناغي في الكمالات والطلب لذلك تكون جودة الخط في المدينة ،إذ هو من جملة الصنائع وإنها تابعة للعمران ، ولهذا نجد أكثر البدو أميين لايكتبون ولا يقرؤون، ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطه قاصراً وقراءته غير نافذة . ونجد تعليم الخط في الأمصار الخارج عمرانها عن الحد أبلغ وأحسن وأسهل طريقاً لاستحكام الصنعة فيها ، كما يحكى لنا عن مصر لهذا العهد

(١) الفصل في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٠٨٣ – ١٠٩٢ .

وأن بها معلمين منتصبين لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين وأحكاماً في وضع كل حرف ويزيدون إلى ذلك المباشرة بتعليم وضعه ،فتعتضد لديه رتبة العلم والحس في التعليم وتأتي ملكته على أتم الوجوه . وإنما أتى هذا من كمال الصنائع ووفورها بكثرة العمران وانفساح الأعمال .

وقد كان الخط العربي بالغاً مبالغه من الإحكام والاتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط الحِمْيَري ، وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباء التبابعة في العصبية والمجددين للملك العرب بأرض العراق ، ولم يكن الخط عندهم من الإجادة كما كان عند التبابعة لقصور مابين الدولتين. وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ، ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش فيما ذكر ، يقال : إن الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية ويقال: حرب بن أمية وأخذها من أَسْلَمْ بن سَدْرَة ، وهو قول ممكن وأقرب ممن ذهب إلى أنهم تعلموها من إياد أهل العراق لقول شاعرهم :

قَوم ٌ لهم سَاحَةُ العِراقِ إذَا
سَارُوا جَميعاً والخطُّ والقَلَمُ

وهو قول بعيد لان إياداً وإن نزلوا ساحة العراق فلم يزالوا على شأنهم من البداوة،والخط من الصنائع الحضرية . وإنما معنى قول الشاعر أنهم أقرب إلى الخط والقلم من غيرهم من العرب لقربهم من ساحة الأمصار وضواحيها . فالقول بأن أهل الحجاز إنما لقنوها من الحيرة ولقنها أهل الحيرة من التبابعة وحِمْير هو الأليق من الأقوال ، وكان لحمير كتابة تسمى المُسْنَد حروفها منفصلة وكانوا يمنعون من تعلمها إلا

بإذنهم ، ومن حمير تعلمت مضر الكتابة العربيـة إلا أنهـم لم يكونوا مجيدين لها ، شأن الصـنائع إذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذاهب ولا مائلة إلى الإتقان والتنميق لبَوْنِ مابين البدو والصناعة واستغناء البدو عنها في الأكثر. وكانت كتابة العرب بدوية مثل كتابتهم أو قريباً من كتابتهم لهذا العهد. أو نقول: إن كتابتهم لهذا العهد أحسن صناعة ، لأن هؤلاء أقرب إلى الحضارة ومخالطة الأمصار والدول . وأما مضر فكانوا أعرق في البدو وأبعد عن الحضر من أهل اليمن وأهل العراق وأهل الشام ومصر، فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ، ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع . وانظر ماوقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجادة ، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها .ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً بما رسمه أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وخير الخلق من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه. كما يقتفى لهذا العهد خط وليٍّ أو عالمٍ تبركاً ويتبع رسمه خطأً أو صواباً ، و أين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه فاتبع ذلك وأثبت رسماً ونبه العلماء بالرسم على مواضعه ولاتلتفتن في ذلك إلى مايزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط . وإن مايتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكلها وجه ، ويقولون في مثل زيادة الألف في ﴿ لاأَذْبَحنّه ﴾ إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع ، وفي زيادة الياء في ﴿بأيْيد﴾ إنه تنبيه على كمال القدرة الربانية ، وأمثال ذلك مما لاأصل له إلا التحكم المحض ، وما حملهم

على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيهاً للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط ، وحسبوا أن الخط كمال فنزهوهم عن نقصه ونسبوا إليهم الكمال بإجادته ، وطلبوا تعليل ماخالف الإجادة من رسمه وذلك ليس بصحيح .

واعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم ، إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية كما رأيته فيما مر، والكمال في الصنائع إضافي وليس بكمال مطلق ، إذ لايعود نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال ، وإنما يعود على أسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لأجل دلالته على مافي النفوس . وقد كان صلى الله عليه وسلم أمياً وكان ذلك كمالا في حقه وبالنسبة إلى مقامه لشرفه وتنزهه عن الصنائع العملية التي هي أسباب المعاش والعمران كلها ، وليست الأمية كمالا في حقنا نحن إذ هو منقطع إلى ربه ونحن متعاونون على الحياة الدنيا ، شأن الصنائع كلها حتى العلوم الاصطلاحية فإن الكمال في حقه هو تنزهه عنها جملة بخلافنا .

ثم لما جاء الملك للعرب وفتحوا الأمصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة واحتاجت الدولة إلى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه وتداولوه ، فترَقت الإجادة فيه واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الإتقان إلا أنها كانت دون الغاية ، والخط الكوفي معروف الرسم لهذا العهد . ثم انتشر العرب في الأقطار والممالك وافتتحوا إفريقية والأندلس ، واختط بنو العباس بغداد وترقت الخطوط فيها إلى الغاية لما استبحرت في العمران وكانت دار الإسلام ومركز الدولة العربية، وكان الخط البغدادي معروف

الرسم ، وتبعه الإفريقي المعروف رسمه القديم لهذا العهد ويقرب من أوضاع الخط المشرقي ، وتحيز ملك الأندلس بالأمويين فتميزوا بأحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط ، فتميز صنف خطهم الأندلسي كما هو معروف الرسم لهذا العهد .

وطما بحر العمران والحضارة في الدول الإسلامية في كل قطر ، وعظم الملك ونفقت أسواق العلوم ، وانتسخت الكتب وأجيد كتبها وتجليدها ، وملئت بها القصور والخزائن الملوكية بما لاكفاء له ، وتنافس أهل الأقطار في ذلك وتناغوا فيه .

ثم لما انحلّ نظام الدولة الإسلامية وتناقصت تناقص ذلك أجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة . فانتقل شأنها من الخط والكتابة بل والعلم إلى مصر والقاهرة ، فلم تزل أسواقه بها نافقة لهذا العهد وله بها معلمون يرسمون لتعليم الحروف بقوانين في وضعها وأشكالها متعارفة بينهم ، فلا يلبث المتعلم أن يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الأوضاع واقد لقنها حساً وحذق فيها دربة وكتاباً وأخذها قوانين علمية فتجيء أحسن مايكون .

وأما أهل الأندلس فافترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر ، وتغلبت عليهم أمم النصرانية فانتشروا في عدوة المغرب وإفريقية من لدن الدول اللمتونية إلى هذا العهد ، وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع ، وتعلقوا بأذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الإفريقي وعفى عليه ونسي خط القيروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما ، وصارت خطوط أهل إفريقية كلها على الرسم الأندلسي بتونس وما إليها لتوفر أهل الأندلس بها عند الجالية من شرق

الأندلس ،وبقي منه رسم ببلاد الجريد الذين لم يخالطوا كتّاب الأندلس ولاتمرسوا بجوارهم إنما كان يفدون على دار الملك بتونس فصار خط أهل إفريقية من أحسن خطوط أهل الأندلس . حتى إذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشيء وتراجع أمر الحضارة والترف بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وجهل فيه وجه التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران ،وبقيت فيه آثار الخط الأندلسي تشهد بما كان لهم من ذلك لما قيل من أن الصنائع إذا رسخت بالحضارة فيعسر محوها . وحصل في دولة بني مرين من بعد ذلك بالمغرب الأقصى لون من الخط الأندلسي لقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم إلى فاس قريباً واستعمالهم إياهم سائر الدولة ، ونسي عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره كأنه لم يعرف .فصارت الخطوط بإفريقية والمغربين مائلة إلى الرداءة بعيدة عن الجودة ، وصارت الكتب اذا انتسخت فلافائدة تحصل لمتصفحها منها إلا العناء والمشقة لكثرة مايقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الأشكال الخطية عن الجودة حتى لاتكاد تقرأ إلا بعد عسر ،ووقع فيه ماوقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول ، والله أعلم»(١) .

قف : إن الصنائع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتابة والحساب وذلك«(٢)أن النفس الناطقة للإنسان إنما توجد فيه بالقوة ،وأن خروجها من القوة إلى الفعل إنما هو بتجدد العلوم والإدراكات عن المحسوسات أولاً ثم مايكتسب بعدها بالقوة النظرية إلى أن يصير إدراكاً بالفعل وعقلاً محضاً فتكون ذاتاً روحانية ،وتستكمل حينئذ وجودها . فوجب لذلك أن يكون كل نوع من العلم والنظر يفيدها عقلاً فريداً ،والصنائع أبداً يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة . فلهذا كانت الحنكة

(١) آخر كلام ابن خلدون في صفحة ١٠٩٢

(٢) انظر هذا الفصل في مقدمة ابن خلدون في صفحة ١١٠٥ — ١١٠٦

في التجربة تفيد عقلاً ، والملكات الصناعية تفيد عقلاً ، والحضارة الكاملة تفيد عقلاً ، لأنها مجتمعة من صنائع في شأن تدبير المنزل ومعاشرة أبناء الجنس وتحصيل الآداب في مخالطتهم ، ثم القيام بأمور الدين واعتبار آدابها وشرائطها . وهذه كلها قوانين تنتظم علوماً فيحصل منها زيادة عقل . والكتابة من بين الصنائع أكثر إفادة لذلك لأنها تشتمل على العلوم والأنظار بخلاف سائر الصنائع . وبيانه أن في الكتابة انتقالاً من الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية في الخيال ، ومن الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني التي في النفس ويكون ذلك دائماً فيحصل لها ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات ، وهو معنى النظر العقلي الذي يكسب العلوم المجهولة ، فيكسب بذلك ملكة من التعقل تكون زيادة عقل ، ويحصل به قوة فطنة وكَيَس في الأمور لما تعوّدوه من ذلك الانتقال. ولذلك قال كسرى في كُتّابه لما رآهم بتلك الفطنة والكَيَس « ديوانه » أي شياطين وحنُون(١).قالوا :وذلك أصل اشتقاق الديوان لأهل الكتابة. ويلحق بذلك الحساب فإن في صناعة الحساب نوع تصرف في العدد بالضم والتفريق يُحتاج فيه إلى استدلال كثير فيبقى متعوداً للاستدلال والنظر وهو معنى العقل . والله أعلم بالصواب ».(٢) .

* * *

الإفهام الرابع : في أوائل ماظهرَ من العلم والكتاب

اعلم أنه يقال : إن آدم عليه الصلاة والسلام كان عالماً بجميع اللغات لقوله سبحانه وتعالى. ﴿وعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كلَّها﴾قال الإمام الرازي(٣) : المراد أسماء كل ماخلق الله سبحانه وتعالى من أجناس المخلوقات بجميع اللغات التي يتكلم بها ولده اليوم ، وعُلّم أيضاً معانيها وأنزل عليه

(١) حنون : مفردها حن : ضرب من الجن .
(٢) آخر كلام ا ن خلدون
(٣) سبقت ترجمة ص ٢٦

كتاباً وهو كما ورد في حديث أبي ذر(١) رضي الله عنه أنه قال : «يارسول الله أي كتاب أنزل على آدم ؟ قال : كتاب المعجم . قلت : أي كتاب المعجم ؟ قال : ا . ب . ت . ث . ج . قلت : يارسول الله كم حرفاً ؟ قال : تسعة وعشرون حرفاً » الحديث .

وذكروا أنه عشر صحف فيها سور مقطعة الحروف ، وفيها الفرائض ، والوعد والوعيد ، وأخبار الدنيا والآخرة ، وقد بين أهلَ كل زمان وصورهم وسيرهم مع انبيائهم وملوكهم ، وما يحدث في الأرض من الفتن والملاحم . ولا يخفى أنه مستبعد عند أصحاب العقول القاصرة ، وأما من أمعن النظر في (الجفر)(٢)ولا حظ شموله على غرائب الأمور فعنده ليس ببعيد سيما في الكتب المنزلة. هكذا قيل ولكن في صحة كتاب (الجفر) كلام كما بيناه في (لقطة العجلان)(٣) . وروي أن آدم عليه السلام وضع كتاباً في أنواع الألسن والأقلام قبل موته بثلاثمائة سنة ، كتبها في الطين ثم طبخه . فلما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتاباً فكتبوه من خطه ، فأصاب إسماعيل عليه السلام الكتاب العربي . وكان ذلك من معجزات آدم عليه السلام ذكره السيوطي في (المزهر) ، وهذا أبعد مما قبله ، وفي رواية أن آدم عليه السلام كان يرسم الخطوط بالبنان ، وكان أولاده تتلقاها بوصيته منه وبعضهم بالقوة القدسية القابلة ، وكان أقرب عهد إليه إدريس عليه

---

(١) الغفاري : واسمه جندب بن جنادة بن سفيان ، صحابي مشهور من كبارهم : توفي سنة ٣٢ هـ – ٦٥٢ م

(٢) انظره في الجزء الثاني من الكتاب في مبحث (علم الجفر والجامعة) .

(٣) كتاب للمؤلف .

السلام ، فكتب بالقلم واشتهر عنه من العلوم مالم يشتهر عن غيره ولقب بهرمس الهرامسة والمثلث بالنعمة لأنه كان نبياً ملكاً حكيماً ، وجميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صدرت عنه في قول كثير من العلماء وهو هرمس الأول أعني إدريس بن يرد بن مهلايل بن أنوش بن شيث ابن آدم عليه السلام المتمكن بصعيد مصر الأعلى . وقالوا : إنه أول من تكلم في الأجرام العلوية والحركات النجومية ، وأول من بنى الهياكل وعبَد الله تعالى فيها ، وأول من نظر في الطب ، وألف لأهل زمانه قصائد في البسائط والمركبات ، وأنذر بالطوفان ورأى أنه آفة سماوية تلحق الأرض فخاف ذهاب العلم فبنى الأهرام التي في صعيد مصر الأعلى وصور فيها جميع الصناعات والآلات ، ورسم صفات العلوم والكمالات حرصاً على تخليدها . ثم كان الطوفان وانقرض الناس فلم يبق علم ولا أثر سوى من في السفينة من البشر ، وذلك مذهب جميع الناس إلا المجوس فإنهم لايقولون بعموم الطوفان .

ثم أخذ يتدرج الاستئناف والإعادة فعاد ما اندرس من العلم إلى ما كان عليه مع الفضل والزيادة ، فأصبح مؤسس البنيان مشيد الأركان لازال مؤيداً بالملة الإسلامية إلى يوم الحشر والميزان . والله تعالى أعلم .

★ ★ ★

الفصل الثاني

في منشأ إنزال الكتب واختلاف الناس وانقسامهم

وفيه إفصاحات

الإفصاح الأول : في حكمة إنزال الكتب

اعلم أن الإنسان لما كان محتاجاً إلى اجتماع مع آخر من نوعه في إقامة معاشه والاستعداد لمعاده ، وذلك الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون حتى يحفظ بالتمانع ماهو له ويحصل بالتعاون ماليس له من الأمور الدنيوية والأخروية . وكان في كثير منها مالا طريق للعقل إليه ، وإن كان فيه فبأنظار دقيقة لاتتيسر إلا لواحد بعد واحد ، اقتضت الحكمة الإلهية إرسال الرسل وإنزال الكتب للتبشير والإنذار وإرشاد الناس إلى مايحتاجون إليه من أمور الدين والدنيا . فصورة الاجتماع على هذه الهيئة هي الملة ، والطريق الخاص الذي يصل به إلى هذه الهيئة هو المنهاج والشريعة ، فالشريعة ابتدأت من نوح عليه السلام ، والحدود والأحكام ابتدأت من آدم وشيث وإدريس عليهم السلام وختمت بأتمها وأكملها . فمن الناس من آمن بهم واهتدى ، ومنهم من اختار الضلالة على الهدى ؛ فظهر اختلاف الآراء والمذاهب من الكفار والفرق الاسلامية ﴿كلُّ حِزْبٍ بما لَدَيْهِم فَرِحُون﴾.

* * *

الإفصاح الثاني : في أقسام الناس بحسب المذاهب والديانات

اعلم أن التقسيم الضابط أن يقال : إن من الناس من لايقول بمحسوس ولا بمعقول وهم السوفسطائية ، فإنهم أنكروا حقائق الأشياء .

ومنهم من يقول بالمحسوس ولايقول بالمعقول وهم الطبيعية ، كل منهم معطل لايرد عليه فكره براد ، ولا يهديه عقله ونظره إلى اعتقاد ، ولايرشده ذهنه إلى معاد ؛ قد ألف المحسوس وركن إليه وظن أن لاعالم وراء العالم المحسوس ، ويقال لهم الدهريون أيضاً ، لأنهم يثبتون معقولاً .

ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول ، ولايقول بحدود ولا أحكام وهم الفلاسفة ؛ فكل منهم قد رقى عن المحسوس وأثبت المعقول لكنه لايقول بحدود وأحكام وشريعة وإسلام ، ويظن أنه إذا حصل له المعقول وأثبت للعالم مبدأً ومعاداً وصل إلى الكمال المطلوب من جنسه ، فيكون سعادته على قدر إحاطته وعلمه ، وشقاوته بقدر جهله وسفاهته ، وعقله هو المستبد بتحصيل هذه السعادة . وهؤلاء الذين كانوا في الزمن الأول دهرية وطبيعية وإلهية لا الذين أخذوا علومهم عن مشكاة النبوة .

ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والأحكام ولايقول بالشريعة والإسلام وهم الصابئة ، فهم قوم يقرب من الفلاسفة ، ويقولون بحدود وأحكام عقلية ربما أخذوا أصولها وقوانينها من مؤيد بالوحي . إلا أنهم اقتصروا على الأول منهم وما تعدوا إلى الآخر وهؤلاء هم الصابئة الأولى الذين قالوا بغازيمون وهرمس وهما شيث وإدريس عليهما السلام ولم يقولوا بغيرهما من الأنبياء .

ومنهم من يقول هذه كلها شريعة ما وإسلام، ولايقول بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المجوس والنصارى واليهود .

ومنهم من يقول بهذه كلها وهم المسلمون ، وكانوا عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على عقيدة واحدة إلا من كان يبطن النفاق . ثم نشأ الخلاف فيما بينهم أولاً في أمور اجتهادية ، وكان غرضهم منها إقامة مراسم الدين ، كاختلافهم في التخلف عن جيش أسامة ، وفي موته صلى الله عليه وسلم ، وفي موضع دفنه ، وفي الإمامة ، وفي ثبوت الإرث عنه صلى الله عليه وسلم ، وفي قتال مانعي الزكاة ، وفي خلافة علي ومعاوية ، وكاختلافهم في بعض الأحكام الفرعية . ثم يتدرج ويترقى إلى آخر أيام الصحابة رضي الله عنهم فظهر قوم خالفوا في القَدَرِ ولم يزل الخلاف يتشعب حتى تفرق أهل الإسلام إلى ثلاث وسبعين فرقة كما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من معجزاته . ولكن كبار الفرق الإسلامية ثمان وهم : المعتزلة ، والشيعة ، والخوارج ، والمرجئة ، والنجارية ، والجبرية ، والمشبِّهة ، والناجية. ويقال لهم أهل السنة والجماعة . هذا ماذكروه في كتب الفرق .

* * *

الإفصاح الثالث : في أقسام الناس بحسب العلوم

اعلم أنهم باعتبار العلم والصناعة قسمان : قسم اعتنى بالعلم فظهرت منهم ضروب المعارف ، فهم صفوة الله من خلقه . وفرقة لم تعتن بالعلم عناية يستحق بها اسمه .

فالأولى : أمم منهم أهل مصر ، والروم ، والهند ، والفرس ، والكلدانيون ، واليونانيون ، والعرب ، والعبرانيون .

والثانية : بقية الأمم ، لكن الأنبه منهم الصين ، والترك .وفي (الملل والنحل) : « إن كبار الأمم أربعة : العرب ،والعجم ، والروم ، والهند . ثم إن العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء ، والحكم بأحكام الماهيات والحقائق ، واستعمال الأمور الروحانية . والعجم والروم يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى تقرير طبائع الأشياء ، والحكم بأحكام الكيفيات والكميات ، واستعمال الأمور الجسمانية » انتهى .

وفي بيان هذه الأمم تلويحات :

التلويح الأول : في أهل الهند

اعلم أن لون الهندي وإن كان في أول مراتب السودان فصار بذلك من جِبلّتهم ، إلا أنه سبحانه وتعالى جَنّبهم سوء أخلاق السودان ودناءة شيمهم وسفاهة أحلامهم ، وفضّلهم على كثير من السمر والبيض . وعلّلَ ذلك بعض أهل التنجيم بأن زُحَل وعُطارِد يتوليان بالقسمة لطبيعة الهند ، فلولاية زحل اسودت ألوانهم ، ولولاية عطارد خلصت عقولهم ولطفت أذهانهم . فهم أهل الآراء الفاضلة والأحلام الراجحة ، لهم التحقق بعلم العدد ، والهندسة ، والطب ، والنجوم ، والعلم الطبيعي والإلهي . فمنهم براهمة : وهي فرقة قليلة العدد ومذهبهم إبطال النبوات وتحريم ذبح الحيوان . ومنهم صابئة وهم جمهور الهند ، ولهم في تعظيم الكواكب وأدوارها آراء ومذاهب ، والمشهور في كتبهم مذهب السندهند أي دهر الدهر ومذهب الأرجهيز ومذهب الأرْكَنْد . ولهم في الحساب والأخلاق والموسيقى تأليفات .

* * *

التلويح الثاني : في الفرس

وهم أعدل الأمم وأوسطهم داراً ، وكانوا في أول أمرهم موحدين على دين نوحٍ عليه السلام إلى أن تَمَذْهَبَ طَهْمُورث بمذهب الصابئين وقَسَرَ الفرسَ على المتشرع به ، فاعتقدوه نحو ألف سنة إلى أن تَمَجّسوا جميعاً بسبب زرادشت ، ولم يزالوا على دينه قريباً من ألف سنة إلى أن انقرضوا . ولخواصهم عناية بالطب وأحكام النجوم ، ولهم أرصاد ومذاهب في حركاتها . واتفقوا على أن أصح المذاهب في الأدوار مذهب الفرس ويسمى سني أهل فارس ، وذلك أن مدة العالم عندهم جزء من اثني عشر ألفاً من مدة السند هند ، وهي أن السيارات وأوجاتها وجوز هراتها تجتمع كلها في رأس الحمل في كل ستة وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة ، ولهم في ذلك كتب جليلة وفي كتاب (الفهرس)(١) يقال : إن أول من تكلم بالفارسية كيومرث وتسميه الفرس « كِلْ شَاه » أي ملك الطين وهو عندهم آدم أبو البشر عليه السلام . وأول من كتب بالفارسية بيوراسب المعروف بالضحاك ، وقيل افريدون » ؛ وقال ابن عبدوس (٢) في (كتاب الوزراء) : « كانت الكتب والرسائل قبل ملك كشتاسب قليلة ولم يكن لهم اقتدار على بسط الكلام واخراج المعاني من النفوس ولما ظهر ملك زرادشت صاحب شريعة المجوس وأظهر كتابه العجيب بجميع اللغات وأخذ الناس بتعلم الخط والكتاب فزادوا ومهروا » . وقال ابن المقفع : لغات الفارسية : الفهلوية ، والدرية ، والفارسية ، والخوزية ، والسريانية .

---

(١) انظر الفهرس ص ١٢ ط أوربا .

(٢) هو الجهشياري ، محمد بن عبدوس بن عبد الله الكوفي الجهشياري ، مؤرخ من الكتاب المترسلين ، وله تصانيف : توفي سنة ٣٣١ هـ — ٩٤٣ م

أما الفهلوية : فمنسوبة إلى فهلة اسم يقع على خمسة بلدان وهي : أصفهان ، والري ، وهمذان ، ونهاوند ، وأذربيجان .

وأما الدرية : فلغة المدائن ، وبها كان يتكلم من بباب الملك ، وهي منسوبة إلى الباب لأن الباب بالفارسية در ، والغالب عليها من لغة أهل خراسان والمشرق لغة أهل بلخ .

فأما الفارسية : فيتكلم بها الموابذة والعلماء ، وهي لغة أهل فارس .

وأما الخوزية : فبها كان يتكلم الملوك والأشراف في الخلوة مع حاشيتهم .

وأما السريانية : فكان يتكلم بها أهل السواد والمكاتبة في نوع من اللغة بالسرياني فارسي .

وللفرس ستة أنواع من الخطوط ، وحروفهم مركبة من : « أبجد هوزي كلمن سف رش تخذغ » فالتاء المثناة والحاءالمهملة والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والقاف سواقط .

* * *

التلويح الثالث : في الكلدانيين

وهم أمة قديمة مسكنهم أرض العراق وجزيرة العرب ، منهم النماردة ملوك الأرض بعد الطوفان ، وبخت نصر منهم ، ولسانهم سرياني . ولم يبرحوا إلى أن ظهر عليهم الفرس وغلبوا مملكتهم . وكان منهم علماء وحكماء متوسعون في الفنون ، ولهم عناية بارصاد الكواكب ، وإثبات الأحكام والخواص . ولهم هياكل وطرائق لاستجلاب

قوى الكواكب وإظهار طبائعها بأنواع القرابين ، فظهرت منهم الأفاعيل الغريبة من إنشاء الطلسمات وغيرها . ولهم مذاهب نقل منها بطليموس في (المجسطي) (١) . ومن أشهر علمائهم أبرخس واصطفن وفي (الفهرس)(٢) أن النبطي أفصح من السرياني ، وبه كان يتكلم أهل بابل . وأما النبطي الذي يتكلم به أهل القرى فهو سرياني غير فصيح ، وقيل : اللسان الذي يستعمل في الكتب الفصيحة بلسان أهل سوريا وحرّان .وللسريانيين ثلاثة أقلام أقدم الأقلام ،ولا فرق بينه وبين العربي في الهجاء إلا أن الثاء المثلثة والخاء والذال والضاد والظاء والغين كلها معجمات سواقط ، وكذا اللام ألف . وتركيب حروفها من اليمين إلى اليسار .

* * *

التلويح الرابع : في أهل يونان

هم أمة عظيمة القدر ، بلادهم بلاد روم إيلي ، وأناطولي ، وقرامان . وكانت عامتهم صابئة عبدة الأصنام ، وكان الإسكندر منهم الذي أجمع ملوك الأرض على الطاعة لسلطانه ، وبعده البطالسة إلى أن غلب عليهم الروم . وكان علماؤهم يسمون فلاسفة إلـهيين أعظمهم خمسة : بندقليس ، كان في عصر داود عليه السلام ، ثم فيثاغورس ، ثم سقراط ، ثم أفلاطون ، ثم أرسطاطاليس .

---

(١) كلمة يونانية معناها « الترتيب » وهو كتاب ألفه بطليموس الفلوزي الحكيم ، يذكر فيه القواعد التي يتوسل بها في إثبات الأوضاع الفلكية والأرضية بأدلتها التفصيلية ، وقد عربه حنين بن إسحاق .

(٢) للنديم ، معروف .

ولهم تصانيف في أنواع الفنون ، وهم من أرفع الناس طبقة ، وأجل أهل العلم منزلة ، لما ظهر منهم من الاعتناء الصحيح بفنون الحكمة من العلوم الرياضية ، والمنطقية ، والمعارف الطبيعية والإلهية ، والسياسات المنزلية والمدنية ، وجميع العلوم العقلية مأخوذة عنهم . ولغة قدمائهم تسمى الإغريقية وهي من أوسع اللغات . ولغة المتأخرين تسمى اللّطيني لأنهم فرقتان : الإغريقيون واللطينيون . وكان ظهور أمة اليونان في حدود سنة ثمان وستين وخمسمائة من وفاة موسى عليه السلام وقبل ظهور الإسكندر بخمس وأربعين وثمانمائة سنة .

* * *

التلويح الخامس : في الروم

وهم أيضاً صابئة إلى أن قام قِسْطَنْطين بدين المسيح وقسرهم على التشرع به فأطاعوه ، ولم يزل دين النصرانية يقوى إلى أن دخل فيه أكثر الأمم المجاورة للروم وجميع أهل مصر . وكان لهم حكماء علماء بأنواع الفلسفة ، وكثير من الناس يقول : إن الفلاسفة المشهورين روميون ، والصحيح أنهم يونانيون ، ولتجاور الأمتين دخل بعضهم في بعض واختلط خبرهم . وكلا الأمتين مشهور العناية بالفلسفة ، إلا أن لليونان من المزية والتفضيل مالا ينكر . وقاعدة مملكتهم رومية الكبرى . ولغتهم مخالفة للغة اليونان . وقيل : لغة اليونان الإغريقية ، ولغة الروم اللطينية ، وقلم اليونان والروم من اليسار إلى اليمين مرتب على ترتيب « أبجد » وحروفهم : « ابج وزطي كلمن سعفص قرشت ثخ ظغ » فالدال ، والهاء ، والحاء ، والذال ، والضاد ،

ولام ألف ، سواقط . ولهم قلم يعرف بالساميا ولانظير له عندنا ، فإن الحرف الواحد منه يحيط بالمعاني الكثيرة ويجمع عدة كلمات .

قال جالينوس في بعض كتبه : « كنت في مجلس عام فتكلمت في التشـريح كلاماً عاماً ، فلمـا كان بعد أيام لقيني صديق لي فقال : إن فلاناً يحفظ عليك في مجلسك أنك تكلمت بكلمة كذا ، وأعاد علي ألفاظي . فقلت : من أين لك هذا ؟ فقال : إني لقيت بكاتب ماهر بالساميا فكان يسبقك بالكتابة في كلامك وهذا العلم يتعلمه الملوك وجلّة الكتّاب ويمنع منه سائر الناس لجلالته » كذا قال النديم في (الفهرس) (١) .

وذكر أيضاً: «أن رجلاً متطبباً جاء إليه من بعلبك سنة ثمان وأربعين ، وزعم أنه يكتب بالساميا ، قال : فجرّبنا عليه فأصبناه إذا تكلمنا بعشر كلمات أصغى إليها ثم كتب كلمة فاستعدناها فأعادها بألفاظنا » . انتهى .

قف : ذكر في السبب الذي من أجله يكتب الروم من اليسار إلى اليمين بلا تركيب أنهم يعتقدون أن سبيل الجالس أن يستقبل المشرق في كل حالاته ، فإنه إذا توجه إلى المشرق يكون الشمال عن يساره ، فإذا كان كذلك فاليسار يعطي اليمين ، فسبيل الكاتب أن يبتدىء من الشمال إلى الجنوب . وعلل بعضهم بكون الاستمداد عن حركة الكبد على القلب .

* * *

التلويح السادس : في أهل مصر

وهم أخلاط من الأمم ، إلا أن جمهرتهم قبط ، وإنما اختلطوا لكثرة

(١) انظره ص ١٦ .

من تداول ملك مصر من الأمم كالعمالقة واليونانيين والروم فخفي أنسابهم فانتسبوا إلى موضعهم . وكانوا في السالف صابئة ثم تنصروا إلى الفتح الإسلامي . وكان لقدمائهم عناية بأنواع العلوم ، ومنهم هرمس الهرامسة قبل الطوفان . وكان بعده علماء بضروب الفلسفة خاصة بعلم الطِّلَّسْمات ، والنِّيرَنْجات ، والمرايا المحرقة ، والكيمياء . وكانت دار العلم بها مدينة مَنْف ، فلما بنى الإسكندر مدينة؛ رغب الناس في عمارتها فكانت دار العلم والحكمة إلى الفتح الإسلامي ، فمنهم الإسكندرانيون الذين اختصروا كتب جالينوس . وقيل : إن القِبْطَ اكتسب العلم الرياضي من الكلدانيين .

* * *

التلويح السابع : في العبرانيين

وهم بنو إسرائيل ، وكانت عنايتهم بعلوم الشرائع وسير الأنبياء ، فكان أحبارهم أعلم الناس بأخبار الأنبياء وبدء الخليقة ، وعنهم أخذ ذلك علماء الإسلام ، لكنهم لم يشتهروا بعلم الفلسفة. ولغتهم تنسب إلى عَابِر بن شَالِخ . والقلم العبراني من اليمين إلى اليسار وهو من « أبجد » إلى آخر « قرشت » وما بعده سواقط (١) ، وهو مشتق من السرياني .

* * *

التلويح الثامن : في العرب

وهم فرقتان : بائدة وباقية ، والبائدة كانت أمماً كعاد وثمود ،

---

(١) أي حروف « ثخذ ضظغ » .

انقرضوا وانقطع عنا أخبارهم . والباقية متفرعة من قحطان وعدنان ، ولهم حال الجاهلية وحال الإسلام . فالأولى منهم : التبابعة والجبابرة ، ولهم مذهب في أحكام النجوم ، لكن لم يكن لهم عناية بأرصاد الكواكب ولابحث عن شيء من الفلسفة . وأما سائر العرب بعد الملوك فكانوا أهل مدر ووبر ، فلم يكن فيهم عالم مذكور ولاحكيم معروف . وكانت أديانهم مختلفة ، وكان منهم من يعبد الشمس والكواكب ، ومنهم من تهود ، ومنهم من يعبد الأصنام حتى جاء الإسلام . ولسانهم أفصح الألسن ، وعلمهم الذي كانوا يفتخرون به علم لسانهم ونظم الأشعار وتأليف الخطب وعلم الأخبار ، ومعرفة السير والأعصار . قال الهمداني : « ليس يوصل إلى أحد خبر من أخبار العرب والعجم إلا بالعرب ، وذلك أن من سكن بمكة أحاطوا بعلم العرب العاربة وأخبار أهل الكتاب . وكانوا يدخلون البلاد للتجارات فيعرفون أخبار الناس . وكذلك من سكن الحيرةَ وجاور الأعاجم علم أخبارهم وأيام حِمْيَرَ ومسيرها في البلاد . وكذلك من سكن الشام خبر بأخبار الروم وبني اسرائيل واليونان . ومن وقع في البحرين وعُمان فعنه أتت أخبار السند والهند وفارس . ومن سكن اليمن علم أخبار الأمم جميعاً لأنه كان في ظل الملوك السيارة . والعرب أصحاب حفظ ورواية ولهم معرفة بأوقات المطالع والمغارب وأنواء الكواكب وأمطارها لاحتياجهم إليه في المعيشة لاعلى طريق تعلم الحقائق والتدرب في العلوم . وأما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله سبحانه وتعالى شيئاً منه ولاهيأ طباعهم للعناية به إلا نادراً » وقد ذكرنا في (لقطة العجلان) (١) أحوال الأمم الماضية على سبيل الايجاز فإن شئت فارجع إليه .

* * *

(١) لمؤلف أبجد العلوم

الفصل الثّالث

في أهل الإسلام وعلومهم

وفيه إشارات

الإشارة الأولى : في صدر الإسلام .

اعلم أن العرب في آخر عصر الجاهلية حين بعث النبي –صلى الله عليه وسلم – قد تفرق ملكها وتشتت أمرها ، فضم الله سبحانه وتعالى به شاردها ، وجمع عليه جماعة من قحطان وعدنان ، فآمنوا به ورفضوا جميع ماكانوا عليه ، والتزموا شريعة الإسلام من الاعتقاد والعمل . ثم لم يلبث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا قليلاً حتى توفي وخلفه أصحابه رضي الله عنهم ، فغلبوا الملوك وبلغت مملكة الإسلام في أيام عثمان بن عفان من الجلالة والسعة إلى حيث نبه عليه الصلاة والسلام في قوله : «زُوِيتْ لي الأرضُ فأُريتُ مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملكُ أمتي مازُويَ لي منها » فأباد الله تعالى بدولة الإسلام دولة الفرس بالعراق وخراسان ، ودولة الروم بالشام ، ودولة القبط بمصر . فكانت العرب في صدر الإسلام لاتعتني بشيء من العلوم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها وبصناعة الطب فإنها كانت موجودة عند أفراد منهم لحاجة الناس طراً إليها ، وذلك منهم صوناً لقواعد الإسلام وعقائده

عن تطرق الخلل من علوم الأوائل قبل الرسوخ والإحكام ، حتى يروى أنهم أحرقوا ماوجدوا من الكتب في فتوحات البلاد . وقد ورد النهي عن النظر في التوراة والإنجيل لاتحاد الكلمة واجتماعها على الأخذ والعمل بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – واستمر ذلك إلى آخر عصر التابعين .ثم حدث اختلاف الآراء وانتشار المذاهب فآل الأمر إلى التدوين والتحصين .

* * *

الإشارة الثانية : في الاحتياج إلى التدوين

اعلم أن الصحابة والتابعين لخلوص عقيدتهم ببركة صحبة النبي – صلى الله عليه وسلم – وقرب العهد إليه ، ولقلة الاختلاف والواقعات ، وتمكنهم من المراجعة إلى الثقات ، كانوا مستغنين عن تدوين علم الشرائع والأحكام ، حتى إن بعضهم كره كتابة العلم ، واستدل بما روي عن أبي سعيد الخدري أنه استأذن النبي – صلى الله عليه وسلم – في كتابة العلم فلم يأذن له . وروي عن ابن عباس أنه نهى عن الكتابة وقال : إنما ضل من كان قبلكم بالكتابة . وجاء رجل إلى عبد الله بن عباس فقال : إني كتبت كتاباً أريد أن أعرضه عليك ، فلما عرض عليه أخذ منه ومحا بالماء . فقيل له : لماذا فعلت ؟ قال : لأنهم إذا كتبوا اعتمدوا على الكتابة وتركوا الحفظ ، فيعرض للكتاب عارض فيفوت علمهم . واستُدِلَّ أيضاً بأن الكتاب مما يزاد فيه وينقص ويُغَيَّر ، والذي حفظ لايمكن تغييره ، لأن الحافظ يتكلم بالعلم والذي يخبر عن الكتابة يخبر بالظن والنظر .

ولما انتشر الإسلام واتسعت الأمصار وتفرقت الصحابة في الأقطار ، وحدثت الفتن واختلاف الآراء وكثرت الفتاوى والرجوع إلى الكبراء، أخذوا في تدوين الحديث والفقه وعلوم القرآن ، واشتغلوا بالنظر والاستدلال والاجتهاد والاستنباط وتمهيد القواعد والأصول ، وترتيب الأبواب والفصول ، وتكثير المسائل بأدلتها ، وإيراد الشبه بأجوبتها ، وتعيين الأوضاع والاصطلاحات ، وتبيين المذاهب والاختلافات . وكان ذلك مصلحة عظيمة وفكرة في الصواب مستقيمة ، فرأوا ذلك مستحباً بل واجباً لقضية الإيجاب المذكور مع قوله –صلى الله عليه وسلم– « العلم صَيْدٌ والكتابة قَيْد قيِّدوا رحمكم الله تعالى علو مكم بالكتابة» الحديث . قلت : ولعل هذا الحديث لم يصح .

* * *

الإشارة الثالثة : في أول من صنف في الإسلام

اعلم أنه اختلف في أول من صنف ، فقيل : الإمام عبد الملك ابن عبد العزيز بن جرَيج البصري المتوفى سنة خمس وخمسين ومائة . وقيل : أبو النضر سعيد بن أبي عروبة المتوفى سنة ست وخمسين ومائة ، ذكرهما الخطيب البغدادي . وقيل : ربيع بن صبيح المتوفى سنة ستين ومائة قاله أبومحمد الرامهرمزي . ثم صنف سفيان بن عيينة ، ومالك بن أنس بالمدينة المنورة ، وعبدالله بن وهب بمصر ، ومَعْمَر وعبد الرزاق باليمن ، وسفيان الثوري ومحمد بن فضيل بن غزوان بالكوفة ، وحمّاد بن سلمة وروح بن عبادة بالبصرة ، وهُشَيْم بواسط ، وعبد الله بن مبارك بخراسان . وكان مطمح نظرهم ومطرح

بصرهم بالتدوين ضبط معاقد القرآن والحديث ومعانيهما ، ثم دونوا فيما هو كالوسيلة إليهما .

* * *

الإشارة الرابعة : في اختلاط علوم الأوائل والإسلام

اعلم أن علوم الأوائل كانت مهجورة في عصر الأموية ، ولما ظهر آل العباس كان أول من عني منهم بالعلوم الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور ، وكان رحمه الله تعالى — مع براعته في الفقه — مقدماً في علم الفلسفة وخاصة في النجوم محباً لأهلها ، ثم لما أفضت الخلافة إلى السابع عبد الله المأمون بن الرشيد تمم مابدأ به جدّه ، فأقبل على طلب العلم في مواضعه واستخراجه من معادنه بقوة نفسه الشريفة وعلو همته المنيفة ، فداخل ملوك الروم وسألهم وُصْلَة مالديهم من كتب الفلاسفة ، فبعثوا إليه منها بما حضرهم من كتب أفلاطون ، وأرسطو ، وبقراط ، وجالينوس ، وإقليدس ، وبطليموس وغيرهم ، وأحضر لها مهرة المترجمين فترجموا له على غاية ماأمكن ، ثم كلف الناس قراءتها ورغبهم في تعلمها ، إذ المقصود من المنع هو إحكام قواعد الإسلام ورسوخ عقائد الأنام ، وقد حصل وانقضى ، على أن أكثرها مما لاتعلق له بالديانات . فنفقت له سوق العلم وقامت دولة الحكمة في عصره وكذلك سائر الفنون ، فأتقن جماعة من ذوي الفهم في أيامه كثيراً من الفلسفة ، ومهدوا أصول الأدب ، وبينوا منهاج الطلب ، ثم أخذ الناس يزهدون في العلم ويشتغلون عنه بتزاحم الفتن تارة وجمع الشمل أخرى إلى أن كاد يرتفع جملة . وكذا شأن سائر الصنائع والدول

فإنها تبتدىء قليلاً قليلاً ،ولايزال يزيد حتى يصل إلى غاية هي منتهاه ، ثم يعود إلى النقصان فيؤول أمره إلى الغيبة في مهاد النسيان. والحق أن أعظم الأسباب في رواج العلم وكساده هو رغبة الملوك في كل عصر وعدم رغبتهم . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

★ ★ ★

الفصل الرابع

في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع

وذلك أن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله ، ومالم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلاً . وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعي ، لأنا نجد فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد ووعيها مشتركاً بين من شدا في ذلك الفن ،وبين من هو مبتدىء فيه،وبين العامي الذي لم يحصل علماً، وبين العالم النحرير . والملكة إنما هي للعالم أو الشادي في الفنون دون من سواهما ،فدل على أن هذه الملكة غير الفهم والوعي . والملكات كلها جسمانية سواء كانت في البدن أو في الدماغ من الفكر وغيره كالحساب ، والجسمانيات كلها محسوسة فتفتقر إلى التعليم ، ولهذا كان السند في التعليم في كل علم أو صناعة إلى مشاهير المعلمين فيها معتبراً عند كل أهل أفق وجيل ،ويدل أيضاً على أن تعليم العلم صناعة لاختلاف الاصطلاحات فيه ، فلكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كلها ، فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم والا لكان واحداً عند جميعهم . ألا ترى إلى علم الكلام كيف تخالف في تعليمه اصطلاح

المتقدمين والمتأخرين وكذا أصول الفقه . وكذا العربية . وكذا كل علم تتوجه إلى مطالعته تجد الاصطلاحات في تعليمه متخالفة . فدل على أنها صناعات في التعليم . والعلم واحد في نفسه . وإذا تقرر لك هذا فاعلم أن سند تعليم العلم لهذا العهد قد كاد أن ينقطع عن أهل المغرب باختلال عمرانه وتناقض الدول فيه ومايحدث عن ذلك من نقص الصنائع وفقدانها كما مر ، وذلك أن القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والأندلس واستبحر عمرانهما . وكان فيهما للعلوم والصنائع أسواق نافقة وبحور زاخرة ، ورسخ فيهما التعليم لامتداد عصورهما وماكان فيهما من الحضارة . فلما خربتا انقطع التعليم من المغرب إلا قليلاً كان في دولة الموحدين بمراكش مستفاداً منها ، ولم ترسخ الحضارة بمراكش لبداوة الدولة الموحدية في أولها وقرب عهد انقراضها بمبدئها . فلم تتصل أحوال الحضارة فيها إلا في الأقل . وبعد انقراض الدولة بمراكش ارتحل إلى المشرق من إفريقية القاضي أبو القاسم بن زيتون لعهد أواسط المائة السابعة فادرك تلميذ الإمام ابن الخطيب فأخذ عنهم ولقن تعليمهم وحذق في العقليات والنقليات ورجع إلى تونس بعلم كثير وتعليم حسن . وجاء على أثره من المشرق أبو عبد الله بن شعيب الدكالي كان ارتحل إليه من المغرب فأخذ عن مشيخة مصر ورجع إلى تونس واستقربهاوكان تعليمه مفيداً،فأخذ عنهما أهل تونس واتصل سند تعليمهما في تلاميذهما جيلا بعد جيل حتى انتهى إلى القاضي محمد بن عبد السلام شارح (مقدمة ابن الحاجب) وتلميذه . وانتقل من تونس إلى تلمسان في ابن الإمام وتلميذه فإنه قرأ مع ابن عبد السلام على مشيخة واحدة وفي مجالس بأعيانها . وتلميذ ابن عبد السلام بتونس وابن الإمام بتلمسان لهذا العهد ، إلا أنهم من القلة بحيث يخشى انقطاع

سندهم . ثم ارتحل من زواوة في آخر المئة السابعة أبو علي ناصر الدين المشدالي وأدرك تلميذ أبي عمرو بن الحاجب وأخذ عنهم ولقن تعليمهم، وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة ، وحذق في العقليات والنقليات ورجع إلى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد ونزل ببجاية ، واتصل سند تعليمه في طلبتها وربما انتقل إلى تلمسان عمران المشدالي من تلميذه وأوطنها وبث طريقته فيها وتلميذه لهذا العهد ببجاية وتلمسان قليل أو أقل من القليل . وبقيت فاس وسائر أقطار المغرب خلواً من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان . ولم يتصل سند التعليم فيهم فعسر عليهم حصول الملكة والحذق في العلوم . وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها ، فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتاً لاينطقون ولايفاوضون ، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم . ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل تجد ملكته قاصرة في علمه إن فاوض أو ناظر أو عَلّم .، وماأتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده وإلا فحفظهم أبلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به ، وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك .ومما يشهد بذلك في المغرب أن المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة . وهي بتونس خمس سنين. وهذه المدة بالمدارس على التعارف هي أقل مايتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية أو اليأس من تحصيلها ، فطال أمدها في المغرب لهذه المدة لأجل عسرها من قلة الجودة في التعليم خاصةلامما سوى ذلك .

وأما أهل الأندلس فذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص عمران المسلمين بها منذ مئين من السنين ، ولم يبق من رسم العلم فيهم إلا فن العربية والأدب ؛ اقتصروا عليه وانحفظ سند تعليمه بينهم فانحفظ بحفظه . وأما الفقه بينهم فرسم خلي وأثر بعد عين ، وأما العقليات فلا أثر لها ولاعين وماذاك إلا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص العمران وتغلب العدو على عامتها إلا قليلا بسيف البحر ، شغلهم بمعايشهم أكثر من شغلهم بما بعدها والله غالب على أمره .

وأما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه بل أسواقه نافقة وبحوره زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه ، وإن كانت الأمصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة . إلا أن الله تعالى قد أدال فيها بأمصار أعظم من تلك وانتقل العلم منها إلى عراق العجم بخراسان وماوراء النهر من المشرق ، ثم إلى القاهرة وماإليها من المغرب فلم تزل موفورة وعمرانها متصلا وسند التعليم بها قائماً . فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم بل وفي سائر الصنائع حتى إنه ليظن كثير من رحالة أهل المغرب إلى المشرق في طلب العلم أن عقولهم على الجملة أكمل من عقول أهل المغرب وأنهم أشد نباهة وأعظم كيساً بفطرتهم الأولى ، وأن نفوسهم الناطقة أكمل بفطرتها من نفوس أهل المغرب ، ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم في حقيقة الإنسانية ، ويتشيعون لذلك ويولعون به لما يرون من كيسهم في العلوم والصنائع . وليس كذلك وليس بين قطر المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذي هو تفاوت في الحقيقة الواحدة ، اللهم إلا الأقاليم المنحرفة مثل الأول والسابع فإن الأمزجة فيها منحرفة والنفوس

على نسبتها كما مر ، وإنما الذي فضل به أهل المشرق أهل المغرب هو ما يحصل في النفس من آثار الحضارة من العقل المزيد كما في تقدم الصنائع . ونزيده الآن تحقيقاً وذلك أن الحضر لهم آداب في أحوالهم في المعاش والمسكن والبناء وأمور الدين والدنيا ، وكذا سائر أعمالهم وعاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم ، فلهم في ذلك كله آداب يوقف عندها في جميع مايتناولونه ويتلبسون به من أخذ وترك حتى كأنها حدود لاتتعدى ، وهي مع ذلك صنائع يتلقاها الآخر عن الأول منهم . ولاشك أن كل صناعة مرتبة يرجع منها إلى النفس أثر يكسبها عقلا جديداً تستعد به لقبول صناعة أخرى ، ويتهيأ بها العقل لسرعة الإدراك للمعارف . ولقد بلغنا في تعليم الصنائع عن أهل مصر غايات لاتدرك مثل أنهم يعلمون الحمر الأنسية والحيوانات العجم من الماشي والطائر مفردات من الكلام والأفعال يستغرب ندورها ويعجز أهل المغرب عن فهمها . وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الأحوال العادية يزيد الإنسان ذكاء في عقله وإضاءةفي فكرة بكثرة الملكات الحاصلة للنفس ، إذ النفس إنما تنشأ بالإدراكات ومايرجع إليها من الملكات فيزدادون بذلك كيساً لما يرجع إلى النفس من الآثار العلمية فيظنه العامي تفاوتاً في الحقيقة الإنسانية ، وليس كذلك ألا ترى إلى أهل الحضر مع أهل البدو كيف تجد الحضري متحلياً بالذكاء ممتلئاً من الكيس حتى إن البدوي ليظنه أنه قد فاقه في حقيقة إنسانيته وعقله ، وليس كذلك وماذاك إلا لاجادته في ملكات الصنائع والآداب في العوائد والأحوال الحضرية مالا يعرفه البدوي فلما امتلأ الحضري من الصنائع وملكاتها وحسن تعليمها ظن كل من قصر عن تلك الملكات أنها الكمال في عقله وأن نفوس أهل البدو قاصرة بفطرتها وجبلتها عن فطرته، وليس

كذلك فإنا نجد من أهل البدو من هو في أعلى رتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرته ، إنما الذي ظهر على أهل الحضر من ذلك هو رونق الصنائع والتعليم فإن لها آثاراً ترجع إلى النفس . وكذا أهل المشرق لما كانوا في التعليم والصنائع أرسخ رتبة وأعلى قدماً وكان أهل المغرب أقرب إلى البداوة ظن المغفلون في بادىء الرأي أنه لكمال في حقيقة الإنسانية اختصوا به عن أهل المغرب ، وليس ذلك بصحيح فتفهمه والله يزيد في الخلق مايشاء وهو إله السموات والأرض .

قف : إن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة ، والسبب في ذلك أن تعليم العلم من جملة الصنائع ، وأن الصنائع إنما تكثر في الأمصار ، وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة لأنه أمر زائد على المعاش . فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت إلى ماوراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان وهي العلوم والصنائع ، ومن تشوف بفطرته إلى العلم ممن نشأ في القرى والأمصار غير المتمدنة فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعي لفقدان الصنائع في أهل البدو ، ولابد له من الرحلة في طلبه إلى الأمصار المستبحرة شأن الصنائع كلها . واعتبر ماقررناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة لما كثر عمرانها صدر الإسلام واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحار العلم وتفننوا في اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون ، حتى أربوا على المتقدمين وفاقوا المتأخرين . ولما تناقص عمرانها وابذعرّ سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة ، وفقد العلم بها والتعليم وانتقل إلى غيرها من أمصار الإسلام .

ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما أن عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين ، فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ومن جملتها تعليم العلم ، وأكد ذلك فيها وحفظه ماوقع لهذه العصور بها منذ مائتين من السنين في دولة الترك من أيام صلاح الدين بن أيوب وهلم جرا . وذلك أن أمراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم لماله عليهم من الرق أو الولاء ، ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته ، فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الأوقاف المغلة يجعلون فيها شركا لولدهم بنظر عليها أو نصيب منها ، مع مافيهم غالباً من الجنوح إلى الخير والتماس الأجور في المقاصد والأفعال ، فكثرت الأوقاف لذلك وعظمت الغلات والفوائد . وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جرايتهم منها ،وارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ، ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها والله يخلق مايشاء وهو العليم الحكيم (١) .

★ ★ ★

(١) في هامش الأصل تعقيب نصه : « وكان دار العلم بمملكة الهند بلدة دهلي ثم جونفور ثم إله آباد ثم بهادر ثم بلجرام وماإليها من القصبات ثم لكهنو وماضاهاها من القرى المتصلة بها ، زخرت في هذه البلاد بحار العلوم العقلية والنقلية ونفقت أسواقها زمناً طويلا حين كانت بها سلطنة الإسلام ، ثم زالت تلك العلوم وأهلها بزوال دولة الإسلام إلى أن لم يبق منها أثر ولا عين كما قيل :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام »

« مولوي عبد الصمد مشاوري سلمه الله تعالى » .

الباب الثالث

في المؤلِّفين والمؤلَّفات والتحصيل

وفيه ترشيحات

الترشيح الأول : في أقسام التدوين وأصناف المدونات

اعلم أن كتب العلم كثيرة لاختلاف أغراض المصنفين في الوضع والتأليف ولكن تنحصر من جهة المعنى في قسمين :

الأول : إما أخبار مرسلة ، وهي كتب التواريخ . وإما أوصاف وأمثال ونحوها قيدها النظم وهي دواوين الشعر .

والثاني : قواعد علوم ، وهي تنحصر من جهة المقدار في ثلاثة أصناف :

الأول : مختصرات تجعل تذكرة لرؤوس المسائل ينتفع بها المنتهي للاستحضار ، وربما أفادت بعض المبتدئين الأذكياء لسرعة هجومهم على المعاني من العبارات الدقيقة .

والثاني : مبسوطات تقابل المختصرات ،وهذه ينتفع بها للمطالعة .

الثالث : متوسطات وهذه نفعها عام .

ثم إن التأليف على سبعة أقسام لايؤلف عالم عاقل إلا فيها ، وهي إما

شيء لم يسبق إليه فيخترعه ، أو شيء ناقص يتممه ، أو شيء مغلق يشرحه ، أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه ، أو شيء متفرق يجمعه ، أو شيء مختلط يرتبه ، أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه.

وينبغي لكل مؤلف كتاب في فن قد سبق إليه أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد : استنباط شيء كان معضلاً ، أو جمعه إن كان مفرقاً ، أو شرحه إن كان غامضاً ، أو حسن نظم وتأليف ، أو إسقاط حشو وتطويل.

وشرط في التأليف إتمام الغرض الذي وضع الكتاب لأجله من غير زيادة ولا نقص ، وهجر اللفظ الغريب وأنواع المجاز ، اللهم إلا في الرمز والاحتراز عن ادخال علم في علم آخر ، وعن الاحتجاج بما يتوقف بيانه على المحتج به عليه لئلا يلزم الدور . وزاد المتأخرون اشتراط حسن الترتيب ، ووجازة اللفظ ، ووضوح الدلالة . وينبغي أن يكون مسوقاً على حسب إدراك أهل الزمان وبمقتضى ماتدعوهم إليه الحاجة ، فمتى كانت الخواطر ثاقبة والأفهام للمراد من الكتب متناولة قام الاختصار لها مقام الإكثار وأغنت بالتلويح عن التصريح ، وإلا فلا بد من كشف وبيان وإيضاح وبرهان ينبه الذاهل ويوقظ الغافل . وقد جرت عادة المصنفين بأن يذكروا في صدر كل كتاب تراجم لتعرب عنه سموها الرؤوس وهي ثمانية : الغرض ، وهو الغاية السابقة في الوهم المتأخرة في الفعل . والمنفعة ليتشوق الطبع . والعنوان الدال بالإجمال على مايأتي تفصيله وهو قد يكون بالتسمية وقد يكون بألفاظ وعبارات تسمى براعة الاستهلال . والواضع ليعلم قدره . ونوع العلم وهو الموضوع ليعلم مرتبته . وقد يكون الكتاب مشتملاً على نوع من العلوم ، وقد يكون جزءاً من أجزائه ، وقد يكون مدخلاً كما سبق في بحث الموضوع . ومرتبة ذلك الكتاب أي متى يجب

أن يقرأ . وترتيبه.ونحو التعليم المستعمل فيه وهو بيان الطريق المسلوك في تحصيل الغاية .

وأنحاء التعليم خمسة :

الأول : التقسيم والقسمة المستعملة في العلوم ، قسمة العام إلى الخاص ، وقسمة الكل إلى الجزء ، أو الكلي إلى الجزئيات ، وقسمة الجنس إلى الأنواع ، وقسمة النوع إلى الأشخاص ، وهذه قسمة ذاتي إلى ذاتي. وقد يقسم الكلي إلى الذاتي والعرضي والذاتي إلى العرضي ، والعرضي إلى الذاتي ، والعرضي إلى العرضي . والتقسيم الحاصر هو المردد بين النفي والإثبات.

والثاني : التركيب ، وهو جعل القضايا مقدمات تؤدي إلى المعلوم.

والثالث : التحليل ، وهو إعادة تلك المقدمات .

والرابع : التحديد ، وهو ذكر الأشياء بحدودها الدالة على حقائقها دلالة تفصيلية .

والخامس : البرهان ، وهو قياس صحيح عن مقدمات صادقة ، وإنما يمكن استعماله في العلوم الحقيقية وأما ماعداها فيكتفى بالإقناع .

* * *

الترشيح الثاني : في الشرح وبيان الحاجة إليه والأدب فيه

اعلم أن كل من وضع كتاباً إنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح، وإنما احتيج إلى الشرح لأمور ثلاثة :

الأمر الأول : كمال مهارة المصنف ، فإنه لجودة ذهنه وحسن

عبارته يتكلم على معان دقيقة بكلام وجيز كاف في الدلالة على المطلوب وغيره ليس في مرتبته ، فربما عسر عليه فهم بعضها أو تعذر فيحتاج إلى زيادة بسط في العبارة لتظهر تلك المعاني الخفية ، ومن ههنا شرح بعض العلماء تصنيفه .

الأمر الثاني : حذف بعض مقدمات الأقيسة اعتماداً على وضوحها ، أو لأنها من علم آخر ، أو أهمل ترتيب بعض الأقيسة فأغفل علل بعض القضايا فيحتاج الشارح إلى أن يذكر المقدمات المهملة ، ويبين مايمكن بيانه في ذلك العلم ، ويرشد إلى أماكن فيما لا يليق بذلك الموضع من المقدمات ، ويرتب القياسات ويعطي علل مالم يعط المصنف .

الأمر الثالث : احتمال اللفظ لمعان تأويلية أو لطافة المعنى عن أن يعبر عنه بلفظ يوضحه ، أو للألفاظ المجازية واستعمال الدلالة الالتزامية ، فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه . وقد يقع في بعض التصانيف مالا يخلو البشر عنه من السهو والغلط والحذف لبعض المهمات وتكرار الشيء بعينه بغير ضرورة إلى غير ذلك فيحتاج أن ينبه عليه .

ثم إن أساليب الشرح على ثلاثة أقسام :

الأول : الشرح بـ « قال أقول » كـ (شرح المقاصد) و (شرح الطوالع) للأصفهاني و(شرح العضد) وأما المتن فقد يكتب في بعض النسخ بتمامه وقد لايكتب لكونه مندرجاً في الشرح بلا امتياز .

الثاني :الشرح بقوله كـ (شرح البخاري) لابن حجر والكرماني ونحوهما ، وفي أمثاله لايلتزم المتن ، وإنما المقصود ذكر المواضع المشروحة ، ومع ذلك قد يكتب بعض النساخ متنه تماماً إما في الهامش وإما في المسطر فلا ينكر نفعه .

والثالث : الشرح مزجاً ويقال له « شرح ممزوج » تمزج فيه عبارة المتن والشرح ، ثم تمتاز إما بالميم والشين وإما بخط يخط فوق المتن وهو طريقة أكثر الشراح المتأخرين من المحققين وغيرهم ، لكنه ليس بمأمون عن الخلط والغلط .

ثم إن من آداب الشارح وشرطه أن يبذل النصرة فيما قد التزم شرحه بقدر الاستطاعة، ويذُبّ عما قد تكفّل ايضاحه بما يذب به صاحب تلك الصناعة ليكون شارحاً غير ناقض وجارح، ومفسراً غير معترض، اللهم إلا إذا عثر على شيء لايمكن حمله على وجه صحيح ، فحينئذٍ ينبغي أن ينبه عليه بتعريض أو تصريح متمسكاً بذيل العدل والإنصاف متجنباً عن الغي والاعتساف ،لأن الإنسان محل النسيان، والقلم ليس بمعصوم من الطغيان ، فكيف بمن جمع المطالب من محالها المتفرقة . وليس كل كتاب ينقل المصنف عنه سالماً من العيب محفوظاً له عن ظهر الغيب حتى يلام في خطئه ، فينبغي أن يتأدب عن تصريح الطعن للسلف مطلقاً ويكني بمثل « قيل ، وظن ، ووهم ، وأعترض ، وأجيب ، وبعض الشراح ، والمحشي ، أو بعض الشروح ، والحواشي » ونحو ذلك من غير تعيين كما هو دأب الفضلاء من المتأخرين فإنهم تأنقوا في اسلوب التحرير وتأدبوا في الرد والاعتراض على المتقدمين بأمثال ماذكر تنزيهاً لهم عما يفسد اعتقاد المبتدئين فيهم وتعظيماً لحقهم ، وربما حملوا هفواتهم على الغلط من الناسخين لا من الراسخين . وإن لم يمكن ذلك قالوا : لأنهم لفرط اهتمامهم بالمباحثة والإفادة لم يفرغوا لتكرير النظر والإعادة . وأجابوا عن لمز بعضهم بأن ألفاظ كذا وكذا ألفاظ فلان بعبارته بقولهم : إنا لانعرف كتاباً ليس فيه ذلك ، فإن تصانيف المتأخرين بل المتقدمين

لاتخلو عن مثل ذلك لا لعدم الاقتدار على التغيير بل حذراً عن تضييع الزمان فيه، وعن مثالبهم بأنهم عزَوْا إلى أنفسهم ماليس لهم بأنه إن اتفق فهو من توارد الخواطر كما في تعاقب الحوافر على الحوافر.

* * *

الترشيح الثالث : في أقسام المصنفين وأحوالهم

اعلم أن المؤلفين المعتبرة تصانيفهم فريقان :

الأول : من له في العلم ملكة تامة ، ودربة كافية ، وتجارب وثيقة ، وحدس صائب ، وفهم ثاقب . فتصانيفهم عن قوة تبصرة ونفاذ فكر وسداد رأي كالنصير (١) ، والعضد ، والسيد، والسعد، والجلال وأمثالهم، فإن كلاً منهم يجمع إلى تحرير المعاني تهذيب الألفاظ . وهؤلاء أحسنوا إلى الناس كما أحسن الله سبحانه وتعالى إليهم . وهذه لايستغني عنها أحد .

والثاني : من له ذهن ثاقب وعبارة طلقة طالع الكتب فاستخرج دررها وأحسن نظمها ، وهذه ينتفع به المبتدئون والمتوسطون . ومنهم

(١) في هامش الأصل تعليق نصه : « التمثيل بالنصير وأمثاله ليس عندنا على ماينبغي ، لأن غالب تصانيفهم على طريقة المتكلمة والفضلاء ، فالمثال هنا بتصانيف ابن تيمية وابن القيم والشوكاني وأمثال هؤلاء من محدثي السلف والخلف بما يجب المصير إليه ، لأن تواليف هؤلاء الكرام مما ينفع الإسلام وأهله في الدنيا والآخرة بخلاف تصانيف تلك الطائفة التي قل نفعها للأنام ، والله يعلم وأنتم لاتعلمون ١٢ منه — ح » .

والنصير : هو النصير الطوسي المتوفى سنة ٦٧٢هـ . والعضد : هو عضد الدين الايجي المتوفى سنة ٧٥٦هـ. والسيد : هو السيد الشريف الجرجاني وقد مرت ترجمته ص ١١ والسعد : هو سعد الدين التفتازاني ومرت ترجمته ص ٥٢ والجلال : هو جلال الدين الدواني وقد مرت ترجمته ص ٣٧

من جمع وصنف للاستفادة لا للإفادة فلا حجر عليه بل يرغب إليه إذا تأهل ، فإن العلماء قالوا : ينبغي للطالب أن يشتغل بالتخريج والتصنيف فيما فهمه منه إذا احتاج الناس إليه بتوضيح عبارته ، غير مائل عن المصطلح ، مبيناً مشكله ، مظهراً ملتبسه كي يكسبه جميل الذكر وتخليده إلى آخر الدهر . فينبغي أن يفرغ قلبه لأجله إذا شرع ، ويصرف إليه كل شغله قبل أن يمنعه مانع عن نيل ذلك الشرف . ثم إذا تم لايخرج ماصنفه إلى الناس ولايدعه عن يده إلا بعد تهذيبه وتنقيحه وتحريره وإعادة مطالعته فإنه قد قيل : الإنسان في فسحة من عقله وفي سلامة من أفواه جنسه مالم يضع كتاباً أو لم يقل شعراً . وقد قيل : من صنف كتاباً فقد استشرف للمدح والذم ، فإن أحسن فقد استهدف من الغيبة والحسد ، وإن أساء فقد تعرض للشتم والقذف . قالت الحكماء : من أراد أن يصنف كتاباً أو يقول شعراً فلا يدعوه العجب به وبنفسه إلى أن ينتحله ، ولكن يعرضه على أهله في عرض رسائل أو أشعار ، فإن رأى الأسماع تصغي إليه ورأى من يطلبه انتحله وادّعاه وإلا فليأخذ في غير تلك الصناعة ،

قف : ومن الناس من ينكر التصنيف في هذا الزمان مطلقاً ، ولا وجه لإنكاره من أهله ، وإنما يحمله عليه التنافس والحسد الجاري بين أهل الاعصار ، ولله در القائل في نظمه :

قلْ لمنْ لايَرَى المُعاصِرَ شَيْئاً
وَيَرى للأَوائِلِ التّقْدِيما

إنّ ذاكَ القديمَ كانَ حَدِيثاً
وَسَيَبْقَى هَذَا الحديثُ قَدِيماً

واعلم أن نتائج الأفكار لا تقف عند حد ، وتصرفات

الأنظـار لا تنتهي إلى غاية ، بل لكل عالم ومتعلم منهـا حظ يحرزه في وقته المقدر له ، وليس لأحد أن يزاحمه فيه ، لأن العالم المعنوي واسع كالبحر الزاخر ،والفيض الإلهي ليس له انقطاع ولا آخر ، والعلوم منح إلهية ومواهب صمدانية ، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين مالم يدخر لكثير من المتقدمين . فلا تغتر بقول القائل : « ماترك الأول للآخر » بل القول الصحيح الظاهر : « كم ترك الأول للآخر » فإنما يستجاد الشيء ويسترذل لجودته ورداءته في ذاته لا لقدمه وحدوثه . ويقال : ليس كلمة أضر بالعلم من قولهم : ماترك الأول شيئاً ، لأنه يقطع الآمال عن العلم ، ويحمل على التقاعد عن التعلم ، فيقتصر الآخر على ماقدم الأول من الظاهر ، وهو خطر عظيم وقول سقيم ، فالأوائل وان فازوا باستخراج الأصول وتمهيدها فالأواخر فازوا بتفريع الأصول وتشييدها كما قال صلى الله عليه وسلم : «أمتي أمة مباركة لايدري أولها خير اً وآخرها» وقال ابن عبد ربه في (العقد)(١) «اني رأيت آخر كل طبقة واضعي كل حكمة ، ومؤلفي كل أدب أهذب لفظاً وأسهل لغة وأحكم مذاهب وأوضح طريقة من الأول لأنه ناقض متعقب والأول باد متقدم » انتهى . ورُوي أن خواجه زاده كان يقول : « مانظرت في كتاب أحد بعد تصانيف السيد الشريف الجرجاني (٢) بنية الاستفادة » وذكر صاحب (الشقائق) (٣) في ترجمة

(١) في هامش الأصل : « هذا الكتاب قد طبع بهذا العهد بمصر في مجلدات » سيدعلي حسن خان ولد المؤلف سلمه الله .

(٢) في هامش الأصل : «قلت : ومن فاز يوماً من أيام الدهر بتصانيف شيخنا الشوكاني ومن حذا حذوه وكان من أهل الورع والانصاف لم يحتج إلى غيره في شيء من علوم الدين إن شاء الله تعالى » .

(٣) هو : الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، لأحمد بن مصطفى المعروف بطاشكبري زاده المتوفى سنة ٩٦٨ هـ .

شمس الدين الفناري : « أن الطلبة إلى زمانه كانوا يعطلون يوم الجمعة ويوم الثلاثاء فأضاف إليهما يوم الاثنين للاشتغال بكتابة تصانيف العلامة التفتازاني — رحمه الله — وتحصيلها » انتهى .

* * *

الترشيح الرابع : في بيان مقدمة العلم ومقدمة الكتاب

اعلم أن المقدّمة —بكسر الدال المشددة وفتحها — تطلق على معان: منها مايتوقف عليه الشيء ، سواء كان التوقف عقلياً أو عادياً أو جعلياً ، وهي في عرف اللغة صارت اسماً لطائفة متقدمة من الجيش ، وهي في الأصل صفة من التقديم بمعنى التقدم . ولايبعد أن يكون من التقديم المتعدي لأنها تقدم أنفسها بشجاعتها على أعدائها في الظفر . ثم نقلت إلى مايتوقف عليه الشيء ، وهذا المعنى يعم جميع المعاني الآتية . ومنها مايتوقف عليه الفعل ،يؤيد ذلك ماقال السيد السند في (حاشية العضدي) في مسائل الوجوب في بحث الحكم « المقدمة عند الأصوليين على ثلاثة أقسام : مايتوقف عليه الفعل عقلاً كترك الأضداد في فعل الواجب وفعل الضد في الحرام ، وتسمى مقدمة عقلية وشرطاً عقلياً . ومايتوقف عليه الفعل عادة كغسل جزء من الرأس لغسل الوجه كله ، وتسمى مقدمة عادية وشرطاً عادياً . وما لايتوقف عليه الفعل بأحد الوجهين ، لكن الشارع يجعل الفعل موقوفاً عليه وصيّره شرطاً له كالطهارة للصلاة وتسمى مقدمة شرعية وشرطاً شرعياً (١) ».انتهى.

---

(١) بازائها في هامش الأصل التعليق : « وذلك لأنه إن لم يرد السيد السند بالمقدمة ماذكرنا لايصح الحصر في الأقسام الثلاثة كما لايخفى » « ١٢ منه رحمه الله » .

ومنها مايتوقف عليه صحة الدليل بلا واسطة كما هو المتبادر، فلا ترد الموضوعات والمحمولات . وأما المقدمات البعيدة للدليل فإنما هي مقدمات لدليل مقدمة الدليل. ومنها قضية جعلت جزء قياس أوحجة، وهذان المعنيان مختصان بأرباب المنطق ومستعملان في مباحث القياس، صرح بذلك المولوي عبد الحكيم(١) في (حاشية شرح الشمسية) وهي على قسمين : قطعية تستعمل في الأدلة القطعية ، وهي سبع : الأوليات ، والفطريات ، والمشاهدات ، والمجربات ، والمتواترات ، والحدسيات ، والوهميات في المحسوسات ، وظنية تستعمل في الإمارة وهي أربع : المسلمات ، والمشهورات ، والمقبولات ، ، والمقرونة بالقرائن كنزول المطر بوجود السحاب الرطب ، كذا يستفاد من (شرح المواقف) .

والمراد بالقياس مايتناول الاستقراء والتمثيل أيضاً ، وإردافه بلفظ أو حجة لدفع توهم اختصاص القياس بما يقابلهما . وقيل : أو للتنبيه على اختلاف الاصطلاح ، فقيل : إنها مختصة بالحجة، وقيل : يشمل ماجعلت جزءهما . وهذا المعنى مبائن للمعنى السابق . وقيل : أخص من الأول كما يستفاد من بعض حواشي (شرح المطالع) .

ومنها مايتوقف عليه المباحث الآتية ، فإن كانت تلك المباحث الآتية العلم برمته تسمى مقدمة العلم ، وإن كانت بقية الباب أو الفصل تسمى مقدمة الباب أو الفصل . وبالجملة تضاف إلى الشيء الموصوف كما في (الأطول) . وقد اشتهر بينهم أن مقدمة العلم مايتوقف عليه الشروع في ذلك العلم ، والشروع في العلم لايتوقف على ماهو جزء منه وإلا لدار بل على

(١) هو عبد الحكيم بن محمد السيالكوتي البنجابي الهندي، مرت ترجمته ص ٤١.

مايكون خارجاً عنه . ثم الضروري في الشروع الذي هو فعل اختياري توقفه على تصور العام بوجه ما ، وعلى التصديق بفائدة تترتب عليه سواء كان جازماً أو غير جازم مطابقاً أو لا ، لكن يذكر من جملة مقدمة العلم أمور لايتوقف الشروع عليها ، كرسم العلم وبيان موضوعه والتصديق بالفائدة المرتبة المعتد بها بالنسبة إلى المشقة التي لابد منها في تحصيل العلم وبيان مرتبته وشرفه ووجه تسميته باسمه إلى غير ذلك . فقد أشكل ذلك على بعض المتأخرين واستصعبوه ، فمنهم من غير تعريف المقدمة إلى مايتوقف عليه الشروع مطلقاً ، أو على وجه البصيرة ، أو على وجه زيادة البصيرة ، ومنهم من قال : الأولى أن يفسر مقدمة العلم بما يستعان به في الشروع وهو راجع إلى ماسبق لأن الاستعانة في الشروع إنما تكون على أحد الوجوه المذكورة ، ومنهم من قال : لايذكر في مقدمة العلم مايتوقف عليه الشروع ، وإنما يذكر في مقدمة الكتاب ، وفرق بينهما بأن مقدمة العلم مايتوقف عليه مسائله ، ومقدمة الكتاب طائفة من الألفاظ قدمت أمام المقصود لدلالتها على ماينفع في تحصيل المقصود سواء كان مما يتوقف المقصود عليه فيكون مقدمة العلم أو لا ، فيكون من معاني مقدمة الكتاب من غير أن يكون مقدمة العلم . وأيد ذلك القول بأنه يغنيك معرفة مقدمة الكتاب عن مظنة أن قولهم : المقدمة في بيان حد العلم ، والغرض منه وموضوعه من قبيل جعل الشيء ظرفاً لنفسه وعن تكلفات في دفعه . فالنسبة بين المقدمتين هي المباينة الكلية ، والنسبة بين ألفاظ مقدمة العلم ونفس مقدمة الكتاب عموم من وجه ، لأنه اعتبر في مقدمة الكتاب التقدم ولم يعتبر التوقف ، واعتبر في مقدمة العلم التوقف ولم يعتبر التقدم ، وكذا بين مقدمة العلم ومعاني مقدمة الكتاب عموم

من وجه . وقال صاحب (الأطول) : (١) « والحق أنه لاحاجة إلى التغيير ، فإن كلاً مما يذكر في المقدمة مما يتوقف عليه شروع في العلم هو إما أَصْلُ الشروعِ في العلم ، أو شروع على وجه البصيرة ، أو شروع على وجه زيادة البصيرة . فيصدق على الكل مايتوقف عليه شروع ، وحمل الشروع على ماهو في معنى المنكر مساغ أيضاً كما في : ادخل السوق » انتهى .

وههنا أبحاث تركناها مخافة الإطناب ، فمن أراد الاطلاع عليها فعليه بالرجوع إلى شروح (التلخيص) (٢) .

قال الشيخ رفيع الدين الدهلوي (٣) في رسالته في هذا الباب : « المقدمة تطلق على أمور جزءٍ من أجزاء الكتاب عنون بهذا اللفظ ، وجزء كذلك يعنون مثله به ، وإن لم يعنون بذلك اللفظ ، وما يستحق أن يقدم سواء قدم وعنون بها أو لا . وهذا يسمى بمقدمة العلم والأول بل الأولان بمقدمة الكتاب ، فيفسر مقدمة الكتاب بما يفسر به الكتاب من الألفاظ والمعاني والنقوش ، وإن كان الثالث مجازياً في مثل : « اشتريت الكتاب » . و « هذا كتاب فلان » ولا يلتفت إليه في مثل : « صنفت الكتاب » و « قرأته » و « هذا كتاب جيد متين » و «متن وشرح

---

(١) انظر التعريف به في ص ٥٢

(٢) تلخيص المفتاح في العلوم والبيان : كتاب لخص فيه جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ القسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكي في علوم البلاغة ، وللتلخيص شروح كثيرة عليها حواش عديدة . انظر الكشف ١ / ٤٧٣

(٣) في هامش الأصل : « هو أستاذ سيدي الوالد — ح » .

وهو رفيع الدين بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي المتوفى سنه ١٢٣٣ هـ = ١٨١٧م

وحاشية » وتفسر مقدمة العلم بما يفسر به العلم من الإدراك والمدركات ، فيتحقق بينهما نسب مختلفة كالمتباين صدقاً ، أو الكلية والجزئية ، أو العموم والخصوص المطلق . كما إذا اشتمل مقدمة الكتاب على غير مقدمة العلم أيضاً ، والعموم من وجه إذا لم يقدم مقدمة العلم وقدم شيء من غيرها .

هذا هو الكلام على العرف المشهور ، والذي يقتضيه النظر الصحيح أن يسمى بمقدمة الكتاب ماله دخل في خصوص الكتاب ، وبمقدمة العلم ماله دخل في العلم مطلقاً . ويجتمعان إذا لم يكن مدخل في خصوص الكتاب إلا لماله دخل في العلم . وتحقيقهما باعتبار هذا النظر أن يقال : قد تبين في العلم الأعلى أن العلم التام بالأشياء ذوات الأسباب إنما يحصل بمعرفة عللها التامة ، وهي مجموع العلة الفاعلية ، والغائية ، والمادية ، والصورية ، وسائر مايتوقف عليه حصول الشيء من الشروط والآلات والمعدات القريبة ونحو ذلك فيما يوجد فيه جميعها، وبعضها فيما يوجد فيه بعضها . فنقول : إن المتقدمين لما أفرزوا من نتائج أفكارهم الأحكام المتعلقة لشيء واحد وحدةً ما من جهة واحدة علوماً متفرزة وشحنوا بها كتبهم وأرادوا بقاءها على مر الأعصار وعلموها تلامذتهم قرناً بعد قرن حتى وصلت الينا ، فاستحسنوا تقديم بعض مبادئها عليها ليكون تسهيلاً لطالبيها وتبصرة لشارعيها . وقد علمت وجه الضبط فاعلم أن ههنا أمرين ، أحدهما : العلم بما هو هو ، وذلك عبارة عن مسائل مخصوصة ومطالب معينة . وثانيهما : الكتاب ، وهو عبارة عن ألفاظ مقررة ومعان مرتبة . وربما كان كتاب واحد في علوم متعددة ، أو كتب متعددة في علم واحد . ورب علم لم يدون

في كتاب ، أو كتاب لم يشتمل على علم بل على مسائل متفرقة وأحاديث ملهية من نظم أو نثر . وأيضاً هما يختلفان في أمور كثيرة : كالمنفعة ، والمضرة ، والجودة ، والرداءة ، والضعف ، والقوة وغيرها . ونسبة الكتاب بمعانيه إلى العلم كنسبة العلم إلى الواقع بالمطابقة واللامطابقة ، فلكل منهما مبادىء متغايرة . فالأحق أن يجعل لكل منهما مقدمة مغايرة لمقدمة الآخر ، ويجعل مقدمة العلم من مقاصد الكتاب . ولكن من الناس من يجمعهما ، ومنهم من يكتفي بأحدهما ، ومنهم من يذكر مقدمة الكتاب في الديباجة ، ومقدمة العلم في جزء من الكتاب يصدر بالمقدمة ويذكر في كل مايهمه ويتفق له . ولكن مقدمة العلم ومقدمة الكتاب في الأغلب داخلتان في الكتاب ، وذلك لعدم إفرازهما بعناية النظر .

ونحن نذكر مبادىء كليهما مع نوع ضبط فنقول : من المبادىء الفاعل ، أما فاعل العلم حقيقة فأول من أخرجه من القوة إلى الفعل ودوّنه وفصله كأرسطاطاليس لحكمة المشائين والمنطق ، وينوب منابه المهرة الذين هم أهل استنباط وتحقيق لقواعده . وأما فاعل الكتاب حقيقة فمصنفه ، وينوب منابه من عليه الاعتماد في روايته وتوجيهه وإصلاحه . ومنها الغاية وهي بيان الحاجة الماسة إلى تدوينه وتصنيفه . أما العلوم فلها غاية عامة هي تكمل النفس في القوة العلمية بمعرفتها ، وغاية خاصة تذكر في كل فن فن . وأما الكتب فلها أيضاً غاية عامة وهي تسكين وهج القلب بإيراد مايختلج فيه وإرادة الترويح والإبقاء كما قيل :

كلُّ عِلْمٍ لَيْسَ فِي القِرْطاسِ ضَاع .

وغاية خاصة من توضيح مجمل ، أو تلخيص مطول ، أو تعميم انتفاع ، أو كتم عن رعاع ، أو إبانة حق ، أو إزالة شك، أو إرضاء عظيم ، أو تبكيت لئيم إلى غير ذلك .

ثم إن الغاية في الأفعال الاختيارية تتم بأمرين :

معرفة المطلوب حذراً من طلب المجهول المطلق . ومعرفة فائدته فراراً عن العَبَثِ . فوضعوا للأول معرفة الاسم ووجه التسمية للكتاب والرسم أيضاً للعلم .

والثاني : بيان الفائدة والمضرة ترغيباً في تحصيله ومعالجة عن إفساده؛ ومنها المادة والصورة ،وعلمهما بالحقيقة إنما يكون بعد إتمام تحصيل العلم والكتاب ، لأن الصورة جزء آخر للمعلول ، والمادة مقارنة لها ، بل حصولهما هو عين حصول المعلول وذلك منافٍ لغرض المقدمة ، فأقاموا مقامها شيئين آخرين : أما مقام المادة فللعلم بيان موضوعه الذي تنتهي إليه موضوعات مسائله كأنها شعب وتفصيلات ولواحق عارضة له ، وبيان حيثية البحث الذي تنتهي إليه محمولات المسائل كذلك . والكتاب بيان لغة ألفاظه أنها عربية أو فارسية وهي كثيراً ماتكون قليلة الجدوى . وبيان العلم الذي هو فيه فإن التحرير والتقرير إنما يقع فيه على صور شتى ووجوه مختلفة . وأما مقام الصورة فللعلم بيان أبوابه والإشارة إلى كليات أصوله وفروعه ، وللكتاب بيان ترتيبه وتفصيل أجزائه من المقالات والأبواب والفصول وغيرها وفهرستها .

ومنها الشروط ، فبعضها عامة لكل علم فى المعلم والمتعلم وزمان

التعليم والتصنيف. وقد حرر فيه رسائل تسمى آداب المتعلمين وآداب المصنفين . وبعضها خاصة ، فلكل طائفة من العلوم معلومات مالم تعلم لم يعلم ولم يصح الجزم به مالم تستعمل وتسمى بالحدود . والعلوم المتعارفة والمصادرات والأصول الموضوعة . ولبعض الكتب رموز واصطلاحات ما لم تعلم أشكل فهم الكتاب. ومنها الآلات، فإن الفاعل القريب لاكتساب العلوم هي الأفكار ولها طرق ووجوه يسهل التحصيل بها يسمى الأنحاء التعليمية وهي: التقسيم والتحليل والتحديد والبرهان. وللكتب شروح وحواش يسهل فهمها بأعمالها ، ومنها المعدات القريبة فيبين مرتبة العلم لتأخر عما يجب وتقدم على مايجب . وكذلك مرتبة الكتاب وبيان الكتب التي منها مأخذ الكتاب ، والعلوم التي يحصل منها استعداد العلم المطلوب . فهذا وجه لضبطها . وسائر المصنفين يكتفون ببعضها لما مر ، ولأن منها مايكفي مؤنة غيرها ، ولكن توسعة للأمر قد يحث على استيفائها والعلم عند الله تعالى » انتهى كلامه – رحمه الله – .

* * *

الترشيح الخامس : في التحصيل

قال الشيخ العلامة رفيع الدين الدهلوي (١) في (التكميل) : « غلب في تحصيل المجهولات التعلم على التفكر ، ولم يكن له قانون فدوّن والدي العارف الواصل والنحرير الكامل الشيخ ولي الله ابن الشيخ عبد الرحيم العمري لمزاولة الكتب تعليما ضوابطَ ، فأضفت إليه ماوفقني الله سبحانه وهي هذه :

---

(١) سبق التعريف به في ص ١٩٩

فتح : فن التحصيل موضوعه العلوم المدونة من حيث تستفاد وتفاد . وغايته الخوض فيها على بصيرة ، والنجاة عن سوء الفهم لقاصدها ، وتمييز لُبابها عن ذبابها ، وكسب الاقتدار والمهارة فيها ، وتفريق كامل الكتاب والمعلم من ناقصهما ،فليرسم بأحدهما وتكمل الناس في العلوم بدونه لاينفي فائدته كمجتهدي الأمة وأساطين الحكمة ومدققي الهنود والافرنج من المنطق ونظره في خمسة ، فإن التعلم بالتقرير ممن ينكر عليه مناظرة ، وممن يذعن له تدريس (١) وتتلمذ(٢)، وبالتحرير تصنيف (٣) ومطالعة (٤). بسط المناظرة :توجه الخصمين في مطلب لإظهار الحق ، والتعرض للبيان أو المبين الحجة أو المعرف فمن الأول :

١ — حلّ المصطلحِ والمغلق .

٢ — تعيينُ المحذوفِ والمرجع والمحتمل لاشتراكٍ وتجوز وتخصيصٍ وتقييد .

٣ — دفع الإخلال لتعقيدٍ وتبادرِ خلاف .

٤ — دفع الاستدراك .

٥ — سبب العدول عن ظاهر ومشهور .

٦ — تنبيه عن الإضرار بزيادة وتركها .

---

(١) في هامش الأصل : « أي من المعلم » .

(٢) في هامش الأصل : « أي من المتعلم » .

(٣) في هامش الأصل : « من المعلم » .

(٤) في هامش الأصل : « من الناظر المتعلم » .

٧ – وعلى تعارض الكلامين صريحاً أو التزاماً .

٨ – وعلى تداخل الشقوق والأقسام .

٩ – طلب حُكمٍ مسكوتٍ عنه منها .

١٠ – خلو المدعى عن الفائدة .

١١ – استثبات الدعاوي خفية .

١٢ – وظاهــــراً .

ويجاب بالبيان .

١ و ٢ – إفهام القرينة .

٣ – وفائدة اللفظ .

٤ – والترجيح .

٥ – ودفع المُضِر .

٦ – والتوفيق .

٧ – والتمييز ولو في الجملة أو بالحقائق دون المصداق .

٨ – والدرج .

٩ – ووجه النفع .

١٠ – والاطلاع .

١١ و ١٢ – أو يصلح في الكل ثم الاستدلال أو النقل .

•من الثاني :

١ – تحقيق المذهب .

٢ – تصحيح النقل .

٣ – عدم الاعتداد به .

٤ – تغيير معناه .

٥ – منع المقدمات كلاً أو بعضاً ، كالصغرى والكبرى ، والملازمة والتنافي ، والوضع والرفع .

٦ – السند إن ادّعى البديهة ، فالمساوي يفيدهما نفياً وإثباتاً ، والأخص المعترض إثباتاً ، والأعم المستدل نفياً .

٧ – فساد التأليف لفقد شرطه وعدم تكرر وسط ، ونفي حصر ويردد ان على الشقين كثيراً .

٨ – مناسبة الأوسط لضد الأكبر والمقدم لضد التالي .

٩ – النقض بالتخلف عن المدعى .

١٠ – وباستلزامه محالاً .

١١ – المصادرة على المطلوب جزئية .

١٢ – وتوقفاً ولو باختلاف اللفظ .

١٣ – القول بالموجب لعمومه أي الدليل عن الدعوى .

١٤ – لقصورٍ عنها لخصوصه .

١٥ – المعارضة عليها .

١٦ – وعلى مقدماتها .

١٧ — إبطال المبني ، وهو غير القدح في دليله ، وذلك في المقدمات القريبة ، وأنفع منه لهدمه أساساً ، ولكن في طرفي المناظرة لئلا يشوش بالانتقال .

١٨ — تساوي الدليل والدعوى قبولاً ورداً للاشتراك في أصل .

١٩ — استثبات التفاريع عليها بعد الاعتراف تقديراً .

٢٠ — مخالفة النص أو إمام الفن .

ويجاب :

١ — بالاعلام .

٢ — والعرض .

٣ — والتوثيق .

٤ — والترجيح بقرب وشهادة حاذق .

٥ — والاستدلال .

٦ و ٧ — التطبيق على القواعد .

٨ — ونفي المناسبة .

٩ — والفرق بين الصورتين .

١٠ و ١١ — المتقدمتين .

١٢ — وابداء وسط يرفع التوقف .

١٣ — وتوجيه التقريب .

١٤ و ١٥ — تبديل المنصب .

١٦ و ١٧ — وأبيد المبنى بعد تحريره .

١٨ — وقطع التفريع .

١٩ — وتصحيح الفروع برفع الاستبعاد أو الإنكار .

٢٠ — والتأويل راجحاً والجرح مرجوحاً أو مرجوعا عنه لإعمال غيره . وعند العجز الانتقال أو الإذعان .

والثالث أي المعرف لايحتمل النقض والمعارضة .

ومنوع الأحكام الضمنية دعاوي يجب إثباتها :

١ — كالدور مصرحاً ومضمراً .

٢ — فمنها للتَحمُل .

٣ — والتصوري للبديهة والسور .

٤ — والجلاء مطلقاً .

٥ — والمنع .

٦ — والجمع وافياً .

٧ — والتناول .

٨ — والاندراج للإطباق .

٩ — ووجه الشبه بالمبائن قاصراً .

١٠ — والذاتية حداً لفقد أحكامها .

وكله في الخفاء وبعد الظهور مجادلة لايسامح فيها ، وقلما يلتزم اثبات شيء .

التدريس : تفهيم الكتاب باللسان ،وطريقه للقاصر (١) الترجمة فقط فيتبلد الذهنان . وللفالي (٢) ذكر ماأمكن حفظاً ومراجعة فيعسر اليسير بالتعجيل ويطول زمان التحصيل . وللمستعجل الاكتفاء بصدور الكتب بالدقة فيحوج إلى شغل ثانٍ للاستيفاء والاقتصار على العدّ في العلماء ، وللحاذق من كل علم مبسوط ، وفي البداية تعليم متن سهل لمعرفة الاصطلاحات وأصول القواعد وشرح مستوف لفوائد القيود والأدلة والأبحاث والاختلافات المشهورة وحاشية لملكة التدقيق جرحاً وتعديلاً وترجيحاً ، والاعتياد بوصل الخارج وجمع المنتشر فإن احتيج زيد .

ومن المختصر مايكفي (٣) . وضوابطه :

١ — ضبط المشكل بنوع الحركة والسكون والإعجام والإهمال والتقديم والتأخير .

٢ — شرح الغريب لغةً واصطلاحاً .

٣ — كشف المغلق صيغة وتركيباً .

٤ — تصوير المسألة بتمثيل (٤) وتشكيل (٥) .

٥ — تقريب الأدلة بتصريح المطويات والوصل بالأصل .

---

(١) في الهامش : « أي المدرس القاصر » .
(٢) الفالي : العاقل بعد جهل ، يريد : من بلغ درجة التعقل والفهم .
(٣) بازائها في الهامش : « أي المدرس القاصر » .
(٤) في هامش الأصل : « في القواعد » .
(٥) في هامش الأصل : « فيما يتعلق بالشكل كالهندسة والهيئة وغيرها » .

٦ — تحقيق القواعد بفوائد القيود ، وسد الانكسار بلا فضول ولا إغلاق .

٧ — تنقيح التعريفات بهما وبالاستنباط المشترك والمميز من التقسيمات .

٨ — وجه الحصر والترتيب في الأقسام والأبواب .

٩ — تفريق الملتبسين من التوجيهات والتعليلات والأقوال.

١٠ — تطبيق المختلفين من كلامي واحد ومتحدي مذهب.

١١ — التنبيه على الاستثناءات والإيرادات الظاهرة الورود ودفعها .

١٢ — تفتيش الحوالة عن محلها .

١٣ — بيان المبهم من وجوه النظر والأولى والصواب والسؤال المقدر .

١٤ — الترجيح بين التوجيهات وإبداء الأسلم والأقرب منها وما على كل .

١٥ — سبب تغيير الأسلوب المعروف .

١٦ — تعيين السؤال والجواب بنوعه ومنشئه ومورده .

١٧ — حسن التقرير بإيضاح موجز .

١٨ — الترجمة بلغة الطالبين .

١٩ — إعمال فكره في حل مايمكن منه .

٢٠ ـ حفظ اللسان عن سوء الخلق .

٢١ ـ حفظ وضع المعترض والمجيب .

٢٢ ـ تلخيص المتشتت .

٢٣ ـ توزيع الفروع والعلل على ملفوف (١) أو ملحوظ (٢).

٢٤ ـ التيقظ عند ترتيب الأسئلة والأجوبة لأصل الاثبات والنفي.

٢٥ ـ الحذر عما يوجب سوء الفهم ويستوي فيه المنقول والمعقول البرهاني والخطابي ، إلا أن الاعتبار في الأول بتحقيق العبارات والربط أكثر ، وفي الثاني بالوصل إلى البديهيات أصولاً والمسلمات فروعاً ، وفي الثالث بالمناسبات الظنية .

فلايزال ينبه عليها بما يتحمل حتى يتخذه ملكة بفكره ، ثم يعرض مطالعته على مطالعته وعلى الحواشي ويفهمه الغلط والحذر عنه ثم يمتحنه بتصنيف شرح أو حاشية يؤدي (٣) فيه حقه ويستحق الوثوق برأيه .

* * *

التتلمذ : فهم الكتاب بالاستماع ـوبعد (٤)الصحة والمعاش ، ولو بالقناعة،والشوق والجد ولو بالتحريص، والفهم والحفظولو بالجهد، والمداومة وحسن الظن مع الاستاذ ولو في الفن،والكتابالواضحالصحيح، والأستاذ الماهر الشفيق ولو بالطمع ـ حقه :

(١) في الهامش : « في اللف والنشر » .

(٢) في الهامش : « أي مقدر في الذهن غير مذكور » .

(٣) في الهامش : « أي المدرس » .

(٤) في الهامش : « ظرف متعلق بالمبتدأ الذي يأتي وهو قوله : حقه » .

١ – صحة القراءة .

٢ – وتمييز الجمل .

٣ – والاستماع بتفريغ القلب .

٤ – والتثبت في الفهم .

٥ – واستكشاف ماخفي .

٦ – وعرض الشبهة بالأدب .

٧ – وجمع سابق البحث ولاحقه في الذهن .

٨ – وتقدم النظر ليكون أوقع وعلى بصيرة،وفي البداية بحضور المعلم أنفع .

٩ – والمعاودة ليستقر وبالتقرير أجود .

١٠ – والتحفظ للإحضار حيث ينبغي ،ومع الكتابة أحسن .

١١ – والامتثال لما يراه أصلح .

١٢ – والاجتناب عما ينقبض به الخاطر .

١٣ – وعن التعرض لبعيد المناسبة .

١٤ – وعن الضجر من الحوالة فيما تعسر جداً فإنه :

سَتُبْدِي لَكَ الأيّامُ ماكُنْتَ جاهِلاً
ويأتيكَ بالأخْبارِ مَنْ لَمْ تزوّدِ

١٥ – ولطالب التحقيق سلخ الألفاظ المتخيلة عن صورة للشيء يطابقها جميع صفاته ويلائمها جميع فروعه المتفقة عليها .

* * *

التصنيف : تأليف الكلام لتحريره نثراً ونظماً ، والمراد ما في (١) العلوم ، فما لم يتعلق بغيره صريحاً فمتن ، أو تعلق متصلاً فشرح مدمج ، أومفصولاً ، بـ«قال أقول »ونحوها ، أو على الطفرة فتعليق وحاشية ، ومن كلٍ وجيزٌ ووسيط وبسيط . وله أغراض سياقه بحسبها .

١ — اختراع جديد (٢) .

٢ — ضبط قديم .

٣ — ترويج خامل .

٤ — جمع متفرق .

٥ — تجريد عن زائد أو فاسد لفظاً أو معنى .

٦ — تتميم بلاحق ، كاستثناءات وقيود وأمثلة وأدلة ومسائل ومآخذ .

٧ — إبانة حق بدءاً أو نصراً أو ذبا .

٨ — إزاحة باطل بكشف شبهة أو ضلالة .

٩ — اشتراك في تفرد .

١٠ — اصلاح ترتيب .

١١ — تسهيل مغلق بحل أو بسط .

١٢ — انتزاع أصل من منتشر .

---

(١) في هامش الأصل : « أي الكلام الذي في العلوم » .

(٢) في هامش الأصل : « أي الأول من الأغراض » .

١٣ — تفريع شعب لمجمل .

١٤ — تحقيق مقام أو كتاب أو فن بجمع ماله وعليه .

١٥ — تبديل نثر بنظم .

١٦ — ولغة بلغة أخرى ، ودوّن له والدي — رحمه الله تعالى — قوانين الترجمة .

١٧ — وتتركب كثيراً (١)

فبعد إتقان اللغة والفن وسليقة الإيجاز والإطناب يستعان فيه بما مر ؛ ففي الشروح والحواشي الحل بضوابط التدريس ، وفي إعانة الحق بالمنطق ، وفي الرد بأسئلة المناظرة ، وفي التوجيه بأجوبتها مع النحو والبلاغة والأصول ، وفي بعض بسليقة البيان ، وفي طائفة بالتتبع والتبحر وأمثالها مع مزيد التحفظ في النقل والنقد وحسن التقرير إيجازاً أو بسطاً بحسب المحل وحفظ الوضع من المذهب والمنصب ، فإن من صنف استهدف . ويكون لخصوص الكتاب من المقدمات مثل ما في مقدمة العلم مع الزمان والمكان والرموز فليجمعها في واحدة أو ليقدم في الديباجة على مقدمة العلم .

* * *

المطالعة : النظر في الكتاب بفهم المراد والخلل ، وبعد اقتناء اللغة والاصطلاح ، وملكة الترجمة تتمم بأنظار ثلاثة تداخلت أو تعاقبت :

---

(١) في هامش الأصل : « أي الأغراض في كثير من الأوقات » .

الأول : للإحاطة بالمعاني الثانوية وتمييز المذكور عن المتروك وبعض الجمل عن بعض والطرفين عن القيود .

والثاني : لمعرفة فوائدها والمعاني الأولية وجديد التصرف وربط الأدلة والأبحاث فيما بينها استقامة واعوجاجاً بما في التدريس .

والثالث : للنقد بالهدم والتشييد والنقد والترصيف . ويفهم المعنى :

١ – بعبارة الكلام من لفظه بلا شبهة قصداً .

٢ – وإشارته كذلك ضمناً .

٣ – وعمومه لبيان الفردية .

٤ – والإدراج فيه لمبينها بعد خفاء لكمال أو نقص أو ثبوت الركن وفقد اللوازم العرفية ونحوها .

٥ – وتقديره لمحذوف يشهد له العرف بلا روية .

٦ – وإيمائه لترجيح أحد محتمليه بقاطع ، أو ظني كشهادة كلام ثان له ،أو عدم اجتماع الأوصاف في غيره وكونه أهم المقاصد، أو أدنى مصداق أو فائدة لولاه لبطل ولغي ، أو قربه معنى أو مزيد نفعه أو نحوه .

٧ – وإشعاره من سياقه كالتقديم والتأخير والعدول وجواب الوهم والانطباق والحذف حيث يذكر ،والإدارة على الوصف والتعقيب بأن في التنزيل شبهها .

٨ – ومقامه كالتيسير والتشديد والفخامة والحقارة والتدقيق والمسامحة والاهتمام والتبعية .

٩ — وتجوزه لتعذر الحقيقة وقيام القرينة .

١٠ — وكنايته لعدم وفاء الصريح بالغرض وإن صح .

١١ — وتعارفه من زيادة لفظ وبيانية إضافة ، والتكثير بالواحد والاعتبار لتكرار وعزمه وتعمم خاص وعكسه وإخراج المتكلم من الكلام .

١٢ — وبالتزامه بالالتفات إلى مالاينفك ذهناً لعلاقة ذاتية ، كالملكة لعدمها ، وأحد المتضايفين للآخر ، أو عادة طبعية كالنور للكواكب والحرارة للنار ،أو عرفية كالسخاوة لحاتم والشجاعة لرُسْتَم(١).

١٣ — ومنافاته لوجوب ارتفاع مقابلة .

١٤ — واقتضائه لما يتوقف عليه صدقه عقلاً أو شرعاً أو عادة(٢) وهما بيِّنان بالمعنى الأعم .

١٥ — واستلزامه لما يترتب عليه ولايعرف إلا بممارسة وفكر من غير البين .

١٦ — وفحواه فيما علِّيته مناطة وحصوله في الفرع بالعرف واللغـة .

١٧ — والقياس عليه في مثله بالنظر .

١٨ — واعتباره لاجتماع مباد في الذهن أورثت بسماعه (٣) ما لا ينقدح لغيره .

---

(١) رستم : بطل أسطوري عند الفرس .

(٢) فوقها عبارة : « يعني الكلام » .

(٣) في الهامش : « أي الكلام » .

١٩ — ومفهومه المخالف بشروطه حيث يتعين فائدة .

٢٠ — وتأليفه اقترانيا من مقدمتين في أثنائه مشتركتين في جزء ، واستثنائياً من شرطيه أو فرع لأصل مع اعتراف أو انكار لأحد طرفيها .

٢١ — والاقتصار عليه عن الأبين والأرفق في معرض البيان .

ويخل به — أي بفهم المعنى — الجهل .

١ — بالموضوع له .

٢ — والوضع .

٣ — وخواص التراكيب .

٤ — والمرجح .

٥ — والصارف .

٦ — والقرينة .

٧ — ثم توجه المفاسد .

٨ — والحذف .

٩ — والخلط .

١٠ — والانتشار .

فبعد كسب السليقة بالتتلمذ يستعان بالفحص عن معادنها والشروح والحواشي وكتب الفن وإمعان الفكر ، وأعظم نفعها في الكتاب والسنة .

هذا ماتيسر لي بفضل الله وله المنة ، ومن ارتقى إلى الكمال فليزد

فيه ماشاء ، فإن العلوم تتزايد بتلاحق الأفكار . والله سبحانه دائم الجود مفيض الأسرار والحمـد لله ». انتهى كلامه وهو الباب الثاني من كتابه على التمام والكمال .

وقال الشيخ العلامة عليم الله بن عبد الرزاق (١) في (شرح رسالة المطالعة) ماعبارته :

« واعلم أن المطالعة علم يعرف به مراد المحرر بتحريره وغايته الفوز بمراده حقاً والسلامة عن الخطأ والتخطئة باطلاً . وموضوعه المحرر من حيث هو.فإذا أردت الشروع في المطالعة ، وهو صرف الفكر في مبحث ليتجلى معناه فانظر وتأمل في المبحث مبتدئاً من أوله منتهياً إلى آخره نظراً إجمالياً . لكن ينبغي أن يكون ذلك النظر على وجه ينتقش في ذهنك جملة المعنى المراد منه ، فإن انتقش في النظر الأول فذاك ، وإلا فذلك إما لخفاء في اللغة ، أو لغلط ، أو لسهو ، أو لنسيان من الناسخ بحذف أو زيادة أو قلب أو تصحيف ، أو لتعقيد ، أو لقصور فيك فراجع في الأول إلى كتب اللغة أو إلى من عنده علمها ، وفي الثاني والثالث والرابع إلى نسخة أصح منها ، وأما في الأخيرين فانظر نظراً ثانياً أو ثالثاً فصاعداً حتى ينتقش المراد . ثم بعد الانتقاش لاحظ الأمور التصورية من كل قضية منه أولاً فأولاً على الترتيب بدقة النظر في تلك الملاحظة ، واستبصر في كل من تلك الأمور هل يرد على واحد منها أمر من الأمور القادحة فيها أم لا ، والمراد بالورود ههنا التوجه الذي هو أعم منه. وبعد ظهور ذلك الأمر من القوادح استبصر ثانياً هل يمكن دفع ذلك الأمر منها أم لا . وبعد ظهور الدافع ثالثاً هل يمكن دفع مايدفع ذلك الدافع

(١) لم نهتد إلى التعريف به أو بكتابه .

أم لا . وهكذا إلى حيث يتوطن الذهن ، وآية التوطن الاختبار بتثنية النظر وتثليثه فصاعداً على حسب المقام . وبعد الفراغ من تلك الملاحظة لاحظ الأمور التصديقية أيضاً بدقة النظر ، واستبصر في كل منها هل يتوجه على واحد منها شيء من الأشياء التي يقدح فيها أم لا . وبعد ظهور شيء من القوادح استبصر ثانياً هل يسوغ ويمكن التقصي عنها أم لا . وبعد ظهور التقصي عنها ثالثاً هل يمكن التقصي عن ذلك التقصي أم لا . وهكذا إلى حيث يحصل التوطن وآيته ههنا آيته هناك . وبعد الفراغ عن تينك الملاحظتين لاحظ الأمور القادحة الموردة التي أوردها عليها (١) مورد سواء كانت محررة في شرح أو حاشية أولا . والغرض من هذه الملاحظة أن يظهر لك هل هي متوجهة كما هو في زعم المورد أم لا.فإن ظهرت غير متوجهة أصلا فلا تلتفت إليها إلا أن يكون المورد عظيم الشأن معتقد الكل أو الأكثر ، فهناك القصور فيك لافيه ، فتوقف حينئذ واختبر نظرك بتكريره مرة بعد أخرى ، ثم بالمطارحة مع الأقران ، ثم بالعرض على المشائخ والأستاذين . فإن أزاحوا شبهتك فذاك وإلا فالتسليم والإحالة إلى وقت فتحه تعالى ، وإلا فاستبصر في دفعها هل هو ممكن أو لا. وبعد ظهور الدافع يمكن دفع مايدفعه أم لا ، وهكذا إلى حصول التوطن . فإذا نظرت في المبحث من أوله إلى آخره على هذا الوجه المذكور فلا يخلو حالك عن أحد هذه الأمور الثلاثة .

إما أن لاتكون أنت واجداً ومصيباً لشيء من القوادح أصلا ، فعدم

---

(١) في هامش الأصل التعليق : « الضمير إما لمطلق الأمور تصورية كانت أوتصديقية أو للأخير فقط وهو الظاهر وترك التعرض لها هناك اكتفاء بها ههنا ولم يعكس مع أن الأغلب الاكتفاء بالسابق عن اللاحق لأن التصديقية مقاصد وأكثر بحثاً وإيراداً بالنسبة إلى الأخرى» « منه » .

الوجدان والإصابة إما لقصور ذهنك عن إدراكه أو لعدمه لكمال من حرره في التحرير بحيث لا يتطرق إليه قدح ولا نقض أصلاً ،أو لوقوع تحريره هذا كاملاً .

وإما أن تكون أنت واجداً لشيء من الأشياء الواردة القادحة المدفوعة التي دفعها الناس أو أمكن دفعها .

وإما أن تكون أنت واجداً لشيء من الأشياءالواردة الغير المدفوعة.

ولا قصور فيشيء من هذهالأحوال التيهي الأمور الثلاثةالمذكورة إلا في الحالة الأولى ، فإن القصور فيها محتمل كما تقدم . وإذا كانت ناشئة من القصور وظهر لك أن الحالة الأولى منشؤها قصور ذهنك عن دركه فلا تفتر جدك وجهدك في النظر والمطالعة بل استمر واثبت على ذلك ، فإن الممارسة لشيء والملازمة له تورث الكمال في ذلك الشيء . فإذا فرغت عن النظر في المبحث الأول بالطريقة المهدية إليها الهادية إلى الحق فانظر في المبحث الثاني من أوله إلى آخره على الوجه الذي أريناك ، فإن ظهر عليك أن القصور في نفسك باقٍ بَعدُ بأن لم تجد مدعاه أو شيئاً من القوادح فلا تفتر جدك وجهدك في النظر والمطالعة بل اثبت فانظر في المبحث الثالث على ذلك الوجه ، وهكذا إلى أن يتم الكتاب .فإن حصل لك الكمال فذلك وإلا فإعادته إلى كتاب آخر فآخر إلى أن يحصل لك الكمال ، وعد نفسك محلاً قابلاً لفيضان الكمالات عليها ، ولا تيأس من فضل الله فإنك أيها العاقل لست من الذين قد محاهم المخاطبون عن دفاترهم ، وفضل الله على الخلق أوسع من خواطرهم . وإذا وقع جدك وجهدك في المطالعة على هذا النهج والطريق المذكور سنة أو أكثر إلى سنتين لا أظنك أن لاتترقى بل أجزم أن تترقى في المطالعة إلى وجه تقدر

على تمييز المقبول من الأحكام عن المردود منها؛ فإذا صرت مقتدراً كامل القدرة على ذلك الطريق بحيث لايحوم حولك قصور ولا خطأ ولا فتور فارتق إلى حيث خلقت نوعاً أو شخصاً له من المراتب العالية من الكمالات النفسية التي هي معرفة الله تعالى ذاتاً وصفة حيث قال تعالى: ﴿وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلاّ ليَعبُدُون﴾ أي ليعرفون كما فسر بعضهم.

قف: اعلم أن الشارح والمُحَشّي إذا زاد على الأصل شيئاً فالزائد لايخلو إما أن يكون بحثاً أو اعتراضاً أو تفصيلاً لما أجمله أو تكميلاً لما نقصه وأهمله، والتكميل إن كان مأخوذاً من كلام سابق أو لاحقٍ فإبراز وإلا فاعتراض، فعلى الأولين إما تفسير لما أبهمه، فإن كان بكلمة «أي» أو بالبيان أو بالعطف فتفسير باللفظ، وإن كان بكلمة «يعني» أو مايرادفه فتفسير بالمعنى الظاهر. وصيغ الاعتراض مشهورة، ولبعضها محل لا يشارك فيه الآخر فيرد، و«ماشتق منه» لما لا مدفع له بزعم المعترض ويتوجه، و«المشتق منه» أعم منه، ونحو «إن قلت» مماهو بصيغة المعلوم شرطاً لما تحقق له الجواب مع قوة في البحث، ونحو «إن قيل له» مع ضعف فيه و«قد يقال» ونحوه لما فيه ضعف شديد ونحوه «لقائل» لما فيه ضعف ضعيف «وفيه بحث» ونحوه لما فيه قوة سواء تحقق الجواب أولا، وصيغة المجهول ماضياً كان أو مضارعاً، و«لايبعد» و«يمكن» كلها صيغ التمريض يدل على ضعف مدخولها بحثاً كان أو جواباً و«أقول» و«قلت» لما هو خاصة القائل. وقد اشتهر من الأستاذين أنّ «لايبعد أن» (شرح الكافية) للشيخ الأجل الكامل في الكل الشيخ عبد الرحمن الجامي (١) قدس سره من خواصه. وكذا

(١) هو بدر الدين عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الجامي، مفسر، له مشاركة في العربية، ألف كتباً كثيرة منها شرح الكافية لابن الحاجب وسمى شرحه الفوائد الضيائية، ٨١٧ - ٨٩٨ هـ = ١٤١٤ - ١٤٩٢ م.

« قد يقالات » (شرح المواقف) للسيد (١) سند الكل في الكل لهخاصة. واختيار صيغ التمريض تواضع منهما رفع الله تعالى قدرهما .

وإذا قيل « حاصله » أو « محصله » أو « تحريره » أو « تنقيحه » أو نحو ذلك فذاك إشارة إلى قصور في الأصل واشتماله على حشو وإيهام . وتراهم يقولون في مقام إقامة شيء مقام آخر مرة « نزل منزلته » وأخرى « أنيب منابه » وأخرى « أقيم مقامه » فالأول في إقامة الأعلى مقام الأدنى ، والثاني بالعكس ، والثالث في المساواة . وإذا رأيت واحداً منها مكان الآخر فهناك نكتة ، وإنما اختاروا في الأول التفعيل وفي الأخيرَيْن الأفعال ، لأن تنزيل الأعلى مكان الأدنى يحوج إلى العلاج والتدريج .

وربما يختم البحث بنحو « تأمل » فهو إشارة إلى دقة المقام مرة وإلى خدشة فيه أخرى سواء كان بـ«فيه» أو بدونها ،إلا في مصنفات العلامة مولانا جلال الدين الدواني(٢)نور اللهمرقدهفإنه بـ«فيه»إشارةإلىالثاني،وبدونها إلى الأول(٣).وهذا اصطلاح جديد له على مانقلهعنهبعض تلامذته مختص بها غير متجاوز عنها » انتهى ملخصاً (٤) .

* * *

أدب البحث : هو علم يوصل به إلى كيفية الاحتراز عن الخطأ في

---

(١) هو السيد الشريف الجرجاني ، سبقت ترجمته في ص ١١ ، وكتاب المواقف الذي شرحه السيد الجرجاني في علم الكلام هو لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ .

(٢) انظره فيما تقدم ص ٣٧

(٣) يعني بالثاني : حاصل الكلام أو محصله . وبالأول : الكلام الملخص .

(٤) في هامش الأصل تعليق : « هذه جملة كافية مغنية عما عداها من الرسائل المتداولة بين المحصلين والمتحصلين ، وفيها يمكن أن يعلم جميع مايعلم من غيرها فليتأمل فإنها نفيسة ونفع محض قليلة الحجم كثيرة المعنى » .

المناظرة . وموضوعه المناظرة ، إذ يبحث فيه عن أحوالها وكيفياتها ، وأوردنا ههنا ماهو المطلب الأعلى والاهتمام بشأنه هو المقصد الأقصى فنقول :

لابد أن يعلم أولا أن المعلل مادام في تقرير الأقوال والمذاهب ، وتحرير المباحث لايتجه عليه ، ولايطلب منه شيء سوى تصحيح النقل وتصريح أن فلاناً قال كذا في كذا إن طولب به ، فإذا شرع في إقامة الدليل على ماادعاه يتجه عليه طريق المناظرة

* * *

قف : اعلم أن كلام المناظرين إما أن يقع في التعريفات أو في المسائل ، فإن وقع في التعريفات فللسائل طلب الشرائط وإيراد النقض (١) بوجود أحدهما بدون الآخر ولايرد عليه المنع لأنه طلب الدليل ، والدليل على التصديق إلا أن يدعي الخصم حكماً صريحاً بأن يقول هذا مفهومه لغة أو عرفاً أو اصطلاحاً أو ضمناً . فللسائل أن يمنع وللمعلل — أي المجيب — أن يجيب . والجواب عن التعريف الاسمي سهلٌ حاصله يرجع إلى الاصطلاح وإلى أن يقول المعلل : « إن مرادي بهذا اللفظ هذا المعنى » وعن التعريف الحقيقي ، أعني تعريف الماهيات الموجودة في الخارج ، صعب إذ لامدخل فيه للاصطلاح ، بل يجب فيه العلم بالذاتيات والعوارض . والتفرقة بينهما بأن يفرق بين الجنس والعَرَض العام والفصل والخاصة ، وهذا متعسر جداً في التعريف بل متعذر ، وكذا لا نرد عليه

(١) في الهامش : « فيه نظر لأن النقض إنما يرد على الدليل كالمنع إلا أن يكون المراد بالنقض غير معناه المتبادر » « إسحاق العبدي رح » .

المناقضة لأنها هي طلب الدليل الدال على نقيض المدعي ، والدليل منتف هنا وإن وقع في المسائل ، فإذا شرع المعلل في إقامة الدليل فالخصم ان منع مقدمة معينة من مقدماته أو كليهما على التعينين فذاك يسمى مناقضة ونقضاً تفصيلياً فلايحتاج فيه إلى شاهد . وإن ذكر شيئاً مما يتقوى به المنع يسمى سنداً،فإن لم يذكره لم يجز الاعتراض عليه إلا إذا ادعى مساواته المنع لأن السند ملزوم لثبوت المنع ، وانتفاء الملزوم لا يستلزم انتفاء اللازم لكن على تقدير المساواة يمكن انتفاؤه ، وأكثر مايستند إليه يذكر مساوياً فلذا شاع الكلام عليه . وإن منع مقدمة غير معينة بأن يقول : ليس هذا الدليل بجميع مقدماته صحيحاً،بمعنى أن فيها خللاً ، فذلك يسمى نقضاً إجمالياً ولايسمع إلا أن يذكر الشاهد على الخلل . وإن لم يمنع شيئاً من المقدمات لاإجمالاً ولاتفصيلاً بل قابل بدليل دال على نقيض مدعاه يسمى معارضة ويصير السائل معللاً وبالعكس .

واعلم أن السؤال المتعلق بالافهام يسمى الاستفسار ، وهو طلب بيان معنى اللفظ في الأغلب ؛ وإنما يسمع إذا كان في اللفظ إجمال أو غرابة ، وكذلك كل مايمكن فيه الاستبهام حسن فيه الاستفهام ، وإلا فهو لجاج وتعنت،ولفائدة المناظرة مفوت إذ يأتي في كل لفظ تفسير فيتسلسل . والجواب عن الاستفهام ببيان ظهوره في مقصوده إما بالنقل عن أهل اللغة أو بالعرف العام أو الخاص أو بالقرائن المضمومة ، وإن عجز عن ذلك كله فالتفسير بما يصح لغة ، وإلا يكون من جنس اللعب فيخرج عما وضعت له المناظرة من إظهار الحق . وهذا الاستفهام يرد على تقرير المدعي وعلى جميع المقدمات وعلى جميع الأدلة فلا سؤال أعم منه .

* * *

تنبيه : من الواجب على المعلل أن لايستعجل بالجواب بل يطلب منه توجيه المنع وتحقيقه ، إذ ربما لايتمكن المانع توجيهه أو يظهر فساده أو يتذكر جوابه ، فإذا أجيب فعلى المانع أن لايستعجل بل ويطلب توجيه الجواب وتفصيله ، إذ ربما لايقدر عليه أو يكون غلطاً .

ومما يجب على المتناظرين أن يتكلما في كل علم بما هو حدّه ووظيفته ، فلا يتكلما في اليقيني بوظائف الظني وبالعكس .

* * *

الباب الرابع

في فوائد منثورة من ابواب العلم وفيه مناظر وفتوحات

المنظر الأول

في العلوم الإسلامية

اعلم أن العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد التي يخوض فيها البشر ويتداولونها فيما بينهم تحصيلاً وتعليما هي على صنفين : صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره . وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه .

والأول : هي العلوم الحكمية الفلسفية ، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها ، حتى يقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر .

والثاني : هي العلوم النقلية الوضعية ، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول ، لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة لاتندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه ، فتحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسي . إلا أن هذا القياس يتفرع عن الخبر بثبوت الحكم في الأصل وهو نقلي ، فرجع هذا القياس إلى النقل لتفرعه عنه .

وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله ، وما يتعلق بذلك من العلوم التي نهيؤها للإفادة. ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القرآن .

وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة ، لأن المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو بالاجماع أو بالإلحاق . فلا بد من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه أولاً ، وهذا هو علم التفسير ، ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند الله واختلاف روايات القراء في قراءته ، وهذا هو علم القراءات . ثم بإسناد السنة إلى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارهم بعلم مايجب العمل بمقتضاه من ذلك ، وهذه هي علوم الحديث . ثم لابد في استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط ، وهذا هو أصول الفقه . وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين ، وهذا هو الفقه . ثم إن التكاليف منها بدني ومنها قلبي وهو المختص بالإيمان وما يجب أن يعتقد وما لايعتقد ، وهذه هي العقائد الايمانية في الذات والصفات وأمور الحشر والنعيم والعذاب والقدر ، والحجاج عن هذه بالأدلة العقلية هو علم الكلام . ثم النظر في القرآن والحديث لابد أن تتقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها ، وهي أصناف ، فمنها : علم اللغة ، وعلم النحو ، وعلم البيان ، وعلم الأدب ، حسبما نتكلم عليها كلها .

وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الإسلامية وأهلها ، وإن كانت

كل ملّة على الجملة لابد فيها من مثل ذلك ، فهي مشاركة لها في الجنس البعيد من حيث إنها علوم الشريعة المنزلة من عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها . وأما على الخصوص فمباينة لجميع الملل ، لأنها ناسخة لها ، وكل ماقبلها من علوم الملل فمهجورة والنظر فيها محظور ، فقد نهى الشرع عن النظر في الكتب المنزلة غير القرآن قال —صلى الله عليه وسلم — : « لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد » ورأى النبي —صلى الله عليه وسلم— في يد عمر —رضي الله عنه— ورقة من التوراة فغضب حتى تَبَيَّن الغضب في وجهه ثم قال : « ألم آتكم بها بيضاء نقية ، والله لو كان موسى حياً ماوسعه إلا اتباعي » .

ثم إن هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت أسواقها في هذه الملة بما لامزيد عليه ، وانتهت فيها مدارك الناظرين إلى الغاية التي لافوقها ، وهذبت الاصطلاحات ، ورتبت الفنون فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتنميق .

وكان لكل فن رجال يرجع إليهم فيه ، وأوضاع يستفاد منها التعليم . واختص المشرق من ذلك والمغرب بما هو مشهور منها . وقد كسدت لهذا العهد أسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه وانقطاع سند العلم والتعليم . وما أدري مافعل الله بالمشرق ، والظن به نفاق العلم فيه ، واتصال التعليم في العلوم وفي سائر الصنائع الضرورية والكمالية لكثرة عمرانه والحضارة ووجود الإعانة لطالب العلم بالجراية من الأوقاف التي اتسعت بها أرزاقهم . والله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد وبيده التوفيق والإعانة

* * *

المنظر الثاني

في أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم (١)

« وذلك من الغريب الواقع ،لأن علماء الملة الإسلامية في العلوم الشرعية والعقلية أكثرهم العجم إلا في القليل النادر ، وإن كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيخته،مع أن الملة عربية وصاحب شريعتها عربي . والسبب في ذلك أن الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى أحوال السذاجة والبداوة ، وإنما أحكام الشريعة التي هي أوامر الله ونواهيه كان الرجال ينقلونها في صدورهم وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع وأصحابه . والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين،ولا دفعوا إليه ولا دعتهم إليه حاجة . وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتابعين ، وكانوا يسمون المختصين بحمل ذلك ونقله « القُرَّاءَ » أي الذين يقرؤون الكتاب ، وليسوا أميين لأن الأمية يومئذ صفة عامة في الصحابة بما كانوا عرباً ، فقيل لحملة القرآن يومئذ « قُرَّاء » إشارة إلى هذا ، فهم قراء الكتاب الله والسنة المأثورة عن رسول الله ، لأنهم لم يعرفوا الأحكام الشرعية إلا منه ومن الحديث الذي هو في غالب موارده تفسير له وشرح . قال صلى الله عليه وسلم : « تركتُ فيكم أمرين لن تَضلُّوا ما تمسّكتم بهما كتاب الله وسنّتي » .

فلما بعد النقل من لَدُنْ دولة الرشيد فما بعد احتيج إلى وضع التفاسير القرآنية،وتقييد الحديث مخافة ضياعه.ثم احتيج إلى معرفة الأسانيد وتعديل الناقلين للتمييز بين الصحيح من الأسانيد وما دونه . ثم كثر استخراج أحكام الواقعات من الكتاب والسنة . وفسد مع ذلك اللسان ، فاحتيج

(١) هذا الفصل من مقدمة ابن خلدون انظره في صفحة ١٣٦٧ — ١٣٧٠ ، تحقيق علي عبد الواحد وافي .

إلى وضع القوانين النحوية ، وصارت العلوم الشرعية كلها ملكات في الاستنباطات ، والاستخراج ، والتنظير ، والقياس . واحتاجت إلى علوم أخرى وهي وسائل لها من معرفة قوانين العربية ، وقوانين ذلك الاستنباط والقياس ، والذبّ عن العقائد الإيمانية بالأدلة لكثرة البـــدع والإلحاد . فصارت هـــذه العلوم كلها علوماً ذات ملكات محتاجة إلى التعليم ، فاندرجت في جملة الصنائع . وقد كنا قدمنا أن الصنائع من منتحل الحضر وأن العرب أبعد الناس عنها ، فصارت العلوم لذلك حضرية وبعد عنها العرب وعن سوقها . والحضر لذلك العهد هم العجم أو من في معناهم من الموالي وأهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف ، لأنهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس . فكان صاحب صناعة النحو سيبَويه والفارسي من بعده والزَّجّاج من بعدهما ، وكلهم عجم في أنسابهم ، وإنما ربوا في اللسان العربي ، فاكتسبوه بالمربى ومخالطة العرب وصيروه قوانين وفناً لمن بعدهم . وكذا حملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الإسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربى . وكان علماء أصول الفقه كلهم عجماً كما يعرف. وكذا حملة علم الكلام . وكذا أكثر المفسرين .ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم. وظهر مصداق قوله – صلى الله عليه وسلم – : « لو تعلّقَ العلمُ بأكناف السماء لناله قومٌ من أهل فارس » .

وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا إليها عن البداوة فشغلتهم الرياسة في الدولة العباسية ، وما دفعوا إليه من القيام بالملك عن القيام بالعلم والنظر فيه ، فإنهم كانوا أهل الدولة وحاميتها

وأولي سياستها ،مع مايلحقهم من الأنفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع . والرؤساء أبداً يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجر إليها ، ودفعوا ذلك إلى من قام به من العجم والمولدين . وما زالوا يرون لهم حق القيام به ، فإنه دينهم وعلومهم ولا يحتقرون حملتها كل الاحتقار . حتى إذا خرج الأمر من العرب جملة وصار للعجم ، صارت العلوم الشرعية غريبة النسبة عند أهل الملك بما هم عليه من البعد عن نسبتها وامتهن حملتها بما يرون أنهم بعداء عنهم مشتغلين بما لا يغني ولا يجدي عنهم في الملك والسياسة . وهذا الذي قررناه هو السبب في أن حملة الشريعة أو عامتهم من العجم .

وأما العلوم العقلية أيضاً فلم تظهر في الملة إلا بعد أن تميز حملة العلم ومؤلفوه ، واستقر العلم كله صناعة . فاختصت بالعجم وتركتهاالعرب. وانصرفوا عن انتحالها ، فلم يحملها إلا المعربون من العجم ،شأن الصنائع كما قلناه أولاً . فلم يزل ذلك في الأمصار مادامت الحضارة في العجم وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر .فلما خربت تلك الأمصار وذهبت منها الحضارة التي هي سرّ الله في حصول العلم والصنائع ذهب العلم من العجم جملة لما شملهم من البداوة ، واختص العلم بالأمصار الموفورة الحضارة ، ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم ، وإيوان الإسلام،وينبوع العلم والصنائع .وبقي بعض الحضارة فيما وراء النهر لما هناك من الحضارة بالدولة التي فيها ، فلهم بذلك حصة من العلوم والصنائع لاتنكر . وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم في تآليف وصلت إلينا من هذه البلاد وهو « سعد الدين التفتازاني(١) » وأما غيره

---

(١) انظره فيما تقدم ص ٥٢

من العجم فلم نَر لَهم من بعد الإمام ابن الخطيب(١) ونصير الدين الطوسي(٢) كلاماً يعول على نهايته في الإصابة . فاعتبر ذلك وتأمله تر عجباً في أحوال الخليقة . والله يخلق مايشاء لاإله إلا هو وحده لا شريك له،له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله»(٣) .

* * *

المنظر الثالث

في علوم اللسان العَرَبي

أركانه أربعة : وهي اللغة ، والنحو ، والبيان ، والأدب . ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة ، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهي بلغة العرب ، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغاتهم.فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة . وتتفاوت في التأكيد بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام حسبما يتبين في الكلام عليها فناً فناً .

والذي يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو ،إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة ، فيعرف الفاعل من المفعول ، والمبتدأ من الخبر ، ولولاه لجهل أصل الإفادة . وكان من حق علم اللغة التقدم ، لولا أن أكثر الأوضاع باقية في موضوعاتها لم تتغير ، بخلاف الإعراب الدال

---

(١) هو الإمام فخر الدين الرازي وقد سبقت ترجمته صفحة ٢٦ .

(٢) هو نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي ، فيلسوف ، كان رأساً في العلوم العقلية،علامة بالأرصاد والرياضيات،وكان معظماً عند هولاكو،له كتب كثيرة ، ٥٩٧- ٦٧٢ هـ = ١٢٠١ - ١٢٧٤ م

(٣) آخر كلام ابن خلدون .

على الإسناد والمسند والمسند إليه ، فإنه تغير بالجملة ولم يبق له أثر . فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة، إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة، وليست كذلك اللغة . والله سبحانه وتعالى أعلم ، وبه التوفيق . وقد قدمنا أن العلم من جملة الصنائع لكنه أشرفها فلا نعيد الكلام على ذلك حذراً من الإطالة .

* * *

المنظر الرابع

« في أن الرِّحلَةَ في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم (١)

والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل، تارة علماً وتعليماً وإلقاء ، وتارة محاكاة وتلقيناًبالمباشرة.إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها.

والاصطلاحات أيضاً في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم، حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم، ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين. فلقاء أهل العلوم وتعدد المشائخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصيل ، وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في الملكات، ويصحح معارفه ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم. وهذا لمن يسر الله تعالى عليه طرق العلم والهداية. فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشائخ ومباشرة الرجال.

(١) انظر الفصل في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٣٦٥ .

والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم »(١) ويرشده إلى طريق سوي ودين قويم .

* * *

المنظر الخامس

في أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها(٢)

«والسبب في ذلك أنهم معتادون النظر الفكري، والغوص على المعاني وانتزاعها من المحسوسات وتجريدها في الذهن أموراً كلية عامة ليحكم عليها بأمر العموم لابخصوص مادة، ولاشخص، ولا جيل، ولا أمة، ولا صنف من الناس. ويطبقون من بعد ذلك الكلي على الخارجيات، وأيضاً يقيسون الأمور على أشباهها وأمثالها بما اعتادوه من القياس الفقهي. فلا تزال أحكامهم وأنظارهم كلها في الذهن. ولا تصير إلى المطابقة إلا بعد الفراغ من البحث والنظر. ولا تصير بالجملة إلى مطابقة، وإنما يتفرع ما في الخارج عما في الذهن من ذلك، كالأحكام الشرعية فإنها فروع عما في المحفوظ من أدلة الكتاب والسنة، فتُطْلَبُ مطابقةُ ما في الخارج لها ، عكس الأنظار في العلوم العقلية التي تطلب في صحتها مطابقتها لما في الخارج . فهم متعودون في سائر أنظارهم الأمور الذهنية والأنظار الفكرية لايعرفون سواها، والسياسة يحتاج صاحبها إلى مراعاة ما في الخارج وما يلحقها من الأحوال ويتبعها، فإنها خفية. ولعل أن يكون فيها ما يمنع من إلحاقها بشبه أو مثال، وينافي الكلي الذي يحاول تطبيقه عليها. ولا يقاس شيء من أحوال العمران على الآخر، اذ كما اشتبها في أمر واحد فلعلهما اختلفا في أمور، فتكون العلماء، لأجل ماتعودوه من تعميم الأحكام وقياس الأمور بعضها على بعض، إذا نظروا في السياسة أفرغوا

(١) آخر كلام ابن خلدون .

(٢) الفصل في المقدمة صفحة ، ١٣٦٥ — ١٣٦٧ .

ذلك في قالب أنظارهم ونوع استدلالاتهم فيقعون في الغلط كثيراً ولا يؤمن عليهم. ويلحق بهم أهل الذكاء والكيس من أهل العمران، لأنهم ينزعون بثقوب أذهانهم إلى مثل شأن الفقهاء من الغوص على المعاني والقياس والمحاكاة، فيقعون في الغلط. والعامي السليم الطبع المتوسط الكيس لقصور فكره عن ذلك وعدم اعتياده اياه يقتصر لكل مادة على حكمها، وفي كل صنف من الأحوال والأشخاص على ما اختص به، ولا يعدي الحكم بقياس ولا تعميم، ولا يفارق في أكثر نظره المواد المحسوسة، ولا يجاوزها في ذهنه كالسابح لايفارق البر عند الموج قال الشاعر:

فَلاَ تُوغِلَنَّ اذا ما سَبَحْتَ فإنَّ السلامَةَ في السّاحِلِ

فيكون مأموناً من النظر في سياسته، مستقيم النظر في معاملة أبناء جنسه، فيحسن معاشه وتندفع آفاته ومضاره باستقامة نظره. وفوق كل ذي علم عليم.

ومن هنا يتبين أن صناعة المنطق غير مأمونة الغلط لكثرة مافيها من الانتزاع وبُعْدِها عن المحسوس، فإنها تنظر في المعقولات الثواني. ولعل المواد فيها ما يمانع تلك الأحكام وينافيها عند مراعاة التطبيق اليقيني. وأما النظر في المعقولات الأُوَل وهي التي تجريدها قريب فليس كذلك لأنها خيالية، وصور المحسوسات حافظة مُؤْذنة بتصديق انطباقه. والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق». (١)

* * *

المنظر السادس
في موانع العلوم وعوائقها

وفيه فتوحات:

---

(١) آخر كلام ابن خلدون.

فتح: اعلم أنه على كل خير مانع، وعلى العلم موانع منها: الوثوق بالمستقبل. والوثوق بالذكاء. والانتقال من علم إلى علم قبل أن يحصّلَ منه قدراً يعتد به. أو من كتاب إلى كتاب قبل ختمه.

ومنها: طلب المال، أو الجاه، أو الركون إلى اللذات البهيمية .

ومنها: ضيق الحال وعدم المعونة على الاشتغال .

ومنها: أفعال الدنيا وتقليد الأعمال .

ومنها: كثرة التأليف في العلوم وكثرة الاختصارات فإنها مخلة عائقة .

فتح: أما الوثوق بالمستقبل فلا ينبغي للعاقل، لأن كل يوم آت بمشاغله فلا يؤخر شغل يومه إلى غد .

فتح: وأما الوثوق بالذكاء فهو من الحماقة، وكثير من الأذكياء فاته العلم بهذا السبب.

فتح: وأما الانتقال من علم إلى علم قبل أن يستحكم الأول فهو سبب الحرمان عن الكل فلا يجوز، وكذا الانتقال من كتاب إلى كتاب كذلك.

فتح: وأما طلب المال أو الجاه أو الركون إلى اللذات البهيمية فالعلم أعز من أن ينال مع غيره أو على سبيل التبعية، ولذلك ترى كثيراً من الناس لاينالون من العلم قدراً صالحاً يعتد به لاشتغالهم عنه بطلب المنصب والمدرسة، وهم يطلبونه دائماً ليلا ونهاراً سراً وجهاراً ولا يفترون، وكان ذكرهم وفكرهم تحصيل المال والجاه، مع أنها لهم في اللذات

الفانية وعدم ركونهم إلى السعادة الباقية، ومناصبهم في الحقيقة مناصب أجنبية لأنها شاغلة عن الشغل والتحصيل على القانون المعتبر في طريقه.

فتح: وأما ضيق الحال وعدم المعونة على الاشتغال فمن أعظم الموانع وأشدها، لأن صاحبه مهموم ومشغول القلب أبداً.

فتح: وأما إقبال الدنيا وتقلد الأعمال فلاشك أنه يمنع صاحبه عن التعليم والتعلم.

فتح: وأما كثرة المصنفات في العلوم واختلاف الاصطلاحات في التعليم فهي عائقة عن التحصيل، لأنه لايفي عمر الطالب بما كتب في صناعةواحدة إذا تجرد لها، لأنماصنفوه في الفقه مثلا من المتونوالشروح لو التزمه طالب لايتيسر له، مع أنه يحتاج إلى تمييز طرق المتقدمين والمتأخرين، وهي كلها متكررة والمعنى واحد. والمتعلم طالب والعمر ينقضي في واحد منها، ولو اقتصروا على المسائل المذهبية فقط لكان الأمر دون ذلك، ولكنه داء لايرتفع. ومثله علم العربية أيضاً في مثل (كتاب سيبويه) وما كتب عليهوطرق البصريين والكوفيين والأندلسيين، وطرق المتأخرين مثل ابن الحاجبوابن مالك(١) وجميع ما كتب فيذلك كيف يطالببه المتعلموينقضي عمره دونهولايطمع الذي هو آلةمنآلات

---

(١) ابن الحاجب هو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، فقيه مالكي من كبار العلماء بالعربية له فيها مصنفات كثيرة منها الكافية في النحو والشافية في الصرف. ٥٧٠ – ٦٤٦ هـ = ١١٧٤ – ١٢٤٩ م.

وابن مالك هو جمالالدين محمدبنعبد الله بن مالك الطائي الجياني، أحد الأئمة في علومالعربية، أندلسي المولد دمشقي الوفاة له كتب كثيرة في علوم العربية واشتهر بألفيته وكافيته: ٦٠٠ – ٦٧٢ هـ = ١٢٠٣ – ١٢٧٤ م.

ووسيلة فكيف تكون في المقصود الذي هو الثمرة، ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين.

فتح: وأما كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم فإنها مخلةبالتعليم، فقد(١)«ذهب كثير من المتأخرين إلىاختصار الطرق والأنحاء فيالعلوم، يولعون بها ويدونون منها برنامجاً مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن، وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيراً على الفهم. وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريباً للحفظ، كما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه وابن مالك في العربية والخونجي (٢) في المنطق وأمثالهم، وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل، وذلك لأن فيه تخليطاً على المبتدىء بإلقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد، وهو من سوء التعليم. ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها، لأن ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت. ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات إذا تم على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة مايقع في تلك من التكرار والإحالة المفيدين لحصول الملكة التامة. وإذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته، كشأن هذه

---

(١) من هنا كلام ابن خلدون صفحة ١٣٥٢ .

(٢) هو محمد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي، أفضل الدين، عالم بالحكمة والمنطق وله فيهما مصنفات، توفي في القاهرة : ٥٩٠ — ٦٤٦ هـ = ١١٩٤ — ١٢٤٨ م .

الموضوعات المختصرة، فقصدوا إلى تحصيل الحفظ على المتعلمين فأركبوهم صعباً يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها»(١). ومن ذلك القبيل كتاب (التهذيب في المنطق) لسعد الدين التفتازاني و (السُلَّم) و (المُسْلم) لمحب الله البهاري و (الفصول الأكبري) في الصرف و (الفوائد الصمدية) في النحو. ومن يهد الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادي له والله سبحانه أعلم.

* * *

المنظر السابع

في أن الحفظ غير الملكة العلمية

اعلم أن من كان عنايته بالحفظ أكثر من عنايته إلى تحصيل الملكة لايحصل على طائل من ملكة التصرف في العلم. ولذلك ترى من حصل الحفظ لايحسن شيئاً من الفن ، وتجد ملكته قاصرة في علمه إن فاوض أو ناظر كأكثر فقهاء المغرب وطلبة علمه من أهل بخارى، وبغداد، وكابل، وقندهار، ومن إليها من المدن والأمصار. ومن ظن أنه المقصود من الملكة العلمية فقد أخطأ، وإنما المقصود هو ملكة الاستخراج والاستنباط وسرعة الانتقال من الدوالّ إلى المدلولات، ومن اللازم إلى الملزوم وبالعكس، فإن انضم اليها ملكة الاستحضار فنِعْمَ المطلوب. وهذا لايتم بمجرد الحفظ بل الحفظ من أسباب الاستحضار، وهو راجع إلى جودة قوة الحافظة وضعفها، وذلك من أحوال الأمزجة الخلقية وإن كان مما يقبل العلاج .

* * *

(١) آخر كلام ابن خلدون .

المنظر الثامن

في شرائط تحصيل العلم وأسبابه

وفيه فتوحات أيضاً.

فتح : اعلم أن شرائط التحصيل كثيرة، لكنها مجتمعة فيما نقل عن سقراط وهو قوله: «ينبغي أن يكون الطالب شاباً، فارغ القلب، غير ملتفت إلى الدنيا، صحيح المزاج، محباً للعلم بحيث لايختار على العلم شيئاً من الأشياء، صدوقاً، منصفاً بالطبع، متديناً، أميناً، عالماً بالوظائف الشرعية والأعمال الدينية، غير مخل بواجب فيها، ويحرم على نفسه مايحرم في ملة نبيه، ويوافق الجمهور في الرسوم والعادات، ولايكون فظاً سيء الخلق، ويرحم من دونه في المرتبة، ولايكون أكولاً، ولا متهتكاً، ولا خاشعاً من الموت، ولا جامعاً للمال إلا بقدر الحاجة، فإن الاشتغال بطلب أسباب المعيشة مانع عن التعلم» انتهى.

فتح: ومن الشروط تزكية الطالب عن الأخلاق الردية، وهي متقدمة على غيرها كتقدم الطهارة، فكما أن الملائكة لاتدخل بيتاً فيه كلب كذلك العلم لايدخل القلب اذا وجد فيه كلاب باطنية. وكانت الأوائل يختبرون المتعلم أولا فإن وجدوا فيه خلقاً ردياً منعوه لئلا يصير آلة الفساد، وإن وجدوه مهذباً علموه، ولايطلقونه قبل الاستكمال خوفاً على فساد دينه ودين غيره.

فتح : ومنها الإخلاص في مقاساة هذا المسلك، وقطع الطمع عن قبول أحد. فيجب أن ينوي في تعلمه أن يعمل بعلمه لله تعالى، وأن يعلم الجاهل، ويوقظ الغافل، ويرشد الغَوِيّ، فإنه قال عليه

السلام : « من تعلّمَ العلمَ لأربعٍ دخل النارَ : ليباهيَ به العلماءَ ، وليماريَ به السفهاء ، ويقبل به وجوه الناس إليه ، وليأخذ به الأموال » .

فتح : ومن الشروط تقليل العوائق حتى الأهل والأولاد والوطن ، فإنها صارفة وشاغلة ﴿ماجَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ في جَوْفِه﴾ ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق . وقد قيل : « العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كُلّك» فإذا أعطيته كُلّكَ فأنت على خطر من الوصول إلى بعضه .

فتح : ومنها ترك الكسل وإيثار السهر في الليالي ، ومن جملة أسباب الكسل فيه ذكر الموت والخوف منه ، لكنه ينبغي أن يكون من جملة أسباب التحصيل ، إذ لاعَمَلَ يحصل به الاستعداد للموت أفضل من العلم والعمل به ، والخوف منه لاينبغي أن يتسلط على الطالب بحيث يشغله عن الاستعداد . وقوله عليه الصلاة والسلام : «أكثروا ذكر هادِم اللذات » . يدل على أنه ينبغي أن يكون ذكره سبباً للانقطاع عن اللذات الفانية دون الباقية .

فتح : ومن الشروط العزم والثبات على التعلم إلى آخر العمر ، كما قيل : « الطلب من المهد إلى اللحد ».وقال سبحانه وتعالى لحبيبه صلى الله عليه وسلم : ﴿وقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ وقال : ﴿وفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَليم﴾ والحيلة في صرف الأوقات إلى التحصيل أنه إذا مَلَّ من علمٍ اشتغل بآخر ، كما قال ابن عباس رضي الله عنه إذا مَلَّ من الكلام مع المتعلمين : « هاتوا دواوين الشعراء » .

فتح : ومنها اختيار معلم ناصح نقي الحسب ، كبير السن ،

لايلابس الدنيا بحيث تشغله عن دينه ، ويسافر في طلب الأستاذ إلى أقصى البلاد إن لم يكن ببلده الذي يسكن فيه ، ويقال : « أول مايذكر من المرء أستاذه ، فإن كان جليلاً جَلّ قدره ، فإذا وجده يلقي إليه زمام أمره ويذعن لنصحه إذعان المريض للطبيب ، ولا يستبد بنفسه اتكالاً على ذهنه ، ولايتكبر عليه وعلى العلم ولايستنكف ، لأنه قد ورد في الحديث : « من لم يتحمل ذُلّ التعلم ساعةً بقي في ذلِّ الجَهْلِ أبداً » .

ومن الآداب احترام المعلم وإجلاله فمن تأذى منه أستاذه يُحرَم بركة العلم ، ولاينتفع به إلا قليلاً . وينبغي أن يقدم حقّ معلمه على حق أبويه وسائر المسلمين ، ومن توقيره توقير أولاده ومتعلقاته ، ومن تعظيم العلم تعظيم الكتب والشركاء .

فتح : ومن الشروط أن يأتي على ماقرأه مستوعباً لمسائله من مبادئه إلى نهايته بتفهّم واستثبات بالحجج ، وأن يقصد فيه الكتب الجيدة ، وأن لايعتقد في علم أنه حصل منه على مقدار لايمكن الزيادة عليه ، وذلك طيش يوجب الحرمان .

فتح : ومنها أن لايدع فناً من فنون العلم إلا وينظر فيه نظرَ مطّلع على غايته ومقصده وطريقته. وبعد المطالعة في الجميع أو الأكثر إجمالاً إن مال طبعه إلى فن عليه أن يقصده ولايتكلف غيره ، فليس كل الناس يصلحون للتعلم ، ولا كل من يصلح لتعلم علم يصلح لسائر العلوم ، بل كُلٌّ ميّسرٌ لما خلق له . وإن كان ميله إلى الفنون على السواء مع موافقة الأسباب ومساعدة الأيام طلب التبحر فيها ، فإن العلوم كلها متعاونة مرتبطة بعضها ببعض ، لكن عليه أن لايرغب

في الآخر قبل أن يستحكم الأول ، لئلا يصير مذبذباً فيحرم من الكل . ولايكن ممن يميل إلى البعض ويعادي الباقي ، لأن ذلك جهل عظيم . وإياه أن يستهين بشيء من العلوم تقليداً لما سمعه من الجهلة ، بل يجب أن يأخذ من كلٍّ حظاً ويشكر من هداه إلى فهمه. ولايكن ممن يذم العلم ويَعْدوُه لجهله ، مثل ذمهم المنطق الذي هو أصل كل علم وتقويم كل ذهن ، ومثل ذمهم العلوم الحكمية على الإطلاق من غير معرفة القدر المذموم والممدوح منها ، ومثل ذم علم النجوم مع أن بعضاً منه فرض كفاية والبعض مباح ، ومثل ذم مقالات الصوفية لاشتباهها عندهم . والعلم وإن كان مذموماً في نفسه كما زعموا فلا يخلو تحصيله من فائدة أقلها ردُّ القائلين به .

قف : اعلم أن النظر والمطالعة في علوم الفلسفة يحل بشرطين :

أحدهما : أن لايكون خالي الذهن عن العقائد الإسلامية ، بل يكون قوياً في ذهنه راسخاً على الشريعة الشريفة .

والثاني : أن لايتجاوز مسائلهم المخالفة للشريعة ، وإن تجاوز فإنما يطالعها للرد لاغير . هذا لمن ساعده الذهن والسن والوقت وسامحه الدهرعما يفضيه إلى الحرمان،وإلا فعليه أن يقتصر علىالأهم وهو قدر مايحتاج إليه فيما يتقرب به إلى الله تعالى وما لابد منه في المبدإ والمعاد والمعاملات والعبادات والأخلاق والعادات .

فتح : ومن الشروط المعتبرة في التحصيل المذاكرة مع الأقران ومناظرتهم ، كما قيل : « العلم غرس وماؤه درس » لكن طلباً للثواب وإظهاراً للصواب ، وقيل : « مطارحة ساعةٍ خيرٌ من تكرار شهر».

ولكن مع منصف سليم الطبع . وينبغي للطالب أن يكون متأملاً في دقائق العلوم ويعتاد ذلك ، فإنما تدرك به خصوصاً قبل الكلام فإنه كالسهم فلا بد من تقويمه بالتأمل أولاً .

فتح : ومنها الجد والهمة ، فإن الإنسان يطير بهما إلى شواهق الكمالات ،وأن لايؤخِّرَ شغل يومٍ إلىغدٍ فإن لكل يوم مشاغل.ولابد أن تكون معه محبرة في كل وقت حتى يكتب مايسمع من الفوائد ويستنبطه من الزوائد ، فإنَّ العلم صيد والكتابة قيد . وينبغي أن يحفظ ماكتبه من العلم ، إذ العلم ماثبت في الخواطر لاماأودع في الدفاتر ، بل الغرض منه المراجعة إليها عند النسيان للاعتماد عليها .

فتح : ومن الشروط مراعاة مراتب العلوم في القرب والبعد من المقصد ، فلكل منها مرتبة ترتيباً ضرورياً بحسب الرعاية في التحصيل، إذ البعض طريق إلى البعض . ولكل علم حَدٌ لايتعداه ، فعليه أن يعرفه فلا يتجاوز ذلك الحد ، مثلاً : لايقصد إقامة البراهين في النحو ولا يطلب ، وأيضاً لايقصر عن حده كأن يقنع بالجدل في الهيئة . وأن يعرف أيضاً أن ملاكَ الأمر في المعاني هو الذوق ، وإقامة البرهان عليه خارج عن الطوق . ومن طلب البرهان عليه أتعب نفسه كما قال السكاكي : « قبل أن تمنح هذه الفنون حقها فلننبهك على أصل ليكون على ذكر منك ، وهو أنه ليس من الواجب في صناعة ، وإن كان المرجع في أصولها وتفاريعها إلى مجرد العقل ، أن يكون الدخيل فيها كالناشىء عليها في استفادة الذوق عنها ، فكيف إذا كانت الصناعة مستندة إلى محكمات وضعية واعتبارات إلفية ، فلا بأس على الدخيل في صناعة

علم المعاني أن يقلد صاحبها في بعض فتاواه ، إن فاته الذوق هناك ، إلى أن يتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق » انتهى .

فتح: ومنها العلوم الآليةلايوسع فيهاالأنظار ،وذلك أنالعلوم المتداولة على صنفين : علوم مقصودة بالذات ، كالشرعيات والحكميات . وعلوم هي آلة ووسيلة لهذه العلوم ، كالعربية والمنطق . فأما المقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفريع المسائل واستكشاف الأدلة ، فإن ذلك يزيد طالبها تمكناً في ملكته . وأما العلوم الآلية فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلةٌ للغير ولايوسع فيها الكلام ، لأن ذلك يخرج بها عن المقصود ، وصار الاشتغال بها لغواً مع مافيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها ، وربما يكون ذلك عائقاً عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها ، فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضييعاً للعمر وشغلاً بما لايغني . وهذا كما فعله المتأخرون في النحو والمنطق وأصول الفقه ، لأنهم أوسعوا دائرة الكلام فيها نقلاً واستدلالاً ، وأكثروا من التفاريع والمسائل بما أخرجها عن كونها آلة وصيرها مقصودة بذاتها ، فيكون لأجل ذلك لغواً ومضراً بالمتعلمين لاهتمامهم بالمقصود أكثر من هذه الآلات ، فإذا أفنى العمر فيها فمتى يظفرُ بالمقاصد ؟ ! . فيجب عليه أن لا يستبحر فيها ولايستكثر من مسائلها .

* * *

المنظر التاسع
في شروط الإفادة ونشر العلم وفيه فوائد

فائدة(١) : اعلم أن الإفادة من أفضل العبادة،فلا بد له من النية

(١) وضع المؤلف حرف « ف » بدلا من كلمة « فائدة » رامزاً به إليها فأثبتناها كاملة حيث جاءت .

ليكون ذلك ابتغاء لمرضاة الله تعالى وإرشاد عباده.ولايريد بذلك زيادة وحرمة ، ولا يطلب على إفادته أجراً اقتداء بصاحب الشــرع عليه الصلاة والسلام . ثم ينبغي له مراعاة أمور منها : أن يكون مشفقاً ناصحاً بصاحبه . وأن ينبهه على غاية العلوم ، ويزجره عن الأخلاق الردية ، ويمنعه أن يتشوق إلى رتبة فوق استحقاقه . وأن يتصدى للاشتغال فوق طاقته . وأن لايزجر إذا تعلم للرئاسة والمباهاة ، إذ ربما يتنبه بالآخرة لحقائق الأمور . بل ينبغي أن يرغب في نوع من العلم يستفاد به الرئاسة بالأطماع فيها حتى يستدرجه إلى الحق .

اعلم : أن الله سبحانه وتعالى جعل الرئاسة وحسن الذكر حفظاً للشرع والعلم مثل الحَبِّ الملقى حول الشبكة ، وكالشهوة الداعية إلى التناسل ، ولهذا قيل : « لولا الرئاسة لبطل العلم » . وأن يزجر عما يجب الزجر عنه بالتعريض لابالتصريح .

فائدة : ومنها أن يبدأ بالأهم للمتعلم في الحال إما في معاشه أو في معاده ، ويعين له مايليق بطبعه من العلوم ، ويراعي الترتيب الأحسن حسبما يقتضيه رتبته على قدر الاستعداد . فمن بلغ رشده في العلم ينبغي أن يبث إليه حقائق العلوم ، وإلا فحفظ العلم وإمساكه عمن لايكون أهلاً له أولى به ، فإن بث المعارف إلى غير أهلها مذموم ، وفي الحديث : « لاتَطْرَحُوا الدُّرَرَ في أفْواهِ الكلاب ».وكذا ينبغي أن يجتنب إسماع العوام كلمات الصوفية التي يعجزون عن تطبيقها بالشرع ، فإنه يؤدي إلى انحلال قيد الشرع عنهم فيفتح عليهم باب الإلحاد والزندقة . فينبغي أن يُرْشد إلى علم العبادات الظاهرة ، وإن عرض لهم شبهة يعالج بكلام إقناعي ، ولايفتح عليه باب الحقائق فإن ذلك فساد النظام .وإن وجد ذكياً ثابتاً على قواعد الشرع جاز له

أن يفتح عليه باب المعارف بعد امتحانات متوالية لئلا يتزلزل عن جادة الشرع .

فائدة : اعلم أنه يجب على الطالب أن لاينكر مالايفهم من مقالاتهم الخفية وأحوالهم الغريبة ، إذ كلٌ ميسر لما خلق له . قال الشيخ (١) في (الإشارات) : « كل ماقرع سمعك من الغرائب فذره في بقعة الإمكان مالم يذدك عنه قائم البرهان ».انتهى .وإنما الغرض من تدوين تلك المقالات التذكرة لمن يعرف الأسرار ، والتنبيه على من لايعرفها بأن لنا علماً يجل عن الأذهان فهمه حتى يرغب في تحصيله كما في الحديث:« إلا من العلم كهيئة المكنون لا يعرفها إلا العلماء بالله تعالى فإذا نطقوا لاينكره إلا أهل العزة ».وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : « حفظتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاءين ، أما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم ، وغرضهم عدم إمكان التعبير عنه وخوف مقايسة السامعين الأحوال الإلهية بأحوال الممكنات فيضلوا بسوء الظن في قائلها فيقابلوه بالانكار » انتهى .

قلت : المراد بالدعاء الآخر أخبار دولة بني أمية — كما صرح به أهل الحديث — ومن قال بخلافه لم يأت بما يشفي الغليل ، فإن شئت الاطلاع على تمام الكلام في ذلك فارجع إلى القسطلاني (٢) ولا تغتر

---

(١) ابن سينا ، الحسين بن عبد الله بن سينا ، أبو علي ، الفيلسوف الرئيس ، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات.ولد في إحدى قرى بخارى ومات في همذان ، والإشارات هو أحد كتبه الكثيرة : ٣٧٠ — ٤٢٨ هـ = ٩٨٠ — ١٠٣٧ م .

(٢) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني المصري ، من علماء الحديث له فيه مصنفات كثيرة أشهرها «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري » عشرة اجزاء : ٨٥١ — ٩٢٣ هـ = ١٤٤٨ — ١٥١٧ م .

بأقوال هؤلاء الذين ليسوا من علم السنة المطهرة في وِرْدٍ ولاصَدْر .

فائدة : ومنها أنه ينبغي أن لايخالف قولُه فعلَه ، إذ لو كذب مقاله بحاله ينفر الناس عنه وعن الاسترشاد به ، وأكثر المقلدين ينظرون إلى حال القائل . وأما المحقق الذي لاينظر إلى القائل فهو نادر ، فليكن عنايته بتزكية أعماله أكثر منه بتحسين علمه ، إذ لابد للعالم من الورع ليكون علمه أنفع وفوائده أكثر . وأن يكظم غيظه عند التعليم وأن لايخلطه بهزل فيقسو قلبه ، ولا يضحك فيه ولايلعب ، ولايبالي إذا لم يقبل قوله ، ولابأس بأن يمتحن فهم المتعلم ، وأن لا يجادل في العلم ، ولايماري في الحق فإنه يفتح باب الضلال . وأن لايدخل علماً في علم لافي تعليم ولا في مناظرة ، فإن ذلك مشوش ، وكثيراً ماغلط جالينوس بهذا السبب . وأن يحث الصغار على التعليم سيّما الحفظ ، وأن يذكر لهم مايحتمله فهمهم . وإن كان الطلاب مبتدئين لايلقي عليهم المشكلات . وإن كانوا منتهين لايتكلم في الواضحات . ولايجيب متعنتاً في سؤاله ولا ما يلقي عليه من الأغلوطات.وأن ينظر في حال الطالب إن كان له زيادة فهم بحيث يقدر على حل المشكلات وكشف المعضلات يهتم بتعليمه أشد الاهتمام ، وإلا فيعلمه بقدر مايعرف الفرائض والسنن ، ثم يأمره بالاشتغال بالاكتساب ونوافل الطاعات لكن يصبر في امتحان ذهنه مقدار ثلاث سنين . وإن سئل عما يشك فيه يقول لاأدري ، فإن لاأدري نصف العلم .

* * *

المنظر العاشر
فيما ينبغي أن يكون عليه أهل العلم

قال الفقيه أبو الليث (١) : « يراد من العلماء عشرة أشياء : الخشية ، والنصيحة ، والشفقة ، والاحتمال ، والصبر ، والحلم ، والتواضع ، والعفة عن أموال الناس ، والدوام على النظر في الكتب ، وقلة الحجاب ، وأن لاينازع أحداً ، ولايخاصمه .

وعليه أن يشتغل بمصالح نفسه لا بقهر عدوه ، قيل : من أراد أن يرغم أنف عدوه فليحصل العلم ؛ وأن لا يترفه في المطعم والملبس ، وأن لا يتجمل في الأثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع الأمور ، ويتشبه بالسلف الصالح . وكلما ازداد إلى جانب القلة ميله ازداد قربه من الله سبحانه وتعالى ، لأن التزين بالمباح وإن لم يكن حراماً لكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشق تركه ، فالحزم اجتناب ذلك ، لأن من خاض في الدنيا لايسلم منها البتة مع أنها مزرعة الآخرة ففيها الخير النافع والسم الناقع ، ففي تمييز الأول من الثاني أحوال منها معرفة رتبة المال ، فنعم المال الصالح منه للصالح إذا جعله خادماً لامخدوماً ، وهو مطلوب لتقوية البدن بالمطاعم والملابس ، والتقوية لكسب العلوم والمعارف التي هي المقصد الأقصى . ومنها مراعاة جهة الدخل ، فمن قدر على كسب الحلال الطيب فليترك المشتبه ، وإن لم يقدر يأخذ منه قدر الحاجة ، وإن قدر عليه لكن بالتعب واستغراق الوقت فعلى العامل العامي أن يختار التعب . وإن كان من الأهل فإن كان مافاته من العلم والحال أكثر من الثواب الحاصل في طلب الحلال ، فله أن يختار الحلال الغير الطيب كمن غص بلقمة يسيغها بالخمر ، لكن يخفيه من الجاهل مهما أمكن كيلا يحرك سلسلة الضلال . ومنها المقدار المأخوذ منه وهو قدر

---

(١) هو نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ، الملقب بإمام الهدى ، فقيه من أئمة الحنفية ، زاهد متصوف له تصانيف نفيسة . توفي سنة ٣٧٣ هـ = ٩٨٣ م .

الحاجة في المسكن والمطعم والملبس والمنكح ، إن جاوز من الأدنى لايجوز التجاوز عن الوسط . ومنها الخرج والإنفاق ، فالمحمود منه الصدقة والإنفاق على العيال . وقد اختلف في أن الأخذ والإنفاق على الوجه المشروع أولى أم تركه رأساً مع الاتفاق . على أن الاقبال على الدنيا بالكلية مذموم ، فالمقبلون على الآخرة والصارفون للدنيا في محله فهُم الأفضلون من التارك بالكلية ومنهم عامة الأنبياء عليهم السلام . ومنها أن تكون نيته صالحة في الأخذ والإنفاق فينوي بالأخذ أن يستعين به على العبادة ويأكل ليتقوى به على العبادة .

* * *

المنظر الحادي عشر

في التعلم وفيه فوائد أيضاً :

فائدة : اعلم أن تكميل النفوس البشرية في قواها النظرية والعملية إنما يتم بالعلم بحقائق الأشياء وما هو إليه كالوسيلة ، وبه يكون القصد إلى الفضائل والاجتناب عن الرذائل ، إذ كان هو الوسيلة إلى السعادة الأبدية . ولاشيء أشنع وأقبح من الإنسان مع مافضله الله سبحانه وتعالى به من النطق وقبول تعلم الآداب والعلوم من أن يهمل نفسه ويعريها من الفضائل . وقد حث الشارع عليه السلام على اكتسابه حيث قال : « طَلَبُ العِلم فريضَةٌ على كُلِّ مسلم ».وقال : « اطلبوا العِلْمَ ولو بالصين ». وقيل : اطلبوه من المهد إلى اللحد .

فائدة : اعلم أن الإنسان مطبوع على التعلم لأن فكره هو سبب امتيازه عن سائر الحيوانات . ولما كان فكره راغباً بالطبع في تحصيل ماليس عنده من الإدراكات لزمه الرجوع إلى من سبقه بعلم فيلقن

ماعنده . ثم إن فكره يتوجه إلى واحد من الحقائق ، وينظر مايعرض له لذاته واحداً بعد واحد ويتمرن عليه حتى يصير إلحاق العوارض بتلك الحقائق ملكة له ، فيكون علمه حينئذ بما يعرض لتلك الحقيقة علماً مخصوصاً ، ويتشوق نفوس أهل القرن الناشيء إلى تحصيله فيفزعون إلى أهله .

فائدة : وكل تعليم وتعلم ذهني إنما يكون بعلم سابق في معلوم ، ما من عالم كمن ليس بعالم . وقد يكون بالطبع مستفاداً من وقائع الزمان بتردد الأذهان ، ويسمى علماً تجريبياً . وقد يكون بالبحث وإعمال الفكر ، ويسمى علماً قياسياً . والعلم محصور في التصور والتصديق ، والتصور يطلب بالأقوال الشارحة ، والتصديق يكون عن مقدمات في صور القياسات للنتائج ، فقد يحصل به اليقين وقد لايحصل به الاقناع ؛ وقدموا في التعليم ماهو أقرب تناولاً ليكون سلّماً لغيره . وجرت سنة القدماء في التعليم مشافهة دون كتاب ، لئلا يصل العلم إلى غير مستحقه ولكثرة المشتغلين بها . فلما ضعفت الهمم أخذوا في تدوين العلوم وصنفوا ببعضها فاستعملوا الرمز واختصروا من الدلالات على الالتزام فمن عرف مقاصدهم حصل على أغراضهم .

فائدة : اعلم أن جميع المعلومات إنما تعرف بالدلالة عليها بأحد الأمور الثلاثة : الإشارة ، والخط ، واللفظ . فالإشارة تتوقف على المشاهدة . واللفظ يتوقف على حضور المخاطب وسماعه . وأما الخط فلايتوقف على شيء فهو أعمها نفعاً وأشرفها ، وهو خاصة النوع الإنساني. فعلى المتعلم أن يجوده ولو بنوع منه . ولاشك أنه بالخط والقراءة ظهرت خاصة النوع الإنساني من القوة إلى الفعل ، وامتاز عن سائر الحيوانات ،

وضبطت الأموال ، وحفظت العلوم والكمال ، وانتقلت الأخبار من زمان إلى زمان ، فجبلت غرائز القوابل على قبول الكتابة والقراءة . لكن السعي لتحصيل الملكة هو موقوف على الأخذ والتعلم والتمرن والتدرب.

فائدة : اعلم أن العلم والنظر وجودهما بالقوة في الإنسان . فيفيد صاحبها عقلاً ، لأن النفس الناطقة وخروجها من القوة إلى الفعل إنما هو بتجدد العلوم والإدراكات من المحسوسات أولاً ، ثم مايكتسب بالقوة النظرية إلى أن يصير إدراكاً بالفعل وعقلاً محضاً فيكون ذاتاً روحانية ويستكمل حينئذ وجودها . فثبت أن كل نوع من العلوم والنظر يفيدها عقلاً مزيداً ، وكذا الملكات الصناعية تفيد عقلاً . والكتابة من بين الصنائع أكثر إفادة لذلك ، لأنها تشتمل على علوم وأنظار ، إذ فيها انتقال من صور الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية ومنها إلى المعاني ، فهو ينتقل من دليل إلى دليل ، وتتعود النفس ذلك دائماً فيتحصل لها ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلول وهو معنى النظر الفعلي الذي يكتسب به العلوم المجهولة فيحصل بذلك زيادة عقل ومزيد فطنة . وهذا هو ثمرة التعلم في الدنيا .

فائدة : ثم إن المقصود من العلم والتعليم والتعلم معرفة الله سبحانه ، وهي غاية الغايات ورأس أنواع السعادات ، ويعبر عنها بعلم اليقين الذي يخصه الصوفية أولو الكرامات وهو الكمال المطلوب من العلم الثابت بالأدلة . وإياك أيها المتعلم أن يكون شغلك من العلم أن تجعله صنعة غلبت على قلبك حتى قضيت نحبك بتكراره عند النزع ، كما يحكى أن أبا طاهر الزيادي كان يكرر مسألة ضمان الدرك حالة نزعه . بل ينبغي لك أن تتخذه سبيلاً إلى النجاة .

ذكر إحراق الكتب وإعدامها : ومن أجل ذلك نقل عن بعض المشايخ أنهم أحرقوا كتبهم ، منهم العارف بالله سبحانه وتعالى أحمد ابن أبي الحواري فإنه كماذكرهأبو نعيم(١)في «الحلية» لما فرغ من التعلم جلس للناس ، فخطر بقلبه يوماً خاطر من قبل الحق ، فحمل كتبه إلى شط الفرات ، فجلس يبكي ساعة ثم قال: نعم الدليل كنت لي على ربي ، ولكن لما ظفرت بالمدلول علمت أن الاشتغال بالدليل محال . فغسل كتبه ، وذكر ابن الملقن (٢) في ترجمته من (طبقات الأولياء) مانصه «وقد روي نحو هذا عن سفيان الثوري أنه أوصى بدفن كتبه، وكان ندم على أشياء كتبها عن الضعفاء»(٣). وقال ابن عساكر في الكنى من التاريخ (٤) : « إن أبا عمرو بن العلاء كان أعلم الناس بالقرآن والعربية ،وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف ثم تنسك وأحرقها » .

فائدة : ذكرها البقاعي (٥) في (حاشيته على شرح الألفية)

---

(١) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني ، حافظ ، مؤرخ ، من الثقات ، له كتب كثيرة من أشهرها (حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء) مطبوع في عشرة أجزاء : ٣٦٦ — ٤٣٠ ﻫ = ٩٤٨ — ١٠٣٩ م .

(٢) هو سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن ، من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال، قاهري ،له تآليف تناهز ثلاثمائة مصنف : ٧٢٣ — ٨٠٤ ﻫ = ١٣٢٣ — ١٤٠١ م .

(٣) انظر طبقات الأولياء ، تحقيق نور الدين شريبة صفحة ٣٢ .

(٤) هو ثقة الدين علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ، مؤرخ عالم رحالة ، كان محدث الديار الشامية ،مولده ووفاته بدمشق ، له تصانيف كثيرة أشهرها (تاريخ مدينة دمشق) يقع في حوالي ثمانين مجلدة : ٤٩٩ — ٥٧١ ﻫ = ١١٠٥ — ١١٧٦ م

(٥) هو برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر البقاعي، من البقاع في سورية ، استوطن دمشق وتوفي بها ، مؤرخ أديب ، له في ذلك كتب كثيرة : ٨٠٩ — ٨٨٥ ﻫ = ١٤٠٦ — ١٤٨٠ م .

للزين العراقي ،وهي أنه قال: «سألت شيخنا– يعني ابن حجر العسقلاني– عما فعل داود الطائي وأمثاله عن إعدام كتبهم ماسببه ؟ فقال : لم يكونوا يرون أنه يجوز لأحد روايتها لابالإجازة ولابالوجادة، بل يرون أنه إذا رواها أحد بالوجادة يضعف . فرأوا أن مفسدة إتلافها أخف من مفسدة تضعيف بسببهم » انتهى .

أقول : وجوابه بالنظر إلى فن الحديث لايقع جواباً عن إعدام ابن ابي الحواري وأمثاله ، لأن الأول بسبب ضعف الإسناد ؛ والثاني بسبب الزهد والتبتل إلى الله سبحانه . ولعل الجواب عن إعدامهم أنه إن أخرجه عن ملكه بالهبة والبيع ونحوه لاتنحسم مادة العلاقة القلبية بالكلية،ولا يأمن من أن يخطر بباله الرجوع إليه،ويختلج في صدره النظر والمطالعة في وقت ما ، وذلك مشغلة بما سوى الله سبحانه وتعالى .

فائدة : في طريق النظر والتصفية :

اعلم أن السعادة الابدية لاتتم إلا بالعلم والعمل ، ولايعتد بواحد منهما بدون الآخر،وأن كلا منهما ثمرة الآخر ، مثلا .: إذا تمهر الرجل في العلم لا مندوحة له عن العمل بموجبه ، إذ لو قصر فيه لم يكن في علمه كمال . واذا باشر الرجل العمل وجاهد فيه وارتاض حسبما بينوه من الشرائط تنصب على قلبه العلوم النظرية بكمالها .فهاتان طريقتان الأولى منهما : طريقة الاستدلال،والثانية :طريقة المشاهدة . وقدينتهي كل من الطريقتين إلى الأخرى،فيكون صاحبه مجمعاً للبحرين. فسالك طريق الحق نوعان :

أحدهما : يتبدى من طريق العلم إلى العرفان ، وهو يشبه أن يكون طريقة الخليل عليه الصلاة والسلام حيث ابتدأ من الاستدلال .

والثاني : يبتدىء من الغيب ثم ينكشف له عالم الشهادة ، وهو طريق الحبيب صلى الله عليه وسلم حيث ابتدأ بشرح الصدر وكشف له سبحات وجهه صلى الله عليه وسلم .

* * *

مناظرة أهل الطريقين

اعلم أن السالكين اختلفوا في تفضيل الطريقين .

قال أرباب النظر : الأفضل : طريق النظر ، لأن طريق التصفية صعب والواصل قليل ، على أنه قد يفسد المزاج ويختلط العقل في أثناء المجاهدة .

وقال أهل التصفية : العلوم الحاصلة بالنظر لاتصفو عن شوب الوهم ومخالطة الخيال غالباً ، ولهذا كثيراً مايقيسون الغائب على الشاهد فيضلون ، وأيضاً لايتخلصون في المناظرة عن اتباع الهوى . بخلاف التصوف فإنه تصفية للروح وتطهير للقلب عن الوهم والخيال ، فلا يبقي إلا الانتظار للفيض من العلوم الإلهية . وأما صعوبة المسلك وبعده فلا يقدح في صحة العلم مع أنه يسير على من يسره الله سبحانه وتعالى عليه.وأما اختلال المزاج،فإن وقع فيقبل العلاج.ومثلوا بطائفتين تنازعتا في المباهاة والافتخار [بصنعة] النقش والتصوير،حتى أدى الافتخار إلى الاختبار،فعين لكل منهما جدار بينهما حجاب،فتكلف أحدهما في صنعته واشتغل الآخر بالتصقيل،فلما ارتفع الحجاب ظهر تلألؤ الجدار مع جميع نقوش المقابل ، وقالوا : هذه أمثال العلوم النظرية والكشفية ، فالأول يحصل من طريق الحواس بالكد والعناء ، والثاني يحصل من اللوح المحفوظ والملأ الأعلى .

واعترض عليهم بأنا لانسلم مطلق الحصول ، لأن كل علم مسائله كثيرة ، وحصولها عبارة عن الملكة الراسخة فيه ، وهي لاتتم إلا بالتعلم والتدرب كما سبق . ولعل المكاشف لايدعي حصول العلوم النظرية بطريق الكشف لأنه لايصدق إلا أن يقول بحصول الغاية والغرض منها.

* * *

المحاكمة بين الفريقين

وقد يقال : إنه قد سبق أن العلوم مع كثرتها منحصرة فيما يتعلق بالأعيان ، وهو العلوم الحقيقية ، وتسمى حكمية إن جرى الباحث على مقتضى عقله ، وشرعية إن بحث على قانون الإسلام ، وفيما يتعلق بالأذهان والعبارة ، وهي العلوم الآلية المعنوية كالمنطق ونحوه ، وفيما يتعلق بالعبارة والكتابة ، وهي العلوم الآلية اللفظية أو الخطية ، وتسمى بالعربية . ثم إن ماعدا الأول من الأقسام الأربعة لاسبيل إلى تحصيلها إلا الكسب بالنظر . أما الأول فقد يحصل بالتصفية أيضاً .

ثم إن الناس منهم الشيوخ البالغون إلى عشر الستين فاللائق بشأنهم طريق التصفية والانتظار لما منحه الله سبحانه وتعالى من المعارف ، إذ الوقت لايساعد في حقهم تقديم طريق النظر . ومنهم الشبان الأغبياء فحكمهم حكم الشيوخ . ومنهم الشبان الأذكياء المستعدون لفهم الحقائق فلا يخلو إما أن لايرشدهم ماهر في العلوم النظرية فعليهم ماعلى الشيوخ ، وإما أن يساعدهم التقدير في وجود عالم ماهر مع أنه أعزّ من الكبريت الأحمر ، فعليه تقديم طريقة النظر ثم الاقبال بشراشره إلى قرع باب الملكوت ليكون فائزاً بنعمة باقية لاتفنى أبداً .

* * *

الباب الخامس

في لواحق الفوائد وفيه مطالب

مطلب لزوم العلوم العربية

اعلم أن مباحث العلوم إنما هي في المعاني الذهنية والخيالية من بين العلوم الشرعية التي أكثرها مباحث الألفاظ وموادها ،وبين العلوم العقلية وهي في الذهن.واللغات إنماهي ترجمان عما في الضمائر من المعاني ، ولا بد في افتتاحها من ألفاظها بمعرفة دلالتها اللفظية والخطية عليها . واذا كانت الملكة في الدلالة راسخة بحيث تتبادر المعاني إلى الذهن من الألفاظ زال الحجاب بين المعاني والفهم ،ولم يبق إلا معاناة مافي المعاني من المباحث .

هـذا شأن المعاني مع الألفاظ والخط بالنسبة إلى كل لغة . ثم إن الملة الإسلامية لما اتسع ملكها ، ودرست علوم الأولين بنبوتها وكتابها،صيروا علومهم الشرعية صناعة بعد أن كانت نقلا ، فحدثت فيها الملكات وتشوقوا إلى علوم الأمم فنقلوها بالترجمة إلى علومهم ، وبقيت تلك الدفاتر التي بلغتهم الأعجمية نسياً منسياً ، وأصبحت العلوم كلها بلغة العرب ، واحتاج القائمون بالعلوم إلى معرفة الدلالات اللفظية والخطية في لسانهم دون ما سواه من الألسن

لدروسها وذهاب العناية بها . وقد ثبت أن اللغة ملكة في اللسان ، والخط صناعة ملكتها في اليد ، فإذا تقدمت اللسان ملكة العجمة صارمقصراً في اللغة العربية ، لأن الملكة إذا تقدمت في صناعة (١) أخرى ، إلا أن تكون ملكة العجمة السابقة لم تستحكم كما في أصاغر أبناء العجم ، وكذا شأن من سبق له أن تعلم الخط الأعجمي قبل العربي . ولذلك ترى بعض علماء الأعجام في دروسهم يعدلون عن نقل المعمّى من الكتب إلى قراءتها ظاهراً ، يخففون بذلك عن أنفسهم مؤونة بعض الحجب ، وصاحب الملكة في العبارة والخط مستغن عن ذلك .

* * *

مطلب

العلوم العقلية وأصنافها (٢)

أما العلوم العقلية التي هي طبيعية للانسان من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة ، بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها ، وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليقة . وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على أربعة علوم .

الأول : علم المنطق وهو علم يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة . وفائدته تمييز الخطإ من الصواب فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضها ليقف على تحقيق الحق في الكائنات بمنتهى فكره .

---

(١) في هامش الأصل : « لايعقل أن يجيد صاحبها ملكة في صناعة » .

(٢) انظر الفصل في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٢١٩ — ١٢٢٥ .

ثم النظر بعد ذلك عندهم.إما في المحسوسات من الأجسام العنصرية والمكونة عنها من المعدن ، والنبات ، والحيوان ، والأجسام الفلكية ، والحركات الطبيعية ، والنفس التي تنبعث عنها الحركات وغير ذلك ، ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي وهو الثاني منها ، . وإما أن يكون النظر في الأمور التي وراء الطبيعة من الروحانيات ويسمونه العلم الإلهي وهو الثالث منها .

والعلم الرابع : وهو الناظر في المقادير ، ويشتمل على أربعة علوم وتسمى التعاليم :

أولها : علم الهندسة وهو النظر في المقادير على الإطلاق : إما المنفصلة من حيث كونها معدودة ؛أو المتصلة . وهي إما ذو بعد واحد وهو الخط ؛ أو ذو بعدين وهو السطح ؛ أو ذو أبعاد ثلاثة وهو الجسم التعليمي . ينظر في هذه المقادير وما يعرض عليها إما من حيث ذاتها أو من حيث نسبة بعضها إلى بعض .

وثانيها : علم الارتماطيقي ، وهو معرفة مايعرض للكم المنفصل الذي هو العدد ، ويؤخذ له من الخواص والعوارض اللاحقة .

وثالثها : علم الموسيقى وهو معرفة نسب الأصوات والنغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد ، وثمرته معرفة تلاحين الغناء .

ورابعها : علم الهيئة ، وهو تعيين الأشكال للأفلاك،وحصر أوضاعها وتعددها لكل كوكب من السيّارة ، والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها،ومن رجوعها واستقامتها وإقبالها وإدبارها .

فهذه أصول العلوم الفلسفية وهي سبعة :

١ ــ المنطق : وهو المقدم منها وبعده التعاليم .

٢ ــ فالأرتماطيقي أولاً .

٣ــ ثم الهندسة .

٤ــ ثم الهيئة .

٥ ــ ثم الموسيقى .

٦ ــ ثم الطبيعيات .

٧ ــ ثم الإلهيات .

ولكل واحد منها فروع تتفرع عنه ، فمن فروع الطبيعيات : الطب . ومن فروع علم العدد : علم الحساب والفرائض والمعاملات . ومن فروع الهيئة : الأزياج ، وهي قوانين لحسابات حركات الكواكب وتعديلها للوقوف على مواضعها متى قصد ذلك . ومن فروع النظر في النجوم علم الأحكام النجومية .

واعلم أن أكثر من عني بها في الأجيال الذين عرفنا أخبارهم الأمتان العظيمتان في الدولة قبل الإسلام وهما : فارس والروم . فكانت أسواق العلوم نافقة لديهم ــ على مابلغنا ــ لما كان العمران موفوراً فيهم ، والدولة والسلطان قبل الإسلام وعصره لهم . فكان لهذه العلوم بحور زاخرة في آفاقهم وأمصارهم .

وكان للكلدانيين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرهم من القبط عناية بالسحر والنجامة وما يتبعها من الطلاسم . وأخذ ذلك عنهم الأمم من فارس ويونان ، فاختص بها القبط وطمى

بحرها فيهم ، كما وقع في المتلو من خبر هاروت وماروت وشأن السحرة ، ومانقله أهل العلم من شأن البرابي بصعيد مصر .

ثم تتابعت الملل بحظر ذلك وتحريمه ، فدرست علومه وبطلت كأن لم تكن ،إلا بقايا يتناقلها منتحلو هذه الصنائع ،والله أعلم بصحتها، مع أن سيوف الشرع قائمة على ظهورها مانعة من اختبارها .

وأما الفرس فكان شأن هذه العلوم العقلية عندهم عظيماً ونطاقها متسعاً ، لما كانت عليه دولتهم من الضخامة واتصال الملك . ولقد يقال : إن هذه العلوم إنما وصلت إلى يونان منهم حين قتل الإسكندرُ دَارَا وغلب على مملكة الكينية ، فاستولى على كتبهم وعلومهم مالا يأخذه الحصر .

ولما فتحت أرض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة كتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — ليستأذنه في شأنها وتلقينها للمسلمين ، فكتب إليه عمر — رضي الله عنه — أن اطرحوها في الماء،فإن يكن مافيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه،وإن يكن ضلالاً فقد كفانا الله ؛ فطرحوها في الماء أو في النار ، وذهب علوم الفرس فيها عن أن تصل إلينا .

وأما الروم فكانت الدولة منهم ليونان أولاً ، وكان لهذه العلوم بينهم مجال رحب ، وحملها مشاهير من رجالهم مثل أساطين الحكمة وغيرهم . واختص فيها المشّاؤون منهم أصحاب الرّواق بطريقة حسنة في التعليم ،يقرؤون في رواق يظلهم من الشمس والبرد —على مازعموا— واتصل فيها سند تعليمهم — على مايزعمون — من لدن لقمان الحكيم

في تلميذه بقراط ، ثم إلى تلميذه أفلاطون ، ثم إلى تلميذه أرسطو ، ثم إلى تلميذه الإسكندر الأفرودسي وتامِسطيوس (١) وغيرهم . وكان أرسطو معلماً للإسكندر ملِكهِم الذي غلب الفرسَ على مُلكْهم ،وانتزع الملك من أيديهم. وكان أرسخهم في هذه العلوم قدماً وأبعدهم فيها صيتاً،وكان يسمى المعلم الأول،فطار له في العالم ذكر.

ولما انقرض أمر اليونان وصار الأمر للقياصرة وأخذوا بدين النصرانية ،هجروا تلك العلوم كما تقتضيه الملل والشرائع فيها ، وبقيت في صحفها ودواوينها مخلدة باقية في خزائنهم . ثم ملكوا الشام ، وكتب هذه العلوم باقية فيهم . ثم جاء الله بالإسلام وكان لأهله الظهور الذي لا كفاء له ، وابتزوا الروم ملكهم فيما ابتزوه للأمم . وابتدأ أمرهم بالسذاجة والغفلة من الصنائع .حتى إذا تبحبح السلطان والدولة ،وأخذوا من الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الأمم، وتفننوا في الصنائع والعلوم، تشوقوا إلى الاطلاع على هذه العلوم الحكمية بما سمعوا من الأساقفة والأقِسّة المعاهدين بعض ذكر منها، وبما تسمو إليه أفكار الإنسان فيها ، فبعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم أن يبعث إليه بكتب التعاليم مترجمة، فبعث إليه بكتاب أوقليدس ، وبعض كتب الطبيعيات ، فقرأها المسلمون، واطلعوا على مافيها ، وازدادوا حرصاً على الظفر بما بقي منها . وجاء

(١) الإسكندر الأفرودسي وهو من شراح ارسطو وليس من تلاميذه المباشرين كما قد توهمه عبارة ابن خلدون لأنه يفصله عن ارسطو نحو ستة قرون فقد نشأ في اواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث بعد الميلاد ، أما ارسطو فقد ولد سنة ٣٨٤ وتوفي سنة ٣٢٢ قبل الميلاد .

وأما تامسطيوس فقد ولد بين سنة ٣١٠ و ٣٢٠ بعد الميلاد، وتوفي بالقسطنطينية سنة ٣٩٥ م ، وهو من اشهر شراح ارسطو .

المأمون بعد ذلك ، وكانت له في العلم رغبة بما كان ينتحله فانبعث لهذه العلوم حرصاً ، وأوفد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربي ، وبعث المترجمين لذلك ، فأوعى منه واستوعب ، وعكف عليها النظار من أهل الإسلام ، وحذقوا في فنونها وانتهت إلى الغاية أنظارهم فيها ، وخالفوا كثيراً من آراء المعلم الأول ،واختصوه بالرد والقبول،لوقوف الشهرة عنده،ودوّنوا في ذلك الدواوين ، وأربوا على من تقدمهم في هذه العلوم . وكان من أكابرهم في الملة أبو نصر الفارابي ، وأبو علي بن سينا بالمشرق ، والقاضي أبو الوليد بن رشد ، والوزير أبو بكر بن الصائغ بالأندلس ، إلى آخرين بلغوا الغاية في هذه العلوم . واختص هؤلاء بالشهرة والذكر ، واقتصر كثيرون على انتحال التعاليم وماينضاف إليها من علوم النجامة والسحر والطلسمات ،ووقفت الشهرة في هذا المنتحل على مَسْلَمَةَ بن أحمد المجريطي من أهل الأندلس وتلميذه ، ودخل على الملة من هذه العلوم وأهلها داخلة واستهوت الكثير من الناس بما جنحوا إليها وقلدوا آراءها . والذنب في ذلك لمن ارتكبه ، ولو شاء الله مافعلوه .

ثم إن المغرب والأندلس لما ركدت ريح العمران بهما وتناقصت العلوم بتناقصه اضمحل ذلك منها إلا قليلاً من رسومه تجدها في تفاريق من الناس ، وتحت رِقْبَةٍ من علماء السنة . ويبلغنا عن أهل المشرق أن بضائع هذه العلوم لم تزل عندهم موفورة،وخصوصاً في عراق العجم وما بعده فيما وراء النهر ، وأنهم على ثبج من العلوم العقلية لتوفر عمرانهم واستحكام الحضارة فيهم . ولقد وقفت بمصر على تآليف متعددة لرجل من علماء هراة من بلاد خراسان يشهر بسعد الدين التفتازاني ، منها في

علم الكلام، وأصول الفقه، والبيان، تشهد بأن له ملكة راسخة في هذه العلوم. وفي أثنائها مايدل له على أن له اطلاعاً على العلوم الحكمية، وقدماً عالية في سائر الفنون العقلية . والله يؤيد بنصره من يشاء ، كذلك بلغنا لهذا العهد أن هذه العلوم الفلسفية ببلاد الإفرنجة من أرض رومة وما إليها من العدوة الشمالية نافقة الأسواق ، وأن رسومها هناك متجددة ، ومجالس تعليمها متعددة ، ودواوينها جامعة متوفرة ، وطلبتها متكثرة . والله أعلم بما هنالك وهو يخلق مايشاء ويختار » (١) انتهى .

قلت :

ثم انقَضَتْ تلكَ السِّنُون وأَهْلُها
فكَأَنَّها وكَأَنَّهُم أَحلامُ

ولم يبق اليوم في المشرق ولا في المغرب ، بل ولا في الجهات الأربع ومابها من المدن والأمصار والقرى من العلم إلا اسمه ، ومن الدين إلا رسمه وأباد الزمان أهله كأن لم يَغْنَوْا بالأمس ، فقد ذهب العلم برمته ، وجاء الجهل بأسره ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

* * *

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ص ١٢٢٥

مطالب

في أن اللغة ملكة صناعية(١)

«اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة ،إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني.وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها. وليس ذلك بالنظر إلى المفردات ، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب . فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال،بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع ، وهذا هو معنى البلاغة . والملكات لاتحصل إلا بتكرار الأفعال ، لأن الفعل يقع أولاً ، وتعود منه للذات صفة ، ثم تتكرر فتكون حالاً ، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة .

فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولاً ، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ، ثم لايزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم،واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ، ويكون كأحدهم .

هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل،وتعلمها العجم والأطفال . وهذا هو معنى ماتقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم،ولم يأخذوها عن غيرهم . ثم إنه

---

(١) الفصل في مقدمة ابن خلدون ص ١٣٨٨ — ١٣٩٠ .

فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم ، وسبب فسادها أن الناشىء من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب ، فيعبر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم ، ويسمع كيفيات العرب أيضاً ، فاختلط عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه ، فاستحدث ملكة وكانت ناقصة عن الأولى. وهذا معنى فساد اللسان العربي.

ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ؛ ثم من اكتنفهم من ثقيف . وهذيل ، وخزاعة ، وبني كنانة ، وغطفان ، وبني أسد ، وبني تميم . وأما من بعد عنهم من ربيعة ، ولخم ، وجذام ، وغسان ، وإياد ، وقضاعة ، وعرب اليمن ، المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة ، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم. وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية . والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق»(١) .

* * *

---

(١) آخر كلام ابن خلدون .

مطلب
في أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر وحمير (١)

«وذلك أنا نجدها في بيان المقاصد والوفاء بالدلالةعلى سنن اللسان المُضَري ، ولم يفقد منها إلا دلالة الحركات على تعيُّن الفاعل من المفعول ، فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد . إلا أن البيان والبلاغة في اللسان المضري أكثر وأعرف ، لأن الألفاظ بأعيانهادالة علىالمعاني بأعيانها،ويبقى ماتقتضيهالأحوال ويسمى « بساط الحال » محتاجاً إلى مايدل عليه . وكل معنى لابد وأن تكتنفه أحوال تخصه ، فيجب أن تعتبر تلك الأحوال في تأدية المقصود لأنها صفاته ، وتلك الأحوال في جميع الألسن أكثر مايدل عليها بألفاظ تخصها بالوضع .وأما فياللسان العربي فإنما يدل عليها بأحوال وكيفيات في تراكيب الألفاظ وتأليفها من تقديم أو تأخير أو حذف أو حركة إعراب .وقد يُدل عليها بالحروف غير المستقلة ، ولذلك تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات ، فكان الكلام العربي لذلك أوجز وأقل ألفاظاً وعبارة من جميع الألسن ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم . « أوتيتُ جَوَامعَ الكَلِمِ واختُصِرَ لي الكلامُ اختصاراً » واعتبر ذلك بما يحكى عن عيسى بن عمر (٢) وقد

(١) الفصل في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٣٩٠ — ١٣٩٤ .

(٢) هو أبو سليمان ، عيسى بن عمر الثقفي ، من أئمة اللغة من أهل البصرة ، وهو شيخ الخليل بن احمد الفراهيدي وسيبويه وابن العلاء ،له تصانيف في اللغة والنحو ضاعت كلها ، توفي سنة ١٤٩ هـ = ٧٦٦ م

قال له بعض النحاة : إني أجد في كلام العرب تكراراً في قولهم : زيد قائم ، وإن زيداً قائم ، وإن زيداً لقائم ، والمعنى واحد . فقال له : إن معانيها مختلفة ، فالأول : لإفادة الخالي الذهن من قيام زيد ، والثاني : لمن سمعه فتردد فيه . والثالث : لمن عرف بالإصرار على انكاره فاختلفت الدلالة باختلاف الأحوال .

ومازالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ، ولاتلتفتن في ذلك إلى خرفشة النحاة أهل صناعة الإعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق ، حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت ، وأن اللسان العربي فسد ، اعتباراً بما وقع أواخر الكلم من فساد الإعراب الذي يتدارسون قوانينه . وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم ، وألقاها القصور في أفئدتهم ، وإلا فنحن نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تزل في موضوعاتها الأولى ، والتعبير عن المقاصد والتفاوت فيه بتفاوت الإبانة موجود في كلامهم لهذا العهد ، وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطبتهم ، وفهم الخطيب المصقع في محافلهم ومجامعهم ، والشاعر المفلق على أساليب لغتهم ، والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك ، ولم يفقد من أحوال اللسان المدون إلا حركات الإعراب في أواخر الكلم فقط الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة ومهيعاً معروفاً وهو الإعراب وهو بعض من أحكام اللسان ، وإنما وقعت العناية بلسان مضر لما فسد بمخالطتهم الأعاجم حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب ، وصارت ملكته على غير الصورة التي كانت أولا فانقلب لغة أخرى . وكان القرآن متنزلا به والحديث النبوي منقولاً بلغته وهما أصلا الدين والملة ، فخشي تناسيهما وانغلاق الأفهام عنهما

بفقدان اللسان الذي تنزلا به ، فاحتيج إلى تدوين أحكامه ووضع مقاييسه واستنباط قوانينه ، وصار علماً ذا فصول وأبواب ومقدمات ومسائل سماه أهله بعلم النحو،وصناعة العربية . فأصبح فناً محفوظاً ، وعلماً مكتوباً ، وسلماً إلى فهم كتاب الله وسنة رسوله وافياً .ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الإعرابية في دلالتها بأمور أخرى موجودة فيه ، فتكون لها قوانين تخصها ،ولعلها تكون في أواخره على غير المنهاج الأول في لغة مضر.

فليست اللغات وملكاتها مَجاناً ،ولقد كان اللسان المضري مع اللسان الحميري بهذه المثابة ؛ وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميري وتصاريف كلماته ، تشهد بذلك الأنقال الموجودة لدينا؛خلافاً لمن يحمله القصور على أنهما لغة واحدة ، ويلتمس إجراء اللغة الحِمْيَرَية على مقاييس اللغة المضرية وقوانينها ، كما يزعم بعضهم في اشتقاق « القَيْل » في اللسان الحميري أنه من « القول » وكثير من أشباه هذا ، وليس ذلك بصحيح.ولغة حِمْيَر لغة أخرى مغايرة للغة مضر في الكثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها كما هي لغة العرب لعهدنا مع لغة مضر.إلا أن العناية بلسان مضر من أجل الشريعة —كما قلناه— حمل ذلك على الاستنباط والاستقراء،وليس عندنا لهذا العهد مايحملنا على مثل ذلك ويدعونا إليه .

ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الأقطار شأنهم في النطق بالقاف ، فإنهم لاينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار ، كما هو مذكور في كتب العربية أنه من أقصى اللسان ومافوقه من الحنك الأعلى ،وما ينطقون بها أيضاً من مخرج الكاف،وإن كان أسفل

من موضع القاف وما يليه من الحنك الأعلى كما هي ، بل يجيئون بهامتوسطة بين الكاف والقاف ، وهو موجود للجيل أجمع حيث كانوا من غرب أو شرق ؛ حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الأمم والأجيال ومختصاً بهم لايشاركهم فيها غيرهم . حتى إن من يريد التعرب والانتساب إلى الجيل والدخول فيه يحاكيهم في النطق بها ، وعندهم أنه إنما يتميز العربي الصريح من الدخيل في العروبية والحضري بالنطق بهذه القاف ، ويظهر بذلك أنها لغة مضر بعينها . فإن هذا الجيل الباقين معظمهم ورؤساؤهم شرقاً وغرباً في ولد منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان من سُلَيْم بن منصور ، ومن بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور . وهم لهذا العهد أكثر الأمم في المعمور وأغلبهم ، وهم من أعقاب مضر ، وسائر الجيل منهم في النطق بهذه القاف أسوة . وهذه اللغة لم يبتدعها هذا الجيل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة . ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الأولين ولعلها لغة النبي — صلى الله عليه وسلم — بعينها وقد ادعى ذلك فقهاء أهل البيت وزعموا أن من قرأ في أمّ الكتاب ﴿ اهْدِنا الصِّراطَ المُستَقِيم ﴾ بغير القاف التي لهذا الجيل فقد لحن وأفسد صلاته . ولم أدر من أين جاء هذا : فإن لغة أهل الأمصار أيضاً لم يستحدثوها ، وإنما تناقلوها من لدن سلفهم وكان أكثرهم من مضر لما نزلوا الأمصار من لدن الفتح ، وأهل الجيل أيضاً لم يستحدثوها إلا أنهم أبعد من مخالطة الأعاجم من أهل الأمصار . فهذا يرجح فيما يوجد من اللغة لديهم أنه من لغة سلفهم ، هذا مع اتفاق أهل الجيل كلهم شرقاً وغرباً في النطق بها ، وأنها الخاصية التي يتميز بها العربي من الهجين والحضري . فتفهم ذلك والله الهادي المبين »(١) يهدي من يشاء إلى طريق مستقيم .

* * *

---

(١) آخر كلام ابن خلدون .

مطلب

في أن لغة أهل الحضَر والأمصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مُضر (١)

«اعلمأن عرفالتخاطب في الأمصار وبين الحضر ليس بلغة مضر القديمة ولابلغة أهل الجيل ، بل هي لغة أخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجيل العربي الذي لعهدنا ،وهي عن لغة مضر أبعد. فأما أنها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد له مافيها من التغاير الذي يعدّ عند صناعة أهل النحو لحناً ، وهي مع ذلك تختلف باختلاف الأمصار في اصطلاحاتهم . فلغة أهل المشرق مباينة بعض الشيء للغة أهل المغرب وكذا أهل الأندلس معهما ، وكل منهم متوصل بلغته إلى تأدية مقصوده والإبانة عما في نفسه ، وهذا معنى اللسان واللغة . وفقدان الإعراب ليس بضائر لهم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد . وأما أنها أبعد عن اللسان الأول من لغة هذا الجيل،فلأن البعد عن اللسان إنما هو بمخالطة العجمة ، فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد ، لأن الملكة إنما تحصل بالتعليم كما قلناه ، وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الأولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم ، فعلى مقدار مايسمعونه من العجمة ويربون عليه يبعدون عن الملكة الأولى . واعتبر ذلك في أمصار إفريقية والمغرب والأندلس والمشرق ، أما إفريقية والمغرب فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم بوفور عمرانها بهم،ولم يكد يخلو عنهم مصر ولاجيل ، فغلبت العجمة فيها على اللسان العربي

(١) الفصل في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٣٩٤ — ١٣٩٥ .

الذي كان لهم ،وصارت لغة أخرى ممتزجة.والعجمةفيها أغلب لماذكرناه، فهي عن اللسان الأول أبعد . وكذا المشرق لما غلب العرب على أممه من فارس والترك فخالطوهم،وتداولت بينهم لغاتهم في الأكرة والفلاحين والسبي الذين اتخذوهم خوَلاً ودايات وأظآراً ومراضع ، ففسدت لغتهم بفساد الملكة حتى انقلبت لغة أخرى . وكذا أهل الأندلس مع عجم الجلالقة والإفرنجة ، وصار أهل الأمصار كلهم من هذه الأقاليم أهل لغة أخرى مخصوصة بهم تخالف لغة مضر ، ويخالف أيضاً بعضها بعضاً كما نذكره وكأنها لغة أخرى لاستحكام ملكتها في أجيالهم . والله يخلق مايشاء ويقدر»(١) .

* * *

(١) آخر كلام ابن خلدون .

مطلب
في تعليم اللسان المضري(١)

«اعلم أن ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ، ولغة أهل الجيل كلهم مغايرة للغة مضر التي نزل بها القرآن ، وإنما هي لغة أخرى من امتزاج العجمة بها كما قدمناه. إلا أن اللغات لما كانت ملكات — كما مر — كان تعلمها ممكناً شأن سائر الملكات ، ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم ، وكلمات المولدين أيضاً في سائر فنونهم ، حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم ، ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عبارتهم وتأليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم ، فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ، ويزداد بكثرتهما رسوخاً وقوة ، ويحتاج مع ذلك إلى سلامة الطبع والتفهم الحسن لمنازع العرب وأساليبهم في التراكيب ، ومراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الأحوال والذوق. يشهد بذلك ، وهو ينشأ مابين هذه الملكة والطبع السليم فيهما — كما نذكر — وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظماً ونثراً . ومن حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغة مضر ، وهو الناقد البصير بالبلاغة فيها . وهكذا ينبغي أن يكون تعلمها. والله يهدي من يشاء بفضله وكرمه» العميم .

● ● ●

(١) الفصل من مقدمة ابن خلدون صفحة ١٣٩٥ — ١٣٩٦ .

مطلب

في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العَرَبيّة ومستغنية عنهافي التعليم(١)

«والسببفي ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة .فهو علم بكيفية لا نفس كيفية،فليست نفس الملكة ، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً،ولايحكمها عملاً ، مثل أن يقول بصير بالخياطة غير محكم لملكتها في التعبير عن بعض أنواعها : « الخياطة هي أن يدخل الخيط في خرْتِ الإبرة ثم يغرزها في لِفْقَي الثوب مجتمعين،ويخرجها من الجانب الآخر بمقدار كذا ، ثم يردها إلى حيث ابتدأت،ويخرجها قدام منفذها الأول بمطرح مابين الثقبين الأولين ، ثم يتمادى على ذلك إلى آخر العمل » ويعطي صورة الحبك والتنبيت (٢) والتفتيح وسائر أنواع الخياطة وأعمالها ؛ وهو إذا طولب أن يعمل ذلك بيده لايحكم منه شيئاً . وكذا لوسئل عالم بالنجارة عن تفصيل الخشب فيقول : « هو أن تضع المنشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه وآخر قبالتك ممسك بطرفه الآخر وتتعاقبانه بينكما ، وأطرافه المضرسة المحددة تقطع مامرت عليه ذاهبة وجائية إلى أن ينتهي إلى آخر الخشبة » وهو لو طولب بهذا العمل أو شيء منه لم يحكمه . وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها . فإن العلم

---

(١) انظر الفصل في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٣٩٦ – ١٣٩٩ .

(٢) فوقها بين السطرين عبارة : « يعني تنجيد » .

بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل . ولذلك تجد كثيراً من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذي مودته أو شكوى ظلامة أو قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب وأكثر من اللحن، ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربي . وكذا تجد كثيراً ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور، وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول . ولا المرفوع من المجرور، ولا شيئاً من قوانين صناعة العربية .

فمن هذا تعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية، وأنها مستغنية عنها بالجملة. وقد نجد بعض المهرة في صناعة الإعراب بصيراً بحال هذه الملكة، وهو قليل واتفاقي وأكثر ما يقع للمخالطين (لكتاب سيبويه) ، فإنه لم يقتصر على قوانين الإعراب فقط ، بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم ، فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة . فتجد العاكف عليه والمحصل له قد حصل على حظ من كلام العرب واندرج في محفوظه في أماكنه ومفاصل حاجاته ، وتنبه به لشأن الملكة فاستوفى تعليمها ، فكان أبلغ في الإفادة . ومن هؤلاء المخالطين (لكتاب سيبويه) من يغفل عن التفطن لهذا فيحصل على علم اللسان صناعة ولا يحصل عليه ملكة . وأما المخالطون لكتب المتأخرين العارية عن ذلك إلا من القوانين النحوية مجردة عن أشعار العرب وكلامهم فقلما يشعرون لذلك بأمر هذه الملكة أو يتنبهون لشأنها . فتجدهم يحسبون أنهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب وهم أبعد الناس عنه .

وأهل صناعة العربية بالأندلس ومعلموها أقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم، لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتفقه في

الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم ؛ فيسبق إلى المبتدىء كثير من الملكة أثناء التعليم ، فتنقطع النفس لها وتستعد إلى تحصيلها وقبولها . وأما من سواهم من أهل المغرب وإفريقية وغيرهم فأَجْرَوا صناعة العربية مجرى العلوم بحثاً ، وقطعوا النظر عن التفقه في تراكيب كلام العرب إلا إن أعربوا شاهداً أو رجحوا مذهباً من جهة الاقتضاء الذهني لا من جهة محامل اللسان وتراكيبه . فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل ، وبعدت عن مناحي اللسان وملكته ؛ وما ذلك إلا لعدولهم عن البحث في شواهد اللسان وتراكيبه وتمييز أساليبه ،وغفلتهم عن المران في ذلك للمتعلم ؛فهو أحسن ماتفيده الملكة في اللسان ،وتلك القوانين إنما هي وسائل للتعليم ؛ لكنهم أَجْرَوْها على غير ماقصد بها ، وأصاروها علماً بحتاً ،وبعدوا عن ثمرتها .

وتعلم مما قررناه في هذا المقام أن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب ، حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه ،ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم ،حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم . والله مقدر الأمور كلها ، والله اعلم بالغيب »(١) والشهادة .

* * *

---

(١) آخر كلام ابن خلدون .

مَطلب

في تفسير الذوق في مصطلح أهل البيان

وتحقيق معناه وبيان أنه لايحصل غالباً للمستعربين من العجم(١)

«اعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان ، ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان . والبلاغة مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب في إفادة ذلك . فالمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم ، وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده . فإذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه ، وسهل عليه أمر التركيب ، حتى لايكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التي للعرب. وإن سمع تركيباً غير جارٍ على ذلك المنحى مَجّهُ ونَبَا عَنْهُ سمعهُ بأدنى فكر ، بل وبغير فكر ، إلا بما استفاده من حصول هذه الملكة . فإن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجِبِلّة لذلك المحل . ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم إعراباً وبلاغة أمر طبيعي ويقول : كانت العرب تنطق بالطبع ؛ وليس كذلك ، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادىء الرأي أنها جِبِلّة وطبع . وهذه الملكة — كما تقدم — إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع ، والتفطن لخواص تراكيبه ، وليست

(١) انظر الفصل في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٣٩٩ — ١٤٠٢ .

تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة اللسان ، فإن هذه القوانين إنما تفيد علماً بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها ، وقد مر ذلك . وإذا تقرر ذلك فملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ إلى وجود النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم ، ولو رام صاحب هذه الملكة حَيْداً عن هذه السبيل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا وافقه عليه لسانه ، لأنه لايعتاده ولاتهديه إليه ملكته الراسخة عنده . وإذا عرض عليه الكلام حائداً عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرض عنه ومجه وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم ، وربما يعجز عن الاحتجاج لذلك كما تصنع أهل القوانين النحوية والبيانية ، فإن ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفادة بالاستقراء . وهذا أمر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم.

ومثاله : لو فرضنا صبياً من صبيانهم نشأ ورُبِّي في جيلهم ، فإنه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الإعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها ؛ وليس من العلم القانوني في شيء ، وإنما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه . وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل بحفظ كلامهم وأشعارهم وخطبهم ، والمداومة على ذلك بحيث تحصل الملكة ويصير كواحد ممن نشأ في جيلهم ورُبِّي بين أجيالهم ، والقوانين بمعزل عن هذا ، واستعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان ، وإنما هو موضوع لإدراك الطعوم . لكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام ، كما هو محل لإدراك الطعوم ، استعير لها اسمه . وأيضاً فهو وجداني اللسان ، كما أن الطعوم محسوسة له ؛ فقيل له ذوق .

وإذا تبين لك ذلك علمت منه أن الأعاجم الداخلين في اللسان العربي الطارئين عليه المضطرين إلى النطق بهلمخالطة أهله، كالفرس والروم والترك بالمشرق ، وكالبربر بالمغرب ، فإنه لايحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم في هذه الملكة التي قررنا أمرها . لأن قصاراهم بعد طائفة من العمر وسبق ملكة أخرى إلى اللسان ، وهي لغاتهم ، أن يعتنوا بما يتداوله أهل مصر بينهم في المحاورة من مفرد ومركب لما يضطرون إليه من ذلك . وهذه الملكة قد ذهبت لأهل الأمصار وبعدوا عنها كماتقدم، وإنماهم في ذلك ملكةأخرى وليست هي ملكةاللسان المطلوبة. ومن عرف تلك الملكةمن القوانين المسطرة في الكتب فليس من تحصيل الملكة في شيء، إنما حصّل أحكامها كما عرفت. وإنما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد والتكرار لكلام العرب . فإن عرض لك ماتسمعه من أن سيبويه والفارسي والزمخشري وأمثالهم من فرسان الكلام كانوا أعجاماً مع حصول هذه الملكة لهم، فاعلم أن أولئك القوم الذين تسمع عنهم إنما كانوا عجماً في نسبهم فقط ، أما المربَى والنشأَة فكانت بين أهل هذه الملكة من العرب ومن تعلمها منهم . فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا وراء لها . وكأنهم في أول نشأتهم من العرب الذين نشئوا في اجيالهم حتى ادركوا كنه اللغة وصاروا من اهلها ، فهم وإن كانوا عجماً في النسب فليسوا بأعجام في اللغة والكلام ، لأنهم أدركوا الملة في عنفوانها واللغة في شبابها ، ولم تذهب آثار الملكة منهم ولا من أهل الأمصار . ثم عكفوا على الممارسة والمدارسة لكلام العرب حتى استولوا على غايته . واليوم الواحد من العجم إذا خالط أهل اللسان العربي بالأمصار، فأول مايجد تلك الملكة المقصودة من اللسان العربي ممتحية الآثار ، ويجد ملكتهم الخاصة بهم ملكة أخرى مخالفة لملكة اللسان العربي . ثم إذا فرضنا أنه أقبل على الممارسة لكلام العرب

وأشعارهم بالمدارسة والحفظ يستفيد تحصيلها فقَلّ أن يحصل له ؛ لماقدمناه من أن الملكة إذا سبقتها ملكة أخرى في المحل فلا تحصل إلا ناقصة مخدوشة . وإن فرضنا عجمياً في النسب سَلِمَ من مخالطة اللسان العجمي بالكلية ، وذهب إلى تعلم هذه الملكة بالمدارسة فربما يحصل له ذلك . لكنه من الندور بحيث لايخفى عليك بما تقرر . وربما يدعي كثير ممن ينظر في هذه القوانين البيانية حصول هذا الذوق له بها ، وهو غلط أو مغالطة . وإنما حصلت له الملكة أن حصلت في تلك القوانين البيانية وليست من ملكة العبارة في شيء . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»(١) .

* * *

(١) آخر كلام ابن خلدون .

مطلب

في أن أهل الأمصار على الإطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تستفاد بالتعليم(١)

«ومن كان منهم أبعد عن اللسان العربي كان حصولها له أصعب وأعسر . والسبب في ذلك ما يسبق إلى المتعلم من حصول ملكة منافية للملكة المطلوبة، بما سبق إليه من اللسان الحضري الذي أفادته العجمة، حتى نزل بها اللسان عن ملكته الأولى إلى ملكة أخرى هي لغة الحضري لهذا العهد . ولهذا نجد المعلمين يذهبون إلى المسابقة بتعليم اللسان للولدان ، وتعتقد النحاة أن هذه المسابقة بصناعتهم ، وليس كذلك ، وإنما هي بتعليم هذه الملكة بمخالطة اللسان وكلام العرب . نعم صناعة النحو أقرب إلى مخالطة ذلك . وما كان من لغات أهل الأمصار أعرق في العجمة وأبعد عن لسان مضر قصر بصاحبه عن تعلم اللغة المضرية وحصول ملكتها لتمكن المنافاة .

واعتبر ذلك في أهل الأمصار ، فأهل إفريقية والمغرب لما كانوا أعرق في العجمة وأبعد عن اللسان الأول، كان لهم قصور تام في تحصيل ملكته بالتعليم . ولقد نقل ابن الرقيق(٢) أن بعض كُتّاب القيروان

---

(١) الفصل في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٤٠٢ — ١٤٠٥ .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق أو ابن الرقيق، مؤرخ أديب، من أهل القيروان ، له مؤلفات في التاريخ ، توفي بعد سنة ٤١٧ هـ = ١٠٢٦ م .

كتب إلى صاحب له : « يا أخي ومن لا عدمت فقده ، أعلَمَني أبو سعيد كلاماً أنك كنت ذكرت أنك تكون مع الذين تأتي ، وعاقنا اليوم فلم يتهيأ لنا الخروج . وأما أهل المنزل الكلاب من أمر الشين فقد كذبوا هذا باطلا، ليس من هذا حرفاً واحداً، وكتابي إليك، وأنا مشتاق إليك إن شاء الله تعالى » .

وهكذا كانت ملكتهم في اللسان المضري شبيه بما ذكرنا . وكذلك أشعارهم كانت بعيدة عن الملكة نازلة عن الطبقة ؛ ولم تزل كذلك لهذا العهد . ولهذا ما كان بإفريقية من مشاهير الشعراء إلا ابن رشيق(١) وابن شرف(٢) ، وأكثر ما يكون فيها الشعراء طارئين عليها . ولم تزل طبقتهم في البلاغة حتى الآن مائلة إلى القصور.

وأهل الأندلس أقرب منهم إلى تحصيل هذه الملكة بكثرة معاناتهم وامتلائهم من المحفوظات اللغوية نظماً ونثراً .وكان فيهم ابن حيان(٣) المؤرخ إمام أهل الصناعة في هذه الملكة ورافع الراية لهم فيها ، وابن

---

(١) هو الحسن بن رشيق القيرواني صاحب كتاب (العمدة في صناعة الشعر ونقده) أديب نقاد باحث ، نظم الشعر وله ديوان ، ألف كتباً في النقد واللغة والرجال : ٣٩٠ — ٤٦٣ هـ = ١٠٠٠ — ١٠٧١ م .

(٢) هو محمد بن سعيد بن أحمد بن شرف الجذامي القيرواني ، أبو عبد الله ، كاتب مترسل وشاعر أديب ، ولد في القيروان وتوفي في إشبيلية ، له ديوان شعر وكتب أخرى : ٣٩٠ — ٤٦٠ هـ = ١٠٠٠ — ١٠٦٨ .

(٣) هو حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء، من أهل قرطبة ، مؤرخ بحاث ، له مؤلفات في التاريخ والرجال ، منها (المقتبس في تاريخ أهل الأندلس) : ٣٧٧ — ٤٦٩ هـ = ٩٨٧ — ١٠٧٦ م .

عبد ربه(١) ، والقسطلي(٢) ، وأمثالهم من شعراء ملوك الطوائف ، لما زخرت فيها بحار اللسان والأدب ، وتداول ذلك فيهم مئين من السنين ، حتى كان الانفضاض والجلاء أيام تغلب النصرانية ، وشغلوا عن تعلم ذلك . وتناقص العمران فتناقص لذلك شأن الصنائع كلها ، فقصرت الملكة فيهم عن شأنها حتى بلغت الحضيض . وكان من آخرهم صالح ابن شريف ، ومالك بن المرحل (٣) من تلاميذ الطبقة الإشبيليين بسبتة ، وكتّاب دولة ابن الأحمر في أولها . وألقت الأندلس أفلاذ كبدها من أهل تلك الملكة بالجلاء إلى العدوة من إشبيلية إلى سبتة ، ومن شرق الأندلس إلى إفريقية . ولم يلبثوا إلى أن انقرضوا وانقطع سند تعليمهم في هذه الصناعة ، لعسر قبول العدوة لها وصعوبتها عليهم بعوج ألسنتهم ورسوخهم في العجمة البربرية ، وهي منافية لما قلناه. ثم عادت الملكة من بعد ذلك إلى الأندلس كما كانت ، ونجم بها ابن بشرين ، وابن جابر (٤) ، وابن الجياب ، وطبقتهم ، ثم

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم ، من أهل قرطبة ، الأديب الإمام صاحب (العقد الفريد) وله ديوان شعر : ٢٤٦ – ٣٢٨ ﻫ = ٨٦٠ – ٩٤٠م

(٢) هو ابن دراج ، أحمد بن محمد بن القاضي بن دراج القسطلي الأندلسي ، شاعر كاتب ، له ديوان شعر : ٣٤٧ – ٤٢١ ﻫ = ٩٥٨ – ١٠٣٠ م .

(٣) هو مالك بن عبد الرحمن بن علي المعروف بابن المرحل ، من أهل مالقه، أديب من الشعراء له ديوان شعر ، وله مؤلفات أخرى : ٦٠٤ – ٦٩٩ ﻫ = ١٢٠٧ – ١٣٠٠ م

(٤) هو محمد بن جابر بن محمد بن قاسم ... الوادي آشي الأصل التونسي ، فقيه محدث نحوي لغوي مقرئ ، ممن أخذ عنهم لسان الدين بن الخطيب ، له مؤلفات كثيرة وديوان شعر : ٦٧٣ – ٧٤٩ ﻫ = ١٢٧٤ – ١٣٤٨ م .

إبراهيم الساحلي الطريحي وطبقته . وقفاهُم ابن الخطيب (١) من بعدهم الهالك لهذا العهد شهيداً بسعاية أعدائه ، وكان له في اللسان ملكة لا تدرك . واتبع أثره تلميذه بعده .

وبالجملة فشأن هذه الملكة بالأندلس أكثر ، وتعليمها أيسر وأسهل ، بما هم عليه لهذا العهد — كما قد مناه — من معاناة علوم اللسان ومحافظتهم عليها ، وعلى علوم الأدب وسند تعليمها . ولأن أهل اللسان العجمي الذين تفسد ملكتهم إنما هم طارئون عليهم ،وليست عجمتهم أصلاً للغة أهل الأندلس والبربر في هذه العدوة وهم أهلها ولسانهم لسانها ؛ إلا في الأمصار فقط ، وهم فيها منغمسون في بحر عجمتهم ورطانتهم البربرية ، فيصعب عليهم تحصيل الملكة اللسانية بالتعليم بخلاف أهل الأندلس .

واعتبر ذلك بحال أهل المشرق لعهد الدولة الأموية والعباسية ، فكان شأنهم شأن أهل الأندلس في تمام هذه الملكة وإجادتها ، لبعدهم لذلك العهد عن الأعاجم ومخالطتهم إلا في القليل . فكان أمر هذه الملكة في ذلك العهد أقوم ، وكان فحول الشعراء والكتاب أوفر لتوفر العرب وأبنائهم بالمشرق . وانظر ما اشتمل عليه كتاب (الأغاني) من نظمهم ونثرهم ، فإن ذلك الكتاب هو كتاب العرب وديوانهم ،

---

(١) هو لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الآمل ، الغرناطي الأندلسي ، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب ، وزير مؤرخ أديب كبير ، له مؤلفات كثيرة جداً : ٧١٣ — ٧٧٦ هـ = ١٣١٣ — ١٣٧٤ م .

وفيه لغتهم ، وأخبارهم ، وأيامهم ، وملتهم العربية ، وسيرتهم ، وآثار خلفائهم وملوكهم ، وأشعارهم ، وغناؤهم ، وسائر مغانيهم له ، فلا كتاب أوعب منه لأحوال العرب . وبقي أمر هذه الملكة مستحكماً في المشرق في الدولتين ، وربما كانت فيهم أبلغ ممن سواهم ممن كان في الجاهلية — كما هو المعلوم—حتى تلاشى أمر العرب ، ودرست لغتهم ، وفسد كلامهم ، وانقضى أمرهم ودولتهم ، وصار الأمر للأعاجم والملك في أيديهم والتغلب لهم ، وذلك في دولة الديلم والسلجوقية . وخالطوا أهل الأمصار والحواضر حتى بعدوا عن اللسان العربي وملكته ، وصار متعلمها منهم مقصراً عن تحصيلها . وعلى ذلك تجد لسانهم لهذا العهد في فني المنظوم والمنثور وإن كانوا مكثرين منه . والله يخلق ما يشاء ويختار ، والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لا رب سواه »(١) .

* * *

(١) آخر كلام ابن خلدون .

الباب السادس

في انقسام الكلام إلى فنّيْ النظم والنثر (١)

وفيه مطالب

مطلب :

« اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين :

فن الشعر المنظوم ؛ وهو الكلام الموزون المقفى ، ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية .

و فن النثر : وهو الكلام غير الموزون .

وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام . فأما الشعر فمنه المدح والهجاء والرثاء . وأما النثر فمنه السجع الذي يؤتى به قطعاً ، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعاً . ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً ولا يقطّع أجزاء ، بل يرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها ، ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم .

وأما القرآن فهو وإن كان من المنثور إلا أنه خارج عن الوصفين وليس يسمى مرسلاً مطلقاً ولا مسجعاً ، بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ، ثم يعاد الكلام في الآية

---

(١) انظر الفصل في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٤٠٥ – ١٤٠٨ .

الأخرى بعدها ، ويثني من غير التزام حرف يكون سجعاً ولا قافية ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ الله أنْزَلَ أَحْسَنَ الحَديثِ كِتاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تقْشَعِرُّ منهُ جُلودُ الذين يَخْشَوْنَ ربهم﴾ وقال : ﴿قد فَصَّلْنا الآياتِ﴾ ويسمى آخر الآيات منها فواصل ؛ إذ ليست أسجاعاً،ولا التزم فيها ما يلتزم في السجع ، ولا هي أيضاً قوافٍ . وأطلق اسم المثاني على آيات القرآن كلها على العموم لما ذكرناه ، واختصت بأم القرآن للغلبة فيها كالنجم للثريا ، ولهذا سميت « السبع المثاني » وانظر هذا مع ما قاله المفسرون في تعليل تسميتها بالمثاني يشهد لك الحق برجحان ما قلناه .

واعلم أن لكل واحدمن هذهالفنون أساليبَتختص به عند أهله لا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه ، مثل النسيب المختص بالشعر ، والحمد والدعاء المختص بالخطب ، والدعاء المختص بالمخاطبات ، وأمثال ذلك . وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه في المنثور من كثرة الأسجاع والتزام التقفية ، وتقديم النسيب بين يدي الأغراض ، وصار هذا المنثور إذا تأملته من باب الشعر وفنه ولم يفترقا إلا في الوزن .. واستمر المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة ، واستعملوها في المخاطبات السلطانية ، وقصروا الاستعمال في المنثور كله على هذا الفن الذي ارتضوه ، وخلطوا الاساليب فيه ، وهجروا المرسل وتناسوه ، وخصوصاً أهل المشرق ، وصارت المخاطبات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب الغفل جاريةً على هذا الأسلوب الذي أشرنا إليه ، وهو غير صواب من جهة البلاغة ، لما يلاحظ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال من أحوال المخاطِبِ والمخاطَبِ . وهذا

الفن المنثور المقفّى أدخل المتأخرون فيه أساليب الشعر . فوجب أن تنزه المخاطبات السلطانية عنه ، إذ أساليب الشعر تناسبها اللوذعية ، وخلط الجد بالهزل ، والإطناب في الأوصاف ، وضرب الأمثال ، وكثرة التشبيهات والاستعارات ، حيث لا تدعو ضرورة إلى ذلك في الخطاب . والتزام التقفية أيضاً من اللوذعية والتزيين ، وجلال الملك والسلطان ، وخطاب الجمهور عن الملوك بالترغيب والترهيب ينافي ذلك ويباينه . والمحمود في المخاطبات السلطانية الترسل ، وهو إطلاق الكلام وإرساله من غير تسجيع إلا في الأقل النادر ،وحيث ترسله الملكة إرسالاً من غير تكلف له ، ثم إعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال ؛ فإن المقامات مختلفة ، ولكل مقام أسلوب يخصه من إطناب أو إيجاز أو حذف أو إثبات أو تصريح أو إشارة أو كناية أو استعارة . وأما إجراء المخاطبات السلطانية على هذا النحو الذي هو على أساليب الشعر فمذموم . وما حَمَلَ عليه أهلَ العصر إلا استيلاء العجمة على ألسنتهم ، وقصورهم لذلك عن إعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال . فعجزوا عن الكلام المرسل لبعد أَمَدِه في البلاغة وانفساح خطوبه . وولعوا بهذا المسجع ، يلفقون به ما نقصهم من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ، ويجبرونه بذلك القدر من التزيين بالأسجاع والألقاب البديعية ، ويغفَلُون عما سوى ذلك . وأكثر من أخذ بهذا الفن وبالغ فيه في سائر أنحاء كلامهم كتّاب المشرق وشعراؤه لهذا العهد ، حتى إنهم ليُخلُّون بالإعراب في الكلمات والتصريف إذا دخلت لهم في تجنيس أو مطابقة لا يجتمعان معها ، فيرجحون ذلك الصنف من التجنيس ، ويَدَعْون الإعراب ، ويفسدون بنية الكلمة عساها تصادف التجنيس : فتأمل ذلك بما قدمناه لك تقف على صحة ما ذكرناه . والله الموفق للصواب بمنه وكرمه»(١) .

* * *

(١) آخر كلام ابن خلدون .

مَطلب

في أنه لا تتفق الإجادة في فني المنثور والمنظوم معاً إلا للأقل(١)

«والسبب في ذلك أنه كما بيناه ملكة في اللسان؛ فإذا تسبّقت إلى محله ملكة أخرى قصرت بالمحل عن تمام الملكة اللاحقة ، لأن تمام الملكات وحصولها للطبائع التي على الفطرة الأولى أسهل وأيسر . وإذا تقدمتها ملكة أخرى كانت منازعة لها في المادة القابلة ، وعائقة عن سرعة القبول ، فوقعت المنافاة وتعذر التمام في الملكة . وهذا موجود في الملكات الصناعية كلها على الإطلاق ، وقد برهنّا عليه في موضعه بنحو من هذا البرهان . فاعتبر مثله في اللغات، فإنها ملكات اللسان ، وهي بمنزلة الصناعة .وانظر من تقدم له شيء من العجمة كيف يكون قاصراً في اللسان العربي أبداً ، فالأعجمي الذي سبقت له اللغة الفارسية لا يستولي على ملكة اللسان العربي ، ولا يزال قاصراً فيه ولو تعلمه وعلّمه . وكذا البربري والرومي والإفرنجي قلَّ أن تجد أحداً منهم مُحْكِماً لملكة اللسان العربي ، وما ذلك إلا لما سبق إلى ألسنتهم من ملكة اللسان الآخر . حتّى إن طالبَ العلمِ من أهل هذه الألسن إذا طلبه بين أهل اللسان العربي جاء مقصِّراً في معارفه عن الغاية والتحصيل ، وما أتي إلا من قبل اللسان . وقد تقدم لك من قبلُ أن الألسن واللغات شبيهة بالصنائع . وأن الصنائع وملكاتها لا تزدحم ، وأن من سبقت له إجادة في صناعة فقلَّ أنيجيد أخرى أو يستولي فيها على الغاية».﴿واللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ .

* * *

(١) الفصل في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٤٠٨ — ١٤٠٩ .

مطلب

في صناعة الشعر ووجه تعلمه(١)

« هذا الفن من فنون كلام العرب، وهو المسمى بالشعر عندهم . ويوجد في سائر اللغات . إلا أنا الآن إنما نتكلم في الشعر الذي للعرب . فإن أمكن أن تجد فيه أهل الألسن الأخرى مقصودَهم من كلامهم، وإلا فلكل لسان أحكام في البلاغة تخصه .

وهو في لسان العرب غريب النزعة عزيز المنحى ؛ إذ هو كلام مفصل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن ، متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة . وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً ؛ ويسمى الحرف الأخير الذي تتفق فيه روياً وقافية ؛ ويسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة وكلمة . وينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه ، حتى كأنه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده . وإذا أفرد كان تاماً في بابه في مدح أو تشبيب أو رثاء ، فيحرِص الشاعر على إعطاء ذلك في البيت ما يستقل في إفادته ، ثم يستأنف في البيت الآخر كلاماً آخر كذلك ، ويستطرد للخروج من فن إلى فن ومن مقصود إلى مقصود بأن يوطيء المقصود الأول ومعانيه إلى أن تناسب المقصود الثاني ، ويبعد الكلام عن التنافر . كما يستطرد من التشبيب إلى المدح ، ومن وصف البيداء والطلول إلى وصف الركاب أو الخيل أو الطيف ،

(١) الفصل في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٤٠٩ – ١٤١٩ .

ومن وصف الممدوح إلى وصف قومه وعساكره ،ومن التفجع والعزاء في الرثاء إلى التأثر ، وأمثال ذلك .

ويراعي فيـــه اتفاق القصيدة كلّها في الوزن الواحد حذراً من أن يتساهل الطبع في الخروج من وزن إلى وزن يقاربه ، فقد يخفى ذلك من أجل المقاربة على كثير من الناس . ولهذه الموازين شروط وأحكام تضمنها علم العروض . وليس كل وزن يتفق في الطبع استعملته العرب في هذا الفن ، وإنما هي أوزان مخصوصة تسميها أهل تلك الصناعة البحور ؛ وقد حصروها في خمسة عشر بحراً، بمعنى أنهم لم يجدوا للعرب في غيرها من الموازين الطبيعية نظماً .

واعلم أن فَنّ الشعر من بين الكلام كان شريفاً عند العرب ، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهِدَ صوابهم وخطئهم ، وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحِكَمِهم . وكانت ملكته مستحكمة فيهم ، شأن الملكات كلها . والملكات اللسانية كلها إنما تكتسب بالصناعة والارتياض في كلامهم حتى يحصل شبه في تلك الملكة .

والشعر من بين فنون الكلام صعب المأخذ على من يريد اكتساب ملكته بالصناعة من المتأخرين لاستقلال كل بيت منه بأنه كلام تام في مقصوده ، ويصلح أن ينفرد دون ماسواه . فيحتاج من أجل ذلك إلى نوع تلطف في تلك الملكة ، حتى يفرغ الكلام الشعري في قوالبه التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر العرب ، ويبرزه مستقلاً بنفسه . ثم يأتي ببيت آخر كذلك، ثم ببيت ، ويستكمل الفنون الوافية بمقصوده . ثم يناسب بين البيوت في موالاة بعضها مع بعض بحسب اختلاف الفنون التي في القصيدة. ولصعوبة منحاه وغرابة فنه كان محكاً للقرائح في استجادة أساليبه ، وشحذ الأفكار في تنزيل الكلام في قوالبه . ولا يكفي فيه ملكة الكلام العربي على الإطلاق ، بل يحتاج بخصوصه إلى تلطف

ومحاولة في رعاية الأساليب التي اختصته العرب بها واستعمالها . ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها في إطلاقهم .

فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب ، أو القالب الذي يفرغ فيه . ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض . فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية ، وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص. وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ، ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها فيه رصاً كما يفعله البنّاء في القالب أو النساج في المنوال ، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ؛ ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه . فإن لكل فن من الكلام أساليبَ تختص به ، وتوجد فيه على أنحاء مختلفة . فسؤال الطلول في الشعر يكون بخطاب الطلول كقوله :

يادارَ ميّةَ بالعَلْياءِ فالسَّنَدِ (١) . . . .

ويكون باستدعاء الصَّحْب للوقوف والسؤال كقوله :

قفا نَسْألِ الدارَالتي خَفَّ أَهْلُها(٢) . . . .

(١) للنابغة الذبياني وتمامه

... ... اقوت وطال عليها سالف الأمد

(٢) لدعبل الخزاعي ، وتمامه .

... ... متى عهدها بالصوم والصلوات

أو باستبكاء الصَّحْبِ على الطّلَلِ كقوله :

قفا نَبْكِ منْ ذِكْرىَ حَبيبٍ ومَنْزِلِ . . . .

أو بالاستفهام عن الجواب لمخاطب غير معين كقوله :

ألَمْ تَسْأَلْ فَتُخْبِرْكَ الرُّسومُ . . . .

ومثل تحية الطلول بالأمر لمخاطب غير معين بتحيتها كقوله :

حَيِّ الدِّيارَ بجانِبِ العَزَلِ . . . .

أو بالدعاء لها بالسقيا كقوله :

أسقى طلولَهُمُ أَجَشُّ هَزيم
وغَدَتْ عَلَيْهِم نُضْرَةٌ ونعيمُ

أو سؤاله السقيا لها من البرق كقوله :

يابَرْقُ طالِعْ مَنْزِلاً بالأَبْرَقِ
واحْدُ السحَابَ لهَا حِداءَ الأَيْنُقِ

أو مثل التفجع في الجَزَعَ باستدعاء البكاء كقوله :

كَذَا فَلْيجلّ الخطبُ ولْيَفْدَحِ الأمْرُ
فلَيْسَ لعينٍ لَمْ يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ

أو باستعظام الحادث كقوله :

أرأيتَ مَنْ حُمِلوُا عَلَى الأَعْواد (١) . . . . .

أو بالتسجيل على الأكوان بالمصيبة لفقده كقوله :

---

(٣) للشريف الرضي وتمامه :

... ... أرأيت كيف خبا ضياء النادي

مَنَابتُ العُشْبِ لا حَامٍ ولا رَاعِ
مَضَى الرَّدى بَطويلِ الرُّمْح والبَاعِ

أو بالإنكار على من لم يتفجع له من الجمادات كقول الخارجية :

أيا شَجَرَ الخابُورِ مالَكَ مُورقاً
كَأَنَّكَ لَمْ تَجزَعْ على ابنِ طرَيفِ

أو بتهنئة قريعة بالراحة من ثِقَل وطأته كقوله :

أَلْقَى الرِّماحَ ربيعَةُ بنُ نِزَارِ
أَوْدَى الرَّدى بقرَيعِك المِغْوارِ

وأمثال ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهبه ، وتنتظم التراكيب فيه بالجمل وغير الجمل، إنشائية وخبرية ، اسمية وفعلية ، متفقة وغير متفقة ، مفصولة وموصولة ، على ما هو شأن التراكيب في الكلام العربي في مكان كل كلمة من الأخرى ؛ يعرفك به ما تستفيده بالارتياض في أشعار العرب من القالب الكلي المجرد في الذهن من التراكيب المعينة التي ينطبق ذلك القالب على جميعها . فإن مؤلف الكلام هو كالبَنّاء أو النَسّاج ، والصورة الذهنية المنطبقة كالقالب الذي يَبْني فيه أو المنوال الذي ينسِجُ عليه ؛ فإن خرج عن القالب في بنائه ، أو على المنوال في نسجه كان فاسداً . ولا تقولن إن معرفة قوانين البلاغة كافية في ذلك ؛ لأنا نقول : قوانين البلاغة إنما هي قواعد علمية قياسية تفيد جواز استعمال التراكيب على هيئاتها الخاصة بالقياس ، وهو قياس علمي صحيح مطرد ، كما هو قياس القوانين الإعرابية . وهذه الأساليب التي نحن نقررها ليست من القياس في شيء ، إنما هي هيئة ترسخ في النفس من

تتبع التراكيب في شعر العرب ، لجريانها على اللسان حتى تستحكم صورتها ، فيستفيد بها العمل على مثالها والاحتذاء بها في كل تركيب من الشعر ، كما قدمنا ذلك في الكلام بإطلاق. وأن القوانين العلمية من العربية والبيان لا يفيد تعليمه بوجه ، وليس كل ما يصح في قياس كلام العرب وقوانينه العلمية استعملوه ، وإنما المستعمل عندهم من ذلك أنحاء معروفة يطلع عليها الحافظون لكلامهم تندرج صورتها تحت تلك القوانين القياسية . فإذا نظر في شعر العرب على هذا النحو وبهذه الأساليب الذهنية التي تصير كالقوالب كان نظراً في المستعمل من تراكيبهم لا فيما يقتضيه القياس .

ولهذا قلنا إن المحَصّل لهـــذه القوالب في الذهن إنما هو حفظ أشعار العرب وكلامهم . وهذه القوالب كما تكون في المنظوم تكون في المنثور ؛ فإن العرب استعملوا كلامهم في كلا الفنين ، وجاءوا به مفصلاً في النوعين ، ففي الشعر بالقطع الموزونة ، والقوافي المقيدة ، واستقلال الكلام في كل قطعة . وفي المنثور يعتبرون الموازنة والتشابه بين القطع غالباً ، وقد يقيدونه بالأسجاع ، وقد يرسلونه . وكل واحد من هذه معروفة في لسان العرب . والمستعمل منها عندهم هو الذي يبني مؤلف الكلام عليه تأليفه ، ولا يعرفه إلا من حفظ كلامهم ، حتى يتجرد في ذهنه من القوالب المعينة الشخصية قالب كلي مطلق يحذو حذوه في التأليف ، كما يحذو البَنّاء على القالب ، والنَسّاج على المنوال . فلهذا كان فن تأليف الكلام منفرداً عن نظر النحوي والبياني والعروضي . نعم إن مراعاة قوانين هذه العلوم شرط فيه لا يتم بدونها ، فإذا تحصلت هذه الصفات كلها في الكلام اختص بنوع من النظر لطيف في هذه القوالب التي يسمونها أساليب ، ولا يفيده إلا حفظ كلام العرب نظماً ونثراً .

وإذا تقرر معنى الأسلوب ما هو فلنذكر بعده حداً أو رسماً للشعر به تفهم حقيقته على صعوبة هذا الغرض، فإنا لم نقف عليه لأحد من المتقدمين فيما رأيناه.

وقول العروضيين في حده : « إنه الكلام الموزون المقفى » ليس بحدٍّ لهذا الشعر الذي نحن بصدده ولا رسم له ، وصناعتهم إنما تنظر في الشعر باعتبار ما فيه من الإعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة . فلا جرم أن حَدَّهم ذلك لا يصلح له عندنا ، فلا بد من تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية فنقول :

الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف ، المفصَّل بأجزاء متفقة في الوزن والروي ، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به فقولنا : « الكلام البليغ » جنس . وقولنا : «المبني على الاستعارة والأوصاف» فصل عما يخلو من هذه فإنه في الغالب ليس بشعر . وقولنا : « المفصل بأجزاء متفقة الوزن والروي » فصل له عن الكلام المنثور الذي ليس بشعر عند الكل . وقولنا : « مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده » بيان للحقيقة، لأن الشعر لاتكون أبياته إلا كذلك ولم يفصل به شيء . وقولنا : « الجاري على الأساليب المخصوصة به » فصل له عما لم يجرِ منه على أساليب العرب المعروفة ، فإنه حينئذٍ لايكون شعراً، إنما هو كلام منظوم ، لأن الشعر له أساليب تخصه لاتكون للمنثور ، وكذا أساليب المنثور لاتكون للشعر ، فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الأساليب فلا يكون شعراً . وبهذا الاعتبار كان الكثير من أهل هذه الصناعة الأدبية يروْنَ أن نظم المُتَنَبِّي والمَعَرّي ليس هو من الشعر في شيء ، لأنهما لم يجريا على أساليب العرب من الأمم ، عند من يرى أن

الشعر يوجد للعرب وغيرهم؛ومن يرى أنه لايوجد لغيرهم فلا يحتاج إلى ذلك ويقول : مكانه الجاري على الأساليب المخصوصة .

وإذ قد فرغنا من الكلام على حقيقة الشعر ، فلنرجع إلى الكلام في كيفية عمله . فنقول :

اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً .

أولها : الحفظ من جنسه ، أي من جنس شعر العرب ، حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ، ويتخير المحفوظ من الحرّ النقي الكثير الأساليب . وهذا المحفوظ المختار أقل مايكفي فيه شعر شاعر من الفحول الإسلاميين مثل ابن أبي ربيعة ، وكثيّر ، وذي الرمة، وجرير،وأبي نواس،وحبيب (١)،والبحتري ، والرضي ، وأبي فراس، وأكثره شعر (كتاب الأغاني) لأنه جمع شعر أهل الطبقة الإسلامية كلّه،والمختار من شعر الجاهلية . ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر رديء ، ولا يعطيه الرونق والحلاوة إلا كثرة المحفوظ . فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر وإنما هو نظم ساقط ، واجتناب الشعر أولى ممن لم يكن له محفوظ. ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم ، وبالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ .

وربما يقال: إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتمّحي رسومه الحرفية الظاهرة ، إذ هي صادة عن استعمالها بعينها ؛ فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الأسلوب فيها كأنه منوال يأخذ بالنسج عليه

---

(١) ابن أوس ، وهو أبو تمام الطائي .

بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة . ثم لابد له من الخلوة واستجادة المكان المنظور فيه من المياه والأزهار . وكذا المسموع لاستثارة القريحة باستجماعها وتنشيطها بملاذ السرور . ثم مع هذا كله ،فشرطه أن يكون على جمام ونشاط ،فذلك أجمع له وأنشط للقريحة أن تأتي بمثل ذلك المنوال الذي في حفظه . قالوا : وخير الأوقات لذلك أوقات البكر عند الهبوب من النوم ، وفراغ المعدة ونشاط الفكر ، وفي هؤلاء الجمام .

وربما قالوا: إن من بواعثه العشق والانتشاء ، ذكر ذلك ابن رشيق(١) في كتاب (العمدة) وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وإعطاء حقها ، ولم يكتب فيها أحد قبله ولابعده مثله .

قالوا: فإن استصعب عليه بعد هذا كله فليتركه إلى وقت آخر ، ولا يكره نفسه عليه . وليكن بناء البيت على القافية من أول صوغه ونسجه بعضها ،ويبني الكلام عليها إلى آخره ،لأنه إن غفل عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها في محلها ،فربما تجيء نافرة قلقة .وإذا سمح الخاطر بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليتركه إلى موضعه الأليق به. فإن كل بيت مستقل بنفسه ،ولم تبق إلا المناسبة، فليتخير فيها كما يشاء ، وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالتنقيح والنقد .ولايضن به على الترك إذا لم يبلغ الإجادة ؛ فإن الانسان مفتون بشعره ، إذ هو بنات فكره واختراع قريحته . ولايستعمل فيه من الكلام إلا الأفصح من التراكيب ، والخالص من الضرورات اللسانية فليهجرها ،فإنها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة . وقد حظر أئمة اللسان عن المولّد وارتكاب الضرورة، إذ هو في سَعَة

(١) سبق تعريفه في ص ٢٨٢ .

منها بالعدول عنها إلى الطريقة المثلى من الملكة . ويجتنب أيضاً المعقد من التراكيب جهده؛ وإنما يقصد منها ماكانت معانيه تسابق ألفاظه إلى الفهم . وكذلك كثرة المعاني في البيت الواحد فإن فيه نوع تعقيد على الفهم ، وإنما المختار منه ماكانت ألفاظه طبقاً على معانيه أو أوفى ، فإن كانت المعاني كثيرة كان حشواً ، واستعمل الذهن بالغوص عليها، فمنع الذوق عن استيفاء مدركه من البلاغة .ولايكون الشعر سهلاً إلا إذا كانت معانيه تسابق ألفاظه إلى الذهن . ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله يعيبون شعر أبي إسحق بن خفاجة شاعر شرق الأندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد ، كما كانوا يعيبون شعر المتنبي والمعري بعدم النسج على الأساليب العربية — كما مر — فكان شعرهما كلاماً منظوماً نازلاً عن طبقة الشعر؛ والحاكم بذلك هو الذوق . وليجتنب الشاعر أيضاً الحوشي من الألفاظ والمقعّر ، وكذلك السوقي المبتذل بالتداول بالاستعمال ، فإنه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة أيضاً فيصير مبتذلاً ، ويقرب من عدم الإفادة ، ويبعد عن رتبة البلاغة إذ هما طرفان. ولهذا كان الشعر في الربّانيات والنبويات قليل الإجادة في الغالب ولا يحذق فيه إلا الفحول وفي القليل على العثر ، لأن معانيها متداولة بين الجمهور فتصير مبتذلة لذلك .

وإذا تعذر الشعر بعد هذا كله فليراوضه ويعاوده فإن القريحة مثل الضرع بدّر بالامتراء(١) ، ويجف بالترك والإهمال .

---

(١) في هامش الأصل: « مرى الناقة يمريها : مسح ضرعها . وأمرت هي: در لبنها ، وهي المرية بالضم والكسر ، ومرى الشيء : استخرجه كامتراه » « القاموس » .

وبالجملة فهذه الصناعة وتعلمها مستوفى في كتاب (العمدة) لابن رشيق، وقد ذكرنا منها ماحضرنا بحسب الجهد ، ومن أراد استيفاء ذلك فعليه بذلك الكتاب ففيه البغية من ذلك، وهذه نبذة كافية والله المعين » (١) .

★ ★ ★

(١) آخر كلام ابن خلدون .

مطلب

في أن صناعة النظم والنثر إنما هي في الألفاظ لا في المعاني(١) :

«اعلم أن صناعة الكلام نظماً ونثراً إنما هي في الألفاظ لا في المعاني، وإنما المعاني تبع لها وهي أصل . فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر إنما يحاولها في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب ، ليكثر استعماله وجريه على لسانه، حتى تستقر له الملكة في لسان مضر، ويتخلص من العجمة التي ربي عليها في جيله ، ويفرض نفسه مثل وليد ينشأ في جيل العرب ، ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم . وذلك أنا قدمنا أن للسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل . والذي في اللسان والنطق إنما هو الألفاظ ، وأما المعاني فهي في الضمائر . وأيضاً فالمعاني موجودة عند كل واحد، وفي طلوع كل فكر منها مايشاء ويرضى، فلا تحتاج إلى صناعة . وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه . وهو بمثابة القوالب للمعاني . فكما أن الأواني التي يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب ، والفضة ، والصدف ، والزجاج، والخزف ، والماء واحد في نفسه ، وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء؛ كذلك جودة اللغة وبلاغتها في

(١) الفصل في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٤٢٢ — ١٤٢٣ .

الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد ، والمعاني واحدة في نفسها ، وإنما الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه على مقتضى ملكة اللسان إذا حاول العبارة عن مقصوده لم يحسن بمثابة المُقعد الذي يروم النهوض ولايستطيعه لفقدان القدرة عليه . والله يعلمكم مالم تكونوا تعلمون »(١) .

* * *

---

(١) آخر كلام ابن خلدون .

مطلب

في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ (١):

«قد قدمنا أنه لابد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي، وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ. فمن كان محفوظه شعر حبيب(٢) أو العتابي، أو ابن المعتز، أو ابن هانئ، أو الشريف الرضي، أو رسائل ابن المقفع، أو سهل بن هارون، أو ابن الزيات، أو البديع(٣) أو الصابىء، تكون ملكته أجود وأعلى مقاماً ورتبة في البلاغة ممن يحفظ شعر ابن سهل(٤) من المتأخرين، أو ابن النبيه، أو ترسّل البيساني(٥)، أو العماد الأصفهاني، لنزول طبقة هؤلاء عن أولئك، يظهر ذلك للبصير الناقد صاحب الذوق. وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع تكون جودة الاستعمال من بعده، ثم إجادة الملكة من بعدهما. فبارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترتقي الملكة الحاصلة، لأن الطبع إنما ينسج على منوالها، وتنمو قوى الملكة بتغذيتها. وذلك أن النفس وإن كانت في جبلتها واحدة بالنوع فهي تختلف في البشر بالقوة والضعف في الإدراكات، واختلافها إنما هو

(١) الفصل في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٤٢٣.

(٢) أبو تمام.

(٣) بديع الزمان الهمذاني.

(٤) أي إبراهيم بن سهل الشاعر المتوفى سنة ٦٤٩ هـ.

(٥) أي القاضي الفاضل.

باختلاف مايرد عليها من الإدراكات والملكات والألوان التي تكيفها من خارج ، فبهذه يتم وجودها ، وتخرج من القوة إلى الفعل صورتها . والملكات التي تحصل لها إنما تحصل على التدريج كما ذكرنا . فالملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر ؛ وملكة الكتابة بحفظ الأسجاع والترسيل . والعلمية بمخالطة العلوم والإدراكات والأبحاث والأنظار . والفقهية بمخالطة الفقه ، وتنظير المسائل وتفريعها ، وتخريج الفروع على الأصول. والتصوفية الربانية بالعبادات والأذكار ، وتعطيل الحواس الظاهرة بالخلوة ، والانفراد عن الخلق ماستطاع ،حتى تحصل له ملكة الرجوع إلى حسه الباطن وروحه ، وينقلب ربانياً ، وكذا سائرها . وللنفس في كل واحد منها لون تتكيف به ، وعلى حسب مانشأت الملكة عليه من جودة أو رداءة تكون تلك الملكة في نفسها . فملكة البلاغة العالية الطبقة في جنسها إنما تحصل بحفظ العالي في طبقته من الكلام . ولهذا كان الفقهاء وأهل العلوم كلهم قاصرين في البلاغة ، وماذلك إلا لما يسبق إلى محفوظهم ويمتلىء به من القوانين العلمية والعبارات الفقهية الخارجة عن أسلوب البلاغة والنازلة عن الطبقة؛لأن العبارات عن القوانين والعلوم لاحظ لها في البلاغة . فإذا سبق ذلك المحفوظ إلى الفكر ، وكثر وتلونت به النفس جاءت الملكةالناشئةعنه فيغايةالقصور،وانحرفت عباراته عن أساليبالعرب في كلامهم . وهكذا نجد شعر الفقهاء والنحاة والمتكلمين والنظار وغيرهم ممن لم يمتلىء من حفظ النّقيّ الحرّ من كلام العرب .

أخبرني صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب العلّامة بالدولة المرينيّة قال : «ذاكرت يوماً صاحبنا أبا العباس بن شعيب كاتب السلطان أبي الحسن ،

وكان المقدم في البَصَر باللسان لعهده ، فأنشدته مطلع قصيدة ابن النحوي ولم أنسبها له ، وهو هذا :

لمْ أدرِ حينَ وَقَفْتُ بالأطْلالِ
ما الفرقُ بينَ جَديدِها والبالي

فقال لي على البديهة : هذا شعر فقيه. فقلت له: من أين لك ذلك؟ قال: من قوله : «ما الفرق» إذ هي من عبارات الفقهاء وليست من أساليب كلام العرب . فقلت له : لله أبوك ! إنه ابن النحوي

وأما الكُتاب والشعراء فليسوا كذلك لتخيرهم في محفوظهم ومخالطتهم كلام العرب وأساليبهم في الترسل وانتقائهم له الجيد من الكلام .

ذاكرت يوماً صاحبنا(١) أباعبدالله بن الخطيب وزير الملوك بالأندلس من بني الأحمر، وكان الصدر المقدم في الشعر والكتابة، فقلت له: أجد استصعاباً عليّ في نظم الشعر متى رُمْته مع بصري به، وحفظي للجيد من الكلام من القرآن والحديث، وفنون من كلام العرب ، وإن كان محفوظي قليلاً. وإنما أُتيتُ والله أعلم من قبل ماحصل في حفظي من الأشعار العلمية والقوانين التأليفية ، فإني حفظت قصيدتَي الشاطبي الكبرى والصغرى في القراءات ، وتدارست كتابي ابن الحاجب في الفقه والأصول ، و (جمل الخونجي) في المنطق ، وبعض كتاب (التسهيل) وكثيراً من قوانين التعليم في المجالس ، فامتلأ محفوظي من ذلك ، وخدش وجه الملكة التي استعددت لها بالمحفوظ الجيد من القرآن والحديث وكلام العرب ، فعاق القريحة عن بلوغها . فنظر إليّ ساعة معجباً ثم قال :لله أنت ! وهل يقول هذا إلا مثلك ؟!

ويظهر لك من هذا المطلب وماتقرر فيه سِرٌّ آخر ، وهو إعطاء السبب في أن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها

(١) أي صاحب ابن خلدون .

من كلام الجاهلية في منثورهم ومنظومهم . فإنا نجد شعر حسان بن ثابت ، وعمر بن أبي ربيعة ، والحطيئة ، وجرير ، والفرزدق ، ونُصَيْب ، وغيلان ذي الرمة ، والأحوص ، وبشار ، ثم كلام السلف من العرب في الدولة الأموية وصدراً من الدولةالعباسية ،في خطبهم وترسيلهم ومحاوراتهم للملوك،أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة ، وعنترة ، وابن كلثوم ، وزهير ، وعلقمة بن عَبْدَة ،وطرفة بن العبد، ومن كلام الجاهلية في منثورهم ومحاوراتهم .والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة . والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذَيْن عجز البشر عن الإتيان بمثليهما،لكونها ولجت في قلوبهم ونشأت علىأساليبها نفوسهم، فنهضت طباعهم،وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها ؛ فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسنَ ديباجةً وأصفى رونقاً من أولئك ،وأرصف مبنى وأعدل تثقيفاً بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة . وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك إن كنت من أهل الذوق والتبصر بالبلاغة .

ولقدسألت(١)يوماًشيخناالشريف أبا القاسم قاضي غرناطةلعهدنا—وكان شيخ هذه الصناعة،أخذ بسبتة عن جماعة من مشيختها من تلاميذ الشلوبين، واستبحر في علم اللسان وجاء من وراء الغاية فيه—فسألته يوماً : مابال العرب الإسلاميين أعلى طبقة في البلاغة من الجاهليين ، ولم يكن يستنكر ذلك بذوقه ؟ فسكت طويلاً ثم قال لي : « والله ماأدري » ! فقلت :

(١) الكلام لابن خلدون .

أعرض عليك شيئاً ظهر لي في ذلك ،ولعله السبب فيه .وذكرت له هذا الذي كتبت ، فسكت معجباً.ثم قال لي : « يافقيه ، هذا كلامٌ مِنْ حقه أن يكتب بالذهب » وكان من بعدها يؤثر محلي ،ويُصيخُ في مجالس التعليم إلى قولي ، ويشهد لي بالنباهة في العلوم . والله خلق الإنسان وعلمه البيان » (١) .

* * *

(١) انتهى كلام ابن خلدون في صفحة ١٤٢٦ .

مَطلب

في ترفع أهل المراتب عن انتحال الشعر(١) :

اعلم أن الشعر كان ديواناً للعرب ، فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم . وكان رؤساء العرب منافسين فيه ، وكانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده وعَرْض كلٍّ واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر لتمييز حَوْلِه(٢) ، حتى انتهو إلى المناغاة(٣) في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت إبراهيم ، كما فعل امرؤ القيس بن حُجْر ، والنابغة الذبياني ، وزهير بن أبي سلمى ، وعنترة بن شداد ، وطرفة بن العبد ، وعلقمة بن عَبَدة ، والأعشى ، وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع . فإنه إنما كان يتوصل إلى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانه في مضر ، على ماقيل في سبب تسميتها بالمعلقات . ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي ، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه، فأخرسوا عن ذلك ، وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً . ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملة ، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وأثاب عليه ، فرجعوا

(١) الفصل في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٤٣٢ – ١٤٣٤ . –

(٢) في هامش الأصل : « الحول : الحذق وجودة النظر والقدرة على التصرف » « قاموس » .

(٣) في هامش الأصل : « المناغاة : المباراة والمعارضة » .

حينئذٍ إلى ديدنهم منه ،وكان لعمر بن أبي ربيعة كبير قريش لذلك العهد مقامات فيه عالية ، وطبقة مرتفعة ، وكان كثيراً مايعرض شعره على ابن عباس فيقف لاستماعه معجباً به . ثم جاء من بعد ذلك المُلْك والدولة العزيزة ، وتقرب إليهم العرب بأشعارهم يمتدحونهم بها ، ويجيزهم الخلفاء بأعظم الجوائز على نسبة الجودة في أشعارهم ومكانهم من قومهم ، ويحرصون على استهداء أشعارهم يطّلعون منها على الآثار والأخبار واللغة وشرف اللسان ، والعرب يطالبون ولدهم بحفظها . ولم يزل هذا الشأن أيام بني أميّة وصدراً من دولة بني العباس . وانظر مانقله صاحب (العقد)(١)في مسامرة الرشيد للأصمعي في باب الشعر والشعراء تجد ماكان عليه الرشيد من المعرفة بذلك ، والرسوخ فيه ، والعناية بانتحاله ، والتبصر بجيد الكلام ورديئه ، وكثرة محفوظه منه .ثم جاء خَلْفٌ من بعدهم لم يكن اللسان لسانهم من أجل العجمة وتقصيرها باللسان وإنما تعلموه صناعة . ثم مدحوا بأشعارهم أمراء العجم الذين ليس اللسان لهم ، طالبين معروفهم فقط لاسوى ذلك من الأغراض، كما فعله حبيب ، والبحتري ، والمتنبي ، وابن هانئ، ومن بعدهم إلى هلم جرا . فصار غرض الشعر في الغالب إنما هوالكذب والاستجداء لذهاب المنافع التي كانت فيه للأولين ، كما ذكرنا آنفاً ،وأنف منه لذلك أهل الهمم والمراتب من المتأخرين، وتغير الحال وأصبح تعاطيه هجنة في الرئاسة ومذمة لأهل المناصب الكبيرة.والله مقلب الليل والنهار »(٢).

* * *

(١) ابن عبد ربه في العقد الفريد .

(٢) انتهى كلام ابن خلدون .

مطلب(١) :

« اعلم أن الشعر لايختص باللسان العربي فقط ،بل هو موجود في كل لغة ، سواء كانت عربية أو عجمية . وقد كان في الفرس شعراء ، وفي يونان كذلك،وذكرمنهمأرسطو في كتاب (المنطق) أوميروس الشاعر وأثنى عليه . وكان في حِمْيَر أيضاً شعراء متقدمون . ولما فسد لسان مضر ولغتهم دونت مقاييسها وقوانين إعرابها ، وفسدت اللغات من بعد بحسب ماخالطها ومازجها من العجمة ، فكانت لجيل العرب بأنفسهم لغة خالفت لغة سلفهم من مضر في الإعراب جملة ، وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات . وكذلك الحضر أهل الأمصار نشأت فيهم لغة أخرى خالفت لسان مضر في الإعراب وأكثر الأوضاع والتصاريف،وخالفت أيضاً لغة الجيل من العرب لهذا العهد . واختلفت هي في نفسها بحسب اصطلاحات أهل الآفاق،فلأهل المشرق وأمصاره لغة غير لغة أهل المغرب وأمصاره ، وتخالفهما أيضاً لغة أهل الأندلس وأمصاره .

ثم لما كانالشعر موجوداً بالطبع في أهل كل لسان،لأن الموازين على نسبة واحدة في أعداد المتحركات والسواكن وتَقابُلها موجودة في طباع البشر ، فلم يهجر الشعر بفقدان لغة واحدة وهي لغة مضر الذين كانوا فحوله وفرسان ميدانه ، حسبما اشتهر بين أهل الخليقة . بل كل جيل وأهل كل لغة من العرب المستعجمين والحضر أهل الأمصار يتعاطون

---

(١) ذكر ابن خلدون هذا الفصل في مقدمته صفحة ١٤٣٤ تحت عنوان : « فصل في أشعار العرب وأهل الامصار لهذا العهد » .

منه مايطاوعهم في انتحاله ووصف بنائه على مَهْيَع كلامهم . فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعاريض على ماكان عليه سلفهم المستعربون، ويتأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب، والمدح،والرثاء ، والهجاء ، ويستطردون في الخروج من فن إلى فن في الكلام . وربما هجموا على المقصود لأول كلامهم . وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك ينسبون . فأهل أمصار المغرب من العرب يسمّون هذه القصائد بالأصمعيات نسبة إلى الأصمعي راوية العرب في أشعارهم . وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي ، وربما يلحنون فيه ألحاناً بسيطة لاعلى طريقة الصناعة الموسيقية ، ثم يغنون به ويسمون الغناء به باسم الحوراني نسبة إلى حوران من أطراف العراق والشام، وهي من منازل العرب البادية، ومساكنهم إلى هذا العهد.

ولهم فن آخر كثير التداول في نظمهم يجيئون به معصباً على أربعة أجزاء يخالف آخرُها الثلاثة في رَوِيِّه ويلتزمون القافية الرابعة في كل بيت إلى آخر القصيدة شبيهاً بالمربع والمخمس الذي أحدثه المتأخرون من المولّدين . ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة ، وفيهم الفحول والمتأخرون . والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد ، وخصوصاً علم اللسان، يستنكر هذه الفنون التي لهم إذا سمعها ،ويمج نظمهم إذا أُنْشِدَ، ويعتقد أن ذوقه إنما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الإعراب منها . وهذا إنما أوتي من فقدان الملكة في لغتهم، فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعُه وذوقه ببلاغتها إن كان سايماً من الآفات في فطرته ونظره ، وإلا فالإعراب لامدخل له في البلاغة ، إنما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولمقتضى الحال من الوجود فيه ، سواء كان الرفع

دالاً على الفاعل والنصب دالاً على المفعول أو بالعكس ، وإنما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو لغتهم هذه فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة . فإذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحت الدلالة ، وإذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة، ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك .وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ماعدا حركات الإعراب في أواخر الكلم ،فإن غالب كلماتهم موقوفة الآخر ، ويتميز عندهم الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لابحركات الإعراب»(١) .

«(٢)وأماأهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهموتهذبت مناحيه وفنونه ،وبلغ التنميق فيه الغاية،استحدث المتأخرون منهم فناً منه سموه بالموشح ينظمونه أسماطاً أسماطاً ، وأغصاناً أغصاناً ، يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة، ويُسمون المتعدد منها بيتاً واحداً، ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد إلى آخر القطعة ، وأكثر ماتنتهي عندهم إلى سبعة أبيات ،ويشتمل كل بيت على أغصان،عددها بحسب الأغراض والمذاهب .

وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد ،وتجارُوا في ذلك إلى الغاية ، واستظرفه الناس جملة،الخاصة والكافة لسهولةتناوله، وقرب طريقه . وكان المخترع لها بجزيرة الاندلس مقدم بن معافى القبري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني ، وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب (العقد) ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر ،وكسدت موشحاتهما ، فكان أول من برع في هذا الشأن عبادة القزّاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المريّة .

(١) انتهى هذا الكلام في صفحة ١٤٣٧ .

(٢) جاء هذا الكلام في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٤٤٧ تحت عنوان : « الموشحات والأزجال للأندلس » .

وقد ذكر الأعلم البطليوسي أنه سمع أبا بكر بن زهر يقول: كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز . وزعموا أنه لم يسبق عبادة وشّاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوائف وجاء مُصَلِّياً خلفه منهم ابن أرفع رأسه شاعر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة . ثم جاءت الحلبة التي كانت في دولة الملَثّمين فظهرت لهم البدائع. وسابق فرسان حلبتهم الأعمى التُّطيلي ، ثم يحيى بن بقي . وذكر غير واحد من المشايخ أن أهل هذا الشأن بالأندلس يذكرون أن جماعة من الوشّاحين اجتمعوا في مجلس بإشبيلية ، وكان كل واحد منهم اصطنع موشحة وتأنق فيها ، فتقدم الأعمى التُّطيلي للإنشاد ، فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله :

ضَاحِكٌ عَنْ جُمَان　　　سَافِرٌ عَنْ بدْرِ
ضاقَ عَنْهُ الزَّمَانْ　　　وحَوَاهُ صَـدْرِي

خرق ابن بقي موشحته وتبعه الباقون . وذكر الأعلم البطليوسي أنه سمع ابن زهر يقول ما حسدت قط وشّاحاً على قول إلا ابن بقي حين وقع له

أما تَرَى أحْمَد　　　في مَجْدِهِ العَالِي　　　لا يُلْحَق
أطلَعَه الغَرْب　　　فأَرِنَا مِثْلَه　　　يا مَشْرِق

وكان في عصرهما من الموشحين المطبوعين أبو بكر الأبيض .

وكان في عصرهما أيضاً الحكيم أبو بكر بن باجة صاحب التلاحين المعروفة . واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحِّدين محمد ابن أبي الفضل بن شرف ، وأبو إسحاق الدويني . قال ابن سعيد : وسابِق الحلبة التي أدركت هؤلاء أبو بكر بن زهر ، وقد شرّقت

موشحاته وغرّبت . واشتهر بعده ابن حَبُّون ، واشتهر معهما يومئذ بغرناطة المهر بن الغَرْس . وبعد هذا ابن حزمون بمرسية ، وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة . واشتهر بإشبيلية أبو الحسن بن الفضل . واشتهر بين أهل العُدْوَة ابن خلف الجزائري . ومن محاسن الموشحات للمتأخرين موشحة ابن سهل شاعر إشبيلية وسبتة من بعدها .

وأما المشارقة فالتكلف ظاهر على ما عانوه من الموشحات . ومن أحسن ما وقع لهم في ذلك موشحة ابن سناء الملك المصري اشتهرت شرقاً وغرباً .

ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس ،وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع أجزائه ، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله ،ونظموا في طريقته بلغتهم الحضر يةمن غير أن يلتزموا فيها إعراباً ، واستحدثوه فناً سموه بالزجل ، والتزموا النظم فيه على مناحيهم إلى هذا العهد ،فجاؤا فيه بالغرائب ،واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة.

وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر ابن قُزْمان ، وإن كانت قيلت قبله بالأندلس ،لكن لم يظهر حُلاَها ولا انسبكت معانيها واشتهرت رشاقتها إلا في زمانه . وكان لعهد الملثمين. وهو إمام الزجالين على الإطلاق . قال ابن سعيد : ورأيت أزجاله مَرْوِيّة ببغداد أكثر مما رأيتها بحواضر المغرب . قال : وسمعت أبا الحَسَن بن جَحْدَر الإشبيلي إمام الزجالين في عصرنا يقول : ما وقع لأحد من أئمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قُزْمان شيخ الصناعة . وكان ابن قزمان مع أنه قرطبي الدار كثيراً ما يتردد إلى إشبيلية ويبيت بنهرها وكان في عصرهم بشرق الأندلس مخلف الأسود ، وله

محاسن من الزجل . وجاءت بعدهم حلبة كان سابقها مدغيس وقعت له العجائب في هذه الطريقة . وظهر بعد هؤلاء بإشبيلية ابن جَحْدَر الذي فضل على الزَّجَّالين في فتح مَيورقَةَ بالزجل . قال ابن سعيد : «لقيته ولقيت تلميذه المعمع صاحب الزجل المشهور». ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهل بن مالك إمام الأدب. ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب إمام النظم والنثر في الملة الإسلامية من غير مُدَافع . وكان لعصره بالأندلس محمد بن عبد العظيم من أهل وادي آش ، وكان إماماً في هذه الطريقة . وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد هي فن العامة بالأندلس من الشعر وفيها نظمهم ، حتى إنهم لينظمون بها في سائر البحور الخمسة عشر ، لكن بلغتهم العامية ويسمونه الشعر الزجلي . وكان من المجيدين لهذه الطريقة الأديب أبو عبد الله الألوسي . ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فناً آخر من الشعر في أعاريض مزدوجة كالموشح ، نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضاً وسموه عروض البلد . وكان أول من استحدثه فيهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف بابن عُمَير ، فنظم قطعة على طريقة الموشّح ولم يخرج فيها عن مذاهب الإعراب ، فاستحسنه أهل فاس وولعوا به، ونظموا على طريقته ، وتركوا الإعراب الذي ليس من شأنهم ، وكثر سماعه بينهم ، واستفحل فيه كثير منهم ، ونَوَّعوه أصنافاً إلى المزْدَوِج ، والكاري ، والملعبة ، والغزل . واختلفت أسماؤها باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها . وكان منهم الشيخ علي بن المؤذن سلمان ، وبزرهون من ضواحي مكناسةَ رجل يعرف بالكفيف أبدع في مذاهب هذا الفن وأتى فيه بكل غريبة من الإبداع .

وأما أهل تونس فاستحدثوا في الملعَبة أيضاً على لغتهم الحضرية ، إلا أن أكثره رديء .

وكان لعامة بغداد أيضاً فن من الشعر يسمونه « الموَاليِاً » ، وتحته فنون كثيرة يسمون منها «القُوما» و«كان وكان».ومنه مفرد ومنه في بيتين ويسمونه « دوبيت » على الاختلافات المعتبرة عندهم في كل واحد منها ، وغالبها مزدوجة من أربعة أغصان . وتبعهم في ذلك أهل مصر القاهرة ، وأتوا فيها بالغرائب، وتبحروا فيها في أساليب البلاغة بمقتضى لغتهم الحضرية فجاؤا بالعجائب .

واعلم أن الأذواق في معرفة البلاغة كلها إنما تحصل لمن خالط تلك اللغة ، وكثر استعماله لها ، ومخاطبته بين أجيالها ، حتى يحصِّل ملكتها كما قلناه في اللغة العربية ، فلا الأندلسي بالبلاغة التي في شعر أهل المغرب ، ولا المغربي بالبلاغة التي في شعر أهل الأندلس والمشرق، ولا المشرق بالبلاغة التي في شعر أهل الأندلس والمغرب ، لأن اللسان الحضري وتراكيبه مختلفة فيهم ، وكل واحد منهم مدرك لبلاغة لغته ، وذائق محاسن الشعر من أهل جلدته»(١) . ﴿ ومن آياته خَلْقُ السموات والأرضِ واختلافُ ألسنتكم وألوانِكم إن في ذلك لآياتٍ للعالِمين ﴾

* * *

(١) آخر ما نقله المؤلف من مقدمة ابن خلدون انظره صفحة ١٤٧٥ . وقد جاء في هامش الأصل تنبيه على ذلك نصه : « إلى هنا انتهى ما نقله المؤلف السيد العلامة من كتاب عنوان العبر وديوان المبتدأ والخبر من غير حذف ولا إسقاط ، مطلب فليعلم » « ممتاز الدولة مير عبد الحي كان » .

مطلب
في بيان المردف والمستزاد والمـــزدوجة

قال السيد العلامة غلام علي أزاد (١) رحمه الله تعالى : « الرديف: عبارة عن كلمة مستقلة فصاعداً، تتكرر بعد الروي ، والشعر المشتمل عليه يسمى « مُرْدَفاً » من الترديف ، وهو يزيد الأشعار جمالاً ، ويلبس بنات الأفكار خلخالاً ، وبه يتنوع الشعر الفارسي على أنواع لا تحصى ، وأقسام لا تتناهى . ولا رديف في شعر العرب ، وإن تكلف أحد بالترديف، لا تظهر له جلوة مثل ما تظهر في شعر الفرس ، فهو في الفارسية بزة العروس وفي العربية رجْلُ الطاووس. ولا منشأ له الا خصوصية اللسان، ومن يعرف اللسانين يشاهد أن الرديف في الفارسية طبيعي وفي العربية غير طبيعي . وبيانه أن الرديف يجيء في الفارسية عفواً بلا تجشم ، بل لا يحسن إغزالهم بلا رديف أو وصل بالروي . ويجيء في العربية بالتجشم ، حيث يحتاج إلى فرض رديف يصح معناه في جميع أبيات القصيدة ، بل ربما يعوق الرديف الذهن عن التطرق إلى المعاني العالية . بخلاف الفارسية فإن الرديف فيها يبعث الذهن على المعاني العالية ، ويهديه إلى الجواهر الغالية . وقد سبق أن سبب ذلك

---

(١) هو السيد غلام علي آزاد ابن السيد نوح الحسيني الواسطي البلكرامي الهندي ، أديب لغوي شاعر عروضي بلاغي مؤرخ. له ديوان شعر ومؤلفات كثيرة ١١١٦ – ١٢٠٠ هـ= ١٧٠٤ – ١٧٨٥ م .

ليس إلا خصوصية اللسان ، ولهذا ما وجدتُ في كلام العرب العرباء شعراً مردفاً، وإنما وجدته في كلام الأعاجم على سبيل الشذوذ ، كما نظم الزمخشري قصيدة مُرْدَفَةً في مدح علاء الدولة والي خوارزم مطلعها :

الفَضْلُ حصّلَهُ علاءُ الدَّوْلَهْ
والمجْدُ أثَّلَهُ علاءُ الدَّوْلَه

وكما نظم الشيخ عبد العزيز اللنباني قصيدة مردفة مطلعها :

بُشْراكَ يامَنْ به يستَبْشر السعيدُ
ومَنْ بهِ كلّ مَيْتٍ ينشر العيدُ

والآية المكررة في سورة الرحمن من القرآن المجيد وهي : ﴿ فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكَذِّبان ﴾ فيها رائحة من الرديف .

ولا يخفى أن التكرير نوع من التفنن في الكلام ، وضرب من طلاقة ألسنة الأقلام . ورأيت في الرديف فائدة ، وهي أن حروف الرَّويِّ التي قوافيها قليلة كالثاء المثلثة ،والخاء المعجمة،والذال المعجمة، والزاي ، والضاد المعجمة،والطاء المهملة ، والظاء المعجمة ، والغين المعجمة، والكاف إذا وقعت رَويّاً يضطر فيها الإنسان إلى إيراد اللغات الحوشية والألفاظ الغير المأنوسة . وبالرديف يتخلص عن هذا الاضطرار، ويتسع عليه مضيق القوافي والرَّوِيّ المنوَّن بلا إشباع ، والمتحرك بلا وصل لا يكون إلا في الشعر المردَف لوقوع الرَّوِيّ في وسط الكلام ، وهو في الشعر المردَفِ من وجه وسط للحوق الرديف به ، فلا يُشْبع بل ينتقل فيه الإشباعُ من الرَّوِيّ إلى الحرف الواقع في آخر الرديف ،

ومن وجه آخر لكون مدار القافية عليه فيشبَع . فالرَّويّ المنون بلا إشباع كما في قولي :

رَشَأٌ الأُبَيْرِقِ قَاتِلٌ واللهِ
إن المحبَّ لَغَافِلٌ واللّهِ

والرَّوِيّ المشبَع كقولي أيضاً :

جَوْرُ الحَبِيبةِ في مِنى مَرَضي
ذَبْحُ المتيّمِ هَهُنَا مَرَضِي

والرَّوِيّ المتحرك بلا وصل كقولي أيضاً :

قَدْرُ القُلُوبِ منَ الصَّفَاءِ يَلُوحُ
ثَمَنُ الجَواهِرِ بالجلاَءِ يَلُوحُ .

واعلم أن المستزاد من مستخرجات العجم ، ثم تناوله العرب ، وهو كلام موزون يستزاد فيه بعد كل مصراع من البيت جزءان من بحر المستزاد عليه بشرط الالتئام أو بعد كل بيت إلا البيت المصرع فإنه يستزاد فيه جزءان بعد الشطر الأول أيضاً ، كما تراعى فيه القافية . والقسم الأول أوفق بالدُّبيتْ . والقسم الثاني أوفق بالقصيدة . ولا يخفى على الناقد أن تمكين القافية في زيادة المستزاد قلما يوجد مثله في غيرها ، فالزيادة فيه كأنها برة في ساق الغادة ، نعم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، على أنها تجلب المعاني الرائقة وتجذب الخيالات الفائقة، بخلاف الرديف فإنه يطرد المعاني ويقتل الغواني .

ثم الالتئام بين الزيادة وبين المستزاد عليه تدركه القريحة السليمة،

ولا يوجد الالتئام في كل وزن من أوزان العروض، بل عدة أوزان من الفارسية . أما بالعربية فلا يوجد إلا في ثلاثة أوزان .

أحدها : « المتقارب » ، والزيادة فيه إما « فَعُولُنْ فَعُولُ » سالماً ومقبوضاً ، أو « فَعُولُنْ فَعَلْ » سالماً ومحذوفاً ، أو « فَعُولُ فَعُولُ » مقبوضين ، أو « فَعُولُ فَعَلْ » مقبوضاً ومحذوفاً .

وثانيها « ركض الخيل » والزيادة فيه إما « فَعَلُن فَعَلُن » بتحريك العين فيهما ، أو بسكونها فيهما ، أو بتحريك العين في أحدهما وسكونها في الآخر . وكلا البحرين من الدائرة الخامسة من العروض .

وثالثها : « الدُّبيبت » وهو في الأصل من مستخرجات العجم استخرجوه من « بحر النهرج » لا من « بحر الكامل » كما زعمه بعضهم . والنهرج عند الفرس ثمانية « مَفَاعِيلُن » يتركب الدُّبيت منه ومن بعض فروعه بعد الزحافات .

واخترع الحسن القطان من أهل خراسان لضبط أوزانه شجرتين ، إحداهما . شجرة الأخرب ، مشتملة على أربعة وعشرين وزناً ، ووجه تسميتها أن جزأها الأول « مَفْعُولُ » بضم اللام من « مفاعلن » بالخرب وهو حذف الميم والنون من « مفاعيلن » وأخراهما : شجرة الأخْرَم أيضاً مشتملة على أربعة وعشرين وزناً ، ووجه تسميتها أن جزأها الأول « مفعولن » من « مفاعيلن » بالخرم ، وهو حذف الميم فقط من « مفاعيلن » ويجوز الجمع بين بعض هذه الأفاعيل وبين بعض آخر في « دُبيت » واحد لا يخل به الوزن ، وأوصل بعضهم أوزانه بضرب بعضها في بعض إلى عشرة آلاف .

ثم الزيادة في مستزاد « الدوبيت » على قسمين ، القسم الأول : مافيه أول الجزأين أخْرَب وهو « مفعول » من «مفاعيلن » كما مر ، والثاني منهما إما « فعول » فيكون الجزءان « مفعول فعول » أو«فَعَلْ » فيكون الجزءان « مفعول فعل » . والقسم الثاني : ما فيه أول الجزأين أَخْرَمَ وهو « مفعول » من « مفاعيلن » كما سبق،والثاني منهما إما « فَاعِ » فيكون الجزءان « مفعولن فاع » أو « فع » فيكون الجزءان «مفعولن فع» والزحافات التي تقع في « مفاعيلن » وتتولد منه الأجزاء اللواتي في القسمين من الزيادة مذكورة في كتب العروض الفارسية في شرح الرباعي . ويجوز الجمع بين هذه الأفاعيل في الزيادات كما يجوز في الأبيات الأصلية . وعرّف صاحب (مناظر الإنشاء)(١) المستزاد بأن تستزاد بعد كل مصراع فقرة من النثر،وتبعته في (سبحة المرجان)(٢) ثم اختلج في خاطري أن النظم والنثر متضادان كيف يصح الاجتماع بينهما ، فاستخرجت الوزن للزيادة وعرفت المستزاد بالتعريف الذي تقدم .

وللمستزاد أحكام منها:أن لا يجوز قطع الكلمة بين المصاريع وبين الزيادات في أي محل كان ، فلا بد من أن يختم كل من المصراع والزيادة على تمام الكلمة لا على بعضها ، لأن كلاً من المصراع الأصلي والزيادة قطعة على حدة لااتصال بينهما إلا في المعنى .

ففي القسم الأول أربع قطع ، وفي القسم الثاني ثلاث قطع .

(١) كتاب بالفارسية لمحمود بن محمد الكهلاني المعروف بخواجه جهان ، انظر الكشف ١٨٣٣ .

(٢) لعلي آزاد المقدم ذكره وهو صاحب هذا البحث .

ومنها أن يأتي في العروض والجزء الثاني من زيادتها « فعولُ » في وزن « الدوبيت » كما يجوز في « المتقارب » المستزاد وغير المستزاد. وعلى هذا القياس « فاع » من غير أن يجعل الحرف الأخير منهما من المصراع الثاني كما يجعل منه أحياناً في غير المستزاد . وهذا الأمر يفهم من الحكم الأول أيضاً ، لكن بينته لزيادة التوضيح . ومنها : أن يجيء في رأس الزيادات ورأس الأعجاز همزة الوصل بالقطع من غير مضايقة ، لما مر من أن كلاً منهما قطعة على حدة .

ولما كان المستزاد من مخترعات شعراء العجم لزم لشعراء العرب أن يعملوا على ما قرره شعراء العجم من قواعدهم ، والأحسن أن تنسب القصيدة إلى الرَّوِيَّين ، رَوِيّ المصراع الأصلي ورويّ الزيادة . ويقال مثلاً للقصيدة الأولى من تغزلات هذا الديوان الألفية الهمزية. أما ترتيب الديوان على ترتيب حروف الهجـاء فمداره على رويّ الزيادة .

ولقد أكثر شعراء العرب النظم في وزن « الدوبيت » لعذوبته وسلاسته ، لكن ما نظم أحد منهم قصيدة في هذا البحر فضلاً أن ينظم المستزاد فيه . ورأيت في (ديوان الشيخ صفي الدين الحلي) موشحاً في وزن « الدوبيت » مشتملاً على الزيادة ، لكنه قسم آخر من الشعر ما هو على طريقة اخترتها . ولا شك في أن المستزاد طريقه صعب لما فيه من رعاية القافيتين وتحمل الداهيتين ،فأجريت الكميت في ميدان الدوبيت ، ونظمت فيه قصائد المستزاد ، وأسست أساساً جديداً على نهج السداد .

أما المستزاد في « المتقارب » و « ركض الخيل » فاستخرجته أنا

ولم يسبق إليه ذهن قبلي فهو أول بناء أسسته بالعربية . ثم شعراء الفرس نظموا المستزاد في « الدوبيت » وغيره قليلاً قليلاً ، لكن ما رتب أحد منهم ديواناً فيه ، فديواني أول ديوان رتب في المستزاد وأول صيد نشب في حبالة الصياد » انتهى كلامه .

وقال — رحمه الله — في أول كتابه (مظهر البركات) : « إن المزدوجة من أقسام الموزونات حق للسان الفارسي ، فإنها فيه طبيعية تأتي عفواً بلا تكلف ، وضعها شعراء الفرس لنظم القصص والأخبار وسموها « المثنوي » أما اللسان العربي فهي فيه غير طبيعية لا تأتي إلا بالتجشم . كما أن القصيدة في اللسان الهندي غير طبيعية ليس وجودها فيه أصلاً ، يعرف هذه المراتب من له معرفة تامة بهذه الألسنة . ولهذا ما نظم المزدوجة من شعراء العرب إلا أشخاص معدودة منهم الشيخ أبو يعلى محمد بن الهبارية العباسي نظم (الصادح والباغم) في « الرجز » أولها :

الحَمْدُ للهِ الذي حَبَاني
بالأصْغَرَيْنِ القَلْبِ واللّسانِ

وإنما فَضِيلَةُ الإنسانِ
وفخرُهُ بالعَقْلِ والتّبيَانِ

ومنهم الشيخ بهاء الدين العاملي نظم مزدوجة في « الوافر » سماها (رياض الأرواح) منها :

ألاَ يا خائِضاً بَحْرَ الأَمَاني
هَدَاكَ اللهُ مِنْ هَذَا التّواني

ونظم مزدوجة أخرى في «الرَّمَلِ» سماها (سوانح سفر الحجاز) منها :

يانَدِيمي ضَاعَ عُمْـري وانْقَضى

قُمْ لإِسْتِدراكِ وَقْتٍ قَدْ مَضَى

وما رأيت شاعراً عربياً نظم المزدوجة في « الخفيف » ، ونظمها فيه شعراء الفرس كثيراً ، وهو أوفق بالمزدوجة في اللسان العربي أيضاً . فاختلج في خاطري أن أنظم المزدوجة العربية في « الخفيف » فنظمت هذه المزدوجة وسميتها (مظهر البركات) .

ولشعراء الفرس « الرديف » وقد نظمت ديواناً مردَفاً رَوِيُّه على ترتيب حروف الهجاء ، لامتحان الطبيعة واختبار القريحة . ورأيت أن « الرديف » في المزدوجة العربية طبيعي يروق المسامع بخلاف القصائد العربية . بل « الرديف » في المزدوجة ربما يعين الطبع على أداء المقاصد ، ويخرجه عن مضيق القافية ، ويبين أن هذا من خصائص المزدوجة .

ولشعراء الفرس « الحاجب » وهو عبارة عن الرديف بين القافيتين ، ويسمى الشعر المشتمل عليه « محجوباً » ورأيت أن « الحاجب » أيضاً طبيعي في المزدوجة العربية تقبله الطباع بلا إكراه .

واعلم أن شعراء الفرس والهند دأبهم أن يختاروا لأنفسهم أسماء ويذكروها في أواخر منظوماتهم ليعلم بها من نظمها ويسمي شعراء الفرس هذا الاسم « التخلص » والسر في ذلك أن الاسم الأصلي للشاعر ربما لا تسعه الأوزان فيختارون اسماً مختصراً يسعه الوزن .

* * *

مَطلب :

في طبقات الشعراء

أعلم أن البلغاء طبقاتهم العلية

١ — الجاهلية الأولون

٢ — ثم المخضرمون(١)

٣ — ثم الإسلاميون

٤ — ثم المولدون

٥ — ثم المحدثون

٦ — والعصريون

فهذه الطبقات الست ثلاث منها حازوا قصب السبق في حلبة الرهان ، معرفة كلامهم فرض كفاية في الإسلام ، لأنه يستدل به على الكلام العربي الذي تستنبط منه أحكام الحلال والحرام . وألحق به بعضهم ما بعده كإثبات لطائف المعاني دون الألفاظ المحكمة المباني ،

(١) في هامش الأصل : « المخضرم : بفتح الراء من لم يختتن، والماضي نصف عمره في الجاهلية ونصفه في الإسلام أو من أدركهما أو شاعر أدركهما كلبيد ، وأسود أبوه أبيض. كذا في القاموس، وذكر له معاني أخرى غير ذلك » « سيد ذو الغفار أحمد تقوي بهوبالي سلمه الله تعالى » .

ومن حققه لم يكن منه على ثقة ، وإن في الشعر دقائق لم يكشف عنها الغطاء ، منها : أن أهل المعاني قالوا : إن التعقيد المعنوي واللفظي ينافي الفصاحة ، فقال بعض المتأخرين : إن الألغاظ كلها غير فصيحة لما فيها من التعقيد المعنوي ، وليس كما قال لأن أبا هلال العسكري(١) قال في (كتاب الصناعتين) : « إنها فصيحة وإن التعقيد إنما يكره إذا لم يقصد . فإن قصد فهو فصيح » . ومما يؤيده أن الإسنوي(٢) قال في كتابه (طراز المحافل): « إن من السنة أن يلقي الألغاز على من في مجلسه لتشحيذ الأذهان ؛ لما رواه البخاري عن ابن عمر من حديث النخلة . قال أبو هلال : ومنه نوع بديع سميته شبه الإلغاز وهو أن يوصف شيء بصفات تساق على نهج اللغز وليس المقصود الإلغاز» انتهى .

وإن معجزة كل نبي على وفق زمانه وقومه . ولما كان أشرف الخلق العرب ، وأعظم ماعندهم الشجاعة والفصاحة والكرم ، كان أعظم معجزات نبينا –صلى الله عليه وسلم– القرآن المعجز بفصاحته وبلاغته .ولما كان خاتم الرسل ولا نبي بعده جعل له معجزة باقية إلى القيامة لاتزال تتلى ، وجديدة على كثرة الترداد لاتخلق ولاتبلى .

* * *

وبلغاء العرب في الشعر والخطب على ست طبقات .

١ – الجاهلية الأولى من قوم عاد وقحطان .

---

(١) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، عالم بالأدب وله شعر ، له مصنفات كثيرة ، توفي بعد سنة ٣٩٥ هـ = ١٠٠٥ م .

(٢) هو عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي ، جمال الدين ، فقيه أصولي من علماء العربية وله في ذلك مؤلفات كثيرة : ٧٠٤ – ٧٧٢ هـ = ١٣٠٥ – ١٣٧٠ م .

٢ — والمخضرمون : وهم من أدرك الجاهلية والإسلام .

٣ — والإسلاميون .

٤ — والمولدون .

٥ — والمحدثون .

٦ — والمتأخرون ومن ألحق بهم من العصريين .

والثلاث الأول هم ماهم في البلاغة والجزالة ، ومعرفة شعرهم رواية ودراية عند فقهاء الإسلام فرض كفاية ، لأنه به تثبت قواعد العربية التي بها يعلم الكتاب والسنة،المتوقف على معرفتهماالأحكام التي يتميز بها الحلال والحرام ، وكلامهم وإن جاز فيه الخطأ في المعاني لايجوز فيه الخطأ في الألفاظ وتركيب المعاني . إذا عرفت هذا فاعلم أن الطبقات الثلاث الأول جمعوا أشعارهم في كتب كثيرة غير الدواوين (كالحماسة) و (المفضليات) و (أشعار هذيل) وغيرها من الكتب المفيدة.ثم أورد الشهاب الخفاجي(١) بعد ذكر هذا من نثرهم ونظمهم جملة صالحة في كتابه (ريحانة الألباء) وذكر كلام المولّدين وبعض شعراء الجاهلية ثم قال : « إن المتأخرين وأن تأخر زمانهم عن المتقدمين فقد زاحموهم بالرُّكَب ، وكادوا أن يرقوا إلى أعلى الرتب ، لاسيما شعراء المغرب ، فقد أتوا بمعان بديعة ، وارتقوا إلى مرتبة رفيعة ، كيزيد بن خالد الإشبيلي له في وصف السُّفُن معان لم يسبق إليها . ومن شعرائهم ابن خفاجة ، وقال الأدباء: بُدِئَ الشعر

(١) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري ، قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة : ٩٧٧ — ١٠٦٩ هـ = ١٥٦٩ — ١٦٥٩ م .

بملِكٍ وختم بملِكٍ . والأول : امرؤ القيس ، فإنه أول من هَلْهَل الشعر وهذَّبهُ ونسج نسيبه ورتبه . والثاني : ابن المعتز ، فإنه ممن أوتي جوامع الكلم نظماً ونثراً وإنشاءً وشعراً . والعامة تقول : كلام الملوك ملوك الكلام ، وقيل أبو فراس ، والأول أقرب إلى القياس . ولما بلغ عبدَ الملك أن الحجّاجَ لايراعي الشعراء نقم ذلك عليه وكتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك إلى الحجّاج بن يوسف ،أما بعد : فقد بلغني عنك أمر كذب فراستي فيك ، وأخلف ظني بك ، من إعراضك عن الشعر والشعراء ، فكأنك لاتعرف فضيلة الشعروالشعراء ومواقع سهامهم ،أو ما علمت ياأخا ثقيف أن بقاء الشعر بقاء الذِّكْرِ ونماء الفخر ، وأن الشعر طرازُ المُلْكِ ، وحلي الدولة ، وعنوان النعم ، وتمام المجد ، ودلائل الكرم ، وأنهم يحضون على الأفعال الجميلة وينهون عن الأخلاق الذميمة ، وأنهم سنوا سبل المكارم لطلابها ،ودلوا العفاة على أبوابها ، وأن الإحسان إليهم كَرَم والإعراض عنهم لُؤم وندم ، فاستدركْ فرط تفريطك ، وامح بصوابك وحي أغاليطك والسلام » .

وبهذا علمت وقع الشعراء عند الملوك ، وأنه سبيل إلى المكارم مسلوك ، وأن الشعراء قافلة تحمل الذكر الجميل ، وأن بضائعهم نافقة عند الكرام كاسدة عند اللئام . والسلطان سوق تجاب لها الرغائب وتجبى لها محامد تمتلئْ بها الحقائب ». انتهى المقصود منه بالتلخيص .

* * *

مَطلب

في مدح المنظوم من الكلام والحمائل المنوطة بعَواتق الأقلام

روى الترمذي عن جابر بن سمرة قال : « جالست النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– أكثر من مئة مرة ، وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما يتبسم معهم » .

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت : «كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يضع لحسّان بن ثابت منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وروى مسلم عن عائشة قالت : «سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم – يقول : هجاهم حسان فشفى واستشفى » .

وقال السيوطي في (الخصائص الكبرى) : « أخرج البيهقي من طريق يَعْلى بن الأشْدَق قال : سمعت النابغة نابغة بني جعدة يقول : أنشدت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هذا الشعر فأعجبه فقال : «أجدت لايفضض الله فاك». فلقد رأيته ولقد أتى عليه نيف ومئة سنة ومإذهب لهسن. ثم أخرجه البيهقي من وجه آخر عن النابغة. وأخرجه ابن أبي أسامة من وجه آخر عنه وفيه : فكان من أحسن الناس ثغراً فكان إذا سقط له سن نبت له . وأخرجه ابن السّكَن من وجه آخر عنه وفيه : فرأيت أسنان النابغة أبيض من البَرَد لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

وقال الشيخ محمد حياة السندي المدني في (رسالة الأحاديث المسلسلة) عن نابغة بني جعدة الشاعر : « لقيت النبي -صلى الله عليه وآله وسلم - وأنشدته قصيدتي التي أقول فيها :

بَلَغْنا السَّماءَ السَّبْعَ مَجْداً وَسُؤْدداً
وإنّا لَنَرْجُو فَوقَ ذلكَ مَظْهرا

فقال: أين ياأبا ليلى ؟ قلت : إلى الجنة يارسول الله . قال : إلى الجنة إن شاء الله تعالى .

وقال كعب بن زهير رضي الله عنه :

جاءَ السَّخينة كي تُغالِبَ رَبَّها
وليغلِبنَّ مغالِبَ الغُلاّب

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد مدحك الله ياكعب في قولك هذا ؛ وفي رواية أن الله لم ينس ذلك لك » .

وعقد البيهقي في (الدلائل) باباً مستقلاً في الشعر وقال : « باب اختياره -صلى الله عليه وسلم- الشعر » . وذكر حديثاً طويلاً عن جابر رضي الله عنه ، وحاصل الحديث أنه « جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : يارسول الله ، يريد أبي أن يأخذ مالي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائت بأبيك عندي . فلما جاء أبوه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول ابنك أنت تأخذ ماله . قال : سَلْه يارسول الله لامصرف لماله إلا عماته وقراباته أمّا أصرفه على نفسي وعيالي ؟ فنزل جبريل -عليه السلام- وقال: يارسول الله. قال

هذا الشيخ في نفسه شعراً ماوصل إلى أذنه .فسأل رسول الله– صلى الله عليه وسلم – : هل قلت في نفسك شعراً ؟ فاعترف الشيخ وقال : لايزال يزيدنا الله تعالى بك بصيرة ويقينا،وعرض سبعة أبيات نظمها في نفسه وهي :

غَذَوْتُكَ مَوْلُوداً وصُنْتُكَ يافعاً
تَعلُّ بما أجْني عَلَيْكَ وتَنْهَلُ

إذا لَيْلَةٌ ضاقَتْ بكَ السُّقم لمْأبتْ
لسُقْمِكَ إلا ساهراً أتَمَلْمَلُ

تخافُ الرَّدى نَفْسي عَلَيْك وإنّها
لتعْلَمُ أنَّ الموتَ حَتْمٌ مُوَكّلُ

كأنّي أنَا المطْروقُ دونَكَ بالذي
طرَقْتَ به دُوني فَعَيْني تَهْمِلُ

فلّما بلغتَ السِّنّ والغايةَ التي
أتَتْكَ مَرَاماً فيه كنتُ أؤملُ

جَعَلْتَ جزائي غِلْظَةً وفَظاظَةً
كأنّك أنتَ المنعِمُ المتَفَضِّلُ

فليتَك إذ لم تَرْعَ حَقَّ أبوّتي
فعَلْتَ كما الجارُ المُجاورُ يَفْعلُ

قال جابر :فبكى رسول الله–صلى الله عليه وآله وسلم–ثم أخذ

تلبيب ابنه وقال له : اذهب فأنت ومالك لأبيك » انتهى . وقد ثبت تصرف الأب في مال الابن قدر الضرورة بهذا الحديث .

قال الشيخ بهاء الدين العاملي في بعض مؤلفاته : « روي عن قيس ابن عاصم قال : وفدت مع جماعة من بني تميم على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدخلت عليه وعنده الصلصال بن الدلهمس ، فقلت : يانبي الله ، عظنا موعظة ننتفع بها فإنا قوم نغير في البرية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياقيس إن مع العز ذلاً ، وإن مع الحياة موتاً ، وإن مع الدنيا آخرة ، وإن لكل شيء رقيبا ، وعلى كل شيء حسيباً ، وإن لكل أجل كتاباً ، وإنه لابد لك ياقيس من قرين يدفن معك وهو حي ، وتدفن معه وهو ميت ، فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيماً أسلمك ، ثم لاتحشر إلا معه ، ولاتسأل إلا عنه ، فلا تجعله إلا صالحاً ، فإنه إن صلح أنست به وإن فسد لاتستوحش إلا منه وهو فعلك ».
فقال : يانبي الله ، أحب أن يكون هذا الكلام في أبيات من الشعر نفخر به على من يلينا من العرب وندخره . فأمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من يأتيه بحسّان فاستبان لي القول قبل مجيء حسان ، فقلت : يارسول الله قد حضرني أبيات أحسبها توافق ماتريد فقلت :

تَخَيَّرْ خَلِيطاً من فَعالكَ إنّما
قَرِينُ الفَتَى في القَبْرِ ماكانَ يَفْعَلُ
ولا بدَّ بعْدَ الموتِ مِنْ أنْ تُعِدَّه
ليَومٍ ينادي المرء فيه فيُقْبلُ
فإن تكُ مشغولاً بشيء فلا تكُنْ
بغيرِ الذي يرضى به الله تَشْغلُ

فَلَنْ يصحبَ الإنسانَ منْ بعدِ موْتِه
ومِنْ قَبْلِهِ إلا الذي كانَ يَعْمَلُ

أقول : روى البخاري عن أُبيّ بن كعب : قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: « إن من الشعر حكمة » .ولا يخفى على حكماء الكلام ، والماهرين بسرائر الأقلام أن بعض الشعر وهو الذي كان شموداً شرعاً مندرج في مفهوم الحكمة ، لأن مفهوم الشعر أخص من وجه من مفهوم الحكمة ، والمقصود من هذا الكلام بيان فضيلة الشعر.فينبغي أن يقع الشعر مخبراً عنه ، ويكون مقدماً في الذكر . وحق العبارة أن يقال : بعض الشعر حكمة ، ولكن قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من الشعر حكمة » فأبقى التقدم اللفظي على أصله للاهتمام بشأن الشعر وإفادة الحصر وقلب الأسلوب المعنوي ، وجعل الحكمة مخبراً عنه للمبالغة في مدح الشعر ، أي ماهية الحكمة بعض الشعر ، فلزم أن يكون أفراد الحكمة بأسرها بعض الشعر ومندرجة تحته ، فإن اندراج الماهية مستلزم لاندراج جميع الأفراد . وقصد –صلى الله عليه وسلم– من إفادة الحصر بتقديم الخبر وإيراد الكلام على أسلوب التأكيد مبالغة ، فيكون معنى الكلام الأقدس : إنما الحكمة بعض الشعر .ولله لطف ماأودعه صاحب جوامع الكلم–صلى الله عليه وسلم– كلامه وهو أن المبالغة لها مناسبة بالشعر ، فراعى – صلى الله عليه وسلم–هذه المناسبة الشعرية في كلام أورده في مدح الشعر ، وأفاد سنداً كاملاً لجواز المبالغة إذا اقتضت مصلحة دينية . ومثله قوله –صلى الله عليه وسلم–: « إن من البيان لسحراً » قال الطيبي (١) في

(١) هو شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي ، من علماء الحديث والتفسير والبيان ، من كتبه في ذلك (التبيان في المعاني والبيان) توفي سنة ٧٤٣ هـ = ١٣٤٢ م .

(تبيانه) : « من : للتبعيض ، والكلام فيه تشبيه ، وحقه أن يقال : إن بعض البيان كالسحر ، فقلب وجعل الخبر مبتدأ مبالغة في جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً ،ووجه التشبيه يتغير بتغير إرادة المدح والذم » انتهى .

يعني أن السحر له وجهان : المدح والذم ، ووجه تشبيه البيان به ههنا الأول.قال المحقق الشريف(١) في (حواشي الكشاف) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وبِاليَوْمِ الآخِرِ ومَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فإن قيل : لافائدة في الإخبار بأن من يقول كذا وكذا من الناس ، أجيب بأن فائدته التنبيه على أن الصفات المذكورة تنافي الإنسانية ، فينبغي أن يجهل كون المتصف بها من الناس ويتعجب منه . ورُدّ بأن مثل هذا التركيب قد يأتي في مواضع لا يتأتّى فيها مثل هذا الاعتبار ، ولا يقصد منها إلا الإخبار بأن من هذا الجنس طائفة متصفة بكذا كقوله تعالى:﴿مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجالٌ﴾ فالأولى أن يجعل مضمون الجارّ والمجرور مبتدأ على معنى ،وبعض الناس أو بعض منهم من اتصف بما ذكر،فيكون مناط الفائدة تلك الأوصاف.ولا استبعاد في وقوع الظرف بتأويل معناه مبتدأ » انتهى.كلامه .

وروى ابن ماجة : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها ».وقال صاحب (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجة) قوله : ضالة المؤمن ، أي مطلوبة له أشد مايتصور من الطلب ، فاللائق بحال المؤمن أن يطلبها كما يطلب المرء ضالته.فهذا الكلام

---

(١) الجرجاني سبقت ترجمته في ص ١١ .

بطريق الإرشاد والتعليم لا الإخبار ، إذ كم من مؤمن ليس له طلب أصلاً . أو بطريق الإخبار بحمل المؤمن على الكامل قوله : « حيثما وجدها » أي ينبغي أن يكون نظر المؤمن إلى المقول لا القائل . وهذا كما قيل : انظر إلى ماقال ولا تنظر إلى من قال ».انتهى.

و«الكلمة الحكمة » شاملة للنظم والنثر لعموم اللفظ ، ويؤيد الأول قوله–صلى الله عليه وسلم– «إن من الشعر حكمة» ومن العجائب أن الكلمة تطلق على القصيدة كما قال الجوهري وغيره . وإذا تمهد هذا فأقول : لو قطع النظر عن المبالغة في الحديث ، وأخذ أصل المعنى أعني : بعض الشعر حكمة ، يحصل من انضمامه بالحديث الثاني الشكل الأول من الأشكال المنطقية ، أعني : بعض الشعر كلمة والكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فبعض الشعر ضالة المؤمن . وإنما زدتُ لفظ « الكلمة » في الصغرى ، لأن الشعر حكمة قولية .

وقد ثبت بهذه النتيجة الصحيحة طلب النتائج من الشعراء التي تكون موافقة بالشريعة الغرّاء،والدليل القاطع والبرهان الساطع على إثبات النتيجة مارواه مسلم عن عمرو بن الشّريد عن أبيه قال: « ردفت رسول الله–صلى الله عليه وسلم–يوماً فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء ؟ قلت : نعم . قال: هيه . فأنشدته بيتاً ، فقال : هيه . ثم أنشدته بيتاً ، فقال : هيه . حتى أنشدته مئة بيت » . ويستفاد من هذا الحديث طلب الشعر المحمود الذي هو نتيجة الشكل ، واستحباب الزيادة في الطلب ، واستحباب الإنشاد ، واستحباب الطلب حيثما وجد ، فإن أمية بن أبي الصلت مات كافراً ، وقد قال – صلى الله عليه وسلم–فيه: « آمن لسانهُ وكفر قلبه » . وتحقق من ههنا أن من طلب

الشعر المحمود أتى بالعمل المستحب ، ومن أنكر تركه ، كيف لا وقد روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه « أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دخل مكّةَ في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول :

خَلُّوا بني الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ
اليَوْمَ نَضْرِبُكُمْ على تَنْزِيلِهِ

ضَرباً يُزِيلُ الهامَ عن مَقِيلِهِ
ويذهلُ الخليلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فقال له عمر : يا بن رواحة ، بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفي حرم الله تقول شعراً ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « خلِّ عنهُ ياعُمر ، فهي أسرع فيهم من نضح النبل ». وروى البخاري عن سعيد بن المُسَيَّب قال : « مر عمر في المسجد وحَسّان يُنْشِدُ ، فأنكر عليه عمر ، فقال : كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك . ثم التفت إلى أبي هريرة فقال : أنشدك بالله أسمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : أجب عني ، اللهم أيِّدْه بروح القدس ؟ قال : نعم. وفيه منع الإنكار عن الشعر وجواز الإنشاد في المسجد ، قال القسطلاني : « هذه المقالة منه -صلى الله عليه وسلم- دالة على أن للشعر حقاً يتأهل صاحبه لأن يؤيد في النطق به بجبرائيل عليه السلام ، وما هذا شأنه يجوز قوله في المسجد قطعاً .

وروي عن ابن سيرين أنه أُنْشِد شعراً فقال له بعض جلسائه : مثلك ينشدُ الشعرَ ياأبا بكر ؟ فقال : ويلك يالُكَع ، وهل الشعر إلا كلام لايخالف سائر الكلام إلا في القوافي ، فَحَسَنُهُ حسن وقبيحه قبيح .

وروى الدارقطني عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: ذكر عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الشعر، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «هو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح».

والمقصد أن الشعر ليس في نفسه مذموماً، بل الحُسْن والقبح راجعان إلى المفهوم، فالمفهوم إذا كان قبيحاً فالمنثور والمنظوم من القول سواء. ومعنى القبيح أن يكون فيه فحش أو أذى لمسلم أو كذب، والكذب الممنوع في الشعر ماكان مضراً بأمر ديني، لا الكذب الذي أتي به لتحسين الشعر فقط فإنه مأذون فيه وإن استغرق الحدّ وتجاوز المعتاد، ألا ترى قصيدة كعب بن زهير – رضي الله عنه – فإنه تَغَزَّل فيها بسعاد، وأتى من الإغراقات والاستعارات والتشبيهات بكل بديع، لاسيما تشبيه الرضاب بالشراب في قوله:

تَجْلُو عَوَارِضَ ذا ظَلْمٍ إذا ابتَسَمَتْ
كأنّها مَنْهَلٌ بالرَّاح مَعْلولُ

والنبي – صلى الله عليه وسلم – سمعه وماأنكر، بل صارت هذه القصيدة أحسن الوسائل إلى الشفاعة، وأوثق الذرائع إلى الإغماض عن الشناعة، وفازت بحسن القبول من جنابه، وجازى قائلها بعطية من جِلْبابه. ولله در أبي إسحاق الغزي حيث قال:

جُحُود فَضِيلَةِ الشعَراءِ غَيٌّ
وتَفْخيمُ المديح مِنَ الرَّشادِ
مَحَتْ بانَتْ سُعادُ ذنوبَ كَعْبٍ
وأعْلَتْ كعْبَه في كلِّ نادي

وَمَا افتَقَرَ النبيُّ إلى قَصيدٍ
مُشَبَّبةٍ ببَيْنٍ مِنْ سُعادِ

ولكنْ مَنَّ إسداءِ الأَيادي
وكانَ إلى المَكارِمِ خيرَ هادِ

وقد قالوا : فضل هذه القصيدة على القصائد الأُخَر الموشّحة بمدحه –صلى الله عليه وسلم– كفضل الصحابة على التابعين ومن بعدهم هذا وقد شبه واصفه –صلى الله عليه وسلم– عنقه المقدس بجيد دمية وما أنكره أحد من السلف والخلف .

وقال القفّال والصيدلاني قولاً صدقاً وهو أن الشعر كذبه ليس بكذب لأن قصد الكاذب تحقيق قوله ، وقصد الشاعر تحسين كلامه فقط .

وبما حررناه ثبت جواز التخييلات الكلامية ، والتوسع في المضامير الأقلامية . وتحقق أن الإنكار من الشعر المحمود هو بترك المستحب ، وأنلا تسمع لومة لائم في ما عمل به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وكبار الصحابة والتابعون وأهل العلم وموضع القدوة رضي الله عنهم .

وقد ورد النهي عن سب الشعراء ، روى البخاري عن عروة بن الزبير قال : « ذهبت أسُبُّ حساناً عند عائشة ، فقالت : لا تسبه ، فإنه كان ينافح عن النبي –صلى الله عليه وسلم– » .ولا شك أن من أنشأ أو أنشد الشعر المحمود فهو تلو المنافحين حيث يريح المؤمنين بالحكم اليمانية ، ويدافع عنهم ما يُملُّهم من العوارض النفسانية .ويعضده ماروي عن ابن عباس أنه كان إذا فرغ من درس التفسير والحديث يقول لتلامذته : « أحمضوا » ، ويأمرهم بالأخذ في ملح الكلام خوفاً

عليهم من الملال . والإحماض أصله من الحَمْض وهو ما ملح ومرّ من النبات ، ومقابله الخلّة وهو ما كان حلواً ، تقول العرب : « الخلة خبز الإبل والحمض فاكهتها ».لأنها إذا ملّت من الخلة مالت إلى الحمض. ومنه قولهم للرجل إذا جاء متهدداً : « أنت مختل فتحمّض » .

وأما قوله تعالى : ﴿ والشعَرَاءُ يتبعُهم الغَاوُون ﴾ : فهو في الشعراء المشركين .ويستفاد من الآية أن علة الذمّ الهَيَمان في كل واد من الكذب والباطل ، وبهذا الاعتبار الشعر مذموم ، وكل ما ورد من ذمه في القرآن والحديث فهو راجع إلى هذا الاعتبار . وهو ممدوح باعتبار اشتماله على الحكم ، ولذا ميز الله سبحانه الشعراء المؤمنين عن هؤلاء المشركين بالاستثناء ، وأرشد النبي –صلى الله عليه وسلم – إلى ذلك بقوله : « إن من الشعر حكمة » وأما قوله تعالى ﴿وما علّمْناه الشِّعْرَ وما ينْبغِي له﴾ فهو رد على الكفار القائلين بأنه –صلى الله عليه وسلم– شاعر. ولا يخفى أن القرآن ليس من جنس الشعر ، ولا يقول به من له أدنى تمييز ، لأن الشعر يكون مقفى موزونا ، وليس القرآن كذلك . ويمكن أن يكون قولهم مبنياً على أن الشاعر يراعي الوزن والقافية في الكلام ، فالذي يكون قادراً على الشعر سَهْلٌ له أن ينشيء الكلام بلا مراعاة الوزن والقافية ، فما يأتي به هو ناشيء عن سليقته ، لا كما يدعي أنه منزّل من السماء ، فرد الله سبحانه عليهم وقال : ﴿وما علّمْناه الشِّعْر﴾ لأن أكثره خيالات لا حقيقة لها ، وتغزلات بالنساء والأمارد ، وافتخارات باطلة ، ومدائح من لا يستحق.إلى غير ذلك . والقرآن ليس على هذا الأسلوب ، ثم أيّده بقوله تعالى : ﴿وما ينْبَغي له﴾ أي لا يليق بشأنه ، لأن الشعر قلما يخلو عن الأمور المذكورة . وقد امتحنتموه –صلى الله عليه

وسلم – نحواً من أربعين سنة فما وجدتم من أقواله وأفعاله وأحواله ما يناسب شيئاً منها . ولا يخفى أن في قوله تعالى : ﴿وما يَنْبَغي له﴾ إشعاراً بأن النبي –صلى الله عليه وسلم– كانقادراً على الشعر ولم يقله بناء على أنه ما كان ينبغي له ، فإنه سبحانه نفى الانبغاء دون القدرة عليه ؛ ثم أيده بقوله تعالى ﴿إنْ هوَ إلا ذِكْرٌ وقُرْآنٌ مُبِين﴾ أي كتاب سماوي ظاهر أنه ليس من كلام البشر لمافيه من الإعجاز .

وقد تبين من هذا أن في الآية تنزيه النبي –صلى اللهعليه وسلم– عن أن يُملي القرآن بسليقته كما هو شأن الشعراء حيث يُملون الكلام الموزون بسلائقهم ، وإذا أمعنت النظر لا تجد فيه ذماً للشعر ، بل تجد مدحاً عظيماً . وليت شعري أي شيء يستدعي إلى ذم الشعر مطلقاً، فإن الحُسْنَ والقبح راجعان إلى المعنى كما تقدم ، وإذا كان المعنى حسناً فالمنظوم أزيد حسناً وجمالاً من المنثور ، وأنفع للمتكلم في ما قصده من إيقاع المعاني في نفس المخاطب ، وللمخاطب في التوجه إليه بالرغبة . ولقد أجاد البوصيري حيث قال :

فالدر يَزْدادُ حُسْناً وهْو مُنْتَظِمٌ
وليْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غيْرَ مُنْتظِمِ

وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يتمثل بقول طرفة وهو :

. . . . ويأتيكَ بالأخْبَار مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

ويقول : أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد

ألا كُل شيء ما خَلاَ اللهَ باطلُ . . . .

وروي أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال لعائشة رضي اللهعنها:

« أهديتم الفتاة إلى بعلها ؟ قالت : نعم .قال : فبعثتم معها من يغني ؟قالت : ولم نفعل ؟ قال : أو ما علمتم أن الأنصار قوم يعجبهم الغَزَل ، ألا بعثتم معها من يقول :

أتَينا كُمْ أتَينا كُمْ ... فحيونا نحييكم
ولولا الحنطةُ السمرا ... ءُ لم نحْلُلْ بوادِيكمْ

وقد ورد في الصحيح أنه قال — صلى الله عليه وسلم — يوم الخندق :

بسمِ اللهِ وبِه هُدِينا ... ولَوْعَبَدْنا غَيْره شَقينا
اللهم لولا أنْتَ ما اهْتَدينَا ... ولا تَصَدَّقْنا وَلا صَلّينا
فأنزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنا ... وثَبِّتِ الأقْدامَ إنْ لا قَيْنا
إن الأولى قَدْ بَغَوْا عَلَينا ... إذا أرَادُوا فِتْنَةً أبَيْنا

ويرفع صوته : أبينا أبينا ، بالموحدة ، وفي رواية : أتينا ، بالمثناة الفوقية .

واختلف العلماء في صدور الشعر منه — صلى الله عليه وسلم — ونقل المثبتون أشياء منها قوله — صلى الله عليه وسلم — حين كان يبني مسجده — صلى الله عليه وسلم — :

هذا الحِمَالُ لا حِمالَ خيبَرْ ... هذا أبَر ربنّا وأطْهَرْ

وكان الزهري يقول : لم يقل — صلى الله عليه وسلم — شيئاً من الشعر إلا قد قيل قبله إلا هذا . وقد ألف السيد محمد البرزنجي المدني(١) رسالة

---

(١) هو محمد شريف البرزنجي المدني الشافعي ، كان حياً سنة ١١٣٤ هـ = ١٧٢٢ م .

في إثبات الكتابة والقراءة والشعر له – صلى الله عليه وسلم – يقول فيها: « لا شك أن الشعر إذا كان حكمة أخبر عنه – صلى الله عليه وسلم – : « إن من الشعر لحكمة ». كمال ، ولا ينبغي أن يخلو – صلى الله عليه وسلم – عن كمال ما ، لأنه النسخة الكاملة الجامعة لجميع صفات الكمالات الإنسانية بل والملكية ، وإيقاع النفس والتهمة بالنظر إلى القرآن إنما يرد بالنسبة إلى ما قبل نزول الوحي وثبوت النبوة ، أما بعده فلا كما قيل في الكتابة والقراءة . وكل ما صدر عنه من النطق بالشعر فإنما هو بعد النبوة ، ولم يقل أحد قط أنه – صلى الله عليه وسلم – ينظم الشعر أو يرويه أو يجالس الشعراء قبلها . وأما بعد النبوة فقد نطق به ورواه واستنشده الصحابة وأُنشِدَت القصائد بحضرته وأصلح من كلامهم كما أصلح من قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه قوله :

من سُيُوفِ الهندِ

وأبدله بسيوف الله

فلا إخلال بنبوته ولا تهمة في معجزته بل هو معجزة أخرى وكمال آخر فلا مانع من تجويزه ». انتهى كلامه . وتمام البيت الذي أصلحه – صلى الله عليه وسلم – هكذا :

إنَّ الرَّسُولَ لَنُور يُسْتَضَاءُ بِـهِ
مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

أقول : لعل وجه إصلاحه – صلى الله عليه وسلم – أن لا يقع

لفظ مستدرك في الكلام ، فإن المهند على ما قال الجوهري(١) : « السيف المطبوع من حديد الهند »

هذا ما سنح لي في فضيلة الشعر المحمود وشرف هذا الكوكب المسعود .

ثم أول من قدر جواهر المنطق بالميزان ، ونظم اللآلي الخاصة بخزينة الإنسان صفي الله آدم عليه السلام ، فالشعر المتولد منه آدَمُ الأشعار ، والجد الأعلى لنتائج الأفكار . وأسنده ابن الأثير وغيره من الجم الغفير إلى آدم عليه السلام ، وأنكر جمع كثير من المحققين . وقال آخرون : رثى آدم هابيل بالسريانية فلما وصل إلى يعرب بن قحطان ترجمها بالعربية . واختلف في قضية هابيل أين وقعت ، فمنهم من ذهب إلى أنها وقعت بالهند على جبل نود الذي نزل عليه آدم عليه السلام من السماء ، وقيل بمكة . ثم الروايات تعاضدت في أن آدم نزل بالهند من السماء وتوطن بعد ذلك بهذه الغبراء ، وقد فصلته في رسالتي (شمامة العنبر فيما ورد في الهند من سيد البشر) وقد توارث أولاد آدم الشاعرية منهم من سكن الهند . ولما أظلت ألوية الإسلام على هذا السواد ، وألقى الإسلاميون رحالهم في هذه البلاد ، وتكلموا بلسانها وترنموا بألحانها ، وسمعوا كلام مصاقعها وعرفوا بيان سواجعها ، وقفوا على أنهم بذلوا غاية الجهد في إبداع المعاني وصرفوا هممهم إلى أقصى حدود الطاقة البشرية في تأسيس المباني .

ثم اعلم أن الجَوَلان في سوح الأدب حق للأئمة الفصحاء من العرب ،

---

(١) في الصحاح .

فإنهم صعدوا في قمم أطواده ، وبلغوا قصارى أنجاده . ولعمري إن أزهار الفصاحة باسمة بنسائمهم ، وأرجاء البلاغة فائحة بشمائمهم ، جزاهم الله عنا أوفى الأجزية وذكرهم في مجامع القدس بأحسن الأثنية .

ولما ألّف الإسلام بين الأمم ، ووقعت مخالطة العرب والعجم ، وجلس الخلفاء في بغداد ، وأمّتْهم الخلائق من شواسع البلاد اكتسب العجم فن الفصاحة من العرب العرباء ، وتجاوبوا على سننهم في هذه الدوحة العلياء، لا سيما من كان قريباً من دار الخلافة ، وجاراً متصلاً بمركز الشراخة كما تشهد به (يتيمة الدهر) للثعالبي و (دمية القصر) للباخرزي وغيرهما .

وأما الهند ففتح في عهد الوليد بن عبد الملك على يد محمد بن قاسم الثقفي سنة اثنتين وتسعين الهجرية ، وبلغت راياته المظلة على الفوج من حدود السند إلى أقصى قنوج سنة خمس وتسعين.وبعد ما عاد عاد ولاة الهند إلى أمكنتهم ، وبقي الحكام من الخلفاء المروانية والعباسيةببلاد السند. وفي عهد العباسية كان أبو حفص ربيع بن صبيح السعدي البصري من أتباع التابعين وأعيان المحدثين بالسند وهو أول من صنف في الإسلام ، قال صاحب (المغني) : « مات بأرض السند سنة ستين ومئة . وقصد السلطان محمود الغزنوي أواخر المئة الرابعة غزو الهند ، وأتى مراراً وغلب وأخذ الغنائم ، وانتزع السند من الحكام الذين كانوا من القادر بالله بن المقتدر العباسي . ولكن السلطان محمود ما أقام بمملكة الهند ، وكان أولاده متصرفين من غزنين إلى لاهور ، حتّى استولى السلطان معز الدين سام الغوري على غزنين وأتى لاهور وقبض على خسروملك خَتْم الملوك الغزنوية ، وضبط الهند وجعل دهلي دار الملك سنة تسع وثمانين

وخمسمئة ، ومن هذا التاريخ إلى الآن ممالك الهند في يد السلاطين الإسلامية .

ولما انتشر الإسلام في هذه البلاد ، وطلعت شموسه على الأغوار والأنجاد ظهر جمع من الأدباء الإسلامية ، ونثروا على بسط الأزمنة لآلىء من السحب الأقلامية،وليست كتب القوم حاضرة عندي في حال التحرير حتى أجلو عرائس تراجمهم على منصة التقرير ».انتهى المراد من (تسلية الفؤاد)(١)

ومن أدباء الهند القاضي عبد المقتدر بن ركن الدين الشريحي الكندي الدهلوي المتوفى سنة إحدى وتسعين وسبعمئة، له قصيدة لامية مشهورة مطلعها :

يا سَائِقَ الظَعْنِ في الأَسْحَارِ والأُصُلِ
سَلِّمْ على دَارِ سَلْمى وابكِ ثُمَّ سَلِ

ومنهم الشيخ أحمد التهانيسري ،وله رحمه الله تعالى قصيدة دالية مطلعها :

أَطَارَ لُبِّي حَنِينُ الطائرِ الغَرِدِ
وهاجَ لوعَةَ قَلْبِي التائِهِ الكَمِدِ

ومنهم السيد غلام علي بن السيد نوح البلكرامي المتخلص بآزاد ، له سبعة دواوين ، والقصيدة في وصف أعضاء المعشوقة من الرأس إلى

(١) كتاب مؤلفه غلام علي الآتي ذكره بعد قليل،انظر ما كتب عنه الدكتور جميل أحمد في كتابه (حركة التأليف باللغة العربية في الاقليم الشمالي الهندي) ص ١٣٠ وما بعدها .

القدم سماها (مرآة الجمال) وشرحها شرحاً لطيفاً ، منها ديوان مردف ، وديوان مستزاد ، وديوان مرجع ، والترجيع نوع من الشعر أنشأه في نهاية الرقة ، ولم ينظم الترجيع العربي قباه أحد من الشعراء ، وسمى الدواوين السبعة (بالسبعة السيارة) ، ونظم الدفاتر السبعة المسماة بـ(مظهر البركات) مزدوجة في بحر الخفيف في غاية السلاسة والعذوبة،ولم ينظم أحد قبله مزدوجة عربية في هذا البحر ، ولم يتفق لأحد من شعراء العرب والمقلدين لهم من شعراء العجم مزدوجة على هذه الكيفية . ونظم الدفتر السابع في سنة ١١٩٣ هـ ومات رحمه الله في سنة ١٢٠٠ الهجرية ، وله تصانيف كثيرة في العربية والفارسية كما سيأتي تفصيلها في ترجمته إن شاء الله تعالى .

وجملة أشعاره المنظومة في المذكورات أحد عشر ألفاً ، وما سُمع قط من أهل الهند من يكون له ديوان عربي أو شعر عربي على هذه الحالة، وهو حَسَّانُ الهند. مدح النبي — صلى الله عليه وسلم — في دواوينه وقصائده ، وأوجد في مدحه معاني كثيرة نادرة لم يتيسر مثلها لأحد من الشعراء المفلقين ، وأبدع فيها مخالص لم يبلغ مداها فرد من الفصحاء المتشدقين . وله في التغزل طورخاص قلما يوجد في كلام غيره يعرفه أصحاب الفن .

ومنهم الشيخ(١) الأجل مسند الوقت الشاه ولي الله المحدث الدهلوي، وله قصائد حسنة وكلمات غراء في مدحه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر عن هؤلاء الأعلام ماكتبه الدكتور جميل أحمد في كتابه (حركة التأليف باللغة العربية في الاقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر) ففيه مايغني .

ومنهم الشيخ عبد العزيز . والشيخ رفيع الدين . والشيخ محمد إسماعيل الدهلويون رحمهم الله تعالى ، ولهم منثور ومنظوم لطيف بليغ .

ومنهم الشيخ الأديب أوحد الدين البلكرامي رحمه الله،رأيت له نثراً فصيحاً ونظماً بليغاً وتقاريظ كثيرة على كتب عديدة .

ومنهم الشيخ الكامل فضل حق الخير آبادي ، وكم له من قصائد وأشعار عارض بها الحريري والبديع وأتى فيها بكل لفظ لطيف ومعنى بديع ، لولا أنه أكثر فيها من التجنيس والاشتقاق والألفاظ الحوشية بلا خلاف .

ومنهم السميدع الفاضل المولوي علي عباس الجرياكوثي حماه الله تعالى.له (ديوان الشعر) ومكاتيب وتقاريظ .

ومنهم الشيخ الفاضل فيض الحسن السهارنبوري سلمه الله تعالى ، وله قصائد بليغة وأشعار لطيفة لم يتفق مثلها لمعاصريه ، ولهذين الأخيرين كتابة إلينا ونظم في مدح كتبنا قد طبع بعضها .

ومنهم أخي من أبي وأمي السيد السند أحمد حسن القنوجي المتخلص بالعرشي ، وبعض قصائده يربو على كلام الأساتذة لا سيما الفارسية منها .

وأما هذا الفقير فليس من هذا العلم في وِرْدٍ ولا صدر ، ولا نخل بواديه ولا سِدْر ، وهذا الذي نراه من آثاره الباقية في العربية والفارسية وما ذكره في (الإتحاف) له فإنما هو طلٌ من وابل هؤلاء الأدباء ، وفيض من ساحل أولئك الكملاء النبلاء ، فإنه قد صرف برهة من الزمان

في تتبع قالِهم وقيلهم ، واتبع آثارهم في ذلك ومشى على سبيلهم ، ولنعم ما قيل :

فَهَذَا الشَّذَا آثارُ رِفْقَتِهِ مَعِي
ولَسْتُ بورْدٍ إنَّمَا أنَا تُرْبُهُ

(١)ثم اعلم أن المقصود من علم الأدب عند أهل اللسان ثمرته ، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب العرباء ومناحي الأدباء القدماء ، فيجمعون لذلك من حِفْظ كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة : من شعرٍ عالي الطبقة ، وسجع متساوٍ في الإجادة ، ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة ، يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية ، مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها ، وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة . والمقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه ، لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه .

ثم إنهم إذا حَدُّوا هذا الفن قالوا : هو(٢) حفظ أشعار العرب وأخبارها ، والأخذ من كل علم بطرف. يريدون من علوم اللسان ، أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط ، وهي القرآن والحديث ، إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلامهم إلا ما ذهب إليه المتأخرون عند كَلَفِهِم بصناعة البديع من التورية في أشعارهم وترسُّلهم

(١) من هنا الكلام لابن خلدون انظره ص ١٣٨٧ – ١٣٨٨ .
(٢) تحتها بين السطرين في الأصل كلمة : « أي علم الأدب » .

بالاصطلاحات العلمية ، فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذٍ إلى معرفتها ليكون قائماً على فهمها . وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي : (أدب الكاتب) لابن قتيبة ، وكتاب (الكامل) للمبرد ، وكتاب (البيان والتبيين) للجاحظ ، وكتاب (النوادر) لأبي علي القالي البغدادي . وما سوى هذه الأربعة فتبَع لها وفروع عنها ، وكتب المحدَثين في ذلك كثيرة .

وكان الغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر ، إذ الغناء إنما هو تلحينه . وكان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه ، فلم يكن انتحاله قادحاً في العدالة والمروءة . وقد ألف القاضي أبو الفرج الأصبهاني وهو ما هو، كتابه في(الأغاني)جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم ، وجعل مبناه على الغناء في المئة صوتٍ التي اختارها المغنون للرشيد ، فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه . ولعمري إنه ديوان العرب ، وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال، ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه ، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها وأنّى له بها » والله الهادي للصواب .

هذا آخر ما نقلناه من كتاب (عنوان العبر وديوان المبتدأ والخبر) وقد نقله أيضاً صاحب (كشف الظنون) لكن بالتلخيص المخل والاختصار المملّ فلم أعتمد عليه . وأخذت من حيث أخذ مع زيادات زدناها في

مواضع شتى من كتب أخرى حرصاً على الجمع وطمعاً في تمام الفائدة ؛ ولا غرو إن كان قد وقع بعض تكرار في غير موضع من هذه المطالب بوجوه تظهر عليك عند التأمل فيما لديك وبالله التوفيق .

• • •

مطلب
في تعيين العلم الذي هو فرض عَيْنٍ على كل مكلف
أعني الذي يتضمنه قوله صلى الله عليه وسلم
« طلب العلم فريضة على كل مسلم »

اعلم أن للعلماء اختلافا عظيماً في تعيين ذلك العلم ، وهو أكثر من عشرين قولاً . وحاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده .

قال المفسرون والمحدِّثون : هو علم الكتاب والسنة ، إذ بهما يتوصل إلى سائر العلوم ، وهو الحق الذي لا محيد عنه ولا مصير إلا إليه، وعليه جمهور المحققين من السلف والخلف بلا خلاف بينهم .

وقال الفقهاء : هو العلم بالحلال والحرام ويسمى بعلم الفقه ، وهذا يندرج في الأول كما هو الظاهر .

وقال المتكلمون : هو العلم الذي يدرك به التوحيد الذي هو أساس الشريعة ويسمى بعلم الكلام ، وهذا أيضاً داخل في الأول لأن مسائل التوحيد مبينة فيهما بياناً شافياً وليس وراء بيان الله ورسوله بيان . وأما الكلام الذي اختص به المتكلمون وخلطوا فيه المنطق والفلسفة فليس هو من هذا الباب .

وقال الصوفية : هو علم القلب ومعرفة الخواطر ، لأن النية التي هي شرط الأعمال لا تصح إلا بها ، وهذا شعبة من شعب السنة المطهرة ، فإن العالم بها عالم به على الوجه الأتم الأكمل .

وقال أهل الحق : هو علم المكاشفة ، ولا وجه للتخصيص به ، ولم يدل عليه نص ولا برهان :

وقيل : إنه العلم الذي يشتمل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : « بني الإسلام على خمس » الحديث لأنه الفرض على عامة المسلمين ، وهو اختيار الشيخ أبي طالب المكي(١) . وزاد عليه بعضهم أن وجوب المباني الخمسة إنما هو بقدر الحاجة ، مثلاً : من بلغ ضحوة النهار يجب عليه أن يعرف الله سبحانه وتعالى بصفاته استدلالاً ، وأن يتكلم كلمتي الشهادة مع فهم معناهما ، وإن عاش إلى وقت الظهر يجب عليه أن يتكلم أحكام الطهارة والصلاة ، وإن عاش إلى رمضان يجب أن يتكلم أحكام الصوم ، وان ملك مالاً يجب أن يتعلم كيفية الزكاة ، وإن حصل له استطاعة الحج يجب أن يتعلم أحكام الحج ومناسكه .

هذه هي المذاهب المشهورة في هذا الباب . والأول أولاها ، فإن هذه كلها تدخل فيه ولا تخرج عنه حتى يحتاج إليه .

وزاد في (كشاف اصطلاحات الفنون) قال بعضهم : هو علم العبد بحاله ومقامه من الله تعالى .

وقيل : بل هو العلم بالإخلاص وآفات النفوس .

وقيل : بل هو علم الباطن .

وقال المتصوفة : هو علم التصوف .

---

(١) هو محمد بن علي بن عطية الحارثي ، فقيه واعظ زاهد ، له كتب في التصوف توفي سنة ٣٨٦ هـ = ٩٩٦ م .

وقيل : هو العلم بما اشتمل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : « بني الإسلام على خمس » الحديث وتقدم .

والذي ينبغي أن يقطع ما هو مراد به: هو علم بما كلف الله تعالى به عباده من الأحكام الاعتقادية والعملية. كذا في (الإحياء) للغزالي ، وأطال في بيان ذلك . وقال في (السراجية) (١) : طلب العلم فريضة بقدر ما يحتاج إليه لأمر لا بد منه من أحكام الوضوء والصلاة وسائر الشرائع ولأمور معاشه وما وراء ذلك ليس بفرض فإن تعلمها فهو الأفضل وإن تركها فلا إثم عليه » انتهى .

وهذا بيان علم فرض العين . وأما فرض الكفاية فقد ذكر في (منتخب الإحياء) أن علم الطب في تصحيح الأبدان من فروض الكفاية. لكن في (السراجية): يستحب أن يتعلم الرجل من الطب قدر ما يمتنع به عما يضر بدنه ، وكذا من فروض الكفاية علم الحساب في الوصايا والمواريث ، وكذا الفلاحة والحياكة والحجامة والسياسة . أما التعمق في الطب فليس بواجب وإن كان فيه زيادة قوة على قدر الكفاية .

فهذه العلوم كالفروع ، فإن الأصل هو العلم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإجماع الأئمة ، وآثار الصحابة ، والتعلم بعلم اللغة التي هي آلة لتحصيل العلم بالشرعيات ، وكذا العلم بالناسخ والمنسوخ ، والعام والخاص مما في علم الفقه ، وعلم القراءة

---

(١) هي المشهورة أيضاً بـ (التاتارخانية في الفتاوى) للامام الفقيه عالم بن علاء الحنفي المتوفى سنة ٢٨٦ هـ = ٨٩٩ م . والتاتارخانية كتاب عظيم في مجلدات وقيل ان مؤلفها سماها (زاد المسافر) أيضاً .

ومخارج الحروف ، والعلم بالأخبار وتفاصيلها ، والآثار وأسامي رجالها ورواتها ، ومعرفة المسند والمرسل والقوي والضعيف منها ، كلها من فروض الكفاية ، وكذا معرفة الأحكام لقطع الخصومات وسياسة الولاة . وهذه العلوم إنما تتعلق بالآخرة لأنها سبب استقامة الدنيا وفي استقامتها استقامتها ؛ فكان هذا علم الدنيا بواسطة صلاح الدنيا ، بخلاف علم الأصول من التوحيد وصفات الباري ؛ وهكذا علم الفتوى من فروض الكفاية . أما العلم بالعبادات والطاعات ومعرفة الحلال والحرام فإنه أصل فوق العلم بالغرامات والحدود والحيل . وأما علم المعاملة فهو على المؤمن المتقي كالزهد ، والتقوى ، والرضاء ، والشكر ، والخوف والمنة لله تعالى في جميع أحواله ، والإحسان ، وحسن الظن ، وحسن الخلق ، والإخلاص ، فهذه علوم نافعة أيضاً . وأما علم المكاشفة فلا يحصل بالتعليم والتعلم ، وإنما يحصل بالمجاهدة التي جعلها الله تعالى مقدمة للهداية . قال الله تعالى : ﴿والذينَ جاهَدُوا فينا لَنَهْديَنّهم سُبُلَنا﴾ وأما علم الكلام فالسلف لم يشتغلوا به حتى إن من اشتغل به نسب إلى البدعة والاشتغال بما لا يعنيه .

هذا كله خلاصة ما في (التاتارخانية) (١) وألحق الغزالي الفقه والفقهاء بعلم الدنيا وعلمائها قال : ولعمري إنه متعلق أيضاً بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فإن الدنيا مزرعة الآخرة ثم سوّى بين الفقه والطب إذ الطب أيضاً يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد لكن قال : إن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه ثم ذكرها وأطال في بيان علم المكاشفة

(١) هي السراجية المتقدمة قبل قليل .

وعلم المعاملة ثم ذكر الفلسفة وقال : إنها ليست علماً برأسها ، بل هي أربعة أجزاء . أما الهندسة والحساب فهما مباحان ، وأما المنطق والطبيعيات فبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم ، وبعضها ليس كذلك ، وأطال الكلام في تفصيله . وقال في خزانة الرواية في (السراجية) : تعلُّمُ الكلام والمناظرة فيه قدر ما يحتاج إليه غير منهي. قال الشيخ شهاب الدين السهروردي (١) في (أعلام الهدى) : إن عدم الاشتغال بعلم الكلام إنما هو في زمان قرب العهد بالرسول — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه الذين كانوا مستغنين عن ذلك بسبب بركة صحبة النبي — صلى الله عليه وسلم — ونزول الوحي وقلة الوقائع والفتن بين المسلمين .وصرح به السيد الشريف (٢) والعلامةالتفتازاني (٣) وغيرهما من المحققين المشهورين بالعدالة أن الاشتغال بالكلام في زماننا من فرائض الكفاية . وقال التفتازاني :«إنما المنع لقاصر النظر والمتعصب في الدين » انتهى .

وهذا ذكر العلوم المحمودة ، وأما العلم المباح فمنه العلم بالأشعار التي لا سخف فيها ، وتواريخ الأخبار وما يجري مجراها . وأما المذمومة ففي (التاتارخانية) : وأما علم السحر والنيرنجات والطِّلَّسْمات وعلم النجوم ونحوها فهي علوم غير محمودة . وأما علم الفلسفة والهندسة فبعيد عن علم الآخرة .استخرج ذلك الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة .

---

(١) هو أبو حفص عمر بن محمد السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ ﻫ = ١٢٣٤م،واسم كتابه كاملا (اعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى) .

(٢) انظره فيما سبق ص ١١ .

(٣) سبقت ترجمته في ص ٥٢ .

وفي (فتح المبين شرح الأربعين) للحليمي وغيره صرحوا بجواز تعلم الفلسفة وفروعها من الإلهي والطبيعي والرياضي ليرد على أهلها ويدفع شرهم عن الشريعة فيكون من باب إعداد العدة .

وفي (السراجية): تعلُّم النجوم قدر ما تُعرف به مواقيت الصلاة والقبلة لا بأس به . وفي (التتارخانية) : وما سواه حرام .

وفي (الخلاصة والزيادة) : حرام .

وفي (المدارك) في تفسير قوله تعالى : ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً في النُّجوم فَقَالَ إنيِّ سَقِيم﴾ قالوا : علم النجوم كان حقاً ثم نسخ الاشتغال بمعرفته . انتهى .

وفي (البيضاوي) : أي فرأى مواقعها واتصالاتها ، أو في علمها، أو في كتابها ولا منع منه . انتهى .

وفي (التفسير الكبير) في هذا المقام : إن قيل النظر في علم النجوم غير جائز ، فكيف أقدم عليه إبراهيم عليه السلام قلنا: لا نسلم أن النظر في علم النجوم والاستدلال بمعانيها حرام ، وذلك لأن من اعتقد أن الله تعالى خص كل واحد من هذه الكواكب بقوة وخاصية لأجلها يظهر منه أثر مخصوص ، فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل . انتهى .

فعلم من هذا أن حرمة تعلم علم النجوم مختلف فيها . وأما أخبار المنجمين فقد ذكر في (المدارك) في تفسير ﴿إن اللهَ عندَهُ علمُ السّاعَةِ﴾ الآية : وأما المنجم الذي يخبر بوقت الغيث أو الموت فإنه يقول بالقياس، والنظر في الطالع وما يدرك بالدليل لا يكون غيباً على أنه مجرد الظن والظن غير العلم .

وفي (الكشف): مقالات المنجمة على طريقتين من الناس من يكذبهم واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿وما كانَ اللهُ ليُطْلِعَكُم على الغَيْبِ﴾ وبقوله عليه السلام: « من أتى كاهناً أو عريفاً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد » ومنهم من قال بالتفصيل، فإن المنجم لايخلو من أن يقول: إن هذه الكواكب مخلوقات أوغير مخلوقات، الثاني كفر صريح، وأما الأول فإما أن يقول: إنها فاعلات مختارات بنفسها فذلك أيضاً كفر صريح، وإن قال: إنها مخلوقات مسخرات أدلةً على بعض الأشياء ولها أثر بخلق الله تعالى فيها كالنور والنار ونحوهما، وأنهم استخرجوا ذلك بالحساب، فذلك لايكون غيباً لأن الغيب مالايدل عليه بالحساب. وأما الآية والحديث فهما محمولان على علم الغيب وهذا ليس بغيب.

وأما المنطق فقد ذكر ابن حجر المكي(١) في (شرح الأربعين) للنووي أن من آلات العلم الشرعي من فقه وحديث وتفسير المنطق الذي بأيدي الناس اليوم فإنه علم مفيد لامحذور فيه بوجه، إنما المحذور فيما كان يخلط **به** شيء من الفلسفيات المنابذة للشرائع، ولأنه كالعلوم العربية في أنه من مواد أصول الفقه، ولأن الحكم الشرعي لابد من تصوره والتصديق بأحواله إثباتاً ونفياً، والمنطق هو المرصد لبيان أحكام التصور والتصديق، فوجب كونه علماً شرعياً إذ هو ماصدر عن الشرع أو توقف عليه العلم الصادر عن الشرع توقف وجود كعلم الكلام أو توقف كمال كعلم العربية والمنطق، ولذا قال الغزالي: « لاثقة بفقه من لايتمنطق » أي من لا قواعد المنطق مركوزة بالطبع فيه كالمجتهدين في العصر الأول أو بالتعلم. وممن أثنى على المنطق الفخر الرازي، والآمدي، وابن الحاجب، وشراح

(١) هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الانصاري المكي، شهاب الدين، أبو العباس المتوفى سنة ٩٧٤ هـ = ١٥٦٧ م.

كتابه ، وغيرهم من الأئمة . والقول بتحريمه محمول على ماكان مخلوطاً بالفلسفة . انتهى كلام (كشاف اصطلاحات الفنون) مع تصرف فيه ببعض الزيادة وسيأتي حكم علم المنطق وما هو الحق فيه تحت « علم الميزان » من باب الميم في القسم الثاني من هذا الكتاب. وكذا حكم علم الكلام ذكرته في كتابي (قصد السبيل إلى ذم الكلام والتأويل).وللسيد الإمام المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير اليماني —رحمه الله— كتب ورسائل مستقلة في هذا الباب منها كتابه المسمى (بالروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم) فإن شئت الزيادة فعليك بها .

وأما ماذكره صاحب (كشاف الاصطلاحات) في هذا المقام من حكم العلوم كما تقدم آنفاً فما هو إلا أقوال أهل العلم المحضةوآراؤهم الساذجة التي لاإثارة عليها من علم ، وهذه الحكايات والمقالات مثلها كثير الوجود في كتب الفقهاء ، ولكن من لايتبع إلا ماقرره الدليل لايقبل ذلك أبد الآبدين ، ولايتوجه إلى تلك الأقوال الخالية عن الاستناد إلى الكتاب العزيز والسنة المطهرة التي لاعلم غيرهما،أو ماكان له دخل في فهمهما وكان كالآلات لهما . وقد ذكرنا في هذا الكتاب تحت بعض العلوم حكمه فارجع إليه يتضح لك ماهو الحق في المسألة.وليس هذا الكتاب مما ينبغي فيه ذكر المسائل والأدلة عليها على وجه التفصيل ، فإنها مدونة في دواوين الإسلام وكتب الأئمة ، وقد قضوا منها الوطر وميزوا فيها الحق عن الباطل والخطأ من الصواب . انظرمؤلفات شيخ الإسلامابن تيميةالحراني وتلميذه الإمامالرباني الحافظ ابن القيم (كإغاثة اللهفان عن مكائد الشيطان) وغيره ، ومؤلفات السيد ابن الوزير ، والعلامة محمد بن إسماعيل الأمير اليماني ، وتصانيف

قاضي القضاة المجتهد المطلق محمد بن علي الشوكاني، وأمثال هؤلاء، واعتن بها اعتناء لايفتر طبعك منها ، واشدد يديك عليها شداً بالغاً مبلغ النهاية تفز بسعادة الدارين وخيري الكونين إن شاء الله تعالى . وسيتضح عليك عند مطالعتها أن أيّ علم أحق بالتحصيل والاكتساب، وأشدها دخلاً في الانقاذ من المهلكات في الدنيا والآخرة . وإن لم ينصرك الدهر على الاطلاع عليها فاجهد في تحصيل مختصرات هؤلاء البررة الخيرة (كأدب الطلب) و (القول المفيد) و (ارشاد النقاد) ونحوها فإن قصرت يدك عن هذه أيضاً فارجع إلى الملخصات التي لخصناها من مؤلفات تلك العصابة الكرام وألفناها في تدوين هذا المرام ، وقد طبع أكثرها في هذه الأيام ، وانتشرت في الآفاق من العرب والعجم ،فإنها تشتمل على فوائد نفيسة ، وحقائق صحيحة ، وعوائد نافعة ، ومقاصد صالحة ، وحقوق ثابتة بالكتاب والسنة ، وهي تكفي المقلد ، وتغني المجتهد ، وتشفي العليل ، وتروي الغليل ، وتسلي الفؤاد ، وتوصل المريد إلى المراد . ويالله العجب من قوم بسطوا القول في بيان علوم الفرض والكفاية والمحمودة منها والمذمومة ، وجاؤوا في تبيينها بزبالة أفكارهم ونخالة أذهانهم من غير حجة نيرة ، وصعدوا في تعيينها تارة إلى السماء ونزلوا أخرى إلى الأرض ، ولم يرفعوا رؤوسهم إلى ماجاء عن سيد العلماء وسند الفضلاء صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك ، ولم يمعنوا أنظارهم فيه وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «العلم ثلاثة: آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة وما كان سوى ذلك فهو فضل» رواه أبو داود وابن ماجة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه . واللام في قوله صلى الله عليه وسلم « العلم » قيل للعهد ،

أي علم الدين ، وقيل للاستغراق كما في قوله تعالى : ﴿الحمدُ لله﴾ وهو الراجح ،والمراد بالآيةالكتاب العزيز ،وبالسنة علم الحديث الشريف ، وبالفريضة علم الميراث وهو جزء من علم الكتاب والسنة ، وماسوى هذين الأصلين فضل أي زائد لاضرورة فيه كائناً ماكان ، ولاسيما العلوم التي جاءت من كفرة اليونان وليست مبنية على أساس شرعي ولاعلى عرفان ، بل حدثت هي في الإسلام بعد انقراض القرون الثلاثة المشهود لها بالخير ، فإنها ليس فيها من الخير شيء بل كلها كما قيل : علم لاينفع وجهل لايضر . ومن تمسك بأذيال الكتاب الإلهي والحديث النبوي فقد استغنى عن جميع العلوم والفنون ، « وكل الصيد في جوف الفَرا » ومن لم يستغن بما جاء عن الله تعالى ورسوله ولم يره كافياً وافياً لأمور الدنياوالآخرةفلا أغناه اللهولاحيّاه.والمعرض عن هذين العلمين الكريمين والأصلين الشريفين الجامعين للعلوم النافعة في المعاش والمعاد إلى الخوض في الفنون الأجنبية والاشتغال بها ليلاً ونهاراً والاستغراق فيها بأوقاته كلها ليس أهلاً للتخاطب ولا محلاً للالتفات ولا موفقاً للخير ولا موقعاً للنجاة . وفي حديث معاوية رضي الله عنه قال : « إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الأغلوطات » رواه أبو داود ، وهذه الفنون غالبها من هذا القبيل . ونهى أيضاً عن النظر في الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء عليهم السلام من قبله ، فكيف بالنظر في هذه الجهالات والخرافات التي سموها علوماً وفنوناً ، وجعلوها من مواسم الفضيلة ، وربطوا بها كمال الشخص وحصروه في اكتسابها الذي لاينبغي التعبير عنه إلا بإضاعة الأوقات واهلاك النفس الناطقة بإلقائهافي الموبقات. أعاذنا الله وإخواننا المسلمين المتبعين عما يكره ولا يرضاه، وصاننا وإياهم عما يضر في دين الإله إنه قريب مجيب وبالله التوفيق وهو المستعان .

* * *

مطلب
في طبقات أهل العلم

من كتاب (أدب الطلب) لشيخنا وبركتنا الإمام المجتهد الرباني محمد بن علي الشوكاني قاضي قضاة القطر اليماني رحمه الله قال رضي الله عنه :

« أول ماعلى طالب العلم أن يحسن نيته، ويصلح طويته،ويتصور أن هذا العمل الذي قصد له والأمر الذي أراده هو الشريعة التي شرعها الله سبحانه لعباده ، وبعث بها رسله ، وأنزل بها كتبه . ويجرّد نفسه عن أن يشوب ذلك بمقصد من مقاصد الدنيا ، أو يخلطه بما يكدره من الإرادات التي ليست منه . هذا على فرض أن مجرد تشريك العلم مع غيره له حكم هذه المحسوسات ، وهيهات ذاك ، فإن من أراد أن يجمع في طلبه بين قصد الدنيا والآخرة فقد أراد الشطط وغلط أقبح الغلط ، فإن طلب العلم من أشرف أنواع العبادة وأجلها وأعلاها وقد قال تعالى : ﴿واعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصين لَهُ الدِّينَ﴾ وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث « إنما الأعمال بالنيات وإنمالكل امرئٌ مانوى »

ومن أهم مايجب على طالب العلم تصوره عند الشروع ، بل في كل وقت أن يقرر عند نفسه أن هذا العمل هو تحصيل العلم بما شرعه

الله لعباده،والمعرفة لما تعبدهم به في محكم كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . وإن هذا المطلب هو سبب تحصيله ، وذلك سبب الظفر بما عند الله من خير . ومثل هذا لامدخل فيه لعصبية ولامجال عنده لحمية ، بل هو شيء تَعبّدهُم الله به ليس لواحد أن يدعي أنه غير مُتعبَّد به ، فضلاً أن يرتقي إلى درجة تكليف عباد الله بما يصدر عنه من الرأي ، فإن هذا أمر لم يكن إلا لله سبحانه لالغيره كائناً من كان . ولاينافي هذا وقوع الخلاف بين أئمة الأصول في إثبات اجتهاد الأنبياء ونفيه ، فإن الخلاف لفظي عند من أنصف وحقق .
وأهم مايحصل لك أن تكون منصفاً غير متعصب في شيء من هذه الشريعة ، فلا تمحق بركتها بالتعصب لعالم من علماء الإسلام بأن تجعل رأيه واجتهاده حجة عليك وعلى سائر العباد ، فإنه وإن فضلك بنوع من العلم وفاق عليك بمدرك من الفهم فهو لم يخرج بذلك عن كونه محكوماً عليه متعبَّداً بماأنت متعبَّد به ،بل الواجب عليك أن تعترف له بالسبق وعلو الدرجة اللائقة به في العلم ، معتقداً أن ذلك هو الذي لايجب عليه غيره ولا يلزمه سواه . وليس لك أن تعتقد أن صوابه صوابٌ لك أو خطأه خطأ عليك ، بل عليك بالاجتهاد والجد حتى تبلغ إلى مابلغ إليه من أخذ الأحكام الشرعية من ذلك المعدن الذي لامعدن سواه والموطن الذي هو أول الفكر وآخر العمل ،فإذا وطّنْتَ نفسَكَ على الإنصاف وعدم التعصب لمذهب من المذاهب ولا لعالم من العلماء فقد فزت بأعظم فوائد العلم وربحت بأنفس فرائده . ومن عرف الفنون وأهلها معرفة صحيحة لم يبق عنده شك أن اشتغال أهل الحديث بفنهم لايساويه اشتغال سائر أهل الفنون بفنونهم ولا يقاربه ، بل

لايعد بالنسبة إليه كثير شيء . وإن إنصاف الرجل لايتم حتى يأخذ كلَّ فنٍّ عن أهله كائناً ماكان. وأما إذا أخذ العلم من غير أهله ، ورجح مايجده من الكلام لأهل العلم في فنون ليسوا من أهلها ، وأعرض عن كلام أهلها ، فإنه يخبط ويخلط ويأتي من الأقوال والترجيحات بما هو في أبعد درجات الإتقان ، وهو حقيق بذلك ، وفي علماء المذاهب الأربعة من هو أوسع علماً وأعلى قدراً من إمامه الذي ينتمي إليه ويقف عند رأيه ، ويقتدي بما قاله في عبادته ومعاملته ، وفي فتاواه وقضائه ، ويسري ذلك إلى مصنفاته فيرجح فيها مايرجحه إمامه وإن كان دليله ضعيفاً أو موضوعاً أو لا دليل بيده أصلاً بل مجرد محض الرأي ، ويدفع من الأدلة المخالفة له ماهو أوضح من شمس النهار تارة بالتأويل المتعسف وحيناً بالزور الملفّف وبالجملة ، فما صنع هذا لنفسه بذلك التصنيف إلا ماهو خزي له في الدنيا والآخرة، ووبال عليه في الآجلة والعاجلة .

الثاني : أن للطلبة ثلاث طبقات :

الأولى : من يقصد البلوغ إلى مرتبة في الطلب لعلم الشرع ومقدماته ، وترتفع همته ، فيكون عند تحصيلها إماماً مرجوعاً إليه ، مستفاداً منه ، مأخوذاً بقوله ، مدرساً ، مفتياً ، مصنفاً ، قاضياً .

والثانية : من تقصر همته عن هذه الغاية ، فتكون غاية مقصده ومعظم مطلبه ونهاية رغبته أن يعرف ماطلبه منه الشارع من أحكام التكليف ، والوضع على وجه يستقل فيه بنفسه ولايحتاج إلى غيره ، من دون أن يتصور البلوغ إلى رتبة أهل الطبقة الأولى .

والثالثة : من يكون نهاية مرادهم أمراً دون أهل الطبقة الثانية ، وهو إصلاح ألسنتهم وتقويم أفهامهم بما يقتدرون به على فهم معاني مايحتاجون إليه من الشرع ، وعدم تحريفه وتصحيفه من دون قصد منهم إلى الاستقلال .

وثَمّ طبقة رابعة يقصدون الوصول إلى علم من العلوم أو علمين أو أكثر لغرض من الأغراض الدينية أو الدنيوية من دون تصور الوصول إلى علم الشرع ، فكانت الطبقات أربعاً .

وينبغي لمن كان صادق الرغبة قوي الفهم ، ثاقب النظر ، عزيز النفس ، شهم الطبع ، عالي الهمة ، سامي الغريزة أن لايرضى لنفسه بالدون ، ولايقنع بما دون الغاية ، ولايقعد عن الجد والاجتهاد المبلغين له إلى أعلى مايراد وأرفع مايستفاد ، فإن النفوس الأبية والهمم العلية لاترضى بدون الغاية في المطالب الدنيوية من جاه أو مال أو رئاسة أو صناعة أو حرفة . وإذا كان هذا شأنهم في الأمور الدنيوية التي هي سريعة الزوال قريبة الاضمحلال فكيف لايكون ذلك من مطالب المتوجهين إلى ماهو أشرف مطلباً ، وأعلى مكسباً ، وأرفع مراداً ، وأجل خطراً ، وأعظم قدراً ، وأعود نفعاً ، وأتم فائدة ، وهي المطالب الدينية مع كون العلم أعلاها وأولاها بكل فضيلة وأجلها وأكملها في حصول المقصود وهو الخير الأخروي .

أما الطبقة الأولى : فينبغي لمن تصور الوصول إليها أن يشرع بعلم النحو مبتدئاً بالمختصرات كمنظومة الحريري (١) المسماة

(١) القاسم بن علي صاحب المقامات ، توفي سنة ٥١٦ هـ = ١١٢٢ م .

(بالملحة) وشرحها ، فإذا فهم ذلك وأتقنه انتقل إلى (كافية ابن الحاجب) وشروحها ، و (مغني اللبيب) وشروحه .

هذا باعتبار الديار اليمنية (١) ، فإذا كان ناشئاً في أرض يشتغلون فيها بغير هذه فعليه بما اشتغل به مشايخ تلك الأرض . ولا يستغني طالب التبحر عن إتقان ما اشتمل عليه (شرح الرّضيّ على الكافية) (٢) من المباحث اللطيفة والفوائد الشريفة ، وكذلك مافي (المغني) (٣) من المسائل الغريبة . ويكون اشتغاله بسماع الشروح بعد حفظ هذه المختصرات حفظاً يمليه عن ظهر قلبه ويبديه من طرف لسانه . وأقل الأحوال أن يحفظ مختصراً منها هو اكثرها مسائل وأنفعها فوائد ، ولا يفوته النظر في مثل (ألفية ابن مالك) وشروحها ، و (التسهيل) (٤) وشروحه ، و(المفَصّل) للزمخشري ، و (الكتاب) لسيبويه ، فإنه يجد في هذه الكتب من لطائف المسائل النحوية ودقائق المباحث العربية ما لم يكن قد وجده في تلك .

---

(١) في هامش الأصل التعليق : « اعلم أن ما يسميه المؤلف هاهنا إنما هو باعتبار مايشتغل به الناس في الديار اليمنية إذا كان طالب العلم فيها ، لأنه يجد شيوخ هذه المصنفات ولا يجد شيوخ غيرها من مصنفات النحو إلا باعتبار الوجادة لا باعتبار السماع ، فن كان في غيرها فليأخذ عن شيوخها في كل فن مقداراً يوافق ماذكره هاهنا » « سيدعلي حسن خان ولد المؤلف عافاه الله تعالى عن الفتن » .

(٢) هو رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي المتوفى سنة ٦٨٦ هـ = ١٢٨٧ م وضع شرحاً على كافية ابن الحاجب في النحو .

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام جمال الدين عبد الله بن يوسف النحوي المتوفى سنة ٧٦١ هـ = ١٣٦٠ م .

(٤) هو (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) لابن مالك صاحب الألفية .

وينبغي للطالب أن يطلع على مختصر من مختصرات المنطق ، ويأخذه عن شيوخه ، ويفهم معانيه ، ويكفيه في ذلك مثل (ايساغوجي) أو (تهذيب السعد) وشرح من شروحهما. وليس المراد هنا إلا الاستعانة بمعرفة مباحث التصورات والتصديقات إجمالاً ، لئلا يعثر على بحث من مباحث العربية من نحو أو صرف أو بيان قد سلك فيه صاحب الكتاب مسلكاً على النمط الذي سلكه أهل المنطق فلا يفهمه ، كما يقع كثيراً في الحدود والرسوم ، فإن أهل العربية يتكلمون في ذلك بكلام المناطقة . فإذا كان الطالب عاطلاً عن علم المنطق بالمرة . لم يفهم تلك المباحث كما ينبغي .

ثم بعد ثبوت الملكة له في النحو ، وإن لم يكن قد فرغ من سماع ما سميناه يشرع في الاشتغال بكتب علم الصرف كـ (الشافية) وشروحها و(الزنجانية)و(لامية الافعال).ولا يكون عالماً بعلم الصرف كما ينبغي إلا أن تكون (الشافية) وشروحها من محفوظاته ، لانتشار مسائل فن الصرف وطول ذيل قواعده وتشعب أبوابه . ولا يفوته الاشتغال (بشرح الرضي على الشافية) بعد أن يشتغل بما هو أخصر منه من شروحها كـ(شرح الجاربردي) ولطف الله الغياث(١) ،فإن فيه من الفوائد الصرفية ما لا يوجد في غيره .

ثم ينبغي له بعد ثبوت الملكة له نحواً وصرفاً وإن لم يكن قد فرغ من سماع كتب الفنين أن يشرع في علم المعاني والبيان ، فيبتدىء بحفظ مختصر من مختصرات الفن يشتمل على مهمات مسائله كـ (التلخيص) ، و (شرح السعد المختصر) و ما عليه من الحواشي ، و (شرحه المطول) وحواشيه ، فإنه اذا حفظ هذا المختصر وحقق الشرحين المذكورين

---

(١) واسم شرحه هذا : « المناهل الصافية على الشافية » .

وهوامشهما بلغ إلى مكان من الفن مكين فقد أحاطت هذه الجملة بما في مؤلفات المتقدمين من شراح (المفتاح) ونحوه . وإذا ظفر بشيء من مؤلفات عبد القاهر الجرجاني أو السكاكي في هذا الفن فليمعن النظر فيه، فإنه يقف في تلك المؤلفات على فوائد .

وينبغي له حال الاشتغال بهذا الفن أن يشتغل بفنون مختصرة قريبة المأخذ قليلة المباحث كفن الوضع وفن المناظرة (١) . ويكفيه في الأول (رسالة الوضع) وشرح من شروحها ، وفي الثاني (آداب البحث العضدية) وشرح من شروحها .

ثم ينبغي له أن يكب على مؤلفات اللغة المشتملة على بيان مفرداتها كـ(الصحاح) (٢) و(القاموس) و (شمس العلوم) و(ضياء الحلوم) و (ديوان الأدب) ونحو ذلك من المؤلفات المشتملة على بيان اللغة العربية عموماً أو خصوصاً ، كالمؤلفات المختصة بغريب القرآن والحديث .

ثم يشتغل بعد هذا بعلم المنطق فيحفظ مختصراً منه كـ (التهذيب) أو (الشمسية) ، ثم يأخذ في سماع شروحهما على أهل الفن . فإن العلم

---

(١) سوف يعرف المؤلف هذين الفنين في الجزء الثاني من كتابه (أبجد العلوم) .

(٢) بإزائه في هامش الأصل التعليق : « قلت : وأجمع كتب اللغة كتاب تاج العروس شرح القاموس للسيد المرتضى البلجرامي الزبيدي المصري قدحوى على جميع كتب هذا الفن ، كما قيل : كل الصيد في جوف الفرا . وقد طبع بحمد الله في مصر القاهرة ، لكن نصف الكتاب فإن تيسر الكتاب تماماً فمن نعم الله تعالى على المتيسر له ويكفي هو وحده عن جميع أسفار هذا العلم » « سيد علي حسن خان سلمه الله تعالى » .

وقد طبع التاج بكماله في القاهرة وأعيدت طباعته في الكويت منذ عهد قريب .

بهذا الفن على الوجه الذي ينبغي يستفيد به الطالب مزيد إدراك وكمال استعداد عند ورود الحجج العقلية عليه . وأقل الأحوال أن يكون على بصيرة عند وقوفه على المباحث التي يوردها المؤلفون في علوم الاجتهادمن المباحث المنطقية ، كما يفعله كثير من المؤلفين في الأصول والبيانوالنحو.

ثم يشتغل بفن أصول الفقه بعد. أن يحفظ مختصراً من مختصراته المشتملة على مهمات مسائله كـ (مختصر المنتهى) ، أو (جمع الجوامع) أو (الغاية) . ثم يشتغل بسماع شروح هذه المختصرات كـ (شرح العضد على المختصر) و (شرح المحلي على جمع الجوامع) و (شرح ابن الإمام على الغاية) . وينبغي له أن يطول الباع في هذا الفن ، ويطلع على مؤلفات أهل المذاهب المختلفة كـ(التنقيح)و(التوضيح)و(التلويح)و(المنار) و (تحرير ابن الهمام) وليس في هذه المؤلفات مثل (التحرير) وشرحه. ومن أنفع ما يستعان به على بلوغ درجة التحقيق في هذا الفن الإكباب على الحواشي التي ألفها المحققون على (الشرح العضدي) وعلى (شرح الجمع) .

ثم ينبغي له بعد إتقان فن أصول الفقه وإن لم يكن قد فرغ من سماع مطولاته أن يشتغل بفن الكلام المسمى بأصول الدين ، ويأخذ من مؤلفات الأشعرية بنصيب ، ومن مؤلفات المعتزلة (١) بنصيب ، ومن مؤلفات الماتريدية بنصيب ، ومن مؤلفات المتوسطين بين هذه الفرق كالزيدية بنصيب . فإنه اذا فعل هكذا عرف الاعتقادات كما ينبغي .، وأنصف

(١) في هامش الأصل : « ومن أحسنها (المجتبى) ومن أحسن كتب الأشعرية (المواقف العضدية) وشرحها للشريف و (المقاصد السعدية) وشرحها له » « سيد علي حسن خان سلمه ربه » .

كل فرقة بالترجيح والتجريح على بصيرة ، وقابل كل قول بالقبول أو الرد على حقيقة .

وإني أقول بعد هذا : إنه لا ينبغي لعالم أن يدين بغير ما دان به السلف الصالح من الوقوف على ما تقتضيه أدلة الكتاب والسنة وإمرار الصفات كما جاءت ، ورد علم المتشابه إلى الله سبحانه ، وعدم الاعتداد بشيء من تلك القواعد المدونة في هذا العلم المبنية على شفا جرف هار من أدلة العقل التي لا تعقل ولا تثبت إلا بمجرد الدعاوي والافتراء على العقل بما يطابق الهوى ، ولا سيما اذا كانت مخالفة لأدلة الشرع الثابتة في الكتاب والسنة ، فإنها حينئذ حديث خرافة ولعبة لاعب .

ثم بعد إحراز هذه العلوم يشتغل بعلم التفسير ، فيأخذ عن الشيوخ ما يحتاج مثله إلى الأخذ كـ (الكشاف) (١) ويكب على كتب التفسير على اختلاف أنواعها وتباين مقاديرها ، ويعتمد في تفسير كلام الله سبحانه على ماثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عن الصحابة فإنهم أهل اللسان العربي. فما وجده من تفاسير رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في الكتب المعتبرة كالأمهات وما يلتحق بها قدمه على غيره ، وأجمع مؤلف في ذلك (الدر المنثور) للسيوطي . وينبغي له أن يطول الباع في هذا العلم ويطالع مطولات التفسير كـ (مفاتيح الغيب) للرازي ، ولا يكتفي على تفسير بعض الآيات مسمياً لها بآيات الأحكام كما وقع للموزعي وصاحب (الثمرات) . ويقدم على قراءة التفاسير الاطلاع على علوم لها مدخل في التلاوة وسائر العلوم المتعلقة بالكتاب العزيز ، وما

(١) للزمخشري .

أنفع (الإتقان) للسيوطي في مثل هذه الامور . ثم لا يهمل النظر في كتب القراآت وما يتعلق بها كـ (الشاطبية) وشروحها و (الطيبية) وشروحها.

وأعظم العلوم فائدة وأكثرها نفعاً وأوسعها قدراً وأجلها خطراً علم السنة المطهرة ، فإنه الذي تكفل ببيان الكتاب العزيز ، ثم استمل بما لا ينحصر من الأحكام ، فيقبل على سماع الكتب كـ (جامع الأصول) و (المشارق) و (كنز العمال) و (المنتقى) لجد ابن تيمية –رحمه الله– و(بلوغ المرام) لابن حجر و (العمدة).ثم يسمع الأمهات الست (١) و (مسند أحمد) و (صحيح ابن خزيمة) و (ابن حبّان) و (ابن الجارود) و (سنن الدارقطني) و (البيهقي) وما بلغت إليه قدرته ووجد في أهل عصره شيوخه .

ثم يشتغل بشروح هذه المؤلفات ، فيسمع منها ما تيسر له ويطالع ما تيسر له سماعه ، ويستكثر من النظر في المؤلفات في علم الجرح والتعديل، بل يتوسع في هذا العلم بكل ممكن . وأنفع ما ينتفع به مثل (النبلاء) و(تاريخ الإسلام) و (تذكرة الحفاظ)و(الميزان).وهذا بعد أن يشتغل بشيء من علم اصطلاح أهلِ الحديث، كمؤلفات ابن الصلاح و (الألفية) للعراقي وشروحها .

وينبغي أن يشتغل بمطالعة الكتب المصنفة في تاريخ الدول وحوادث العالم في كل سنة ، كما فعله الطبري في تاريخه ، وابن الاثير في (كامله) فإن للاطلاع على ذلك فائدةً جليلة .

فإذا أحاط الطالب بما ذكرناه من العلوم فقد صار حينئذٍ في الطبقة

---

(١) أي كتب الصحاح الستة .

العالية من طبقات المجتهدين ، وكمل له جميع أنواع علوم الدين ، وصار قادراً على استخراج الأحكام من الأدلة متى شاء وكيف شاء. ولكنه ينبغي له أن يطلع على علوم أُخر (١) ليكمل له ما قد حازه من الشرف ، ويتم له ما قد ظفر به من بلوغ الغاية ، فمن ذلك علم الفقه ، وأقل الأحوال أن يعرف مختصراً في فقه كل مذهب من المذاهب المشهورة ، فإنه قد يحتاج إليها المجتهد لإفادة المتمذهبين السائلين عن مذاهب أئمتهم . وقد يحتاج إليها لدفع مَنْ يشنّع عليه في اجتهاده ، كما يقع ذلك كثيراً من أهل التعصب والتقصير . فإنه إذا قال له : « قد قال بهذه المقالة العالم الفلاني ، أو عمل عليها أهل المذهب الفلاني » كان ذلك دافعاً لصَوْلَتِهِ كاسراً لسَوْرَتِه . وما أنفع الاطلاع على المؤلفات البسيطة في حكاية مذاهب السلف وأهل المذاهب ، وحكاية أدلتهم ، وما دار بين المتناظرين منهم إما تحقيقاً أو فرضاً ، كمؤلفات ابن المنذر ، وابن قدامة ، وابن حزم ، وابن تيمية ، ومن سلك مسالكهم ، فإن تلك المؤلفات هي مطارح أنظار المحققين ومطامح أفكار المجتهدين .

ومما يزيد من أراء هذه الطبقة العليّة عُلُواً ، ويفيده قوة إدراك ، وصحة فهم ، وسيلان ذهن الاطلاع على أشعار فحول الشعراء ومجيديهم ، مع ما يحصل له بذلك من الاقتدار على النظم والتصرف في فنونه . فإن من كان بهذه المنزلة الرفيعة من العلم إذا كان لا يقتدر على النظم كان ذلك خدْشَةً في وجه محاسنه ونقصاً في كماله .

---

(١) في هامش الأصل : « وهي لا تخرج إن شاء الله تعالى عن القسم الثاني من هذا الكتاب وفيه مالا يحتاج إليه طالب علم الدين وإنما يحتاج إليه طالب علوم الدنيا » . « حافظ علي حسين كاتب الحروف عفا الله عنه » .

وهكذا الاستكثار من النظر في بلاغات أهل الإنشاء المشهورين بالإجادة والإحسان ، المتصرفين في رسالاتهم ومكاتباتهم بأفصح لسان وأبين بيان ، لأنه ينبغي أن يكون كلامه على قدر علمه . وهو إذا لم يمارس جيد النظم والنثر كان كلامه ساقطاً عن درجة الاعتبار عند أهل البلاغة ، . والعلم شجرة ثمرتها الألفاظ ، وما أقبح العالم المتبحر في كل فن أن يتلاعب به في النظم والنثر من لا يجاريه في علم من علومه ، ويتضاحك منه من له إلمام بمستحسَنِ الكلام ورائق النظام . وأنفع ما ينتفع به في ذلك (منظومة الجزار) (١) وشرحها ، و (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لابن الأثير . ثم لابأس على من رسخ قدمه في العلوم الشرعية أن يأخذ بطرف من فنون هي من أعظم ما يصقل الافكار ويصفّي القرائح ، ويزيد القلب سروراً والنفس انشراحاً ، كالعلم الرياضي والطبيعي والهندسة والهيئة والطب .

وبالجملة فالعلم بكل فن خير من الجهل به بكثير ، ولا سيما من رشح نفسه للطبقة العلية والمنزلة الرفيعة . ودع عنك ماتسمعه من التشنيعات فإنها شعبة من التقليد، وأنت بعد العلم بأيّ علم من العلوم حاكم عليه بما لديك من العلم غير محكوم عليك ، واختر لنفسك مايحلو . وليس يخشى على من قد ثبت قدمه في علم الشرع من شيء ، وإنما يخشى على من كان غيرثابت القدم في علوم الكتاب والسنة ، فإنه ربما يتزلزل وتخور قوته . فإذاقدمت العلم بما قدمنا لك من العلوم الشرعية فاشتغل بما شئت واستكثر من الفنون

(١) لعلها المعروفة بالعقود الدرية في الأمراء المصرية وهي ليحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد الجزار المتوفى سنة ٦٧٩ هـ = ١٢٨٠ م وهو أديب شاعر له ديوان شعر وكتب أخرى .

ما أردت ، وتبحّر في الدقائق ما استطعت ، وحارب من خالفك وعذلك وشنّع عليك بقول القائل :

أتانا أنّ سهلاً ذمّ جهلاً
علوماً ليس يعرفهنّ سهلُ

علوماً لو دراها ما قلاها
ولكنّ الرضا بالجهل سهلُ

وإني لأعجب من رجل يدعي الإنصاف والمحبة للعلم ويجري على لسانه الطعن في علم من العلوم لا يدري به ولا يعرفه ولا يعرف موضوعه ولا غايته ولا فائدته ولا يتصوره بوجه من الوجوه . ولقد وجدنا لكثير من العلوم التي ليست من علم الشرع نفعاً عظيماً وفائدةً جليلة في دفع المبطلين والمتعصبين وأهل الرأي البحت ومن لا اشتغال له بالدليل.

وأما الآهلية التي يكون صاحبها محلاً لوضع العلم فيه وتعليمه إياه فهي شرف المحتد وكرم النّجار وظهور الحسب ، أو كون في سلف الطالب من له تعلق بالعلم والصلاح ومعالم الدين ، أو بمعالي الامور ورفيع الرتب ،فإن هذا أمر يجذب بطبع صاحبه إلى معالي الامور ،ويحول بينه وبين الرذائل .

وأما من كان سقط المتاع وسفساف أهل المهن كأهل الحياكة ، والعصارة ، والقصابة ، ونحو ذلك من المهن الدنية والحرف الوضيعة فإن نفسه لاتفارق الدناءة ، ولاتجانب السقوط ، ولاتأبى المهانة . فإذا اشتغل مشتغل منهم بطلب العلم ونال منه بعض النيل وقع في

أمور منها العُجْبُ والزهو والخيلاء والتطاول على الناس ، ويعظم به الضرر على أهل العلم فضلاً عن غيرهم ممن هو دونهم .

وأما من كان أهلاً للعلم وفي مكان من الشرف فانه يزداد بالعلم شرفاً إلى شرفه ، ويكتسب به من حسن السمت ، وجميل التواضع ، ورائق الوقار ، وبديع الأخلاق مايزيد علمه علواً وعرفانه تعظيماً.

وبين هاتين الطائفتين طائفة ثالثة ليست من هؤلاء ولا من هؤلاء جعلوا العلم مكسباً من مكاسب الدنيا ، ومعيشة من معايش أهلها ، لاغرض لهم فيه إلا إدراك منصب من مناصب أسلافهم ،ونيل رئاسة من الرئاسات التي كانت لهم . كما يشاهد في غالب البيوت المعمورة بالقضاء أو الإفتاء أو الخطابة أو الكتابة أو ماهو شبيه بهذه الأمور. فهذا ليس من أهل العلم في ورد ولاصدر ، ولاينبغي أن يكون معدوداً منهم ، ولافائدة في تعليمه راجعة إلى الدين قط .

والذي ينبغي لطالب العلم أن يطلبه كما ينبغي ، ويتعلمه على الوجه الذي يريده الله منه ، معتقداً أنه أعلى أمور الدين والدنيا راجياً أن ينفع به عباد الله بعد الوصول إلى الفائدة منه.

هذا ماينبغي لأهل الطبقة الأولى ، وأما أهل الطبقة الثانية ، وهو من يطلب مايصدق عليه مسمى الاجتهاد ، ويسوغ به العمل بأدلة الشرع ، فهو يكتفي بأن يأخذ من كل فن من فنون الاجتهاد بنصيب يعلم به ذلك الفن علماً يستغني به عند الحاجة إليه ، أو يهتدي به إلى المكان الذي فيه ذلك البحث على وجه يفهم به مايقف عليه منه ، فيشرع بتعلم علم النحو حتى تثبت له فيه الملكة التي يقتدر بها على معرفة أحوال أواخر الكلم

إعراباً وبناء . وأقل مايحصل له ذلك بحفظ مختصر من المختصرات المشتملة على مهمّات مسائل النحو ، والمتضمنة لتقرير مباحثه على الوجه المعتبر كـ (الكافية) وشرح من شروحها ،وأحسنها بالنسبة إلى الشروح المختصرة (شرح الجامي) . ثم يحفظ مختصراً في الصرف كـ (الشافية) وشرحها للجاربردي . ثم يشتغل بحفظ مختصر من مختصرات علم المعاني والبيان كـ(التلخيص)للقزويني و(شرح السعد المختصر) . وأنفع ماينتفع به الطالب (الغاية) للحسين بن القاسم (١) وشرحها له . ثم يشتغل بقراءة تفسير من التفاسير المختصرة كـ (تفسير البيضاوي) مع مراجعة مايمكنه مراجعته من التفاسير . ثم يشتغل بسماع مالا بد من سماعه من كتب الحديث ، وهي الست الأمهات . فإنعجز عن ذلك اشتغل بسماع ماهو مشتمل على مافيها من المتون كـ(جامع الأصول) . ثم لايدع البحث عن ماهو موجود من أحاديث الأحكام في غيرها بحسب ماتبلغ إليه طاقته ، ويبحث عن الأحاديث الخارجة عن الصحيح في المواطن التي هي مَظنّة للكلام عليها من الشروح والتخريجات . ويكون مع هذا عنده ممارسة لعلم اللغة على وجه يهتدي به إلى البحث عن الألفاظ العربية واستخراجها من مواطنها . وعنده من علم اصطلاح الحديث ، وعلم الجرح والتعديل مايهتدي به إلى معرفة مايتكلم به الحفاظ على أسانيد الأحاديث ومتونها .

وأما أهل الطبقة الثالثة وهم الذين يرغبون إلى اصلاح ألسنتهم وتقويم أفهامهم بما يقتدرون بهعلى فهم معاني مايحتاجون إليه من الشرع

(١) هوالحسين بن قاسمبن محمد بن عليالبمنيمن سادات اليمن،توفيسنة ١٠٥٠هـ=١٦٤٠م وكتابه (الغاية)في الأصول وقد وضع عليه أيضاً شرحاً .

وعدم تحريفه وتصحيفه وتغيير إعرابه من دون قصدمنهم إلى الا ستقلال ، بل يعزمون على التعويل على السؤال عند عروض التعارض والاحتياج إلى الترجيح ، فينبغي له تعلم شيء من علم الإعراب حتى يعرف به إعراب أواخر الكلم . ويكفيه في مثل ذلك حفظ (منظومة الحريري) وقراءة شروحها على أهل الفن ، وتدربه في إعراب مايطلع عليه من الكلام المنظوم والمنثور ،ويحفي السؤال عن إعراب ما أشكل عليه ، حتى تثبت له بمجموع ذلك ملكة يعرف بها أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناء . ثم يتعلم اصطلاح علم الحديث ويكفيه في مثل ذلك مثل (النخبة) وشرحها . ثم بعدها يكب عل سماع المختصرات في الحديث مثل (بلوغ المرام) و (العمدة) و (المنتقى) ، وإن تمكن من سماع (جامع الأصول) أو شيء من مختصراته فعل ، فإذا أشكل عليه معنى حديث نظر في الشروح أو في كتب اللغة . وإن أشكل عليه الراجح من المتعارضات أو التبس عليه هل الحديث مما يجوز العمل به أم لا ؟ سأل علماء هذا الشأن الموثوق بعرفانهم وإنصافهم ، ويعمل على مايرشدونه إليه استفتاء وعملاً بالدليل لاتقليداًوعملاً بالرأي.ويشتغل بسماع تفسير من التفاسير التي لاتحتاج إلى تحقيق وتدقيق كـ(تفسير البغوي) وتفسير السيوطي المسمى (بالدر المنثور) .وإذا أشكل عليه بحث من المباحث أو تعارضت عليه التفاسير ولم يهتد إلى الراجح أو التبس عليهأمر يرجع إلى تصحيح شيء مما يجده في كتب التفسير رجع إلى أهل العلم بذلك الفن سائلاً لهم عن الرواية لا عن الرأي . وقد كان من هذه الطبقة الصحابة والتابعون وتابعوهم ، فإنهم كانوا يسألون أهل العلم منهم عن حكم مايعرض لهم مما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم ، فيروون لهم في ذلك ماجاء عن

الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم فيعملون بروايتهم لابرأيهم من دون تقليد ولاالتزام رأي كما يعرف ذلك من يعرفه .

وأما الطبقة الرابعة ، الذين يقصدون الوصول إلى علم من العلوم أو علمين أو أكثر لغرض من الأغراض الدينية أو الدنيوية من دون تصور الوصول إلى علم الشرع ، وذلك كمن يريد أن يكون شاعراً أو مُنشِئاً أو حاسباً ، فإنه ينبغي له أن يتعلم مايتوصل به إلى ذلك المطلب. فمن أراد أن يكون شاعراً تعلم من علم النحو والمعاني والبيان مايفهم به مقاصد أهل هذه العلوم ، ويستكثر من الاطلاع على علم البديع والإحاطة بأنواعه والبحث عن نُكتَتِه وأسراره ، وعلم العروض والقوافي ، ويمارس أشعار العرب ، ويحفظ مايمكنه حفظه منها . ثم أشعار أهل الطبقة الأولى من أهل الإسلام ، كجرير والفرزدق وطبقتهما . ثم مثل أشعار بشار بن برد وأبي نواس ومسلم بن الوليد ، وأعيان من جاء بعدهم كأبي تمام والبحتري والمتنبي ، ثم أشعار المشهورين بالجودة من أهل العصور المتأخرة ويستعين على فهم مااستصعب عليه بكتب اللغة ويكب على الكتب المشتملة على تراجم أهل الأدب ك(يتيمة الدهر) وذيولها ،و(قلائد العقيان) وماهو على نمطه من مؤلفات أهل الأدب ك(الريحانة) و(النفحة) .

كما يحتاج إلى ماذكرناه من أراد أن يكون شاعرا فيحتاج إليه أيضاً من أراد أن يكون منشئاً مع احتياجه إلى الاطلاع على مثل (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)لابن الأثيرو(الكامل) للمبرد و(الأمالي) للقالي ، ومجاميع خطب البلغاء ورسائلهم خصوصاً مثل ماهو مدون

من بلاغات الجاحظ والفاضل (١) والعماد وأمثالهم ، فانه ينتفع بذلك أتم انتفاع .

ومن أراد أن يكون حاسباً اشتغل بعلم الحساب ، ومؤلفاته معروفة. وهكذا من أراد أن يطلع على علم الفلسفة فانه يحتاج إلى معرفة العلم الرياضي ، والعلم الطبيعي ، والعلم الالهي ، وهكذا علم الهندسة . فمن جمع هذه العلوم الأربعة صار فيلسوفاً ، والعلم بالعلوم الفلسفية لاينافي علم الشرع ، بل يزيد المتشرع الذي قد رسخت قدمه في علم الشرع غبطة بعلم الشرع ومحبة له ، لأنه يعلم أنه لاسبيل للوقوف على ماحاول الفلاسفة الوقوف عليه إلا من جهة الشرع . وإن كل باب غير هذا الباب لاينتهي بمن دخل إليه إلى غاية وفائدة .

ومن كان مريداً لعلم الطب فعليه بمطالعة كتب جالينوس، فإنها أنفع شيء في هذا الفن باتفاق من جاء بعده من المشتغلين بهذه الصناعة إلا النادر القليل ، وقد انتقى منها جماعة من المتأخرين ستة عشر كتاباً وشرحوها شروحاً مفيدة . فان تعذر عليه ذلك فأكمَلُ ماوقفت عليه من الكتب الجامعة بين المفردات والمركبات والعلاجات كتاب (القانون) لابن سينا و(كامل الصناعة) المشهور بالملكي لعلي بن العباس . ومن أنفع المختصرات (الذخيرة) لثابت بن قرة . ومن أنفعها باعتبار خواص الأدوية المفردة وبعض المركبات (تذكرة الشيخ داود الانطاكي) ولو كمل بالمعالجات لكان مغنياً عن غيره ، ولكنه انقطع بعد أن شرع إلى الكلام على معالجات العلل على حروف أبجد، فوصل إلى حرف

(١) أي القاضي الفاضل البيساني. انظره فيما سبق ص ٧١ ، والعماد هو العماد الأصبهاني .

الطاء ثم انقطع الكتاب ، ومن أنفعها في هذا الفن (الموجز)وشروحه.

وبالجملة فمن كان قاصداً إلى علم من العلوم كان عليه أن يتوصل إليه بالمؤلفات المشهورة بنفع من اشتغل بها ، المحررة أحسن تحرير ، المهذبة أبلغ تهذيب . وقدمنا في كل فن مافيه إرشاد إلى أحسن المؤلفات فيه .

وكثيراً مايقصد الطالب الذي لم يتدرب بأخلاق المنصفين ويتهذب بارشاد المحققين الاطلاع على مذهب من المذاهب المشهورة ، ولم تكن له في غيره رغبة ولاعنده لما سواه نشاط ، فأقرب الطرق إلى إدراك مقصده ونيل مآربه أن يبتدىء بحفظ مختصر من مختصرات أهل ذلك المذهب كـ(الكنز) في مذهب الحنفية و (المنهاج) (١) في مذهب الشافعية .فاذا صار ذلك المختصر محفوظاً له حفظاً متقناً على وجه يستغني به عن حمل الكتاب شرع في تفهم معانيه وتدبر مسائله على شيخ من شيوخ ذلك الفن ، حتى يكون جامعاً بين حفظ ذلك المختصر وفهم معانيه ، مع كونه مكرراً لدرسه متدبراً لمعانيه الوقت بعد الوقت ، حتى يرسخ حفظه رسوخاً يأمن معه من التفلت . ثم يشتغل بدرس شرح مختصر من شروحه على شيخ من الشيوخ . ثم يترقى إلى ماهو أكثر منه فوائد وأكمل مسائل .ثم يكب على مطالعة مؤلفات المحققين من أهل ذلك الفن ، فيضم ماوجده من المسائل خارجاً عن ذلك المختصر الذي قد صار محفوظاً له إليه على وجه يستحضره عند الحاجة إليه .

---

(١) الكنز : هو كنز الدقائق في فروع الفقه الحنفي للشيخ الإمام أبي البركات عبد الله ابن أحمد المعروف بحافظ الدين النسفي المتوفى سنة ٧١٠ هـ . والمنهاج : هو منهاج الطالبين في فروع فقه الشافعية ألفه محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ .

ولكنه إذا لم يكن لديه من العلم إلا ماقد صار عنده من فقه ذلك المذهب فلا ريب أنه يكون عاميّ الفهم ، سيء الإدراك ، عظيم البلادة ، غليظ الطبع . فعليه أن يبتديء بتهذيب فهمهوتنقيح فكره بشيء من مختصرات النحو ومجاميع الأدب حتى تثبت له الفقاهة التصورية ، وأما الفقاهةالحقيقية فلا يتصف بها إلا المجتهد بلا خلاف بين المحققين».

هذا خلاصة كلام الشوكاني ـ رحمه الله ـ ، وإن شئتزيادة الاطلاع على مطالب هذه المدلولات فعليك بأصل الكتاب فان فيه تحت كل قول فوائد جمة لايسع لذكرها هذا الموضع . وهذا آخر الكلام على هذا المرام وبالله التوفيق وهو المستعان .

* * *

مطلب
في مباحث من الأمور العامة
التي يكثر استعمالها والاشتباه بإهمالها

فمنها المفهوم ، إن تحقق خارج الذهن أصالةً فموجود عيني ، وسواه معدوم خارجي . فما فيه بالعرض حال من الحيثيات (١) الثلاثة، والأمور العامة ، والأعداد ، ولوازم الماهيات ، والنسب المطلقة كالحلول واللزوم والتضاد ، والخاصة كالفوقية والعِظَم .

أو في الذهن فموجود ظلي ، فما من الأعيان معقول أولي ، ومالا منها :واقعياً معقول ثانوي من المتأصلة في خصوص الوجود الذهني ، والمنتزعات كالأحوال والأعدام ، وفرضياً منفي . فما أبى الوجود لذاته ممتنع ،وما لامخترع ،وغيره ثابت تميز في نفس الأمر بأثر خاص :

ومنها : من الوجود حقيقي لايرتفع ، وعارض يرتفع منتزع أو منشأ له ورفعه عدم ، والإعدام والمعدومات لاتتمايز في ظرف الانتفاء .

ومنها رابطي [وله تقسيمات] (٢) :

١ — مفرد ومركب ، فمقابل المفرد مفرد ، والمركب في قوة مردد مانع الخلو .

---

(١) في هامش الأصل : « أي الإطلاقية والتقييدية والتعليلية . منه » ومنه : تعني من وضع المؤلف .

(٢) مابين معقوفين مضاف في هامش الأصل .

٢ — ومقيد (١) بالجهة ومطلق .

٣ — وبسيط نسبي .

ومتطرف ونفسي [وله تقسيمات أيضاً] (٢) :

١ — صِرْف ، أو مقيد بظرف ، أو مضاف إلى شيء فقط ، أو سابقاً أو لاحقاً أو مطلقاً فيصير قديماً وحادثاً وفانياً ،أو صفة لشيء (٣) عدولاً أو عدم ملكة .

٢ — وضروري واجب ، وممتنع بالذات وبالغير ، ويتعاكسان بالتقابل ،ولا ضروريهما ممكن خاص بالذات ، فقط يقابل نظيره (٤) وينقسم إلى قسميه ولايتعاكس .ولاضروري (٥) أحدهما ،ممكن عام. فمعيناً يقابل أحد الأولين (٦) ومطلقاً يشمل الكل .

٣ — وبالقوة أو بالفعل فكل (٧) مستعد قريب للآخر .

٤ — وعام (٨) وخاص يتقابلان تعاكساً والوجود قبل الكثرة (٩) أو معها أو بعدها .

---

(١) فوقها بين السطرين في الأصل : « أي الوجود والعدم » .

(٢) ما بين معقوفين مضاف في هامش الأصل .

(٣) فوقها بين السطرين : « أي مجرداً عن قيد الزمان » .

(٤) في هامش الأصل : « أي الضروري الذي واجب بالذات أو ممتنع بالذات » .

(٥) فوقها بين السطرين : « أي الوجود والعدم » .

(٦) على الهامش : « أي الواجب والممتنع بالذات ممكن الوجود يقابل الممتنع وممكن العدم يقابل الواجب . منه » .

(٧) فوقها بين السطرين « فلا ضروري أحدهما حال كونه معيناً . منه » .

(٨) فوقها بين السطرين « أي غير متعين بل مطلقاً عن الإضافة إلى الوجود والعدم . منه » .

(٩) فوقها بين السطرين « من الوجود والعدم . منه » .

٥ — ودفعي أو تدريجي منطبقاً أو لا .

٦ — والمطلق من العدم يباين الوجود ، ومطلقه يجامعه واعتباراه في الأغلب بحال (١) الوجود وقليلاً بحال نفسه .

٧ — وأحد الوجودين يباين الآخر (٢) أو يلابسه أو يندرج فيه ، فينارق الأحوال بأن حَمْلها اشتقاقي وحَمْله مواطأة .

٨ — وأصلي وظلي .

٩ — ومحقق (٣) ومقدر .

١٠ — ومنعوت بالطبع وناعت .

١١ — ومجرد كاملاً أو ناقصاً ومادي .

١٢ — ومشكك(٤)بأنحائه وغيره .

ومنها : الموجود بحسب الخارج ، إن نافى العدم لذاته فواجب ، وإلا فممكن له ماهية ، ولاتخلو عن ملابس مختص ، فالناعت حالٌ يحتاج شخصه إلى شخص الآخر . والمنعوت محلّ . فما استغنى عن طبيعة الحالّ موضوع للعرض ، وما لا فمادة للصورة ، والجوهر ما هيةوجودها العيني ،لا في موضوع ، وظن في الزمان والمكان والجوهر الفرد والخط

---

(١) في الهامش : « كالعدم المطلق رفع الوجود المطلق ومطلق العدم رفع مطلق الوجود . منه » .

(٢) فوقها بين السطرين : « أي اعتبار الشيء المطلق هو مطلق الشيء للعدم . منه » .

(٣) فوقها بين السطرين : « أي الوجود المندرج . منه » .

(٤) فوقها بين السطرين : « أي التشكيك » .

والسطح المستقلين ، والجسم والصورة جسمية ونوعية ، والهيولى والنفس والعقل ، وحقق في الخمسة الأخيرة فما لا يقبل قسمة وإشارة ، إن فعل في الجسم بالآلات واستكمل به نفس وإلا فعقل والقابل لهما محلاً هيولى فعليتها للاستعداد ، وحالاً متماثلاً في الجميع ممتداً لذاته صورة جسمية ومختلفاً نوعية ومركباً (١) جسم إن زاحم في الحيز دائماً فشهادي وإلا فمثالي . والشهادي (٢) بنوعيته بسيط أفلاك وكواكب وعناصر ، ومركب عنصري ناقص بلا مزاج تام به .فما يحفظ البنية فقط معدني ، وما ينمو ويولد فقط نبات ، وما يحس ويتحرك بالإرادة حيوان ، ومايتفكر ويصنع بالآلات إنسان أرضياً وجن نارياً .والنفوس الشاعرة فلكية وحيوانية وناطقة ،والعاطلة عنه نباتية ،والفاعل بلاشعور طبيعية وربما يعمم،والملك عندنا جوهر شاعر ليس بذي نمو وشهوة وغضب وإن أراد إنعاماً وانتقاماً ، ويقال علي روحاني ، ومثالي ، وسماوي ، وهوائي ومن كل (٣) مهيم (٤) ما ومدبر ، ويتشكل في مدركته ومدركة غيره بأشكال مختلفة كالجن .

والأعراض انضمامية وجودها في أنفسها هو وجودها لمحالها ، وانتزاعية وجودها خصوص ، نحو وجود محالّها في أنفسها ،أو مقيساً إلى غيرها وتبقى زمانا ، وينعت بعض لبعض ، ويتبع الجوهر في التحيز والنقلة،وإن أوهم تجدد الأمثال في الأشعة والإظلال والأصوات ،

---

(١) فوقها بين السطرين : « أي من الحال والمحل . منه » .

(٢) فوقها بين السطرين : « أي بصورته النوعية . منه » .

(٣) في الهامش : « أي من الأقسام الأربعة المذكورة آنفاً . منه » .

(٤) في الهامش : « أي المستغرق في عبادة الله تعالى . منه » .

والغفلة عن الجوهر في الأصباغ خلافه،ووجدوا منها نسبية يدخل غير المحال في قوامها ، وكما يقبل المساواة والزيادة والنقصان لذاته وكيف أسواهما ، فالنسبة إلى الظرف مكاناً « أين » وزماناً « متى » وإلى الأثر بالتدريج إيقاعاً فعل ، وقبولا انفعال ، وإلى داخل أو خارج منتقلا بانتقاله مشتملاً على كله أو بعضه مُلْك ، وغيره وضع ، وإلى نسبة إضافة مشاكلة أو مخالفة . والكم إن اشترك وقسيمه (١) فمتصل ، فالقار مجتمع الأجزاء ذو بعدٍ خط ، وبعدين سطح ، وثلاثة جسم تعليمي ، وغير القارّ زمان وإلافمنفصل عدد. والكيف محسوس سمعاً وبصراً وشماً وذوقاً ولمساً ولو بشركة وهم كالأوزان والألحان والحسن والنجاسة والسعة وأضدادها ، ونفساني في البدن كالحياة والصحة ، أو في النفس كالعلم والإرادة . والقارّة الراسخة منهما انفعاليات (٢) وملكات ،(٣) وسريعة الزوال انفعالات وحالات. واستعدادي يقوي قوة القبول (٤) وعدمه أو الفعل وظني أن الحركة منه (٥)، ولايضر عدم استقراره (٦) كالأصوات ، فلكل ماهي فيه فرد غير قارّ ربما وصل نوعاً بنوع تدريجاً ، ومختص بالكميات كالشكل والزاوية والزوجية والفردية ولعل النقطة منه .

ومنها : الماهية ،من حيث ليست هي إلا هيوذاتياتها،يسلب عنها

---

(١) فوقها بين السطرين : « من القسمين » .

(٢) فوقها بين السطرين : « من المحسوسات » .

(٣) فوقها بين السطرين : « من النفسانيات » .

(٤) فوقها بين السطرين : « من المحسوسات والنفسانيات » .

(٥) فوقها بين السطرين : « في المحسوسات » .

(٦) فوقها بين السطرين : « في النفسانيات » .

جميع العوارض الوجودية والعدمية واللازمة والمفارقة . ومن حيث ماهي عليه معروضة المتقابلات فتوهم ارتفاع النقيضين واجتماعهما وهي (١) :

١ — إما حقيقية تقومت بلا اعتبار وضع من الناس ، أو اعتبارية صناعية .

٢ — وإما خارجية تقع في الأعيان ، أوذهنية .

٣ — وإما بسيطة لاجزء لها بالفعل ، أو مركبة منتهية إلى بسيط بالفعل ، وتركيباً الظرفين ،وإن تلازما بالحقيقة فقد يختلفان بالحدود الاسمية أو الأجزاء المحمولة والغير المحمولة وأجزاؤها (٢)

١ — إما أركان لأصلها فتنتفي بانتفاء أحدها ، أو عرضية لكاملها فلا .

٢ — وإما أولية أو ثانوية .

٣ — وإما تركيبية بالفعل في الواقع فقط ، أو في الحس أيضاً ، أو بالقوة .

٤ — وإما متداخلة تحمل ولاتحمل باعتبارين كما مر ، فهي متخالفة الحقائق قطعاً متحدة العين كاللون والبياض ، ومتمايزة متطابقة كالهيولى والصورة والنفس والبدن ، وإذ عنَـوا في الحقيقيات للعموم والخصوص المطلق بينها ففي المتحدة هي الجنس والفصل بالحقيقة والمادة والصورة

---

(١) فوقها بين السطرين : « أقسام التقسيم الأول منها » .

(٢) فوقها بين السطرين : « أقسام التقسيم الأول منها » .

بالعمل ، وفي المتطابقة (١) بالعكس ، أو متباينة متجاورة متماثلة ، أو متخالفة بالنوع ، أو بالجنس كالعدد والبُلقة والخلقة ، والأجزاء المقدارية في الجسم المركب تركيبية وتحليلية ،وفي البسيطة تحليلية فقط . وجاز أن يكون للشيء أجزاء أولية متداخلة وثانوية متباينة ، وأجزاء الاعتبارات جواهر وأعراض حقيقية ، وإضافية سلبية ، وثبوتية إلى العلل الأربع فرداً وجمعاً ، أو إلى المعلول ، أو الخارج اللاحق أو المباين ، فقد يتخلف فيها اسم الكل عن جميع الأجزاء لفوات شرط الإطلاق . ولا بد في الكل من جهة وحدة وهي بالحاجة بلا دورإما في التحصيل أوالحصول أو البقاء أو ترتب الفرض ، وتكون في الحقيقيات بالذات واللوازم ،وفي الاعتباريات بالمفارقات أيضاً ، وتتشخص الماهية بنحو تقررها ، ويتقوم هذا النحو ابتداء للمنحصرة في فرد واحد بحقائقها وللنفوس بأبدانها ، ثم بالعكس (٢) ولما يحل بمحله مع الزمان ، وللمحل المنقسم بالوضع المصحح للإشارة معه وأصل الجعل بسيط ، ثم يجيء التركيب ، ففي بادئ النظر من قال بتقدم الثبوت على الوجود أو بزيادته على الماهية في الخارج قال بالمركب ،ومن لا قال بالبسيط ،وفي غامضه لايتم إلا بإخراج الأَيسْ من اللّيْس ، ويتخلل المركب بين أجزائها لا بينها وبين أجزائها لامتناع سلب الذات والذاتيات عن الشيء وتحصيل حاصل قبلي .

ومنها (٣) : الكثرة جهة الانقسام وتفارق العدد باعتبار خصوص

(١) في الهامش : « في المتطابقة جنس وفصل بالعمل ومادة وصورة بالحقيقة . منه » .

(٢) في الهامش : « أي بإبقاء فيتقوم هذا النحو للأبدان والنفوس » .

(٣) فوقها بين السطرين : « الماهية » .

المرتبة مبهماً أو معيناً فيه دونها ، والوحدة جهة عدمه وهي تقوم الكثرة وتعرضها وتقابلها بملاحظة البدلية في محلها ، وهو طبيعة المميز ولو بقيد زمان أو مكان أو نحوهما .

وتساوق الوجود والانقسام إما بتحليل الذهن إلى ا لحقائق المتطابقة وإما للكلي إلى جزئياته بضم قيود مختلفة إلى مشترك محصلة أوعارضة ليتكثر أجناساً أو أنواعاً أو أصنافاً أو أشخاصاً ، وإما للكل إلى أجزائه بفك أو بعرض حقيقي أو نسبي أو بفرض شيءٌ دون شيءٌ جزئياً بتعيين المقسم وَهْماً أو كلياً بدونه عقلاً في المتصلات ، وبتمايز الأشخاص والأطراف في المنفصلات .

وفرقوا بين الكل والجزء وبين الكلي والجزئي بامتناع حصول الأول في جزء وحَمْلِه عليه ، ، وبارتفاعه و توقفه بارتفاعه على جميعها وانحفاظ وحدته الشخصية مع كثرتها دون الثاني ، وكمال الوحدة لمن لاماهية لفعليته ، ولاصفة انضمامية لذاته ، ولاتعدد حيثيات متقدمة لتمامه ثم للمفارقات ثم للنفوس، ثم لما لاينقسم من ذوات الأوضاع ، ثم لمتصل الذات ، ثم للمركبات الطبيعية ، ثم للأنواع والخواص ، ثم للأجناس والأعراض العامة ، ثم للنسب المشتركة .

والاتحاد جهة الوحدة في كثرة ومنه الشركة في الاشارة ، وفي الحركة والسكون ، وفي المكان العرفي والزمان ، والصفة ونسبة الولاد والملك ونحوها ، وتختلف الجهتان قوة وضعفاً فأقواها الاتحاد بالذات. والتغاير بالاعتبار ، وأضعفها بالعكس . ومن الكثير اثنان فالوضعان إن اختلفا تشخصاً فقط فمتماثلان ، أو بالماهية فإن جاز اجتماعهما فمتخالفان وإلا فمتقابلان ، فإن قابل وجودياً مثله ، فما تلازما تعقلاً

متضائفان حقيقيان ، ويتكافآن قوة وفعلاً وعدداً ومحلاً هما مشهوريان ، وما لا متضادان فمع غاية الخلاف حقيقيان ،ويكونان نوعي جنس يتصوران لمحل وبدونها مشهوريان ، أو سلبه فالمطلق سلب وإيجاب بسيط أو عدولي ، والمقيد بمحل قابل للوجودي في وقته أوشخصه أو صنفه أو نوعه أو جنسه القريب أو البعيد عدم ملكة .

ومن الكثير مالا يتناهى ويقين جوازه في مثل اللزوم مالا يقف عند حد إذ ليسا منه حقيقة ، وامتناعه في المدارك البشرية مفصلاً بالوجدان . وفي العلل والأبعاد بالبرهان ، إذ الافتقار إنما هو لخلو الذات ، فإذا افتقر كل خلي الكل فلا أثر ولا تأثير ،وحركة المتناهي المتوازي لقديمه(١) إليه مع ثبات المبدإ تبطل ضرورة الحصر بين التوازي والتقاطع على تقدير عدم التناهي عند قطع السمت مابينهما في كل حد ، وتوجب قطع سموت غير متناهية في زمان متناهٍ ولحجج أُخر . وأما في غيرها فاشترط الفارابي الوجود والترتب والاجتماع والمادية،وأسقط جمهورهم الأخير ، والمتكلمون الأخيرين ، وبعض المحققين [الثلاثة] (٢) الأخيرة زاعماً إغناء إمكان فرض التطبيق الإجمالي عن الترتب الواقعي . وعندي أنه إن تم لزوم العدد للكثرة ، كما يظن ، انمحى اللامتناهي عن الواقع عيناً وعلماً وإلا لا ، وهذا فوق المدارك العامة ، ومنها مايتوقف عليه وجود الشيء،وهوما لولاه لامتنع إما عدم أمر فقط وهو المانع أو عدمه بعد الوجود وهو المعد ، أو وجوده فقط هو إما مرجح

(١) فوقها بين السطرين : « أي التناهي » .

(٢) أثبتت بين السطرين .

أو مصحح ، والترجيح هو التأثير والاقتضاء ، فالمقتضي للشيء المؤثر في وجوده هو العلة فما به فعلية المعلول :

١ — الصورة وما به قوله .

٢ — المادة .

وتدخلان في المركب وفي البسيط الصورة هي المعلولة ، والمادة هي القابلة إن كانت . وما منه صدوره .

٣ — الفاعل .

وما لأجله صنعته .

٤ — الغاية ، وهي علة ذهناً معلولة خارجاً وهما خارجان .

والحاجة إلى الثلاثة الأخيرة للتركب وضرورة القابل وللإمكان ولاختيار الفاعل قريباً أو بعيداً ، ومنه غايات الطبائع ، والمصحح شرط إما لتأثير الفاعل ومنه آلات الطبيعة كالقوى والجوارح ، والصناعة كأدوات الحرف وهي الواسطة بين الفاعل والمنفعل في إيصال الأثر ، أو لقبول المادة ، أو لتمام الصورة أو لترتب الغاية . وماوجب تقدمه ولم يجب زواله معه بالعرض محل أو شرط للمعد بالذات .

ومن العلل (١) :

١ — تامة لايتوقف على ماوراءها ، فليست شيئاً واحداً ، وناقصة غيرها .

٢ — وموجبة لايتخلف المعلول عنها ، وهي تامة ، أوجزء أخير منها ، أوفاعل مستجمع لشرائط التأثير ، وهي متلازمة وغيرها .

(١) فوقها بين السطرين : « أقسام الأول منها » .

٣ ــ ومستقلة هي جملة نوع منها بشروطه .ومنها(١) كافية تكفي لتحصيل جملة مالابد منه .

٤ ــ وقريبة لايتوسط بينها وبين المعلول علة ، وبعيدة .

٥ ــ وعلة لاتباين ذات المعلول كآثار الطبائع في محالها .

٦ ــ وعلة مخلفة للأثر وغيرها.وحقيقة التأثير مع حصول الأثر.

والتوليد ترتب فعل على فعل آخر لفاعل ، وقد يتعدد المحدث والمبقي لشخص في أشكال الصلات ، وجمع أجزاء المركبات ودعائم السقف وبدل مايتحلل ، وبدن الجنين ، ويستند ثابت الشخصية إلى متبدل شخصاً أونوعاً باعتبار القدر المشترك ، وبالعكس لاختلاف القوابل والشروط واللوازم إلى علة الملزوم ، وعدم المعلول إلى عدم شيء منها ، وجاز توارد علتين مستقلتين معاً وبدلاً على الواحد النوعي لاالشخصي إلا تسامحا في الاستقلال والعلية ، وبطل دور التقدم من جهة واحدة لا المعية ووقوع الممكن بلا إيجاب العلة.وتخلفه عن التامة ، واستناد جهة التعدد إلى جهة الوحدة وهي السبب ، والاتفاقي منه غير متوقع الإيصال ، وعند الأصوليين هو المفضي في الجملة فيتخلف عنه المسبب وهي الموضوعة لتحصيل الحكم فلا يتخلف عنها .

ومنها : التقدم والتأخر بديهيان متضائفان(٢) ، واجتماع موصوفيهما بحيثيتهما إن امتنع فزماني . وهما لأجزاء الزمان بالذات ولما يقترن بها بواسطتها ، وإلا فإما بحسب الحاجة فذاتي ، فإن جاز تخلف المتأخر

(١) فوقها بين السطرين : « أي العامة والجزء الأخير والفاعل المستجمع . منه » .

(٢) فوقها بين السطرين : « أي العلة » .

فطبيعي وهو للعلة الغير الموجبة والشروط والمعدات في الوجود ، وإلا فَعِلِّيّ وهو للموجبة في الوجوب وإما لابه ، فإن جاز الانقلاب بتغيير المبدإ فَرُتَبِي وهو بالقرب من المبدإ المفروض في مرتب حساً أوعقلاً وإلافبالشرف وهو بالزيادة في الصفة المقصودة ، وما سمي بالماهية كتقدم الذاتيات على الذات والذات على العوارض فلا ينفك عن الذاتي إلا في بعض اللحظات ، والمعية للمشتركين في تلك الوجوه حيث يسلبان عنه فما مع المتأخر متأخر في الكل ، وما مع المتقدم متقدم في غير العِلّيّ ، وكثيراً مايجتمع البعض توافقاً وتعاكساً والحمد لله .

* * *

خاتمة القسم الأول
في بيان (١) تطبيق الآراء

أقول : تدوين المذاهب المختلفة بأدلتها واعتراضاتها أورث داءً عضالاً من الحيرة والشك في القديم ورفع الأمان عن الجديد ، فالعامة بين متعصب للتقليد لايميِّز القريب عن البعيد ، ومذبذب حائر في الحق السديد . فدونت بتوفيق الله سبحانه في (الدراري والدرر) لدفعه كليات موازين التحقيق ، وأسباب الاختلاف ، وضوابط التطبيق ، وأردت إيرادها هنا راجياً من الله سبحانه أن ينفع بها عباده في فصول :

★ ★ ★

(١) بإزاء هذا العنوان في الهامش مانصه : « هذا والمطلب الذي قبل هذا مأخوذ من كتاب التكميل للشيخ الأجل رفيع الدين بن الشيخ المسند أحمد ولي الله المحدث الدهلوي رحمهما الله تعالى » . « منه دام ظله العالي » .

فصل

في ماهيّةِ التطبيق وهَلّيّتِه

نكتة : ليس المراد بالتطبيق نفي دعوى مخالفة أحد الخصمين للآخر ، ولاحمل كلام أحدهما على مراد الآخر ، ولادعوى مطابقة أصول كل مذهب وفروعه على الواقع . بل هوعبارة عن معرفة قدر انطباق كل مذهب مع الواقع وقدر انحرافه عنه ، ومعرفة سبب الانحراف ، بحيث يتفطن له من كلامه وأصوله وفروعه حتّى يطمئن القلب ويزول الريب.

نكتة: الإدراكات(١) والاعتقادات الحاصلة في النفوس موجودات حادثة ، فلها بالضرورة أسباب فاعلة وقابلة ، وشروط ومعدات ، وجميعها أمور واقعية أومنتهية إليها . والأمر الواقعي يمتنع أن يستلزم باطلاً محضاً أوما يستلزمه . فبالجملة حالها كحال سائر الشرور الواقعة في العالم . إنما شرّيتها بحسب جهة دون جهة ، ومنشؤها إعدام جزئية لازمة لطائفة من الموجودات . فكذلك بطلان بعض العقائد بحسب جهة دون جهة ، ومنشؤها إعدام لاحقة لبعض الصور الموجودة ، كحصول شيء بعنوان غيره عقيب طلبه ، وتمثل شيء بصورة شيء آخر ، وإجراء القاعدة مع الغفلة عن وجود المانع ، والقياس مع الفارق ، وأخذ العلم عن غير أهله لحسن الظن به ، وحمل الكلام على غير محمله لارتكاز مرجح

---

(١) فوقها بين السطرين : « أي من كلام صاحب المذهب . منه » .

في القلب ونحو ذلك.فإذا أمعن فيها من قبل مباديها الموجبة لها غيبية(١)، وشهادية ، وعلوية ، وسفلية ، واضطرارية ، واختيارية ، وداخلة في المدركة ، وخارجة عنها ، لاح مستقر كل قول وارتباطه بالواقع كمّاً وكيفاً فتوافقت المذاهب كلها . ولاينبغي أن يرتاب في هذا الإجمال ، وإن كان تفصيل زوال الاختلاف من رحمة الله الخاصة ، والله يختص برحمته من يشاء .

نكتة : كل من يحكُم على شيء فإنما يحكم عليه بمايناسب الصورة الحاصلة منه في ذهنه ، فمسقط إشارته في الحقيقة صاحب تلك الصورة ، والفرق بين صاحب الصورة وبين مأخذها والمقصود بها واضح . والصورة لاتخالف صاحبها أبداً ، فليس من هذه الجهة كذب أصلاً ، وكُلٌ إنما يحكي الحقيقة الحاضرة عنده المتجلية عليه ، ولكن يجب أن لايقتصر على هذا حتى يُفرق بين الحق والباطل ليظهر الهدى والضلال .

نكتة : لاريب أن الأشياء في مناسبة بعضها لبعض ليست على السواء ، وأن الإحاطة منا بجميع الأشياء بل بالشيء الواحد من جميع الجهات ممتنع . فالإنسان إذا أراد تحصيل أمر فقد يتصوره على غير ما هو عليه ، وإذا عرفه فقد يطلبه من غير مبادئه أويأخذه من غير مأخذه إما من المحاورات العرفية التي ملأت سمعه أو المواصفات العادية التي اطمأن بها قلبه ، فينتهي إلى أمر ويبدو له بادٍ حسبَ مسيره ومسلكه ، فيعتقده مطلوباً فيمسكه فيضل . وليتذكر ههنا ماسلف في المنطق من وجوه الغلط تأييداً لهذا المقام .

---

(١) بإزائها في الهامش : « حال كون تلك المبادىء غيبية » .

نكتة : وإذا صح طلبه انتهى إلى الأمر الواقع بالوجه الذي يناسب مسلكه ، واقعاً في نظام من النظامات وموطن من المواطن ومرتبة من المراتب ، فيذعن له وينكر على من سلك غير مسلكه ، فانتهى إلى وجه آخر من ذلك النظام ، أو نظام آخر من ذلك الموطن ، أو موطن آخر من تلك المرتبة أو مرتبة أخرى من مراتب الواقع ، فيتسع بينهما حريم النزاع . والحق أنه لا تدافع بين النظامات والمواطن والمراتب عند نفاذ البصيرة أصلاً .

نكتة : هذه الكثرة الموجودة تنظمها جهات وحدة ذاتية وعرضية مختلفة بالعموم والخصوص ، فترتّب أفرادها حساً أو عقلاً نسميه نظاماً ، والنظامات المتوافقة في المدرك موطن واحد ، والمواطن التي يتعدد بها وجودات الأشياء ولا يقع أحدها عن الآخر في جهة فبينهما نسبة الغيب والشهادة نسميه مراتب الواقع ، فالشجرة ينظر فيها النجار من جهة كم يحصل فيها من الجذوع والألواح وغيرها من الآلات الخشبية ولماذا يصلح خشبها من الأغراض . وابن السبيل من جهة مالها من الظل . والفلاح من حيث كم يسقي من الماء ومن أين مخضر ومن أين مصفرُ . والصيدلاني من جهة أجزائها من ليف وخشب وورق وزهر وثمر ونواة . والطبيب من حيث أفعالها في بدن الإنسان. والطبيعي (١) من حيث قواها من جاذبة وماسِكةٍ وهاضِمَةٍ ودافعة ، ومن حيث تشريحها ، فتلك جهاتها . ثم إنه قد يتعرض لها من حيث صنفها وبذرها ، وقد يتعرض لها من حيث هي في دوحتها ما كان هناك فيها ، وما كان يكون بعدها . وقد يتعرض لها من حيث مَلَكَتها مالِكُها من أي مال وما يحصل له منها ، فتلك

(١) فوقها بين السطرين : « أي الباحث عن الحكمة الطبيعية » .

نظامات تشملها ، ومالها من الروائح والأذواق والألوان والكيفيات الملموسة مواطن ، فإذا غفل صاحب قصد عن صفات أخر وأنكرها انعقد النزاع .

نكتة : ليس في التطبيق تجهيل الطرفين إلا من جهة قصور كلّ عن غاية التوجيه لكلام خصمه. ومن المعلوم أن الأسباب المؤدية إلى الخصومة لا تفرغ القلب لهذا الأمر ، وانما على طالب الحق استفراغ الجهد في درك الواقع لا في خدمة كلام الناس. ثم من يضمن لأحد نفي القصور في العلم وقد قال الله تعالى : ﴿وَما أُوتيتُم مِنَ العِلْمِ إلا قليلا﴾ وقد سبقنا إلى تطبيق الآيات مفسر الأمة عبد الله بن عباس ـ رحمه الله ـ وإلى تطبيق الأحاديث صاحب (المغيث من مختلف الحديث) (١) . وفي آراء المسلمين الشيخ علاء الدولة السمناني (٢) . وفي الشريعة والفلسفة إخوان الصفا . وبين رأي الحكيمين أبو نصر الفارابي ، وفي الإسلام والهندية دار أشكوه ، ومهّد حجة الإسلام لتأويل مذاهب المبتدعة الوجودات الخمسة في (فيصل التفرقة بين أهل البدع والزندقة) . وقال الشيخ ابن عربي :

عَقَدَ الخلائقُ في الإلهِ عقائداً
وأنَا اعتَقَدْتُ جَميعَ ما عقَدُوهُ

---

(١) هو الشيخ محمود بن طاهر ، ولم يذكر البغدادي صاحب الايضاح تاريخ وفاته ولعله متأخر .

(٢) هو علاء الدولة ركن الدين أحمد بن محمد السمناني ، له مؤلفات كثيرة في التفسير والحديث والعقائد .توفي سنة ٧٣٦ هـ = ١٣٣٦ م .

وسعى في التطبيق بين الشهودية والوجودية العارفان الجليلان الشيخ أحمد السرهندي والشيخ ولي الله الدهلوي قدس الله أسرارهما وإن لم يمهدوا له ضوابط . وقد عرفناك فضل منفعته فذلك من فضل الله علينا وعلى الناس . ولكن أكثر الناس لا يشكرون .

* * *

فصل

في موازين التحقيق

نكتة: طرق اقتناص العلم عقل ونقل وكشف، والحس شرط للكل ووسيلة إليه، وكل منها اذا استجمع شروط صحته كان مطابق الواقع، فامتنع أن تكون متناقضة بالحقيقة لئلا يلزم اجتماع النقيضين . نعم قد تكون مخالفة بحسب الظاهر للانحراف عن الجادة القويمة بنوع من الغلط ولا كلام فيه ، أو لاختلاف في مسالك الدلائل ، أو مواطن المدلول ، فكلتا الحكايتين عن أمر من الأمور الواقعة وإن اختفى موقع نظر واحد عن الآخر فهذا يقيني . وبعض من تفطّن لوجوب التطابق وغفل عن اختلاف المدلولات يحمل كلام احد الجانبين على غير مراده ، ويصلح بين الخصمين من دون تراضيهما ، ويأتي في ذلك بما يمجه الطبع السليم ويطيب الانكار عليه .

ومن العلوم العادية أن المذاهب المختلفة المتقاربة في الدلائل وثاقة وركاكة ، التي يبتني عليها النظام المحسوس ابتناءً صحيحاً ، ويدفع عنها النقوض الموردة دفعاً غير سمج ، ليست بعيدة عن الواقع كل البعد ولا كاذبة على الاطلاق ولاحقة بكل نقير وقطمير من فروعها وأصولها وإن كان بعضها أكثر موافقة من بعض ، فإذا تصفحنا عنها بالتعمق في مأخذها والتأمل في كيفيات أخذها ودرك أغراض مدونيها ودرجات فهومهم عرفنا منشأ الاختلاف وموضع الالتباس وموطن الحكاية والتمييز بين المتيقن والمظنون بتوفيق الله سبحانه وعنايته ،

نكتة : العقل أصل طرق الاكتساب لاغنية للنقل والكشف والحس عنه ،بل هو الحاكم بها والعامل فيها والمميز بين أقسامها ومراتبها ، وحكمه عام من حيث الادراك والقبول ، وإن كان قد يقصر عن بعضها من حيث التحصيل والوصول . وقولهم : طور وراء طور العقل ، يعنون به القواعد التي مهدها الملقبون بأصحاب العقل أوانفراده بلا انضمام ومعاونة من غيره ، وأصحابه متفاوتون فيما بينهم بالحدس والتجربة .

فمنهم : من يكون استحضاره للمبادئ أكثر ، وانتقاله إلى اللوازم أبعد ، وتعمقه في روابط الانتقال أحدّ ، ويكون وقائعه أوفر ، وشغله أمدّ ، وحسه أجود ، وتفطنه للامور المشتركة من العلل والأحكام واختلاف مأخذه أشد،ونظره إلى الواقع أوصل ، ومخالفة المألوف عليه أسهل ومنهم دون ذلك .

والنقل إذا ثبت عن الأنبياء عليهم السلام فهو أقوى، وأصحابه متفاوتون فيما بينهم رواية ودراية .

فمنهم أصح سنداً ، وألقى أساتذة ، وأحذق تعليماً ، وأصدق مخبراً ، وأنقى بدعاً ، وأكثر متناً ، وأوضح لفظاً ، وأضبط سماعاً ، وأكمل حفظاً ، وأزيد شيوخاً ، وأمدّ رحلة ، وأفقه فهماً . ولترجيح الاسانيد وأسباب الجرح عندهم وجوه مختلفة ، ومنهم دون ذلك .

والكشف إذا تم فهو أوسعها ، وأصحابه يتفاوتون بينه جداً في التطلع على العوالم الحاضرة لديهم والغناء في الرقوم المستجنة فيهم .

فمنهم من يتمثل له لطائف الجسمانيات كالملائكة السفلية

والشياطين والجن ، أو الحقائق المثالية على طبقاتها،تارة للهداية وتارة للإضلال ، أوالحقائق الروحانية على درجاتها من البشرية والفلكية والعلوية ، أو يتجلى له الاسماء والصفات الالهية ، أو يتجلى له الذات مرة في مرايا ادراكية بالتأثير في قواه أو في قوالب مثاليةبالتشبح بها، ومرة انكشافاً صراحاً .

ومنهم : من يفنى في خلاصة أهواء وعادات راسخة فيه أو في لطائفه الكامنة في جوهره ، فيظهر بعض الحقائق بنحو غير مايظهر في لطيفة أخرى ، أو يفنى في وجوداته المختلفة التي قضى بها في التنزلات الماضية أو الترقيات الآتية ، أو يفنى في الحقائق السارية فيه بعضها خلقية كحقائق الصور الجسمانية العنصرية ، أو الفلكية ، أو هيولى الجسم المطلق ، أو العماء (١) . وبعضها حقية من الاسماء الجزئية والكلية على منازلها والشؤون الذاتية بأصنافها ، وفي كل ذلك يتوفر عليهم علوم تلك المقامات وأحوالها ويتمثل لهم مقتضياتها .

نكتة : المعتبر من العقليات ماينتهي إلى اليقينيات بالطرقالميزانية انتهاءً قريباً أو جلياً ، ومن النقليات ماصححه الحفاظ أو حسنوه ، وما توارث من معناه القرون المشهودة لها بالخير،وتعاضدت عليه الآثار من غير صرف عن الظاهر المتعارف في مثله حقيقة ومجازاً وصريحاً وكناية ، ومن الكشفيات ماكان عن ذي فناء تام أو بعد الفراغ الكلي

---

(١) بإزاء ذلك في الهامش : « العماء هو المادة الإمكانية منها خلق عالم الأرواح والأجسام جميعاً،وهو أول مخلوق كما ورد في الحديث : سأل أبو رزين رسول الله صلى الله عليه وسلم أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : كان في عماء مافوقه هواء وما تحته هواء . منه رح »

والتوجه إلى الله سبحانه متواتراً مستمراً محفوظ الصورة بعينها ، وأورث حالاً من الأحوال الإلهية أو الملكية وعرف مقام صاحبه وسيرته .

نكتة : فصلوا في المنطق شروط الحَدْسِ والتجربة والأوّليات والمشاهدات ، وفي أصول الفقه والحديث شروط الصحة ووجوه الجرح والترجيح وفي (مالا يعول عليه)للشيخ ابن عربي شروط الكشف فليرجع إليها طالب التفصيل ، واكتفينا على الإجمال لقصد الإيجاز .

نكتة : المشّاؤون متجردون للفعل ، والسلف من المحدثين للنقل ، ومتأخرو الصوفية للكشف . وأما المتكلمون فكلامهم خلط بين نقل وعقل ، والإشراقية بين عقل وكشف ،والجامعون بينهما على اعتدالٍ نَدَرَ .

نكتة : من العلوم علوم محسوسة ، ومنها معقولة منتظمة تطابق المحسوس ، ومنها معقولة صرفة لانظير لها في الحس ، وللعقل في الجزم بها سبيل ، ومنها علوم استقرائية لا سبيل إلى الجزم فيها ، قصوى أمرها الظن أو الوهم ، ومنها مالاسبيل فيها للعقل إنما تنال سماعاً من حسٍ أو وحي أو كشف ، فمنها ماللجزم بها سبيل ،ومنها مالا. وجميعها يختلف في الجلاء والخفاء ، وفي الملائمة لبعض النفوس والمنافرة لها ، وفي الحضرة والمنفعة لسعادات النفوس ، وفي المآخذ والمسالك ، وفي الحاجة إلى ممارسة العمل وعدمها ، وفي كثرة الرغبة فيها والتنفر عنها وقلتها ، وفي انقلابها بمرور الزمان وثباتها ، وفي تقدم بعضها على بعض والتأخر عنه ، وفي كونها مقصودة أو وسيلة ،وفي تكميل القوى المختلفة ، وفي دخلها في قضاء الحوائج الهامشية أو الاقترائية ، ومعروف تمايزها بالموضوعات والغايات المترتبة عليها في الدنيا والآخرة ويختلف بذلك شرحها ودرجات العالمين بها .

نكتة : الباحثون عن الحقائق على درجات .

صنف : هم المستخرجون للمسائل والواضعون للعلوم والنّقّادون لها ، ونظرهم إلى الواقع مطلق فبعض آرائهم تعتمد على أصول صحيحة ولكن في تفريعها حق وباطل ، وبعضها على أصول فاسدة يؤصّلونها حفظاً لمذهبهم في الفروع المعلومة حقّيتها ، حيث لم يستطيعوا تفريعها على غير تلك الأصول ، أو خاضوا لزوم فروع مسلمة البطلان على أضدادها وإذعاناً بها لإلف أو ملاءمة طبع أو تحصيل غرض ،أو اطلاعاً على دليل عجزوا عن دفعه ، والمحقق إنما يعتني بكلامهم .

وصنف : هم الشارحون لكلام أولئك المفرعون على قواعدهم والذابون عنهم ، ونظرهم إلى الواقع مقيد والخطأ منهم متضاعف ، ومع ذلك يوجد في كلامهم فوائد مغتنمة .

وصنف : يضربون بعض الكلام ببعض سؤالاً وجواباً وتوجيهاً على قدر ما أحاطوا به من الكتب ، وكلامهم أقل جدوى ، والماهر في كلام الأئمة وعاداتهم ناجٍ عن فتنة شَغْبِهم ، إلا أنهم قد يمرون مقاربين للحق في هَيَمانهم ، وتسقط من أفواههم ضالة الحكيم .

وصنف : قصوى هممهم توجيه العبارات والمناقشات اللفظية وترجيح المحتملات بكل وجه قريب أو بعيد لايرفعون إلى الواقع رأساً ، ينقطع أساسهم بعناية وملاحظة قيد وإبداء احتمال . وليس للمحقق اعتناء بهم أصلاً ، وهذا جار في أكثر الفنون فعليك بتمييزهم .

* * *

فصل
في أسباب الاختلاف

نكتة : كما أن الموت أمر طبيعي لحياة البشر باعتبار الطبيعة الخاصة والعامة معاً ، فالخاصة تقتضيه لقيامها بالحرارة والرطوبة ، والعامة لإيفاء العناية الأزلية مقتضى الطبائع الكلية من العناصر والأفلاك ، والبسائط تقتضي انحلال المركبات ، والأوضاع السماوية تنتهي إلى القواطع . فكذلك الاختلاف طبيعي لعقول البشر باعتبار الطبيعة الخاصة والعامة معاً ، وإليه الإشارة في قوله تعالى ﴿ولا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ ولذلك خلقهم .

أمّا الخاصة فلوجود القوة الحاكمة منهم ، ومخالفة ما أحاط مدركة أحدهم لمدركة الآخر لأسباب سنبيّنها .

وأما العامة فلأن صانع العالم — جَلّ مجده — لما أراد انتظام النشأتين وتعمير الدارين بإبداء آثار الجمال والجلال فيهما ، وناط بحسب تلك العناية المساعي والدرجات بالاعتقادات وجب اختلافها . فما التطبيق إلا بحسب العلم والفهم لا بإزالة الخصومات من بين الناس .

نكتة : لاختلاف الاعتقادات أسباب عامة شاملة لها ولغيرها .

منها : اختلاف الأوضاع السماوية بحسب الأدوار والقرانات الكلية والجزئية وطوالع المواليد والميائل ، وجرب في الهنود أن من كانت

الشمس والمشتري في سابعه انكشف له حقيقة الإسلام وخرج من دينه اليه . ويذكر أن وقوع الدراري على الطالع في العاشر ينور العقل . واتصال سهم الغيب بالسعود يصوّب الآراء في أبوابها .

ومنها : اختلاف الطبائع الأرضية من الأقاليم والبلاد وسهلها وحزنها وبدوها وحضرها ، ومن الكيفيات المزاجية وعادات القوم . والهنود يقع في مداركهم طول الأزمان ، والعرب بالعكس .

ومنها : اختلاف الاستعدادات بحسب الصور الشخصية والصنفية الفائضة على المواد القابلة لها بمقتضى العناية الأزلية .

ومنها : اختلاف ألوان حظيرة القدس بحسب عنايات الملأ الأعلى ، وصعود الهيئات المثالية من بني آدم المعدة لظهور فيض متجدد من هناك .

ومنها : تبدل دولة الأسماء الإلهية المدبرة للقرون المقتضية لظهور أنواع الكمالات والصناعات شيئاً فشيئاً ، وتفصيل هذه المبادىء مذكورة في فنونها ، والغرض تنبيه عليها وتذكيرها .

نكتة : لانعقاد الأديان والمذاهب تقريبات هي من جملة أسباب الاختلاف :

منها : توجه العناية الإلهية بإرسال رسل مبشرين ومنذرين ، ولما(١) انحصر فيه صلاحهم شارحين ، في أقطار أو قرون متباعدة بشرائع متنوعة . قال الله تعالى ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ الآية .

(١) في الهامش : « متعلق بما بعده وهو قوله : شارحين . منه » .

ومنها : تجارب الأذكياء ورصد الحكماء والمأثور من الأولياء والمتبرك من سنة الصلحاء ومروج الملوك والامراء في كل طائفة طائفة على حسب ما بلغته عقولهم في انتظام مصالحهم حسب طبائعهم وعاداتهم .

ومنها : انتشار الكذّابين المتنبئين ، والدجاجلة(١) المضلين ، والمحرّفين من المختلسين ، والمخترعين من أصحاب البخت والقوة . ويتصل بذلك دواعي القبول من الناس لمناسبات جِبِلّية ، أو تصديق هواتف ومنامات ، أو مصاحبة كرامات ، أو استدراجات ، أو انتظام مصلحة دولة وجاه وتوقع دواعي حرص وشبهها ، أو غضب وحمية ، أو مخافة سيف وذُل ، أو تجربة ناقصة لمجازاة دنيوية ، أو وضوح حجة ، أو تسويل شبهة ، أو موافقة جمهور ، أو تسخير سحر ، أو قلة تدبر من الطبقة الأولى الى غير ذلك . ولايزال ذلك مستديماً بتأييد الله سبحانه ببعث المجددين والناصرين لها ، ونصب الآيات الباهرة على حَقِّيّتها من الخوارق والشواهد السابقة واللاحقة ، ومن لحوق المصائب والشؤم في تركها ، أو خشية طعن الأسنة والألسنة في عصيان الرسم ، أو الإلفة بسنة الآباء وتقليد ذوي العقول الناقصة ، أو حب الرئاسة والجاه في دين أو مذهب ، أو محاسدة العلماء أو تعنتهم ، أو تقاعد العقلاء عن درك الحق ورفع الخلاف لقصور الفهم ، ومثل هذا من التقريبات . وحدوث الخلف على طبائع السلف يحرك رغبتهم الى عقائدهم والنصر لها ،

---

(١) في هامش الأصل : « منهم الذي خرج لهذا العهد يسمى السيد أحمد ، على طريق عكس القضية . وقد ذكره السيد العلامة الجامع لهذا الكتاب في (حجج الكرامة) و (الإذاعة) فليرجع إليهما من شاء يتضح عليه حقيقة الحال » « المولوي السهسواني سلمه » .

ثم يشعّب ذلك اختلاف أمزجة المتديّنين والمتمذهبين فينجر الخلاف إلى ماشاء الله تعالى .

نكتة : يخلق الناس على غرائز وهمم وعادات شتى ثم يتيسّر لهم مصاحبات وأغراض واتفاقات فوضى ،ولاختلافها مدخل جليل في إحداث الآراء وترجيح المختلفات ، فمنهم الحديد يستطيع تخليص الأطراف عن شوب المألوفات والعبارات ، والبليد يعجز عنه ، والمنحصر في المحسوس لا يرى المعقول إلا من مكان بعيد ، والمتجرد عنه ، والمفرط في قياس الغائب على الشاهد ، والمبالغ في الفرار عنه ، والعجول في القبول والانكار من غير أن يحيط خبرة ، والمتأنّي فيه ، والمسامح يكتفي بالظن وبصورة من الصور المحتملة التي تفي بظاهر المقصود ، والفحّاص عنه والمتيقظ بالمشاركات والمبائنات واللوازم ، والمغفل عنه ، والمغلوب في أيدي الوهم يبني الأمر على الاعتبارات المحضة ، والغالب عليه والناظر في الشيء ببذل الجهد وصرف القصد ، والمتكاسل عنه يمر سرداً وتطفلاً ، ونيّر العقل يتنبّه لأشياء بلا تعليم وبأدنى إشارة ، ومُظْلِمُه يعجز عنه ، والمتقيّد بالشرائع والواهن فيها ، والمألوف بالرسم وغير المبالي به ، وواسع الفهم يحيط بالشقوق والقيود والسابق واللاحق والمبْسوطات ، وضيّقه ، والمشتهي للتفرد ، والمتنفر عنه يحب التقليد ، والمتفطن لفروع الشيء وعواقبه ، والراكد عليه ، والمحب لشخص ومذهب ، والمبغض له فيرتكبون في الإخراج والإدراج فيه كل صعب وذلول ، والمحقق ، والمقلد ، والمنصف ، والمتعصب ، والإمّعة ، والقادر على أداء مافي الضمير ، والقاصر عنه ، ومستقيم الفهم ومعوجّه ،ونقي الباطن يورثه الباطل قلقاً كأكل الذباب وكدرة

المطمئن بالأكاذيب ، والمنقح للمقصود عن الوسائل واللواحق ، والخابط فيه ، والجازم يقع في قلبه الحكم بعد النظر فيه ، والحائر لا يحكم ،إلى غير ذلك مما لايعسر على الفطن عند الاستقراء معرفة أصنافه وتعيين أشخاصه .

فهذه وأشباهها أمثال الزجاجات على البصائر تحجبها عن نيل الواقع على ما هو عليه من غير خلط أو تعينها عليه ، ولا ينبغي لطالب الحق أن يغفل عنها أو يحتبس في الرديّ منها ، بشرط أن يتجنب الإفراط والتفريط ويوفي كلّ ذي حق حقه .

نكتة : من أسباب الاختلاف اختلاف أحوال الشيء في نفسه . وقد مرّ حديث اختلاف الجهات والنظامات والمواطن إجمالاً فيوضح ههنا بأمثلة .

قد يكون الشيء علة تامة لشيء ناقصةلشيء،مستقلة أو لا،وقريبة أو لا،وكافية أو لا،أو يكون له علل كذلك.وقد يكون الشيء واجب الاجتماع مع شيء على تقدير وممتنع الاجتماع معه على تقدير آخر ، وممكن الاجتماع راجحاً أو غيره على تقدير آخر . وربما يكون بين شيئين علاقة الغيرية من وجه والعينية من وجه أو وجوه أخر . ويكون الشيء بسيطاً تركيباً مركباً تحليلاً أو بالعكس . أو يكون له جزء في الحقيقة لا في الحس ، أو يكون فيهما داخلاً عرفاً خارجاً حقيقة ، بسيطاً عينيا لاذهنياً أو بالعكس . وقد يكون الشيء واحداً باعتبار كثيراً باعتبار ، متناهياًبالفعل غير متناه بالقوة ،ضرورياًمطلقاً أو بالنظر إلى شرط ، اختيارياً معيناً أو بلا شرط ،موجوداً في الزمان أو بالعموم أو بالعرض ،

معدوماً في الآن أو بالتشخص أو بالذات ، مستمراً نوعاً متجدداً شخصاً ، بديهياً بعنوان نظرياً بعنوان آخر ، معرض المتنافيات في ضمن الأفراد أو في حدود الامتدادات ، متحد الحكم بالقياس إلى الطبيعة أو في حدّ واحد من الحدود ، ثابتاً على صفة في وقت منتفياً أو على غير تلك الصفة في وقت آخر .

فتلك أمثلة الجهات . وكذلك اختلافات النظامات حقاً وباطلاً ، ضاراً ونافعاً ، كمالاً وفساداً بحسب نظامين كنظام الحس والشرع كنَسَب ولد الزنا ، والربا في الآخرة والدنيا ، والسم للاسع والملسوع .

ومن النظامات نظام الطبيعة الكلية ، والطبائع الجزئية المترتبة من البسائط والمركبات المختلفة ، ونظام الحكمة الواجب التعليل ، ونظام القدرة المانع منه ، ونظام الاختيارات ، ونظام المجازات ، ونظام الأوضاع السماوية ، ونظام العادات البشرية إلى غير ذلك . وعلى سنن ذلك اختلاف المواطن يكون الشيء جوهراً في موطن عرضاً في موطن آخر ، حيواناً في المثال جماداً في الشهادة ، سعيداً في وجود شقيا في وجود ، قديماً في ظرف حادثاً في ظرف في حين واحد أو أحيان شتى ،واحداً بحسب ظرف وله أعيان وصور كثيرة في ظرف آخر ، ولا شك أن أحكام أحد الوجهين تباين أحكام الوجه الآخر . فمتى اعتنى أحد الناظرين بوجه والآخر بآخر لأجل مسلك سلكه أو لالتباس وقع له اختلفت الأخبار باختلاف الإحاطة والاقتصار ، وقام تنازع الحكومات على ساقه . فعلى المستبصر أن ينتبه لها ويفتش عنها .

نكتة: من أسباب نسبة الاختلاف إلى المحققين اختلاف التعبيرات ،

فقد يحصل في الذهن هيئة واحدة إجمالية فيختلفون في تسميتها بحسب اللغات والاصطلاحات المتعارفة عندهم ، وفي شرحها بحسب المعاني المهمة لهم والخوض والاقتصار منهم ، وفي تصورها بعبارات مختلفة قرباً وبعداً على قدر بلاغتهم . وقد يعبرون عن الشيء الواحد مرة بصورة انطباعه في المدركة أو نيل المدركة لأمثاله ، فيقال مثلاً : صارت الشمس تحت السحاب ، وهي فوقه . ومرة بما ناله من غير انحراف وتفتيش عن الحقيقة كما يعبر عن الرؤيا قبل تأويلها . ومرة بعد التجريد للحقيقة عن ملابسها وغواشيها . ومرة من حيث تعيينه في مرتبة أو كونه أثر الفاعل أو صورة في مادة أو مبدأ لغاية على اختلاف في الفاعل والمادة والغاية ، فيظن الاختلاف فيه وليس كذلك . وقد ينظر إلى الشيء بالإجمال أو سطحياً لعدم الاعتناء به ، أو على التفصيل والغَوْرِ بطناً بعد بطن على مراتب الاعتناء به ، وقد يقع في الكلام تخصيص عام للتصوير أو الاهتمام أو تعميم خاص للإبهام أو التخمين أو المبالغة ، أو يقع ادّعاء حصر للتأكيد فقط ، أو إيراد مجاز متعارف عند القائل ، أو كناية والمقصود غيرها أو تلميح ، وتقع تمثيلات مختلفة وفيها تقريب من وجه وتبعيد من وجه وإبهام في القدر الجامع وذلك لكونها أبلغ في سليقة القائل أو لتفنن في العبارة ، ويقع صرف عن الظاهر لضيق العبارة كوضع الترتيب الزماني موضع الرتبي والمصاحبة الزمانية موضع المصاحبة الواقعية ، ويكون الواقع عند الكل شيئاً واحداً وبعد ذلك مقام لتفتيش المستعملات والاصطلاحات ، وبيان اشتراك معنيين في لفظ أو ترادف لفظين على تمام المعنى أومع تفارق بملاحظة قيد جزءاً أو شرطاً ، وهذا وإن كان يسيراً بعد الإحاطة بالمواطن والنظامات ولكن الحق أنه لايستقيم

أيضاً إلا من ألـمعي محقق منصف ، يجمع الوصفين كثرة التبحر والعبور على كلمات الأئمة المحققين وقوة التدقيق والبحث في فني الجدل والتوجيه مع تأييد وهداية من الله وليّ التوفيق .

نكتة : من أعظم أسباب الاختلاف تنوع فهم اللاحقين لكلام السابقين ، وهذا هو الذي أثار فتنة الشّغْبِ بين الشراح والمحشِّين ، وأورث افتراء المذاهب على أهلها ، ويكون منشأ سوء الفهم تارة لكمال الحماية والعداوة لأحد ،وتارة للغفلة عن مرمى قصده ومطرح نظره .

طَرِبْنَا لتَعْرِيضِ العَذُولِ بذكْرِكُمْ
فَنَحْنُ بوادٍ والعَذُولُ بوادِي

وتارة للقصور عن استيفاء المقدرات في الموجز ، وحفظ القيود الضمنية في المطنب . وتارة الخطأ في المحمل للاشتراك والتجوز أو إرجاع الضمير . وتارة المبادرة ثم الاصرار على ما استقر في النفس قبل من غير إيفاء النظر حقه . وتارة الجحود على المسموع لحسن ظن كاذب في قائله ،وتارة للبلادة عن نيل المعنى الدقيق والاغترار برأيه.فالمرءلايزال عدواً لما جهل . وأمثال ذلك مما يفهمه المحقق من الكلام وسياقه فهم الطبيب داء السقيم من عوارضه ومن التدبير المقدم .

* * *

فصل
في ضوابط التطبيق

نكتة : مـُحاولُ التوفيق ينبغي أن يأخذ الواقع إقليماً وسيعاً ، ويقطع لصاحب كل مذهب منها قطراً من أقطار العلويات والسفليات من آفاق الغيوب والشهادة ، وناحية من نواحي العلم والعين ، بل يأخذ كل شخص بلداً عامراً فيه من الأوصاف اللازمة والمفارقة ، والنعوت الظاهرة والباطنة ، والذاتية والغريبة ، والانضمامية والاعتبارية ، والحقيقية والإضافية ، والثبوتية والسلبية مالا يحصى ، إنما مجال الباحثين منها ميدان دون ميدان ، ويقيد عموم إثبات كلٍّ ونفيه في مقامه ومشهده ، فإن لكل مقام علوماً ومعارف لا تكون في غيره ، كما ورد لكل حدٍّ مطلع ، وصاحبه كثيراً ما يغْفل عما عداه فلا يروي عنه إلا ما أحاط به ، وأن لايذعن لنفي واحد قول الآخر ولا لتأويله إياه ، إلا ما كان من صاحب الوحي الالهي نصاً محكماً ، وأن لا يسرع في انكار مستغرب ، وأن يبالغ في تصحيح عقد الوضع بتشخيص ذاته من إقليم الوجود أين هو وكيف هو باستقراء أوصافه التي وقعت عنوان بحثه وموقع نظره ، فربما يـُعَنْوِن عن ذوات متغايرة بعنوان واحد يصدق على جميعها معاً أو تعاقباً أو بدلاً وبالعكس ، وينقح عقد الحمل بتميز إطلاق مفهومه عن خصوص نحو ثبوته للموضوع وتحققه فيه ، ولا يعتمد في فن إلا على كلام دستوره ومخرجيه ، ولا يغفل عن فهم أصحابه كلامه ونقدهم رأيه ، ويزن

أصولهم بموازين الدلائل والقرائن وتصفح المواد حتى يتبين سقوط أدلتهم ونهوضها وقوتها وضعفها وخصوصها عن الدعاوي وعمومها ، ثم يعود فينظر في الفروع من طرق الأمارات الخصيصة بها نظرة ابتدائية ، فقد وقع في التفريعات ذهولات وغفلات ، وأن يفحص عن بدء أمر المخرجين والناصرين للمذاهب وتقلبات أحوالهم إلى ما انتهى إليه شأنهم ، إذ به يعرف أغراضهم ورجوعهم في الأقوال وأسبابه ، وانتقالهم من درجة إلى درجة أعلى وأدنى ، ومطمح نظرهم في مساعيهم من نيل الحق أو طلب السعادة أو المال والجاه وإفساد دين أو طريقة ، وأن يتنبه لتواردهم واختلافهم في ذكر وترك وإجمال وتفصيل ، ويعلم أن من الآراء ما يكون منتهى السعي إبانة عُذْر صاحبه في جهله بعمدة الباب .

وبالجملة فإذا حافظ على هذا وأمثاله بسليقة موهوبة أو فطانة مكتسبة هان عليه التوفيق بإذن الله ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

نكتة : الواقع هو ما عليه الشيء بنفسه في ظرفه ، مع قطع النظر عن إدراك المدركين وتعبير المعبرين . والوصول إليه يكون بالعيان أو البرهان ، ففسره قوم بما هو مقتضى الضرورة والبرهان . ولما اختلفت الظنون في اعتقاد المقدمات برهاناً أو شبهة وفي أخذ الظروف متسعة أو متضيقة اختلف مُعَنْوَن الواقع فاختلفت الحكايات عنه ، ومن لم يتنبه لهذا الاختلاف لم يتنبه للتطابق .

فمنهم من يزعم الواقع ظرف الثبوت فوق الوجود .

ومنهم من يحصره في الوجود ولوازمه ، ويجعل الوجود أصيلاً فقط أو أصيلاً وظلياً ، أو إياهما ولحاظياً .

ومنهم من يحصر الدائرة الإمكانية فيما له حيز وجهة .

ومنهم من يحصرها في المبصرات والمعاني التي فيها .

ومنهم من يحصرها على الأشخاص دون كلياتها .

ومنهم من يحصرها على مجتمعة الأجزاء .

ومنهم من يحصرها على ماله مادة سابقة دون مستأنف الوجود فيجب التقاط مرامهم عن فحاوي فروعهم وأصولهم .

نكتة : إثبات عالم المثال أصل عظيم من أصول التطبيق ، من جهة أن فيها صور الحقائق المجردة والمادية فيقع على ما فيه سير الناظرين فيخبرون عما وجدوا وإن لم يعرفوا أنه من عالم المثال ،وذلك في النقليات والكشفيات أكثر منه في العقليات .

ومن جهة أن فيه روحانيات تسمى داعية اليهودية والنصرانية وغير ذلك من الأديان والمذاهب ، وأنها تلقي صور المعتقدات لهم في المدارك ،وتروِجّ تلك العقائد بالمنامات والهواتف فتطمئن النفوس إليها وتنفر عن أضدادها .

ومن جهة أن فيه خزانة الكواذب كما فصلته في تفصيل(١) (رسالة المحبة) وينقدح بالاتصال بها آراء شتى ، وتستمر الآراء برسوخ ملكته .

ومن جهة أن تلك الصور المثالية تقع عنوانات ومرايا للأمور

(١) في هامش الأصل : « في رسالة المحبة ثلاثة أجزاء : تحصيل وتذييل وتفصيل . وهذا مذكور في الجزء الثالث . منه » .

الغائبة والموهومة فيظن التخالف فيها ، وهذا كثير في العقليات . وفي هذا العالم ألوان وأبعاد وأشكال ولا يزاحم الأجسام المادية ، ويختلف المثاليات لطافة وكثافة(١) ورسوخاً واختفاء ، والعوام لا تظنها غير الأجسام وتسميها أجساماً غيبية وشهادية ، فيجري على ذلك من يخاطبهم ويفهمهم ، وإنما إنكارها وحصر الأجسام في الشهادية وضبط أحكامها من تدقيقات الفلاسفة والمتكلمين .

نكتة: من أصول التطبيق التجلي ، وهو ثابت عقلاً ونقلاً وكشفاً ، وهو من أحكام جهة الكثرة لا ينكره منكر وحدة الوجود ، ولا يستغني عنه قائلها تمييزاً بين الأحكام الحَقّية والخلقية . وبينت مادته وصورته في (رسالة المحبة) وغيرها ، وله جنسان بإثبات الواسطة وبرفعها .

فالذي بإثبات الواسطة مادتهماله اختصاص بالاضمحلالوالحكاية معاً، وصورته ارادة التعرف .وينقسم إلى وجودي ينتظم به أمر العالم ، وكمالي هو في نفسه أمر خارجي ، وشهودي حاصل في المرايا الإدراكية . ومن هذا القسم صوري ومعنوي وذوقي .

والذي برفع الواسطة إما أن يكون الحجاب من جهة المتجلى له من وصف أو مُلابِس ، أو بين المتجلي والمتجلى له ، أو من جهة المتجلي . وهذا إنما يتصور بالانتقال من شأن إلى شأن ومن موطن إلى موطن . ورفع ما في البين إما بإفنائه،أو برفع حيلولته بترَقٍ للمتجلي له، أو تدلٍ للمتجلي . والمحقق القونوي(٢) عممه في كل مالا تحويه الجهات

(١) فوقها بين السطرين : « إلى عالم المثال » .

(٢) في هامش الأصل : « الشيخ صدر الدين القونوي تلميذ محيي الدين بن عربي». واسمه محمد بن اسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي، صوفي له مؤلفات كثيرة ، توفي سنة ٦٧٣ هـ = ١٢٧٥ م .

وهو حق ، والفرق بين تعلق النفس بالبدن والمتمثل بالتمثل والمتجلي بالتجلي حصول الانحصار والانفعال معاً في الأول، والثاني فقط في الثاني ، وانتفاؤهما معاً في الثالث . ولا بد في التجلي من ممازجة عالم المثال لتضمن جهة الحكاية ،فإن الشهاديات لا تحتمل الحكاية طبعاً وإن احتملتها وضعاً ، وكثير من اختلافات العقليات والسمعيات والكشفيات ينحل به(١) .

نكتة : قد يستغرق المتفكر والمكاشف في السانح(٢) فيختفي عليه ماعداه فينطق بالكلية ، وما مصداقها إلا الجزئية . وقد يعتني بمعنى دقيق فيتبعه النظر فيحكم به على ما فيه شائبة(٣) منه وأدنى مناسبة معه ، ولا يلتفت إليه غيره . وقد يشتبه الظل بالأصل والمقيدبالمطلق فيذعن لأصالة الظل وإطلاق المقيد ، ولا يتنبه له إلا بعد الترقي عنه ، والعارف بالأصل والمطلق يفضح قوله . ثم إذا ترقى عنه فقد يعبر عنه بالرجوع وتخطئة الأول ، وقد يعترف بالخوض فيه وانكشاف سره وبطنه فيصحب الحكم السابق فيظن الاختلاف باقياً وقد انمحى فاحفظ عليه .

نكتة : الإصابة والاخطاء يطلق في العمليات تارة على ترتب الغاية على الصنعة وعدمه ، وتارة على الجريان على وفق القاعدة ،

---

(١) فوقها بين السطرين : « أي بالتجلي » .
(٢) في الهامش : « مايرد على القلب » .
(٣) فوقها بين السطرين : « حالية » .

وفي الشرعيات مرة على الوصول إلى مراد الشارع ، ومرة على الحكم بمقتضى الدليل فيختلف بحسب الاختلاف بالمأخذ ، فيكون معنى الحكم بشيء أن مقتضى هذا القدر من المبادىء كذا ، وبهذا المعنى يرتفع التنازع في الشرعيات . وبعد ذلك فالنسخ أيضاً من أقسام التطبيق، إذ فيه أعمال كل دليل في وقته ، وكذا التخصيص إذ فيه أعمالها في محل ما . وبعد ذلك فمن باب التطبيق فيما صح سنده ودلالته ولو في الجملة الحمل على العزيمة والرخصة ، أو على الإباحة والكراهة ، أو على التشديد والتسهيل ، أو التنزيه والتحريم بناء على ضابطة إسقاط الإنكار . وعامة الرواة ممن لا يخوض في دقائق الأحكام إذا روى بالمعنى أمكن أن يزيد وينقص في الطلب والكف ، وأما الذكر والترك أو التعيين والإيهام فلا يعده من باب التعارض إلا من قل خوضه في المعاني ، وقريب منهما تقديم وتأخير في الكلام .

نكتة : ذكَرَ حجة الإسلام(١) في (فيصل التفرقة بين أهل البدع والزندقة) أن الشيء يكون لهَ وجود في نفسه خارج الحس والعقل وهو الوجود الذاتي ، ووجود في الحس كالشمس رغيفاً والقطرة خطاً وقوس من محيط الدائرة الكبيرة مستقيماً ، ووجود في الخيال إما على صورة المشاهدة كطيف النائم والمبرسم ، وإما على صورة للذكر ووجود في العقل بتجريد الذات أو الوصف المختص ولو عرفا عن غواشيهما كالصنعة من اليد والحفظ من العين ، ووجود تشبيهي وهو استعارة

---

(١) أبو حامد الغزالي .

اسم المبائن لشيء لا شتراكهما في معنى معروف . ويجب الحمل في النصوص على ما هو الأقوى في الترتيب المذكور ، إلا أن يلوح للناظر مايدل على نفي شيء من السوابق فيحمل على اللاحق مذعناً بأنه مراد الشارع . فهذا وجه من التطبيق في الأخبار وإصابة للحق كاملاً أو ناقصاً .

* * *

فصل

في الجَرْح والتَّرْجيح

نكتة : محاول التطبيق لا يستغني عنهما لما سبق أن القاطِعَيْن لا يتعارضان ، فمعارض القاطع مظنوناً كان أو مجزوماً به مجروح ، وشبهته حجاب على الحق وبكشفها يرتفع ، والمظنونات والمجزومات دونه تتعارض . فيجب تمييز قرينة تطابق الواقع أو تقاربه عما يلتبس بها من أمارات قاصرة ونكات شعرية وتمويهات سفسطية تصير غيناً(١) على عين العقل . فهذا المحاول والمجادل يشتركان في الجرح اشتراك المعالج للصلح للبنية والمعاند المفسد لها فيه . والفارق أن نظر الأول بالإنصاف ، وهمه في انتخاب السالم من المقدوح ، ومأخذه كلام صاحب المذهب من الإشارات والتفريعات. ونظر الثاني بالاعتساف وهمه في إلزام الشناعة لتحرك الحمية للمخالفة ، ومأخذه ما فرط من قلم أو لسان بصرفه إلى مستبعد ، ومخالفة عامة مما يوجب التبكيت والتحميق .

نكتة : الجرح إما في أطراف الحكم من حمل على غير المحمل ، أو في نفسه نفياً وإثباتاً ، أو في سوره من عموم وخصوص ، أو في جهته كدوام ولا دوام . وإما في قوته من وهمية أو ظنية ضعيفة أو

---

(١) الغين : الغشاوة .

قوية أو متوسطة ،أو جزمية مطابقة أو لا ، فهي بالحقيقة ترجع إلى الأربعة الأول . وقد فصلته أكثر من هذا في (المناظرة) .

نكتة : وجوه الترجيح كنت أشرت إلى كثير منها في تفاوت مراتب أصحاب الطرق الثلاثة : العقل ، والنقل ، والكشف ، فإذا تعارضت وجوه الترجيح فالقرائن القوية القليلة تقدّم على الكثيرة الضعيفة ، وهي إذا كانت للوقوع ترجح على مجرد صحة الاحتمال ، وحكم الشيء بخصوصه على حكمه في ضمن العموم ، والمعلوم وقته على مجهوله ، ومؤخر الوقت على مقدمه . والجملة أن الأحسن أن يحكمّ في ذلك القلب السليم والوجدان المستقيم ، فما اطمأن إليه القلب يقدم على غيره ، وتعيّنُ وجه واحد للترجيح كثيراً ما يختلف وينتهض تارة وينتقض أخرى ، ولا ضرورة في التزام موارد النقوض والتكلف لدفعها . والعقل إذا صح مقدم على النقل ، إذ النقل يثبت بالعقل(١) ففي تركه إبطال الأصل بالفرع . وأيضاً يسلم النقل بالتأويل ولا مساغ له في العقل ، وهما يتقدمان على الكشف لمزيد الاشتباهات ومداخلة التعبيرات والتأويلات فيه . وقولهم : هذا طور وراء طور العقل ، يريدون به القواعد التي أسّسها الفلاسفة وسموها المعقول ، وما هي إلا ثمرات العقل القاصر ، إذ هو وراء طور العقل في ابتداء الحصول وإن كان يتلقاها من جهة الإصلاح والقبول .

وبالجملة لا ريب في أن العقل العامي كثيراً ما يقصر عن حقيقة المكشوف والمنقول ، فعليهم يتوجه الرد والإنكار . وأما العقل

---

(١) في هامش الأصل : « والعقل إذا صح مقدم على النقل » .

المقدس المنوّر فليس شيء من الحق يخالفه ،ولذلك اتفقوا أن لا يعتقدوا ظواهر النصوص إلا بعد إثبات الإمكان ، وهذا هو العذر لعامة المذاهب كما قال العارف :

جنك بفتان ودو ملت بمه راعزرينهم

جول نديد ند حصيفت رهافسانهزوند

نكتة : في نفس التطبيق مدارج ، أرجحها أن يثبت بالبرهان ما يتشبث حكايات أهل المذاهب بحواشيه ودونه أن يثبت الحق في واحد ويبين أعذار القاصرين والمنحرفين عنه بقرائنها . ثم أن يبدأ احتمال صحيح يتطابق به المذاهب ، ويكون رجحانه بنفس هذا الانطباق لا ببرهان آخر . ثم أن تبدأ احتمالات للتطبيق فيقع الجزم بالقدر المشترك بينها أن النزاع ليس حتماً . ثم أن يطبق عمدة الباب ويلغي التفريعات الغريبة عن الاعتبار .

نكتة : بالغ في (مختصر الأصول)(١) صاحبه في ضوابط الجرح والترجيح ، ووضع كل الأول وجل الثاني في القياس الفقهي ، ولا يهمنا الإطالة فيه . ونظر في ترجيح عامة النقليات وهو يقارب مقصدنا ، فالتقطت ما استحسنت منها بشريطة الإيجاز لمزيد النفع ، وأحلت الباقي على المراجعة إليه ، واستطرد بترجيح الحدود بالوضوح والتعارف والذاتية على غيرها ، وبقرب الاصطلاح من اللغة أو

(١) المشهور من كتب الأصول كتاب (أصول البزدوي) ومؤلفه هو فخر الاسلام علي بن محمد البزدوي الحنفي المتوفى سنة ٤٨٢ هـ . ولم نهتد إلى صاحب مختصر الأصول الذي ذكره المؤلف .

الشرع وبرجحان طريق كسبه ونحو ذلك .واختلفوا في العموم والخصوص لكثرة النفع وحصول الاتفاق . وتعرض لتركب الترجيحات مثنى وثلاث ومازاد ،وترك تعارضها وهو أهم لكثرة الوقوع والحاجة، وتعرض لبعضها صاحب (التنقيح)(١) .

نكتة : يرجح المنقولان بالسند ، والمتن ، والخارج .

فمن الأول(٢) : فرط الوثاقة ، وهو في الحفظ فمن وافق المكتوب بلا اعتماد عليه فهو أحسن . وفي الفهم ومنه المهارة في اللغة وغوص الفكر وتنبه القرائن وعدم التلقن . وفي الورع والصدق . وفي التلقي عن السماع والقرب وتوجه القلب والمباشرة . ومنه الاتصال فالمسند على المرسل والمرسل من لا يروي إلا عن عدل على غيره ، وقلة الوسائط ، وصراحة الرفع ، والسماع على مجرد اللقاء . ومنه العدد فالمتواتر على المشهور ، وهو على الآحاد ، وكثرة الرواة على قلتها .

ومن الثاني(٣) : الترتيب بين المحكم والمفسر إلى الآخر ، والعبارة على الإشارة إلى الآخر ، والمحرّم على المبيح ، والإثبات على النفي ، والمجاز على الاشتراك ، والتأسيس على التأكيد ، والمفيد على الحشو ، والاطلاق على التقييد ، والعموم على التخصيص ، والابقاء على النسخ ، والمفصل على المجمل ، ومعلوم التاريخ على غيره ، والإجماع الصريح على السكوتي ونحوها . .

---

(١) هو (تنقيح الأصول) لصدر الشريعة عبيد الله مسعود المحبوبي البخاري الحنفي المتوفى سنة ٧٤٧ هـ =١٣٤٥م

(٢) فوقها بين السطرين : « السند » .

(٣) فوقها بين السطرين : « أي المتن » .

ومن الثالث (١) : التوابع والشواهد ،ومعاضدة دليل آخر ، وتفسير راوٍ فاهم للقرائن عارف للمقاصد ، وموافقة عمل الراوي، وكثرة المزكين وجودتهم وصيغها ونحو ذلك .

نكتة : يقدم القياس على مثله بالأصل لكونه قطعياً ، أو أقوى ظناً ثابت(٢) الحكم متفقاً عليه . وبالعلة لذلك ، ولكونه ثبوتية(٣) حقيقية ظاهرة المناسبة والتأثير منضبطة مطردة منعكسة ضرورية ، لا تحسينية أو تكميلية فقط ،وعامة للمكلفين ، وبالفرع للمشاركة في عين الحكم والعلة مع الأصل ، وبقطعية وجود العلة فيه وشمولها له ولزومها له ، وعلى المنقول إن كان أضعف منه لضعف السند أو بُعْد المعنى ونحوه . وبعض هذه الوجوه مختلف فيها ، والله أعلم بالصواب .

* * *

---

(١) فوقها بين السطرين : « أي الخارج » .
(٢) فوقها بين السطرين « أي التزكية » .
(٣) فوقها بين السطرين : « أي آخر » .

فصل

في أمثلة التطبيق توضيحاً للواهم وتمريناً للفاهم

نكتة في إثبات الجزء ونفيه: عرّفوه بأنه جوهر ذو وضع لا يقبل القسمة خطأً ، ولا وهما ، ولا عقلاً .واتفقوا على انتهاء الأوليين عند غاية الصغر ، واختلفوا في الثالثة . فالحكماء حيث جعلوا العقل ظرفاً واقعياً كان وجوب مطابقة تجزئة الصغير والكبير في المحاذيات ، والسريع والبطيء في الحركات قسمة واقعية لا تقف عند حد . والمتكلمون لما أنكروه كان معنى القسمة العقلية عندهم أن يحكم العقل بوقوعها في الخارج حيث ذكروا في الاستدلال عليه أن الله تعالى قادر على جميع الممكنات ، والتقسيمات حيث لم يشترط منها لاحق بسابق ممكنة معاً . فإذا أوجد الله تعالى كل قسمة ممكنة ،فأما تلك القسمة إن انقسمت لزم الخلف وإلا لزم الجزء .والحكماء لم يدعوا مكان وقوع جميعها في الخارج بلا نهاية ، وإنما اثبتوا حكماً إجمالياً بتمايز الأطراف . فالمتكلمون اعترفوا بقيام ست مماسّات به فما منعوا تمايز الأطراف ، والفرق بينه وبين الأجسام الديمقراطيسية أن المانع في الجزء الصغر فقط ، وفيها ذلك مع الصلابة فلا نزاع في محل واحد . والمتكلمون بعد إمكان الجزء لم يثبتوا ابتداء تركب الأجسام منها ، والقول بإمكانه لا يستلزمه كما ذهب إليه محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (١) .

---

(١) هو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ، من فلاسفة الإسلام وكان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة ، له في ذلك تصانيف منها (الملل والنحل) : ٤٧٩ – ٥٤٨ هـ = ١٠٨٦ – ١١٥٣ م .

ولكن قالوا به قصراً للمسافة ، فإن نظرهم لتصحيح أصول الشرائع فقط .

والحكماء حيث أرادوا تحقيق الحقائق مهدوا الكلام على إمعانات ، فخاصم المشائية الديمقراطيس في ابطال مذهبه ، ثم أفلاطون في إثبات الهيولى . ثم فَرَّعوا عليها تفريعات مقدوحة عند المتكلمين مخالفة – على حسب تقريرهم – لأصول الشرائع ، فطرح المتكلمون مؤنتها . فهذا منهم كقول بطليموس لا نثبت في الفلكيات فصلاً ، ولم يثبت بالبرهان أن الصانع جل مجده هل صنع فيها ما يزيد على ضرورة ضبط الحركات أم لا ببرهان ؟ فافهم .

نكتة : اختلفوا في المكان ، سطح أو بُعد . واتفقوا على أنه الأمر الذي يشار بحسبه ههنا وهناك ، فإذا أشير إلى مكان ثم إلى آخر كان بينهما بُعْدُ قطعاً . فتنبهت له الإشراقية ونبهوا على وجوده أن في القلة فضاء يتوارده الأجسام مطابقة له بأحجامها .

قالت المشّائية : هو أمر موهوم وما ذلك البعد إلا للأجسام ، فيتوهم المتواردة المتساوية متحداً باقياً فاعترفوا أن ههنا بعداً موهوماً يتوارده المتحيِّزات وتنفذ فيه أبعادها وهمياً وهو مذهب المتكلمين ، وهذا الوهم سواء أسند إلى الظرف أو المظروف فإن مداره هو الظرف إذ به تعرف مساواة المظروفات المتعاقبة .

والمتكلمون لا ينكرون هواء سطح جسم بجسم ، ففي غير ما فرض محدداً يتلازمان . فلم يبق نزاع إلا أن الأحق بالتسمية هذا(١)

(١) فوقها بين السطرين : « أي سطح . منه » .

أو ذاك ، والظرفية العرفية شاملة لهما ، وقبل حصول الجسم فيه كلاهما متوهم ، وبعده البعد موهوم(١) ، والسطح موجود فرجحوه به .
وقولهم: الحَيِّزُ ما به تتمايز الأجسام في الإشارة وضعاً كان أو مكاناً ففيه أنه لا يقال(٢) : الجسم في الوضع ، كما يقال : هو في الحيِّز والإشارة بهنا وهناك إلى المكان دون الوضع ،فإن الوضع وإن اتبعه فلابد فيه من ملاحظة الأمر المباين ، ولا يحتاج إلى مباين في هنا وهناك .

وفهم الإشراقية أنه كما أن مدار التقدم والتأخر بالذات هو الزمان ، ومدار الصغر والكبر المقدار ، ومدار القلة والكثرة العدد ، كذلك يجب أن يكون مدار ما يشار إليه بهنا وهناك بالذات ما يمتنع الحركة عليه وعلى أجزائه المفروضة لذاته ، فإن المكان يتحدد قبل النقلة فيمتنع عليه التخلخل والتكاثف والفصل ووقوع الحدودبالفعل، وكل أمر زائد على نفس البعد والمقدارية ولو كان سطحاً كان قابلاً لها التبعية محله ، وإن لم يكن ذلك لما يشار إليه في ثخن الجسم نقلة من هنا إلى هناك سواء كان وجوده بالفعل أو بالقوة القريبة منه ، ولزم أن يكون تصور انتقاله محوجاً إلى تصور أمور خارجة عنه . فلو فرض تحرك العالم كله بحركة واحدة وضعا لم يثبت للأجزاء حركة انتقالية أصلاً لانحفاظ الأوضاع .

والإشراقية لما اعتادوا مطالعة لطائف الأنوار والأمور المثالية هان عليهم تصوره .

---

(١) فوقها بين السطرين : « أي بعد موهوم » .
(٢) فوقها بين السطرين ؛ « أي بالوجود » .

وخفي على المشّائيّة فتوجهوا إلى إبطاله تارة بأن الأبعاد متماثلة يصح على كل منها ما يصح على الآخر ، فإذا احتاج البعد لذاته في الأجسام إلى مادة احتاج إليها جميع الأبعاد فصارت أجساماً ، وقد عرفت(١) انتفاء المماثلة من بيان أحكامه ،وتارة بأن استحالة التداخل للبُعدية(٢) ، فلو كان بعداً مجرداً امتنع انتقال الجسم فيه من حَيِّزٍ إلى حَيِّز آخر . ومن البيّن أن التداخل في الجواهر المفردة عندهم ممتنع ، فالتحيز على الاستقلال علة قطعاً ، فإن فرض في المقادير ما يؤدي إليه كان ممتنعاً بتلك العلة فلا حاجة إلى علة أخرى ، ولا نجد تداخلاً ممتنعاً لا يؤدي إليه حتى يثبت علة ثانية . مع أن المذكور في تعريف التداخل بالاتفاق هو دخول مُتَحيزيْن حَيِّز واحد ، ولم يقل أحد بأن دخول متَحَيِّز في حَيِّزٍ ثان منه .

والصوفية شاهدوا في كل موطن من الغيب والشهادة زماناً ومكاناً غيرما في موطن آخر فَصّله عين القضاة في (رسالته الزمانية والمكانية) وسكتُ عنه إذ الغرض مجرد التمثيل لا القصد إلى تحقق أمره .

فالمتكلمون يلازمون المشائية في أول الأمر ويرجعون إلى الإشراقية في آخر الأمر ويسمونه موهوماً لضابطة تستفاد من كلامهم ، وهي أنهم عرّفوه بفراغ موهوم يشغله شاغل ، ففسره أتباعهم بأنه لاشيء محض ، وينافيه قولهم : «لو كان الواجب متحيزاً لزم إماقدم الحيّز أو كونه تعالى محلاً للحوادث» وقولهم بوجود الوضع وهو الكون في الحيّز الذي قسموه إلى اتصال وانفصال وحركة وسكون ، إذ لامعنى لوجود الكون في

(١) في هامش الأصل : « هذا جواب لدليل المشائية » .

(٢) فوقها بين السطرين : « أي مكان » .

اللاشيء المحض ، فلا يكون تسمية(١) المكان المشار إليه ، والزمان المؤرخ المقسوم، والمقدار الممسوح، والعدد المضروب والمقسوم موهوماً (٢) كتسمية غلاف حلس على قرص الشمس، وقيل في الكوز موهوماً(٣) بل يفهم من موارد استعمالاتهم وإن لم يتفوهوا به أن الأعيان والمعاني المحسوسة للعامة أو الخاصة ومايتوقف هي عليه موجودة عندهم ، وغيرها مما يلحقها كهذه الأمور والحقوق والعقود والأحكام الخمسة عندهم موهومة، ولها في الخارج آثار، وليست من قبيل الموجودات الذهنية التي أنكروا وجودها لمشاركة الممتنعات فيه ، فمذهبهم إذاً يقرب من الإشراقية . وليحفظ هذا المعنى فإنه نافع في هذا الباب(٤) جداً .

نكتة في الزمان : اتفقوا على أن الزمان هو الأمر المقسوم إلى الأيام والشهور والأعوام ، وهو غير ظلمة الليل وضوء النهار اللذين هما مُدْرَكان بالبصر ، وغير الشمس والقمر الدائر عليهما أمر الأيام والشهور والسنين ، وهو أمر غير قارٍّ .

فقالت الحكماء أولاً : إنه الأمر الذي به التقدم والتأخر اللذان لا يجامع فيهما القبْل والبَعْدُ بالذات . ثم ازدادوا فكراً فقالوا : هوَ كمٌّ متصل غير قارٍّ . ثم أمعنوا فقالوا : هو مقدار الحركة . ثم أمعنوا فقالوا : هو مقدار حركة وضعية سرْمَدِيّة للفلك المحيط بالكل أسرع من جميع الحركات .

---

(١) فوقها بين السطرين : « اسم يكون » .

(٢) فوقها بين السطرين : « خبر » .

(٣) فوقها بين السطرين : « مفعول ثان للتسمية » .

(٤) فوقها بين السطرين : « أي باب التطبيق » .

والمتكلمون قالوا : هو تقدير متجدد موهوم بمتجدد معلوم . ولم يريدوا بالتقدير فعلنا فإن الزمان ليس من فعلنا ، ولا نفس الأمور المتجددة فإنها تكون جواهر أوأعراضاً قارّة وليس شيء منها زماناً ، بل أرادوا أمراً موهوماً بحسبه يتقدر متجدد بمتجدد . وهو عند الحكماء كذلك ، فإن أهل العقول المتوسطة من الحكماء والمتكلمين توافقوا على أن الحركة القطعية التي ينطبق عليها الزمان أمر مرتسم في الخيال من الحركة التوسطية،وأن اتصال المعدوم بالمعدوم محال.وأيضاً اتفقوا على أن الحركة هي المتجددة المنصرمة لذاتها ، فكأنهم قالوا : هو أمر بحسبه وبالنظر اليه يتقدر توالي أكوان الحركة سابقية ولاحقية(١) . والمتكلمون لميوافقوهم في إمعاناتهم لمعان وتفريعات غير مسلّمة عندهم.والاكتفاء بعنوان واحد من بين وجوه متعددة لاينبغي أن يعد نزاعاً حقيقياً .

والإشراقية وافقت محققي المشائية في وجوده الدهري وأنه متصل الذات مقدار الحركة ، ولكنهم كما زعموا البعد القارّ الجسماني مقداراً جوهرياً زعموا البعد الغير القارّ أيضاً مقداراً جوهرياً، حيث لم يجدوه طبيعة ناعتية الذات ، ولاوجدوا فيه معنى الحلول ، فلا يقال الزمان في الحركة كما يقال السرعة في الحركة ، واللون والبعد والحركة في الجسم ، ولا وجدوا لخصوص الحركة الوضعية في تقويمه مدخلاً لافتقار الحركة النفسانية الكيفية المتقدمة بالذات على الوضعية إليه ، ولاوجدوه يتعدد بتعدد الحركات مع تقدرهما جميعاً به وامتناع تقدر الشيء بالذات بما يقوم بغيره ،ووجدوه أبعد في قبول العدم من محله وحامل محله ومقوم حامله لاستلزامه الوجود على تقدير العدم بنفسه دونها، مع أن وجود العرض في نفسه هو وجوده لمحله فينعدم بعدمه ، حتى إن الوجود إذا قام بشيء انعدم بعدمه وهو أشد معاندة للعدم منه .

---

(١) فوقها بين السطرين : « أي المنقطعة » .

والمشائية لما سلكت في إثباته تقدر الحركات به ، وماكان المقدار عندهم إلا كما جزموا بعرضيته حملوا قرائن الجوهرية على استبعادات عرفية ووهمية ، ثم بالغوا في أن أيـّة حركة مقومة له .

والمتأخرون من محققي الكلام لما أذعنوا لحدوث العالم بأسره جعلوا الزمان قسمين : موجوداً هو معيار التجددات والحركات ، وموهوماً لاعتياد المدارك به جعلوه مناط القِدَم الزماني للواجب ، وظرفاً لعدم الزمان إذ ليس العدم شيئاً محققاً متجدداً حتى يحتاج إلى زمان موجود قاسوه على البعد القارّ المتحقق من المركز إلى المحدّد ، والمتوهم منه إلى مالايتناهى وهماً . فهؤلاء قد سلكوا شيئاً من مسالك التطبيق ، فافهم هذا واعلم أن التطبيق بين كلامي هؤلاء الماهرين في التحريرات والتمييزات عسير بالنسبة إلى غيرهم والله أعلم .

نكتة : اختلفوا في سنّيّة رفع اليدين في الصلاة بعد التحريمة مع اتفاقهم على أنه لم يصح فيه أمر باستحباب ولابيان فضيلة ولانهى الصحابة عنه قط ، وعلى أنه ثبت عنه –صَلى الله عليه وسلم – فعله مدة إلا أنه زاد ابن مسعود رَضي الله عنه فقال : ألا أصلي بكم صلاة رسول الله –صلى الله عليه وسلم – فلم يرفع يديه إلا في أول مرة ، وظاهر أنه لم يرد تركه أبداً وإنما أراد تركه أخراً ، كما يشعر به بعض ماينقل عنه أن آخر الأمرين ترك الرفع ،ولايدري مدة الترك ،فيحتمل أنه تركه في أيام المرض للضعف ، فظن قوم أن سنّيتَه كانت بمجرد الفعل فبطلت بالتّرْكِ ، وقوم أن التّرْكَ بعذرٍ وبغير نهي لاينفي السنية كترك القيام الفرض بالعذر ، فهي إذاً باقية فلا مناقشة للمجتهدين في أصل سنيتّه في الجملة ،ولافي بقاء جوازه وإن منعه بعض المتعصبة ،إذ ليس مما يخالف

أفعال الصلاة لبقائه في التحريمة والقنوت والعيدين فلا نكير على فاعله لأحد بل في بقاء سنيّته بناء على الظن فلا نزاع إلا في المواظبة(١) والرجحان وحيث واظب عليه جَمْعٌ بلغوا حد الاستفاضة فوق الشهرة، ولم يتعرض -صلى الله عليه وسلم- لفعلهم كما تعرض لرفع اليد في السلام حيث قال: «مابالُ أيديكم كأنها أذناب خيل شُمْسٍ» وهو -صلى الله عليه وسلم- كان يرى خلفه كما يرى أمامه، فثبت بقاء سنيته وتركه - صلى الله عليه وسلم - أحياناً كما رواه ابن مسعود رضي الله عنه والبراء بن عازب رضي الله عنه. وعدم التعرض لتاركه يقضي بسقوط تأكيده، ولم يبلغ أبا حنيفة -رحمه الله- خبر هذا الجمع، إنما روى له الأوزاعي عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما فرجح عليه أبو حنيفة حماداً عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود بكثرة الفقه لا بكثرة الحفظ، فكأنه ظن أنه تفطن ابن مسعود للنسخ دون ابن عمر حيث لم يرفع إلا في التحريمة بناءً على أن السكوت في معرض البيان يفيد الحصر. ومايذكر عن الشافعي -رحمه الله- من عدم الرفع عند قبره مشعر بعدم التأكيد(٢).

نكتة: اختلفوا في نُسُكِ النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه كان مُفْرِداً للحج أو قارناً أو متمتعاً سائق الهَدْي. ووجه التطبيق أن النبي -صلى الله عليه وسلم- حين جمع الناس وخرج من المدينة المنورة إلى مكة المعظمة كان لاينوي إلاّ الحج، فلما بات بذي الحُلَيْفَةِ في العَقِيقِ أُمر بالقران فقال: لبيك بحجة وعمرة، فلما دخل مكة وتذكر جهالة العرب أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور وعرف أنه في آخر عمره ولايعيش

---

(١) فوقها بين السطرين: «إلى آخر الصلاة».

(٢) فوقها بين السطرين: «أي الحكم».

إلى قابِل أراد ردّ هذا الوهم بأبلغ وجه فأمر الناس بفسخ إحرام الحج وجعله عمرة وقال : « لو استقبلتُ من أمري مااستدبرت ماسقت الهدي وأحلَلْتُ مع الناس كما حَلُّوا » فكان مُفْرِداً بحسب ابتداء النية والشهرة وقارِنا بحسب تلبيته منالعقيق حيث أمر—صلى الله عليه وسلم— في هذا الوادي المبارك «وقل عمرة في حجة» وكان متمتعاً سائق الهدي بحسب الهم والرغبة ، ولم ينقل تجديد الإحرام للحج يوم التّروية. نعم عرف تجديد التلبية عند إنشاء السفر إلى عرفة من مِنَى فكان قارناً حقيقة ، مفرداً في أول العمر ، متمتعاً في آخره .

نكتة : ورد في الحديث « لاعَدْوى ...» وورد في آخر « فرّ من المجذوم كما تفر من الأسد » واختلفوا في وجه التطبيق ، فقيل : «لاعدوى» سبباً مستقلاً و«فرّمن المجذوم» لأنه من الأسباب العاديةلإيجاد الله تعالى المرض عقيب مخالطته كسائر إضاعة الاحتماءات وارتكاب خلاف المزاج ،وإنما نفى عنها دون سائرها لأنه لم يتبين وجه تأثيرهظُنّ روحانياً قاهراً بل مستقلاً . وقيل : « لاعدوى » في نفس الأمر ، و«فرّ من المجذوم » تحرزاًعن مواضع التهم والتوهم . وقيل: «لاعدوى» في حكم الشرع ،فلا يلزم على المُعْدي ضمان جنايته ولا الانتقام منه. « وفر من المجذوم » صوناً لجسدك من العلة الخبيثة العسيرة البرء .

نكتة: طائفة من الصوفية قالوابوحدةالوجود، بمعنى أن ليس فيالخارج إلا ذات الحق وحده ، وكل مايسمى « غير » أو « سوى » فهو من تطورات ظهوره وتقييدات شؤونه .

وطائفة قالوا : لانسبة بين الحق والخلق إلا نسبة الإيجاد ، فلا عينية ولا وحدة أصلاً بينهما ، فمن الموَحِّدة من قال : إن ذلك في

المعاينة والوجدان دون الواقع ،فلامخاصمةمعه لإمكاناجتماع هذه العينية الوجدانية مع الغيرية المحضة الواقعية ، كاختفاء الكواكب عن البصر عند طلوع الشمس ، واشتداد النهار ،أو كرؤية الحُمْرة على العالم عند وضع زجاجة حمراء على العين . ومن اعتقد أنه في الواقع كذلك فالتطبيق على معتقده أن في العالم نظرين : نظراً إلى جهة امتياز الحقائق وماهي إلا جهة عدمية،وأنّى للعدم أن يتّحدَ بالوجودفبالغ في امتياز الحقائق وسقوطها في ظل الأوهام ،ونزاهة وجه الحق عن غبار الأكوان والأفهام،وقال: هو وراءالوراءثم وثم فحكم بانقطاع النسبة سوى ظِلّية الصفات وايجاد مرايا الذوات ، فيطابق حينئذ مسلك الشهودية ، ولا يدّعي أحد اتحاد الممكنات بمرتبة الأحدية المجردة وصرافة الذات .

والنظر الثاني: في العالم من حيث اكتنافه بقّيوميّة الحق ووجوده بسريان فيضه من حيث إنه أقرب إليهم من حبل الوريد ، وهي بالنسبة إلى الحق كالصور المترائية في مرآته ، أو أمواج وأشكال متوهمة في شموله واتساعه . فلم يثبت للعالم عيناً غير عين الحق وقال : هو عين كل شيء في الظهور ماهو عين الأشياء في ذواتها،بل هوهو والأشياء أشياء.فالشهودي لاينكر أن وجود العالم بقَيّومية الحق قيومية موجود لموهوم لايقاس بها قيّوميّة النفس للبدن والجوهر للعرض ، بل أشد من ذلك وأقوى من غير مداخلة وممازجة وانحصار ، فيعبر عن ذلك بالايجاد والخلق لاكخلق الباني للبناء أو اقتضاء الصور النوعية للأعراض . وأما التعبير بـ « هوهو » أو « هو ليس هو » فهو لايغير ربطاً واقعياً،إنما هو طرق التعبير للمعنى الدقيق ، أليس بين الثلاثة والفرد ربط واحد مصحح أن يقال تارة: الثلاثة فرد، وتارة: الثلاثة مفهوم والفردية عارضة لها.

وقد بينا في (دفع الباطل) هذا المعنى بما لامزيد عليه، فمن اشتاق فليرجع إليه .

وأما بعض الشهودية الذين قالوا: إن العالم موجود خارجي حقيقي مستقل غير الواجب من آثار صنعه ، وبعض الوجودية الذين قالوا : ليس الواجب غير هذا الهيكل المخصوص المسمى بالعالم فهو من كثرة أجزائه عالم، ومن حيث وحدة اجتماعه حق فهما على طرفي مضادة يجمعهما هذا السر المذكور من قبل ،ويفرق بينهما قصور نظر كل من الفريقين.

نكتة : أساس النزاع بين الفريقين على ماحصله إمام الشهودية(١) هو عَينيّةُ الظل أو غَيْريّته للأصل بالحقيقة ، والانطباق أن يتأمل أن ظل العلم علم لاغيره، وكذا سائر الصفات ، وهو بنفسه مصرح أيضاً بأن قاعدة العقلاء أن ماهية الشيء ما به الشيء هو هو غير مسلم في الماهية الظلية بل الظل هو بأصله لابنفسه ، فأصله أقرب إليه من نفسه ، فحينئذٍ لم يبق بينه وبين قول الوجودية : «الظل ظهور الشيء في المرتبة الثانية وما بعدها» فرق يعتد به إلا بالتعبير فإن كلا منهما عند الشهودية أخذ بشرط المرتبة مع الحقيقة فتباينا، وعند الوجودية لابشرطها فاتحدا، ومنشأ ذلك مزيد اعتناء واحد بجهة الامتياز وآخر بجهة الاشتراك والغفلة عن الأخرى ، فثبتت العينية من وجه والغيرية من وجه .

نكتة : اتفق العلماء والصوفية الشهودية على أن النبوة أفضل من الولاية ، ولذا كان النبي معصوماً عن المعاصي ، مأمون الخاتمة ، علمه قطعي، وقبوله واجب وإنكاره كفر ، دون الولي . وقال سبحانه وتعالى :

---

(١) فوقها بين السطرين : « شيخ أحمد سرهندي » .

﴿ولكنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بالله واليَوْمِ الآخِرِ والملائكةِ والكِتابِ والنَّبِيين﴾ ولم يذكر معهم الأولياء .

وقالت الوجودية : الولاية أفضل من النبوة ، ولما كان التفوه به ثقيلاً منكراً فُسّر بأن المراد جهتا شخص واحد من الانبياء ، والولاية توجهه إلى الحق بالتمام ،والنبوة توجهه إلى الخلق بالأمر بلا واسطة،وجهة الحق أشرف من جهة الخلق ، فاختلس منه أن النبوة أفضل والولاية أشرف .

وخاصمهم الشهودية بأن النبوة ليست نفس التبليغ والتربية ، بل هي قبول الوحي منه سبحانه لأمر التبليغ ، فهي جهة الحق دون الخلق ، وبأن النبوة غاية الولاية وانتهاء كمالها فهي أفضل منها ، وبأن التوجه إلى الخلق بنيابة الحق وجارحيته بجعل نفسه في ضمن الحق وجهته بخلاف التوجه إلى الحق ، فإنه بجعله خارج الحق في مُسامتته . وتفطن الشيخ المجدد رحمه الله أن غرضهم أنه بمعرفة التوحيد الوجودي يحصل من زوال الاثنينية، وتمام الفناء وكمال الوصل كما هو عند الأولياء مالا يحصل في أحكام جهة العابدية والمعبودية بحفظ الأدب وكمال الإطاعة كما هو دعوة الانبياء عليهم السلام وطريقتهم المتوارثة عند العلماء ، فأزاحه بأن طريقة الولاية وكمالاتها ظلية وهما للنبوة أصلية ، وشرحه على مافهمت أن طريقة النبوة في البداية والنهاية تفضل طريقة الولاية فيهما، وتوجه الانبياء إلى الهُوِيّة الخارجية بلا توسطة برزخ ومرآة من الأنفس والآفاق ، وانتهاؤهم إلى التجليات الوجودية إلى حصول ربط القبول ، والنيابة والحماية على يد من بأيديه نظام القضاء والقدر ، فيرتب عليهم آثاره في الخارج . وتوجه الأولياء اليه سبحانه

بتوسط البرازخ ومرايا الأنفس والآفاق ، فمن جاوز هذا منهم فقد دخل في وراثة النبوة بالعرض،وانتهاؤهم بالبقاء الوجداني بالحق ، ولا يترتب عليهم آثارُ الألوهية والوجوب مطلقاً إلا في إدراكهم ووجدانهم وإلى القيام بكمال المتابعة للأنبياء بحسب مراتبها السبع . وإن اشتركوا في نيل تجلياته تعالى في المرايا الإدراكية والتلقي منهسبحانه بلا واسطة. فالحق أن فضل الولايةبطول البقاء وسعة الدائرة،ودخل السعي والاكتساب فيها . وفضل النبوة بحصول نوع من الاستقلال ومزيد الاختصاص والجاه واستحكام الرابطة معه ، وأن الولي إذا خاض في أنانيته دخل في مراتب الإطلاق وداخل في حقائق الأشياء،وانكشف عليه شأن من الذات ربما يخفى على النبي ، والنبي يجب تعرّفه لواسطة الإلقاء والجمع بين رؤيته وكلامه ، وليس ذلك للولي ولكن الحق الصريح أن التابع دون المتبوع :

. . . . . وللناسِ فيما يَعْشَقُونَ مذَاهِبُ .

ومما يوجب الاشتباه أن الآخر حصولاً يغيّر عند صاحبه . ثم إن هذا في محض النبوة والولاية الخاصة فمن فاز مع ذلك بنوع آخر من الكمال أو بالجمع بين صنوف من الكمال ينبغي أن ينظر في فضله وفضل اجتماعها فيه ولا يقتصر على ماذكر .

نكتة : ادعى الحكماء امتناع الخرق والالتئام على الأفلاك ،وخالفهم أرباب الشرائع في ذلك . والحق أن الحكماء لم يأتوا فيه ببرهان ، فالأدلة المذكورة فيه على تقدير تمامها إنما تدل على امتناعهما في تحدد الأمكنة والأزمنة ولا دخل لباقي الأفلاك في ذلك ، وإنما حكموا بذلك لدخولها في اسم الفلك ولموافقتها له في الحركة الدورية مظنوناً فيها الدوام،

ولم يعلموا أن دوام ميل نفساني مستدير للكل لاينافي ميلاً مستقيماً لأجزائه سيما للمنفصلة منها . وقد صرح الصدر الشيرازي(١) بأن هذا الحكم منهم بنوع من الحدْسِ وما هذا الحَدْس إلا من قبيل تبادر الذهن لامن مقدمات البرهان ، وأهل الشرع جزموا بحدوث الأفلاك من موادّ تشارك العناصر في أصلها .

نكتة : ذكر الحكماء لكائنات الجوّ أسباباً من تغيرات الهواء والماء بالاستحالات والانقلابات والاختلاطات ، وأرجعه أصحاب الشرائع إلى ملائكة يتصرفون بأمر الله ، فتبين المنافاة بينهما ولا تنافي فإن للأشياء أسباباً أربعة . والحكماء اعتنوا بالمادية وأصحاب الشرائع بالفاعلية ، كيف والحكماء لايستغنون عن أسباب سماوية غيبية يسميها عامتهم بالأوضاع المخصوصة ،وخواصهم بالقوى الروحانية ، وإنما يتصرف الفاعل بجمع المواد وإصلاحها كما نرى في أفاعيلنا فلا ينبغي الإنكار ، كيف ويعرف من التوراة أن البخار يرتفع من وجه الأرض فيسقي نواحيها . ولما ثبت نزول هذه القوى من السماء صح أن الماء ينزل من السماء وجاز أن يراد من السماء طبقة الزمهرير والبرد العاقدفيها هو جبال البَرَد يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء .

نكتة : أهل الشرائع يفهمون من مثل قوله تعالى : ﴿ الأَرضَ فِراشا﴾ و ﴿ دَحَاها﴾ و ﴿سُطِحَتْ﴾ أنها سطح مستو ،والحكماء

---

(١) هو صدر الدين محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي ، فيلسوف من القائلين بوحدة الوجود ، له مؤلفات كثيرة في ذلك توفي سنة ١٠٥٩ هـ = ١٦٤٩ م .

يثبتون كرويتها بالأدلة الصحيحة فيتوهم الخلاف ، ويدفع بأن القدر المحسوس منها في كل بقعة سطحٌ مستوٍ ، فإن الدائرة كلما عظمت قلّ انحداب أجزائها فاستواؤها باعتبار محسوسية أجزائها وكرويتها باعتبار معقولية جملتها.

نكتة : ورد في الحديث أن الشمس إذا غربت تذهب حتى تسجد تحت العرش ، وأثبت الحكماء أنها لاتنفك عن موضعها من الفلك إذا هي تحت الأرض ، فإن فهم العرش محيطاً فهي دائماً تحت العرش ، وإن فهم إلى الفوق فقط فهي لم تذهب إليه .وحلُّ الخلاف أن الحكماء أثبتوا اختلاف أحوالها بالنسبة إلى السفليات في الأوتاد الأربعة (١) ، فأصحاب النفوس المطهرة والقلوب المنورة ينطبع في بواطنهم حال القاعد عند الطلوع وحال القائم عند الاستواء وحال الراكع عند الغروب وحال الساجد عند غاية الانحطاط ، وهي في جميع ذلك تحت العرش ، لأنه فوقها دائماً ومحيط بها .

نكتة : ورد في المصحف المجيد ﴿وألقَى في الأَرضِ رَوَاسِيَ أنْ تَميِد بكُمْ ﴾ ﴿ والجبالَ أَوْتاداً ﴾ وفي الحديث الشريف « كانت الأرضُ خلقَتْ تميدُ على الماءِ فأمسكتها الملائكةُ فما سكنت فخلق الله سبحانه الجبال فسكنت بها » وأثبت الحكماء أن انجذاب الأثقال إلى مركز العالم الذي هو مركز الأرض والماء . فالماء فوق الأرض معتمد من كل جهة عليها على سمت مركزها فكيف تميد عليها ، والجبال في الأرض فإن مالت مالت معها ، وكيف تمنعها عن الحركة ؟والمطابقة أن من المحسوس المتيقن عند أهل الهند أن البئرَ إذا حفرت تصل إلى الثرى فيرشح فيهاالماء من الجوانب كالعرَق من

(١) في هامش الأصل : « هي الطالع والغارب والعاشر والرابع » .

المسام بطيئاً أو سريعاً.فإذا امعن فيه (١) انتهى إلى طبقة صلبة لايداخلها الماء أصلاً.ثم إذا بولغ فيه بكسرها نبع الماء العذب القُراح بقوة وشدة كأنه كان منضغطاً فارتفع ،فإن أخرج منه آلاف ذَنوب لاينتقص . ولم يجدوا لهذا الماء إلى أربعمائة أو خمسمائة ذراع نهاية . والله يعلم كم يوجد الماء وراءها ، ولاشك أن تحتها طبقة أرضية أخرى ، فكأن تميُّد الأرض بهذا الماء لابالماء المنبسط فوقها . ونصب أصول الجبال في الطبقة الثانية من الأرض لافي هذه الأرض فقط.فافهم .

نكتة : وقع في الكلام المجيد ﴿ اللهُ الذي خلقَ سبعَ سَمَوَات ومِنَ الأرض مِثْلَهُنَ﴾ أي مثل السموات السبع . وجاء في الحديث أنها طبقات متفاصلة ، ودلائل الهيئة دلت على أن الأرض قطرها ألفان وخمسمائةوخمسة وأربعون فرسخاً،وهذا لايسع سبع أرضين في جوفه قريب من هذه الأرض فما ظنك إذا كانت السافلة أعظم من العالية كما يروى،ولا يوجد أرض أخرى بين السماء والأرض ، وهذا وإن لم يخالف الآية قطعاً لإفراد الأرض وادخال « مِنْ » التبعيضية فيفهم أن تلك السبع قطع أرض واحدة ، وهي كذلك فإن المعمور منها سبع بلاد مختلفة بالاديان والرسوم والطبائع والنباتات وبعض الحيوانات ، أحدها للسُودان من البربر والزنج والحبشة ، وأخرى للبيض من الافرنج والطنجة والسقالبة ، ثم للعرب ، ثم للفارس ، ثم للهند ، ثم للترك ، ثم للصين . أو يتصرف في الأرض أن المراد عالم العناصر وهو سبع طبقات . وأما الحمل على الاقاليم فبعيد ، ولكنه يخالف الحديث الصريح ، ويدفع هذا الخلاف بأن

(١) فوقها بين السطرين : « أي في الحفر » .

ستة أرضين في طبقات عالم المثال كأنها ستة تماثيل لهذه الأرض . والعامة وأصحاب الشرائع لايفرقون بين أجسام الشهادية والمثالية إلا بالصفات كاللطاقة ، والكثافة ، والنورانية ، والظلمانية ، ويؤيده ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن فيها ابن عباس كابن عباسكم .وقد يظن أن تلك الأرضين هي المنتقشة المنطبعة منها في النفوس الفلكية وفيه أنها إذاً تسع . فالأرضون عشر إلا أن يتكلف أنه كما ليس للارض قدر محسوس بالنسبة إلى الأفلاك العلى ليس لها صورة فيما فوق الفلك المشتري ولايخفى بعده » هذا آخر مانقلته من كتاب (التكميل)

وأما أثر ابن عباس الذي أشار إليه فهو من رواية الحاكم في (المستدرك) عن طريق شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى :﴿ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾قال :سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوح ، وابراهيم كابراهيم ، وعيسى كعيسى . وهذه الألفاظ (١) فيها تقديم وتأخير في بعض الطرق ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، قال البدر الشبلي في (آكام المرجان في أحكام الجان) « قال شيخنا الذهبي : إسناده حسن ورواه الحاكم أيضاً عن طريق عمرو بن مرة عن أبي الضحى بلفظ :في كل أرض نحو إبراهيم وقال : هذا حديث على شرط البخاري ومسلم ،ووافقه الذهبي في كونه على شرطهما ، وزاد رجاله«أئمة». حكاه تلميذ بدر

(١) بإزائها في الهامش : « لكن ليس في واحد منها لفظ : ابن عباس كابن عباسكم الذي ذكره في التكميل . منه » .

الدين الحنفي في (الآكام) ورواه أيضاً البيهقي في (شُعب الايمان) و (كتاب الاسماء والصفات) له وقال : إسناده صحيح ولكن شاذ بمرة ، ولاأعلم لأبي الضحى عليه متابعاً . قال السيوطي في (الحاوي) : وهذاالكلام من البيهقي في غاية الحسن فإنه لايلزم من صحة الإسناد صحة المتن كما تقرر في علوم الحديث لاحتمال أن يصح الاسناد ويكون في المتن شذوذ وعلة تمنع صحته ، وإذا تبين ضعف الحديث أغنى ذلك عن التأويل لأن مثل هذا المقام لاتقبل فيه الأحاديث الضعيفة . ويمكن أن يؤول على أن المراد بهم النذر الذين كانوا يبلغون الجن عن أنبياء البشر ، ولايبعد أن يسمى كل منهم باسم النبي الذي بلغ عنه والله سبحانه وتعالى أعلم » انتهى .

ورواه ابن جرير (١) في تفسيره من طريق عمرو بن مرة عن أبي الضحى بلفظ :في كل أرض مثل ابراهيم ونحو ما على الأرض. قال العسقلاني والقسطلاني : هكذا أخرجه مختصراً وإسناده صحيح . انتهى .

وذكره السيوطي في (الدر المنثور) وعزاه لابن أبي حاتم ، وقال في (التدريب) في الكلام على الطريق الأولى : ولم أزل أتعجب من تصحيح الحاكم حتى رأيت البيهقي قال ... إلخ .

قال القسطلاني : « ففيه أنه لايلزم من صحة الاسناد صحة المتن كما هو معروف عند أهل هذا الشأن ، فقد يصح الاسناد ويكون في المتن شذوذ ، أو علة تقدح في صحته . ومثل هذا لايثبت بالحديث

(١) الطبري .

الضعيف . ونحوه في (روح البيان) ومثله في (سيرة الحلبي) قال في (البداية) : وهذا محمول إن صح نقله على أن ابن عباس أخذه من الاسرائيليات . قال السخاوي في (المقاصد الحسنة) : أي أقاويل بني اسرائيل مما ذكر في التوراة أو أخذ من علمائهم ومشائخهم كما في (شرح النخبة) وذلك إذا لم يخبر به معصوم ، ويصح سنده إليه فهو مردود على قائله . انتهى

ونقل في (الكمالين حاشية الجلالين) عن ابن كثير تلميذ شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله مثل ماتقدم من (البداية) . ولفظ علي القاري في موضوعه المختصر المسمى (بالمصنوع) نقلا عن الحافظ ابن كثير : ذلك وأمثاله إذا لم يصح سنده إلى معصوم فهو مردود على قائله . انتهى

وقال الحلبي في (إنسان العيون) بعدما نقل قول البيهقي : «ولا يلزم من صحة الإسناد صحة المتن ، فقد يكون فيه مع صحة إسناده مايمنع صحته فهو ضعيف». انتهى .

ومثله في تفسير القاضي ثناء الله المسمى (بالمظهري) كما قيل ؛ وضعّفه الزرقاني أيضاً .

وفي تفسير (١) (البحر المحيط) : ولاشك في وضعه.

وذكره الشوكاني في تفسيره (فتح القدير) ولم يزد على قول البيهقي :

---

(١) في هامش الأصل : « هكذا وجدناه ولم نقف على هذا التفسير فإن كان بناء على هذا الحكم على رواية الواقدي فليس بشيء وإن كان على غيره فلينظر فيه . منه » .

وفي إسناده عطاء بن السائب وهو من المختلطين كما صرح به النووي في مقدمة شرحه لمسلم .

وقال الحافظ في (التقريب) : صدوق .

وفي (هدى الساري مقدمة فتح الباري) : اختلط فضعفوه بسبب ذلك .

وقال يحيى بن معين : لايحتج بحديثه ، وما رَوَى عنه البخاري إلا متابعاً في مقام واحد مع أبي بشر ، ولم يخرج عنه مسلم .

وقال الحاكم في باب الكسوف من (المستدرك) : لم يخرجاه بسبب عطاء بن السائب . انتهى .

والعجب من الحاكم كيف حكم بصحته مع علمه بأن الشيخين لم يخرجا حديث عطاء وهذا الأثر من روايته فما أحقه بالتضعيف.

وقال المنذري في كتاب (الترغيب) : عطاء بن السائب الثقفي قال أحمد : ثقة ورجل صالح ،من سمع منه قديماً كان صحيحاً ومن سمع منه حديثاً لم يكن بشيْ ، ورواية شعبة والثوري وحماد ابن زيد عنه جيدة . زاد في (التهذيب) : ممن سمع منه قديماً قبل أن يتغير شعبة وشريك وحماد . لكن قال يحيى بن معين : جميع من روى عن عطاء روى عنه في الاختلاط إلا شعبة وسفيان فثبت أن شريكاً سمع منه في حالة الاختلاط والتغير دون«قبل ذلك».وهذا الأثر الضعيف من رواية شريك عن عطاء .

قال القسطلاني : « وعلى تقدير ثبوته يحتمل أن يكون المعنى :ثم

من يقتدي به ويسمى بهذه الاسماء وهم رسل الرسل الذين يبلغون الجن عن أنبياء الله ويسمى كل منهم باسم النبي الذي يبلغ عنه . انتهى .

زاد السيوطي رحمه الله : وحينئذٍ كان لنبينا — صلى الله عليه وسلم — رسول من الجن اسمه كاسمه ، ولعل المراد اسمه المشهور وهو محمد صلى الله عليه وسلم . فليتأمل .

ومثله في تفسير (روح البيان)،ونحوه في (إنسان العيون) نقلا عن السيوطي؛وحمله ابن عربي في (الفتوحات)على عالم المثال حيث قال : « وخلق الله من جملة عوالمها على صورنا إذا أبصر العارف يشاهد نفسه فيها ، وقد أشار إلى مثل ذلك ابن عباس فيما روي عنه في حديث هذه الكعبةوأنهابيتواحد منأربعة عشر بيتاً وإن في كل أرض من السبع الارضين خلقاً مثلنا حتى إن فيهم ابن عباس مثلي وصدقت هذه الرواية عند أهل الكشف » انتهى .

وعليه حمله صاحب (الثكميل) كما تقدم ، وعلى ذلك ليس فيه مايفيد المستدلين به ، وليس الأثر الموقوف بحديث عند أهل النقد والمعرفة بعلم الحديث حتى يحتج به في الأحكام والتفاسير عند الجماهير .

وقال الشوكاني في (السيل الجرار) : « تفسير الصحابة للآية لاتقوم به الحجة لاسيما مع اختلافه » انتهى .

وهذا الأثر قد ورد في بدء الخلق دون العقائد حتى تبنى عليه عقيدة ويحتاج إلى تطبيقه وتأويله وتصحيح معناه وإثبات مبناه ، والمعتبر

في العقائد هو الادلة اليقينية لا الظنية كما صرح بذلك أهل العلم بالكلام ، قال الرازي في (الكبير) : « إن الاعتقاد ينبغي أن يكون مبناه على اليقين ، وكيف يجوز اتباع الظن في الأمر العظيم . وكلما كان الأمر أشرف وأخطر كان الاحتياط فيه أوجب وأجدر». انتهى .

وعلى هذا فلايستأنس في تأييد هذا الأثر الضعيف أو الموضوع إلى ماذكره في (العرائس) و (بدائع الزهور) من وجود الخلق في بقية طبقات الأرض لكونه مختلفاً مفتعلاً مروياً من الاسرائيليات ، قال النيسابوري في تفسيره : « ذكر الثَّعْلَبي في تفسيره فصلاً في خلائق السموات والأرضين وأشكالهم وأسمائهم أضربنا عن إيرادها لعدم الوثوق بتلك الروايات » انتهى .

قال الخفاجي في (حاشية البيضاوي) : « وليست هذه المسألة من ضروريات الدين حتى يكفر من أنكرها أو تردد فيها.والذي نعتقده أنها طبقات سبع ولها سكان من خلقه يعلمهم الله » انتهى .

وقد وقعت الزلازل والقلاقل لأجل ذلك الأثر لهذا العهد بين أبناء الزمان بما لايأتي بفائدة ولايعود بعائدة ، ولهذا ذكرنا في بعض الفتاوى أنه ليس اثبات تلك الأوادم والخواتم من أحكام الشرع في ورد ولا صدر ، وليس على القول بموجبه أثارة من علم ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

ثم من استدل بهذا الأثر على امكان وجود مثله صلى الله عليه وسلم وكونه داخلا تحت القدرة الإلهية فقد أطال المسافة وأبعد النجعة وأتى

بما هو أجنبي عن المقام وخارج من محل النزاع ، فإن بين المسألتين بوناً بعيداً ، ﴿وَأَنّى لهم التناوُش من مكان بعيد﴾ (١) .

* * *

(١) بإزائها في هامش الأصل : « يعني كون إمكان مثله – صلى الله عليه وسلم – مقدوراً له سبحانه ثابت بالأدلة الأخرى غير هذا الدليل وإن لم يقع في الخارج حسب الوعد الإلهي » « مولوي محمد عبد الرشيد كشميري سلمه الله تعالى » .

قف : هذا المرقوم قد تم بعون رب البرية في شهر ربيع الأول من سنة إحدى وتسعين ومائتين وألف الهجرية ، والراقم له بيمناه الفقير إلى عفو مولاه ابن عبده وأَمَته الحامل المتواري أبوالطيب صديق ابن حسن بن علي الحسيني القَنُّوجي البخاري ستر الله عيوب نفسه ، وجعل غده خيراً من أمسه .

وهذا العبد — عفا الله عنه ماجناه واستعمله فيما يحبه ويرضاه — له يد جارحة ، ويمنى عاملة في العلوم الشرعية سيما التفسير والحديث والفقه وأصولها ، والتاريخ والأدب كما يلوح من مؤلفاته . وقد خصه الله تعالى بكرمه الوافر لهذا العهد الآخر بتدوين أحكام الاسلام على الوجه المأثور عن سيد الأنام والسلف الكرام على نوع لم يسبق إليه أحد من علماء الديار الهندكية ، والله يختص برحمته من يشاء :

وَلَوْ أَنَّ لي في كُلِّ مَنْبِتِ شَعْرَةٍ
لِساناً لما اسْتَوْفَيْتُ وَاجِبَ حَمْدِهِ

وقد أعانه سبحانه وتعالى على تحصيل تلك العلوم ، وكتبها النفيسة العزيزة الوجود بأنواع المعلوم والموجود وأمال إليه قلوب أوليائه ، وأضاف إليه من نعمه مالا يحاط به ، ووفقه بإيثار الحق على الخلق ، رضا الخالق على المخلوق ، وتقديم العلوم الحقة الاسلامية على الفنون العقلية الفلسفية ، حتى ذهب غالب أوقاته وأكثر عمره فى دراسة

الكتاب والسنة وما يليهما ، ومجانبة أهل البدع والأهواء ، واستفاد من كلام السلف استفادة تامة ، واستفاض من كتب محققي الخلف استفاضة عامة ، إلى أن حصل منها على فوائد لا يستطيع أن يبوح بها ، وعوائد لايقدر أن يلوح إليها ، وحقائق لايمكن العبارة عنها إلا بالفوائد والعوائد،ومسائل لها منها عليها شواهد ، كيف وهي فوق وصف الواصفين ، ووراء طور البيان ، ولايهتدي إلى مثل ذوقها ولذتها إلا أفراد من نوع الانسان،الذين زاحمونا في درك المباني وأخذ المعاني على وجه يكمل به الاتقان والإذعان .ولله الحمد على كل حال، وهو المفيض للكمال على مثال وغير مثال .

وما أحسن ماقال ابن خلدون : « التحقيق قليل ، وطَرْف التنقيح في الغالب كليل ، والغلط والوهم نسيب للناس وخليل . والتقليد عريق في الآدميين وسليل ، والتطفل على الفنون عريض وطويل ، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل ، والحق لايقاوم سلطانه ، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه ، والناقل إنما هو يملي وينقل ، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل ، والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل » انتهى .

وبالجملة فالمحققون بين أهل الملل والنحل قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنامل ولا حركات العوامل، والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون واتباعهم فيما يقولون ، بيد أنه لم يأت من بعد هؤلاء إلا مقلد وبليد الطبع والعقل ، أو متبلد ينسج على ذلك المنوال ويحتذي منه بالمثال ، فيجلب صوراً قد تجردت عن موادها ، وصفاحاً انتُضيَت من أغمادها ، ومعارف يستنكر للجهل

طارفها وتلادها ، وإنما هي آراء لم تعلم أصولها ، ومقالات لم تعتبر أجناسها ولاتحققت فصولها ، يكررون في دراستهم المجتهدات المتداولة منذ زمان بأعيانها تقليداً لمن عني من الأحبار والرهبان بشأنها ، ويغفلون أمر الكتاب والسنة الناشئة في ديوانها ، بما أعوز عليهم من ترجمانها ، فتستعجم صحفهم في بيانها ، وألسنتهم عن تبيانها ، ثم إذا تعرضوا يوماً لذكر السنن نسقوا أخبارها نسقاً غير محافظين على نقلها وهماً أو صدقاً ، لايتعرضون لبدايتها ولايذكرون السبب الذي رفع من رايتها وأظهر من آيتها ، ولاعلة الوقوف عند غايتها ، فيبقى المتبع للحديث متطلعاً بَعْدُ إلى أحوال صحتها وضعفها ومراتبها ، مفتشاً عن أسباب تمسكها واعتزالها ، أو تزاحمها وتعاقبها ، باحثاً عن المقنع في تبيانها أو تناسبها ، ولذلك تراني لما طالعت كتب القوم ، وسبرت غور الامس ونجد اليوم ، نبهت عين القريحة من سِنَةِ الغفلة والنوم ، وسُمْتُ التأليف غالباً في الكتاب والسنة ومايليهما من نفسي وأنا المفلس أحسن السوم ، فأنشأت في تدوين ذلك كتباً ورسائل ، وجمعت لتيسير هذه الصعاب والاطلاع على تلك الهضاب أسفاراً ومسائل ، فهذبت مناحيها تهذيباً ، وقربتها للافهام تقريباً ، وأتيتُ بما يمتعك بحقائق دين الاسلام وأسبابه ، ويعرفك كيف دخل أهل العلم من أبوابه ، حتى تنزع من التقليد يدك ، وتقف على أحوال من قبلك من سلف الأمة وأئمتها ومن بعدك ، . فعليك بمؤلفاتنا ومؤلفات مشائخنا في كل باب تجدها إن شاء الله تعالى مملوءة ديناً بحتاً وشرعاً صرفاً عند كل إياب وذهاب ، ولعلك لاتحتاج بعد إحرازها في درك الحق الحقيق بالصواب من الأحكام والمسائل إلى سمر وكتاب إن كنت ممن ينصف ولا يتعسف ،

ويؤثر الحق على الخلق ولا يتوقف ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، وهو عن رد المعاصرين صائم، واعلم أن إلى الله مصيرك فمن نصيرك؟ وفي الجَدَث مقيلك فما قيلك ؟ .

وهذا آخر القسم الأول من هذا الكتاب،وبالله التوفيق وإليه المتاب، ويتلوه القسم الآخر إن شاء الله تعالى .

قد تَمّ القسم الأول من كتاب

أبجد العلوم المسمى

بالوَشْي المرقوم

فهارس القسم الاول من كتاب أبجد العلوم
المسمى بالوشي المرقوم

١ ــ أبواب الكتاب وفصوله
٢ ــ الأعــلام
٣ ــ الاماكن
٤ ــ أسماء الكتب
٥ ــ الآيات القرآنية
٦ ــ الاحاديث النبوية
٧ ــ الشعر

١ ـ أبواب الكتاب وفصوله

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الأعــلام

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

★ ★ ★

٣ ـ الاماكن

(أ)

(ب)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

★ ★ ★

٤ ـ أسماء الكتب

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(و)

الوزراء : ١٦٩ . الوشي المرقوم : ٨ ، ١١ .

(ي)

يتيمة الدهر للثعالبي : ٣٤٤ ، ٣٧٧ .

★ ★ ★

٥ ـ الآيات القرآنية

★ ★ ★

٦ ـ الاحاديث النبوية

★ ★ ★

٧ ـ الشعر

★ ★ ★

٨ ـ الأشطار

★ ★ ★

٣٠٠٠ ـ ط ٢ ـ ١٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

إن (دار الكتب العلمية) في بيروت ، إيماناً منها بأصالة فكرنا الاسلامي . . والذي احتواه تراثنا الأسلامي . . المنتشر في اقطار العالم . . لقد عقدت العزم - مستعينة بالله تعالى - على نشر هذا التراث . . تمكيناً للباحثين والدارسين من الحصول عليه ، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية طوّفت البلاد مشرقه ، ومغرّبه بحثاً عن كنوز التراث ، وقد طال شوق الباحثين لكتاب « ابجد العلوم » خاصة بعد ان تعثرت خطاه في طريقه الى الطباعة ، حيث مضى على صدور الجزء الاول منه ما يزيد عن الثلاث سنوات[1] ، لذلك فقد شمرت عن ساعد الجد وعقدت العزم على اكمال طباعته بحرف يروق للناظرين ويمتع نفوس الباحثين ليخرج الكتاب كاملاً .

وها هي الآن تسهم في خدمة الثقافة بنشر (أبجد العلوم) للعلامة الموسوعي (حسن صديق خان) وبذلك تنتقل به من الهند الى سائر الأقطار . . وتكسوه حلة جديدة حيث كانت الطبعة الأولى بحرف حجري لم يألفه قراءنا . . ونسخه في حكم النادر . . وهكذا ينضم (أبجد العلوم) الى (كشف

الظنون) و (كشاف مصطلحات الفنون) مكملاً هذه المكتبة العلمية المفهرّسة للكتب والمؤلفين ومشكّلة المدخل للعلوم الأسلامية قاطبة . . ويعتبر هذا الكتاب عدة الباحثين .

ونسأل الله تعالى أن يتحقق النفع المرجو ويبلغ الكتاب غايته المنشودة في نظر مؤلفه وناشره . .

الناشر

---

(١) كان قد صدر الجزء الأول من هذا الكتاب عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي في دمشق عام ١٩٧٨

بِسمِ اللهِ الرَّحْمَن الرَّحِيم

الحمـد لله الـذي لا يفي	بحمـده كل شكور وفي
ثم صلوٰة الله تتـرى على	المختـار والآل ومـن يقتفي
طريقهـم كالبـدر الهدى	من لا سواه اليوم من منصف
ودعـوة اسـأل من فضله	انجـو بهـا من شدة الموقف

وبعدُ فهذا هو القسم الآخر من كتاب ابجد العلوم المسمى بالسحاب المركوم الممطر بانواع الفنون واصناف العلوم وضمنته مقدمة وابوابا وخاتمة .

المقدمة في بيَان اسماء العلوم وموضوعاتها وعدم تعين الموضوع في بعضها

اعلم ان المشهور عند الجمهور ان حقيقة اسماء العلوم المدونة المسائل المخصوصة او التصديق بها او الملكة الحاصلة من إدراكها مرة بعد اخرى التي يقتدر بها صاحبها على استحضارها متى شاء او استحصالها مجهولة .

وقال السيد الشريف في شرح المواقف : ان اسم كل علم موضوع بإزاء مفهوم اجمالي شاملي له انتهى .

ثم انه قد يطلق اسماء العلوم على المسائل والمبادىء جميعا ، لكنه قد يشعر كلام بعضهم الى ان ذلك الإطلاق حقيقة ، والراجح انه على سبيل التجوز والتغليب والإلزام بما يلزم الاختلاط بين العلمين ، اذ بعض المبادىء لعلم يجوز ان يكون مسئلة من علم آخر فلا يتمايزان .

ومما يجب التنبيه عليه انهم اختلفوا في ان اسماء العلوم من اي قبيل من الاسماء .

اختار السيد الشريف الحنفي رحمه الله انها اعلام الاجناس فان اسم كل علم كلي يتناول افرادا متعددة ، اذ القائم منه بزيد غير القائم منه بعمر وشخصا .

وقال زين الدين الحوا في انها احلام شخصية نظر الى ان اختلاف الاعراض باختلاف المحال في حكم العدل .

وقال العلامة الحفيد : المنقول عن المركب الاضافي لا يتعارف كونه اسم جنس وكثير من اسماء العلوم مركبات اضافية .

وقد خطر ببالي انه يجوز ان يجعل وضع اسماء العلوم من قبيل وضع المضمرات باعتبار خصوص الموضوع وعموم الوضع ، ولا غبار على هذا التوجيه الا انه لم يتعارف استعمالها في الخصوصيات .

وينبغي ان يعلم ان لزوم الموضوع والمبادىء والمسائل على الوجه المقرر انما هو في الصناعات النظرية البرهانية ، واما في غيرها فقد يظهر كما في الفقه واصوله ، وقد لا يظهر الا بتكلف كما في بعض الادبيات ، اذ ربما تكون الصناعة عبارة عن عدة اوضاع واصطلاحات وتنبيهات متعلقة بأمر واحد بغير ان يكون هناك اثبات اعراض ذاتية لموضوع واحد بأدلة مبنية على مقدمات ، هذه فائدة جليلة ذكرها السعد التفتازاني الشافعي في شرح المقاصد ينتفع بها في مواضع .

منها جواز ان يحال تصور المبادىء التصورية في علمه على علم آخر .

ومنها جعل اللغة والتفسير والحديث وامثالها علوما الى غير ذلك .

واما موضوعات العلوم فقد الف فيها جماعة .

منهم الامام فخر الدين محمد بن عمر الرازي الف كتاباً اورد فيه ستين علماً وسماه « حدائق الأنوار في حقائق الأسرار » .

والشيخ جلال الدين محمد بن اسعد الصديقي الدواني المتوفى سنة ثمان وتسعمائة الف كتابا اورد فيه عشرة من العلوم وسماه « انموذج » .

والشيخ عبد الرحمن بن محمد البسطامي الف كتابا ايضا وذكر في فواتحه طرفا من العلوم ولورد فيه عجائب وغرائب لم تسمعها آذان الزمان حتى بلغت مقدار مائة علم ، وذكر فيها اقسام العلوم الشرعية والعربية .

والشيخ لطف الله بن حسن التوقاني المقتول في سنة تسعمائة الَّف للسلطان « بايزيد » كتاباً جمع فيه نبذا من العلوم ، وهو مختصر ثم شرحه وسماه « المطالب الآلهية » وفيها رسالة للشيخ محيي الدين محمد بن خطيب قاسم .

وللشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي كتاب جمع فيه اربعة عشر علما وسماه «النقاية» .

ثم شرحه وسماه «اتمام الدراية» .

وتوفي سنة احدى عشرة وتسعمائة .

والشيخ محمد امين بن صدر الدين الشرواني المتوفى سنة ست وثلاثين والف ،جمع كتابا للسلطان احمد العثماني أورد فيه ثلاثة وخمسين علما من انواع العلوم العقلية والنقلية وسماه (الفوائد الخاقانية الاحمد الخانية) ورتبه على مقدمة وميمنة وميسرة وساقة وقلب على نحو ترتيب جيش السلطان .

المقدمة : في ماهية العلم وتقسيمه .
والقلب : في العلوم الشرعية .
والميمنة : في العلوم الادبية .
والميسرة : في العلوم العقلية . وقد أورد منها ثلثين علما .

والساقة : في علم آداب الملوك ، وانما اقتصر على ذلك العدد ليكون موافقاً لعدد احمد على حساب ابجد .

وقد جمع الشيخ عصام الدين احمد بن مصطفى المعروف بطاشكبري زاده كتابا عظيما اورد فيه نحو خمسمائة علم وسماه (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) وجعله على طرفين .

الاول في خلاصة العلم ، وذكر فيه ثمانية عشر وصية للطالبين .

والثاني في تعدد العلوم وضمنه ثلٰثة اقسام : الهٰية ، واعتقادية ، وعملية .

وجعل علم الاخلاق ثمرة كل العلوم وتوفي سنة سبع وستين وتسعمائة .

ثم أن ابنه الشيخ كمال الدين محمد نقله الى التركية ببعض إلحاقات وتصرفات في مجلد كبير وتوفي سنة اثنتين وثلٰثين والف .

وللأرنيقي تلميذ قاضي زاده محمود الرومي شارح الجغميني كتاب سماه (مدينة العلوم) ورتبه على مقدمة وطرفين وخاتمة .

قال في المقدمة ان للاشياء وجود في الكتابة والعبارة والاذهان والاعيان وكل سابق منها دال على اللاحق .

ثم العلم المتعلق بالثلٰث الاول آلي والعلم المتعلق بالاخير : اما عملي لا يقصد به حصول نفسه بل حصول غيره .

او نظري يقصد به حصول نفسه فقط .

ثم كل منها اما ان يبحث فيه من انه مأخوذ من الشرع ، فهو العلم الشرعي .

او من حيث انه مقتضى العقل فقط فهو العلم الحكمي ، فهذه هي الاصول السبعة ، ولكل منها انواع ، ولانواعها فروع وان كان لا ينحصر .

قال بعض الفضلاء : علم التفسير لا يتم الا بأربع وعشرين علما ، وعدّ

الامام الشافعي في مجلس الرشيد ثلثا وستين نوعا من علوم القرآن .

وقال بعض العلماء : العلوم المستخرجة من القرآن ثمانون علما ودوّن فيها كتب .

وقيل ان العلوم الحكمية تتضمن خمسة عشر فناً الا ان فروعها اكثر من خمسين ، ثم قال والمختار عندي ان عدد العلوم اكثر من ان يضبطه القلم .

وعن الامام الغزالي عن بعضهم ان القرآن يحتوي سبعا وسبعين الف علم ومئتي علم ، كذا ذكره في الباب الرابع من كتاب آداب التلاوة من احياء العلوم .

ونقل السيوطي عن القاضي ابي بكر بن العربي انه ذكر في « قانون التأويل » ان علوم القرآن خمسون علماً واربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون الف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في اربعة اذ لكل كلمة ، ظهر وبطن وحد ومطلع .

ونقل عن الغزالي ايضا ان من العلوم ما استأثر الله به ولم يطلع احدا عليه .

ومنها ما يعرفه الملائكة دون البشر .

ومنها ما يعرفه الانبياء دون من عداهم .

ومنها ما تصورته الاذهان ولم يدون في الكتاب .

ومنها ما دون ثم ضاعت كتبها وانطمست آثارها وانقطعت اخبارها انتهى .

وقال في الديباجة : او ان خطر ببالك ان الفنون كثيرة وتحصيل كلها غير يسير ومدة العمر قصيرة وتحصيل آلات التحصيل عسير فكيف الطريق الى الخلاص عن هذا المضيق فتأمل فيما قدمت اليك من العلوم إسما ورسما وموضوعا ونفعا ، فان سهل عليك تحصيل تلك العلوم كلها فحبذ او قل الحمد لله الذي هدانا لهذا ، لما قال افلاطون : ما من علم مستقبح الا والجهل به اقبح . وإن اعجلك الوقت

وخشيت ان تخترمك الشواغل بالفوت فخذ من كل علم احسنه ، وان اختلج في صدرك ان الاغراض مختلفة في امر العلوم وتتفاوت في الميل اليها الطباع والفهوم ، وتتباين في استحسانها العادات والرسوم ، حتى يعد طائفة ، من قبل الجنون ، تحصيل ما عند الآخرين من الفنون ، اذ كل حزب بما لديهم فرحون فتأمل قول من قال :

كل العلــوم سوى القــرآن مشغلة   الا الحــديث والا الفقــه في الدين
العلــم ما كان فيه قال حدثنا   ومــا سواه فوســواس الشياطين

وقد قيل :

جميع العلــم في القــرآن لكن   تقــاصر عنــه افهــام الرجال

وبالجملة احسن العلوم ما سأل عنه جبريل عليه السلام نبيناﷺ حين سأل أولاً عن الايمان ، ثم عن الاسلام ، ثم عن الاحسان ، والحديث والتفسـير أم لهذه العلوم واصول لها واليها ينتهي مدارها . انتهى حاصله .

قلتُ وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو قال :قال رسول اللهﷺ العلم ثلٰثة آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وما كان سوى ذلك فهوفضل .رواه ابو داود وابن ماجة .

ومعنى فضل زائد لا ضرورة فيه :

احــب حديث المصطفــى واوده   وادرســه عمــري واضبــط كتبَه
وذلك عنــد المصطفــى لي شاهد   تجلى له والمرء مع من احبَّه

قف ،اخترنا في هذا الكتاب الترتيب الذي اختاره صاحب كشف الظنون لكونه سهل التناول.

ولم نجد لابن خلدون ترتيبا في ذكر العلوم ، نعم رتّب صاحبُ «مدينة العلوم» كتابه على ترتيب غير ترتيب حروف المعجم وذكر في المقدمة حصر العلوم على الاجمال كما تقدم نقله وتكلم في الكتاب على سبع دوحات كل منها في بيَان اصل من الاصول السبعة .

ثم ذكر في كل دوحة منها شعبا لبيان الفروع .

فالدوحة الاولى في بيان العلوم الخطية وفيها مقدمة وشعبتان .

اما المقدمة ففي بيان الحاجة الى الخط.وسيأتي هذا البيان في ذكر علم الخط من هذا الكتاب ،لكن ناسب ان نذكر ههنا عبارة المدينة في تمهيد كل اصل من الاصول السبعة ليتضح حال ترتيبه وتفريعه ويسهل على الناظر إلحاق كل فرع باصله .

فنقول : قال في بيان الحاجة الى الخط ما عبارته ان فائدة التخاطب والمحاورات في العلوم لما توقف على معرفة احوال الالفاظ سيما الالفاظ العربية التي ابتنى عليها شريعتنا هذه مع كونها افضل اللغات وأكملها ذوقا وبرهانا اعتنى علماء ملتنا هذه بالبحث عن احوالها وضبط اصولها وفروعها واستخراج خواصها ومزاياها فوضعوا لذلك علوما اصولا وفروعا .

واعلم ان الألفاظ لما اختصت منافعها بالحاضرين وسمت همم الأمم الى اطلاع الغائبين من المعاصرين ومن الذين سيولدون من بعدهم وضعوا خطوطا دالة على تلك الالفاظ وبحثوا عن احوالها من كيفية نقوشها وحركاتها وسكناتها وضوابطها من نقطها وشداتها ومداتها ، وعن تركيبها وتسطيرها الى غير ذلك من الاحوال فحدثت هناك علوم شتى انتهى .

ثم اوردها في ضمن شعبتين :

الاولى في العلوم المتعلقة بكيفية الصناعة الخطية وذكر فيها علم ادوات الخط، وعلم قواني الكتابة ، وعلم تحسين الحروف ، وعلم كيفية توليد الخطوط عن

اصولها ، وعلم ترتيب حروف التهجي ، وعلم ترتيب اشكال بسائط الحروف ، وعلم املاء الخط العربي ، وعلم خط المصحف ، وعلم خط العروض .

ثم جعل الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالالفاظ وفيها مقدمة وثلث شعب .

المقدمة في بيان الحاجة الى العلوم المذكورة .

قال : اعلم ان الانسان لما كان مدنيا بالطبع احتاج الى تعيشه الى اعلام ما في ضميره لغيره والى الوقوف على ما في ضمير الآخرين ، فاقتضت الحكمة الالهية والرحمة الازلية احداث دوال يخف عليه ايرادها ولا يتبعها اضدادها بل لا يحتاج في تحصيلها الى آلات غير الآلات الطبعية لئلا يصرف اوقاته فيما يشغل نفسه عن كثير من المهمات الطبعية والشرعية ، فقاده الالهام الالهي الى استعمال الصوت العارض للنفس الضروري للحيوان بالآلات الذاتية الطبعية ، وتقطيعه بتوسط تلك الآلات بان يفيد تلك الآلات للاصوات كيفيات على انحاء شتى وطرق مختلفة ، يمتاز بسببها بعضها عن بعض باعتبار مخارجها وصفاتها ، ويسمى تلك الالفاظ حروفا ، ويحصل منها بحسب التركيبات المتنوعة كلمات دالة بحسب الاوضاع المختلفة على المعاني الحاصلة في ضمائر المتكلمين التي تتوقف عليها المعايش وتحصيل المعارف .

ثم تركيبات تلك الحروف لما امكنت على وجوه مختلفة وانحاء متنوعة مع تنوع مخارج الحروف واصنافها بحسب تنوع الطباع والعادات من الطوائف في كل ملة بل في كل صقع من الاصقاع ، حصل لهم ألسنة مختلفة ، ولغات متباينة ، بحيث لا تعد كثرة . الا ان افضلها واعلاها ، اللغة التي خصت بها اوسط الامم واخصهم وقد نزل عليها أشرف الكتب وأعلاها وأقومها من جهة الأحكام ، وأدومها الى يوم القيام ، وقد نطق بهذه اللغة أفضل الأنبياء وخاتمهم واشرفهم وفص خاتمهم ، أعني لغة العرب العرباء التي اختصت بالبلاغة والاعجاز ، وبسحر الكناية والمجاز ، وهل اختص غيرها بفنون لو عُدّ اشهرها

لبلغت الى اربعين بل اكثر وهل شرف ما عداها بالتحدي حتى فاق واحد على مئين .

وقل لي هل ظهرت العلوم ولو عقلية هكذا منقحة بلغة اخرى ؟ افليست هذه بالتعظيم والتبجيل اولى واحرى ، فوجب الاعتناء بشأن هذه اللغة الجليلة المقدار بتمييز كيفيات حروفها بحسب المخارج .

ثم احوال تركيباتها بحسب الاشتقاق .

ثم احوال وضعها للمعاني .

ثم تبديل بعض حروفها الى آخر لتحصل الخفة .

ثم كيفية اعراباتها ليسهل الانتقال منها الى معانيها ثم تطبيقها المقتضى الحال لرفع شأن الكلام ثم ايرادها بعبارات جلية لئلا يعسر فهم المعاني الدقيقة على اذهان لقبولها ثم معرفة احوال الخطوط الدالة عليها فهذه اصول العلوم العربية ولها فروع كثيرة .

ثم اعلم ان العلوم الادبية ثلثة انواع ، لانها اما باحثة عن المفردات ، او عن المركبات ، او عن فروعها ففيها ثلث شعب .

الاولى فيما يتعلق بالمفردات انتهى .

وذكر في هذه الشعبة علم مخارج الحروف ، وعلم اللغة وعلم الوضع وعلم الاشتقاق ، وعلم الصرف ، وعلم النحو ، وعلم المعاني ، وعلم البيان وعلم البديع ، وعلم العروض ، وعلم القوافي ، وعلم قرض الشعر ، وعلم مبادىء الشعر ، وعلم الانشاء ، وعلم مبادىء الانشاء وادواته ، وعلم المحاضرة ، وعلم الدواوين ، وعلم التاريخ .

قال الشعبة الثالثة من الدوحة الثانية في فروع العلوم العربية وذكر فيها علم الامثال ، وعلم وقائع الامم ، وعلم استعمال الألفاظ ، وعلم الترسل ، وعلم الشروط والسجلات ، وعلم الاحاجي والاغلوطات ، وعلم الالغاز ، وعلم المعمى ، وعلم التصحيف ، وعلم المقلوب ، وعلم الجناس ، وعلم مسامرة

الملوك ، وعلم حكايات الصالحين ، وعلم اخبار الأنبياء وعلم المغازي والسير ، وعلم تاريخ الخلفاء ، وعلى طبقات القراء ، وعلم طبقات المفسرين وعلم طبقات المحدثين ، وعلم سير الصحابة والتابعين ، وعلم طبقات الشافعية ، وعلم طبقات الحنفية ، وعلم طبقات المالكية ، وعلم طبقات الحنابلة ، وعلم طبقات النحاة ، وعلم طبقات الحكماء ، وعلم طبقات الأطباء .

قال الدوحة الثالثة وفيها شعبتان :

الأولى في العلوم الآلية التي تعصم عن الخطأ في الكسب وذكر في هذه الدوحة علم المنطق .

قال الثانية في علوم تعصم عن الخطأ في المناظرة والدرس ، ثم ذكر في هذه علم آداب الدرس وعلم النظر وعلم الجدل وعلم الخلاف .

قال الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالاعيان .

وهذا قسمان ما يبحث فيه بمجرد الرأي ومقتضى العقل فقط وهو العلوم الحكمية الباحثة عن احوال الموجودات الخارجية بحسب الطاقة البشرية .

وما يبحث فيه على قواعد الشرع وعلى تسليم المدعى واخذه من الشرع هي علم اصول الدين ، وفيها مقدمة وعدة شعب .

المقدمة اعلم ان العلوم الحكمية النظرية اما ان يبحث فيها عن موجود منزه عن المادة في الخارج وعند البحث ، او يبحث عن موجود مقارن للمادة خارجا دون البحث ، او يبحث عن موجود مقارن للمادة خارجا وبحثا .

والقسم الاول يسمى بالعلم الآلهي لبحثه عن الآلهيات وبالعلم الاعلى لعلو موضوعه بسبب تجرده عن المادة ، ويسمى بعلم ما بعد الطبيعة ايضا لقراءتهم اياها بعد العلم الطبعي .

والقسم الثاني يسمى بالرياضي لرياضة النفوس بها اولا اذ الأوائل كانوا

يبتدؤ ن في التعليم بها لكون دلائلها يقينية ولتعتاد النفوس باليقينيات بادىء بدء حتى كانوا يقدمونها على المنطق ويسمى بالعلم الاوسط ايضا لعدم تجرده عن المادة بالكلية ولعدم مقارنته اياها بالكلية .

والقسم الثالث يسمى بالعلم الطبعي لبحثه عن طبائع الاجسام ، وبالعلم الاولى لمقارنته بالمادة بالكلية فهذه هي الاصول الثلثة للعلوم الحكمية انتهى .

ثم ذكر كلا منها في شعبة ، ولكل منها فروع لا تحصى ، ثم ذكر فرع كل منها في شعبة اخرى فصارت الشعب ستة وقدم العلم الآلهي على الباقي لشرفه ثم ذكر الاوسط ثم الادنى فقال :

الشعبة الاولى في العلم الالهي والشعبة الثانية في فروعه وهي علم معرفة النفوس الانسانية وعلم معرفة النفوذ الملكية وعلم معرفة المعاد وعلم امارات النبوة وعلم مقالات الفرق وعلم تقاسيم العلوم .

والشعبة الثالثة في العلم الطبعي وله سبعة فروع وعند البعض عشرة وهي : ١ ـ علم الطب ، ٢ ـ علم البيطرة والبيرزة ، ٣ ـ علم الفراسة ، ٤ ـ علم تعبير الرؤيا ، ٥ ـ علم احكام النجوم ، ٦ ـ علم السحر ، ٧ ـ علم الطلسمات ، ٨ ـ علم السيميا ، ٩ ـ علم الكيمياء ، ١٠ ـ علم الفلاحة وذلك لان نظره اما في ما يتفرع على الجسم البسيط والمركب ، او ما يعمهما .

والاجسام البسيطة اما الفلكية فاحكام النجوم

واما العنصرية فالطلسمات

والاجسام المركبة اما ما لا يلزمه مزاج وهو علم السيمياء

او يلزمه مزاج ، فاما بغير ذي نفس فالكيمياء

او بذي نفس

فاما غير مدركة كالفلاحة

او مدركة

فاما مع كمال ان يعقل اولا .

الثاني البيطرة والبيرزة وما يجري مجراها ، والذي لذى النفس العاقلة هو الانسان وذلك ·

اما في حفظ صحته واسترجاعها وهو الطب ·

او احواله الظاهرة الدالة على الاحوال الباطنة فالفراسة ·

او احوال نفسه حال غيبة عن حسه وهو تعبير الرؤيا والعام البسيط والمركب السحر ولهذه الفروع فروع يأتي ذكرها ·

قال الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبعي ، ثم ذكر فيها غير ما تقدم آنف وعلم النبات ، علم الحيوان ، وعلم المعادن ، وعلم الجوّ ، وعلم الكون والفساد ، وعلم قوس قزح .

قال الشعبة الخامسة فيها عدة عناقيد الاول منها في فروع علم الطب ، وهي علم التشريح وعلم الكحالة ، وعلم الصيدلة ، وعلم طبخ الاشربة ، وعلم قلع الآثار من الثياب ، وعلم تركيب انواع المداد ، وعلم الجراحة ، وعلم الفصد ، وعلم الحجامة ، وعلم المقادير والأوزان ، وعلم الباه .

العنقود الثاني في فروع علم القيافة ، وعلم الشامات والخيلان ، وعلم الاسارير ، وعلم الاكتاف ، وعلم قيافة الاثر ، وعلم قيافة البشر ، وعلم الاهتداء بالبراري والاقفار ، وعلم الريافة ، علم أستنباط المعادن ، وعلم نزول الغيث ، وعلم العرافة ، وعلم الاختلاج ·

العنقود الثالث في فروع احكام النجوم واعلم انها غير علم النجوم لان الثاني يعرف بالحساب فيكون من فروع الرياضي والاول يعرف بدلالة الطبيعة على الأثار فيكون من فروع الطبعي وهي علم الاختيارات وعلم الرمل وعلم الفال ، وعلم القرعة وعلم الطيرة والزجر .

العنقود الرابع في فروع السحر .

واعلم ان استحداث الحوادث ان كان بمجرد التأثير النفساني فهو السحر
وان كان على سبيل الاستعانات بالفلكيات فهو دعوة الكواكب .
وان كان على سبيل تمزيج القوى البشرية بالارضية فهو الطلمسات .
وان كان على سبيل الاستعانة بالخواص الطبيعية فاما بالقراءة فهو علم الخواص والكتابة فهو علم النيرنجات .
أو الافعال غيرهما فهو الرقى .
وان كان على سبيل الاستعانة بالارواح الساذجة فهو العزائم .
وان كان باحضار تلك الارواح في قالب الاشباح فهو علم الاستحضار ويسمى علم تسخير الجن .
واما الاخبار عن الحوادث الغير الحاضرة فاما عن الماضي او الحال او الاستقبال فهو علم الكهانة .
ثم ان الانسان كما يقدر على استحضار المجردات كذلك يقدر على تغييب الحاضر عن الحس ويسمى علم الاخفاء .
وكذلك على اخفاء الامور الحاضرة عن الحاضرين ويسمى بالحيل الساسانية وامثال ذلك كثيرة انتهى .
ثم ذكر هذه العلوم على هذا النهج وعدّ منها علم القلفطيرات ، وعلم الكتابة المسمى بالسر المكتوم ، وعلم كشف الدك ، وعلم الشعبذة ، وعلم تعلق القلب ، وعلم الاستعانة بخواص الادوية .
قال الشعبة الخامسة في العلوم الرِياضية وهي العلوم الباحثة عن امور يصح تجردها عن المادة في الذهن فقط وينحصر هذه في اربعة اقسام .
لان نظرها اما عن الكم المتصل .
او عن الكم المنفصل وكل منهما اما قار الذات اولا فالاول علم الهندسة والثاني الهيئة والثالث العدد والرابع الموسيقى .
الشعبة السادسة في فروع علم الهندسة وعد منها علم عقود الابنية ، وعلم

المناظر ، وعلم المرايا المحرقة ، وعلم مراكز الاثقال ، وعلم جرّ الاثقال ، وعلم المساحة وعلم انباط المياه ، وعلم الألات الحربية ، وعلم الرمي ، وعلم التعديل ، وعلم النبكامات ، وعلم الملاحة والسباحة ، وعلم الاوزان والموازين ، وعلم الألات المبنية على ضرورة عدم الخلاء .

قال الشعبة السابعة في فروع علم الهيئة وذكر فيها علم الزيجات والتقاويم ، وعلم كتابتها وعلم حساب النجوم ، وعلم كيفية الارصاد ، وعلم الألات الرصدية ، وعلم المواقيت ، وعلم الألات الظلية وعلم الاكر ، وعلم الاكر المتحركة ، وعلم تسطيح الكرة ، وعلم صور الكواكب ، وعلم مقادير العلويات ، وعلم منازل القمروعلم جغرافيا ، وعلم مسالك البلدان والامصار وعلم معرفة البُرُد ومسافاتها ، وعلم خواص الاقاليم ، وعلم الادوار والأكوار ، وعلم القرانات ، وعلم الملاحم ، وعلم مواسم السنة ، وعلم مواقيت الصلوة وعلم وضع الاصطرلاب وعلم عمل الاصطرلاب ،وعلم وضع ربع الدائرة ، وعلم عمل ربع الدائرة ، وعلم ألات الساعة .

الشعبة الثامنة في فروع علم العدد منها علم الحساب وعلم حساب التخت والميل وعلم الجبر والمقابلة ، وعلم حساب الخطاءين ، وعلم حساب الدرهم والدينار ، علم حساب الدور والوصايا وعلم حساب العقود وعلم اعداد الوفق والدفق ، وعلم التعابي العددية .

الشعبة التاسعة في فروع علم الموسيقى منها الألات العجيبة ، وعلم الرقص وعلم الغنج .

قال الدوحة الخامسة في الحكمة العملية وان الانسان لما كان مدني الطبع وكان اشخاصه الا شرذمة ممن عصمهم الله تعالى وقليل ما هم مجبولين على جلب المنافع ودفع المضار بحيث يريدون اخذ ما في ايدي الأخرين بقوتهم الشهوية ودفع ما يزاحمه في ذلك بقوتهم الغضبية وكأن ذكل مؤديا الى التقاتل والتشاجر ولا

اقل من العداوة والشحناء وهذه الامور منافية لقضية التمدن والاجتماع وعمارة المدن في الاصقاع ، اقتضت الحكمة الآلهية لطفا منه ورحمة ان يشرف خواص عباده وهم الرسل والانبياء عليهم السلام بوحي من عنده يتضمن قوانين ينتظم برعايتها احوال المعاش ويكمل باجرائها احوال المعاد وتلك القوانين هي الشرائع النبوية والنواميس الالهٰية ، ثم ان الحكماء استنبطوا من الشرائع السابقة قوانين متعلقة بتكميل الاخلاق وانتظام تدبير المنزل وتدبير المدينة وسموها حكمة عملية نذكر كلا منها في شعبة .

الشعبة الاولى علم الاخلاق .

الثانية علم تدبير المنزل .

الثالثة علم السياسة .

الرابعة في فروع الحكمة العملية منها علم آداب الملوك وعلم آداب الوزارة وعلم الاحتساب وعلم قود العساكر .

الدوحة السادسة في العلوم الشرعية .

اعلم ان العلوم الاعتقادية اما متعلقة بالنقل ، او فهم المنقول وتقريره وتشييده بالادلة او استخراج الاحكام المستنبطة .

فالنقل ان كان مما اتى به الرسول بواسطة الوحي فهو علم القرآن .

او بما صدر عن نفسه المؤيدة بالعصمة فعلم رواية الحديث .

وفهم المنقول ان كان من كلام الله تعالى فعلم تفسير القرآن .

او من كلام الرسول فعلم دراية الحديث .

والتقرير اما الآراء فعلم اصول الدين .

او الافعال فعلم اصول الفقه .

او استخراج الاحكام من ادلتها فعلم الفقه .

ومنافع هذه العلوم جمة اما في الدنيا فحفظ المهج والاموال وانتظام سائر

الاحوال ، واما في الاخرى فالنجاة من العذاب الاليم والفوز بالنعيم المقيم .
وفي هذه الدوحة شعب ·

الأولى علم القراءة .
الثانية علم رواية الحديث ·
الثالثة علم تفسير القران ·
الرابعة علم دراية الحديث .
الخامسة علم اصول الدين المسمى بالكلام .
السادسة علم اصول الفقه ·
السابعة علم الفقه ·

الثامنة فروع العلوم الشرعية وهي علم معرفة الشواذ وتفرقتها من المتواتر ، وعلم مخارج الحروف ، وعلم مخارج الالفاظ وعلم الوقوف ، وعلم علل القراآت ، وعلم رسم كتابة القرآن ،وعلم آداب كتابة المصحف ·

ومن فروع علم الحديث علم شرح الحديث ، وعلم اسباب ورود الاحاديث ، وعلم ناسخ الحديث ومنسوخه ، وعلم تأويل اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وعلم رموز اقوال النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلم غرائب لغات الحديث ، وعلم دفع مطاعن الحديث ، وعلم تلفيق الاحاديث ، وعلم احوال رواة الاحاديث ، وعلم طب النبي صلى الله عليه وسلم .

واما فروع علم التفسير فالقرآن بحر لا تنقضي عجائبه ، قال ولنذكر منها قدر ما تفي به قوة التقرير ويحيط به نطاق التحرير ، ثم ذكر علم معرفة المكي والمدني وغيره من الانواع التي ذكرها السيوطي في الاتقان ، وجعل كل نوع علما مستقلا وليس كما ينبغي لكن ذكرناها في هذا الكتاب مرتبا تبعا له رحمه الله تعالى كما ستقف عليه ·

قال هذا الذي ذكرته من فروع علم التفسير هي ما وقع في كتاب الاتقان ، وهذا بعض من علوم عددها من فروع علم التفسير بادنى الملابسة فلنذكر هٰهنا

علم خواص الحروف ، علم معرفة الخواص الروحانية ، علم التصرف بالحروف والاسماء ، علم الحروف النورانية والظلمانية ، علم التصرف بالاسم الاعظم ، علم الكسر والبسط ، علم الجفر والجامعة ، علم الزائرجة ، علم دفع مطاعن القرآن .

ومن فروع علم الحديث ايضا علم المواعظ ، وعلم الادعية والاوراد ، وعلم الآثار ، وعلم الزهد والورع ، وعلم صلاة الحاجات ، وعلم المغازي .

واما فروع علم اصول الدين فاعلم ان موضوع الكلام على ما تقرر رأي المحققين عليه هو المعلوم من حيث يتعلق به اثبات العقائد الدينية ولا شك ان موضوعات جميع العلوم مندرجة تحت المعلوم وقد تقرر في موضعه ان الاصالة والفرعية في العلوم بحسب عموم الموضوع وخصوصه ، فيكون جميع العلوم الشرعية من فروع علم اصول الدين .

واما فروع علم اصول الفقه فمنها علم النظر وعلم المناظرة وعلم الجدل وعلم الخلاف .

واما فروع علم الفقه فمنها ، علم الفرائض ، وعلم الشروط والسجلات ، وعلم معرفة حكم الشرائع ، وعلم الفتاوى قال هذا آخر ما تيسر لي من تفصيل العلوم النظرية التي ضمنها الطرف الاول من هذا المختصر ولنشرع بعد هذا في العلوم المتعلقة بالاعمال وهي علوم التصفية .

والمعرفة على نوعين :

احدهما المعرفة بطريق النظر وهي لا تكمل الا بالعمل .

وثانيهما المعرفة بطريق العمل وهي غاية المعرفة بالله تعالى ، والعلم المتعلق بالاول يسمى علم الدراسة لحصوله بالدرس والتكرار .

والعلم المتعلق بالثاني يسمى علم الوارثة لكونه مما يورثه العمل ، ويسمى ايضا بعلم التصفية وعلم الباطن ، وعلم الحال ، وعلم المكاشفة ، وعلم

الحقائق ، وهذا الطرف الثاني اربعة اقسام :

الاول في العلوم المتعلقة بالعبادات ، منها علم اسرار الطهارة ، وعلم اسرار الصلوٰة ، وعلم اسرار الزكوٰة ، وعلم اسرار الحج .

والقسم الثاني في العلوم المتعلقة بالعادات ، منها علم آداب الاكل ، وعلم آداب النكاح ، وعلم أداب الكسب ، علم اداب الصحبة والمعاشرة ، وعلم أداب العزلة ، وعلم أداب السفر ، وعلم آداب السماع والوجد ، وعلم أداب الحسبة ، وعلم أداب النبوة .

القسم الثالث في الأخلاق المهلكات ، منها : عجائب القلب ، وعلم رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ، وعلم فضيلة كسر الشهوتين ، وعلم أداب اللسان وأفاته ، وعلم أفات الغضب ، وعلم أفات الدنيا ، وعلم أفات المال ، وعلم أفات الجاه ، وعلم أفت الريا ، وعلم أفات الكبر ، وعلم آفات العجب ، وعلم أفات الغرور .

والقسم الرابع في الاخلاق المنجيات منها : علم أداب التوبة ، علم فوائد الصبر ، وعلم منافع الشكر ، وعلم منافع الرجا ، وعلم منافع الخوف ، وعلم فوائد الفقر ، وعلم فوائد الزهد ، وعلم فوائد التوكل ، وعلم فوائد المحبة ، وعلم فوائد الشوق ، وعلم فوائد الانس ، وعلم فوائد الرضا ، وعلم فوائد النية ، وعلم فوائد الاخلاص ، وعلم فوائد الصدق ، وعلم فوائد المراقبة ، وعلم فوائد المحاسبة ، وعلم فوائد التفكر ، وعلم فوائد ذكر الموت والبعث والنشور .

قال خاتمة الرسالة في شرائط الطريقة وادابها منها :

شرائط الشيخ ، وشرائط المريد وأداب الخرقة في الباسها ، واداب التاج ، وأداب السجادة انهى .

ولم نذكر ما ذكره في هذه الخاتمة في كتابنا هذا لانه ليس علما برأسه وقد

تقدم في القسم الاول من كتابنا هذا فصل مستقل في ذكر تقسيم العلوم المدونة واحسن التقاسيم منها التقسيم الخامس ، على ما ذكره صاحب مفتاح السعادة وهو مستقل على ما ذكرناه من العلوم هٰهنا ولا مضايقة في بعض التكرار عند جدّة الفوائد والاذكار[1] .

---

١) بزاد ولم نقف في كتاب مفتاح السعادة الا على ما تقدم عن لما كاتب الجلبي في كشف الظنون ووقفنا على كتاب مدينة العلوم فوجدناه كأنه مولاوكس في العبارة ولا شطط في الاشارة لكن لم يتعرض لذكره صاحب الكشف كما تعرض لذكر المفتاح مع انه مقدم التأليف فلم يحصل الفرق لنا بين هذين الكتابين في المبنى والمعنى غير انهما متفاوتان اسما ومتحدان مسمى فمن وقف على ذلك وعرف ما هناك فليتفضل علينا بتحرير حقيقة الامر على حاشية كتابنا هذا ولا يجهل علينا وبالله التوفيق منه دام مجده .

بابُ الالِفِ

علم الابعاد والاجرام

وهو علم يبحث فيه عن ابعاد الكواكب عن مركز العالم ومقدار جرمها ، اما بعدها فيعلم بمقدار واحد كنصف قطر الارض الـذي يمـكن معرفتـه بالفراسخ والاميال .

واما اجرامها فيعرف مقدارها كجرم الارض .

واعلم ان مباحث هذا الفن في غاية البعد عن القبول ولذلك ترى اكثـر الناس اذا سمعوا لوَّوا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وقالوا ان هذا الا كذب مفترى وذلك لعدم اطلاعهم على احكام الهندسة والمناظر ، واعتقادهم انه لا سبيل الى ذلك التقدير الا بالصعود والقرب من تلك الاجرام ومساحتها بالايدي والأقدام ومن المختصرات في هذا الفن سلم السماء

علم الأثَار

هو فن باحث عن اقوال العلماء الراسخين من الاصحاب والتابعين لهـم وسائر السلف وافعالهم وسيرهم في امر الدين والدنيا .

ومباديه امور مسموعة من الثقات .

والغبض منه معرفة تلك الامور ليقتدى بهم وينال ما نالوه وهذا الفن اشد

ما يحتاج اليه علم الموعظة هذا ما قاله لطف الله في موضوعاته ، وقد نقله طاشكبرى زاده بعبارته في مفتاح السعادة ثم قال ومن الكتب المصنفة في هذا العلم كتاب سير الصحابة والتابعين والزهاد للاندرسقاني ، وكتاب روض الرياحين لليافعي وغير ذلك انتهىٰ .

واما اٰثار الطحاوي وشرح مشكله مع ما يتعلق به فان معنى اٰثاره معنى مغاير لتعريف هذاٰ العلم وهو على ما في كتب اصول الحديث بمعنى الخبر .

قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني في نخبة الفكر : ان كان اللفظ مستعملا بقلة احتيج الى الكتب المصنفة في شرح الغريب ، وان كان مستعملا بكثرة لكن في مدلوله دقة احتيج الى الكتب المصنفة في شرح معاني الاخبار وبيان المشكل منها ، وقد اكثر الائمة من التصانيف في ذلك كالطحاوي والخطابي وابن عبد البروغيرهم رحمهم الله تعالى انتهى .

علم الاثار العلوية والسفلية

هو علم يبحث فيه عن المركبات التي لا مزاج لها وتتعرف منه اسباب حدوثها .

وهو ثلثة انواع لان حدوثه اما فوق الارض اعني في الهواء وهو كائنات الجو واما على وجه الارض كالاحجار والجبال ، واما في الارض كالمعادن وفيه كتب للحكماء منها كتاب السماء والعالم .

علم الاحَاجي والاغلوطات من فروع اللغة والصرف وَالنحو

والاحاجي جمع احجية كالاضحية كلمة مخالفة المعنى .

وهو علم يبحث فيه عن الالفاظ المخالفة لقواعد العربية بحسب الظاهر وتطبيقها عليها اذ لا يتيسر ادراجها فيها بمجرد القواعد المشهورة .

وموضوعه الالفاظ المذكورة من الحيثية المذكورة

ومبادية ماخوذة من العلوم العربية .

وغرضه تحصيل ملكة تطبيق الالفاظ التي تتراءى بحسب الظاهر مخالفة لقواعد العرب .

وغايته حفظ القواعد العربية عن تطرق الاختلال .

والاحتياج الى هذا العلم من حيث ان الفاظ العرب قد يوجد فيها ما يخالف قواعد العلوم العربية بحسب الظاهر بحيث لا يتيسر ادراجه فيها بمجرد معرفة تلك القواعد فاحتيج الى هذا الفن .

وللزمخشري المتوفى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة تأليف لطيف في هذا الفن سماه الحاجات .

وللشيخ علم الدين علي بن محمد السخاوي الدمشقي المتوفى سنة ثلث واربعين وستمائة شرح هذا المتن الدقيق ، التزم فيه ان يعقب كل احجية في الزمخشري بلغزين من نظمه .

وابو المعالي سعد بن علي الوراق الحطيري المتوفى سنة ثمان وستين وخمسمائة صنف فيه ايضا والسادسة والثلثون التي تعرف بالملطية من المقامات الحريرية في هذا المعنى فمنها للمثال : يا من سما بذكاء . في الفضل وارى الزناد . ماذا يماثل قولي . جوع امدّ بزاد . يا ذا الذي فاق فضلا . ولم يدنسه شين . ما مثل قول الحاجي . ظهر اصابته عين .

فطريق معرفة المماثلة فيه ان تنظر جوع امدّ بزاد فتقابله بطوامير ، لان طوى مثل الجوع في المعنى ، ومير مثل امد بزاد ، لان مير الامداد بالزاد وكذا تقابل ظهر اصابته عين بقولك مطاعين فتجد المطا الظهر وعين الرجل اصيب بالعين .

فاذا تركت الالفاظ بغير تقسيم يظهر لك معنى اخر وهو ان الطوامير الكتب ، والواحد طومار ، والمطاعين جمع مطعان وهو كثير الطعن وعليه فقس .

علم الاحتساب

وهو النظر في امور اهل المدينة باجراء مراسم معتبرة في الرياسة الاصطلاحية ونهي ما يخالفها وتنفيذ ما تقرر في الشرع من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والسلطان بالنسبة الى الملك بمنزلة الرأس من البدن الذي هو منبع الرأي والتدبير .

والوزير بمنزلة اللسان المعبر عما في الضمير .

واهل الاحتساب بمنزلة الايدي والاقدام والمماليك والخدم ، ولن يتم امر الملك الا بهؤلاء الثلث هذه عبارة قديمة العلوم .

وقال في كشف الظنون هو علم باحث عن الامور الجارية بين اهل البلد من معاملاتهم اللاتي لا يتم التمدن بدونها ، من حيث اجرائها على القانون العدل ، بحيث يتم التراضي بين المعاملين ، وعن سياسة العباد بنهي المنكر وامر المعروف بحيث لا يؤدي الى مشاجرات وتفاخر بين العباد بحسب ما رآه الخليفة من الزجر والمنع .

ومباديه بعضها فقهي وبعضها امور استحسانية ناشئة من رأي الخليفة .

والغرض من تحصيل الملكة في تلك الامور .

وفائدته اجراء امور المدن في المجاري على الوجه الاتم وهذا من ادق العلوم ولا يدركه الا من له فهم ثاقب وحدس صائب اذ الاشخاص والازمان والاحوال ليست على وتيرة واحدة فلا بد لكل واحد من الازمان والاحوال سياسة خاصة وذلك من اصعب الامور فلذلك لا يليق بمنصب الاحتساب الا من له قوة قدسية مجردة عن الهوى ، كعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان عالما في هذا الشأن كذا في موضوع لطف الله .

وعرفه ابو الخير بالنظر في امور اهل المدينة باجراء ما رسم في الرياسة وما

تقرر في الشرع ليلا ونهارا سرا وجهارا ثم قال : وعلم السياسة المدنية مشتمل على بعض لوازم هذا المنصب ولم نر كتابا صنف فيه خاصة وذكر في الاحكام السلطانية ما يكفي انتهى .

اقول فيه كتاب نصاب الاحتساب خاصة ذكر فيه مؤلفه ان الحسبة في الشريعة تتناول كل مشروع بفعل الله سبحانه وتعالى كالآذان والاقامة واداء الشهادة مع كثرة تعدادها ولذا قيل : القضاء باب من ابواب الحسبة وفي العرف مختص بامور فذكرها الى تمام خمسين وفيه كتب ذكرت في محالها انتهى ما في الكشف .

علم الاحكام

والاحكام اسم متى اطلق في العقليات اريد به الاحوال العيبية المستنتجة من مقدمات معلومة هي الكواكب من جهة وحركاتها ومكانها وزمانها .

وفي الشرعيات يطلق على الفروع الفقهية المستنبطة من الاصول الاربعة وسيأتي في علم الفقه .

وأما الاول فهي الاستدلال بالتشكلات الفلكية من اوضاعها واوضاع الكواكب من المقابلة والمقارنة والتثليث والتسديس والتربيع على الحوادث الواقعة في عالم الكون والفساد وفي احوال الجود والمعادن والنبات والحيوان .

وموضوعه الكواكب بقسميها .

ومباديه اختلاف الحركات والانظار والقرآن .

وغايته العلم بما سيكون بما اجرى الحق من العادة بذلك مع امكان تخلفه عندنا كمنافع المفردات ومما يشهد بصحته بنية بغداد فقد احكمها الواضع والشمس في الاسد وعطارد في السنبلة والقمر في القوس فقضى الحق ان لا يموت فيها ملك ولم يزل كذلك وهذا بحسب العموم ، واما بالخصوص فمتى علمت مولد شخص سهل عليك الحكم بكل ما يتم له من مرض وعلاج ، وكسب وغير

ذلك كذا في تذكرة داود ، ويمكن المناقشة في شاهدة بعد الامعان في التاريخ لكن لا يلزم من الجرح بطلان دعواه .

وقال ابو الخير واعلم ان كثيرا من العلماء على تحريم علم النجوم مطلقا .

وبعضهم على تحريم اعتقادات الكواكب مؤثرة بالذات .

وقد ذكر عن الشافعي انه قال ان كان المنجم يعتقد ان لا مؤثر الا الله سبحانه وتعالى لكن اجرى الله عادته بان يقع كذا عند كذا والمؤثر هو الله سبحانه وتعالى فهذا عندي لا بأس به ، وحيث جاء الذم ينبغي ان يحمل على من يعتقد تأثير النجوم بذاتها ذكره ابن السبكي في طبقاته الكبرى وفي هذا الباب اطنب صاحب مفتاح السعادة الا انه افرط في الطعن قال .

واعلم ان احكام النجوم غير علم النجوم لان الثاني يعرف بالحساب فيكون من فروع الرياضي .

والاول يعرف بدلالة الطبيعة على الآثار فيكون من فروع الطبيعي .

ولها فروع منها علم الاختيارات ، وعلم الرمل ، وعلم الفال ، وعلم القرعة ، وعلم الطيرة والزجر انتهى .

قلت والحق في ذلك ما دلت عليه الاحاديث لا ما اقترحه الرجال بآرائهم الفاسدة وعقولهم الكاسدة .

قال في مدينة العلوم ومن المختصرات فيه مجمل الاصول لكوشيار والجامع الصغيرلمحيي الدين المغربي .

ومن المتوسطات كتاب البارع والمغني .

ومن المبسوطة مجموع ابن شرع ، والادوار لأبي معشر ، والارشاد لابي ريحان البيروني ، والمواليد للخصبي ، والتحاويل للسنجري ، والقرانات للبازيار ، والمسائل للقصراني والاختيارات العلائية ، ودرج الفلك لتكلوشا ، والتفهم للبيروني ، وقال في كشف الظنون فيه كتب كثيرة .

علم احوال رواة الحديث من وفياتهم وقبائلهم واوطانهم وجرحهم وتعديلهم وغير ذلك

وهذا العلم من فروع التواريخ من وجه ، ومن فروع الحديث من وجه آخر ، وفيه تصانيف كثيرة ذكره ابو الخير وقد اورده من جملة فروع الحديث ولا يخفى انه علم اسماء الرجال في اصطلاحات اهل الحديث .

علم اخبار الانبياء

وهذا من فروع علم التواريخ ، وقد اعتنى بها العلماء وهو حقيق بالاعتناء وافرادها بالتدوين جماعة ،منها قصص الانبياء لابن الجوزي وغيره من العلماء الكرام رحمهم الله تعالى .

علم الاختلاج

وهو من فروع علم الفراسة .

قال ابو الخير هو علم باحث عن كيفية دلالة اختلاج اعضاء الانسان من الرأس الى القدم على الاحوال التي ستقع عليه ، واحواله ونفعه .

والغرض منه ظاهر لكنه علم لا يعتمد عليه لضعف دلالته وغموض استدلاله .

ورأيت في هذا العلم رسائل مختصرة لكنها لا تشفى العليل ولا تسقى الغليل انتهى ومثله في مدينة العلوم .

قال الشيخ داود الانطاكي في تذكرته اختلاج حركة العضو والبدن غير ارادية تكون عن فاعل هو النجار .

ومادي هو الغداء المبخر ، وصوري هو الاجتماع .

وغائي هو الاندفاع ويصدر عنه اقتدار الطبع ، وحال البدن معه كحال الارض مع الزلزلة عموما وخصوصا وهو مقدمة لما سيقع للعضو المختلج من

مرض يكون عن خلط يشابه البخار المتحرك في الاصح وفاقا .

وقال جالينوس العضو المختلج اصح الاعضاء اذ لو لم يكن قويا ما تكاثف تحته البخار كما انه لم يجتمع في الارض الا تحت تخرم الجبال ، وقال وهذا من فساد النظر في العلم الطبيعي لان علة الاجتماع تكاثف المسام واشتدادها لا قوة الجسم وضعفه ومن ثم لم يقع في الارض الرخوة مع صحة تربتها ولا نشاهد انصباب المواد الى الاعضاء الضعيفة ، ولأن الاختلاج يكثر جدا في قليل الاستحمام والتدليك دون العكس وعده اكثر الناس علما وقد اناطوا به احكاما .

ونسب الى قوم من الفرس والعراقيين والهند ، كطمطم واقليدس ، ونقل فيه كلام عن جعفر بن محمد الصادق ، وعن الاسكندر ولم يثبت على ان توجيه ما قيل عليه ممكن لان العضو المختلج يجوز استناد حركته الى حركة الكوكب المناسب له لما عرفناك من تطابق العلوي والسفلي في الاحكام وهذا ظاهر انتهى والرسائل المذكورة مسطورة في محلها .

علم الاختيارات

هو من فروع علم النجوم .

فهو علم باحث عن احكام كل وقت وزمان من الخير والشرّ الجاريين في العالم السفلي بحسب تبدل احوال القمر في منازله واوضاع الكواكب ، واوقات يجب الاحتراز فيها عن ابتداء الامور ، واوقات يستحب فيها مباشرة الامور ، واوقات يكون مباشرة الامور فيها بين بين .

ثم كل وقت له نسبة خاصة ببعض الامور بالخيرية وبعضها بالشرية وذلك بحسب كون الشمس في البروج ، والقمر في المنازل والاوضاع الواقعة بينهما من المقابلة والمقارنة والتثليث والتربيع والتسديس وغير ذلك حتى يمكن بسبب ضبط هذه الاحوال اختيار وقت لكل امر من الامور التي تقصد كالسفر

والبناء وقطع الثوب الى غير ذلك من الامور .

وفيه كتب كثيرة منها كتب بطليموس، ووواليس المصري، ودرونيوس الاسكندراني، وكتاب أبي معشر البلخي، وكتاب عمر بن فرحان الطبري، وكتاب احمد بن عبد الجليل السنجري، وكتاب محمد بن ايوب الطبري، وكتاب يعقوب بن علي القصراني رتب على مقالتين وعشرين بابا، وكتاب كوشيار بن لبان الجيلي، وكتاب سهل بن نصر، وكتاب كنكة الهندي، وكتاب ابن علي الخياط، وكتاب الفضل بن بشر، وكتاب احمد بن يوسف، وكتاب الفضل بن سهل، وكتاب نوفل الحمصي وكتاب ابي سهل مأجور واخويه، وكتاب علي بن احمد الهمداني، وكتاب الحسن بن الخطيب، وكتاب ابي الغنائم بن هلال، وكتاب هبة الله بن شمعون، وكتاب أبي نصر بن علي القمي وكتاب ابي نصر القبيصي، وكتاب ابي الحسن ابن علي بن نصر، واختيارات الكاشفي فارسي على مقدمة ومقالتين وخاتمة، والاختيارات العلائية المسماة بالاحكام العلائية في الاعلام السماوية، واختيارات ابي الشكر يحيى بن محمد المغربي وغير ذلك ونفع هذا العلم بين لا يخفى على احد.

علم الاخفاء

وهو علم يتعرف منه كيفية اخفاء الشخص نفسه عن الحاضرين بحيث يراهم ولا يرونه وله دعوات وعزائم الا ان صاحب مدينة العلوم قال ان الغالب على ظني ان ذلك لا يمكن الا بالولاية بطريق خرق العادة لا بمباشرة اسباب يترتب عليها ذلك عادة .

علم الاخلاق

هو قسم من الحكمة العملية .

قال الأرنيقي في مدينة العلوم : هو علم يعرف منه انواع الفضائل وهي اعتدال ثلث قوي ، وهي القوة النظرية والغضبية والشهوية ، منها اوساط بين الرذيلتين .

الحكمة وهي كمال القوة النظرية وهي التوسط بين الرذيلتين البلادة والجريزة الاول تفريطها والثاني افراطها .

والشجاعة وهي كمال القوة الغضبانية وهي التوسط بين الرذيلتين الجبن والتهور الاول تفريطها والثاني افراطها .

والعفة وهي كمال القوة الشهوية وهي التوسط بين الرذيلتين الخمود والفجور والاول تفريطهما والثاني افراطها وهذه الثلثة اعني الحكمة والشجاعة والعفة تذكر في علم الاخلاق تعريفاتها .

ثم طريق العلاج بان يفتر عن طرفي التوسط ويعتدل في الوسط ، وخير الامور اوساطها .

وموضوع هذا العلم الملكات النفسانية من حيث تعديلها بين الافراط والتفريط

ومنفعته ان يكون الانسان كاملا افعاله بحسب الامكان ليكون اولاه سعيدا او اخراه حميدا انتهى .

قال ابن صدر الدين في الفوائد الخاقانية وهو علم بالفضائل وكيفية اقتنائها لتتحلى النفس بها ، وبالرذائل وكيفية توقيها لتتخلى عنها .

فموضوعه الاخلاق والملكات والنفس الناطقة من حيث الاتصاف بها وههنا شبهة قوية وهي ان الفائدة في هذا العلم انما تتحقق اذا كانت الاخلاق قابلة للتبديل والتغيير والظاهر خلافه كما يدل عليه قوله ﷺ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام .

وروي عنه ﷺ ايضا اذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا او اذا

سمعتم برجل زال عن خلقه فلا تصدقوا فانه سيعود الى ما جبل عليه وقوله عز وجل الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه ناظر اليه ايضا .

وايضا الاخلاق تابعة للمزاج والمزاج غير قابل للتبديل بحيث يخرج عن عرضه .

وايضاً السيرة تقابل الصورة وهي لا تتغير .

والجواب ان الخلق ملكة تصدر بها عن النفس افعال بسهولة من غير فكر وروية .

والملكة راسخة في النفس لا تزول بسرعة وهي قسمان احدهما طبيعية والآخر عادية .

اما الاولى فهي ان يكون مزاج الشخص في اصل الفطرة مستعداً لكيفية خاصة كامنة فيه بحيث يتكيف بها بادنى سبب ، كالمزاج الحار اليابس بالقياس الى الغضب ، والحار الرطب بالقياس الى الشهوة ، والبارد الرطب بالنسبة الى النسيان ، والبارد اليابس بالنسبة الى البلادة .

واما العادية فهي ان يزاول في الابتداء فعلا باختياره وبتكرره والتمرن عليه يصير ملكة حتى يصدر عنه الفعل بسهولة من غير روية .

ففائدة هذا العلم بالقياس الى الاولى ابراز ما كان كامنا في النفس وبالقياس الى الثانية تحصيلها والى هذا يشير ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعثت لأتمم مكارم الاخلاق ، ولهذا قيل : ان الشريعة المصطفوية قد قضت الوطر عن اقسام الحكمة العملية على اكمل وجه واتم تفصيل انتهى .

وفيه كتب كثيرة منها : أخلاق الابرار والنجاة من الاشرار كأبي حامد الغزالي ، واخلاق الشيخ الرئيس ، واخلاق راغب ، واخلاق علائي ، واخلاق عضد الدين الايجي ، واخلاق فخر الدين الرازي ، واخلاق الناصري ، ورسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، واخلاق جلالي للمحقق الدواني .

وعبارة مدينة العلوم ومن الكتب المختصرة فيه كتاب البر والاثم لابي علي

ابن سينا ، وكتاب الفوز لابي علي مسكويه .

ومن المبسوطة كتاب الامام فخر الدين بـن الخطيب الرازي انتهى .

قلت وقد قضت الشريعة المصطفوية حق علم الاخلاق فلم تدع لاحد فيه مقالاً يقوله وكلاما يتكلم به ، فالكتاب والسنة يكفيان لمن يريد ادراك هذا العلم والتحلي به عن تلك الكتب المشار اليها فان الصباح يغني عن المصباح .

علم آداب الأكل

وهي حل الطعام كسبا بعد حله في نفسه شرعا ، وغسل اليد قبل الطعام وبعده ، ووضع الطعام على السفرة لانه اقرب الى التواضع ، والجثو على الركبة عند الاكل ، وان ينوي عند الاكل ان يقوى على الطاعة ، وان يقنع بالحاضر ، وان يجتهد في تكثير الايدي على الطعام ، وان يبدأ ببسم الله ، ويختم بحمد الله ، ويلعق اصابعه ، ويلتقط فتات الطعام ، ولا يبتدي به قبل من يستحق التقديم لكبر سنه او فضله ، ولا يسكت بل يتكلم بالمعـروف وحـكايات الصالحـين في الاطعمة وغيرها وهذا العلم مدون في كتب علم الحديث وذكره في مدينة العلوم وهكذا وهو من العلوم المتعلقة بالعادات .

علم آداب البحث

ويقال له علم المناظرة قال ابو الخير في مفتاح السعادة : هو علم يبحث فيه عن كيفية ايراد الكلام بين المناظرين .

وموضوعه الادلة من حيث انها يثبت بها المدعى على الغير ومباديه امور بينة بنفسها .

والغرض منه تحصيل ملكة طرق المناظرة لئلا يقع الخبط في البحث فيتضح الصواب انتهى .

وقد نقله من موضوعات لطفي بعبارته ثم اورد بعض ما يذكر ههنـا من

المؤلفات .

قال ابن صدر الدين في الفوائد الخاقانية وهذا العلم كالمنطق يخدم العلوم كلها لان البحث والمناظرة عبارة عن النظر من الجانبين في النسبة بين الشيئين اظهارا للصواب لا إلزاما للخصم ، والمسائل العلمية تتزايد يوما فيوما بتلاحق الافكار والانظار ، فلتفاوت مراتب الطبائع والاذهان لا يخلق علم من العلوم عن تصادم الآراء وتباين الأفكار وادارة الكلام من الجانبين للجرح والتعديل والرد والقبول ، الا انه بشرائط معتبرة مشروط وبرعاية الاصول منوط ، والا لكان مكابرة غير مسموعة فلا بد من قانون يعرف به مراتب البحث انتهى قوله .

والا لكان مكابرة اي وان لم يكن البحث لاظهار الصواب لكان مكابرة .

وفيه مؤلفات اكثرها مختصرات وشروح للمتأخرين .

منها آداب شمس الدين السمرقندي وهي اشهر كتب الفن ، وآداب عضد الدين الايجي ، وآداب احمد بن سليمان كمال باشا ، وآداب ابي الخير احمد بن مصطفى طاشكبري زاده المتوفى سنة اثنتين وستين وتسعمائة وهو جامع لمهمات هذا الفن مفيد جدا الى غير ذلك .

علم آداب التوبة

وحقيقتها ترك الذنب في الحال والعزم على ذلك في الاستقبال والندم على ما مضى بتلافي ما فات .

وشرط صحتها في الماضي ان يتكامل في كل طاعة تركها وفي كل معصية فعلها في ساعات عمره فيتوب عنها الى الله تعالى بالندم والتحسر عليها ويحسب عددها ويعمل مكان كل سيئة حسنة ليمحوها بها ، وكذا يتأمل في مظالم العباد ويفعل مكان كل ظلم منها حسنة لصاحبها .

وآداب التوبة وشروطها وما يليها مشروحة في كتاب الاحياء للغزالي ،

وهذا العلم معدود في علوم الاخلاق المنجيات على ما ذكره في مدينة العلوم .

علم آداب الحسبة

هي من جملة الواجبات ، ولا بد وان يكون المحتسب عالما بمواقع الحسبة ، وان يكون ورعا حسن الخلق اذ العلم والورع لا يكفي في اللطف والرفق ما لم يكن لصاحبه حسن الخلق .

ومن آدابها تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه ويقطع الطمع حتى تزول عنه المداهنة .

وهذا العلم من العلوم المتعلقة بالعادات ذكره في مدينة العلوم وقد تقدم الكلام عليه ايضا في علم الاحتساب .

علم آداب الدرس

وهو العلم المتعلق بآداب تتعلق بالتلميذ مع الاستاذ وعكسه ومنفعته وغايته وغرضه ظاهرة جدا وقد استوفى هذا الباب في كتاب تعليم المتعلم مؤلفه رحمه الله .

علم آداب كتابة المصحف

ذكره ابو الخير من فروع علم التفسير ، وانت تعلم انه اشبه منه في كونه فرعا لعلم الخط .

قال في المدينة هو علم يتعرف منه كيفية كتابة المصحف ليكون موافقا للآداب المعتبرة في الشرع والمستحسنة عند السلف .

وفائدته غير خافية على ارباب البصائر منها : تحسين كتابته ، وتبيينها ، وايضاحها ، وتحقيق الخط ويكره كتابته في الشيء الصغير ، وكان عمر رضي الله عنه اذا رأى مصحفا قد كتب بقلم دقيق ضرب كاتبه ، وكان اذا رأى مصحفا

عظيما سرّ به .

وكان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يكره ان يتخذ المصاحف صغاراً .

قالت الشافعية وتكره كتابته على الحيطان والجدران وعلى السقوف اشد كراهية لانه يؤطأ انتهى .

علم آداب السفر

وهو نوعان ظاهر وباطن ، ولكل منهما آداب .

اما الظاهر فهو ان ينوي به طلب العلم او العبادة او يكون للهرب من مشوش في الدين او في البدن كالمرض او في المال كالغلا فاذا اراد بدأ برد المظالم والديوان والودائع وأعَدَّ النفقة له ولعياله من الحلال ، ثم يختار رفيقا يعينه على الدين وان يستودع الله اهله وعياله ، ويصلي قبل السفر صلوة الاستخارة ، ثم يصلي في بيته اربع ركعات اذا شد عليه ثياب سفره ، ويخرج يوم الخميس ولا ينزل حتى يحمى النهار ، ولا يمشي متفردا عن القافلة ويرفق بالدابة راكبا ولا يحملها ما لا تطيق ولا يضرب في وجهها ، ويستصحب ستة اشياء السجنجل والساك والمكحلة والمشط والركوة والمقراض ويزيد ما شاء مما يحتاج اليه ويقدر عليه .

واذا قدم لا يطرق اهله ليلا بل يخبرهم قبل دخول البيت ، ويدخل اولا المسجد فيصلي ثم يدخل البيت ، ويحمل لاهل بيته واقاربه تحفا من مطعوم او ملبوس او غير ذلك بذلك وردت السنة المطهرة .

واما الباطن فهو ان لا يسافر الا لزيارة امر ديني ويستفيد في كل بلدة من مشائخها ادبا او كلمة ينتفع بها لا ليحكي ذلك عنهم فقط ، ويقيم بكل بلدة بقدر الحاجة لا اكثر من ذلك ، ولا يجالس فيها الا العلماء او الصلحاء الصادقين المتبعين للكتاب والسنة ، ويلازم في الطريق الذكر وقراءة القرآن وشغل العلم والكتابة والعمل الصالح ، واذا تيسر خدمة قوم صالحين فبها ونعمت ، وان لم

يحصل في السفر زيادة في الدين فليرجع اذ لو كان بحق لظهر اثره .

علم آداب السماع والوجد

حرّمه الامام ابو حنيفة ومالك والشافعي واحمد وغيرهم من المشائخ المعتد بهم في امور الدين والآثار فيه كثيرة .

ومن الصوفية من اباحه ولا بأس به فقد دلت السنة الصحيحة على ذلك بشرط ان لا يؤدي الى المنكر في الشرع ، وقد حقق المقام الامام الهمام شيخنا العلامة المجتهد محمد بن علي الشوكاني في كتابه نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار وهو المعتمد .

وأما الصوفية فقالوا أن له مراتب سماع صوت طيب وهو : اما موزون او غيره .

ثم الموزون اما مفهوم او غيره فهذه درجات .

والصوت الطيب لا حرمة فيه بل هو حلال كصوت البلابل ونغمة العنادل ولا يتفاوت ذلك بصدوره عن حيوان او عن حنجر انسان .

والموزون من حيث انه موزون غير محرم اذ قد انشد الشعر بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا يكون الحرمة فيه الا بحسب مفهومه .

وان كان محرما فيحرم سواء كان موزونا او غير موزون والا فلا يحرم ولذا ورد الشعر كلام حسنه حسن وقبيحة قبيح .

واذا عرفت كون الشعر الحسن مباحا فاعلم ان الكلام الموزون والصوت الطيب يحرك القلب سرورا وانقباضا ونشاطا وغما ، وذلك مركوز في طبع الانسان حتى الصبيان في المهد بل في طبع الحيوان ايضا كما يحكى من ميل الجمال الى الاصوات الطيبة والحداء ، واذا كان كذلك لم يجز ان يحكم مطلقا باباحته وحرمته بل يختلف ذلك باختلاف واحوال القلب .

قال ابو سليمان السماع ، لا يجعل في القلب ما ليس فيه بل يحرك ما هو فيه ، وذكر في مدينة العلوم سبعة مواضع للغناء ليس ذكرها مرادا لنا في هذا الموضع .

علم آداب الصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق

ولا بد ان يكون الغرض من الصحبة النفع الديني كاستفادة العلم والعمل ، وكاستفادة العز والجاه تحصنا به عن اذى من يشوش القلب ، وكاستفادة المال للاكتفاء به عن اضاعة الاوقات في طلب الاقوات ، وكالاستعانة في المهمات فيكون عدة في المصائب وقوة في الاهوال والنوائب ، وكالتبرك بمجرد الدعاء ، وكانتظار الشفاعة في الآخرة .

ومن حقوق الصحبة الاشتراك في المال مع عقد الاخوة والاعانة في قضاء الحاجات ، والسكوت عن ذكر عيوبه في حضرته وغيبته ، وذكر مناقبه في الغيب والعفو عن الزلات والهفوات والدعاء للاخ في حياته وبعد مماته والوفاء والاخلاص في المعاملة وترك التكليف في الصحبة .

وهذا العلم من فروع علوم العادات على ما ذكره في مدينة العلوم .

علم آداب العزلة

ولها فضائل وآفات وآداب .

اما الفضائل فست .

اولها الفراغ للعبادات والاستيناس بمناجاة رب الارباب عن مناجاة المخلوقات والاستكشاف باسرار الله تعالى في امر الدنيا والآخرة وملكوت السماء والارض .

وثانيها التخلص بالعزلة عن المعاصي التي لا يسلم منها الانسان عند الصحبة الا نادراً .

ثالثها الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس .

رابعها الخلاص من شر الناس من الغيبة له وسوء الظن به والتهمة عليه والاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعد الوفاء بها .

خامسها انقطاع طمع الناس عنه وانقطاع طمعه عنهم .

سادسها الخلاص من مشاهدة الثقلاء السفهاء ومقاساة اخلاقهم .

واما الآفات فأولها فوات التعليم والتعلم وهما اعظم العبادات .

ثانيها فوات النفع والانتفاع لان كلا منهما بالمخالطة .

ثالثها فوات التأدب والتأديب بكسر النفس وقهر الشهوات بتحمل اذى الناس .

رابعها فوات الاستيناس والايناس بالصلحاء الاتقياء .

خامسها فوات نيل الثواب وانالته .

اما النيل فبحضور الجمعة والجماعات والجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين .

واما الانالة فهي سد باب التعزية والتهنية والعيادة والزيارة ان كان عالما تقيا . ففي هذه الصورة ينبغي ان يوازن ثواب هذه بآفاتها ويرجح ما ترجح .

سادسها فوت التجارب اذ العقل الغريزي غير كاف بها واما آدابها فهي ان ينوي بعزلته كف شره عن الناس اولا ثم طلب السلامة من الاشرار .

ثانيا ثم الخلاص من آفات الاختلاط .

ثالثا التجرد بكنه الهمة لعبادة الله .

رابعا ثم المواظبة في الخلوة على العلم والعمل والفكر والذكر والخلاص عن استماع اخبار الناس واراجيف البلد اللذين يشوشان القلب لا سيما في الصلوة وهذا العلم ذكره في مدينة العلوم في العلوم المتعلقة بالعادات .

علم آداب الكسبُ والمعاش

وهي ان لا يغابن صاحبه فيما يتغابن فيه وان يحتمل الغبن ان اشترى من

ضعيف اوفقير وان يسامح في طلب الثمن ، وان يحط فيه ، وان لا يتقاضى المديون ، وان يحتمل اذى الدائن ، وان يقيل من يستقيله ، وان يعلم مراتب الحلال والحرام والشبهات .

أما مراتب الحرام فأربع :

احداها ورع العدول وهو ان يترك ما يحرمه فتاوى الفقهاء .

وثانيتها ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم

وثالثتها ان يترك ما لا بأس به مخافة ان يقع فيما فيه بأس .

ورابعتها ورع الصديقين وهو ترك ما لا بأس به اصلا ولكن يخاف ان يكون لغير الله اولا على نية التقوى وعبادة الله او يتطرق الى اسبابه المسهلة له كراهية او معصية .

واما مراتب الشبهات فمعرفتها موقوفة على معرفة مراتب الحرام وقد مر ذكرها ، وعلى معرفة مراتب الحلال .

وهي ان الحلال المطلق ما لا تتطرق اليه اسباب التحريم والكراهة ويقابله الحرام المحض ، وهذان العرفان ظاهران ليس فيهما شبهة وهو قوله عليه الصلوة والسلام الحلال بين والحرام بين ، وانما مثار الشبهة خمسة :

الأول الشك في السبب المحلل والمحرم فهذه اربعة اقسام :

الاول ان يعلم المحلل قبل ويقع الشك في التحريم .

والثاني ان يعرف الحل من قبل ويشك في التحريم .

الثالث ان يكون الاصل التحريم وطرأ عليه سبب التحليل .

الرابع ان يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا .

المثار الثاني الشبهة شك منشأ الاختلاط بين الحلال والحرام .

والمثار الثالث المشبهة ان يتصل بالسبب المحلل معصية .

المثار الرابعة للشبهة الاختلاط في الادلة وهذا كالاختلاط في السبب ، ثم

انه اذا وقع الحرام في ذمة احد فان وجد مالكه يدفعه اليه والا يرده وارثه وان كان صاحب الحق غائبا ينتظر اليه ، وان انقطع الرجاء عنه ولم يكن له وارث او كان المال لم يمكن رده لكثرة الملاك كالغلول في مال الغنيمة فحكم هذا المال ان يتصدق به لان النبي صلى الله عليه وسلم اهديت له شاة مصلية فكلمته الشاة بانها حرام قال اطعموها الأسارى ، وكذلك ورد في ذلك الأثر عن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم اجمعين الى يوم الدين .

علم آداب النبوة

ولا بد من معرفتها ليفتدى بها لقوله تعالى : (قُلْ ان كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فاتبعُوني يُحْبِبْكُمُ اللهَ ويَغْفِرْلَكُمْ ذُنُوبكُمْ) وكان النبي صلى الله عليه وسلم دائما يسأل من الله سبحانه وتعالى ان يزين بمكارم الاخلاق والآداب ، وكان يقول صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق .

وعن عائشة انها سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ، وبهذا اظهر ان من اراد ان يتخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فعليه ان يتخلق بما في القرآن من الأخلاق .

وأحسن الكتب المؤلفة في ذلك زاد المعاد من هدي خير العبَاد للحافظ ابن القيم رحمه الله ، وكتاب سفر السعادة للمجد الفيروز أبادي فانهما جمعا كل ادب وعادة وسيرة كانت للنبي ﷺ في كل باب من ابواب الدين والدنيا وهما عمودا الاسلام وقاعدتا الدين لم يؤلف في الاسلام قبلهما مثلهما ولا يساويهما كتاب في هذا العلم يعرف ذلك من رسخت قدمه في علم السنة المطهرة .

علم آداب النّكاح

وهي حسن الخلق مع المنكوحة وليس هو كف الاذى بل احتمال الاذى ، وان يلاعب ويمازح معهن لانها تطيب قلب النساء .

وان لا ينبسط بالدعابة الى درجة يسقط هيبته .
وان يعتدل في الغيرة وفي النفقة .
وان يعلم زوجته احكام الطهارة والصلوة .
وان يعدل بين نسوته ولا يميل الى بعضهن ذكره في مدينة العلوم من انواع العلوم المتعلقة بالعبادات .

علم آداب الملوك

هو معرفة الاخلاق والملكات التي يجب ان يتحلى بها الملوك لتنتظم دولتهم وسيأتي تفصيله في علم السياسة .
وفيه كتاب الشيخ القاضي الفاضل علي بن محمد الشوكاني سماه الدرر الفاخرة الشاملة على سعادة الدنيا والآخرة .
قال في مدينة العلوم علم آداب الملوك هي احوال رسمها الامراء والملوك بالتجارب والحدس والرأي مما ينبغي ان يفعله او يجتنبه .
وكتاب نصيحة الملوك للامام الغزالي نافع في هذا الباب .
ومن الكتب المصنفة فيه سراج الملوك للامام ابي بكر بن الوليد بن محمد القرشي الفهدي الاندلسي الطرطوسي نسبة الى طرطوسة بضم المهملتين بالاندلس في آخر بلاد المسلمين وسلوان المطاع في عدوان لابن ظفر انتهى وقد طبع هذا الاخير بمصر القاهرة في هذا الزمان وانتشر خبره في الجوائب .

علم آداب الوزراء

ذكره ابو الخير من فروع الحكمة العملية وهو مندرج في علم السياسة فلا حاجة الى افرازه وان كان فيه تأليف مستقل كالاشارة وامثاله .
وفي مدينة العلوم هو علم يتعرف منه آداب الوزارة ، من كيفية صحبة

السلاطين ونصيحة الرعايا ، وان يذكر السلطان ما نسيه ويعينه على امره بالخير ويردعه عما قصده من الجور ، وكتاب الاشارة الى آداب الوزارة نافع في هذا الباب ، وفي كتاب نصيحة الملوك وسراج الملوك ما يكفي انتهى .

قلت وفي كتاب الدرر الفاخرة المشتملة على سعادة الدنيا والآخرة للشيخ العلامة العالم الرباني القاضي علي بن محمد الشوكاني فصول تتعلق بآداب الوزارة اتى فيه بما يقضي حق المقام وقد وقفت عليه وانتفعت به في كتابي اكليل الكرامة(١) في تبيان مقاصد الإمامة وبالله التوفيق .

علم الأدب

هو علم يحترز به عن الخطأ في كلام العرب لفظا وخطا قال ابو الخير :

اعلم ان فائدة التخاطب والمحاورات في افادة العلوم واستفادتها لما لم تتبين للطالبين الا بالالفاظ واحوالها كان ضبط احوالها مما اعتنى به العلماء فاستخرجوا من احوالها علوما انقسم انواعها الى اثني عشر قسما وسموها (بالعلوم الادبية) لتوقف ادب الدرس عليها بالذات وادب النفس بالواسطة ، وبالعلوم العربية ايضا لبحثهم عن الالفاظ العربية فقط لوقوع شريعتنا التي هي احسن الشرائع وافضلها او اعلاها واولاها على افضل اللغات واكملها ذوقا ووجدانا انتهى .

واختلفوا في اقسامه فذكر ابن الانباري في بعض تصانيفه انها ثمانية .

وقسم الزمخشري في القسطاس الى اثني عشر قسما كما اورده العلامة الجرجاني في شرح المفتاح .

وذكر القاضي زكريا في حاشية البيضاوي انها اربعة عشر وعد منها علم

---

(١) ووقع فيه نسبة كتاب الدرر الى محمد بن علي الشوكاني وكذا في غيره بناء على غلط الناسخ الاول للكتاب المذكور فجاء السهو في النسخ الثاني فليتنبه له من يقف عليه لان الكتاب لولد الشوكاني لا للشوكاني نفسه منه ظله العالي .

القرآن قال وقد جمعت حدودها فى مصنف سميته (اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم) لكن يرد عليه ان موضوع العلوم الادبية كلام العرب وموضوع القراءات كلام الله سبحانه وتعالى .

ثم ان السيد والسعد تنازعا في الاشتقاق هل هو مستقل كما يقوله السيد ، أو من تتمة علم الصرف كما يقوله السعد .

وجعل السيد البديع من تتمة البيان والحق ما قاله السيد في الاشتقاق لتغاير الموضوع بالحيثية المعتبرة وللعلامة الحفيد مناقشته في التعريف والتقسيم اوردها في موضوعاته حيث قال :

واما علم الادب فعلم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظا او كتابة وههنا بحثان .

الأول ان كلام العرب بظاهرة لا يتناول القرآن وبعلم الادب يحترز عن خلله ايضا الا ان يقال المراد بكلام العرب بكلام يتكلم العرب على اسلوبه .

الثاني ان السيد رحمه الله تعالى قال لعلم الادب اصول وفروع .

أما الاصول فالبحث فيها اما عن المفردات من حيث جواهرها وموادها وهيئاتها فعلم اللغة او من حيث صورها وهيئاتها فقط فعلم الصرف ومن حيث انتساب بعضها ببعض الاصالة والفرعية فعلم الاشتقاق واما عن المركبات على الاطلاق .

فاما باعتبار هيئاتها التركيبية وتأديتها لمعانيها الاصلية فعلم النحو .

واما باعتبار افادتها لمعان مغايرة لاصل المعنى فعلم المعاني .

واما باعتبار كيفية تلك الافادة في مراتب الوضوح فعلم البيان ، وعلم البديع ذيل لعلمي المعاني والبيان داخل تحتهما وليس علما برأسه واما عن المركبات الموزونة . فأما من حيث وزنها فعلم العروض .

او من حيث اواخرها فعلم القوافي

واما الفروع فالبحث فيها اما ان يتعلق بنقوش الكتابة فعلم الخط او يختص بالمنظوم فالعلم المسمى بقرض الشعر أو بالنثر فعلم الإنشاء من الرسائل أو من الخطب ولا يختص بشيء فعلم المحاضرات ومنه التواريخ .

قال الحفيد هذا منظور فيه فاورد النظر بثمانية اوجه .

حاصلها انه يدخل بعض العلوم في المقسم دون الاقسام ويخرج بعضها منه مع انه مذكور فيه وان جعل التاريخ واللغة علما مدونا لمشكل اذ ليسا بمسائل كلية وجواب الاخير مذكور فيه ويمكن الجواب عن الجميع ايضا بعد التأمل الصادق .

وفي ارشاد القاصد للشيخ شمس الدين الاكفاني السخاوي الادب : وهو علم يتعرف منه التفاهم عما في الضمائر بأدلة الالفاظ والكتابة .

وموضعه اللفظ والخط من جهة دلالتها على المعاني ومنفعته اظهار ما في نفس الانسان من المقاصد وايصاله الى شخص آخر من النوع الانساني حاضرا كان او غائبا وهو حلية اللسان والبنان وبه تميز ظاهر الانسان على سائر انواع الحيوان .

وتنحصر مقاصده في عشرة علوم وهي علم اللغة وعلم التصريف وعلم المعاني وعلم البيان وعلم البديع وعلم العروض وعلم القوافي وعلم النحو وعلم قوانين الكتابة وعلم قوانين القراءة وذلك لان نظره .

أما في اللفظ او الخط

والاول فاما في اللفظ المفرد او المركب او ما يعمهما .

وما نظرة في المفرد فاعتماده اما على السماع وهو اللغة او على الحجة وهو التصريف .

وما نظره في المركب فامّا مطلقا او مختصا بوزن .

والاول ان تعلق بخواص تراكيب الكلام واحكامه الاسنادية فعلم المعاني والا فعلم البيان .

والمختص بالوزن فنظره اما في الصورة او في المادة الثاني علم البديع .

والاول ان كان بمجرد الوزن فهو علم العروض والا فعلم القوافي وما يعم المفرد والمركب فهو علم النحو .

والثاني فان تعلق بصور الحروف فهو علم قوانين الكتابة .

وان تعلق بالعلامات فعلم قوانين القراءة وهذه العلوم لا تختص بالعربية بل توجد في سائر لغات الامم الفاضلة من اليونان وغيرهم .

واعلم ان هذه العلوم في العربية لم تؤخذ عن العرب قاطبة بل عن الفصحاء البلغاء منهم وهم الذين لم يخالطوا غيرهم كهذيل وكنانة بعض تميم وقيس وغيلان ومن يضاهيهم من عرب الحجاز واوساط نجد .

فاما الذين اصابوا العجم في الاطراف فلم تعتبر لغاتهم واحوالها في اصول هذه العلوم وهؤلاء كحمير وهمدان وخولان والازد لمقاربتهم الحبشة والزنج ، وطي وغسان لمخالطتهم الروم والشام وعبد القيس لمجاورتهم اهل الجزيرة ، وفارس ، ثم اتى ذوو العقول السليمة والاذهان المستقيمة ورتبوا اصولها وهذبوا فصولها حتى تقررت على غاية لا يمكن المزيد عليها انتهى ما في كشاف واصطلاحات الفنون .

قال ابن جني المولدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الالفاظ ، قال ابن رشيق ما ذكره صحيح لان المعاني اتسعت باتساع الناس في الدنيا وانتشار العرب بالاسلام في اقطار الارض فانهم حضروا الحواضر وتفننوا في المطاعم ، والملابس وعرفوا بالعيان ما دلتهم عليه بداهة عقولهم من فضل التشبيه وغيره انتهى .

علم الأدعية والاوراد

هو علم يبحث فيه عن الادعية المأثورة والاوراد المشهورة بتصحيحها وضبطها وتصحيح روايتها ، وبيان خواصّها ، وعدد تكرارها ، واوقات قراءتها ، وشرائطها .

ومباديه مبينة في العلوم الشرعية .

والغـرض منـه معرفـة تلك الادعية والاوراد على الوجـه المذكور لينـال باستعمالها الفوائد الدينية والدنيوية كذا في مفتاح السعادة . وجعلـه من فروع علم الحديث بعلة استمداده من كتب الاحاديث .

والكتب المؤلفة فيه كثيرة جدا منها حصن الحصين ، واذا كان النووي الذي يقال فيه بع الدار واشتر الاذكار ، ومنها الحزب الاعظم لعلي القاري .

قال في مدينة العلوم وكتب الشيخ عبد الرحمن الانطاكي نافعة في هذا الباب انتهى .

ولم اقف على هذه الكتب ومن كتبه سلاح المؤمن وفرنده والحزب المقبول للشيخ عبد الجبار الناكبوري المهاجر المتوفى بمكة المكرمة في سنة ١٢٩٤ الهجرية .

واحسن هذه الكتب ما كان فيه الـروايات الصحيحـة الثابتـة من السنـة المطهرة بلا نزاع .

ومنها شرح عدة الحصن الحصين لشيخنا الامـام العلامـة محمـد بن علي الشوكاني رضي الله تعالى عنه وارضاه .

علم ادوات الخط

سيأتي تحقيقه في علم الخط ان شاء الله تعالى هكذا في كشف الظنون .

وقال الارنيقي في مدينة العلوم : هو علم ادوات الخط من الاقلام وطريق استعلام جيدها من رديها وطريق برئها واحوال الفتح والنحت والشق والقط ، من الدوات وكيفية الاقتها ، ومن انواع المداد وكيفية صنعتها واصلاحها ، ومن انواع الكاغذ ومعرفة جيدها من رديها وطريق اصلاحها وغير ذلك من ادوات الكتابة .

ومـن المصنفـات فيه القصيدة الـرائية البليغـة لعلي بن هلال بن البـواب البغدادي وهو الذي لَم يوجد في المتقدمين ولا في المتأخرين من كتب مثله ولا قاربه

وان كان ابو علي بن مقلة اول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين وابرزها في هذه الصورة لكن ابن البواب هذب طريقته ونقحها وكساها الحلاوة ، وكان شيخه في الكتابة ابن اسد الكاتب البزار البغدادي توفي ابن بواب سنة ٤٢٣ او سنة ٤١٠ ببغداد ودفن جوار الامام احمد بن حنبل ورسالة لطيفة لابي الدر ياقوت ابن عبد الله المستعصمي كان من مماليك الخليفة كتب الخط البديع وجوده ، توفي سنة ٤٩٨ .

ومن المصنفات فيه الباب الواحد من كتاب صبح الاعشا في كتاب الانشا لابي العباس احمد القلقشندي ثم المصري اورد في الباب المذكور ما يتعلق بالخط وأجاد فيه كل الاجادة ونقل اكثره عن ياقوت المستعصمي انتهى حاصلة .

علم الادوار والاكوار

ذكره ابو الخير من فروع علم الهيئة وقال : والدور يطلق في اصطلاحهم على ثلثمائة وستين سنة شمسية والكور على مائة وعشرين سنة قمرية ، ويبحث في العلم المذكور عن تبديل الاحوال الجارية في كل دور وكور ، وقال هذا من فروع علم النجوم كما هو ظاهر عند اهله مع انه لم يذكره في بابه ومثله في مدينة العلوم .

علم الأرثماطيقي

هو علم يبحث فيه عن خواص العدد من حيث التأليف ، اما على التوالي او بالتضعيف . مثل ان الاعداد اذا توالت متفاضلة بعدد واحد فان جمع الطرفين منها مساو لجمع كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد .

ومثل ضعف الواسطتان كانت عدة تلك الاعداد فردا مثل الافراد على تواليها والازواج على تواليها

ومثل ان الاعداد اذا توالت على نسبة واحدة بكون اولها نصف ثانيها وثانيها نصف ثالثها الخ او يكون اولها ثلث ثانيها وثانيها ثلث ثالثها الخ فان

ضرب الطرفين احدهما في الأخر كضرب كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد احدهما في الأخر .

ومثل مربع الواسطتان كانت العدة فردا وذلك مثل اعداد زوج المتوالية من اثنين فاربعة فثمانية فستة عشرة .

ومثل ما يحدث من الخواص العددية في وضع المثلثات العددية والمربعات والمخمسات والمسدسات اذا وضعت متتالية في سطورها بان يجمع من الواحد الى العدد الاخير فتكون مثلثة وتتوالى المثلثات هكذا في سطر تحت الاضلاع ، ثم تزيد على كل مثلث ثلث الضلع الذي قبله فتكون مربعة ، وتزيد على كل مربع مثلث الضلع الذي قبله فتكون مخمسة وهلم جرا ، وتتوالى الاشكال على توالي الاضلاع ويحدث جدول ذو طول وعرض ففي عرضه الاعداد على تواليها ثم المثلثات على تواليها ثم المربعات ثم المخمسات الخ .

وفي طوله كل عدد واشكاله بالغا ما بلغ وتحدث في جمعها وقسمة بعضها على بعض طولا وعرضا خواص غريبة استقريت منها وتقررت في دواوينهم مسائلها وكذلك ما يحدث للزوج والفرد وزوج الزوج والفرد فان لكل منها خواص مختصة به تضمنها هذا الفن وليست في غيره وهذا الفن اول اجزاء التعاليم واثبتها ويدخل في براهين الحساب .

وللحكماء المتقدمين والمتأخرين في تأليف واكثرهم يدرجونه في التعاليم ولا يفردونه بالتأليف ، فعل ذلك ابن سينا في كتابه الشفاء والنجاة وغيره من المتقدمين .

واما المتاخرون فهو عندهم مهجور إذ هو غير متداول ومنفعته في البراهين لا في الحساب فهجروه لذلك بعد ان استخلصوا زبدته في البراهين الحسابية كما فعله ابن البناء في كتاب رفع الحجاب والله اعلم .

قال في مدينة العلوم علم الارتماطيقي ويسمى علم العدد علم يتعرف منه انواع العدد واحوالها وكيفية تولد بعضها من بعض .

وموضوعه الاعداد من جهة خواصها ولوازمها .

ومن الكتب المختصرة فيه سقط الزند في علم العدد .

ومن المتوسطة كتاب الارتماطيقي من ابواب الشفاء .

ومن المبسوطة كتاب نيقوماخس والد ارسطو .

ومنفعة هذا العلم ارتياض النفس بالنظر في المجردات عن المادة ولواحقها ولذلك كانت القدماء يقدمونه في التعليم على سائر العلوم حتى المنطق ولانه مثال العالم في صدوره عن واجب مجرد خارج عنه كما ان الاعداد نشأت عن الواحد وليس بعدد انتهى (١) .

علم الازياج

من فروع علم الهيئة ، وهي صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما ادّى اليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطؤ واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب في افلاكها لايّ وقت فرض من قبل حسبان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة ، ولهذه الصناعة قوانين كالمقدمات والاصول لها في معرفة الشهور والايام والتواريخ الماضية ، واصول متقررة من معرفة الاوج والحضيض والميول واصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول مرتبة تسهيلا على المتعلمين. وتسمى الازياج

ويسمى استخراج مواضع الكواكب للوقت المفروض لهذه الصناعة تعديلا وتقويما وللناس فيه تأليف كثيرة من المتقدمين والمتأخرين ، مثل البناني ، وابن الكماد .

---

(١) وقد نظم هذا المضمون السيد العلامة غلام علي آزادرح البلجرامي في كتابه مظهر البركات وقال تمثيل من تفردات الناظم .

وقد عول المتأخرون لهذا العهد بالمغرب على زيج منسوب لابن اسحق من منجمي تونس في اول المائة السابعة ويزعمون ان ابن اسحق عول فيه على الرصد وان يهودياً كان بصقلية ماهرا في الهيئة والتعاليم وكان قد عنى بالرصد وكان يبعث اليه بما يقع في ذلك من احوال الكواكب وحركاتها فكان اهل المغرب عنوا به لوثاقة مبناه على ما يزعمون ولخصه ابن البناء في جزء سماه (المنهاج) فولع به الناس لما سهل من الاعمال فيه ، وانما يحتاج الى مواضع الكواكب من الفلك لتبتنى عليها الاحكام النجومية وهي معرفة الآثار التي تحدث عنها باوضاعها في عالم الانسان من الملك والدول والمواليد البشرية والله الموفق لما يحبه ويرضاه لا معبود سواه .

علم الاسارير

هو علم باحث عن الاستدلال بالخطوط الموجودة في كف الانسان وقدمه وجبهته بحسب التقاطع والتباين والطول والعرض والقصر وسعة الفرجة الكائنة بينها وضيقها على احواله كطول عمره ، وقصره ، وسعادته ، وشقاوته ، وغنائه وفقره .

وممن تمهر في هذا الفن العرب والهنود غالبا وفيه تصنيف لبعضهم لكن جعله ذيلاً للفراسة كذا في مفتاح السعادة .

وعبارة مدينة العلوم وقد توجد في هذا العلم مصنفات وكثيرا ما توجد ذيلا لكتب علم القِران قال الاعشى رحمه الله[1] .

---

(١) قال صوفية من الفقراء عمدة الصاعدين في الخضراء انها الخلق مظهر الباري هو في كل جزئه ساري انا الفيت فيه تمثيلا للصراط الدقيق تسهيلا ابصروا واحدا من الآحاد انه خارج من الاعداد وهو في كلهن موجود وهو في كلهن مشهود فكذا الله خالق الأشياء حاضر في السماء والغبراء وهو رب علي عن الأمكان ليس من جنس هذه الاكوان رب آزاد راكع سجاد رب فاجعله واحد الآحاد بالنبي الكريم من عدنان وبأولاده ذوي الاحسان قلت وهذا تمثيل من جنس اللطائف الشعرية وليس من باب المسائل الشرعية فتدبر ، السيد علي حسن خان ولد المؤلف سلمه الله تعالى المنان .

فانظر الى كفي واسرارها هل انت ان وعدتني ضائري

علم اسباب النزول

من فروع علم التفسير ، هو علم يبحث فيه عن نزول سورة او أية ووقتها ومكانها وغير ذلك ومباديه مقدمات مشهورة منقولة عن السلف ٠

والغرض منه ضبط تلك الامور .

وفائدته معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم وتخصيص الحكم به عند من يرى ان العبرة بخصوص السبب وان اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصيصه ، فاذا عرف السبب قصد التخصيص على ما عداه ٠

ومن فوائده فهم معنى القرأن واستنباط الاحكام إذ ربما لا يمكن معرفة تفسير الأية بدون الوقوف على سبب نزولها مثل قوله تعالى (فأينما تولوا فثم وجه الله) وهو يقتضي عدم وجوب استقبال القبلة وهو خلاف الاجماع ولا يعلم ذلك الا بان نزولها في نافلة السفر وفيمن صلى بالتحري ولا يحل القول فيه الا بالرواية والسماع ممن شهد التنزيل كما قال الواحدي .

ويشترط في سبب النزول ان يكون نزولها ايام وقوع الحادثة والا كان ذلك من باب الاخبار عن الوقائع الماضية كقصة الفيل كذا في مفتاح السعادة .

ومن الكتب المؤلفة فيه اسباب النزول لشيخ المحدثين علي بن المديني وهو اول من صنف فيه ولابن مطرف الاندلسي في مائة جزء وترجمته بالفارسية لابي النصر سيف الدين احمد الاسبرتكسيني .

ولمحمد بن اسعد العراقي وللشيخ ابي الحسن علي بن احمد الواحدي المفسر وهو اشهر ما صنف فيه ، وقد اختصره برهان الدين الجعبري فحذف اسانيده ولم يزد عليه شيئا ٠

ولابن الجوزي البغدادي ، وللحافظ ابن حجر العسقلاني ولم يبيض وللسيوطي ايضا سماه لباب النقول وهو كتاب حافل .

وقد تكلمنا على اسباب النزول في رسالتنا اكسير في اصول التفسير فارجع اليه فانه ينفعك نفعاً عظيماً .

علم اسباب ورود الاحاديث وازمنته وامكنته

وموضوعه ظاهر من اسمه ومنفعته ظاهرة لا تخفى على احد ذكره ابو الخير من فروع علم الحديث وفيه مصنفات كثيرة لا تحصى . .

علم الاستعانة بخواص الادوية والمفردات

كاجتذاب المغناطيس للحديد ونحو ذلك وفيه حكاية وهي وقوف صليب من حديد في الهواء في داخل حجرة موضوعة في جدرانها الاربع مغناطيس متساوية المقادير وافتنان النصارى به وهذا العلم من حيث كونه أثراً للخواص يسمى بعلم الخواص ومن حيث كونه محير للناظرين لعدم وقوفهم بأسبابها يعد من فروع علم السحر كذا في مدينة العلوم وذكره ابو الخير ايضا من فروع علم السحر .

وقال هذا وان كان من فروع خواص الادوية لكن لعدم معرفة العوام سببه ربما يعد من السحر وانت تعلم ان عدم علمهم لا يصلح سببا لان يعد من فروعه .

علم استعمال الالفاظ

هو من فروع علم البيان وهو علم يبحث فيه عن استعمالات الالفاظ في المعاني التشبيهية والكنائية بطريق الاستعارة والمجاز ، وهذا الفن في علم البيان بطريق الكلية وفي هذا الفن بطريق الجزئية .

ومباديه استقرائية .

وموضوعه وغرضه وغايته لا تخفى على الفطن المتأمل ، وللاصمعي وابي عبيدة في هذا الفن ايضا كتب كثيرة كذا في مدينة العلوم .

علم استنباط المعادن والمياه

اي معادن الذهب والفضة وهو عليم يبحث فيه عن تعيين محل المعدن والمياه اذ المعدنيات لا بد لها من علامات تعرف بها عروقها في الجبال والارض ومباديه وآلاته قريبة من علم الريافة وهو من فروع علم الفراسة .

علم استنزال الارواح واستحضارها في قوالب الاشباح

هو من فروع علم السحر .

واعلم ان تسخير الجن او الملك من غير تجسدهما وحضورهما عندك يسمى علم العزائم بشرط تحصيل مقاصدك بواسطتهما .

واما حضور الجن عندك وتجسدها في حسك فيسمى علم الاستحضار ولا يشترط تحصيل مقاصدك بها .

وامّا استحضار الملك .

فان كان سماويا فتجسده لا يمكن الا للانبياء .

وان كان ارضيّا ففيه الخلاف ، والاصح عدم جواز ذلك لغير الانبياء مطلقا كذا في مفتاح السعادة ومدينة العلوم ومن الكتب المصنفة فيه كتاب ذات الدوائر وغيره . . .

علم اسرار الحروف

وهو المسمى لهذا العهد بالسيمياء يأتي في حرف السين .

علم اسرار الطهارة

ولها اربع مراتب :

أوّلها : طهارة الظاهر عن الحدث والخبث على ما بين في الشرع المطهر .

وثانيتها : تطهير الجوارح عن الأثام لان الاثم بالنظر الى القلب كالخبث بالنسبة الى البدن .

وثالثتها : تطهير القلب عن ذمائم الاخلاق لانها بالنسبة الى الروح كالأثام بالنسبة الى القلب .

ورابعتها : تطهير السر عما سوى الله تعالى لان الالتفات الى غير الله تعالى بالنسبة الى السر بمنزلة ذمائم الاخلاق بالنسبة الى الروح وهذه طهارة الانبياء عليهم الصلوٰة والسلام والصديقين .

علم اسرار الصلوٰة

ولها مرتبتان احداهما ما لا تتحقق الصلوة بدونها وهي التي ينظر الفقيه اليها وثانيتهما ما تكمل به الصلوة وتحسن وهي النظر في الشروط الباطنة من اعمال القلب كالخشوع وحضور القلب وكالتعظيم ، وهذا غير الخشوع اذ كم من حاضر القلب متوجه اليه ليس فيه تعظيم لانه انما يتولد من معرفة جلال الله تعالى وعظمته ومعرفة حقارة النفس وكونها مسخرة لربها ، وكالهيبة وهي امر زائد على التعظيم منشأها خوف يصدر عن الاجلال وكالرجاء وسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة للمصلي وكالحياء وسببه استشعار التقصير في العبادات وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله سبحانه وتعالى .

علم اسرار الزكوة

ولها آداب ثمانية :

الأول ان يفهم ان الغرض من الزكوة الامتحان بان لا يكون له محبوب سوى الواحد الحق وله مراتب .

أولها الذين نزلوا عن جميع اموالهم كما فعله الصديق .

وثانيتها الذين يدخرون على قدر الحاجة ويصرفون الفاضل في وجوهالبر.

وثالثتها الذين يقتصرون على اداء الواجب وهذه اولى المراتب ولهذه المرتبة فوائد :

الاولى تطهير المال عن الاوساخ .

الثانية تطهير النفس عن صفة البخل .

والثالثة شكر النعمة المالية .

الأدب الثاني التعجيل عند حلول الوقت اظهارا للرغبة في الامتثال وتعجيلا لمسرة قلوب الفقراء .

الأدب الثالث الاسرار فان ذلك ابعد من السمعة والرياء .

الأدب الرابع ان يقصد اقتداء الناس عند الاظهار ويتحفظمن الرياء مهما قدر ، اللهم الا ان يتأذى الفقير بهتك سره .

الأدب الخامس ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى .

والأدب السادس ان يستصغر العطية والا دخله العجب .

الأدب السابع ان ينتقي من ماله اجوده واحبه اليه واطيبه واحله .

الأدب الثامن ان يطلب لصدقته الاتقياء وهم ستة المتجردون للآخرة والعلماء اذا صحت نياتهم في العلم والصّادق في تقواه والفقراء الساترون لفقرهم واهل العائلة المحبوسون بمرض او دين والاقارب ذوي الارحام .

علم اسرار الصوم

وله ثلث مراتب :

اولها صوم العموم وهو كف الفرج والبطن عن قضاء الشهوة .

ثانيتها صوم الخصوص وهو كف الجوارح عن الاثام .

وثالثها صوم اخص الخصوص وهو غض البصر عن المحـارم والمكاره وعما يلهي عن ذكر الله وحفظ اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة ، وكف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه ، وكف بقية الجوارح عن المكاره ، وكف البطن عن الشبهات ، وان لا يستكثر من الحلال وقت الافطـار بحيث يمتلي بطنه ، وان يكون قلبه بعد الافطار متعلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ لا يدري انه يقبل صومه فيكون من المقربين او يرد فيكون من الممقوتين .

علم اسرار الحج

واعماله الظاهرة مبينة في الشرع المطهر وهي عشرة :

اولها ان يكون النفقة حلالا .

ثانيها ان لا يعاون اعداء الله بتسليم المكوس الى العمال الظلمة المترصدين في الطرق ويتلطف في حيلة الخلاص .

ثالثها التوسع في الزاد وطيبة النفس بالانفاق .

رابعها ترك الرفث والفسوق والجدال .

خامسها الركوب او المشي ان قدر وله بكل خطوة حسنة .

سادسها الاجتناب عن المحامل فانه من زي المترفين .

سابعها عدم الميل الى التفاخر والتكاثر بل يكون اشعث اغبر .

ثامنها الرفق بالهدي فلا يحمله ما لا يطيق .

تاسعها التقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه .

عاشرها طيب النفس بما انفقه من نفقة وهدي .

واما اعماله الباطنة فأولها ان يعرف ان الكمال انما هو في التجرد عما سوى الله وذلك في الحج لان فيه التجرد عن الاهـل والعيال وفيه اختيار الغربـة عن الاقارب والعشائر وترك الترفه في المآكل والملابس والمراكب والمساكن .

وثانيهاالشوق الى زيارة بيته ليستحـق بذلك الى مشاهـدة جمـال صاحبـه بمقتضى الوعد الكريم .

ثالثها اخلاص النية في افعال الحج كلها بان يكون المقصود بها التقرب الى الله .

رابعها ان يقصد به الانقطاع عن محارم الله تعالى لا عن الاهل والمال فقط .

خامسها ان يتوجه بقلبه الى الله تعالى كما يتوجه بقالبه الى بيته .

سادسها ان يعرف ان زاد الآخرة هو التقوى ويتزود به كما يتزود للحج قال تعالى : إن اكرمكم عند الله اتقاكم .

سابعها تذكر الكفن عند لبس الاحرام لان كلا منهما غير مخيط .

ثامنها تذكر الخروج من القبر عند الخروج من البلد اذ لا يدري في كل منهما مآل امره .

تاسعها ان يتذكر الوقوف في المحشر عند الدخول في البادية اذ لا يأمن في كل منهما المخاوف والاهوال .

عاشرها ان يتذكر عند الدخول في الحرم رجاء الامـن من عقـاب الله مع خوفه من ان يكون من اهل الرد وان يتذكر عند مشاهدة البيت مشاهدة رب العزة وعظمته .

الحادي عشر ان يتذكر عند طواف البيت الملائكة الحافّين حول العـرش ويعرف ان المقصود طواف القلب بفكر رب البيت .

الثاني عشر ان يعتقد عند الاستلام المبايعة مع الرب العزم على الوفاء بها ليأمن المقر .

الثالث عشر ان يتذكر عند السعي تردده في فناء العبودية بين كفتي الميزان مترددا بين العذاب والغفران .

الرابـع عشر ان يتـذكر عنـد الوقـوف بعرفـات وقوفـه في العرصـات مع الصديقين والاولياء ويرجو المغفرة من رب العالمين كما يرجو اهل العرصات شفاعة الانبياء والمرسلين .

والخامس عشر ان يقصد برمي الجمار اظهار العبودية من غير حظ للعقل والنفس اذ الشيطان قد يلقي في قلبه ان هذا ايضا اللعب ففيه امتثال الامر للرحمن وإرغام لأنف الشيطان .

السادس عشر ان يتذكر عند الذبح ان يعتق بكل جزء منه جزءاً من بدنه من النار .

السابع عشر ان يتذكر فضل المدينة المنورة عند وقوع البصر على حيطان مسجد النبي ﷺ وجدران البلدة المباركة فان فيها تربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتربة وزيريه وفي بقيعها قبور اصحابه المهاجرين وغيرهم وهم افضل خلق الله تعالى وزيارتهم تورث بركات الدنيا وسعادة الآخرة .

الثامن عشر ان يعرف ان السفر الى مسجده صلى الله عليه وآله وسلم له فضل عظيم وزيارته ﷺ بعد موته كزيارته حيا .

التاسع عشر ان يحضر بالبال عند الفراغ من هذه الاعمال انه بين خطر الرد وبشارة القبول لأنه لا يعرف ان حجه قبل وهو من زمرة المحبوبين او رُدّ وهو من المطرودين .

العشرون ان يمتحن قلبه عند قدومه الى بلده انه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور الى دار الانس بالله تعالى او زاد القرار في دار الغرور ويزن اعماله فان من كان من الشق الاول فذاك دليل على القبول وان كان ونعوذ بالله منه من قبيل الثاني فليس حظه من هذه الافعال الا التعب والعنا نعوذ بالله من الحرمان والانسلاك في حزب الشيطان .

علم اسطرلاب

وهو بالسين على ما ضبطه بعض اهل الوقوف وقد تبدل السين صادا لانه في جوار الطاء وهو اكثر واشهر ولذلك اوردناه في حرف الصاد .

عِلْم الأسماءِ الحُسْنىٰ

واسرارها وخواص تأثيراتها قال البوني ينال بها كل مطلوب ويتوصل بها الى كل مرغوب وبملازمتها تظهر الثمرات وصرائح الكشف والاطلاع على اسرار المغيبات .

واما افادة الدنيا فالقبول عند اهلها والهيبة والتعظيم والبركات في الارزاق والرجوع الى كلمته وامتثال الامر منه وخرس الالسنة عن جوابه الا بخير الى غير ذلك من الأثار الظاهرة باذن الله تعالى في المعنى والصور ، وهذا سر عظيم من العلوم لا ينكر شرعا ولا عقلا(1) انتهى وسيأتي في علم الحروف .

علم اسماء الرّجال

يعني رجال الاحاديث فان العلم بها نصف علم الحديث كما صرح به العراقي في شرح الالفية عن علي بن المديني فانه سند ومتن .

والسند عبارة عن الرواة فمعرفة احوالها نصف علم الحديث على ما لا يخفى والكتب المصنفة فيه على انواع منها المؤتلف والمختلف لجماعته كالدارقطني والخطيب البغدادي وابن ماكولا وابن نقطة ومن المتأخرين الذهبي والمزني وابن حجر وغيرهم .

ومنها الاسماء المجردة عن الالقاب والكنى معاً صنف فيه الامام مسلم وعلي بن المديني والنسائي وابو بشر الدولابي وابن عبد البر لكن احسنها ترتيبا كتاب الامام ابي عبد الله الحاكم ، وللذهبي المقتنى في سرد الكنى .

---

(1) وانظر الكلام على اسماء الله الحسنى في فتح الباري والتلخيص ومسك الختام ونيل الاوطار وقد بسط البيهقي في جمعها مع الصفات في كتاب الاسماء والصفات واطال اطالة حسنة مولوي محمد عبد الصمد الفشاوري سلمه ربه .

ومنها الالقاب صنف فيه ابو بكر الشيرازي وابـو الفضـل الفلـكي سماه منتهى الكمال وابن الجوزي .

ومنها المتشابه صنف فيه الخطيب كتابا سماه تلخيص المتشابه ثم ذيله بما فاته .

ومنها الاسماء المجردة عن الالقاب والكنى صنف فيه ايضـا غـير واحـد فمنهم من جمع التراجم مطلقا كابن سعد في الطبقات وابن ابي حيثمة احمد بن زهير والامام ابي عبد الله البخاري في تاريخهما ومنهم من جمع الثقات كابن حبان وابن شاهين .

ومنهم من جمع رجال الضعفاء كابن عدي ومنهم من جمع كليهما جرحـا وتعديلا .

ومنهم من جمع رجال البخاري وغيره من اصحاب الكتب الستة والسنن على ما بين في هذا المحل وقد ذكرنا كتب اسماء الرجال على ترتيب حروف الهجاء في كتابنا اتحاف النبلاء المتقين باحياء مآثر الفقهاء المحدثين .

علم الاسناد

ويسمى بأصول الحديث ايضا وهو علم بأصول تعرف بها احوال حديث رسول الله ﷺ من حيث صحة النقل وضعفه والتحمل والاداء كذا في الجواهر وفي شرح النخبة .

هو علم يبحث فيه عن صحة الحديث وضعفه ليعمل به او يترك من حيث صفات الرجال وصيغ الاداء انتهى .

قال في كشاف اصطلاحات الفنون فموضوعه الحـديث بالحيثية المذكورة انتهى .

علم الاشتقاق

هو علم باحث عن كيفية خروج الكلم بعضها عن بعض بسبب مناسبة

بين المخرج والمخارج بالاصالة والفرعية بين الكلم لكن لا بحسب الجوهرية بل بحسب الهيئة .

مثلا يبحث في الاشتقاق عن مناسبة نهق ونعق بحسب المادة .

وموضوعه المفردات من الحيثية المذكورة .

ومباديه كثير منها قواعد ومخارج الحروف .

ومسائله القواعد التي يعرف منها ان الاصالة والفرعية بين المفردات بأي طريق يكون وبأي وجه يعلم ودلائله مستنبطة من قواعد علم المخرج وتتبع ألفاظ العرب واستعمالاتها .

والغرض منه تحصيل ملكة يعرف بها الانتساب على وجه الصواب .

وغايته الاحتراز عن الخلل في الانتساب الذي يوجب الخلل في ألفاظ العرب .

واعلم ان مدلول الجواهر بخصوصها يعرف من اللغة وانتساب البعض الى البعض على وجه كلي .

ان كان في الجوهر فالاشتقاق .

وان كان في الهيئة فالصرف ، فظهر الفرق بين العلوم الثلاثة وان الاشتقاق واسطة بينهما ولهذا استحسنوا تقديمه على الصرف وتأخيره عن اللغة في التعليم .

ثم انه كثيرا ما يذكرني في كتب التصريف وقلما يدون مفردا عنه اما لقلة قواعده او لاشتراكهما في المبادىء حتى ان هذا من جملة البواعث على اتحادهما والاتحاد في التدوين لا يستلزم الاتحاد في نفس الامر .

قال صاحب الفوائد الخاقانية اعلم ان الاشتقاق يؤخذ تارة باعتبار العلم ، وتارة باعتبار العمل .

وتحقيقه ان الضارب مثلا يوافق الضرب في الحروف والاصول والمعنى بناء على ان التواضع عين بازاء المعنى حروفا وفرع منها الفاظ كثيرة بازاء المعاني المتفرعة على ما يقتضيه رعاية التناسب ، فالاشتقاق هو هذا التفريع والاخذ

فتحديده بحسب العلم بهذا التفريع الصادر عن الوضع وهو ان تجد بين اللفظين تناسبا في المعنى والتركيب فتعرف رد احدهما الى الآخر واخذه منه •

وان اعتبرناه من حيث احتياج احد الى عمله عرفناه باعتبار العمل فتقول هو ان تأخذه من اصل فرعا يوافقه في الحروف والاصول وتجعله دالاً على معنى يوافق معناه انتهى .

والحق ان اعتبار العمل زائد غير محتاج اليه وانما المطلوب العلم باشتقاق الموضوعات ، اذ الوضع قد حصل وانقضى على ان المشتقات مرويات عن اهل اللسان ولعل ذلك الاعتبار لتوجيه التعريف المنقول عن بعض المحققين •

ثم ان المعتبر فيهما الموافقة في الحروف الاصلية ولو تقديرا اذ الحروف الزائدة في الاستفعال والافتعال لا تمنع وفي المعنى ايضا اما بزيادة او نقصان ، فلو اتحدا في الاصول وترتيبها كضرب من الضرب فالاشتقاق صغيرا او توافقا في الحروف دون التركيب ، كجبذ من الجذب ، فهو كبيراً ولو توافقا في اكثر الحروف مع التناسب في الباقي كنعق من النهق فهو أكبر .

وقال الامام الرازي الاشتقاق اصغر واكبر فالأصغر كاشتقاق صيغ الماضي والمضارع واسم الفاعل والمفعول وغير ذلك من المصدر والأكبر هو تقلب اللفظ المركب من الحروف الى انقلاباته المحتملة .

مثلا اللفظ المركب من ثلاثة احرف يقبل ستة انقلابات لانه يمكن جعل كل واحد من الحروف الثلثة اولى هذا اللفظ ، وعلى كل من هذه الاحتمالات الثلثة يمكن وقوع الحرفين الباقيين على وجهين •

مثلا اللفظ المركب من ك ل م يقبل ستة انقلابات كلم كمل ملك لكم لمك مكل .

واللفظ المركب من اربعة احرف يقبل اربعة وعشرين انقلابا وذلك لانه يمكن جعل كل واحد من الاربعة ابتداء تلك الكلمة •

وعلى كل من هذه التقديرات الاربعة يمكن وقوع الاحرف الثلثة الباقية على ستة اوجه كما مر ، والحاصل من ضرب الستة في الاربعة اربعة وعشرون وعلى هذا القياس المركب من الحروف الخمسة ٠

والمراد من الاشتقاق الواقع في قولهم هذا اللفظ مشتق من ذلك اللفظ هو الاشتقاق الاصغر غالبا والتفصيل في مباحث الاشتقاق من الكتب القديمة في الاصول ، وقد افرده بالتدوين شيخنا العلامة الامام القاضي محمد بن علي الشوكاني رحمه الله وسماه (نزهة الاحداق) ولي كتاب في ذلك سميته (العلم الخفاق من علم الاشتقاق) وهو كتاب نفيس جدا لم يسبق اليه .

علم الاصطرلاب

هو علم يبحث فيه عن كيفية استعمال آلة معهودة يتوصل بها الى معرفة كثير من الامور النجومية على اسهل طريق واقرب مأخذ مبين في كتبها كارتفاع الشمس ومعرفة الطالع وسمت القبلة وعرض البلاد وغير ذلك او عن كيفية وضع الآلة على ما بين في كتبه وهو من فروع علم الهيئة كما مر .

واصطرلاب كلمة يونانية اصلها بالسين ، وقد يستعمل على الاصل ، وقد تبدل صاد لانها في جوار الطاء وهو لاكثر معناها ميزان الشمس ، وقيل مرآة النجم ومقياسه ٠

ويقال له باليونانية ايضا اصطرلاقون ٠

واصطر هو النجم .

ولاقون هو المرآة ، ومن ذلك سمي علم النجوم واصطر يوميا ٠

وقيل ان الاوائل كانوا يتخذون كرة على مثل الفلك ويرسمون عليها الدوائر ويقسمون بها النهار والليل فيصححون بها الطالع الى زمن ادريس عليه السلام وكان لادريس ابن يسمى لاب وله معرفة في الهيئة فبسط الكرة ، واتخذ هذه الآلة فوصلت الى ابيه فتأمل وقال من سطره فقيل سطرلاب فوقع عليه هذا الاسم

وقيل اسطر جمع سطر ولاب اسم رجل .

وقيل فارسي معرب من استاره ياب اي مدرك احوال الكواكب قال بعضهم هذا الظهر .

واقرب الى الصواب لانه ليس بينهما فرق الا بتغيير الحروف وفي مفاتيح العلوم الوجه هو الاول .

وقيل اول من صنعه بطليموس واول من علمه في الاسلام ابراهيم بن حبيب الفزاري .

ومن الكتب المصنفة فيه (تحفة الناظر وبهجة الافكار وضياء الاعين) .

علم اصول الحديث

ويقال له علم رواية الحديث والاول اشهر لكن ذكره صاحب الكشف في الدال نظرا الى المعنى فتأمل .

وهو علم يبحث فيه عن سنة النبي ﷺ اسنادا ومتناً ولفظاً ومعنى من حيث القبول والرد وما يتبع ذلك من كيفية تحمل الحديث وروايته وكيفية ضبطه وكتابته وآداب رواته وطالبيه .

وقيل في رسمه ما هو اخصر وهو انه علم تعرف به احوال الراوي والمروي من جهة القبول والرد .

وموضوعه الراوي والمروي من هذه الجهة .

وغايته ما يقبل ويرد من ذلك .

والحافظ ابن حجر يرى ترادف الخبر والاثر كما دل له تسمية كتابه نخبة الفكر في مصطلح اهل الاثر وهذا العلم كثير النفع لا غنى عنه لمن يدخل في علم الحديث والكتب فيه كثيرة جدا ما بين مختصر ومطول .

منها كتاب اسبال المطر على قصب السكر .

وكتاب توضيح الافكار شرح تنقيح الانظار كلاهما للسيد الامام المجتهد العلامة محمد بن اسمعيل الامير اليمني رحمه الله .

والباعث الحثيث للحافظ ابن كثير .

وتدريب الراوي للسيوطي .

ومنهج الوصول الى اصطلاح احاديث الرسول المؤلف الكتاب وهو بالفارسية وقد ذكرت فيه ما أُلِّفَ في هذا العلم مرتبا على حروف المعجم والله اعلم .

علم اصول الدين

المسمى بالكلام يأتي في الكاف .

وقال الارنيقي هو علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها .

وموضوعه عند الاقدمين ذات الله تعالى وصفاته لان المقصود الاصلي من علم الكلام معرفته تعالى وصفاته ، ولما احتاجت مباديه الى معرفة احوال المحدثات ادرج المتأخرون تلك المباحث في علم الكلام لئلا يحتاج اعلى العلوم الشرعية الى العلوم الحكمية فجعلوا موضوعه الموجود من حيث هو موجود ، وميزوه عن الحكمة بكون البحث فيه على قانون الاسلام وفي الحكمة على مقتضى العقول .

ولما رأى المتأخرون احتياجه الى معرفة احوال الادلة واحكام الاقيسة وتحاشوا عن ان يحتاج اعلى العلوم الشرعية الى علم المنطق جعلوا موضوعه المعلوم من حيث يتعلق به اثبات العقائد الدينية تعلقا قريبا او بعيدا .

ثم ان علم الكلام شرطوا فيه ان تؤخذ العقيدة اولا من الكتاب والسنة ، ثم تثبت بالبراهين العقلية انتهى .

ثم ذكر الانكار على علم الكلام نقلا عن الأئمة الاربعة وفصّل اقوالهم في

ذلك واطال في بيانها وبيان حدوث الاعتزال وردّ ابي الحسن الاشعري عليه قال وعند ذلك ظهرت العقائد الواردة في الكتاب والسنة وتحولت قواعد علم الكلام من ايدي المعتزلة الى ايدي اهل السنة والجماعة انتهى .

ثم ذكر حال ابي منصور الماتريدي وكتبه في العقائد .

قلت والكتب في هذا العلم كثيرة جدا واحسنها كتب المحدثين في اثبات العقائد على الوجه المأثور عن الكتاب والسنة .

وفي الرد على المتكلمين منها كتب شيخ الاسم ابن تيمية رحمه الله وكتب تلميذه الحافظ ابن القيم وكتاب الروض الباسم في الذب عن سنة ابي القاسم للسيد الامام محمد بن ابراهيم الوزير اليمني .

وكتاب السفاريني وهو مجلد كبير ، وقد منَّ الله تعالى بتلك الكتب النافعة عليّ مناً كافياً وافياً وكتبت قبل ذلك رسالة سميتها (قصد السبيل الى ذم الكلام والتأويل) وهي نفيسة جدا وليس هذا الموضوع بسط القول في ذم الكلام ومدح العقائد اهل الحديث الكرام .

قال في كشاف اصطلاحات الفنون اما وجه تسميته بالكلام فانه يورث قدرة على الكلام في الشرعيات او لان ابوابه عنونت أولا بالكلام في كذا ولان مسئلة الكلام اشهر اجزائه حتى كثر فيه التقاتل قال :

وسماه ابو حنيفة رحمه الله بالفقه الاكبر .

وفي مجمع السلوك ويسمى بعلم النظر والاستدلال ايضا .

ويسمى ايضا بعلم التوحيد والصفات .

وفي شرح العقائد للتفتازاني العلم المتعلق بالاحكام الفرعية اي العلمية يسمى علم الشرائع والاحكام وبالاحكام الاصلية اي الاعتقادية يسمى علم التوحيد والصفات انتهى .

ثم ذكر تعريف هذا العلم على ما تقدم وابدى فوائد قيود حده المذكور انفاً .

قال وموضوعه هو العلوم .

وقال الارموي ذات الله تعالى .

وقال طائفة منهم الغزالي موضوعه الموجود بما هو موجود اي من حيث هو غير مقيد بشيء .

وفائدته وغايته الترقي من حضيض التقليد الى ذروة الايقان وارشاد المسترشدين بايضاح الحجة لهم وإلزام المعاندين باقامة الحجة عليهم وحفظ قواعد الدين عن ان تزلزلها شبهة المبطلين وان تبنى عليه العلوم الشرعية فانه اساسها واليه يؤول اخذها واساسها فانه ما لم يثبت وجود صانع عالم قادر مكلف مرسل للرسل منزل للكتب لم يتصور علم تفسير ولا علم فقه واصوله فكلها متوقفة على علم الكلام مقتبسة منه ، فالاخذ فيها بدونه كبان على غير اساس .

وغاية هذه الامور كلها الفوز بسعادة الدارين ، ومن هذا تبين مرتبة الكلام اي شرفه فان شرف الغاية يستلزم شرف العلم وأيضاً دلائله يقينية يحكم بها صريح العقل وقد تأيدت بالنقل وهي اي شهادة العقل مع تأيدها بالنقل هي الغاية في الوثاق اذ لا تبقي حينئذ شبهة في صحة الدليل .

واما مسائله التي هي المقاصد فهي كل حكم نظري لمعلوم والكلام هو العلم الاعلى اذ تنتهي اليه العلوم الشرعية كلها ، وفيه تثبت موضوعاتها وحيثياتها فليست له مباد تبين في علم آخر شرعيا او غيره ، بل مباديه اما مبينة بنفسها او مبينة فيه فهي مسائل له من هذه الحيثية ومباد لمسائل اخر منه لا تتوقف عليها لئلا يلزم الدور ، فلو وجدت في الكتب الكلامية مسائل لا يتوقف عليها اثبات العقائد في

الكتاب ، فمن الكلام يستمد غيره من العلوم الشرعية وهو لا يستمد من غيره اصلا فهو رئيس العلوم الشرعية على الاطلاق بالجملة ، فعلماء الاسلام وقد دوّنوا الاثبات العقائد الدينية المتعلقة بالصانع وصفاته وافعاله وما يتفرع عليها من مباحث النبوة والمعاد علما يتوصل به الى اعلاء كلمة الحق فيها ، ولم يرضوا ان يكونوا محتاجين فيه الى علم آخر اصلا .

فاخذوا موضوعه على وجه يتناول تلك العقائد والمباحث النظرية التي تتوقف عليها تلك العقائد سواء كان توقفها عليها باعتبار مواد ادلتها ، وباعتبار صورها .

وجعلوا جميع ذلك مقاصد مطلوبة في علمهم هذا فجاء علما مستغنيا في نفسه عما عداه ليس له مباد تبين في علم آخر هذا خلاصة ما في شرح المواقف انتهى .

وانظر في هذا الباب كتاب العواصم والقواصم للسيد محمد بن ابراهيم الوزير اليمني رحمه الله يتضح لك الخطأ والصواب .

علم اصول الفقه

هو علم يتعرف منه استنباط الاحكام الشرعية الفرعية عن ادلتها الاجمالية اليقينية .

وموضوعه الادلة الشرعية الكلية من حيث انها كيف تستنبط منها الاحكام الشرعية .

ومباديه مأخوذة من العربية وبعض من العلوم الشرعية كأصول الكلام والتفسير والحديث وبعض من العقلية .

والغرض منه تحصيل ملكة استنباط الاحكام الشرعية الفرعية من ادلتها الاربعة اعني الكتاب والسنة والاجماع والقياس .

وفائدته استنباط تلك الاحكام على وجه الصحة ·

واعلم ان الحوادث وان كانت متناهية في نفسها بانقضاء دار التكليف الا انها لكثرتها وعدم انقطاعها ما دامت الدنيا غير داخلة تحت حصر الحاضرين فلا تعلم احكامها جزئيا ، ولما كان عمل من اعمال الانسان حكما من قبل الشارع منوطاً بدليل يخصه جعلوها قضايا ، موضوعاتها افعال المكلفين ، ومحمولاتها احكام الشارع من الوجوب واخواته ، فسموا العلم المتعلق بها الحاصل من تلك الادلة فقهاً .

ثم نظروا في تفاصيل الادلة والاحكام وعمومها فوجدوا الادلة راجعة الى الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، ووجدوا الاحكام راجعة الى الوجوب والندب والحرمة والكراهة والاباحة ، وتأملوا كيفية الاستدلال بتلك الادلة على تلك الاحكام اجمالا من غير نظر الى تفصيلها الا على طريق التمثيل فحصل لهم قضايا كلية متعلقة بكيفية الاستدلال بتلك الادلة على الاحكام الجزئية وبيان طرقه وشرائط ليتوصل بكل من تلك القضايا الى استنباط كثير من تلك الاحكام الجزئية عن ادلتها التفصيلية فضبطوها ودونوها واضافوا اليها من اللواحق وسموا العلم المتعلق بها اصول الفقه .

قال الإمام علاء الدين الحنفي في (ميزان الاصول) اعلم ان اصول الفقه فرع لعلم اصول الدين ، فكان من الضرورة ان يقع التصنيف فيه على اعتقاد مصنف الكتاب ، واكثر التصانيف في اصول الفقه لاهل الاعتزال المخالفين لنا في الاصول ولاهل الحديث المخالفين لنا في الفروع ولا اعتماد على تصانيفهم ·

وتصانيف اصحابنا قسمان :

قسم وقع في غاية الاحكام والاتقان لصدوره ممن جمع الاصول والفروع مثل (مآخذ الشروع) و (كتاب الجدل) للماتريدي ونحوهما .

وقسم وقع في نهاية التحقيق في المعاني وحسن الترتيب لصدوره ممن تصدى

لاستخراج الفروع من ظواهر المسموع غير انهم لما لم يتمهروا في دقائق الاصول وقضايا المعقول افضى رأيهم الى رأي المخالفين في بعض الفصول ، ثم هجر القسم الاول اما لتوحش الالفاظ والمعاني واما لقصور الهمم والتواني واشتهر القسم الآخر انتهى

وهذا الذي نسبه إلى أهل الحديث وعدم الاعتماد على تصانيفهم نفس تعصبية صدرت من بطن التقليد واذا لم يعتمد تصنيف اهل الحديث الذين هم القدوة والاسوة في الدين والعرفاء بالنصوص من الكتاب والسنة اكثر من اهل الفقه ، والمقلدة بمراتب كثيرة ومناحي غفيرة فأي جماعة تليق بالاعتماد والتعويل فما هذا الحرف من هذا الحنفي المتعصب الازلة شديدة لا يتأتى مثلها الا عمن ليس من العلم والانصاف في صدر ولا ورد فهذا القول ليس عليه إثارة من علم .

قال في كشاف اصطلاحات الفنون علم اصول الفقه ويسمى بعلم الدراية ايضا على ما في (مجمع السلوك) وله تعريفان :

احدهما باعتبار الاضافة .

وثانيهما باعتبار اللقب اي باعتبار انه لقب لعلم مخصوص ، ثم ذكر هذين التعريفين وبسط القول في فوائدهما .

ونقل عن ارشاد القاصد للشيخ شمس الدين الاكفاني السخاوي .

أن اصول الفقه علم يتعرف منه تقرير مطلب الاحكام الشرعية العملية وطرق استنباطها ومواد حججها واستخراجها بالنظر .

وموضوعه الأدلة الشرعية والاحكام اذ يبحث فيه عن العوارض الذاتية للاحكام الشرعية وهي إثباتها للحكم وعن العوارض الذاتية للأحكام وهي ثبوتها بتلك الادلة قال وان شئت زيادة التحقيق فارجع الى التوضيح والتلويح انتهى كلام الكشاف ملخصا .

ثم اعلم ان اول من صنف في اصول الفقه الامام الشافعي ذكره الاسنوي في التمهيد ، وحكى الاجماع فيه وهو شيخ المحدثين والفقهاء .

والكتب المصنفة فيه كثيرة معروفة واحسنها ترتيبا واكملها تحقيقا وتهذيبا

وابلغها قبولا واعدلها انصافا كتاب (ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول) لقاضي القضاة شيخنا محمد بن على الشوكاني اليمني المتوفى في سنة خمس وخمسين ومائتين والف وقد لخصنا كتابه هذا وسميناه (بحصول المأمول من علم الاصول) وهو نفيس جدا فان كنت ممن يبغي تحقيق الحق على جانب من التقليد والعصبية لآراء الرجال ويعرف هذا العلم على ما فيه من القيل والقال فارجع اليهما تجدهما ديباجة الدنيا ومكرمة الدهر ونكتة عطارد التي يفتخر بها الفخر .

مذاهب شتى للمحبين في الهوى ولي مذهب وحد اعيش به وحدي

وكم من رأي في الدين للشريعة محرّف ولهم عن جماعة السنة المطهرة محرّف فاعبد ربك حتى يأتيك اليقين .

وقال في مدينة العلوم ومن الكتب القديمة المصنفة في هذا العلم كتاب الجصّاص احمد بن علي ابي بكر الرازي ، وكتاب الاسرار وكتاب (تقويم الادلة) للامام زيد الدَّبوسي قرية بين بخارا وسمرقند المتوفى سنة ٤٠٢ .

ومنها اصول فخر الاسلام البزدوي ، ولكتابه شروح كثيرة اشهرها الكشف لعبد العزيز بن احمد البخاري .

ومنها اصول شمس الأئمة السرخسي .

واحكام الاحكام للآمدي .

ومنتهى السول والامل في علمي الاصول والجدل ، ومختصر هذا كلاهما لابن الحاجب وشروحه تزيد على عشرة .

وكتاب القواعد ، والبديع ، لابن الساعاتي البعلبكي .

ومنها المنار للنسفي ولَهُ شروح ومنها المغني للخبازي ، وشرحه لسراج الدين الهندي قاضي الحنفية بالقاهرة .

وكتاب المنتخب للاخسيكي ، والتحصيل للابيوردي ، والمحصول للفخر الرازي ، والتنقيح وشرحه التوضيح لصدر الشريعة والتلويح على شرح التنقيح

للسعد التفتازاني ، وفصول البدائع في الاصول الشرائع لشمس الدين الفتازاي ، ومنهاج الوصول الى علم الاصول للقاضي البيضاوي على مذهب الشافعي وله شروح .

ومنها مرقاة الوصول الى علم الاصول وغير ذلك انتهى حاصل كلامه .

قلت ومنها جمع الجوامع لتاج الدين السبكي وله شروح قد طبع بمصر القاهرة في هذا الزمان واحسن كتب هذا العلم كتاب شيخنا الشوكاني الذي تقدم ذكره فاشدد يديك عليه تهتدي الى جادة الحق .

فصل : قال قاضي القضاة مؤيد الدين عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله تعالى في كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ما نصه :

اعلم ان اصول الفقه من اعظم العلوم الشرعية من حيث تؤخذ منها الاحكام والتكاليف واصول الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة المبينة له فعلى عمل النبي ﷺ كانت الاحكام تتلقى منه ما يوحى اليه من القرآن ويبينه بقوله وفعله بخطاب شفاهي لا يحتاج الى نقل ولا الى نظر وقياس ومن بعده ﷺ تعذر الخطاب الشفاهي وانحفظ القرآن بالتواتر واما السنة فأجمع الصحابة رضوان الله عليهم على وجوب العمل بما يصل الينا منها قولا وفعلا بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقة وتعينت دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ، ثم ينزل الاجماع منزلتها الاجماع الصحابة على النكير على مخالفيهم ، ولا يكون ذلك الا عن مستند لان مثلهم لا ينفقون من غير دليل ثابت مع الشهادة الادلة بعصمة الجماعة فصار الاجماع دليلا ثابتاً في الشرعيات .

ثم نظرنا في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فاذا هم يقيسون الاشباه بالاشباه منهما ويناظرون الامثال بالامثال باجماع منهم وتسليم بعضهم لبعض يفي ذلك فان كثيراً من الواقعات بعده لم

تندرج في النصوص الثابتة فقاسوها بما يثبت وألحقوها بمـا نص عليه بشروط في ذلك الإلحاق تصح تلك المساواة بين الشبيهين او المثلين حتى يغلب على الظن ان حكم الله تعالى فيهما واحد وصار ذلك دليلا شرعيا باجماعهم عليه وهو القياس وهو رابع الادلة واتفق جمهور العلماء ، على ان هذه هي اصول الادلة وان خالف بعضهم في الاجماع والقياس الا انه شذوذ وألحق بعضهم بهذه الأربعة أدلة اخرى لا حاجة بنا إلى ذكرها لضعف مداركها وشذوذ القول فيها كانت فكان اول مباحث هذا الفن بما يصح منها كما قلناه معتضدا بما كان عليه العمل في حياته ﷺ من انفاذ الكتب والرسل الى النواحي بالاحكام والشرائع آمراً وناهياً .

واما الاجماع فلاتفاقهم على انكار مخالفته مع العصمة الثابتة للامة .

واما القياس فباجماع الصحابة رضي الله عليه عنهم كما قدمنا هذه اصول الادلة .

ثم ان المنقول من السنة محتاج الى تصحيح الخبر بالنظـر في طرق النقـل وعدالة الناقلين لتتميز الحالة المحصلة للظن بصدقه الذي هو مناط وجوب العمل وهذه ايضا من قواعد الفن ، ويلحق بذلك عند التعارض بين الخبرين وطلب المتقدم منهما معرفة الناسخ والمنسوخ وهي من فصوله ايضا وابوابه ، ثم بعد ذلك يتعين النظر في دلالة الالفاظ وذلك ان استفادة المعاني على الاطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة والقوانين اللسانية في ذلك هي علوم النحو والتصريف والبيان ، وحين كان الكلام ملكة لأهله لم تكن هذه علوما ولا قوانين ولم يكن الفقه حينئذ يحتاج اليها لانه جبلة وملكة فلما فسدت الملكة في لسـان العرب قيدها الجهابذة المتجردون لذلك بنقل صحيح ومقايس مستنبطة صحيحة وصارت علوما يحتاج اليها الفقيه في معرفة احكام الله تعالى .

ثم ان هناك استفادات اخرى خاصة من تراكيب الـكلام وهـي استفـادة الاحكام الشرعية بين المعاني من ادلتها الخاصة من تراكيب الكلام وهو الفقه ،

ولا يكفي فيه معرفة الدلالات الوضعية على الاطلاق بل لا بد من معرفة امور اخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة وبها تستفاد الاحكام بحسب ما اصل اهل الشرع وجهابذة العلم من ذلك ، وجعلوه قوانين لهذه الاستفادة مثل ان اللغة لا تثبت قياسا والمشترك لا يراد به معنياه معا والواو لا تقتضي الترتيب والعام اذا أخرجت افراد الخاص منه هل يبقى حجة في ما عداها ؟ والامر للوجوب او الندب وللفور او التراخي والنهي يقتضي الفساد او الصحة ، والمطلق هل يحمل على المقيد ، والنص على العلة كاف في التعدد أم لا وامثال هذه فكانت كلها من قواعد هذا الفن ولكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية .

ثم ان النظر في القياس من اعظم قواعد هذا الفن لان فيه تحقيق الاصل والفرع فيما يقاس من اعظم قواعد هذا الفن لان فيه تحقيق الاصل والفرع فيما يقاس ويماثل من الاحكام وينفتح الوصف الذي يغلب الظن ان الحكم علق به في الاصل من تبين أوصاف ذلك المحل أو وجود ذلك الوصف والفرع من غير معارض يمنع من ترتيب الحكم عليه في مسائل اخرى من توابعة ذلك كلها قواعد لهذا الفن .

واعلم ان هذا الفن من الفنون المستحدثة في الملة وكان السلف في غنية عنه بما ان استفادة المعاني من الألفاظ الى ازيد مما عندهم من الملكة اللسانية .

واما القوانين التي يحتاج اليها في استفادة الاحكام خصوصا فمنهم أُخِذَ معظمها واما الاسانيد فلم يكونوا يحتاجون الى النظر فيها لقرب العصر وممارسة النقلة وخبرتهم فلما انقرض السلف وذهب الصدر الاول وانقلبت العلوم كلها صناعة احتاج الفقهاء والمجتهدون الى تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الاحكام من الادلة فكتبوها فنا قائما برأسه (اصول الفقه) .

وكان اول من كتب فيه الشافعي أملى فيه رسالته المشهورة تكلم فيها في الاوامر والنواهي والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس .

ثم كتب فقهاء الحنفية فيه وحققوا تلك القواعد وأوسعوا القول فيها .

وكتب المتكلمون ايضا كذلك الا ان كتابة الفقهاء فيها امس بالفقه وأليق بالفروع لكثرة الامثلة منها والشواهد وبناء المسائل فيها على النكت الفقهية .

والمتكلمون يجردون صور تلك المسائل عن الفقه ويميلون الى الاستدلال العقلي ما امكن لأنه غالب فنونهم ومقتضى طريقتهم فكان لفقهاء الحنفية فيها اليد الطولى من الغوص على النكت الفقهية ، والتقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما امكن .

وجاء ابو زيد الدبوسي من أئمتهم فكتب في القياس بأوسع من جميعهم وتمم الابحاث والشروط التي يحتاج اليها فيه وكملت صناعة اصول الفقه بكماله وتهذبت مسائله وتمهدت قواعده .

وعنى الناس بطريقة المتكلمين فيه وكان من احسن ما كتب فيه المتكلمون كتاب البرهان لامام الحرمين والمستصفي للغزالي وهما من الاشعرية .

وكتاب العهد لعبد الجبار وشرحه المعتمد لأبي الحسين البصري وهما من المعتزلة .

وكانت الاربعة قواعد هذا الفن واركانه ، ثم لخص هذه الكتب الاربعة فحلان من المتكلمين المتأخرين وهما الامام فخر الدين بن الخطيب في كتاب المحصول وسيف الدين الآمدي في كتاب الاحكام واختلفت طرائقهما في الفن بين التحقيق والحجاج ، فابن الخطيب أميل الى الاستكثار من الادلة والاحتجاج والآمدي مولع بتحقيق المذاهب وتفريع المسائل .

واما كتاب المحصول فاختصره تلميذ الامام سراج الدين الارموي في كتاب التحصيل وتاج الدين الارموي في كتاب الحاصل ، واقتطف شهاب الدين القرافي منهما مقدمات وقواعد في كتاب صغير سماه التنقيحات ، وكذلك فعل البيضاوي في كتاب المنهاج وعنى المبتدون بهذين الكتابين وشرحهما كثير من الناس .

واما كتاب الاحكام للآمدي وهو اكثر تحقيقا في المسائل فلخصه ابو عمرو ابن الحاجب في كتابه المعروف بالمختصر الكبير ، ثم اختصره في كتاب آخر تداوله طلبة العلم وعنىٰ اهل المشرق والمغرب به وبمطالعته وشرحه وحصلت زبدة طريقة المتكلمين في هذا الفن في هذه المختصرات .

واما طريقة الحنفية فكتبوا فيها كثيرا وكان من احسن كتابة فيها للمتقدمين تأليف ابي زيد الدبوسي ، واحسن كتابة للمتأخرين فيها تأليف سيف الاسلام البزدوي من ائمتهم وهي مستوعب .

وجاء ابن الساعاتي من فقهاء الحنفية فجمع بين كتاب الاحكام وكتاب البزدوي في الطريقتين وسمى كتابه (البدائع) فجاء من احسن الاوضاع وابدعها وأئمة العلماء لهذا العهد يتداولونه قراءة وبحثا وولع كثير من علماء العجم بشرحه والحال على ذلك لهذا العهد هذه حقيقة هذا الفن وتعيين موضوعاته وتعديد التأليف المشهورة لهذا العهد فيه والله ينفعنا بالعلم ويجعلنا من اهله بمنه وكرمه انه على كل شيء قدير انتهى كلامه .

ومن الكتب المصنفة في هذا العلم كتاب مغتنم الحصول في علم الاصول للشيخ حبيب الله القندهاري من رجال هذه المائة ، ومسلَّم الثبوت لمحب الله البهاري ورسالة الشيخ محمد اسمعيل الدهلوي (وحصول المأمول) لكاتب الحروف عفا الله عنه .

علم الأطعمة والمزورات

ذكره ابو الخير من فروع علم الطب وقال هو علم باحث عن كيفية تركيب الاطعمة اللذيذة والنافعة بحسب الامزجة ورأيت فيه تصنيفا انتهى ولا يخفى انه صناعة الطبخ وفيه الدبيخ في الطبيخ .

علم اعجاز القرآن

ذكره ابو الخير من جملة فروع علم التفسير وقال صنف فيه جماعة فذكر منهم

الخطابي والرماني والرازي انتهى ومنهم الباقلاني وابن سراقة وابن ابي الاصبع والزملكاني رحمهم الله .

علم اعداد الوفق

ذكره ابو الخير من فروع علم العدد ، قال في الكشف وسيأتي بيانه في علم الوفق ولم يذكر هناك .

قال في مدينة العلوم : علم اعداد الوفق والدفق جداول مربعة لها بيوت مربعة يوضع في تلك البيوت ارقام عددية او حروف بدل الارقام بشرط ان يكون اضلاع تلك الجداول واقطارها متساوية في العدد وان لا يوجد عدد مكرر في تلك البيوت ، وذكروا ان لاعتدال الاعداد خواص فائضة من روحانيات تلك الاعداد والحروف وتترتب عليها آثار عجيبة وتصرفات غريبة بشرط اختيار اوقات متناسبة وساعات شريفة .

وهذا العلم من فروع علم العدد باعتبار توقفه على الحساب ، ومن فروع علم الخواص باعتبار آثاره قال وسنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

وفي هذا العلم كتب كثيرة احسنها كتاب (شمس الآفاق في علم الحروف والآوفاق) و (بحر الوقوف في علم الاوفاق والحروف) .

قال وفي هذا العلم كتب كثيرة خارجة عن حد التعداد انتهى لكن في جواز استعمالها خلاف والحق منعه لعدم ورود النقل به عن الشارع عليه السلام .

علم الإعراب

ويقال له علم النحو يأتي في باب النون ان شاء الله تعالى .

والكتب المؤلفة في هذا العلم لا تحصى كثرة وتزيد في كل زمان .

ومن احسن مختصراته كتاب غنية الطالب ومنية الراغب للشيخ احمد فارس

افندي مدير الجوائب اشتمل على دروس وفوائد نفيسة لا توجد في غيره .

وتهذيب النحو للشيخ بهاء الدين العاملي ، وهو ابلغ واجمع من الكافية لابن الحاجب ، وكتبت عليه شرحا فارسيا في زمان الطلب سميته تذهيب التهذيب ومنتخب النحو للسيد امير حيدر البلجرامي حرّر فيه ما استعمل في اللسان الفارسي من قواعد علم النحو العربي وهو كتاب لم يسبق اليه فيما علمت والله اعلم .

علم إعراب القرآن

وهي من فروع علم التفسير على ما في مفتاح السعادة ، لكنه في الحقيقة هو من علم النحو وعدُّه علما مستقلا ليس كما ينبغي ، وكذا سائر ما ذكره السيوطي في الاتقان من الانواع فانه عد علوما ثم ذكر ما يجب على المعرب مراعاته من الامور التي ينبغي ان تجعل مقدمة لكتاب اعراب القرآن ، ولكنه اراد تكثير العلوم والفوائد .

وهذا النوع افرده بالتصنيف جماعة منهم .

الشيخ الامام مكي بن ابي طالب حموش بن محمد القيسي النحوي المتوفي سنة سبع وثلثين واربعمائة ، اوله اما بعد حمد الله جل ذكره وكتابه في المشكل خاصة .

وابو الحسن علي بن ابراهيم الحوفي النحوي المتوفى سنة اثنتين وستين وخمسمائة وكتابه اوضحها وهو في عشر مجلدات .

وابو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري النحوي المتوفى سنة ست عشرة وستمائة وكتابه اشهرها وسماه البيان اوله الحمد لله الذي وفقنا لحفظ كتابه وابو اسحق ابراهيم بن محمد السفاقسي المتوفى سنة اثنتين واربعين وسبعمائة وكتابه احسن منه وهو في مجلدات سماه المجيد في اعراب القرآن المجيد ، اوله الحمد لله

الذي شرفنا بحفظ كتابه الخ ذكر فيه البحر بشيخه ابي حيان ومدحه ثم قال : لكنه سلك سبيل المفسرين في الجمع بين التفسير والاعراب ، فتفرق فيه المقصود فاستخار في تلخيصه وجمع ما بقي في كتاب ابي البقاء من اعرابه لكونه كتابا قد عكف الناس عليه ، فضمه اليه بعلامة الميم ، وأورد ما كان له بقلت ، ولما كان كتابا كبير الحجم في مجلدات لخص الشيخ محمد بن سليمان الصرخدي الشافعي المتوفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة واعترض عليه في مواضع .

واما كتاب الشيخ شهاب الدين احمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي المتوفى سنة ست وخمسين وسبعمائة ، فهو مع اشتماله على غيره اجل ما صنف فيه لانه جمع العلوم الخمسة: الاعراب والتصريف واللغة والمعاني والبيان ولذلك قال السيوطي في الاتقان : هو مشتمل على حشو وتطويل لخصه السفاقسي فجوده انتهى .

وهو وهم منه لان السفاقسي ما لخص اعرابه منه بل من البحر كما عرفت والسمين لخصه ايضا من البحر في حياة شيخه ابي حيان وناقشه فيه كثيرا وسماه (الدر المصون في علم الكتاب المكنون) اوله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وفرغ عنه في واسط رجب سنة اربع وثلثين وسبعمائة .

فائدة اوردها تقي الدين في طبقاته وهي : ان المولى الفاضل علي بن امر الله المعروف بابن الحنا القاضي بالشام ، حضر مرة درس الشيخ العلامة بدر الدين الغزي لما ختم في الجامع الاموي من التفسير الذي صنفه وجرى فيه بينهما ابحاث منها اعتراضات السمين على شيخه .

فقال الشيخ : ان اكثرها غير وارد .

وقال المولى علي الذي في اعتقادي ان اكثرها وارد ، وأصر على ذلك ثم ان المولى المذكور كشف عن ترجمة السمين فرأى ان الحافظ ابن حجر وافقه فيه حيث قال في الدرر صنف في حياة شيخه وناقشه مناقشات كثيرة غالبها جيدة فكتب الى

الشيخ ابياتا يسأله ان يكتب ما عثر الشهاب عليه من ابحاث فاستخرج عشرة منها ورجح فيها كلام ابي حيان وزيف اعتراضات السمين عليها وسماه (بالدر الثمين في المناقشة بين ابي حيان والسمين) وارسلها الى القاضي ، فلما وقف انتصر للسمين ورجح كلامه على كلام ابي حيان ، واجاب عن اعتراضات الشيخ بدر الدين ورد كلامه في رسالة كبيرة وقف عليها علماء الشام ورجحوا كتابته على كتابة البدر وأقروا له بالفضل والتقدم .

وممن صنف في اعراب القرآن من القدماء الامام ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني المتوفى سنة ثمان واربعين ومائتين .

وأبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان المالكي القرطبي المتوفى سنة تسع وثلاثين ومائتين .

وابو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي المتوفى سنة ست وثمانين ومائتين .

وابو العباس احمد بن يحيى الشهير بثعلب النحوي المتوفى سنة احدى وتسعين ومائتين .

وابو جعفر محمد بن احمد بن النحاس النحوي المتوفى سنة ثمان وثلثين وثلثمائة .

وابو طاهر اسمعيل بن خلف الصقلي النحوي المتوفى سنة خمس وخمسين واربعمائة وكتابه في تسع مجلدات .

والشيخ ابو زكريا يحيى بن علي بن محمد الخطيب التبريزي المتوفى سنة اثنتين وخمسمائة في اربع مجلدات .

والشيخ ابو البركات عبد الرحمن بن ابي سعيد محمد الانباري النحوي المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وسماه البيان اوله الحمد لله منزل الذكر الحكيم .

والامام الحافظ قوام السنة ابو القاسم اسمعيل بن محمد الطلحي الاصفهاني المتوفى سنة خمس وثلثين وخمسمائة .

ومنتخب الدين حسين بن ابي العز بن الرشيد الهمداني المتوفى سنة ثلث واربعين وستمائة وكتابه تصنيف متوسط لا بأس به اوله الحمد لله الذي بنعمته حمد وبهدايته عُبد وبخذلانه جحد وسماه بكتاب (الفريد في اعراب القرآن المجيد) .

وابو عبد الله حسين بن احمد المعروف بابن خالويه النحوي المتوفى سنة سبعين وثلثمائة وكتابه في اعراب ثلثين سورة من الطارق الى آخر القرآن والفاتحة بشرح اصول كل حرف وتلخيص فروعه .

والشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي الشافعي المتوفى سنة تسع وعشرين وستمائة وكتابه في اعراب الفاتحة .

والشيخ إسحاق بن محمود بن حمزة تلميذ ابن الملك جمع اعراب الجزء الاخير من القرآن وسماه التنبيه وأوله اول البيان المذكور آنفاً والمولى احمد بن محمد الشهير بنشانجي زاده المتوفى سنة ست وثمانين وتسعمائة كتب الى الاعراف ومن الكتب المصنفة في اعراف القرآن تحفة الأقران فيما قرىء بالتثليث من القرآن الى غير ذلك مما يعرفه اهل هذا الشأن .

علم آفات الجاه

وسبب حب الجاه هو : أن الروح الانساني لكونه امراً ربانياً من عالم الملكوت يحب العلم والقدرة والحرية بالطبع ، فيتسلط بعلم على عجائب مصنوعات الله تعالى ، ويتسلط بقدرته على اموال الناس واعراضهم ، ويحب الاستغناء بحريته عن سائر الخلق ، وكل ذلك توهم باطل ، لان العلم الحقيقي لله تعالى ولا علم للعبد الا بفيض منه تعالى لأن القدرة التامة لله تعالى ، وانما للعبد الكسب فقط ، وان محل الحرية انما هي الآخرة ، فيكون مبنى حب الجاه على الجهالة ، ومن هو من اهل المعرفة لا يتورط في ذلك .

وايضا لو اطاعك جميع من على بسيط الارض لم يبق ذلك بعد خمسين سنة او ستين سنة فلا ينبغي للعاقل ان يضيع دينه لاجل لذة وهمية زائلة عن قريب وعيشٍ فان .

علم آفات الدنيا

وهي عبارة عن الامور التي قبل الموت كما ان الآخرة عبارة عن الامور التي بعد الموت والدنيا ثلٰثة اقسام :

احدها ما له لذة عاجلة فقط كالمعاصي والمباحات .

وثانيها ما له لذة عاجلة وأجله كالعلم والطاعات لمن يلتذ بها .

وثالثها ما هو متوسط بينهما وهو كل لذيذ يستعان به على امور الآخرة كالقوت من الطعام وما يستر العورة ويقي من الحر والبرد من اللباس ونحو ذلك ، وليس للعبد بعد الموت الا صفاء القلب وطهارته وذلك بالكف عن الشهوات والانس بالله وذلك لكثرة ذكر الله تعالى والمحبة لله ، ذلك لا يحصل الا بالمعرفة ، وهي تتولد من الفكر ، فكل ما يشغلك عن الفكر من امور الدنيا يجب ان يُحْتَرَز عنه ، وكل ما يعينك على ذلك فهو من امور الآخرة وان كان من الدنيا ظاهراً .

علم آفات الرياء

وهي على اربعة مراتب :

الأولى وهي اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا فهو الممقوت عند الله عز وجل .

والثانية ان يقصد الثواب قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لا يفعل فهذا قريب مما قبله .

والثالثة ان يكون قصد الثواب والرياء متساوين بحيث لو خلا كل منهما

عن الآخر لَم يبعثه على العمل فيرجى ان يسلم رأسا برأس .

والرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العباد ، فالذي يظن والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكن ينقص منه او يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب ، والمخلص من جميع ذلك ان يلاحظ جناب الحق وكون الخلق عاجزين ومقهورين تحت قدرته وليس للعاقل ان يدع رضى الغالب القاهر لرضى المغلوب المقهور .

علم آفات العجب

وهو ان يرى في نفسه فضيلة تحصل بها للنفس هزة وفرح ولا يشترط فيه روية الغير بل لو لم يوجد احد غيره يمكن ان يحصل له العجب ، بخلاف الكبر فانه روية النفس انها افضل من غيرها .

وآفاته كثيرة لانه قد يؤدي الى الكبر وستأتي آفاته .

ومن آفاته انه ينسى ذنوبه ويظن انه استغنى عن تفقدها ويستصغرها ولا يتداركها ، وربما يظن انها تغفر له .

ومنها انه يستعظم عباداته ويمتن بها على الله سبحانه وتعالى ، ويغتر بنفسه وربه ، ويأمن مكر الله ، ويظن انه عند الله بمكان ، ويخرجه العجب الى ان يحمد نفسه ويثني عليها ويزكيها برأيه وان كان خطأ ويستنكف عن سؤال من هو اعلم منه .

وعلاجه المعرفة بان جميع ما له من الكمال انما هو نعمة من الله وفضل من غير سابقة تدبير وتصرف من نفسه ، فاذا عرف ذلك حق المعرفة وعرفه انه ليس له من نفسه كما ينقطع عرق العجب الذي ينشأ هو من الجهل .

علم آفات الغرور

وهو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان .

والمغرورون اصناف .

منهم العلماء الذين احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها وأهملوا محافظة الجوارح عن المعاصي وإلزامها الاعمال الصالحة ، وهم مغرورون لان العلم اذا لم يقارنه العمل لا يكون له مكان عند الله تعالى وعند الخواص من عباده .

ومنهم الذين احكموا العلم والعمل واهملوا تزكية نفوسهم عن الاخلاق الذميمة وهم مغرورون ايضا اذ لا ينجو في الآخرة الا من اتى الله بقلب سليم .

ومنهم الذين اعترفوا بان النجاة في الآخرة انما هي بتزكية النفس عن الاخلاق الذميمة الا انهم يزعمون انهم منفكون عنها وهؤلاء مغرورون ايضا لان هذا من العجب والعجب من اشد الصفات المهلكات .

ومنهم الذين اتصفوا بالعلم وتزكية الاخلاق لكن بقي منها خبايا في زوايا القلب ولم يشعروا بها ، وهؤلاء ايضا مغرورون بظواهر احوالهم وغفلوا عن تحصيل القلب السليم .

ومنهم الذين اقتصروا على علم الفتاوى واجراء الاحكام ، وهم مغرورون لانهم اقتصروا على فرض الكفاية وأخلوا بفرض العين وهو اصلاح انفسهم وتزكية اخلاقهم وتصفية قلوبهم من الحقد والحسد وامثال ذلك .

ومنهم الوعاظ ، وأعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والاخلاص ونحو ذلك ، واكثرهم مغرورون لانهم يتكلمون فيما ذكر وليس لهم من ذلك شيء .

ومنهم من اشتغل باللغة ودقائق العلوم العربية وأفنوا عمرهم فيها ظنا منهم انهم من علماء الامة لانهم في صدد احكام مباني الكتاب والسنة ، وهم مغرورون لانهم اتخذوا القشر مقصودا فاغتروا به واصناف المغرورين من الناس لا يمكن تعدادهم[1] وفي هذا القدر كفاية لمن اعتبر ، اللهم ألهمنا طريق دفع الغرور ، ولا يمكن ذلك الا بالعقل الذي هو مبنى الخيرات واساسها ثم بالمعرفة ، وهي لا تعم الا بمعرفة نفسه بالذل والعبودية ، ومعرفة ربه بالجلال والهيبة وصفا بقلبه بلذة المناجات واستوت عنده من الدنيا ذهبها ومدرها ولا يبقى للشيطان عليه من سلطان فاحٍ ينسد في قلبه مداخل الغرور ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

علم آفات الغضب

وهو مذموم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع الصحابة والتابعين .

وحقيقته انه حرارة تنبعث من الباطن لدفع المضار البدنية ، لان البدن لكونه غير مأمون عن الضرر خلق الله تعالى في البدن نار الغضب لتدفع الضرر عنه وله درجات .

احداها الإفراط وهو مذموم لانه يتجاوز عن حد دفع الشر الى ايقاع الشر .

وثانيتها التفريط وهو ايضا مذموم لانه لا يقدر على تحقيق ما خلق الغضب له وهو دفع الشر .

وثالثتها الاعتدال وهو ان ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب

---

(١) قلت وقد عدّ لكثرتهم ابن الجوري المحدث رحمه الله في كتابه المبين للسير فان شئت الزيادة فارجع اليه ص ١١ ذو الفقار احمد سلمه الله الصمد .

(١) وبهذا التفصيل ان شئت الاطلاع عليه فارجع الى كتاب الاحياء للامام الغزالي رحمة الله عليه حافظ علي حسين غفر الله له .

الحمية وينطفىء حيث يحسن الحلم وهو الوسط ولتحصيل هذا الاعتدال طرق ورياضات يعرفها اهلها وليس هذا المقام موضع تفصيلها[1] .

علم آفات الكبر

وهو صفة في النفس وما في الظاهر من اماراتها .

وهو ان يرى نفسه فوق الغير في صفات الكمال فيحصل في قلبه اغترار وهزة وفرح وركون الى روية نفسه والتكبر اما على الله تعالى والعياذ بالله .

من ذلك كتكبر فرعون ونمرود .

واما على الرسل والانبياء بان لا يطيعهم كتكبر ابي جهل وأُبي بن خلف .

واما على الخلق وهذا وان كان دون الاولين الا انه داء عظيم ولهذا ذمه الله تعالى ورسوله والكتاب والسنة مشحونان من ذمه ومدح التواضع واسبابه الظاهرة .

اما العلم لانه يكون سببا لروية النفس واستحقار الغير .

واما العمل والعبادة لان صاحبه يرى فضيلته في نفسه بذلك على غيره .

واما بالحسب والنسب وقلما ينفك عنه نسيب .

واما[2] الجمال واكثر ما يكون ذلك في النساء .

واما المال كما يرى في الاغنياء .

واما القوة كما ترى في الاقوياء فانهم يتكبرون بها على الضعفاء .

واما كثرة الخدام والعبيد والاقارب والبنين ، من ذلك المكاثرة بالمستفيدين بين العلماء .

---

(١) ولنعم ما قيل : برمال وجمال خويش مغرور مشو . كانرا بشبي برند واين رابيتي محمداحسن طبيب سلمه ربه .

(٢) كما قيل : ومن سك طقمه دوخت به ، علي حسين خوشنويس عفا الله عنه .

واما اسبابه الباطنة فهي اما العجب وهو اكبر الباطن .

واما الحقد لأنه اذا رسخ في القلب تأنف النفس من ان تطيع المحق .

واما الحسدوهو ايضا يبعثه على ان يعامله باخلاق الكبر .

واما الرياء فان كثيرا من الناس يتكبر على آخر ولا يستفيد منه العلم لئلا يقال انه افضل منه .

وطريق معالجة الكبر .

اما عام يقطع عرقه بالكلية وهو ان يعرف ذل نفسه وان الكبرياء لله تعالى ، وان يواظب على قصد التواضع والتشبه بالمتواضعين الى ان يرسخ فيه ذلك ويتذكر قول النبي ﷺ (إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد) مع ان له من المنصب الجليل فوق جميع المناصب .

واما خاص وهو ان يدفع الكبر بالنسب بان ذلك اعتداد بكمال الغير ويدفع الكبر بالجمال بملاحظة ما في باطنه من الاقذار وبما سيصير اليه في القبر ويدفع الكبر بالقوة بانه اذا مرض يصير اعجز العاجزين وبان الحمار والبقر اكمل في ذلك منه .

ويدفع الكبر بالغنى والاعوان والانصار بان جميع ذلك في معرض الآفات ويدفع الكبر بالعلم بان حجة الله تعالى على العالم أوكد وبأن الكبر لا يليق الا لله عز وجل سبحانه .

علم آفات اللسان

وآفاته انما هي في التكلم بما لا يعنيه .

وهو ان تتكلم ما لو سكتّ عنه لم تأثم ولم تتضرر في حال او مآل لأنك ان حكيت بعض الحكايات وانت صادق فيها فقد ضيعت اوقاتك وان زدت فيها او نقصت عنها فانت آثم لأن ذلك كذب .

مثلاً اذا سألت رجلا هل انت صائم فان سكت فقد تأذيت ان قال لا فقد كذب وان قال نعم استبدل سر عمله جهرا فدخل عليه الرياء .

وتفاصيل انواع الآفات بحسب انواع الكلام مذكورة في المعولات .

علم آفات المال

وله منافع كما قال النبي ﷺ (نعم المال الصالح للرجل الصالح) ومضاره وهي كثيرة مذكورة في القرآن والحديث .

أما منافعه فهي الانفاق على نفسه ليعين على الطاعة كالمطعم والملبس والمسكن والمنكح وسائر ضروريات المعيشة ، والانفاق في سبيل الله تعالى كالزكوة والحج ونحوهما ، والانفاق لوقاية العرض كدفع هجو الشاعر وقطع ألسنة السفهاء فان ذلك صدقة لان فيه منعهم عن الغيبة ، والانفاق على الخدم فان ذلك منفعة دينية اذ لو تولى الانسان جميع مصالحة بذاته لفاته كثير من الطاعات .

واما مضاره وهي ان المال الكثير ربما يجر الانسان الى المعاصي والشهوات وايضا المال المباح ربما لا يفي لتحصيل مراداته الدنيوية فيجره ذلك الى الوقوع في الشبهات ثم يجبره ذلك الى الوقوع في الحرام .

ومن الآفات التي لا يتخلص منها الا الاقلون وهو الداء العضال والخسران العظيم إلهاء صاحبه عن ذكر الله تعالى .

وأما علاجه فلأن لحب المال سببين :

أحدهما حب الشهوات وطول الامل
وثانيهما حب عين المال
وعلاج الاول القناعة والصبر وقصر الامل بكثرة ذكر الموت وذكر موت الاقران .

وعلاج الثاني تكرار ما ورد في القرآن والحديث من مذمة الدنيا وحقارتها وكونها عدوة الله تعالى وعدوة الانسان .

علم افضل القُرآن وفاضله

ذكره ابو الخير من فروع علم التفسير ونقل فيه مذاهب الائمة الاعلام كما في الاتقان .

علم اقسام القرآن

جمع قسم بمعنى اليمين جعله السيوطي نوعا من انواع علوم القرآن وتبعه صاحب مفتاح السعادة حيث اورده من فروع علم التفسير .

وقال صنف فيه الحافظ ابن القيم رحمه الله مجلدا اسماه التبيان اقسم الله بنفسه في القرآن في سبعة مواضع والباقي كله قسم بمخلوقاته واجابوا عنه بوجوه .

علم الاكتاف

هو علم باحث عن الخطوط والاشكال التي ترى في اكتاف الضأن والمعز اذا قوبلت بشعاع الشمس من حيث دلالتها على احوال العالم الاكبر من الحروب

الواقعة بين الملوك ، واحوال الخصب والجدب ، وقلما يستدل بها على الاحوال الجزئية لانسان معين يؤخذ لوح الكتف قبل طبخ لحمه ويلقى على الارض اولا ثم ينظر فيه فيستدل باحواله من الصفا والكدر والحمرة والخضرة الى الاحوال الجارية في العالم من الغلاء والرخاء والحروب الواقعة بين الامراء ولمن الغلبة فيها .

وتنصب اطرافه الاربعة الى جهات العالم ويحكم بذلك على كل ضلع منها باحوال متعلقة بها على ما يظهر في اللوح .

وينسب علم الكتف الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه .

قال صاحب مدينة العلوم وصاحب مفتاح السعادة رأيت مقالة في هذا العلم مختصرة غاية الاختصار لكن بين فيها الآنية دون اللمية ، يعني المسائل مجردة عن الدلائل وقد سبق انه من فروع علم الفراسة .

علم الآكر

هو علم يبحث فيه عن الاحوال العارضة للكرة والمقادير المتعلقة بها من حيث انها كرة من غير نظر الى كونها بسيطة او مركبة عنصرية او فلكية .

فموضوعة الكرة بما هو كرة وهي جسم يحيطبه سطح واحد مستدير في داخله نقطة يكون جميع الخطوط المستقيمة الخارجة منها اليه متساوية وتلك النقطة مركز حجمها سواء كانت مركز ثقلها او لا .

وقد يبحث فيه عن احوال الاكر المتحركة فاندرج فيه ولا حاجة الى جعله علما مستقلا كما جعله صاحب مدينة العلوم ومفتاح السعادة وعداهما من فروع علم الهيئة .

وقالا تتوقف براهين علم الهيئة على هذين اشد توقف ولهذا جل نفع هذا العلم .

وفيه كتب للاوائل والأواخر منها الاكر المتحركة للمهندس الفاضل اوطولوقس اليوناني ، وقد عربوه في زمن المأمون ، ثم أصلحه يعقوب بن اسحق الكندي واكرمانالاؤس واكرثاؤذوسيوس .

علم الآلات الحربيّة

هو علم يتعرف منه كيفية اتخاذ الآلات الحربية كالمنجنيق وغيرها .

وهو من فروع علم الهندسة .

ومنفعته ظاهرة لانه شديد العناء في دفع الاعداء وحماية المدن .

وهذا العلم احد اركان الدين لتوقف امر الجهاد عليه ولبني موسى بن شاكر كتاب مفيد في هذا العلم كذا في مفتاح السعادة ومدينة العلوم .

وينبغي ان يضاف علم رمي القوس والبنادق الى هذا العلم ، وان ينبه على ان امثال ذلك العلم قسمان :

علم وضعها وصنعتها .

وعلم استعمالها وفيه كتب .

علم الآلات الرّصدية

ذكره ابو الخير من فروع علم الهيئة وقال :

هو علم يتعرف منه كيفية تحصيل الآلات الرصدية قبل الشروع في الرصد ، فان الرصد لا يتم الا بآلات كثيرة رتبوها ، وتحصيل تلك الآلات يتوقف على معرفة احوالها ، وكتاب الآلات العجيبة للخازني يشتمل على ذلك انتهى ومثله في مدينة العلوم .

وقال العلامة تقي الدين الراصد في سدرة منتهى الافكار والغرض من

وضع تلك الآلات تشبيه سطح منها بسطح دائرة فلكية ليمكن بها ضبط حركتها ولن يستقيم ذلك ما دام لنصف قطر الارض قدر محسوس عند نصف قطر تلك الدائرة الفلكية الا بتعديله بعد الاحاطة باختلافه الكلي ،وحيث أحسسنا بحركات دورية مختلفة وجب علينا ضبطها بآلات رصدية تشبهها في و ضعها لما يمكن له التشبيه ولما لم يمكن له ذلك يضبط اختلافه ، ثم فرض كرات تطابق اختلافا لها المقيسة الى مركز العالم تلك الاختلافات المحسوس بها اذا كانت متحركة حركة بسيطة حول مراكزها ، فبمقتضى تلك الاغراض تعددت الآلات ، والذي انشأناه بدار الرصد الجديدة هذه الآلات منها اللبنة وهي جسم مربع مستو يستعلم به الميل الكلي وابعاد الكواكب وعرض البلد .

ومنها الحلقة الاعتدالية وهي حلقة تنصب في سطح دائرة المعدل ليعلم بها التحويل الاعتدالي .

ومنها ذات الاوتار قال وهي من مخترعنا وهي اربع اسطوانات مربعات تغني عن الحلقة الاعتدالية على انها يعلم تحويل الليل ايضا .

ومنها ذات الحلق وهي اعظم الآلات هيئة ومدلولا وتركب من حلقة تقام مقام منطقة فلك البروج وحلقة تقام مقام المارة بالاقطاب تركب احداهما في الاخرى بالتصنيف والتقطيع ، وحلقة الطول الكبرى ، وحلقة الطول الصغرى ، تركب الاولى في محدب المنطقة ، والثانية في مقعرها وحلقة نصف النهار وقطر مقعرها مساو لقطر محدب حلقة الطول الكبرى من حلقة الارض قطر محدبها قدر قطر مقعر حلقة الطول الصغرى فتوضع هذه على كرسي .

ومنها ذات السمت والارتفاع وهي نصف حلقة قطرها سطح من سطوح اسطوانة متوازية السطوح يعلم بها السمت وارتفاعها ، وهذه الآلة من مخترعات الرصاد الاسلاميين .

ومنها ذات الشعبتين وهي ثلاث مساطر على كرسي يعلم بها الارتفاع .

ومنها ذات الجيب وهي مسطرتان منتظمتان انتظام ذات الشعبتين .

ومنها المشبهة بالناطق قال وهي من مخترعاتنا كثيرة الفوائد في معرفة ما بين الكوكبين من البعد وهي ثلاث مساطر ثنتان منتظمتان انتظام ذات الشعبتين .

ومنها الربع المسطري وذات النقبتين والبنكام الرصدي وغير ذلك وللعلاقة غياث الدين جمشيد رسالة فارسية في وصف تلك الآلات سوى ما اخترعه تقي الدين .

واعلم ان الآلات الفلكية كثيرة منها الآلات المذكورة ومنها السدس الذي ذكره جمشيد .

ومنها ذات المثلث .

ومنها انواع الاسطرلابات كالتام والمسطح والطوماري والهلالي والزورقي والعقربي والاسي والقوسي والجنوبي والشمالي والكبري والمبطح والمسرطق وحق القمر والمغني والجامعة وعصا موسى .

ومنها انواع الارباع كالتام والمجيب والمقنطرات والافاقي والشكازي ودائرة المعدل وذات الكرسي والزرقالة وربع الزرقالة وطبق المناطق .

وذكر ابن الشاطر في النفع العام انه امعن النظر في الآلات الفلكية فوجد مع كثرتها انها ليس فيها ما يفي بجميع الاعمال الفلكية في كل عرض قال :ولا بد ان يداخلها الخلل في غالب الاعمال اما من جهة تعسر تحقيق الوضع كالمبطحات او من جهة تحرك بعضها على بعض وكثرة تفاوت ما بين خطوطها وتزاحمها كالاسطرلاب والشكازية والزرقالية وغالب الآلات او من جهة الخيط او تحريك المري وتزاحم الخطوط كالارباح المقنطرات والمجيبة ، وان بعضها يعسرها غالب المطالب الفلكية ، وبعضها لا يفي الا بالقليل او بعضها مختص بعرض واحد ، وبعضها بعروض مختصة ، وبعضها تكون اعمالها ظنية غير برهانية ، وبعضها يأتي بعض الاعمال بطريق مطولة خارجة عن الحد وبعضها يعسر حملها ويقبح شكلها كالآلة الشاملة فوضع آلة يخرج بها جميع الاعمال في جميع الآفاق بسهولة

مقصد ووضوح برهان فسماها الربع التام .

علم آلات الساعة

من الصناديق والضوارب وامثال ذلك ، ونفعه بين ، لكل واحد وفيها مجلدات عظيمة .

هذا حاصل ما ذكره ابو الخير في فروع الهيئة ونحوه في مدينة العلوم واقول لا يخفى عليك انه هو علم البنكامات الذي جعله من فروع الهندسة وسيأتي في الباء وكيفية وضعها مسطورة في كتاب حيل بني موسى .

علم الآلات الظليّة

هو علم يتعرف منه مقادير ظلال المقائس واحوالها الأخر ، والخطوط التي ترسم في اطرافها ، واحوال الظلال المستوية والمنكوسة .

ومنفعته معرفة ساعات النهار بهذه الآلات كالبسائط والقائمات والمائلات من الرخامات ، وفيه كتاب مبرهن لابراهيم بن سنان الحراني ذكره ابو الخير في فروع علم الهيئة ومثله في مدينة العلوم .

علم الآلات العجيبة الموسيقائية

هو علم يتعرف منه كيفية وضعها وتركيبها كالعود والمزامير والقانون سيما الارغنوك وغير ذلك ولقد ابدع واضعها فيها الصنائع العجيبة والامور الغريبة .

قال ابو الخير ولقد شاهدته واستمعت به مراتٍ عديدة ولم تزد المشاهدة والنظرة الا دهشة وحيرة .

ثم ثال وانما تعرضت لها مع كونها محرمة في شريعتنا لكونها من فروع العلوم الرياضية .

اقول وسيأتي بيان حكمة الحرمة في الموسيقى وعبارة مدينة العلوم ولا نطول الكلام بذكر انواع الآلات الموسيقية لانها محرمة في شريعتنا ، وعمر طالب الآخرة اشرف من ان يضيع اوقاته في امثال هذه ، وانما تعرضت لها ههنا التميم انواع العلوم انتهى قلت ومن قول اصحاب هذا العلم هذا الشعر :

من كل شيء لذيذ احتسى قدحا وكل ناطقة في الـكون يطربني

ومن انواع تلك الآلات الكوس والطبل والنقارة والدائرة .

ومن انواع المزامير الناي والسورنا والنفير والمثقال والفوال وآلـة يقال لهـا بوري ودودك .

ومن انواع ذات الاوتار الطنبور والششتا والرباب وآلة يقال لها قيوز وجنك وغير ذلك .

وقد اورد الشيخ في الشفا بصورها وكذا العلامة الشيرازي في درة التاج .

علم الآلات الروحانية

وهو علم تتبين منـه كيفية ايجـاد الألات المرتبـة المبنية على ضرورة عدم الخلاء ونحوها ، كقدح العدل وقدح الجور .

اما الاول فهو اناء اذا امتلأ منها قدر معين يستقر فيها الشراب ، وان زيد عليها ولو بشيء يسير ينصب الماء ويتفرغ الاناء عنه بحيث لا يبقى منه قطرة .

واما الثاني فله مقدار معين ، ان صب فيه الماء بذلك القدر القليل يثبت ، وان ملىء يثبت ايضا ، وان كان بين المقدارين يتفرغ الاناء كل ذلك لعدم امكان الخلاء .

وهذا العلم من حيث تعلقه بمقدار معين من الاناء من فروع علم الهندسة .

ومن حيث كونه مبنيا على عدم الخلاء من فروع علم الطبيعي ، ومن هذا القبيل دوران الساعات ، ويسمى علم آلات روحانية لارتياح النفس وارتياضها بغرائب هذه الألات .

واشهر كتب هذا الفن حيل بني موسى بن شاكر ، وفيه كتاب مختصر لغيلن ، وكتاب مبسوط للبديع الجزري كذا قال ابو الخير .

علم الألغاز

هو علم يتعرف منه دلالة الالفاظ على المراد دلالة خفية في الغاية لكن لا بحيث تنبو عنها الاذهان السليمة بل تستحسنها وتنشرح اليها ، بشرط ان يكون المراد من الالفاظ الذوات الموجودة في الخارج ، وبهذا يفترق من المعمى لان المراد من الالفاظ اسم شيء من الانسان وغيره .

وهو من فروع علم البيان لان المعتبر فيه وضوح الدلالة كما سيأتي .

والغرض فيهما الاخفاء وستر المراد ولما كان ارادة الاخفاء على وجه الندرة عند امتحان الاذهان ، لم يلتفت اليهما البلغاء حتى لم يعد وهماً ايضا من الصنائع البديعة التي يبحث فيها عن الحسن العرضي .

ثم هذا المدلول الخفي ان لم يكن ألفاظاً وحروفاً بلا قصد دلالتهما على معان اخر بل ذوات موجودة يسمى اللغز .

وان كان ألفاظاً وحروفاً دالة على معان مقصودة يسمى معمى .

وبهذا يعلم ان اللفظ الواحد يمكن ان يكون معمى ولغزا باعتبارين .

لان المدلول اذا كان ألفاظاً فان قصد بها معان أُخر يكون معمى .

وان قصد ذوات الحروف على انها من الذات يكون لغزا .

واكثر مبادىء هذين العلمين مأخوذ من تتبع كلام الملغزين واصحاب المعمى

وبعضها امور تخييلية تعتبرها الاذواق

ومسائلها راجعة الى المناسبة الذوقية بين الدال والمدلول الخفي على وجه يقبلها الذهن السليم .

ومنفعتها تقويم الاذهان وتشحيذها .

ومن امثلة الألغاز قول القائل في القلم :

وما غلام راكع ساجد اخو نحول دمعه جاري
ملازم الخمس لأوقاتها منقطع في خدمة الباري

وآخر في الميزان

وقاضي قضاة يفصل الحق ساكتا وبالحق يقضي لا يبوح فينطق
قضى بلسان لا يميل وان يمل على أحد الخصمين فهو مصدق

ومن الكتب المصنفة فيه ايضا كتاب الالغاز للشريف عز الدين حمزة بن احمد الدمشقي الشافعي المتوفى سنة اربع وسبعين وثمانمائة .

وصنف فيه جمال الدين عبد الرحيم بن حسن الاسنوي المتوفى سنة احدى وسبعين وسبعمائة .

ومن الكتب المصنفة فيه (الذخائر الاشرفية في الالغاز الخفية) للقاضي عبد البر بن شحنة الحلبي المتوفى سنة احدى وعشرين وتسعمائة وهو الذي انتخب ابن نجيم في الفن الرابع من الاشباه وذكر ان خبرة الفقهاء والعدة اشتملا على كثير من ذلك لكن الجميع ألغاز فقهية .

علم الالٰهي

هو علم يبحث فيه عن الحوادث من حيث هي موجودات .

وموضوعه الوجود من حيث هو .

وغايته تحصيل الاعتقادات الحقة والتصورات المطابقة لتحصيل السعادة الابدية والسيادة السرمدية كذا في مفتاح السعادة .

وفي كشاف اصطلاحات الفنون هو علم باحوال ما يفتقر في الوجودين اي الخارجي والذهني الى المادة .

ويسمى ايضا بالعلم الاعلى ، وبالفلسفة الاولى ، وبالعلم الكلي ، وبما بعد الطبيعة ، وبما قبل الطبيعة .

والبحث فيه عن الكميات المتصلة والكيفيات المحسوسة والمختصة بالكميات وامثالها مما يفتقر الى المادة في الوجود الخارجي استطرادي ، وكذا البحث عن الصورة مع ان الصورة تحتاج الى المادة في التشكل ، كذا في العلمي ، وفي الصدر امن الحكمية النظرية ما يتعلق بامور غير مادية مستغنية القوام في نحوي الوجود العيني والذهني عن اشتراط المادة كالاله الحق والعقول الفعالة والاقسام الاولية للموجود كالواجب والممكن والواحد والكثير والعلة والمعلول والكلي والجزئي وغير ذلك ، فان خالط شيء منها المواد الجسمانية فلا يكون على سبيل الافتقار والوجوب .

وسموا هذا القسم العلم الاعلى ، فمنه العلم الكلي المشتمل على تقاسيم الوجود المسمى بالفلسفة الاولى ، ومنه الالهي الذي هو فن من المفارقات .

وموضوع هذين الفنين أعم الاشياء وهو الموجود المطلق من حيث هو انتهى

واصول الالهي خمسة : الاول الامور العامة .

الثاني اثبات الواجب وما يليق به .

الثالث اثبات الجواهر الروحانية .

الرابع بيان ارتباط الامور الارضية بالقوى السماوية .

الخامس بيان نظام الممكنات .

وفروعه قسمان :

الاول البحث عن كيفية الوحي وصيرورة العقل محسوسا ومنه تعريف الآلهيات ومنه الروح الامين .

الثاني العلم بالمعاد الروحاني انتهى .

وقال صاحب ارشاد القاصد يعبر عنه بالآلهي لاشتماله على علم الربوبية .

وبالعلم الكلي لعمومه وشموله لكليات الموجودات .

وبعلم ما بعد الطبيعة لتجرد موضوعه عن المواد ولواحقها .

قال واجزاؤه الاصليه خمسة : الاول النظر في الامور العامة مثل الوجود والماهية والوجوب والامكان والقدم والحدوث والوحدة والكثرة .

والثاني النظر في مبادىء العلوم كلها وتبيين مقدماتها ومراتبها .

والثالث النظر في اثبات وجود الآله ووجوبه والدلالة على وحدته وصفاته .

والرابع النظر في اثبات الجواهر المجردة من العقول والنفوس والملائكة والجن والشياطين وحقائقها واحوالها .

والخامس النظر في احوال النفوس البشرية بعد مفارقتها وحال المعاد .

ولما اشتدت الحاجة اليه اختلفت الطرق .

فمن الطالبين من رام ادراكه بالبحث والنظر وهؤلاء زمرة الحكماء الباحثين ورئيسهم ارسطو ، وهذا الطريق انفع للتعلم لو وفى بجملة المطالب وقامت عليها براهين يقينية وهيهات .

ومنهم من سلك طريق تصفية النفس بالرياضة واكثرهم يصل الى امور ذوقية يكشفها له العيان ويجل ان توصف بلسان ومنهم من ابتدأ أمره بالبحث والنظر وانتهى الى التجريد وتصفية النفس فجمع بين الفضيلتين ، وينسب مثال هذا الحال الىٰ سقراط وافلاطون والسهروردي والبيهقي انتهى .

وقال ابو الخير وهذا العلم هو المقصد الاقصى والمطلب الاعلى لكن لمن وقف على حقائقه واستقام في الاطلاع على دقائقه لان حظي به فقد فاز فوزا

عظيما ، ومن زلت فيه قدمه او طغى به قلمه فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرانا مبينا ، اذ الباطل يشاكل الحق في مأخذه والوهم يعارض العقل في دلائله جل جناب الحق عن ان يكون شريعة الكل وارد او يطلع على سرائر قدسه الا واحد بعد واحد وقلما يوجد انسان يصفو عقله عن كدر الاوهام ويخلص فهمه عن مهاوي الايهام ويستسلم لما قرره الاعلام .

واعلم ان من النظر رتبة تناظر طريق التصفية ويقرب حدها من حدها وهو طريق الذوق ويسمونه الحكمة الذوقية .

وممن وصل الى هذه الرتبة في السلف السهروردي وكتاب حكمة الاشراق له صادر عن هذا المقام برمز اخفى من ان يعلم وفي المتأخرين الفاضل الكامل مولانا شمس الدين الفناري في بلاد الروم ، ومولانا جلال الدين الدواني في بلاد العجم ، ورئيس هؤلاء الشيخ صدر الدين القونوي ، والعلامة قطب الدين الشيرازي انتهى ملخصا او سيأتي تمام التفصيل في الحكمة عند تحقيق الاقسام ان شاء الله العزيز العلام .

واعلم ان منبع العلوم الحكمية النظرية واستاذ الكل فيها ادريس عليه السلام ، أتاه الله الحكمة والنبوة ، وانزل عليه ثلثين صحيفة ، وعلم النجوم . وافهمه عدد السنين والحساب ، وعلّمه الالسنة حتى تكلم الناس في زمنه باثنين وتسعين لسانا ، ولد بمصر وسموه هرمس الهرامس ، وباليونانية ارمس بمعنى عطارد ، وعُرّب بهرمس واسمه الاصلي هنوخ ، وعُرّب اخنوخ ، وسماه الله تعالى في كتابه العربي المبين ادريس لكثرة دراسة كتاب الله تعالى .

وقيل ان معلمه غوثاذيمون او اغثاذيمون المصري وتفسيره السعيد الجدّ قيل وهو شيث عليه السلام .

ثم ان ادريس عرّف الناس صفة نبينا محمد ﷺ بانه يكون بريئاً عن المذمات والأفات كلها ، كاملاً في الفضائل الممدوحات ، لا يقصر عما يسأل عنه مما في الارض والسماء ومما فيه دواء وشفاء ، وانه يكون مستجاب الدعوة في كل ما

يطلبه ، ويكون مذهبه ودينه ما يصلح به العالم .

وكانت قبلة ادريس جهة الجنوب على خط نصف النهار ، كان رجلا تام الخلقة حسن الوجه ، اجلح ، كث اللحية ، مليح الشمائل والتخاطيط ، تام الباع ، عريض المنكبين ، ضخم العظام ، قليل اللحم ، براق العين اكحلها . متأنياً في كلامه ، كثير الصمت ، واذا اغتاظ اخذ يحرك سبابته اذا تكلم ، وكانت مدة مقامه في الارض اثنتين وثمانين سنة ثم دفعه الله مكانا علياً .

وهو اول من خاط الثياب ، وحكم بالنجوم ، وانذر بالطوفان ، واول من بنى الهياكل ومجّد الله فيها ، واول من نظر في الطب ، واول من الّف القصائد والاشعار ، وهو الذي بنى اهرام بمصر وصور فيها جميع العلوم والصناعات وآلاتها خشية ان يذهب رسمها بالطوفان .

واعلم ايضا ان من اساتذة الحكمة الحكيم افلاطون احد الاساطين الخمسة للحكمة من يونان كبير القدر مقبول القول ، البليغ في مقاصده .

أخذ عن فيثاغورس ، وشارك مع سقراط في الاخذ عنه ، وصنف في الحكمة كتبا كثيرة لكن اختار فيها الرمز والاغلاق ، وكان يعلم تلاميذه وهو ماش ولهذا سموا المشائين ، وفوض الدرس في آخر عمره الى ارشد اصحابه وانقطع هو للعبادة ، وعاش ثمانين سنة ، وولد في مدينة انيس ، ولازم سقراط خمسين سنة ، وكان عمره اذ ذاك عشرون سنة ، وتزوج امرأتين وكانت نفسه في التعليم مباركة تخرج بها علماء اشتهروا من بعده .

ومن جملة اساتذة الحكمة ارسطاطاليس تلميذ افلاطون لازم خدمته مدة عشرين سنة ، وكان افلاطون يؤثر على غيره ويسميه العقل ، وهو خاتم حكماءهم وسيد علمائهم ، واول من استخرج المنطق ، وله كتب شريفة في الفلسفة ، وكان معلم الاسكندر بن فيلقوس وبآدابه وسياسته عمل هو فظهر الخير وفاض العدل ، وبه انقمع الشرك في بلاد اليونانيين .

ومعنى ارسطاطاليس محب الحكمة او الفاضل الكامل ، عاش سبعاً وستين سنة ، ومصنفاته تنيف على ثمانين ، وكان ابيض اجلح ، حسن القامة ، عظيم العظام ، صغير العينين والفم ، عريض الصدر ، كث اللحية ، اشهل العينين ، اقنى الانف، يسرع في مشيته ، ناظرا في الكتب ، دائما يقف عند كل كلمة ، ويطيل الاطراق عند السؤال، قليل الجواب ينتقل في اوقات النهار في الفيافي ونحو الانهار محبا لاستماع الالحان والاجتماع بأهل الرياضة واصحاب الجدل ، منصفا في نفسه اذا خصم ويعرف بموضع الاصابة والخطأ معتدلا في الملابس والمآكل ، مات وله ثمان وتسعين سنة ، ثم انه تخلف عن خدمة الملوك ، وبنى موضع التعليم ، واقبل على العناية بمصالح الناس .

وكان جليل القدر كثير التلاميذ من الملوك وابناءهم ، وكان اهل مدينة اسطا اذا أشكل عليهم امر يجتمعون الى قبره حتى يفتح لهم ويزعمون ان قبره يصحح فكرهم ويذكي عقولهم واستيفاء اخباره لا يمكن الا في مجلد .

ومن جملة اساتذة الحكمة الفارابي وهو ابو نصر محمد بن محمد كان ذكيا حكيما مشهورا صاحب التصانيف في المنطق والمحكمة وغيرهما من العلوم ، وهو اكبر فلاسفة الاسلاميين لم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه ، وتخرج ابن سينا في كتبه وبعلومه ، انتفع في تصانيفه ، وكان رجلا تركياً تنقلت به الاسفار الى ان وصل بغداد وهو يعرف كثيرا من اللغات غير العربي ثم تعلمه وأتقنه .

ثم اشتغل بالحكمة فقرأ على ابي بشر متى بن يونس الحكيم من شرح كتاب ارسطو في المنطق سبعين سفرا ، وكان هو شيخاكبيراً له صيت عظيم يجتمعون في حلقته كل يوم المئون من المنطقيين ، ثم اخذ طرفا من المنطق من ابي حنا ابن خيلان الحكيم النصراني بمدينة حران ، ثم نقل الى بغداد وقرأ بها علوم الفلسفة وتمهر في كتب ارسطو جميعها ، يقال وجد كتاب النفس لارسطو عليه مكتوب بخط الفارابي اني قرأت هذا الكتاب مأتي مرة ، وقال قرأت السماع الطبعي لارسطو

اربعين مرة ومع ذلك اني محتاج الى معاودته ، وكان يقول لو ادركت ارسطو لكنت اكبر تلامذته .

ثم سافر الى دمشق ثم الى مصر ثم عاد الى دمشق فأحسن اليه سلطانها [1] سيف الدولة بن حمدان وأجرى عليه كل يوم اربعة دراهم لانه كان ازهد الناس في الدنيا لا يحتفل بامر مكتسب ولا مسكن لذلك اقتصر على اربعة دراهم ، وكان منفردا بنفسه لا يكون الا في مجتمع ماء او مشبك رياض ويؤلف كتبه هناك وكان اكثر تصانيفه في الرقاع ولم يصنف في الكراريس الا قليلا فلذلك كانت اكثر تصانيفه فصولا وتعليقات وبعضها ناقصا .

يحكى ان الآلات المسماة بالقونون من تركيبه .

توفي سنة تسع وثلٰثين وثلثمائة بدمشق وقد ناهز ثمانين سنة .

وعدد مصنفاته من الكتب والرسالة سبعون كلها نافعة سيما كتابان في العلم الالٰهي والمدني لا نظير لهما .

احدهما المعروف بالسياسة المدنية .

والاٰخر بالسيرة الفاضلة ، وصنف كتابا شريفا في احصاء العلوم والتعريف بأغراضها لم يسبق اليه احد ولا ذهب احد مذهبه ولا يستغني عنه احد من طلاب العلم ، وكذا كتابه في اغراض افلاطون وارسطو اطلع فيه على اسرار العلوم

---

(١) يحكى انه دخل على مجلس سيف الدولة وهو برى الاتراك وكان ذلك زيه دائما فتخطى رقاب الناس وكان المجلس مجمع الفضلاء حتى انتهى الى مجلس سيف الدولة وزاحمه حتى اخرجه عنه فقال سيف الدولة لمماليكه بلسان خاص يسار بهم هذا الشيخ قد اساء الادب واني لسائله عن اشياء ان لم يعرف بها فاخرجوه فقال له ابو نصر بذلك اللسان ايها الامير اصبر فان الامور بعواقبها فقال سيف الدولة اتحسن بهذا اللسان فقال نعم بل اكثر من سبعين لسانا فعظم عنده ثم اخذ يتكلم في كل فن حتى بز جميع الحاضرين فخلى به سيف الدولة فقال له تشرب فقال لا فقال أتسمع قال نعم فاحضر الآلات فما حرك احد منها شيئا الا ادعى به ابو نصر ثم اخرج من وسط خريطته عيدانا فركبها فلعب بها فضحك كل من حضر ثم فكها وركبها آخر فضرب بها فبكى كلهم ثم فكها وغير تركيبها وحركها فنام كلهم حتى البواب فتركهم نياما وخرج كذا في مدينة العلوم ، منه دام مجده .

وثمارها علما علما ، وبين كيفية التدرج من بعضها الى بعض شيئا فشيئا ، ثم بدأ بفلسفة ارسطو ووصف اغراضه في تواليفه المنطقية والطبيعية فلا اعلم كتابا اجدى على طلب الفلسفة منه •

وفاراب احدى مدن الترك فيما وراء النهر •

ومن جملة اساطين الحكمة ابو علي حسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور وكان ابوه من بلخ ثم انتقل منها الى بخارا ، وكان من العمال الكفاة ، وتولى العمل بقرية من بخارا يقال لها هرمِينً ، ثم انتقلوا الى بخارا وانتقل الرئيس بعد ذلك في البلاد واشتغل بالعلوم وحصل الفنون ، ولما بلغ عشر سنين من عمره اتقن علم القرآن العزيز والادب وحفظ اشياء من اصول الدين وحساب الهندسة والجبر والمقابلة ، ثم قرأ كتاب ايساغوجي علي ابي عبد الله النابلي واحكم عليه ظواهر المنطق لانه لم يكن يعرف دقائقها ، ثم حل هو نفسه دقائق غفل عنها الاوائل ، واحكم عليه اقليدس والمجسطي وفاقه اضعافا كثيرة •

وكان مع ذلك يختلف في الفقه الى اسمعيل الزاهد يقرأ ويبحث ويناظرهم ، ثم اشتغل بتحصيل الطبعي والالهي وغير ذلك وفتح الله عليه ابواب العلوم ، ثم فاق في علم الطب الاوائل والاواخر في اقل مدة واصبح عديم القرين فقيد المثيل .

وقرأ عليه فضلاء هذا الفن انواعه والمعالجات المقتبسة من التجربة وسنه اذ ذاك نحو ستة عشر ، وفي مدة اشتغاله لم ينم ليلة واحدة بكمالها ، ولم يشتغل في النهار بشيء سوى العلم والمطالعة ، وكان اذا اشكلت عليه مسئلة توضأ وقصد المسجد الجامع وصلى ودعا الله عز وجل ان يسهلها عليه ويفتح مغلقها له فتح الله تبارك وتعالى مشكلاتها •

ثم اتصل بخدمة نوح بن نصر الساماني صاحب خراسان بسبب الطب ودخل الى خزانة كتبه واطلع على كتب لم تقرع اذان الزمان بمثلها وحصل نخب

فوائدها وتحلى بنفائس فرائدها .

ويحكي عنه انه لم يطلع على مسئلة الى آخر عمره الا وكان يعرفها ، وكان في ثمانية عشر سنين من سنّه حتى حكي عنه انه قال كل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الان لم ازد عليه الى اليوم ، وهذا أمر عظيم لا يكاد يقبله العقل لولا عرف حد ذكائه .

ثم تنقلت به الاحوال بأمور يطول شرحها حتى استوزر ثم عزل وحبس وبعد هذه الاحوال كلها مرض ، ثم صلح ، ثم دخل الى ان ضعف جدا ثم اغتسل وتاب [1] وتصدق بما معه على الفقراء ، ورد المظالم على من عرفه ، واعتق مماليكه ، وجعل يختم في كل ثلثة ايام ختمة ، ثم مات يوم الجمعة من رمضان سنة ثمان وعشرين واربعمائة بهمدان ، وكانت ولادته سنة سبعين وثلثمائة في شهر صفر ، وقيل توفي باصبهان ، وفضائله كثيرة شهيرة وكان نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه .

وعدة مؤلفاته ثمانية وستون على الاشهر ، وقيل يقارب مائة مصنف ما بين مطول ومختصر .

ورسائله بديعة منها رسالة حي بن يقظان ، ورسالة سلامان ، وابسال ، ورسالة الطب ، وقصيدة الورقاء يرمز بها عن النفس الناطقة .

ومن جملة اساطين الحكمة الامام فخر الدين الرازي وممن نحا نحو ابن سينا

---

(١) قلت ان صحت رواية التوبة فذاك والا فقد صرح شيخ الاسلام احمد بن تيمية رحمه الله وتلميذه الحافظ ابن القيم رحمه الله في مؤلفاتهما بأنه رئيس الملاحدة لما في كتبه من الشفاء وعيره ما يضاد الشريعة الحقة ويخالف طريقة الاسلام ويهدم بنيان الايمان وموطأ سر لا يخفى على من طالع كتبه وعرف منشأه وذكر الشيخ عبد الحق الدبلومي شيخ الحنفية في كتابه مجمع البحرين بالفارسية ما لفظه بعض ازار كشف له بصحبت معنوي سيد كائنات ﷺ مشرف شدند وازحقيقت حال فخر رازى از حضرتش استفسار نمودند وفرمود ذلك رجل معاتب وجون ازحال ابو علي بن سينا برسيدند فرمود ذلك رجل اضله الله على علم ووشان شهاب الدين مقتول فرمود هو من تبعية يعني دي نيزازنا بعان وبيردان ابو علي بن سيناست والله اعلم منه دام مجده

والرازي .

نصير الدين الطوسي وهو محمد بن محمد سلطان الحكماء المدققين وقدوتهم في زمانه ، جامع علوم المتقدمين والمتأخرين .

ولد يوم السبت حادي عشر جمادى الاولى سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، توفي آخر نهار الاثنين ثامن عشر ذي الحجة وقت مغيب الشمس سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، ودفن بالمشهد الكاظمي .

وكان آية في التدقيق والتحقيق وحل المواضع المشكلة سيما لطف التحرير الذي لم يلتفت اليه المتقدمون بَل التفتوا الى جانب المعنى فقط ثم ان الفاضل الشريف قلده في امر التحرير والتقرير كما يظهر ذلك بالنظر في تصانيفهما .

وكان[1] غالياً في التشيع كما يفصح عنه المقصد السادس من التجريد الا ان الشيخ اكمل الدين قال في اواخر شرحه للتجريد سمعت شيخي العلامة قطب الدين الشيرازي قال كان الناس مختلفين في ان هذا الكتاب يعني التجريد لخواجه نصير الدين أولاً فسأل عن ذلك ابنه خواجه اصيل الدين فقال كان والدي وضعه الى باب الامامة وتوفي فكمله ابن المطهر الحلي وكان من الشيعة وهو زائغ زيغا عظيما ، فعلى هذه الرواية يكون بريئا عن نقيصة التشيع الا ان المشهور عند الجمهور خلاف .

وممن يلي هؤلاء في معرفة الحكمة الشيخ شهاب الدين السهروردي بل فاق كثيراً في الحكمة الذوقية .

وممن خرط في سلكهم الشيخ قطب الدين الشيرازي والشيخ قطب الدين الرازي وسعد الدين التفتازاني والسيد الشريف الجرجاني ثم الجلال الدواني .

قال الارنيقي بعد ما ذكر في مدينة العلوم ومن فضلاء بلادنا مولانا مصلح

---

(١) قلت وسماه الحافظ الواحد للمتكلم ابن القيم رحمه الله في كتابه اغاثة اللهفان تبصير الشرك وهو كذلك وكان رأساً في الضلالة والإلحاد بلا شك ولا شبهته اتفق على ذلك من عرف مذهبه وكتبه اعتنى بدركهما منه .

الـدين مصطفـى الشهـير بخواجـه زاده ، ومصلـح الـدين مصطفـى الشهـير بالقسطلاني ، لكن هؤلاء السبعة قد فاقوا على اكثر المتقدمين في الحديث والتفسير والاصول والفروع الا ان الامام فخر الدين الرازي فانه تمهر فيها مع مشاركتـه لهؤلاء في علوم الحكمة باقسامها وان اتقانه اقوى من اتقانهم انتهى .

قلت وفي قوله فاق على اكثر المتقدمين الى آخره نظراً لان العلـم المجـرد بالحديث والتفسير لا يكفي في صحة الاعتقاد والعمل حتى يستعملها على وجهها ويقول بمقتضاهما ويحقق فحواهما وانى لهم التناوش من مكان بعيد .

والفخر الرازي اكثر كلاما من هؤلاء في علـوم التفسـير ولـكن قال اهـل التحقيق في حق كتابه (مفاتيح الغيب) فيه كل شيء الا التفسير وقد بحث في تفسيره هذا عن كل شيء لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها وقـد اخطأ في مواضع مما يتعلق بفهم القرآن الكريم ، ويقال انه لم يكمل تفسيره بل كمله بعض من جاء بعده والخطأ منه ، وقد اصاب في مواضع منها رد التقليد واثبات الاتباع والله اعلم .

ثم قال في مدينة العلو ان الكتب المؤلفة في العلم الآلهي لما لم يخـل عن الرياضي والطبعي ايضا احببنا ان نذكره بعد الفراغ عن الـكل اللهـم الا نادرا (كالمباحث المشرقية) للامام فخر الدين الرازي وامثالـه ، ولا تظـن ان العلـوم الحكمية مخالفة للعلوم الشرعية مطلقا بل الخلاف في مسائل يسيرة وبعضها مخالف في مسائل قليلة ظاهرا لكن ان حقق يصافح احدهما الآخر ويعانقه انتهى .

قال في كشف الظنون ثم اعلم ان البحث والنظر في هذا العلم لا يخلو اما ان يكون على طريق النظر او على طريق الذوق فالاول اما على قانون فلاسفـة المشائين فالمتكفل له كتب الحكمة او على قانون المتكلمين فالمتكفل حينئذ كتـب الكلام لأفاضل المتأخرين والثاني اما على قانون فلاسفة الاشراقـين فالمتكفل له حكمة الاشراق ونحوه او على قانون الصوفية واصطلاحهم فكتب التصوف .

وقد علم موضوع هذا الفن ومطالبه فلا تغفل فان هذا التنبيه والتعليم مما فات عن اصحاب الموضوعات وفوق كل ذي علم عليم .

وعبارة ابن خلدون في تاريخه هكذا .

قال علم الآلهيات هو علم ينظر في الوجود المطلق .

فاولّا في الامور العامة للجسمانيات والروحانيات من الماهيات والوحدة والكثرة والوجوب والامكان وغير ذلك .

ثم ينظر في مبادىء الموجودات وانها روحانيات .

ثم في كيفية صدور الموجودات عنها ومراتبها .

ثم في احوال النفس بعد مفارقة الاجسام وعودها الى المبدأ .

وهو عندهم علم شريف يزعمون انه يوقفهم على معرفة الوجود على ما هو عليه وان ذلك عين السعادة في زعمهم وسيأتي الرّد عليهم ، وهو تال للطبيعيات في ترتيبهم ولذلك يسمونه (علم ما وراء الطبيعة) وكتب المعلم الاول فيه موجود بين ايدي الناس ولخصه ابن سينا في كتاب الشفاء والنجاة وكذلك لخصها ابن رشد من حكماء الاندلس .

ولما وضع المتأخرون في علوم القوم ودوّنوا فيها وردّ عليهم الغزالي ما ردّ منها ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة لعروضها في مباحثهم ، وتشابه موضوع علم الكلام بموضوع الالهيات ومسائله بمسائلها فصارت كأنها فن واحد ، ثم غيرّوا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والالهيات وخلطوهما فنا واحدا قدّموا الكلام في الامور العامة ثم أتبعوه بالجسمانيات وتوابعها الى أخر العلم كما فعله الامام ابن الخطيب في المباحث المشرقية وجميع من بعده من علماء الكلام ، وصار علم الكلام مختلطا بمسائل الحكمة وكتبه محشوة بها كان الغرض من موضوعهما ومسائلهما واحد والتبس ذلك على الناس وهي غير صواب لان مسائل علم الكلام انما هي عقائد متلقاة من

لشريعة كما نقلها السلف من غير رجوع فيها الى العقل ولا تعويل عليه بمعنى انها لا تثبت الا به فان العقل معزول عن الشرع وانظاره ، وما تحدث فيه المتكلمون من اقامة الحجج فليس بحثا عن الحق فيها فالتعليل بالدليل بعد ان لم يكن معلوما هو شأن الفلسفة ، بل انما هو التماس حجة عقلية تعضد عقائد الايمان ومذاهب السلف فيها وتدفع شبه اهل البدع عنها الذين زعموا ان مداركهم فيها عقلية وذلك بعد ان تفرض صحيحة بالادلة النقلية كما تلقاها السلف واعتقدوها وكثيرا ما بين المقامين من التفاوت في ذلك ان مدارك صاحب الشريعة اوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الانظار العقلية فهي فوقها ومحيطة بها لاستمدادها من الانوار الالهٰية فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف والمدارك المحاط بها ، فاذا هدانا الشارع الى مدرك فينبغي ان نقدمه على مداركنا ونثق به دونها ولا ننظر في تصحيحه بمدارك العقل ولو عارضه نعتمد ما امرنا به اعتقادا وعلما ، ونسكت عما لم نفهم من ذلك ونفوضه الى الشارع ونعزل العقل عنه .

والمتكلمون انما دعاهم الى ذلك كلام اهل الالحاد في معارضات العقائد السلفية بالبدع النظرية فاحتاجوا الى الرد عليهم من جنس معارضاتهم واستدعى ذلك الحجج النظرية والبطلان فليس من موضوع علم الكلام ولا من جنس انظار المتكلمين فاعلم ذلك لتميز به بين الفنين فانهما مختلطان عند المتأخرين في الوضع والتأليف ، والحق مغايرة كل منه لصاحبه بالموضوع والمسائل ، وانما جاء الالتباس من اتحاد المطالب عند الاستدلال وصار احتجاج اهل الكلام كانه انشاء لطلب الاعتداد بالدليل وليس كذلك بل انما هو رد على الملحدين والمطلوب مفروض الصدق معلومه ، وكذا جاء المتأخرين من غلاة المتصوفة المتكلمين بالمواجد ايضا فخلطوا مسائل الفنين بفنهم وجعلوا الكلام واحدا فيه كلها ، مثل كلامهم في النبوات والاتحاد والحلول والوحدة وغير ذلك .

والمدارك في هذه الفنون الثلثة متغايرة مختلفة ، وابعدها من جنس الفنون

والعلوم مدارك المتصوفة ، لانهم يدعون فيها الوجدان ويفرون عن الدليل ، والوجدان بعيد عن المدارك العلمية وابحاثها وتوابعها كما بيناه ونبينه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم انتهى كلامه .

علم امارات النبُّوّة

من الاهاصات والمعجزات القولية والفعلية وامثال ذلك وكيفية دلالة هذه على النبوة والفرق بينها وبين السحر وتمييز الصادق من الكاذب .

وموضوعه وغايته ظاهرة جدا ومنفعته اعظم المنافع .

وفي هذا العلم مصنفات كثيرة لكنه لا انفع ولا احسن من كتاب اعلام النبوة للشيخ الامام ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي وهو كان من كبراء الفقهاء الشافعية توفي سنة ٤٥٠ وعمره ست وثمانون سنة ذكره في مدينة العلوم .

علم الامثال

وهذا من فروع علم اللغة ، وهو معرفة الالفاظ الصادرة عن البليغ المشتهرة بين الاقوام بخصوص ألفاظها وهيئاتها ومورردها وسبب ورودها وقائلها وزمانها ومكانها لئلا يقع الغلط عند استعمالاتها في مضاربها ، وهي المواضع والمقامات المشبهة بمواردها، ولا بد لمعاني تلك الالفاظ المذكورة من حيث ورودها في مواردها مضاربها بالنوع ومباديه مقدمات حاصلة بالتواتر من ألفاظ الثقات .

وأما غرضه ومنفعته فغنيان عن البيان ، فان الامثال اشد ما يحتاج اليه المنشي والشاعر لانها تكسو الكلام حلة التزيين وترقية اعلى درجات التحسين .

ومن الكتب النافعة فيه كتاب لابن الانباري .

ومنها المستقصى في الامثال للزمخشري .

ومنها مجمع الامثال للاسفرائني وهو كتاب عظيم جامع كذا في مدينة

العلوم .

وقلت ومنها كتاب الامثال للميداني وهو أجمع ما جمع فيه .

قال في كشف الظنون علم الامثال يعني ضروبها وسيأتي في حرف الضّاد .

علم املاء الخط

هو علم فيه بحسب الاينية والكمية عن الاحوال العارضة لنقوش الخطوط العربية ، لا من حيث حسنها في السطور بل من حيث دلالتها على الالفاظ العربية بحسب الآلات الصناعية من القلم وامثاله بعد رعاية حال بسائط الحروف من حيث الدلالة على الحروف التي هي من اجزاء الالفاظ .

وهذا العلم من حيث حصول نقش الحروف بالآلة من انواع علم الخط .

ومن حيث دلالتها على الالفاظ من فروع علم العربية هذا حاصل ما ذكره ابو الخير ، وجعله من العلوم التي تتعلق باملاء الحروف المفردة وكتاب المطالع النصرية للمطابع المصرية احسن ما جمع في هذا العلم جمعه الشيخ العلامة نصر الوفا الهوريني في هذا الزمان وقد طبع بمصر القاهرة الآن .

علم انباط المياه

هو علم يتعرف منه كيفية استخراج المياه الكامنة في الارض واظهارها ، ومنفعته ظاهرة وهي احياء الارضين وافلاحها ، ونقل عن بعض العلماء انه قال : لو علم عباد الله تعالى رضاء الله تعالى في احياء ارضه لم يبق في وجه الارض موضع خراب .

وللكرخي فيه كتاب مختصر وفي خلال كتاب الفلاحة النبطية مهمات هذا العلم انتهى ما في مدينة العلوم ومفتاح السعادة ، وأورده العلامة ابو الخير رحمه

الله في فروع علم الهندسة .

علم الانساب

هو علم يتعرف منه انساب الناس .

وقواعده الكلية والجزئية والغرض منه الاحتراز عن الخطأ في نسب شخص ، وهو علم عظيم النفع جليل القدر اشار الكتاب العظيم في وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الى تفهمه .

وحث الرسول الكريم في (تعلموا انسابكم تصلوا ارحامكم) على تعلمه والعرب قد اعتنى في ضبط نسبه الى ان اكثر اهل الاسلام واختلط انسابهم بالاعجام فتعذر ضبطه بالآباء فانتسب كل مجهول النسب الى بلده او حرفته او نحو ذلك حتى غلب هذا النوع .

قال صاحب كشف الظنون وهذا العلم من زياداتي على مفتاح السعادة ، والعجب من ذلك الفاضل كيف غفل عنه مع انه علم مشهور طويل الذيل وقد صنفوا فيه كتبا كثيرة .

والذي فتح هذا الباب وضبط علم الانساب هو الامام النسابة (هشام بن محمد بن السائب الكلبي) المتوفى سنة اربع ومائتين فانه صنف فيه خمسة كتب : المنزلة والجمهرة والوجيز والفريد والملوك ، ثم اقتفى اثره جماعة اوردنا آثارهم هنا .

منها انساب الاشراف لابي الحسن احمد بن يحيى البلاذري وهو كتاب كبير كثير الفائدة كتب منه عشرين مجلدا ولم يتم .

وانساب حمير وملوكها لعبد الملك بن هشام صاحب السيرة .

وانساب الرشاطي .

وانساب الشعراء لابي جعفر محمد بن حبيب البغدادي النحوي .

وانساب السمعاني .

وانساب قريش لزبير بن بكار القرشي .

وانساب المحدثين للحافظ محب الدين محمد بن محمود بن النجار البغدادي .

وانساب القاضي المهذب انتهى ملخصا ولعلنا تكلمنا عن النسب في رسالتنا لقطة العجلان فيما تمس الى معرفته حاجة الانسان فليراجعها المحقق فانه مفيد جدا .

علم الانشاء

اي انشاء النثر وهو علم يبحث فيه عن المنثور من حيث انه بليغ وفصيح ومشتمل على الآداب المعتبرة عندهم في العبارات المستحسنة واللائقة بالمقام ، وموضوعه وغرضه وغايته ظاهرة مما ذكر .

ومباديه مأخوذة من تتبع الخطب والرسائل ، بل له استمداد من جميع العلوم سيما الحكمة العملية ، والعلوم الشرعية ، وسير الكمل ، وحكايات الامم ووصايا الحكماء والعقلاء ، وغير ذلك من الامور الغير المتناهية هذا ما ذكره الارنيقي وابو الخير .

واما ابن صدر الدين فانه لم يذكر سوى معرفة المحاسن والمعائب ونبذة من آداب المنشي ، وزبدة كلامه ان للنثر من حيث انه نثر محاسن ومعائب يجب على المنشي ان يفرق بينهما فيتحرز عن المعائب ، ولا بد ان يكون اعلى كعبا في العربية محترزا عن استعمال الالفاظ الغريبة وما يخل بفهم المراد ويوجب صعوبته ، وان يتحرز من التكرار وان يجعل الالفاظ تابعة للمعاني دون العكس ، اذ المعاني اذا تركت على سجيتها طلب لأنفسها ألفاظاً تليق فها فيحسن اللفظ والمعنى جميعا .

واما جعل الالفاظ متكلفة والمعاني تابعة لها فهو كلباس مليح على منظر قبيح

فيجب ان يجتنب عما يفعله بعض من لهم شغف بايراد شيء من المحسنات اللفظية فيصرفون العناية الى المحسنات ويجعلون الكلام كأنه غير مسوق لافادة المعنى فلا يبالون بخفاء الدلالات وركاكة المعنى .

ومن اعظم ما يليق لمن يتعاطى صناعة الانشاء ان يكتب ما يراد لا ما يريد كما قيل في الصاحب والصابي ان الصابي يكتب ما يراد والصاحب يكتب ما يريد .

ولا بد ان يلاحظ في كتاب النثر حال المرسل والمرسل اليه ويعنون الكتاب بما يناسب المقام انتهى .

والكتب المصنفة فيه كثيرة جدا منها ابكار الافكار للوطواط جمال الدين محمد بن ابراهيم بن يحيى الكتبي المتوفى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

ومنها كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابي الفتح ابن الاثير الجزري وهو في مجلدين .

وكتاب المعاني المخترعة في صناعة الانشاء لموفق الدين وله كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم وديوان الترسل في عدة مجلدات .

قال الارنيقي ومن العجب العجاب في علم الانشاء المقامات للحريري وقد عمل على اسلوبها كثير من الناس رأيت منها ثلثة وتواريخ العتبي وهذا يمكن عدهما من المحاضرات ايضا .

وقهوة الانشاء لابي بكر بن حجة ايضا والعتبي هو ابو النصر محمد بن عبد الجبار ذكر فيه احوال محمود بن سبكتكين وحروبه مع الاعداء وهذا الكتاب علم في الفصاحة والبلاغة واللطافة انتهى .

قلت ومن هذا الباب كتاب عجائب المقدور في احوال تيمور .

ومقامات البديع الهمداني .

ومقامات السيوطي .

وريحانة الالباء ونفحة الريحانة وما يليها من كتب الادب العربية فانها في علم الانشاء .

وقد طبع في هذا الزمن بمصر القاهرة كتب كثيرة لها تعلق بهذا الفن وبقي شيء كثير لم يطبع وبالجملة فهذا العلم طويل الذيل عظيم السيل كثير النفع لكن قصرت عنه همم العلماء حتى اندرس وطمس ولله الامر من قبل ومن بعد وعندنا ذخائر من صحف هذا الفن قد منّ الله تعالى لها علينا ولله الحمد وانتفعنا بها كثيرا .

علم الاوائل

هو علم يتعرف منه اوائل الوقائع والحوادث بحسب المواطن والنسب وموضوعه وغايته ظاهرة .

وهذا العلم من فروع علم التواريخ والمحاضرات لكنه ليس بمذكور في كتب الموضوعات ، وقد ألحق بعض المتأخرين مباحث الاواخر اليه وفيه كتب كثيرة منها .

كتاب الاوائل لابي هلال حسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة خمس وتسعين وثلثمائة ، وهو اول من صنف فيه وهو رسالة مختصرة وملخصة المسمى بالوسائل لجلال الدين السويطي .

ومنها اقامة الدلائل لابن حجر ، ومحاسن الوسائل للشبلي .

ومحاضرة الاوائل لعلي دده .

وازهار الجمال لابن دوقة كين والوسائل ارجوزة ايضا

وكتاب الاوائل للطبراني وكتاب الاوائل لمحمد بن ابي القاسم الراشدي ، وكتاب الجلال بن خطيب داريا

علم الاوراد المشهورة والادعية المأثورة

قد تقدم في هذا الباب بلفظ علم الادعية والاوراد فراجعه فانه ينفعك .

علم الاوزان والموازين

وهذا العلم لضبط اثقال الاحجار في البناء وضبط اثقال الاحمال ومعرفة مقاديرها ومعرفة الآلات التي توزن بها الاشياء من الميزان والقسطاس والصاع والكيل وامثال ذلك وضبط هذه الامور لا يتيسر الا لمن له حظ في علم الهندسة كما لا يخفى .

علم الاوزان والمقادير المستعملة في علم الطبّ من الدرهم والاوقية والرطل وغير ذلك

ولقد صنف له كتب مطولة ومختصرة يعرفها مزاولها هذا ما في مفتاح السعادة وقد جعله من فروع علم الطبّ .

قال في الكشف فيا ليت شعري ما هذه الكتب المطولة نعم هو باب من ابواب الكتب المطولة في الطب فلو كان امثال ذلك علما متفرعا على علم الطب لكان له فرع بل وأزيد منه انتهى .

وقال ابن خلدون في تاريخه المسمى بالعبران الدينار والدرهم مختلفا السكة في المقدار والموازين بالآفاق والامصار وسائر الاعمال والشرع قد تعرض لذكرهما ، وعلق كثيرا من الاحكام بهما في الزكوة والانكحة والحدود وغيرها فلا بد لهما عنده من حقيقة ومقدار معين في تقدير تجري عليهما احكامه دون غير الشرعي منهما .

فاعلم ان الاجماع منعقد منذ صدر الاسلام وعهد الصحابة والتابعين ان الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب ، والاوقية منه اربعين درهما ، وهو على هذا سبعة اعشار الدينار ووزن المثقال من الذهب ثنتان وسبعون حبة من الشعير ، فالدرهم الذي هو سبعة اعشاره خمسون حبة وخمسا حبة وهذه المقادير كلها ثابتة بالاجماع ، فان الدرهم الجاهلي كان بينهم على انواع اجودها الطبري وهو ثمانية دوانق ، والبغلي وهو اربعة دوانق فجعلوا الشرعي بينهما وهو ستة دوانق فكانوا يوجبون الزكاة في مائة درهم بغلية ومائة طبرية خمسة دراهم وسطا .

وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبد الملك او اجماع الناس بعد عليه ، ذكر ذلك الخطابي في كتاب معالم السنن والماوردي في الاحكام السلطانية وانكره المحققون من المتأخرين لما يلزم عليه ان يكون الدينار والدرهم الشرعيان مجهولين في عهد الصحابة ومن بعدهم مع تعلق الحقوق الشرعية بهما في الزكوة والانكحة والحدود وغيرها .

والحق انهما كانا معلومي المقدار في ذلك العصر لجريان الاحكام يومئذ بما يتعلق بهما من الحقوق ، وكان مقدارهما غير مشخص في الخارج وانما كان متعارفا بينهم بالحكم الشرعي على المقدر في مقدارهما وزنتهما حتى استفحل الاسلام وعظمت الدولة ودعت الحال الى تشخيصهما في المقدار والوزن كما هو عند الشرع ليستريحوا من كلفة التقدير ، وقارن ذلك ايام عبد الملك فشخص مقدارهما وعينهما في الخارج كما هو في الدهر ، ونقش عليهما السكة باسمه وتاريخه اثر الشهادتين الايمانيتين وطرح النقود الجاهلية رأسا حتى خلصت ، ونقش عليها سكة وتلاشى وجودها فهذا هو الحق الذي لا محيد عنه .

ومن بعد ذلك وقع اختيار اهل السكة في الدول على مخالفة المقدار الشرعي في الدينار والدرهم واختلفت في كل الاقطار والآفاق ورجع الناس الى تصور

مقاديرهما الشرعية ذهنا كما كان في الصدر الاول وصار اهل كل افق يستخرجون الحقوق الشرعية من سكتهم بمعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية .

واما وزن الدينار باثنين وسبعين حبة من الشعير الوسط فهو الـذي نقلـه المحققون وعليه الاجماع الا ابن حزم فانه خالف ذلك وزعـم ان وزنـه اربعـة وثمانون حبة نقل ذلك عنه القاضي عبد الحق ، وردّه المحققون وعدّوه وهماً وغلطا وهو الصحيح والله يحق الحق بكلمته ، وكذلك تعلم ان الاوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس لان المتعارفة مختلفة باختلاف الاقطار والشرعية متحـدة ذهنا لا اختلاف فيها والله خلق كل شيء فقدره تقديراً انتهى كلامه .

علم الاهتداء بالبراري والاقفار

هو علم يتعرف به احوال الامكنة من غير دلالة عليه بالامارات المحسوسة دلالة ظاهرة بل خفية بقوة الشامة فقط لا يعرفها الا من تدرب فيه ، كالاستدلال برائحة التراب ومسامتة الكواكب الثابتة ومنازل القمـر ، اذ لكل بقعـة رائحـة مخصوصة ، ولكل كوكب سمت يهتدي به كما قال الله تعالى (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) .

ونفع هذا العلم عظيم بين وإلا لهلك القوافل وضلت الجيوش وضاعت في البراري والقفاز .

وقيل قد يكون بعض من هو بليد في سائر العلوم ماهرا في هذا الفن كما يمكن عكسه ، وقد يحصل هذا النوع من التمييز في الابل والفرس هذا اصلاح ما في مفتاح السعادة .

وهو فرع من فروع علم الفراسة .

قال في مدينة العلوم حكى بعض المصنفين اني كنـت في قافلـة في مفـازة خوارزم وضللنا الطريق وعجز الكل عن الاهتداء فقدموا جملا هرماً وألقوا حبله

على غاربه فاخذ يتنقل من جانب الى جانب ومن تل الى تل ويتذبذب يمينا وشمالا وصعودا ونزولا واستمر على هذا الحال مقدار فرسخين وخفنا على انفسنا حتى وصل الى الجادة المستقيمة والصراط السوي والنهج القويم وتعجبنا منه كل العجب انتهى ولم اقف على تأليف في ذلك .

علم الآيات المتشابهات

كابراز القصة الواحدة في سور شتى وفواصل مختلفة ، بان يأتي في موضع مقدما وفي آخر مؤخرا وفي موضع بزيادة وفي موضع بدونها ، او مفردا ومنكرا ، وجمعا او بحرف وبحرف اخرى ، او مدغما ومنوناً الى غير ذلك من الاختلافات .

وهو من فروع التفسير .

واول من صنف فيه الكسائي ونظمه السخاوي .

ومما صنف فيه البرهان في توجبه متشابه القرآن ودرة التنزيل وغرة التأويل وهو احسن منه ، وكشف المعاني عن متشابه المثاني ، وملاك التأويل احسن من الجميع وقطف الازهار في كشف الاسرار .

علم ايام العرب

هو علم يبحث فيه عن الوقائع العظيمة والاهوال الشديدة بين قبائل العرب وتطلق الايام فتراد هذه على طريق ذكر المحل وارادة الحال ، والعلم المذكور يبنغي ان يجعل فرعا من فروع التواريخ وان لم يذكره ابو الخير مع انه ذكر ما هو ليس بمثابة ذلك .

وصنف فيه ابو عبيدة معمر بن المثنى البصري المتوفى سنة عشرة ومائتين كبيرا وصغيرا ذكر في الكبير الفا ومائتي يوم وفي الصغير خمسة وسبعين يوما .

وابو الفرج علي بن حسين الاصبهاني المتوفى سنة ست وخمسين وثلثمائة زاد عليه وجعل الفا وسبعمائة يوم .

علم الايجاز والاطناب

ذكره ابو الخير من فروع علم التفسير ، ولا يخفى انه من مباحث علم البلاغة فلا وجه لجعله فرعا من فروع علم التفسير الا انه التزم تسمية ما اورده السيوطي في اتقانه من الانواع علما وليس كما ينبغي وسيأتي تفصيل تلك الانواع في باب الميم .

باب الباء الموحدة

علم الباطن

هو معرفة احوال القلب والتخلية ثم التحلية ، وهذا العلم يعبر عنه بعلم الطريقة والحقيقة ايضا ، واشتهر علم التصوف به ، وسيأتي تمام تحقيقه فيه .

واما دعوى التقابل بين الظاهر والباطن كما يدعيه جهلة القوم فزعم باطل بشهادة العموم والخصوص .

علم البَاه

هو علم باحث عن كيفية المعالجة المتعلقة بقوة المباشرة من الاغذية المصلحة لتلك القوة ، والادوية المقوية والمزيدة للقوة او الملذذة للجماع او المعظمة او المضيقة وغير ذلك من الاعمال والافعال المتعلقة بها ، كذكر اشكال الجماع وآدابه الذين لهُما مدخل في اللذة وحصول امر الخيال ، الا انهم يذكرون لاجل اكثار الصناعة اشكالا يعسر فعلها بل يمتنع ، ويذيلون ذلك الاشكال بحكايات مشهية تحصل باستماعها الشهوة وتحرك قوة المجامعة ، وانما وضعوها لمن ضعفت قوة مباشرته او بطلت فانها تعيدها له بعد الاياس .

روي ان ملكا بطلت عنه القوة فزوج عبدا من مماليكه جارية حسناء وهيأ لهما مكانا بحيث يراهما الملك ولا يريانه فعادت قوته بمشاهدة افعالهما حتى خرجت من احليله شبيهة الخبز الرطب فقدر بعد ذلك قدرة زائدة انتهى ملخصا من المفتاح ومثله في مدينة العلوم .

ولا يبعد ان يقال وكذا النظر الى تسافد الحيوانات ، ولكن النظر الى فعل الانسان اقوى في تأثير عود القوة .

وهذا العلم من فروع علم الطب بل هو باب من ابوابه كبير غير انهم افردوه بالتأليف اهتماما بشأنه .

ومن الكتب المصنفة فيه كتاب الالفية والشلفية .

قال ابو الخير يحكى ان ملكا بطلت عنه قوة المباشرة بالكلية وعجز الاطباء عن معالجتها بالادوية فاخترعوا حكايات عن لسان امرأة مسماة بالالفية لما انها جامعها الف رجل ، فحكت عن كل منهم اشكالا مختلفة واوضاعاً متشتة ، فعادت باستماعها قوة الملك انتهى ومثله في مدينة العلوم .

والايضاح في اسرار النكاح اي في الباه للشيخ عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله الشيرازي وهو مختصر اوله الحمد لله الذي خلق الانسان من طين وانشد فيه :

عليك بمضمون الكتاب فاننا وجدناه حقا عندنا بالتجارب
يزيدك في الاتعاظ بطشا وقوة ويحظيك عند الغاينات الكواعب

قال في مدينة العلوم ومن الكتب الجامعة في هذا الباب كتاب رجوع الشيخ الى صباه في القوة على الباه ، وكتاب رشد اللبيب الى معاشرة الحبيب ، وكتاب الفتح المنصوب الى صيد المحبوب ، وكتاب تحفة العروس وجلاء النفوس ، وكتاب نصير الطوسي نافع في هذا الباب ، وقد طبع الكتاب الاول بمصر القاهرة في هذا الزمان فليعلم .

علم بدائع القرآن

ذكره ابو الخير من جملة فروع علم التفسير ولا يخفى انه هو علم البديع الا انه وقع في الكلام القديم .

علم البديع

هو علم تعرف به وجوه تفيد الحسن في الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ، وبعد رعاية وضوح الدلالة على المرام ، فان هذه الوجوه انما تعد محسنة بعد تينك الرعايتين والا لكان كتعليق الدرر على اعناق الخنازير ومرتبة هذه العلم بعد مرتبة علمي المعاني والبيان حتى ان بعضهم لم يجعله علما على حدة وجعله ذيلا لها لكن تأخر رتبته لا يمنع كونه علما مستقلا ولو اعتبر ذلك لما كان كثير من العلوم علما على حدة فتأمل وظهر من هذا موضوعه وغرضه وغايته .

قال في مدينة العلوم موضوعه اللفظ العربي من حيث التحسين والتزيين العرضيين بعد تكميل دائرتي الفصاحة والبلاغة .

وغرضه تحصيل ملكة تحلية الكلام بالمحسنات العرضيّة وغايته الاحتراز عن خلو الكلام عن التحلية المذكورة ومنفعته النظرية لنشاط السامع وزيادة القبول في العقول ومباديه تتبع الخطب والرسائل والاشعار المتحلية بالصنائع البديعية انتهى .

وعبارة الكشاف موضوعه اللفظ البليغ من حيث ان له توابع .

قال في الكشف واما منفعته فاظهار رونق الكلام حتى يلج الاذن بغير اذن ويتعلق بالقلب من غير كد وانما دونوا هذا العلم لان الاصل وان كان الحسن الذاتي وكان المعاني والبيان مما يكفي في تحصيله لكنهم اعتنوا بشأن الحسن العرضي ايضا ، لان الحسناء اذا عريت عن المزينات ربما يذهل بعض القاهرين

عن تتبع محاسنها فيفوت التمتع بها ثم ان وجوه التحسين الزائد اما راجعة الى تحسين المعنى اصالة وان كان لا يخلو عن تحسين اللفظ تبعا .

وأما راجعة الى تحسين اللفظ كذلك فالاولى تسمى معنوية والثانية لفظية .

وهذا الفن ذكره اهل البيان في اواخر علم البيان الا ان المتأخرين زادوا عليها شيئا كثيرا ونظموا فيه قصائد وألفوا كتبا .

ومن الكتب المختصة بعلم البديع كتاب البديع لأبي العباس عبد الله بن المعتز العباسي المتوفى سنة ستّ وتسعين ومائتين وهو اول من صنف فيه ، وكان جملة ما جمع منها سبع عشرة نوعا ألفه سنة اربع وسبعين ومائتين ، ولأبي احمد حسن العسكري ، وشهاب الدين احمد بن شمس الدين الخولي المتوفى سنة ثلث وتسعين وستمائة ، وزهرة الربيع للشيخ المطرزي ، ومنها بديعيات الادباء وهي قصائد مع شروحها .

قال في مدينة العلوم والبديع للتيفاشي والتحرير والتحبير لابن ابي الاصبع وشرح البديعيات لابن حجة ومن الكتب المشتملة على الفنون الثلثة روض الاذهان ، وكذا المصباح لابن مالك ، وكتاب مفتاح العلوم للسكاكي اشتمل على هذه الثلثة ، وقدم عليها الاشتقاق والنحو والصرف وأورد عقيب الثلثة المذكورة بطريق التكملة على الاستدلال علم العروض والقوافي ، ودفع المطاعن عن القرآن ، وله شروح كثيرة ذكرها في كشف الظنون منها شرح السعد التفتازاني .

ومن الكتب النافعة في العلوم المذكورة تلخيص المفتاح والايضاح وهو يجري مجرى الشرح للتلخيص كلاهما لقاضي القضاة جلال الدين القزويني الشافعي .

ومن اراد الوقوف في علم البلاغة على العجب العجاب والسحر في هذا الباب فعليه بكتاب دلائل الاعجاز واسرار البلاغة كلاهما من مؤلفات الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وقيل ان كتابيه في هذه الفنون بحران تنشعب منهما العيون

والله اعلم وحدائق البلاغة للشيخ شمس الدين الفقير وهي بالفارسية .

علم البُرد ومَسَافاتها

البُرد بضمتين جمع بريد وهو عبارة عن اربعة فراسخ وهو علم يتعرف منه كميّة مسالك الامصار فراسخ واميالا وانها مسافة شهرية او اقل او اكثر ذكره ابو الخير من فروع علم الهيئة وذلك اولى بان يسمى علم مسالك الممالك مع انه من مباحث جغرافيا .

علم البَلاغة

عبارة عن علم البيان والبديع والمعاني والغرض من تلك العلوم ان البلاغة سواء كانت في الكلام او في المتكلم رجوعها الى امرين :

احدهما الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد اي ما هو مراد البليغ من الغرض المصوغ له الكلام كما هو المتبادر من اطلاق المعنى المراد في كتب علم البلاغة ، فلا يندرج فيه الاحتراز عن التعقيد المعنوي كما توهمه البعض ولا الاحتراز عن التعقيد مطلقا .

والثاني تمييز الفصيح عن غيره ومعرفة ان هذا الكلام فصيح وهذا غير فصيح ، فسنه ما يبين في علم متن اللغة والتصريف او النحو او يدرك بالحس ، وهو اي ما يبين في هذه العلوم ما عدا التعقيد المعنوي فمست الحاجة للاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد الى علم ، واللاحتراز عن التعقيد المعنوي الى علم آخر فوضعوا لهما علمين المعاني والبيان وسموهما علم البلاغة لمزيد اختصاص لهما بها ، ثم احتاجوا لمعرفة ما يتبع البلاغة من وجوه التحسين الى علم آخر فوضعوا له علم البديع فما يحترز به عن الاول اي الخطفي التأدية علم المعاني وما يحترز به عن

الثاني اي التعقيد المعنوي علم البيان وما يعرف به وجوه التحسين علم البديع .

علم البنكامات

يعني الصور والاشكال الموضوعة لمعرفة الساعات المستوية والزمانية ، فاذا هو علم يعرف به كيفية اتخاذ آلات يقدر بها الزمان .

وموضوعه حركات مخصوصة في اجسام مخصوصة تنقضي بقطع مسافات مخصوصة .

وغايته معرفة اوقات الصلوات وغيرها من غير ملاحظة حركات الكواكب ، وكذلك معرفة الاوقات المفروضة للقيام في الليل اما للتهجد او للنظر في تدابير الدول ، والتأمل في الكتب والصكوك والخرائط المنضبط بها احوال المملكة والرعايا ، ولا يخفى ان هذين الامرين فرض كفاية وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب واستمداده من قسمي الحكمة الرياضي والطبيعي ومع ذلك يحتاج الى ادراك كثير وقوة تصرف ومهارة في كثير من الصنائع وهذا العلم عظيم النفع في الدين فانقسمت البنكامات الى الرملية وليس فيها كثير طائل والى بنكامات الماء وهي اصناف ولا طائل فيها ايضا والى بنكامات دورية معمولة بالدواليب يدير بعضها بعضا .

قال في كشف الظنون وهذا العلم من زياداتي على مفتاح السعادة فان ما ذكر صاحبه من انه علم بآلات الساعات ليس كما ينبغي فتأمل ، ومن الكتب المصنفة فيه الكواكب الدرية والطرق السنية في الآلات الروحانية في بنكامات الماء وكلاهما للعلامة تقي الدين الراصد وكتاب بديع الزمان في الآلات الروحانية انتهى .

وفي مدينة العلوم كتاب ارشميدس هو العمدة في هذا الفن وللمتأخرين فيه تصانيف مفيدة حسنة جدا .

علم البيان

هو علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة في وضوح الدلالة على المقصود بان تكون دلالة بعضها اجلى من بعض .

وموضوعه اللفظ العربي من حيث وضوح الدلالة على المعنى المراد .

وغرضه تحصيل ملكة الافادة بالدلالة العقلية وفهم مدلولاتها ليختار الاوضح منها مع فصاحة المفردات وغايته الاحتراز من الخطأ في تعيين المعنى المراد بالدلالة الواضحة .

ومباديه بعضها عقلية كأقسام الدلالات والتشبيهات والعلاقات المجازية ومراتب الكنايات وبعضها وجدانية ذوقية كوجوه التشبيهات واقسام الاستعارات وكيفية حسنها ولطفها ، وانما اختاروا في علم البيان وضوح الدلالة لان بحثهم لما اقتصر على الدلالة العقلية اعني التضمنية والالتزامية وكانت تلك الدلالات خفية سيما اذا كان اللزوم بحسب العادت والطبائع وبحسب الالف فوجب التعبير عنهما بلفظ اوضح ، مثلا اذا كان المرئي دقيقا في الغاية تحتاج الحاسة في ابصارها الى شعاع قوي بخلاف المرئي اذا كان جليا وكذا الحال في الروية العقلية اعنى الفهم والادراك .

والحاصل ان المعتبر في علم البيان دقة المعاني المعتبرة فيها من الاستعارات والكنايات مع وضوح الالفاظ الدالة عليها .

قال في كشاف اصطلاحات الفنون علم البيان علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه كذا ذكر الخطيب في التلخيص ، وقد احترز به عن ملكة الاقتدار على ايراد المعنى العادي عن الترتيب الذي يصير به المعنى معنى الكلام المطابق لمقتضى الحال بالطرق المذكورة فانها ليست من علم البيان ، وهذه الفائدة اقوى مما ذكره السيد السند من ان فيما ذكره القوم تنبيهاً على

ان علم البيان ينبعي ان يتأخر عن علم المعاني في الاستعمال وذلك لانه يعلم منه هذه الفائدة ايضا فان رعاية مراتب الدلالة في الوضوح والخفاء على المعنى ينبغي ان يكون بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال فان هذه كالاصل في المقصودية وتلك فرع وتتمة لها وموضعه اللفظ البليغ من حيث انه كيف يستفاد منه المعنى الزائد على اصل المعنى وان شئت زيادة التوضيح فارجع الى الاطول انتهى .

قال ابن خلدون في بيان علم البيان هذا العلم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة وهو من العلوم اللسانية لانه متعلق بالالفاظ وما تفيده ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني .

وذلك وان الامور التي يقصد المتكلم بها افادة السامع من كلامه هي اما تصور مفردات تسند ويسند اليها ويفضي بعضها الى بعض والدالة على هذه هي المفردات من الاسماء والافعال والحروف .

واما تمييز المسندات من المسند اليها والأزمنة ويدل عليها بتغير الحركات وهو الاعراب وابنية الكلمات وهذه كلها هي صناعة النحو ويبقى من الامور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة احوال المتخاطبين او الفاعلين وما يقتضيه حال الفعل وهو محتاج الى الدلالة عليه لانه من تمام الافادة ، واذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الافادة في كلامه واذا لم يشتمل على شيء منها فليس من جنس كلام العرب فان كلامهم واسع ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الاعراب والابانة ، ألا ترى ان قولهم زيد جاءني مغاير لقولهم جاءني زيد من قبل ان المتقدم منهما هو الأهم عند المتكلم .

ومن قال زيد جاءني افاد ان اهتمامه بالمجيء قبل الشخص المسند اليه .

ومن قال زيد جاءني افاد ان اهتمامه بالشخص قبل المجيء المسند .

وكذا التعبير عن اجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول او مبهم او معرفة ، وكذا تأكيد الاسناد على الجملة كقولهم : زيد قائم ، وان زيد قائم ،

وان زيد القائم متغايرة كلها في الدلالة وان استوت من طريق الاعراف .

فان الاول العادي عن التأكيد انما يفيد الخالي الذهن .

والثاني المؤكد بأن يفيد المتردد .

والثالث يفيد المنكر فهي مختلفة .

وكذلك تقول جاءني الرجل ثم تقول مكانه بعينه جاءني رجل اذا قصدت بذلك التنكير تعظيمه وانه رجل لا يعادله احد من الرجال ثم الجملة الاسنادية تكون خبرية وهي التي لها خارج تطابقه اولا وانشائية وهي التي لا خارج لها كالطلب وانواعه ثم قد يتعين ترك العاطف بين الجملتين ، اذا كان للثانية محل من الاعراب فينزل بذلك منزلة التابع المفرد نعتا وتوكيداً وبدلاً بلا عطف او يتعين العطف اذا لم يكن للثانية محل من الاعراب ، ثم يقتضي المحل الاطناب والايجاز فيورد الكلام عليهما ثم قد يدل باللفظ ولا يريد منطوقه ويريد لازمه ، ان كان مفردا كما تقول .

زيد اسد ، فلا تريد حقيقة الاسد المنطوقة وانما تزيد شجاعته اللازمة وتسندها الى زيد وتسمى هذه استعارة .

وقد تريد باللفظ المركب الدلالة على ملزومه كما تقول زيد كثير الرماد وتريد به ما لزم ذلك عنه من الجود وقرى الضيف لان كثرة الرماد ناشئة عنهما فهي دالة عليهما وهذه كلها دلالة زائدة على دلالة الالفاظ المفرد والمركب ، وانما هي هيئات واحوال لواقعات جعلت للدلالة عليها احوال وهيئات في الالفاظ كل بحسب ما يقتضيه مقامه ، فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالات التي للهيئات والاحوال والمقامات ، وجعل على ثلثة اصناف :

الصنف الاول يبحث فيه عن هذه الهيئات والاحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال ويسمى علم البلاغة .

والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه وهي

الاستعارة والكناية كما قلناه ويسمى علم البيان ، وألحقوا بهما صنفاً آخر وهو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق ، اما بسجع يفصله او تجنيس يشابه بين ألفاظه ، وترصيع يقطع اوزانه ، او تورية عن المعنى المقصود بايهام معنى اخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما وامثال ذلك ويسمى عندهم علم البديع .

واطلق على الاصناف الثلثة عند المحدثين اسم البيان ، وهو اسم الصنف الثاني لان الاقدمين اول ما تكلموا فيه ثم تلاحقت مسائل الفن واحدة بعد اخرى .

وكتب فيها جعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة وامثالهم ملاءات غير وافية .

ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئا فشيئا الى ان محض السكاكي زبدته وهذب مسائله ورتب ابوابه على نحو ما ذكرناه آنفا من الترتيب والف كتابه المسمى بالمفتاح في النحو الصرف والبيان ، فجعل هذا الفن من بعض اجزائه واخذه المتأخرون من كتابه ولخصوا منه امهات هي المتداولة لهذا العهد كما فعله السكاكي في كتاب التبيان ، وابن مالك في كتاب المصباح ، وجلال الدين القزويني في كتاب الايضاح والتلخيص وهو اصغر حجما من الايضاح .

والعناية به لهذا العهد عند اهل المشرق في الشرح والتعليم منه اكثر من غيره وبالجملة فالمشارقة على هذا الفن اقوم من المغاربة وسببه والله اعلم انه كما لي في العلوم اللسانية والصنائع الكمالية توجد في العمران والمشرق اوفر عمرانا من المغرب .

او نقول لعناية العجم وهو معظم اهل المشرق كتفسير الزمخشري وهو كل مبني على هذا الفن وهو اصله ، وانما اختص بأهل المغرب من اصنافه علم البديع خاصة وجعلوه من جملة علوم الادب الشعرية وفرعوا له ألقاباً وعددوا ابوابا ونوعوا وزعموا انهم احصوها من لسان العرب ، وانما حملهم على ذلك الولوع بتزيين الالفاظ .

وان علم البديع سهل المأخذ وصعبت عليهم مآخذ البلاغة والبيان لدقة انظارهما وغموض معانيهما فتجافوا عنهما .

ومن الف في البديع من اهل افريقية ابن رشيق وكتاب العمدة له مشهور وجرى كثير من اهل افريقية والاندلس على منحاه .

واعلم ان ثمرة هذا الفن انما هي في فهم الاعجاز من القرآن لان اعجازه في وفاء الدلالة منبه لجميع مقتضيات الاحوال منطوقة ومفهومة وهي اعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالالفاظ في انتقائها وجودة رصفهاوتركيبها وهذا هو الاعجاز الذي تقصر الافهام عن دركه وانما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته فيدرك من اعجازه على قدر ذوقه ، فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه اعلى مقاما في ذلك لانهم فرسان الكلام وجهابذته ، والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحه .

واحوج ما يكون الى هذا الفن المفسرون ، واكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر جار الله الزمخشري ، ووضع كتابه في التفسير ، جي القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض من اعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير لولا انه يؤيد عقائد اهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة ، ولاجل هذا يتحاماه كثير من اهل السنة مع وفور بضاعته من البلاغة فمن احكم عقائد اهل السنة وشارك في هذا الفن بعض المشاركة حتى يقتدر على الرد عليه من جنس كلامه او يعلم انه بدعة فيعرض عنها ولا تضر في معتقده فانه يتعين عليه النظر في هذا الكتاب للظفر بشيء من الاعجاز مع السلامة من البدع والاهواء والله الهادي من يشاء الى سواء السبيل انتهى كلام ابن خلدون .

واقول ان تفسير ابي السعود قد وفى بحق المعاني والبيان والبديع التي في القرآن الكريم على نحو ما اشار اليه ابن خلدون ، بيد أنه رجل فقيه لا يفسر الكتاب على مناحي السلف ولا يعرف علم الحديث حق المعرفة ، فجاء الله

سبحانه بقاضي القضاة محمد بن علي الشوكاني اليمني رحمه الله ووفقه لتفسير كتابه العزيز على طريقة الصحابة والتابعين ، وحذا حذوهم وميز بين الاقوال الصحيحه والآراء السقيمة وفسر بالاخبار المرفوعة والآثار المأثورة وحل المعضلات وكشف القناع عن وجوه المشكلات اعرابا وقراءة فجزاه الله عنا خير الجزاء .

ثم وفق الله سبحانه هذا العبد بتحرير تفسير جامع لهذه كلها على ابلغ اسلوب وامتن طريقة يغني عن تفاسير الدنيا بتمامها وهو في اربع مجلدات وسماه (فتح البيان في مقاصد القرآن) ولا اعلم تفسيراً على وجه البسيطة يساويه في اللطافة والتنقيح او يوازيه في الرقة والتصحيح ، ومن يرتاب في دعواي هذه فعليه بتفاسير المحققين المعتمدين ينظر فيها اولا ثم يرنو في ذلك يتضح له الامر كالنيرين ويسفر الصبح لذي عينين وبالله التوفيق .

قال في مدينة العلوم ومن الكتب المفردة فيه الجامع الكبير لابن اثير الجزري ونهاية الاعجاز للامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى انتهى .

علم البيرزة

هو علم يبحث فيه عن احوال الجوارح من حيث حفظ صحتها وازالة مرضها ومعرفة العلامات الدالة على قوتها في الصيد وضعفها فيه .

وموضوعه وغايته وغرضه ظاهر لا يخفى على احد ، وكتاب القانون الواضح كاف في هذا العلم كذا في مفتاح السعادة ومثله في مدينة العلوم .

علم البيطرة

هو علم يبحث فيه عن احوال الخيل ، من جهة ما يصح ويمرض وتحفظ صحته ، ويزول مرضه وهذا في الخيل بمنزلة الطب في الانسان .

وموضوعه وغايته ظاهرة للمتبصر ومنفعته عظيمة لان الجهاد والحج لا يقوم ولا يقوى صاحبه إلا به .

وعبارة مدينة العلوم واما منفعته فمن اعظم المنافع جدا لانه عمود الاسلام وبه يقوى احد مباني الاسلام اعني الجهاد في سبيل الله بل الحج ايضا وقد قال النبي ﷺ في حقها (الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة) الى غير ذلك من اوصافها .

والخيل ما زال ممدوحاً بكل الالسنة في كل زمان ، وكتاب حنين بن اسحق كاف في هذا الباب انتهى وقد طبع بمصر القاهرة كتاب مشكوة اللائذين في علم الاقراباذين البيطري ،وهو للماهر المعلم لابتوت وترجمة من اللغة الفرنساوية الى اللغة العربية الحاذق الطبيب محمد افندي عبد الفتاح قال فيه :

اعلم ان المادة البيطرية الطبية اهم فروع البيطرة ، وهي علم يبحث فيه عن الاحوال المختلفة التي للادوية وبه يتمكن الطبيب من انتخاب الادوية ويعرف قوتها واستعمالها وكيفيات تحصيلها المختلفة ، فعلم من هذا التعريف موضوع المادة الطبية مع اختصار على حسب الآراء العامّة المتعلقة به .

والواقع ان الكليات التي يتخذها هذا الفرع من علم تاريخ الحيوانات الطبيعي من حيث اصل الجواهر الطبية واوصافها الطبيعية وكيفية تركيبها وخواصها الكيمياوية واعتبار تأثيرها في بنية الحيوان فحينئذ يتمكن الطبيب من معرفة مقاديرها والاوقات الملائمة لاستعمالها يتم الفرع المذكور ويصير بها كاملا ويعلم منه كيفية تأثيرها الفيسلوجي وكيفية تحصيلها واستعمالها في الامراض ، ثم ان الادوية المذكورة في هذا القانون هي الادوية التي جعلت وخصصت لمعالجة الحيوانات في الاسبيتاليات المصرية انتهى كلامه وهذا الكتاب مجلد لطيف يحتوي على مسائل من هذا العلم وقفت عليه .

بَاب التَّاء

علم التاريخ

التاريخ في اللغة تعريف الوقت مطلقاً ، يقال : ارخت الكتاب تأريخاً وورخته توريخاً كما في الصحاح ، قيل وهو معرب من ماه وروز .

وعُرفا هو تعيين وقت لينسب اليه زمان يأتي عليه او مطلقا يعني سواء كان ماضياً او مستقبلا .

وقيل تعريف الوقت باسناده الى اول حدوث امر شائع من ظهور ملة او دولة او امر هائل من الآثار العلوية والحوادث السفلية مما يندر وقوعه ، جعل ذلك مبدأ لمعرفة ما بينه وبين اوقات الحوادث والامور التي يجب ضبط اوقاتها في مستأنف السنين .

وقيل عدد الايام والليالي بالنظر الى ما مضى من السنة ، والشهر والى ما بقي وفيه كتاب لقطة العجلان مما تمس اليه حاجة الانسان للمؤلف عفا الله عنه .

وعلم التاريخ هو معرفة احوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع اشخاصهم وانسابهم ووفياتهم الى غير ذلك .

وموضوعه احوال الاشخاص الماضية من الانبياء والاولياء والعلماء والحكماء والملوك والشعراء وغيرهم .

والغرض منه الوقوف على الاحوال الماضية وفائدته العبرة بتلك الاحوال والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن ليحترز عن امثال ما نقل من المضار ويستجلب نظائرها من المنافع كذا في مدينة العلوم .

وهذا العلم كما قيل عمر آخر للناظرين والانتفاع في مصره بمنافع تحصل للمسافرين كذا في مفتاح السعادة ، وقد جعل صاحبه لهذا العلم فروعا كعلوم الطبقات والوفيات لكن الموضوع مشتمل عليها فلا وجه للافراد والتفصيل في مقدمة الفذلكة من مسودات جامع المجلة .

واما الكتب المصنفة في التاريخ فقد استقصيناها الى الف وثلثمائة انتهى ما في كشف الظنون .

ومن الكتب المصنفة فيه تاريخ ابن كثير الحافظ عماد الدين .

وتاريخ ابي جعفر محمد بن جرير الطبري وتاريخه اصح التواريخ وأثبتها .

وتاريخ ابن اثير الجزري سماه الكامل ابتدأ فيه من اول الزمان الى آخر سنة ٢٣٨ وهو من خيار التواريخ .

وتاريخ ابن الجوزي المحدث وهو مجلدات سماه المنتظم في تواريخ الامم .

وتاريخ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي قال ابن خلكان رأيته بخطه في اربعين مجلدا .

وقال الارنيقي وانا رأيته في ثمان مجلدات لكنّ في مجلدات ضخام بخط دقيق .

وتاريخ ابن خلكان البرمكي الشافعي ، قال الارنيقي رأيته في خمس مجلدات بخطه قلت قد طبع بمصر القاهرة في مجلدين ضخمين .

وتاريخ الحافظ ابن حجر العسقلاني مجلدان .

وتاريخ آخر له المسمى بانباء الغمر وهو مجلدان .

وله ايضا الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة .

وتاريخ الخطيب البغدادي عشر مجلدات .

وذيل تاريخ بغداد للحافظ محب الدين بن النجار جاوز ثلثين مجلدا .

وتاريخ ابي سعيد السمعاني نحو خمسة عشر مجلدا وذيل تاريخ السمعاني للدبيثي[1]قرية من نواحي واسط في ثلث مجلدات .

وتاريخ الحافظ محمد بن احمد الذهبي المحدث الامام وصنف التاريخ الكبير ثم الاوسط المسمى بالعبر والصغير المسمى دول الاسلام .

وكتاب البارع لهان روبن علي المنجم البغدادي .

وتاريخ يتيمة الدهر للثعالبي ودمية القصر للباخوزي وزينة الدهر للخطري .

وخريدة القصر تجريدة العصر للعماد الاصبهاني .

وتاريخ بدر الدين العيني الحنفي .

وتاريخ الحافظ ابن عساكر سبعة وخمسون مجلدا قال الارنيقي ومن اصح التواريخ واحسنها وألطفها لوروده بعبارات عذبة وانفعها للناس لاشتماله على المهمات .

تاريخ اليافعي مجلدان كبيران وكتب التواريخ اكثر من ان تحصى لكن ان فزت بما ذكر فزت المرام وان اردت التوغل فيه فعليك بكتاب مروج الذهب للمسعودي واخبار الزمان له ايضا وبستان التواريخ ومعادن الذهب وبوادر الاخبار وعيون التواريخ انتهى .

وعدّ كتباً من التواريخ لا نطول بذكرها الكتاب ثم قال .

واما التواريخ في لسان الفرس فاكثر من ان تحصى تركنا ذكرها للاستغناء بما ذكرنا منها انتهى .

---

(١) دُبَثي بضم اوله مقصورا قرية بواسط . قاموس .

قلت وقد استوفى في الكشف اسماء التواريخ مع اسماء مؤلفيها فان شئت الاطلاع فارجع اليه .

ومن الكتب النفيسة المعتبرة في هذا العلم تاريخ القاضي عبد الرحمن بن محمد الاشبيلي الحضرميّ المالكي المتوفى سنة ثمان وثمانمائة وهو كبير عظم النفع والفائدة رُتب على السنين وروي انه كان في وقعة تيمور قاضيا بحلب فحصل في قبضته اسيراً سميراً فكان يصاحبه وسافر معه الى سمرقند ، فقال له يوما لي تاريخ كبير جمعت فيه الوقائع باسرها فخلفته بمصر وسيظفر به المجنون يشير الى برقوق فقال له : هل يمكن تلافي هذا الامر واستخلاص الكتاب ، فاستأذنه في ان يعود الى مصر ليجيء به فأذن له .

ولعل ذلك الكتاب هو كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر .

وقد اشتهر نحو ثلثة بالمقدمة ودون مفردا وهو كتاب مفيد جامع لمنافع لا توجد في غيره شرح الشيخ احمد المغربي المتوفى سنة احدى واربعين ، والف مؤرخ الاندلس مقدمته كذا اخبر به ابن البيلوني .

وترجم اوائل المقدمة شيخ الاسلام محمد صاحب المعروف ببيري زاده المتوفى سنة اثنتين وستين ومائة والف انتهى .

علم تاريخ الخلفاء

هو علم من فروع التواريخ ، وقد افرد بعض العلماء تاريخ الخلفاء الاربعة وهم أحقاء بالاعتناء وبعضهم ضم معهم الامويين والعباسيين لاشتمال احوالهم على مزيد الاعتبار .

والكتب المصنفة فيه كثيرة لا تخفى على ذوي الاحاطة منها .

تحفة الظرفاء في تاريخ الخلفاء وفيه كتاب لجلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى سماه تاريخ الخلفاء وقد طبع بمصر .

علم التأويل

اصله من الاول وهو الرجوع فكان المأوّل صرف الآية الى ما تحتمله من المعاني .

وقيل من الايالة وهي السياسة فكأنه ساس الكلام ووضع المعنى موضعه .

واختلف في التفسير والتأويل فقال ابو عبيد وطائفة هما بمعنى وقد انكر ذلك قوم .

وقال الراغب التفسير أعم من التأويل واكثر استعماله في الالفاظ ومفرداتها واكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل واكثر ما يستعمل في ا لكتب الالهيّة .

وقال غيره التفسير بيان لفظ لا يحتمل الا وجهاً واحدا والتأويل توجيه لفظ متوجه الى معان مختلفة الى واحد منها بما ظهر من الادلة .

وقال الما تريدي التفسير القطع على ان المراد من اللفظ هذا والشهادة على الله سبحانه وتعالى انه عني باللفظ هذا والتأويل ترجيح احد المحتملات بدون القطع والشهادة .

وقال ابو طالب الثعلبي التفسير بيان وضع اللفظ اما حقيقة او مجازا والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الاول وهو الرجوع لعاقبة الأمر ، فالتأويل اخبار عن حقيقة المراد ، والتفسير اخبار عن دليل المراد مثاله قوله سبحانه وتعالى (ان ربك لبالمرصاد) وتفسيره انه من الرصد مفعال منه وتأويله التحذير من التهاون بامر الله سبحانه وتعالى .

وقال الاصبهاني التفسير كشف معاني القرآن وبيان المراد اعم من ان يكون بحسب اللفظ او بحسب المعنى والتأويل اكثره باعتبار المعنى .

والتفسير اما ان يستعمل في غريب الالفاظ ، او في وجيز يتبين بشرحه ، واما في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره الا بمعرفتها .

وأما التأويل فانه يستعمل مرة عاما ومرة خاصا ، نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق وتارة في جحود الباري خاصة .

واما في لفظ مشترك بين معان مختلفة .

وقيل يتعلق التفسير بالرواية والتأويل بالدراية .

وقال ابو نصر القشيري التفسير مقصور على السماع والاتباع والاستنباط فيما يتعلق بالتأويل .

وقال قوم ما وقع مبيناً في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ يسمى تفسير او ليس لأحد ان يتعرض اليه باجتهاد بل يحمل على المعنى الذي ورد فلا يتعداه والتأويل ما استنبطه العلماء العالمون بمعنى الخطاب الماهرون في آلات العلوم .

وقال قوم منهم البغوي والكواشي هو صرف الآية الى معنى موافق لما قبلها وبعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط انتهى ، ولعله هو الصواب هذا خلاصة ما ذكره ابو الخير في مقدمة علم التفسير .

وقد ذكر في فروع علم الحديث علم تأويل اقوال النبي ﷺ وقال : هذا علم معلوم موضوعه وبين نفعه وظاهر غايته وغرضه وفيه رسالة نافعة لمولانا شمس الدين الفناري .

وقد استخرج للاحاديث تأويلات موافقة للشرع بحيث يقول من رآها لله دره وعلى الله اجره .

وايضا للشيخ صدر الدين القونوي شرح بعض الأحاديث على التأويلات لكن بعضها مخالف لما عرف من ظاهر الشرع مثل قوله ان الفلك الاطلس المسمى بلسان الشارع العرش وفلك الثوابت المسمى عند اهل الشرع الكرسي قديمان واحال ذلك الى الكشف الصحيح والعيَان الصريح ، وادعى ان هذا غير مخالف

للشرع لان الوارد فيه حدوث السموات السبع والارضين ، الا ان هذا الشيخ قد أبدع في سائر التأويلات بحيث ينشرح الصدر والبال والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة الحال انتهى .

اقول شرح تسعة وعشرين حديثا سماه كشف اسرار جواهر الحكم وما ذكره من القول بالقدم ليس هو اول من يقول به بل هو مذهب شيخه ابن عربي وشيوخ شيخه كما لا يخفى على من تتبع كلامهم .

علم تبيين المصالح المرعية في كل باب من الابواب الشرعية

وهو علم يعرف به حكمة وضع القوانين الدينية وحفظ النسب الشرعية بأسرها .

واما موضوعه فهو النظام التشريعي المحمدي الحنيفي على صاحبه الصلوة والسلام من حيث المصلحة والمفسدة .

واما غايته فهو عدم وجدان الحرج فيما قضى الله ورسوله والانقياد التام للاحكام الالهية ، وكمال الوثوق والاطمئنان بها ، والمحافظة عليها بحيث تنجذب اليها النفس بالكلية ولا تميل الى خلاف مسلكها .

وفي هذا العلم كتاب حجة الله البالغة للشيخ الاجلّ احمد ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي المتوفى سنة ١١٧٤ الهجرية وقل من صنف فيه او خاض في تأسيس مبانيه ، او رتب منه الاصول والفروع ، او أتى بما يسمن او يغني من جوع ، كيف ولا تتبين اسراره الا لمن تمكن في العلوم الشرعية باسرها واستبد بالفنون الالهية عن آخرها ، ولا يصفو مشربه الا لمن شرح الله صدره لعلم لدني وملأ قلبه بسرٍ وهبي ، وكان مع ذلك وقاد الطبيعة سيال القريحة حاذقا في التقرير والتحرير بارعا في التوجيه والتحبير ، وقد عرف كيف يوصل الاصول ويبني عليها الفروع وكيف يمهد القواعد ويأتي لها بشواهد المعقول والمسموع ، ولم

اعرف احد اتاه الله منه حظا وجعل له منه نصيبا الا صاحب الحجة فانه قد تفرد بالتأليف في هذا العلم وهدى الناس الى المحجة والله اعلم .

علم التجويد

هو علم باحث عن تحسين تلاوة القرآن العظيم من جهة مخارج الحروف وصفاتها وترتيل النظم المبين باعطاء حقها من الوصل والوقف والمد والقصر والروم والادغام والاظهار والاخفاء والامالة والتحقيق والتفخيم والتشديد والتخفيف والقلب والتسهيل الى غير ذلك .

وموضوعه وغايته ونفعه ظاهر .

وهذا العلم نتيجة فنون القراءة وثمرتها وهو كالموسيقى من جهة ان العلم لا يكفي فيه ، بل هو عبارة عن ملكة حاصلة من تمرن امرء بفكه وتدربه بالتلقف عن افواه معلميه ، ولذلك لم يذكره ابو الخير واكتفى عنه بذكر القراءة وفروعه والتجويد اعم من القراءة .

واول من صنف في التجويد موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الخاقاني البغدادي المقري المتوفى سنة خمس وعشرين وثلثمائة ذكره ابن الجزري ومن المصنفات فيه الدر اليتيم وشرحه والرعاية وغاية المراد المقدمة الجزرية وشروحها واضحة .

علم تحسين الحروف

سيأتي تحقيقه في علم الخط هكذا في الكشف قال في مدينة العلوم هو علم يعرف منه تحسين تلك النقوش ومايتعلق به من كيفية استعمال ادوات الكتابة وتمييز حسنها عن رديها واسباب الحسن في الحروف آلة واستعمالا وترتيبا ومبنى هذا الفن

الاستحسانات الناشئة من مقتضى الطباع السليمة ، وتختلف صورها بحسب الالف والعادة والمزاج بل بحسب كل شخص شخص ولهذا لا يكاد يوجد خطان متماثلان من كل الوجوه انتهى .

علم تدبير المنزل

هو قسم من ثلثة اقسام الحكمة العملية .

وعرفوه بانه علم يعرف منه اعتدال الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجته واولاده وخدامه وطريق علاج الامور الخارجة عن الاعتدال ووجه الصواب فيها .

وموضوعه احوال الاشخاص المذكورة من حيث الانتظام ونفعه عظيم لا يخفى على احد حتى العوام لان حاصله انتظام احوال الانسان في منزله ليتمكن بذلك من رعاية الحقوق الواجبة بينه وبينهم ، ويتفرع على اعتدالها كسب السعادة الآجلة والعاجلة .

والاخصر ان يقال هو علم بمصالح جماعة متشاركة في المنزل .

وفائدته ان يعرف كيفية المشاركة التي ينبغي ان تكون بين اهل المنزل .

واعلم انه ليس المراد بالمنزل في هذا المقام البيت المتخذ من الاحجار والاشجار بل المراد التألف المخصوص الذي يكون بين الزوج والزوجة والوالد والولد والخادم والمخدوم والمتمول والمال ، سواء كانوا من اهل المدر او اهل الوبَرْ .

واما سبب الاحتياج اليه فكون الانسان مدنياً بالطبع وكتب علم الاخلاق متكفلة ببيان مسائل هذا الفن وقواعده واشهر كتب هذا العلم كتاب بردوش وفي هذا العلم كتب كثيرة غير هذا .

علم ترتيب حروف التهجي

سيأتي بيانه في الخط قال في مدينة العلوم هو علم يبحث فيه عن كيفية ترتيب حروف التهجي في الكتابة ، هذا الترتيب المعهود فيما بيننا واشتراك بعضها ببعض في صورة الخط وإزالة التباسها بالنقط واختلاف تلك النقط بكونها تحتانية في البعض وفوقانية في الآخر ومثناة او مثلثة كذلك الى غير ذلك مما يتعلق بهذا الشأن .

وموضوع هذا العلم ومباديه وغرضه وغايته ومنفعته ظاهرة ، ولابن الجني والجزي رسالة في هذا الباب وكذا اورد القلقشندي ما فيه كفاية في كتاب صبح الاعشى .

علم ترتيب العساكر

هو علم باحث عن قود الجيوش وترتيبهم ونصب الرؤساء لضبط احوالهم وتهيئة ارزاقهم ، وتمييز الشجاع عن الجبان ، واستمالة قلوبهم بالاحسان اليهم فوق الاحسان الى الضعفاء من الاقران ، وتهيئة آلات القتال وألبسة الحروب والسلاح .

ومن آداب قود العساكر ان يأمر كلا منهم بالزهد والصلاح ليفوز بالخير والفلاح ، يأمرهم ان لا يظلموا احدا ولا ينقضوا عهدا ، ولا يهملوا ركنا من اركان الشريعة فان اهمالها الى استئصال الدولة ذريعة ايّ ذريعة هذا تلخيص ما ذكره ابو الخير وجعله من فروع الحكمة العملية ، لكنه على الوجه الذي ذكره مندرج في علم سياسة الملوك بل الامور المذكورة من مسائل ذلك العلم .

فأقول ينبغي ان يكون موضوع هذا العلم ما ذكره الحكماء في كتب التد ي الحربية فهو علم يبحث فيه عن ترتيب الصفوف يوم الزحف وخواص اشكال التعابي واحوال ترتيب الرجال والغرض منه والغاية لا يخفى على كل احد .

وقالوا ان الرجال كالاشباح والتعابي كالارواح فاذا حلت الارواح الاشباح حصلت الحياة .

وقد اجرى الله سنته ان كل عسكر مرتب التعابي منصور .

وقد صنف فيه بعض الكبار رسائل ظفرت ببعضها ولله الحمد وسيأتي في علم التعابي ،وانه هو ترتيب العساكر كما عرفه به ذلك الفاضل وفي كتاب الاحكام السلطانية للماوردي ما يكفي في هذا الباب .

علم الترسل

من فروع علم الانشاء لان هذا بطريق جزئي وذلك بطريق كلي .

وهو علم تذكر فيه احوال الكاتب والمكتوب والمكتوب اليه ، من حيث الادب والاصطلاحات الخاصة الملائمة لكل طائفة طائفة ، ومن حيث العبارات التي يجب الاحتراز عنها مثل الاحتراز عن الدعاء للمخدرات بقولهم ادام الله سبحانه وتعالى حراستها المكان لفظ الحر والاست وعن ذكر لفظ القيام كقولهم الى قيام الساعة وامثال ذلك .

وموضوعه وغايته وغرضه ظاهرة للمتأمل .

ومباديه اكثرها بديهية وبعضها امور استحسانية كذا في مدينة العلوم .

قال ومن الكتب المصنفة فيه مصطلح الكتاب وبلغه الدواوين والحساب انتهى ،وله استمداد من الحكمة العملية وفيه كتب كثيرة مذكورة في علم الانشاء فلا حاجة الى التعرض لها .

علم تركيب الاشكال

يعني اشكال بسائط الحروف وسيأتي بيانه في علم الخط .

وهو علم يبحث فيه عن التراكيب بين اشكال بسائط الحروف مطلقا لا من حيث دلالتها على الالفاظ بل من حيث حسنها في السطور ، فكما ان للحروف حسناً حال بساطتها فكذلك لها حسن مخصوص حال تركيبها من تناسب الشكل والنقط وتناسب خلال الكلمات والسطور .

وموضوع هذا العلم واغراضه وغاياته ظاهرة .

ومباديه امور استحسانية يرجع كلها او جُلّها الى غاية النسبة الطبيعية في الاشكال .

وله استمداد من الهندسة وفي هذا الفن رسالة لابن جني ووضع القلقشندي في هذا العلم باباً مستقلا في كتابه صبح الاعشى .

علم تركيب المداد

هو علم يبحث فيه عن تركيب انواع المداد من السواد والحمرة والصفرة وسائر الالوان مثل الذهب واللازورد والياقوت والزمرد والسواد البراق ويسمونه المداد الطاؤسي الى غير ذلك من الالوان العجيبة اللطيفة كذا في مدينة العلوم . وذكره ابو الخير في الشعبة الخامسة من فروع العلم الطبيعي ولا يخفي انه من قبيل تكثير السواد وتضييع القرطاس والمداد لانه امر صناعي جزئي لا يعد مثله علما والا لبلغ العلوم الى ألوف .

علم تسطيح الكرة

هو علم يتعرف منه كيفية ايجاد الآلات الشعاعية كذا في كشاف اصطلاحات الفنون .

وقال في كشف الظنون كيفية نقل الكرة الى السطح مع حفظ الخطوط

والدوائر المرسومة على الكرة وكيفية نقل تلك الدوائر عن الدائرة الى الخط وتصور هذا العلم عسير جداً يقرب من خرق العادة لكن عملها باليد كثيرا ما يتولاه الناس ولا عسر فيه مثل عسر التصور انتهى ما ذكره ابو الخير .

وقد جعله من فروع علم الهيئة وهو من فروع علم الهندسة ، ودعوى عسر التصور ليست على اطلاقها ، بل هو بالنسبة إلى من لم يمارس في علم الهندسة انتهى .

ومنفعته الارتياض بعلم هذه الآلات وعملها وكيفية انتزاعها من امور ذهنية مطابقة للاوضاع الخارجية والتوصل بها الى استخراج المطالب الفلكية .

ومن الكتب المصنفة فيه كتاب تسطيح الكرة لبطليموس ، والكامل للفرغاني ، والاستيعاب للبيروني ، والدستور والرجيح في قواعد التسطيح لتقي الدين ، وآلات التقويم للمراكشي رحمهما الله تعالى .

علم تشبيه القرآن واستعاراته

ذكره ابو الخير من فروع علم التفسير وقال التشبيه نوع من اشرف انواع البلاغة انتهى فهو اذاً من مباحث علم البيان كما لا يخفى .

علم التشريح

هو علم باحث عن كيفية اجراء البدن وترتيبها من العروق والاعصاب والغضاريف والعظام واللحم وغير ذلك من احوال كل عضو عضو منه .

وموضوعه اعضاء بدن الانسان والغرض والمنفعة .

والفائدة ظاهرة ، وكتب التشريح اكثر من ان تحصى ولا انفع من تصنيف ابن سينا والامام الرازي ورسالة لابن الهمام ومختصر نافع في هذا الباب انتهى ما ذكره في مدينة العلوم ومثله ذكر ابو الخير وجعله من فروع علم الطبيعي ، والرسالة

المذكورة ليست لابن الهمام وانما هي لابن جماعة وقد قرأها ابن الهمام عليه .

وقال ابن صدر الدين هو علم بتفاصيل اعضاء الحيوان وكيفية نضدها وما اودع فيها من عجائب الفطرة وآثار القدرة ولهذا قيل من لم يعرف الهيئة والتشريح فهو عنين في معرفة الله تعالى انتهى

واكثر كتب الطب متكفلة ببيان هذا العلم سوى ما فيه من التصانيف المستقلة المصورة

عِلم التصحيفِ

وهذا من انواع علم البديع حقيقة ، لكن بعض الادباء توغل فيه وأفرده بالتصنيف وجعله من فروعه .

وموضوعه الكلمات المصحفة التي وردت عن البلغاء وبهذا الاعتبار يكون من فروع المحاضرات .

وفائدته وغرضه ومنفعته ظاهرة غير خافية على اهل البصائر .

قال عبد الرحمن البسطامي اول من تكلم في التصحيف الامام علي كرم الله جهه ومن كلامه في ذلك خراب البصرة بالريح بالراء والحاء المهملتين بينهما آخر الحروف . قال الحافظ الذهبي ما علم تصحيف هذه الكلمة الا بعد المائتين من الهجرة يعني خراب البصرة بالزنج بالزاء والنون والجيم .

وللامام في هذا العلم صنائع بديعة .

ومن امثلة التصحيف قولهم متى يعود اشارة الى رجل اسمه مسعود وقس عليه نظائره .

قال الارنيقي ومن بدائع التصحيف ما نقشه نجم السائس على خاتم لابن استاذه واسمه يحيى وكان يهواه وهو هذا نجم غسق بختي يريد نجم عشق يحيى.

ومن بديع كلام علي كرم الله وجهه كل عنب الكرم يعطيه يعني كل عيب

الكرم يغطيه .

ومن امثلة التصحيف قولهم في المستنصرية جنة والمستنصرية اسم موضع وأراد به المس تضربه حية انتهى

قلت وفي كتب أصول الحديث ابحاث مستقلة لذلك مع امثلة للتصحيف .

ومن الكتب المصنفة فيه كتاب التصحيف للامام ابي احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري الاديب المتوفى سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة الذي جمع فيه فأوعب .

علم التصرف بالاسم الاعظم

ذكره ابو الخير من فروع علم التفسير قال وهذا العلم قلما وصل اليه احد من الناس خلا الانبياء والاولياء ، ولهذا لم يصنفوا في شأنه تصنيفاً يعين هذا الاسم لان كشفه على آحاد الناس لا يحل اصلا اذ فيه فساد العالم وارتفاع نظام بني ادم انتهى .

ومن التصانيف المفردة فيه جواب من استفهم قال في مدينة العلوم وتفصيل هذا العلم في كتاب الدر للنظيم في خواص القرآن العظيم للامام اليافعي وغير ذلك من كتب المشائخ انتهى

قلت ولكن لا يعتمد عليها لما اختص به الانبياء عليهم السلام .

علم التصريف

هو علم يبحث فيه عن الاعراض الذاتية لمفردات كلام العرب من حيث صورها وهيأتها كالاعلال والادغام اي المفردات الموضوعة بالوضع النوعي ومدلولاتها والهيئات الاصلية العامة للمفردات والهيئات التغييرية كبيان المعتلات قبل الاعلال ، وبعد الاعلال ، وكيفية تغيرها عن هيئاتها الاصلية على الوجه

الكلي بالمقاييس الكلية ، كصيغ الماضي والمضارع ومعانيهما ومدلولاتهما

وموضوعه الصيغ المخصوصة من الحيثية المذكورة .

وغرضه تحصيل ملكة يعرف بها ما ذكر من الاحوال .

وغايته الاحتراز عن الخطأ من تلك الجهات .

ومباديه مقدمات مستنبطة من تتبع استعمال العرب .

واول من دوّن علم التصريف ابو عثمان المازني وكان قبيل ذلك مندرجاً في النحو ذكره ابو الخير .

وكتب التصريف كثيرة معظمها ما ذكره كاتب الجلبي في هذا المحل ولا نطول بذكرها وسيأتي ذكر هذا العلم في باب الصاد .

علم التصرف بالحروف والاسماء

قال ابو الخير وهذا علم شريف يتوصل بالمداومة عليه على شرائط معينة ورياضة خاصة الى ما يناسب تلك الحروف او الاسماء من الخواص قال في مدينة العلوم هذا علم لا يتوصل اليه الا برياضة ومجاهدة مراعياً لقواعد الشريعة حتى ينفتح له باب الملكوت فيتصرف في روحانيات تلك الحروف ويتوصل بها الى مقاصدهم الدنيوية والاخروية انتهى وموضوعه وغايته ظاهرة وقيل تحت هذا العلم مائة وثمانية واربعون علما وكتب الشيخ احمد البوني والبسطامي مشهورة في هذا العلم انتهى وقد جعل ابو الخير من فروع علم التفسير وسيأتي تفصيله في علم الحروف مع كتبها

علم التصوف

هو علم يعرف به كيفية ترقي اهل الكمال من النوع الانساني في مدارج سعادتهم والامور العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطاقة البشرية .

واما التعبير عن هذه الدرجات والمقامات كما هو حقه فغير ممكن لان العبارات انما وضعت للمعاني التي وصل اليها فهم اهل اللغات .

واما المعاني التي لا يصل اليها الا غائب عن ذاته فضلا عن قوى بدنه فليس بممكن ان توضع لها الالفاظ فضلاً عن ان يعبر عنها بالالفاظ .

فكما ان المعقولات لا تدرك بالاوهام والموهومات لا تدرك بالخياليات والتخيلات لا تدرك بالحواس كذلك ما من شأنه ان يعاين اليقين لا يمكن ان يدرك بعلم اليقين .

فالواجب على من يريد ذلك ان يجتهد في الوصول اليه بالعيان دون ان يطلبه بالبيان فانه طور وراء طور العقل :

علم التصوف علم ليس يعرفه ... الا اخو فطنة بالحق معروف
وليس يعرفه من ليس يشهده ... وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

هذا ما ذكره ابن صدر الدين .

واما ابو الخير فانه جعل الطرف الثاني من كتابه في العلوم المتعلقة بالتصفية التي هي ثمرة العمل بالعلم .

ولهذا العلم ايضا ثمرة تسمى علوم المكاشفة لا يكشف عنها العبارة غير الاشارة كما قال النبي (١) ﷺ (ان من العلم كهيئة المكنون لا يعرفها الا العلماء بالله تعالى) فاذا نطقوا ينكره اهل الغرة .

فرتب هذا الطرف في مقدمة ودوحة لها شعب وثمرة وقال الدوحة في علوم الباطن ولها اربع شعب العبادات والعادات والمهلكات والمنجيات ، فلخص فيه

---

(١) بذا الحديث ذكره الشيخ محيي الدين بن عربي تبعا للامام الغزالي ولم يوجد في الكتب الموضوعة في الاحاديث المشهورة بعد التتبع والله اعلم ، مولانا الشيخ القاضي حسين بن القاضي محسن اليمني الانصاري سلمه الله تعالى وابقاه

كتاب الاحياء للغزالي ولم يذكر الثمرة فكانه لم يذكر التصوف المعروف بين اهله .

قال القشيري اعلموا ان المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يتسم افاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة الرسول ﷺ اذ لا افضلية فوقها فقيل لهم الصحابة .

ولما ادركهم اهل العصر الثاني سمي من صحب الصحابة بالتابعين ، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب .

فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين (الزهاد والعباد)

ثم ظهرت البدعة وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا ان فيهم زهاداً فانفرد خواص اهل السنة المراعون انفسهم مع الله سبحانه وتعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف ، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الاكابر قبل المائتين من الهجرة انتهى .

واول من سمي بالصوفي ابو هاشم الصوفي المتوفى سنة خمس ومائة .

واعلم ان الاشراقيين من الحكماء الالهيين كالصوفيين في المشرب والاصطلاح خصوصا المتأخرين منهم الا ما يخالف مذهبهم مذهب اهل الاسلام ولا يبعد ان يؤخذ هذا الاصطلاح من اصطلاحهم كما لا يخفى على من تتبع كتب حكمة الاشراق وفي هذا الفن كتب غير محصورة ذكرها في كشف الظنون على ترتيبه اجمالا ، ولشيخ الاسلام احمد بن تيمية الحراني كتاب (الفرقان بين اولياء الرحمن وأولياء الشيطان) ردّ فيه على المتصوفة رداً لطيفاً وهو سفر نافع جدا .

فصل

قال عبد الرحمن بن خلدون : هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة .

واصله ان طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية .

واصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف ، فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة .

وقال القشيري رحمه الله ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهه العربية ولا قياس والظاهر انه لقب ومن قال اشتقاقه من الصفا او من الصُفّة فبعيد من جهة القياس اللغوي قال وكذلك من الصوف لانهم لم يختصوا بلبسه قلتُ والاظهر ان قيل بالاشتقاق انه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف فلما اختص هؤلاء بمذهب الزهد والانفراد عن الخلق والإقبال على العبادة اختصوا بمآخذ مدركة لهم، وذلك ان الانسان بما هو انسان انما يتميز عن سائر الحيوان بالادراك، وادراكه نوعان: ادراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم وادراك للاحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضاء والغضب والصبر والشكر.

وامثال ذلك فالروح العاقل والمتصرف في البدن تنشأ من ادراكات وارادات واحوال ، وهي التي يميز بها الانسان ، وبعضها ينشأ من بعض كما ينشأ العلم من الادلة والفرح والحزن عن ادراك المؤلم او المتلذذ به والنشاط عن الحمام والكسل عن الأعياء ، وكذلك المريد في مجاهدته لا بد وان ينشأ عن كل مجاهدة حال نتيجة تلك المجاهدة وتلك الحالة اما ان تكون نوع عبادة فترسخ وتصير مقاما للمريد ، واما ان لا تكون عبادة ، وانما تكون صفة حاصلة للنفس من حزن وسرور ونشاط او كسل او غير ذلك من المقامات .

ولا يزال المريد يترقى من مقام الى مقام الى ان ينتهي الى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة .

قال ﷺ : من مات يشهد ان لا إله الا الله دخل الجنة ، فالمريد لا بد له من الترقي في هذه الاطوار واصلها كلها الطاعة والاخلاص ويتقدمها الايمان ويصاحبها وتنشأ عنها الاحوال والصفات نتائج وثمرات ثم تنشأ عنها اخرى ، واخرى الى مقام التوحيد والعرفان واذا وقع تقصير في النتيجة او خلل فنعلم انه انما اتى من قبل التقصير في الذي قبله .

وكذلك في الخواطر النفسانية والواردات القلبية فلهذا يحتاج المريد الى محاسبة نفسه في سائر اعماله وينظر في حقائقها لأن حصول النتائج عن الأعمال ضروري ، وقصورها من الخلل فيها كذلك ، والمريد يجد ذلك بذوقه ويحاسب نفسه عن اسبابه ولا يشاركهم في ذلك الا القليل من الناس لان الغفلة عن هذا كأنها شاملة وغاية اهل العبادات اذا لم ينتهوا الى هذا النوع .

انهم يأتون بالطاعات مخلصة من نظر الفقه في الأجزاء والامتثال وهؤلاء يبحثون عن نتائجها بالأذواق والمواجد ليطلعوا على انها خالصة من التقصير او لا فظهر ان أصل طريقتهم كلها محاسبة النفس على الافعال ، والتروك والكلام في هذه الأذواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للمريد مقاما ويترقى منها الى غيرها ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم اذ الاوضاع اللغوية انما هي للمعاني المتعارفة فاذا عرض من المعاني ما هو غير متعارف اصطلحنا عن التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد غيرهم من اهل الشريعة الكلام فيه ، وصار علم الشريعة على صنفين : صنف مخصوص الفقهاء واهل الفتيا وهي الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات ، وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الأذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقي منها من ذوق الى ذوق ، وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء في الفقه واصوله

والكلام والتفسير ، وغير ذلك كتب رجال من اهل هذه الطريقة في طريقهم ، فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والترك كما فعله القشيري في كتاب الرسالة والسهروردي في كتاب عوارف المعارف وامثالهم . وجمع الغزالي رحمه الله بين الأمرين في كتاب الأحياء فدوّن فيه احكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة علما مدونا بعد ان كانت الطريقة عبادة فقط ، وكانت احكامها انما تتلقى من صدور الرجال كما وقع في سائر العلوم التي دونت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك .

ثم ان هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالبا كشف حجاب الحس والاطلاع على علم من أمر الله ليس لصاحب الحس ادراك شيء منها ، والروح من تلك العوالم وسبب هذا الكشف ان الروح اذا رجع عن الحس الظاهر الى الباطن ضعفت احوال الحس وقويت احوال الروح ، وغلب سلطانه ، وتجدد نشوه ، وأعان على ذلك الذكر فإنه كالغذاء لتنمية الروح ولا يزال في نمو وتزيد الى أن يصير شهودا بعد أن كان علماً . ويكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس ، والعلوم اللدنية ، والفتح الالهي وتقرب ذاته في تحقق حقيقتها من الأفق الاعلى افق الملائكة .

وهذا الكشف كثيرا ما يعرض لاهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم وكذلك يدركون كثيرا منَ الواقعات قبل وقوعها ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية وتصير طوع ارادتهم . فالعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يتصرفون ولا يخبرون عن حقيقة شيء لم يؤمروا بالتكلم فيه بل يعدون ما يقع لهم من ذلك محنة ويتعودون منه اذا هاجمهم . وقد كان الصحابة رضي الله عنهم على مثل هذه المجاهدة وكان حظهم من هذه الكرامات اوفر الحظوظ لكنهم لم تقع لهم بها عناية ، وفي فضائل أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم كثير منها وتبعهم في ذلك اهل

الطريقة ممن اشتملت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم .

ثم أن قوماً من المتأخرين انصرفت عنايتهم الى كشف الحجاب والمدارك التي وراءه واختلفت طرق الرياضة عنهم في ذلك باختلاف تعليمهم في اماتة القوى الحسية ، وتغذية الروح العاقل بالذكر حتى يحصل للنفس ادراكها الذي لها من ذاتها بتمام نشوتها وتغذيتها فاذا حصل ذلك زعموا ان الوجود قد انحصر في مداركها حينئذ ، وانهم اكتشفوا ذوات الوجود وتصوروا حقائقها كلها من العرش الى الطش هكذا قال الغزالي في كتاب الاحياء بعد ان ذكر صورة الرياضة .

ثم أن هذا الكشف لا يكون صحيحا كاملا عندهم الا إذا كان ناشئاً عن الاستقامة لأن الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوة وان لم تكن هناك استقامة كالسحرة والنصارى وغيرهم من المرتاضين ، وليس مراده الا الكشف الناشيء عن الاستقامة ومثاله ان المرأة الصقلية اذا كانت محدبة او مقعرة وحوذي بها جهة المرئي فانه يتشكل فيه معرجا على غير صورته وان كانت مسطحة تشكل فيها المرئي صحيحا فالاستقامة للنفس كالانبساط للمرأة فيما ينطبع فيها من الأحوال ، ولما عنى المتأخرون بهذا النوع من الكشف تكلموا في حقائق الموجودات العلوية والسفلية ، وحقائق الملك والروح والعرش والكرسي وأمثال ذلك وقصرت مدارك من لم يشاركهم في طريقهم عن فهم اذواقهم ومواجدهم في ذلك ، وأهل القيابين منكر عليهم ومسلم لهم وليس البرهان والدليل بنافع في هذه الطريق ردا وقبولا اذ هي من قبيل الوجدانيات ، وربما قصد بعض المصنفي بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه فأتى بالأغمض فالأغمض بالنسبة الى أهل النظر والاصطلاحات والعلوم كما فعل الفرغاني شارح قصيدة ابن الفارض في الديباجة التي كتبها في صدر ذلك الشرح ، فانه ذكر في صدور الوجود عن الفاعل وترتيبه ، ان الوجود كله صادر عن صفة الوحدانية التي هي مظهر الاحدية وهما معا صادران عن الذات الكريمة التي هي عين الوحدة لا غير ويسمون هذا الصدور بالتجلي وأول مراتب التجليات عندهم تجلي الذات على نفسه ، وهو

يتضمن الكمال بإفاضة الايجاد والظهور لقوله في الحديث(١)الذي يتناقلونه كنت كنزا مخفيا فأحببت ان أعرف فخلقت الخلق ليعرفوني .

وهذا الكمال في الايجاد المتنزل في الوجود وتفصيل الحقائق وهو عندهم عالم المعاني والحضرة الكمالية والحقيقة المحمدية وفيها حقائق الصفات واللوح والقلم وحقائق الأنبياء والرسل اجمعين .

والكمال من أهل الملة المحمدية وهذا كله تفصيل الحقيقة المحمدية ويصدر عن هذه الحقائق حقائق اخرى في الحضرة الهبائية وهي مرتبة المثال ثم عنها العرش ثم الكرسي ثم الافلاك ثم عالم العناصر ثم عالم التركيب .

هذا في عالم الرتق، فاذا تجلت فهي في عالم الفتق ويسمى هذا المذهب مذهب اهل التجلي والمظاهر والحضرات ، وهو كلام يقتدر اهل النظر على تحصيل مقتضاه لغموضه وانغلاقه وبُعد ما بين كلام صاحب المشاهدة والوجدان وصاحب الدليل ، وربما انكر بظاهر الشرع هذا الترتيب وكذلك ذهب آخرون منهم الى القول بالوحدة المطلقة ، وهو رأي اغرب من الأول في تعقله وتفاريعه يزعمون فيه ان الوجود له قوى في تفاصيله بها كانت حقائق الموجودات ، وصورها وموادها والعناصر انما كانت بما فيها من القوى وكذلك مادتها لها في نفسها قوة بها كان وجودها ثم ان المركبات فيها تلك القوى متضمنة في القوة التي كان بها التركيب كالقوة المعدنية فيها قوى العناصر بميولها وزيادة القوة المعدنية ثم القوة الحيوانية ثم الفلك يتضمن القوة الانسانية وزيادة وكذا الذوات الروحانية والقوة الجامعة للكل من غير تفصيل هي القوة الالٓهية التي انبثت في جميع الموجودات كلية وجزئية وجمعتها واحاطت بها من كل وجه لا من جهة الظهور ولا من جهة الخفاء ولا من

---

(١) قال الحافظ الربيع في تمييز الطيب من الخبيث قال ابن تيمية انه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف وتبعه الزركشي وابن حجرمولانا الشيخ حسين بن القاضي محسن اليمني الانصاري سلمه الله تعالى .

جهة الصورة ولا من جهة المادة فالكل واحد وهو نفس الذات الالهية وهي في الحقيقة واحدة بسيطة ، والاعتبار هو المفصل لها كالانسانية مع الحيوانية ألا ترى انها مندرجة فيها وكائنة بكونها فتارة يمثلونها بالجنس مع النوع في كل موجود كما ذكرناه ، وتارة بالكل مع الجزء على طريقة المثال وهم في هذا كله يفرون من التركيب والكثرة بوجه من الوجوه وانما اوجبها عندهم الوهم والخيال .

والذي يظهر من كلام ان دهقان في تقرير هذا المذهب ان حقيقة ما يقولونه في الوحدة شبيه بما يقوله الحكماء في الألوان من ان وجودها مشروطة بالضوء فاذا عدم الضوء لم تكن الالوان موجودة بوجه وكذا عندهم الموجودات المحسوسة كلها مشروطة بوجود المدرك الحسي بل والموجودات المعقولة والمتوهمة ايضا مشروطة بوجود المدرك العقلي فاذا الوجود المفصل كله مشروط بوجود المدرك البشري ، فلو فرضنا عدم المدرك البشري جملة لم يكن هناك تفصيل الوجود بل هو بسيط واحد فالحر والبرد والصلابة واللين ، بل والارض والماء والنار والسماء والكواكب ، انما وجدت لوجود الحواس المدركة لها لما جعل في المدرك من التفصيل الذي ليس في الموجود ، وانما هو في المدرك فقط فاذا فقدت المدارك المفصلة فلا تفصيل ، انما هو ادراك واحد وهوانا لا غيره ويعتبرون ذلك بحال النائم فانه اذا نام وفقد الحس الظاهر فقد كل محسوس وهو في تلك الحالة الا ما يفصله له الخيال .

قالوا فكذا اليقظان انما يعتبر تلك المدركات كلها على التفصيل بنوع مدركه البشري ولو قدر فقد مدركه فقد التفصيل وهذا هو معنى قولهم الموهم لا الوهم الذي هو من جملة المدارك البشرية .

وهذا ملخص رأيهم على ما يفهم من كلام ابن دهقان وهو في غاية السقوط لانا نقطع بوجود البلد الذي نحن مسافرون عنه واليه يقينا مع غيبته عن اعيننا . وبوجود السماء المظلة والكواكب ، وسائر الاشياء الغائبة عنا .

والانسان قاطع بذلك ولا يكابر احد نفسه في اليقين مع ان المحققين من المتصوفة المتأخرين يقولون ان المريد عند الكشف ربما يعرض له توهم هذه الوحدة ، ويسمى ذلك عندهم مقام الجمع . ثم يترقى عنه الى التمييز بين الموجودات ويعبرون عن ذلك بمقام الفرق ، وهو مقام العارف المحقق ولا بد للمريد عندهم من عقبة الجمع ، وهي عقبة صعبة لانه يخشى على المريد من وقوفه عندها فتخسر صفقته فقد تبينت مراتب اهل هذه الطريقة .

ثم أن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم الى الحلول والوحدة كما اشرنا اليه وملؤ الصحف منه مثل الهروي في كتاب المقامات له ، وغيره . وتبعهم ابن العربي وابن سبعين ، وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الاسرائيلي في قصائدهم .

وكان سلفهم مخالطين للاسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين ايضا بالحلول وإلهية الأئمة مذهبا لم يعرف لأولهم فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين يزعمون انه لا يمكن يساويه احد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ، ثم يورث مقامه الآخر من اهل العرفان .

وقد اشار الى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في فصول التصوف منها فقال جل جناب الحق ان يكون شرحه لكل وارد او يطلع عليه الا الواحد بعد الواحد ، وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي وانما هو من انواع الخطابة ، وهو بعينه ما تقوله الرافضة ودانوا به .

ثم قالوا بترتيب وجود الابدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء حتى انهم لما اسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه اصلا لطريقتهم وتخليهم رفعوه الى علي رضي الله عنه وهو من هذا المعنى ايضا والا فعلي رضي الله عنه لم يختص

من بين الصحابة بتخلية ولا طريقة في لباس ولا حال بل كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ، ازهد الناس بعد رسول الله ﷺ ، واكثرهم عبادة ولم يختص احد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص بل كان الصحابة كلهم اسوة في الدين والزهد والمجاهدة يشهد لذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في امر الفاطمي وما شجنوا كتبهم به في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي او اثبات وانما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي الى الحق .

ثم ان كثيرا من الفقهاء وأهل الفتيا انتدبوا للرد علىٰ هؤلاء المأخرين في هذه المقالات وأمثالها وشملوا بالنكير وسائر ما وقع لهم في الطريقة والحق ان كلامهم معهم فيه تفصيل فان كلامهم في اربعة مواضع ، احدها الكلام على المجاهدات وما يحصل من الأذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الأعمال لتحصل تلك الأذواق التي تصير مقاما ويترقى منه الى غيره كما قلناه .

وثانيها الكلام في الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش والكرسي والملائكة والوحي والنبوة والروح . وحقائق كل موجود غائب او شاهد وتركيب الاكوان في صدورها عن موجدها وتكونها كما مر .

وثالثها التصرفات في العوالم والأكوان بانواع الكرامات .

ورابعها الفاظ موهمة الظاهر صدرت من كثير من ائمة القوم يعبرون عنها في اصطلاحهم بالشطحيات تستشكل ظواهرها فمنكر ومحسن ومتأول .

فأما الكلام في المجاهدات والمقامات وما يحصل من الأذواق والمواجد في نتائجها ومحاسبة النفس على التقصير في اسبابها فأمر لا مدفع فيه لأحد وأذواقهم فيه صحيحة والتحقيق بها هو عين السعادة .

وأما الكلام في كرامات القوم واخبارهم[1] بالمغيبات وتصرفهم في الكائنات فأمر صحيح غير منكر وإن مال بعض العلماء الى انكارها فليس ذلك من الحق ، وما احتج به الاستاذ ابو اسحق الاسفرائني من ائمة الاشعرية على انكارها لالتباسها بالمعجزة فقد فرق المحققون من اهل السنة بينهما بالتحدي ، وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ما جاء به . قالوا ثم ان وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لان دلالة المعجرة على الصدق عقلية فان صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكاذب لتبدلت صفة نفسها ، وهو محال . هذا مع ان الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذه الكرامات وانكارها نوع مكابرة . وقد وقع للصحابة واكابر السلف كثير من ذلك وهو معلوم مشهور .

واما الكلام في الكشف واعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات فأكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه واعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات فأكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه لما انه وجداني عندهم وفاقد الوجدان عندهم بمعزل عن اذواقهم فيه ، واللغات لا تعطي دلالة على مرادهم منه لانها لم توضع الا للمتعارف واكثر من المحسوسات فينبغي ان لا نتعرض لكلامهم في ذلك ونتركه فيما تركناه من المتشابه ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فاكرم بها سعادة .

وأما الالفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشطيحات ويؤاخذهم بها اهل الشرع فاعلم ان الانصاف في شأن القوم انهم اهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه ، وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور

---

(١) واقول ان الاخبار بالمغيبات والتصرف في الكائنات مما لم يدل عليه لهم شيء من الكتاب والسنة بل بما يردان ذلك عليهم كما يعرف ذلك من مارسهما ولا اعتداد بقول من قال بما يخالفهما وان جاء بالف دليل من العقل فقول القائل امر صحيح غير منكر من القول نعم صدور الكرامة ثابت ولكن ليس ذلك باختيارهم ايضا فليعلم ، مولوي محمد يسير سهسواني سلمه الله تعالى .

معذور فمن علم منهم فضله واقتداؤه حمل على القصد الجميل من هذا وان العبارة عن المواجد صعبة لفقدان الوضع لها كما وقع لأبي يزيد وامثاله ، ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر فمؤاخذ بما صدر عنه من ذلك اذا لم يتبين لنا ما يحملنا على تأويل كلامه . واما من تكلم بمثلها وهو حاضر في حسه ولم يملكه الحال فمؤاخذ ايضا ، ولهذا افتى الفقهاء واكابر المتصوفة بقتل الحلاج لانه تكلم في حضور وهو مالك لحاله والله اعلم

وسلف المتصوفة من اهل الرسالة أعلام الملة الذين اشرنا اليهم من قبل لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب ولا هذا النوع من الادراك ، انما همهم الاتباع والاقتداء ما استطاعوا ومن عرض له شيء من ذلك عرض عنه ولم يحفل به ، بل يفرون منه ويرون انه من العوائق والمحن وانه ادراك من ادراكات النفس مخلوق حادث وان الموجودات لا تنحصر في مدارك الانسان . وعلم الله اوسع وخلقه اكبر وشريعته بالهداية املك فلا ينطقون بشيء مما يدركون بل حظروا الخوض في ذلك . ومنعوا من يكشف له الحجاب من اصحابهم من الخوض فيه والوقوف عنده بل يلتزمون طريقتهم كما كانوا في عالم الحس قبل الكشف من الأتباع والإقتداء، ويأمرون اصحابهم بالتزامها .

وهكذا ينبغي ان يكون حال المريد والله الموفق للصواب انتهى كلام ابن خلدون رحمه الله وما ذكر من كرامات الأولياء، فهو حق يدل عليه القرآن والسنة وما ذكر من التصرفات في العوالم والاخبار عن المغيبات ، ففيه نظر وتفصيل ذكر في محله فليعلم والله اعلم .

علم التعابي العددية في الحروب

هو علم يتعرف منه كيفية ترتيب العساكر في الحروب ، وكيفية تسوية صفوفها ازواجا وافرادا ، وتعيين اعداد الصفوف ، واعداد الرجال في كل صف

منها ، وهيئة الصفوف اما على التدوير او التثليث او التربيع الى غير ذلك حسبما تقتضيه الاحوال ، وبينوا ان في رعاية ترتيب المذكور ظفر بالمرام ، ونصرة على الاعداء ، ولا يكون مغلوبا ابدا بإذن الله سبحانه وتعالى الا ان العلماء اخفوا هذا العلم وضنوا به عن الاغيار .

وللشيخ عبد الرحمن من السادة الحرفية تصنيف ذي هذا العلم لكن ضن بعض الضن الا أن من وقف على اسرار الخواص الحرفية والعددية لا تخفى عليه خافية .

هذا ما ذكره ابو الخير وجعله من فروع علم العدد وذكر علم ترتيب العسكر من فروع الحكمة العملية كما مر وفيه من الخلط والتكرار ولو بتغاير الاعتبار ما لا يخفى .

وعبارة مدينة العلوم هكذا قالوا ان للهيئات المخصوصة وخصوصيات الاعداد حسبما يقتضيه الحال تأثيرا عظيما في قهر العدو والغلبة على الخصم وهذا العلم مما اختص به سادات الحرفية ، وارباب الكشف والشهود من الصوفية الواقفين على اسرار الآيات القرآنية .

ومن يخطب الحسناء من غير اهلها بعيد عليه ان يفوز بوصلها

والعلماء اخفوا هذا العلم ولم يبرزوه ، ولم يظهروه الا لبعض من الكاملين من أرباب العفة والتقوى لما أن في اظهاره فسادا عظيما كما لا يخفى ، ومن اراد الوقوف على هذا العلم فعليه خدمة السادات الصوفية حتى يستأهل للمكاشفات القرآنية والأسرار الفرقانية والا فهو عن مثل هذا العلم بمعزل ، ومن الوصول الى هذا المقصد بالف منزل ولله در الامام الشافعي حيث قال :

كيف الوصول الى سعاد ودونها قلل الجبال ودونهن حتوف
الرجل حافية ومالي مركب والكف صفر والطريق مخوف

ولعبد الرحمن الانطاكي رسالة لطيفة في هذا العلم لكن ضنّ ببيان اسراره كل الضنة انتهى .

علم تعبير الرؤيا

هو علم يتعرف منه المناسبة بين التبخيلات النفسانية ، والأمور الغيبية لينتقل من الأولى الى الثانية ، وليستدل بذلك على الأحوال النفسانية في الخارج او على الأحوال الخارجية في الآفاق ، ومنفعته البشرى او الانذار بما يروه .

هذا ما ذكره الارنيقي وابو الخير واورده في فروع العلم الطبيعي . وذكر فيه ايضا ماهية الرؤيا واقسامها . وكذا فعل ابن صدر الدين . لكني لست في صدد بيان ذلك فهو مبين في كتب هذا الفن .

وقال في كشاف اصطلاحات الفنون هو علم يتعرف منه الاستدلال من المتخيلات الجملية على ما شاهدته النفس حالة النوم من عالم الغيب فخيلته القوة المتخيلة مثالا يدل عليه في عالم الشهادة ، وقد جاء ان الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزء من النبوة ، وهذه النسبة تعرفها من مدة الرسالة ومدة الوحي قبلها مناماً وربما طابقت الرؤيا مدلولها دون تأويل ، وربما اتصل الخيال بالحس كالاحتلام ، ويختلف مأخذ التأويل بحسب الاشخاص واحوالهم ومنفعته البشرى بما يرد على الانسان من خير والانذار بما يتوقعه من شر والاطلاع على الحوادث في العالم قبل وقوعها انتهى .

واما الكتب المصنفة في التعبير فكثيرة جدا ، منها الآثار الرابعة في اسرار الواقعة ، وارجوزة العبير واصول دانيال وتعبير ابن المقري وابي سهل المسيحي وارسطو وافلاطون وإقليدس وبطليموس والجاحظ وجالينوس ، والتعبير المنيف

والتأويل الشريف لمحمد بن قطب الدين[1] الرومي الارنيقي المتوفى سنة خمس وثمانين وثمانمائة ذكر فيه اقوال المعبرين ثم عبر على اصطلاح اهل السلوك ، وتعبير نامج لابي طاهر ابراهيم بن يحيى الحنبلي المعبر المتوفى سنة ثلث وتسعين وستمائة ، وايضا ليحيى الفتاحي النيسابوري الشاعر فارسي منظوم ، وحواب وخيال للشيخ بير محمد اللكهنوي فارسي مختصر منثور .

قال في مدينة العلوم والذي تمهر في علم التعبير من السلف هو محمد بن سيرين ، ومن عجائب تعبيراته انه رأى رجل يختم على افواه الرجال والنساء وفروج هؤلاء فعبرها ابن سيرين بانك مؤذن اذنت في رمضان قبل طلوع الفجر وكان كذلك .

ويحكى ان رجلا سأله انه رأى انه يدخل الزيت في الزيتون فقال ابن سيرين ان صدقت فالتي تحتك امك فاضطرب الرجل فتفحص عنها فكانت امه لانها سبيت بعد أبيه فاشتراها ابنها انتهى .

قال ابن خلدون رحمه الله هذا العلم من العلوم الشرعية وهو حادث في الملة عندما صارت العلوم صنائع وكتب الناس فيها .

واما الرؤيا والتعبير لها فقد كان موجودا في السلف كما هو في الخلف وربما كان في الملوك والامم من قبل الا انه لم يصل الينا للاكتفاء فيه بكلام المعبرين من اهل الاسلام والا فالرؤيا موجودة في صنف البشر على الاطلاق ولا بد من تعبيرها فلقد كان يوسف الصديق عليه السلام يعبر الرؤيا كما وقع في القرآن المجيد ، وكذلك ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه والرؤيا مدرك من مدارك الغيب .

---

(١) قال في مدينة العلوم وهو من مشاهير بلادنا علما وفضلا وزهداً وورعا وكشفا وبالجملة هو جامع بين ديانتي النظر والكشف انتهى ، سيد علي حسن ولد المؤلف سلمه الله تعالى .

وقال ﷺ الرؤ يا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وقال لم يبق من المبشرات الا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له واول ما بُديء به النبي ﷺ من الوحي الرؤيا فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، وكان النبي ﷺ اذا انفتل من صلوة الغداة يقول لاصحابه هل رأى احد منكم الليلة رؤيا يسألهم عن ذلك ليستبشر بما وقع من ذلك مما فيه ظهور الدين وإعزازه .

واما السبب في كون الرؤيا مدركا للغيب فهو ان الروح القلبي وهو البخار اللطيف المنبعث من تجويف القلب اللحمي ينتشر في الشريانات ومع الدم في سائر البدن وبه تكمل افعال القوى الحيوانية واحساسها فاذا ادركه الملال بكثرة التصرف في الاحساس بالحواس الخمس وتصرف القوى الظاهرة وغشى سطح البدن ما يغشاه من برد الليل انخنس الروح من سائر اقطار البدن الى مركزه القلبي فيستجم بذلك لمعاودة فعله فتعطلت الحواس الظاهرة كلها وذلك هو معنى النوم .

ثم ان هذا الروح القلبي هو مطية للروح العاقل من الانسان والروح العاقل مدرك الجميع في ما عالم الامر بذاته اذ حقيقته وذاته عين الادراك ، وانما يمنع من تعقله للمدارك الغيبية ما هو فيه من حجاب الاشتغال بالبدن وقواه وحواسه فلو قد خلا من هذا الحجاب وتجرد عنه لرجع الى حقيقته وهو عين الادراك فيعقل كل مدرك ، فاذا تجرد عن بعضها خفت شواغله فلا بد من ادراك لمحة من عالمه بقدر ما تجرد له ، وهو في هذه الحالة قد خفت شواغل الحس الظاهر كلها وهي الشاغل الاعظم فاستعد لقبول ما هنالك من المدارك اللائقة من عالمه ، واذا ادرك ما يدرك من عوالمه رحع الى بدنه اذ هو ما دام في بدنه جسماني لا يمكنه التصرف الا بالمدارك الجسمانية .

والمدارك الجسمانية للعلم انما هي الدماغية والمتصرف منها هو الخيال ، فانه ينتزع من الصور المحسوسة صوراً خيالية ثم يدفعها الى الحافظة تحفظها له الى وقت الحاجة اليها عند النظر والاستدلال ، وكذلك تجرد النفس منها صوراً اخرى

نفسانية عقلية فيترقى التجريد من المحسوس الى المعقول والخيال واسطة بينهما ، ولذلك اذا ادركت النفس من عالمها ما تدركه القته الى الخيال فيتنزل المدرك من الروح العقلي الى الحسي والخيال ايضا واسطة هذه حقيقة الرؤ يا .

ومن هذا التقرير يظهر لك الفرق بين الرؤيا الصالحة واضغاث الاحلام الكاذبة ،فانها كلها صور في الخيال حالة النوم .

لكن ان كانت تلك الصور متنزلة من الروح العقلي المدرك فهو رؤيا .

وان كانت مأخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال اودعها اياها منذ اليقظة فهي اضغاث احلام .

واما معنى التعبير فاعلم ان الروح العقلي اذا ادرك مدركه وألقاه الى الخيال فصوره فانما يصوره في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء كما يدرك معنى السلطان الاعظم فيصوره الخيال بصورة البحر ، او يدرك العداوة فيصورها الخيال في صورة الحية ، فاذا استيقظ وهو لم يعلم من امره الا انه رأى البحر او الحية ، فينظر المعبر بقوة التشبيه بعد ان يتيقن ان البحر صورة محسوسة ، وان المدرك وراءها ، وهو يهتدي بقرائن اخرى تعين له المدرك فيقول مثلا : هو السلطان لان البحر خلق عظيم يناسب ان يشبه به السلطان ، وكذلك الحية يناسب ان تشبه بالعدو لعظم ضررها ، وكذا الاواني تشبه بالنساء لانهن اوعية ، وامثال ذلك ومن الرؤيا ما يكون صحيحا لا يفتقر الى تعبير لجلائها ووضوحها او لقرب الشبه فيها بين المدرك وشبهه .

ولهذا وقع في الصحيح (الرؤيا ثلث : رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان) ، فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تفتقر الى تاويل ، والتي من الملك هي الرؤيا الصادقة التي تفتقر الى التعبير ، والرؤيا التي من الشيطان هي الاضغاث .

واعلم ايضا ان الخيال اذا القى اليه الروح مدركه فانما يصوره في القوالب

المعتادة للحس ما لم يكن الحس ادركه قط فلا يصور فيه ، فلا يمكن من ولد اعمى ان يصور له السلطان بالبحر ولا العدو بالحية ولا النساء بالاواني لانه لم يدرك شيئا من هذه ، وانما يصور له الخيال امثال هذه في شبهها ومناسبها من جنس مداركه التي هي المسموعات والمشمومات وليتحفظ المعبر من مثل هذا فربما اختلط به التعبير وفسد قانونه .

ثم ان علم التعبير علم بقوانين كلية يبني عليها المعبر عبارة ما يقص عليه وتأويله كما يقولون البحر يدل على السلطان ، وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الغيظ ، وفي موضع أخر يقولون البحر يدل على الهم والامر الفادح .

ومثل ما يقولون الحية تدل على العدو ، وفي موضع آخر يقولون هي كاتم سر ، وفي موضع آخر يقولون تدل على الحياة ، وامثال ذلك فيحفظ المعبر هذه القوانين الكلية ويعبر في كل موضع بما تقتضيه القرائن التي تعين من هذه القوانين ما هو اليف بالرؤ يا .

وتلك القرائن منها في اليقظة ومنها في النوم ، ومنها ما ينقدح في نفس المعبر بالخاصية التي خلقت فيه ، وكل ميسر لما خلق .

ولم يزل هذا العلم متناقلا بين السلف وكان محمد بن سيرين فيه من اشهر العلماء ، وكتب عنه في ذلك القوانين وتناقلها الناس لهذا العهد ، والف الكرماني فيه من بعده ثم ألف المتكلمون المتأخرون واكثروا ، والمتداول بين اهل المغرب لهذا العهد كتب ابن ابي طالب القيرواني من علماء القيروان مثل الممتع وغيره ، وكتاب الاشارة للسالمي وهو علم مضيء بنور النبوة للمناسبة بينهما كما وقع في الصحيح والله علام الغيوب انتهى .

علم التعديل

هو علم يتعرف منه كيفية تفاوت الليل والنهار وتداخل الساعات فيهما عند

تفاوتها في الصيف والشتاء ونفع هذا العلم عظيم انتهى كلام ابي الخير .

وقد اورده من فروع علم الهندسة ، ولعل ما ذكره هو التعديلات المستعملة في الدستور الموضوع لاستخراج التقويم من الزيج وفيه جدول تعديل الايام وفي الزيج جداول لهذا العلم ولا يخفى على الاهل انه ان كان مراده هذا المعنى فهو من مسائل علم الزيج والتقويم لكن يأباه تعريفه بكيفية تفاوت الليل والنهار فان ذلك العمل لتعديل حركات الكواكب .

واما التعديل بالمعنى الذي ذكره فلم ير في كتب الهندسة ولم يسمع مثله مسئلة فضلا عن كونه علما ولو قال هو مسئلة من مسائل علم التقويم يعرف بالحساب الاسطرلاب لكان له وجه وجيه .

علم تعلق القلب

هذا علم ربما يظهره بعض المتبتلين لمن في عقله خفة حتى يظنون انه يعرف الاسم الاعظم او ان الجن تطيعه ، وربما اداه انفعاله الى مرض ونحوه او مطاوعة ذلك المتبتل فيما قصده كذا في مدينة العلوم .

واورده من جملة العلوم المتفرغة على السحر وهذا كما ترى شعبة من علم اهل الحبل ولا وجه لإفراده .

علم تعمير المساكن

ويسمى بعلم عقود الابنية كما سيأتي في باب العين ، والمساكن حماية للناس عن تأثيرات الجو وهي اقوى الوسائط في تغيير عوارض اللاهوية .

والكلام عليها منحصر في طرفين :

الاول في اختيار الاماكن .

الثاني في انتيار مؤن العمارة وطرق عمارة المساكن بها وما يتعلق بذلك من الاحتراسات .

والاول له مراتب وهي درجة ارتفاع الاماكن ، وهي تختلف باختلاف الاشخاص وعيوب البقعة وجيرة الغابات والبحور والانهار والبلاد .

والثاني له مراتب ايضا وهي علو البيوت وسفلها وفتحاتها وقياس البيوت واحتراسات تخص حفظ الصحة في البيوت .

والمساكن انواع :

منها الحمام والكلام على الاستحمام البارد والحار وعلى الاشياء التابعة له يطول .

ومنها المحال التي ترتب فيها العمارات .

ومنها المراحيض .

ومنها مقابر الموتى .

ومنها الاماكن العمومية وهي العمارات الحاوية لأناس كثيرين مثل المارستان والسجون والمعابد والمدارس والربط ودواوين الحكم ومجامع الناس وبيوت العساكر ، وكتاب قانون الصحة المسمى بالمنحة في سياسة الصحة للحكيم الماهر محمد الهراوي تكفل لبيان الكلام على تلك الاماكن وهذه المساكن على احسن اسلوب وابدع وضع وفيه ما يكفي لادراك حقائق صحة الهواء والمسكن والملبس والسفن وغير ذلك .

علم التفسير اي تفسير القرآن

هو علم باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية .

ومباديه العلوم العربية واصول الكلام واصول الفقه والجدل وغير ذلك من العلوم الجمة .

والغرض منه معرفة معاني النظم بقدر الطاقة البشرية .

وفائدته حصول القدرة على استنباط الاحكام الشرعية على وجه الصحة والاتعاظ بما فيه من القصص والعبر والاتصاف بما تضمنه من مكارم الاخلاق الى غير ذلك من الفوائد التي لا يمكن تعدادها لانه بحرلا تنقضي عجائبه وسبحانه من انزله وارشد به عباده .

وموضوعه كلام الله سبحانه وتعالى الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة .

وغايته التوصل الى فهم معاني القرآن واستنباط حكمه ليفاز به الى السعادة الدنيوية والأخروية وشرف العلم وجلالته باعتبار شرف موضوعه وغايته فهو اشرف العلوم واعظمها هذا ما ذكره ابو الخير وابن صدر الدين والارنيقي .

قال في كشاف اصطلاحات الفنون علم التفسير علم يعرف به نزول الآيات وشئونها واقاصيصها والاسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وامرها ونهيها وامثالها وغيرها .

قال ابو حيان التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها واحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التي يحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك .

وقال الزركشي : التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج احكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو التصريف وعلم البيان واصول الفقه والقراءات .

واما وجه الحاجة اليه فقال بعضهم : اعلم ان من المعلوم ان الله تعالى انما خاطب خلقه بما يفهمونه ولذلك ارسل كلّ رسول بلسان قومه وانزل كتابه على

لغتهم ، وانما احتيج الى التفسير لما سيذكر بعد تقرير قاعدة وهي : ان كل من وضع من البشر كتاب فانما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح وانما احتيج الى الشروح لامور ثلٰثة .

أحدها كمال فضيلة المصنف فانه بقوته العلمية بجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز فربما عسر فهم مراده فقصد بالشروح ظهور تلك المعاني الدقيقة من ههنا كان شرح بعض الائمة لتصنيفه ادل على المراد من شرح غيره له .

وثانيها اغفاله بعض متممات المسئلة او شروطها اعتمادا على وضوحها او لانها من علم آخر فيحتاج الشارح لبيان المتروك ومراتبه .

وثالثها احتمال اللفظ لمعان مختلفة كما في المجاز والاشتراك ودلالة الالتزام فيحتاج الشارح الى بيان غرض المصنف وترجيحه ، وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو عنه بشر من السهو والغلط او تكرار الشيء او حذف المهم او غير ذلك فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك ، واذا تقرر هذا فنقول :

ان القرآن انما نزل بلسان عربي في زمن فصحاء العرب وكانوا يعلمون ظواهره واحكامه ، اما دقائق باطنه فانما كانت تظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم للنبي ﷺ في الاكثر كسؤالهم لما نزل (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) فقالوا :

وأينا لم يظلم نفسه ففسره النبي ﷺ بالشرك ، واستدل عليه ان الشرك لظلم عظيم وغير ذلك مما سألوا عنه ﷺ ، ونحن محتاجون الى ما كانوا يحتاجون اليه مع احكام الظواهر لقصورنا عن مدارك احكام اللغة بغير تعلم فنحن اشد احتياجاً الى التفسير .

واما شرفه فلا يخفى قال الله تعالى (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتَ الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً .

وقال الاصبهاني : شرفه من وجوه .

احدها من جهة الموضوع : فان موضوعه كلام الله تعالى الذي ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة .

وثانيها من جهة الغرض ، فان الغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول الى السعادة الحقيقية التي هي الغاية القصوى .

وثالثها من جهة شدة الحاجة ، فان كل كمال ديني او دنيوي مفتقر الى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى .

واختلف الناس في تفسير القرآن هل يجوز لكل احد الخوض فيه ؟ فقال قوم لا يجوز لاحد ان يتعاطى تفسير شيء من القرآن وان كان عالما اديبا متسعا في معرفة الادلة والفقه والنحو والاخبار والآثار وليس له الا ان ينتهي الى ما روي عن النبي ﷺ في ذلك .

ومنهم من قال يجوز تفسيره لمن كان جامعا للعلوم التي يحتاج المفسر اليها وهي خمسة عشر علما : اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع وعلم القراءات، لانه يعرف به كيفية النطق بالقرآن وبالقراءات يرجح بعض الوجوه المحتملة على بعض واصول الدين اي الكلام ، واصول الفقه ، واسباب النزول ، والقصص اذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما انزلت فيه والناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره والفقه ، والاحاديث المبينة لتفسير المبهم والمجمل ، وعلم الموهبة وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم واليه الاشارة بحديث من عمل بما علم اورثه الله تعالى علم ما لم يعلم .

قال البغوي والكواشي وغيرهما التأويل صرف الآية الى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتملها الآية غير مخالف للكتاب والسنة غير محظور على العلماء بالتفسير كقوله تعالى (انفروا خفافاً وثقالا) قيل شبابا وشيوخا .

وقيل اغنياء وفقراء .

وقيل نشاطا او غير نشاط .

وقيل اصحاء ومرضى ، وكل ذلك سائغ والآية تحتمله .

واما التأويل المخالف للآية والشرخ فمحظور لانه تأويل الجاهلين مثل تأويل الروافض قوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان) انهما علي وفاطمة (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) يعني الحسن والحسين انتهى .

وذكر العلامة الفناري في تفسير الفاتحة فصلا مفيدا في تعريف هذا العلم ولا بأس بايراده اذ هو مشتمل على لطائف التعريف .

قال قطب الدين الرازي في شرحه للكشاف هو ما يبحث فيه عن مراد الله سبحانه وتعالى من قرآنه المجيد ، ويرد عليه ان البحث فيه ربما كان عن احوال الالفاظ كمباحث القراءات وناسخية الالفاظ ومنسوخيتها واسباب نزولها وترتيب نزولها الى غير ذلك فلا يجمعها احده .

وايضا يدخل فيه البحث في الفقه الاكبر والاصغر عما يثبت بالكتاب فانه بحث عن مراد الله تعالى من قرآنه فلا يمنعه حده فكان الشارح التفتازاني انما عدل عنه لذلك الى قوله : هو العلم الباحث عن احوال الالفاظ كلام الله سبحانه وتعالى من حيث الدلالة على مراد الله وترد على مختاره ايضا وجوه .

الأول ان البحث المتعلق بألفاظ القرآن ربما لا يكون بحيث يؤثر في المعنى المراد بالدلالة والبيان كمباحث علم القراءة عن امثال التفخيم والامالة الى ما لا يحصى ، فان علم القراءة جزء من علم التفسير افرز عنه لمزيد الاهتمام افراز الكحالة من الطب والفرائض من الفقه .

وقد خرج بقيد الحيثية ولم يجمعه فان قيل : اراد تعريفه بعد افراز علم القراءة .

قلنا فلا يناسب الشرح المشروح للبحث في التفسير عما لا يتغير به المعنى في مواضع لا تحصى .

الثاني ان المراد بالمراد ان كان المراد بمطلق الكلام فقد دخل العلوم الادبية

وان كان مراد الله تعالى بكلامه .

فان اريد مراده في نفس الامر فلا يفيده بحث التفسير لان طريقه غالبا ، اما رواية الآحاد او الدراية بطريق العربية ، وكلاهما ظني كما عرف ، ولان فهم كل احد بقدر استعداده ، ولذلك اوصى المشائخ رحمهم الله في الايمان ان يقال آمنت بالله وبماء جَاء من عنده على مراده وآمنت برسول الله وبما قاله على مراده ، ولا يعين بما ذكره اهل التفسير ، ويكرر ذلك على الهدى في تأويلاته .

وان اريد مراد الله سبحانه وتعالى في زعم المفسر ففيه خرازة من وجهين :

الاول كون علم التفسير بالنسبة الى كل مفسر بل الى كل احد شيئا آخر وهذا مثل ما اعترض على حد الفقه لصاحب التنقيح وظن وروده ، وإلا فإني اجيب عنه : بان التعدد ليس في حقيقته النوعية بل في جزئياتها المختلفة باختلاف القوابل .

وايضا ذكر الشيخ صدر الدين القونوي في تفسير مالك يوم الدين ان جميع المعاني المفسر بها لفظ القرآن رواية او دراية صحيحتين مراد الله سبحانه وتعالى لكن بحسب المراتب والقوابل لا في حق كل احد .

الثاني ان الاذهان تنساق بمعاني الالفاظ الى ما في نفس الامر على ما عرف فلا بد لصرفها عنه من ان يقال من حيث الدلالة على ما يظن انه مراد الله سبحانه وتعالى .

الثالث ان عبارة العلم الباحث في المتعارف ينصرف الى الاصول والقواعد او ملكتها ، وليس لعلم التفسير قواعد يتفرع عليها الجزئيات الا في مواضع نادرة فلا يتناول غير تلك المواضع الا بالعناية ، فالاولى ان يقال : علم التفسير معرفة احوال كلام الله سبحانه وتعالى من حيث القرآنية ، ومن حيث دلالته على ما يعلم او يظن انه مراد الله سبحانه وتعالى بقدر الطاقة الانسانية ، فهذا يتناول اقسام البيان بأسرها انتهى كلام الفناري بنوع تلخيص .

ثم اورد فصولا في تقسيم هذا الحد الى تفسير وتأويل وبيان الحاجة اليه وجواز الخوض فيهما ومعرفة وجوههما المسماة بطونا أو ظهرا او بطنا ، فمن اراد الاطلاع على حقائق علم التفسير فعليه بمطالعته ولا ينبؤه مثل خبير .

ثم ان أبا الخير اطال في ذكر طبقات المفسرين ونحن اشرنا الى من ليس لهم تصنيف فيه من مفسري الصحابة والتابعين اشارة جمالية والباقي مذكور عند ذكر كتابه .

اما المفسرون من الصحابة فمنهم الخلفاء الاربعة وابن مسعود وابن عباس وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت وابو موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير وانس بن مالك وابو هريرة وجابر وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم .

ثم اعلم ان الخلفاء الاربعة اكثر من روي عنه علي بن ابي طالب والرواية عن الثلاثة في ندرة جدا والسبب فيه تقدم وفاتهم ، وأما علي رضي الله عنه فروي عنه الكثير ، وروي عن ابن مسعود انه قال : ان القرآن انزل على سبعة احرف ما منها حرف الا وله ظهر وبطن وان علياً رضي الله عنه عنده من الظاهر والباطن .

وأما ابن مسعود فروي عنه اكثر مما روي عن علي مات بالمدينة سنة اثنتين وثلثين .

وأما ابن عباس المتوفى سنة ثمان وستين بالطائف فهو ترجمان القرآن وحبر الامة ورئيس المفسرين ، دعا له النبي ﷺ فقال (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) .

وقد روي عنه في التفسير ما لا يحصى كثرة لكن احسن الطرق عنه طريق علي بن ابي طلحة الهاشمي المتوفى سنة ثلث واربعين ومائة واعتمد على هذه البخاري في صحيحه .

ومن جيد الطرق عنه طريق قيس بن مسلم الكوفي المتوفى سنة عشرين ومائة عن عطاء بن السائب .

وطريق ابن اسحق صاحب السير .

واوهى طريقة طريق الكلبي عن ابي صالح والكلبي هو ابو النصر محمد بن السائب المتوفى بالكوفة سنة ست واربعين ومائة ، فان انضم اليه رواية محمد بن مروان السُّدي الصغير المتوفى سنة ست وثمانين ومائة فهي سلسلة الكذب وكذلك طريق مقاتل بن سليمان بن بشر الازدي المتوفى سنة خمسين ومائة ، الا ان الكلبي يفضل عليه لما في مقاتل من المذاهب الردية وطريق ضحاك بن مزاحم الكوفي المتوفى سنة اثنتين ومائة عن ابن عباس منقطعة ، فان الضحاك لم يلقه ، وان انضم الى ذلك رواية بشر بن عمارة فضعيفة لضعف بشر وقد اخرج عنه ابن جرير وابن ابي حاتم وان كان من رواية جرير عن الضحاك فأشد ضعفا لان جريرا شديد الضعف متروك ، وانما اخرج عنه ابن مردويه وابو الشيخ ابن حبان دون ابن جرير .

واما أُبي ابن كعب المتوفى سنة عشرين على خلاف فيه فعن نسخة كبيرة يرويها ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن ابي العالية عنه ، وهذا اسناد صحيح ، وهو احد الاربعة الذي جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ كان أقرأ الصحابة وسيد القراء .

ومن الصحابة من ورد عنه اليسير من التفسير غير هؤلاء منهم انس بن مالك بن النضر المتوفى بالبصرة سنة احدى وتسعين .

وابو هريرة عبد الرحمن بن صخر على خلاف المتوفى بالمدينة سنة سبع وخمسين .

وعبد الله بن عمر بن الخطاب المتوفى بمكة المكرة سنة ثلث وسبعين .

وجابر بن عبد الله الانصاري المتوفى بالمدينة سنة اربع وسبعين .

وابو موسى عبد الرحمن بن قيس الاشرعي المتوفى سنة اربع واربعين .

وعبد الله بن عمرو بن العاص السهمي المتوفى سنة ثلث وستين وهو أحد

العبادلة الذين استقر عليهم امر العلم في آخر عهد الصحابة .

وزيد بن ثابت الانصاري كاتب النبي ﷺ المتوفى سنة خمس واربعين .

وأما المفسرون من التابعين ، فمنهم اصحاب ابن عباس وهم علماء مكة المكرمة شرفها الله تعالى .

ومنهم مجاهد بن جبر المكي المتوفى سنة ثلٰث ومائة قال عرضت القرآن على ابن عباس ثلٰثين مرة ، واعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري .

وسعيد بن جبير المتوفى سنة اربع وتسعين .

وعكرمة مولى ابن عباس المتوفى بمكة سنة خمس ومائة .

وطاؤس بن كيسان اليماني المتوفى بمكة سنة ست ومائة .

وعطاء بن ابي رباح المكي المتوفى سنة اربع عشرة ومائة .

ومنهم اصحاب ابن مسعود وهم علماء الكوفة .

كعلقمة بن قيس المتوفى سنة اثنتين ومائة والاسود بن يزيد المتوفى سنة خمس وسبعين .

وابراهيم النخعي المتوفى سنة خمس وتسعين .

والشعبي المتوفى سنة خمس ومائة .

ومنهم اصحاب زيد بن اسلم كعبد الرحمن بن زيد ، ومالك بن انس .

ومنهم الحسن البصري المتوفى سنة احدى وعشرين ومائة ، وعطاء بن ابي سلمة ميسرة الخراساني ، ومحمد بن كعب القرظي المتوفى سنة سبع عشرة ومائة ، وابو العالية رفيع بن مهران الرياحي المتوفى سنة تسعين ، والضحاك بن مزاحم ، وعطية بن سعيد العوفي المتوفى سنة احدى عشرة ومائة وقتادة بن دعامة السدوسي المتوفى سنة عشرة ومائة . والربيع بن انس ، والسدي .

ثم بعد هذه الطبقة الذين صنفوا كتب التفاسير التي تجمع اقوال الصحابة والتابعين كسفيان بن عيينة ، ووكيع بن الجراح ، وشعبة بن الحجاج ، ويزيد بن

هارون ، وعبد الرزاق وآدم بن ابي اياس ، واسحاق بن راهويه ، وروح بن عبادة ، وعبد الله بن حميد ، وابي بكر بن ابي شيبة وآخرين .

ثم بعد هؤلاء طبقة اخرى منهم عبد الرزاق ، علي بن ابي طلحة ، وابن جرير ، وابن ابي حاتم ، وابن ماجة ، والحاكم ، وابن مردويه ، وابو الشيخ ابن حبان ، وابن المنذر في آخرين .

ثم انتصبت طبقة بعدهم الى تصنيف تفاسير مشحونة بالفوائد محذوفة الاسانيد ، مثل ابي اسحق الزجاج ، وابي علي الفارسي .

واما ابو بكر النقاش وابو جعفر النحاس فكثيرا ما استدرك الناس عليهما ، ومثل مكي بن ابي طالب ، وابي العباس المهدوي .

ثم ألف في التفسير طائفة من المتأخرين فاختصروا الاسانيد ونقلوا الاقوال بتراً ، فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل ، ثم صار كل من سنح له قول يورده ومن خطر بباله شيء يعتمده ، ثم ينقل ذلك خلف عن سلف ظانا ان له اصلا غير ملتفت الى تحرير ما ورد عن السلف الصالح ومن هم القدوة في هذا الباب .

ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في شيء من العلوم ، ومنهم من ملأ كتابه بما غلب على طبعه من الفن واقتصر فيه على ما تمهر هو فيه ، وكان القرآن انزل لاجل هذا العلم لا غير ، مع ان فيه تبيان كل شيء .

فالنحوي تراه ليس له إلا الاعراب وتكثير الاوجه المحتملة فيه وان كانت بعيدة وينقل قواعدالنحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في البسيط وابي حيان في البحر والنهر .

والاخباري ليس له شغل الا القصص واستيفاؤها والاخبار عن سلف سواء كانت صحيحة او باطلة ومنهم الثعلبي .

والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه جميعا وربما استطرد الى اقامة ادلة الفروع

الفقهية التي لا تعلو لها بالآية اصلا والجواب عن الادلة للمخالفين كالقرطبي .

وصاحب العلوم العقلية خصوصا الامام فخر الدين الرازي قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وخرج من شيء الى شيء حتى يقضي الناظر العجب قال ابو حيان في البحر جمع الامام الرازي في تفسيره اشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ولذلك قال بعض العلماء فيه كل شيء الا التفسير ، وللمبتدع ليس له قصد الا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد بحث انه لو لاح له شاردة من بعيد اقتنصها او وجد موضعا له فيه ادنى مجال سارع اليه ، كما نقل عن البلقيني انه قال : استخرجت من الكشاف اعتزالا بالمناقيش منها انه قال في قوله سبحانه وتعالى (فمن زحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز) أيّ فوزٍ أعظمُ من دخول الجنة اشار به الى عدم الرؤية والملحد لا تسأل عن كفره وإلحاده في آيات الله تعالى وافترائه على الله تعالى ما لم يقله كقول بعضهم (ان هي الا فتنتك) وما على العباد اضر من ربهم وينسب هذا القول الى صاحب قوت القلوب ابي طالب المكي .

ومن ذلك القبيل الذين يتكلمون في القرآن بلا سند ولا نقل عن السلف ولا رعاية للاصول الشرعية والقواعد العربية كتفسير محمود بن حمزة الكرماني في مجلدين سماه العجائب والغرائب ضمنه اقوالا هي عجائب محمود بن حمزة الكرماني في مجلدين سماه العجائب والغرائب ضمنه اقوالا هي عجائب عند العوام وغرائب عما عهد عن السلف بل هي اقوال منكرة لا يحل الاعتقاد عليها ولا ذكرها الا للتحذير من ذلك قول من قال في (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) انه الحب والعشق ومن ذلك قولهم في (ومن شر غاسق اذا وقب) انه الذَكَر اذا قام وقولهم (من ذا الذي يشفع عنده) معناه من ذل اي من الذل وذي اشارة الى النفس ويشف من الشفاء جواب من وع امر من الوعي .

وسئل البلقيني عمن فسر بهذا فأفتى بانه ملحد .

واما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير .

قال ابن الصلاح في فتاواه وجدت عن الامام الواحدي انه قال صنَّف السلمي حقائق التفسير ان كان قد اعتقد ان ذلك تفسير فقد كفر .

قال النسفي في عقائده النصوص تحمل على ظواهرها ، والعدول عنها الى معان يدعيها اهل الباطن إلحاد .

وقال التفتازاني في شرحه سميت الملاحدة باطنية لادعائهم ان النصوص ليست على ظواهرها بل لها معان باطنة لا يعلمها الا المعلم ، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية .

وقال : واما ما يذهب اليه بعض المحققين من النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها اشارات خفية الى دقائق تنكشف على ارباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الايمان ومحض العرفان .

وقال تاج الدين عطاء الله في لطائف المنن : اعلم ان تفسير هذه الطائفة لكلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله ﷺ بالمعاني الغريبة ليست احالة الظاهر عن ظاهره ، ولكن ظاهر الأية مفهوم منه ما جلبت الأية له ودلت عليه في عرف اللسان وثم افهام باطنة تفهم عند الأية والحديث لمن فتح الله تعالى قلبه .

وقد جاء في الحديث لكل آية ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ، ولكل حد مطلع ، فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم ان يقول لك ذو جدل هذا احالة كلام الله تعالى وكلام رسوله فليس ذلك باحالة وانما يكون احالة لو قال لا معنى للأية الا هذا ، وهم لا يقولون ذلك بل يفسرون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها انتهى .

قال في كشاف اصطلاحات الفنون اما الظهر والبطن ففي معناهما اوجه ثم ذكرها قال : قال بعض العلماء : لكل آية ستون الف فهم فهذا يدل على ان في فهم المعاني من القرآن مجالا متسعا وان المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهي

الادراك فيه بالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير لتتقى به مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط ولا يجوز التهاون في حفظ التفسير الظاهر بل لا بد منه اولا اذ لا مطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر وان شئت الزيادة فارجع الى الاتقان انتهى .

قال صاحب مفتاح السعادة الايمان بالقرآن هو التصديق بانه كلام الله سبحانه وتعالى قد انزل على رسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام ، وانه دال على صفة ازلية له سبحانه وتعالى ، وان ما دل هو عليه بطريق القواعد العربية مما هو مراد الله سبحانه وتعالى حق لا ريب فيه ، ثم تلك الدلالة على مراده سبحانه وتعالى بواسطة القوانين الادبية الموافقة للقواعد الشرعية والاحاديث النبوية مراد الله سبحانه وتعالى .

ومن جملة ما علم من الشرائع ان مراد الله سبحانه من القرآن لا ينحصر في هذا القدر لما قد ثبت في الاحاديث ان لكل آية ظهرا وبطنا وذلك المراد الآخر لما لم يطلع عليه كل احد ، بل من أعطي فهما وعلما من لدنه تعالى يكون الضابط في صحته ان لا يرفع ظاهر المعاني المنفهمة عن الالفاظ بالقوانين العربية ، وان لا يخالف القواعد الشرعية ، ولا يباين اعجاز القرآن ، ولا يناقض النصوص الواقعة فيها ، فان وجد فيه هذه الشرائط فلا يطعن فيه ولا فهو بمعزل عن القبول .

قال الزمخشري من حق تفسير القرآن ان يتعاهد بقاء النظم على حسنه ، والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح ، واما الذين تأيدت فطرتهم النقية بالمشاهدات الكشفية فهم القدوة في هذه المسالك ولا يمنعون اصلا عن التوغل في ذلك ثم ذكر ما وجب على المفسر من آداب .

وقال ثم اعلم ان العلماء كما بينوا في التفسير شرائط ، بينوا في المفسر ايضا شرائط لا يحل التعاطي لمن عري عنها وهو فيها راجل وهي ان يعرف خمسة عشر علما على وجه الاتقان والكمال ، اللغة ، والنحو ، والتصريف ، والاشتقاق ،

والمعنى ، والبيان ، والبديع ،والقراءات، واصول الدين ، واصول الفقه ، واسباب النزول ، والقصص ، والناسخ والمنسوخ ، والفقه ، والاحاديث المبينة ، لتفسير المجمل والمبهم ، وعلم الموهبة وهو علم يورثه الله سبحانه وتعالى لمن عمل بما علم وهذه العلوم التي لا مندوحة للمفسر عنها والا فعلم التفسير لا بد له من التبحر في كل العلوم .

ثم ان تفسير القرآن ثلثة اقسام :

الأول علم ما لم يطلع الله تعالى عليه احدا من خلقه وهو ما استأثر به من علوم اسرار كتابه من معرفة كنه ذاته ومعرفة حقائق اسمائه وصفاته وهذا لا يجوز لاحد الكلام فيه .

والثاني ما أطلع الله سبحانه وتعالى نبيه عليه من اسرار الكتاب واختص به فلا يجوز الكلام فيه الا له عليه الصلوٰة والسلام او لمن اذن له قيل وأوائل السور من هذا القسم وقيل من الاول والثالث علوم علمها الله تعالى نبيه مما اودع كتابه من المعاني الجلية والخفية وامره بتعليمها ، وهذا ينقسم الى قسمين :

منه ما لا يجوز الكلام فيه الا بطريق السمع كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقرآن واللغات وقصص الامم واخبار ما هو كائن .

ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستنباط من الالفاظ وهو قسمان :

قسم اختلفوا في جوازه وهو تأويل الأيات المتشابهات .

وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الاحكام الاصلية والفرعية والاعرابية لان مبناها على الاقيسة ، وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والاشارات لا يمتنع استنباطها منه لمن له اهلية ذلك ، وما عدا هذه الامور هو التفسير بالرأي الذي نهى عنه وفيه خمسة انواع :

الاول التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها .

التفسير الثاني تفسير المتشابه الذي لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى .

الثالث التفسير المقرر للمذهب الفاسد بان يجعل المذهب اصلا والتفسير تابعا له فيرد اليه بأي طريق امكن وان كان ضعيفا .

والرابع التفسير بان مراد الله سبحانه وتعالى كذا على القطع من غير دليل .

الخامس التفسير بالاستحسان والهوى .

واذا عرفت هذه الفوائد وان أطْنَبْنا فيها لكونه رأس العلوم ورئيسها فاعلم ان كتب التفاسير كثيرة ذكرنا منها في كتابنا (الاكسير في اصول التفسير) ما هو مسطور في كشف الظنون وزدنا عليه اشياء على ترتيب حروف الهجاء .

قال في مدينة العلوم الكتب المصنفة في التفسير ثلثة انواع وجيز ووسيط وبسيط .

ومن الكتب الوجيزة فيه زاد المسيره لابن الجوزي ، والوجيز للواحدي وتفسير الواضح للرازي ، وتفسير الجلالين اذ عمل نصفه الآخر جلال الدين المحلي وكمله جلال الدين السيوطي والشهير لأبي حيان .

ومن الكتب المتوسطة الوسيط للواحدي وتفسير الماتريدي ، وتفسير التيسير لنجم الدين النسفي ، وتفسير الكشاف للزمخشري ، وتفسير الطيبي ، وتفسير البغوي ، وتفسير الكواشي ، وتفسير البيضاوي ، وتفسير القرطبي ، وتفسير سراج الدين الهندي ، وتفسير مدارك التنزيل لابي البركات النسفي .

ومن الكتب المبسوطة البسيط للواحدي ، وتفسير الراغب للاصفهاني ، وتفسير ابي حيان المسمى بالبحر ، والتفسير الكبير للرازي ، وتفسير العلامي ورأيته في اربعين مجلدا ، وتفسير ابن عطية الدمشقي ، وتفسير الخرقي نسبة الى بائع الخرق والثياب ، وتفسير الحوفي وتفسير القشيري[1] وتفسير ابن عقيل ، وتفسير السيوطي المسمى بالدر المنثور في التفسير المأثور ، وتفسير الطبري ومن التفاسير اعراب القرآن للسفاقسي انتهى .

---

(١) القشيري نسبة الى قبيلة من قشير بن كعب .

قلت ومن الحسن التفاسير المؤلفة في هذا الزمان الاخير تفسير شيخنا الامام المجتهد العلامة قاضي القضاة بصنعاء اليمن محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين والف الهجرية المسمى بفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ثم تفسير هذا العبد القاصر المسمى (بفتح البيان في مقاصد القرآن) وقد طبع بحمد الله تعالى بمطبعتنا ببلدة بهوبال وكان المصروف في وليمة طبعه عشرين الف ربية وسارت به الركبان من بلاد الهند الى بلاد العرب والعجم ورزق القبول من علماء الكتاب والسنة القاطنين ببلد الله الحرام ومدينة نبيه عليه الصلوة والسلام ومحدثي اليمن وصنعاء والقدس والمغرب وغير هؤلاء ولله الحمد كل الحمد على ذلك .

فصل

قال ابن خلدون في بيان علوم القرآن من التفسير والقراءات :

أما التفسير فاعلم ان القرآن نزل بلغة العرب وعلى اساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه ، وكان ينزل جملا جملا وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع ، منها ما هو في العقائد الايمانية ، ومنها ما هو في احكام الجوارح ، ومنها ما يتقدم ، ومنها ما يتأخر ويكون ناسخا له ، وكان النبي ﷺ يبين المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرّفه اصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولا عنه ، كما علم من قوله تعالى (اذا جاء نصر الله والفتح) انها نعي النبي ﷺ ، وامثال ذلك ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ، وتداول ذلك التابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم ولم يزل ذلك متناقلا بين الصدر الاول والسلف حتى صارت المعارف علوما ، ودوّنت الكتب ، فكتب الكثير من ذلك ، ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين وانتهى ذلك الى الطبري والواقدي والثعالبي وامثال ذلك من المفسرين فكتبوا فيه ما شاء الله ان يكتبوه من الآثار .

ثم صارت علوم اللسان صناعية من الكلام في موضوعات اللغة واحكام الاعراب والبلاغة في التراكيب فوضعت الدواوين في ذلك بعد ان كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها الى نقل ولا كتاب فتنوسي ذلك وصارت تتلقى من كتب اهل اللسان فاحتيج الى ذلك في تفسير القرآن لانه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم ، وصار التفسير على صنفين تفسير نقلي مسند الى الآثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ واسباب النزول ومقاصد الآي وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة والتابعين ، وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا الا ان كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود ، والسبب في ذلك ان العرب لم يكونوا اهل كتاب ولا علم وانما غلبت عليهم البداوة والامية واذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تشوق اليه النفوس البشرية في اسباب الموكونات وبدء الخليقة واسرار الوجود فانما يسألون عنه اهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم ، وهم اهل التوراة من اليهود من تبع دينهم من النصارى ، واهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة من اهل الكتاب ومعظمهم من حِمْيَر الذين اخذوا بدين اليهودية فلما اسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالاحكام الشرعية التي يحتاطون لها ، مثل اخبار بدء الخليقة وما يرجع الى الحدثان والملاحم وامثال ذلك وهؤلاء مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وامثالهم ، فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم وفي امثال هذه الاغراض اخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع الى الاحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل ويتساهل المفسرون في مثل ذلك ، وملئوا كتب التفسير بهذه المنقولات واصلها كما قلنا عن اهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك الا انهم بعد صيتهم وعظمة اقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فتلقيت بالقبول من يومئذ فلما رجع الناس الى التحقيق والتمحيص .

وجاء ابو محمد بن عطية من المتأخرين بالغرب فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو اقرب الى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين اهل المغرب والاندلس حسن المنحى .

وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق .

والصنف الآخر من التفسير وهو ما يرجع الى اللسان من معرفة اللغة والاعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والاساليب ، وهذا الصنف من التفسير قل ان ينفرد عن الاول اذ الاول هو المقصود بالذات وانما جاء هذا بعد ان صار اللسان وعلومه صناعة ، نعم قد يكون في بعض التفاسير غالبا ومن احسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري من اهل خوارزم العراق ، الا ان مؤلفه من اهل الاعتزال في العقائد ، فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له في آي في القرآن من طرق البلاغة فصار بذلك للمحققين من اهل السنة انحراف عنه وتحذير للجمهور من مكامنه مع اقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة ، واذا كان الناظر فيه واقفا مع ذلك على المذاهب السنية محسنا للحجاج عنها فلا جرم انه مأمون من غوائله فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان ، ولقد وصل الينا في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين وهو (شرف الدين الطيبي) من اهل توريز من عراق العجم شرح فيه كتاب الزمخشري هذا وتتبع ألفاظه ، وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزيفها وتبين ان البلاغة انما تقع في الآية على ما يراه اهل السنة لا على ما يراه المعتزلة ، فاحسن في ذلك ما شاء مع امتاعه في سائر فنون البلاغة وفوق كل ذي علم عليم انتهى كلامه .

فصل

قال الله تعالى (وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) وقال تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقال رسول الله ﷺ .

ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم اخرجه الترمذي وغيره .

وقال ابو مسعود من اراد العلم فعليه بالقرآن فان فيه خير الاولين والآخرين اخرجه سعيد بن منصور في سننه ، قال البيهقي اراد به اصول العلم .

وقال بعض السلف ما سمعت حديثا الا التمست له آية من كتاب الله تعالى

وقال سعيد بن جبير ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله اخرجه ابن ابي حاتم .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه انزل في هذا القرآن كل علم وميز لنا فيه كل شيء ولكن علمنا يقصر عما بيّن لنا في القرآن اخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم ، وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (ان الله لو اغفل شيئا لاغفل الذرة والخردلة والبعوضة) اخرجه ابو الشيخ في كتاب العظمة .

وقال الشافعي جميع ما حكم به النبي ﷺ فهو ما فهمه من القرآن قلت ويؤيد قوله ﷺ (اني لا احل الا ما احل الله في كتابه) رواه بهذا اللفظ الطبراني في الأوسط من حديث عائشة رضي الله عنها .

وقال الشافعي ايضا ليست تنزل باحد في الدين نازلة الا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها لا يقال ان من الاحكام ما ثبت ابتداءً بالسنة لان ذلك مأخوذ من كتاب الله تعالى في الحقيقة لان الله تعالى اوجب علينا اتباع الرسول ﷺ في غير موضع من القرآن ، وفرض علينا الاخذ بقوله دون من عداه ولهذا انهى عن التقليد ، وجميع السُنَّة شرح للقرآن وتفسير للفرقان .

قال الشافعي مرة بمكة المكرمة : سلوني عما شئتم أُخْبركم عنه من كتاب الله .

فقيل له : ما تقول في المحرم يقتل الزنبور .

فقال بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى (ما أتاكم الرسول فخذوه وما

نهاكم عنه فانتهوا) ثم روى عن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ بسنده انه قال اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر ، ثم روى عن عمر بن الخطاب انه امر بقتل المحرم الزنبور ، ومثل ذلك حكاية ابن مسعود في لعن الواشمات وغيرهن واستدلاله بالآية الكريمة المذكورة وهي معروفة رواها البخاري .

ونحوه حكاية المرأة التي كانت لا تتكلم الا بالقرآن وهي :

انها قال عبد الله بن المبارك خرجت قاصدا بيت الله الحرام وزيارة مسجد النبي عليه الصلوة والسلام فبينما انا سائر في الطريق واذا بسواد فمررت به واذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت (سلامٌ قولاً من رب رحيم) فقلت لها يرحمك الله تعالى ما تصنعين في هذا المكان ؟

فقالت (من يضلل الله فلا هادي له) فقلت انها ضالة عن الطريق فقلت أين تريدين ؟

فقالت (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) فعلمت انها قضت حجها وتريد بيت المقدس فقلت انت مذ كم في هذا المكان ؟

فقالت (ثلٰث ليال سويا) فقلت اما ارفعك طعاما .

فقالت (وأتموا الصيام الى الليل) فقلت لها ليس هذا شهر رمضان .

فقالت (ومن تطوع خيراً فان الله شاكر عليم) فقلت لها قد ابيح لنا الافطار في السفر .

فقالت (وان تصوموا خير لكم) فقلت لها لم لا تكلميني مثل ما اكلمك به؟ فقالت (مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) فقلت لها من اي الناس انت؟

فقلت : (ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولٰئك كان عنه مسؤولاً) فقلت لها قد اخطأت فاجعلني في حل .

فقالت (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) قلت لها هل لك ان احملك على ناقتي وتلحقي القافلة .

قالت : (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) فانخت مطيتي لها .

فقالت (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) فغضضت بصري عنها فقلت اركبي فلما ارادت ان تركب نفرت الناقة بها ومزقت ثيابها .

فقال (وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم) فقلت لها اصبري حتى أعقلها .

فقالت (ففهمناها سليمان) فشددت لها الناقة وقلت لها اركبي فلما ركبت .

قالت (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون) فاخذت بزمام الناقة وجعلت اسعى واصيح طربا.

فقالت لي :

(واقصد في مشيك وغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير) فجعلت امشي واترنم بالشعر .

(فقالت (واقرأوا ما تيسر من القرآن) فقلت ليس هو بحرام .

قالت (وما يذكره الا اولوا الالباب) فطرقت عنها ساعة فقلت لها هل لك ربع ؟

قالت (يا أيها الدين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم) فسكت عنها ولم اكملها حتى ادركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها ؟

فقالت (المال والبنون زينة الحيوة الدنيا) فعلمت ان لها اولادا ومالا فقلت لها ما شأنهم في الحاج ؟

قالت (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) فعلمت انهم اولاد الركب فقصدت بي القبابات والعمارات فقلت من لك فيها ؟

فقالت (واتخذ الله ابراهيم خليلا) ، (وكلم الله موسى تكليما) ، (يا

يحيى خذ الكتاب بقوة) فناديت يا ابراهيم يا موسى يا يحيى فجاءوني بالتلبية فاذا هم شبان كأنهم الاقمار قد اقبلوا فلما استقر بهم الجلوس .

قالت لهم (فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف) فقام احدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدي وقالت :

(كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية) فقلت لهم (طعامكم هذا عليّ حرام) حتى اخبروني بامرأتكم هذه فقالوا هذه لها اربعون سنة ما تتكلم الا بالقرآن مخافة ان تزل في كلامها فيسخط الله عليها فسبحان الله القادر على كل شيء انتهت الحكاية[1] وهي تدل على ان القرآن الكريم فيه كل شيء .

قال بعض السلف ما من شيء الا ويمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله حتى ان بعضهم استنبط عمر النبي ﷺ ثلثا وستين سنة من قوله تعالى في سورة المنافقين (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها) فانها رأس ثلث وستين وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده .

قال المرسى جَمَع القرآن وعلوم الاولين والآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة الا المتكلم به ثم رسول الله ﷺ خلا ما استأثر به سبحانه ثم ورث عنه معظم ذلك سادة الصحابة واعلامهم مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس حتى قال لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله ، ثم ورث عنهم التابعون باحسان ، ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم ، وتقالً اهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه فنوعوا علمه وقامت كل طائفة بفن من فنونه فاعتزم قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعدد كلماته وآياته وسوره واجزائه وأنصافه وأرباعه وعدد سجداته

---

(١) هذه الحكاية قد وجدتها في بياض سيدي الوالد العلامة حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري رحمه الله ولم ينسبها الى كتاب ولا صاحب كتاب منه مد ظله .

والتعليم عند كل عشر آيات الى غير ذلك من حصر الكُلمات المتشابهات والآيات المتماثلات من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر لما اودع فيه فسموا القراء .

واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبني من الاسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها واوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال واللازم والمتعدي ، ورسوم خط الكلمات وجميع ما يتعلق به ، حتى ان بعضهم اعرب مشكله وبعضهم اعربه كلمة كلمة .

واعتنى المفسرون بألفاظه ، فوجدوا منه لفظا يدل على معنى واحد ، ولفظا يدل على معنيين ، ولفظا يدل على اكثر فأجروا الاول على حكمه واوضحوا معنى الخفي منه وخاضوا في ترجيح احد محتملات ذي المعنيين والمعاني واعمل كل منهم فكره وقال بما اقتضاه نظره .

واعتنى الاصوليون بما فيه من الادلة العقلية والشواهد الاصلية والنظرية مثل قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة فاستنبطوا منه ادلة على وحدانية الله ووجوده وبقائه وقدمه وقدرته وعلمه وتنزيهه عما لا يليق به وسموا هذا العلم (باصول الدين) .

وتأملت طائفة منهم معاني خطابه ، وأن منها ما يقتضي العموم ، ومنها ما يقتضي الخصوص ، الى غير ذلك فاستنبطوا منه احكام اللغات من الحقيقة والمجاز ، وتكلموا في التخصيص والاضمار والنص والظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والامر والنهي والنسخ الى غير ذلك من انواع الاقيسة ، واستصحاب الحال والاستقراء وسموا هذا الفن اصول الفقه .

واحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الاحكام ، فابتنوا اصوله وفروعه وبسطوا القول في ذلك بسطا حسنا وسموه بعلم الفروع وبالفقه ايضا .

وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السابقة والامم الخالية ، ونقلوا

اخبارهم ودوّنوا آثارهم ووقائعهم ، حتى ذكروا بدء الدنيا اول الأشياء حتى سموا ذلك بالتارخ والقصص .

وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والامثال والمواعظ التي ترقق قلوب الرجال ، وتكاد تدكدك شوامخ الجبال ، فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد والتحذير والتبشير وذكر الموت والمعاد والنشر والحشر والحساب والعقاب والجنة والنار فصولا من المواعظ واصولا من الزواجر فسموا بذلك الخطباء والوعاظ .

واستنبط قوم مما فيه من اصول التعبير مثل ما ورد في قصة يوسف في البقرات السمان وفي منامَيْ صاحبي السجن ، وفي رؤ ياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة وسموه تعبير الرؤيا ، واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب فان عز عليهم اخراجها منه فمن السنة التي هي شارحة للكتاب ، فان عسر فمن الحكم والامثال .

ثم نظروا الى اصطلاح العوام في مخاطبتهم وعرف عادمهم الذي اشار اليه القرآن بقوله وأمر بالعرف .

وأخذ قوم مما في آية المواريث من ذكر السهام واربابها وغير ذلك علم الفرائض واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث والربع والسدس والثمن حساب الفرائض ومسائل العول ، واستخرجوا منها احكام الوصايا .

ونظر قوم الى ما فيه من الآيات الدالة على الحكم الباهرة في الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج غير ذلك فاستخرجوا منه علم المواقيت .

ونظر الكتّاب والشعراء الى ما فيه من جلالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والمبادىء والمقاطع والمخالص والتلوين في الخطاب والاطناب والايجاز وغير

---

(١) قال الإمام العلامة الشوكاني في الفتح الرباني انقضى زمن النبوة وايام نزول الوحي من السماء ولم تحدث مسئلة عائلة انما حدث العول في زمن الصحابة فاختلفوا الى آخر ما قال وقد اطاب في بيان ذلك واطال فمن شاء فليرجع اليه . حكيم معز الدين خالص يوري متوسل الرياسة سلمه الله تعالى .

ذلك فاستنبطوا منه المعاني والبيان والبديع .

ونظر فيه ارباب الاشارات واصحاب الحقيقة فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق جعلوا لها اعلاما اصطلحوا عليها من الفناء والبقاء والحضور والخوف والهيبة والانس والوحشة والقبض والبسط وما اشبه ذلك .

هذه الفنون التي اخذتها الملة الاسلامية منه وقد احتوى على علوم أُخر - مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك .

اما الطب فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة وغير ذلك وانما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة ، وقد جمع ذلك في آية واحدة وهي قوله (وكان بين ذلك قواما) وعرفنا فيه بما يعيد نظام الصحة بعد اختلاطه وحدوث الشفاء للبدن بعد اعلاله في قوله (شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس) ثم زاد على طب الاجساد بطب القلوب (وشفاء لما في الصدور) .

واما الهيئة ففي تضاعيف سور من الآيات التي ذكر فيها من ملكوت السموات والارض وما بث في العالم العلوي والسفلي من المخلوقات .

واما الهندسة ففي قوله تعالى (انطلقوا الى ظل ذي ثلث شُعَب لا ظليل ولا يغني من اللهب) فان فيه القاعدة الهندسية وهى ان الشكل المثلث لا ظل له .

واما الجدل فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج والقول بالموجب والمعارضة وغير ذلك شيئا كثيرا ومناظرة ابراهيم اصل في ذلك عظيم .

واما الجبر والمقابلة فقد قيل ان اوائل السور فيها ذكر مدد اعوام وايام وتواريخ امم سابقة وان فيها تاريخ بقاء هذه الامة وتاريخ هذه الدنيا وما مضى وما بقي مضروب بعضها في بعضٍ .

وأما النجامة ففي قوله (او اثارة من علم) فقد فسره ابن عباس بذلك وفيه اصول الصنائع واسماء الآلات التي تدعو الضرورة اليها فمن الصنائع :

الخيَاطة في قوله (وطفقا يخصفان) .

والحدادة في قوله (أتوني زبر الحديد) وقوله (وألنّا له الحديد) .
والبناء في آيات .
والنجارة (ان اصنع الفلك) .
والغزل (نقضت غزلها) .
والنسج (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) .
والفلاحة (افرأيتم ما تحرثون) وفي آيات اخر .
والضيه في آيات .
والغوص (كل بناء وغواص وتخرجون منه حلية) .
والصياغة(واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا) .
والزجاجة (صرح ممرد من قوارير) ، و (المصباح في زجاجة) .
والفخارة (فأوقد لي يا هامان على الطين).
والملاحة (اما السفينة) الآية .
والكتابة (علم بالقلم) وفي آيات أُخر .
والخبز والعجن (احمل فوق رأسي خبزا) .
والطبخ (فجاء بعجل حنيذ) .
والغسل والقصارة (وثيابك فطهر) وقال الحواريون وهم القصارون .
والجزارة (الا ما ذكيتم) والبيع والشراء في آيات كثيرة والصبغ (صبغة الله ومن احسن من الله صبغة) ، (وبيض وحمر) .
والحجارة (تنحتون الجبال بيوتا) والكيالة (والوزن) في آيات كثيرة .
والرمي (وما رميت اذ رميت) ، (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) .

وفيه من اسماء الآلات وضرب المأكولات والمشروبات والمنكوحات وجميع مَا وقع ويقع في الكائنات ما يحقق معنى قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء انتهى كلام المرسي ملخصاً مع زيادات .

قال السيوطي في الاكليل وانا اقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء .

اما انواع العلوم فليس منها باب ولا مسئلة هي اصل الا وفي القرآن ما يدل عليها ، وفيه علم عجائب المخلوقات ، وملكوت السموات والارض ، وما في الافق الأعلى وتحت الثرى وبدء الخلق ، واسماء مشاهير الرسل والملائكة وعيون اخبار الامم السابقة ، كقصة آدم مع ابليس في اخراجه من الجنة .

وفي الولد الذي سماه عبد الحارث ورفع ادريس وغرق ، قوم نوح .

وقصة عاد الاولى والثانية ، وقوم تبع ويونس ، واصحاب الرس وثمود والناقة ، وقوم لوط وقوم شعيب الاولين والآخرين فانه ارسل مرتين ، وقصة موسى في ولادته وإلقائه في اليم ، وقتله القبطي ومسيره الى مدين ، وتزوجه ابنة شعيب وكلامه تعالى بجانب الطور ومجيئه الى فرعون وخروجه واغراق عدوه ، وقصة العجل والقوم الذين خرج بهم واخذتهم الصاعقة ، وقصة القتيل ، وذبح البقرة ، وقصته في قتل الجبارين ، وقصته مع الخضر ، والقوم ساروا في سرب من الارض الى الصين ، وقصة طالوت ، وداود مع جالوت ، وفتنته ، وقصة سليمان وخبره مع ملكة سبإ وفتنته وقصة القوم الذين خرجوا فراراً من الطاعون فأماتهم الله ثم احياهم ، وقصة ابراهيم في مجادلة قومه ، ومناظرة نمروذ وقصة وضعه ابنه اسمعيل مع امه بمكة وبنائه البيت ، وقصة الذبيح وقصة يوسف ، وما ابسطها واحسنها قصصا ، وقصة مريم وولادتها عيسى وارساله ورفعه ، وقصة زكريا وابنه يحيى وقصة ايوب وذي الكفل وقصة ذي القرنين ومسيره الى مطلع الشمس ومغربها وبناء السد وقصة اهل الكهف وقصة اصحاب الرقيم وقصة بخت نصر وقصة الرجلين اللذين لاحدهما الجنة وقصة اصحاب الجنة وقصة مؤمن آل يٰس ، وقصة اصحاب الفيل وقصة الجبار الذي اراد ان يصعد الى السماء انتهى .

وبقيت قصص لم يشر اليها السيوطي ، منها قصة قتل قابيل اخاه هابيل وقصة دفن هابيل بدلالة الغراب ، وقصة وصية يعقوب بنيه الى غير ذلك قال وفيه

من شأن النبي ﷺ دعوة ابراهيم وبشارة عيسى وبعثه وهجرته .

ومن غزواته غزوة بدر في سورة الانفال واحد في آل عمران وبدر الصغرى فيها والخندق في الاحزاب والنضير في الحشر والحديبية في الفتح وتبوك في براءة وحجة الوداع في المائدة .

ونكاحة زينب بنت جحش ، وتحريم سرية ، وتظاهر ازواجه عليه ، وقصة الإفك ، وقصة الاسراء وانشقاق القمر وسحر اليهود .

وفيه بدء خلق الانسان الى موته وكيفية الموت وقبض الروح وما يفعل بها بعد عودها الى السماء وفتح الباب للمؤمنة وإلقاء الكافرة ، وعذاب القبر والسؤال فيه ، ومقر الارواح واشراط الساعة الكبرى ،العشرة وهي : نزول عيسى وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج والدابة والدخان ورفع القرآن وطلوع الشمس من غربها وغلق باب التوبة والخسف ، واحوال البعث من نفخ الصور للفزع وللصعق وللقيام والحشر والنشر واهوال الموقف وشدة الشمس وظل العرش والصراط والميزان والحوض والحساب لقوم ونجاة آخرين .

ومنه شهادة الاعضاء وايتاء الكتب بالايمان والشمائل وخلف الظهر والشفاعة اي بالاذن .

والجنة[1] وابوابها وما فيها من الانهار والاشجار والثمار والحلي والاواني والدرجات ورؤ ية الله تعالى .

والنار[2] وما فيها من الاودية وانواع العقاب واصناف العذاب والزقوم

---

(١) وفيه كتاب حادي الارواح الى بلاد الافراح للحافظ ابن القيم الذي لخصه السيد العلامة المؤلف لهذا الكتاب وسماه مثير ساكن الغرام الى روضات دار السلام وهو كتاب لم يؤلف مثله قبله في الاسلام مولوي محمد عبد المجيد خان مهتم المطابع الرياسة سلمه ربه .

(٢) وقد ألف في ذلك السيد الامام مؤلف هذا الكتاب كتابا نفيسا في مجلد لطيف سماه يقظة اولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار واصحاب النار وهو من مبتكراته في هذا الباب حافظ سيد محمد سورتي مهتم وظائف الرياسة سلمه الله .

الحميم الى غير ذلك مما لو بسط لجاء في مجلدات .

وفي القرآن جميع اسمائه تعالى الحسنى كما ورد في الحديث وفيه من اسمائه مطلقا الف اسم .

وفيه من اسماء النبي ﷺ جملة اي سبعون اسما ذكرها السيوطي في آخر الاكليل .

وفيه شعب الايمان البضع والسبعون .

وفيه شرائع الاسلام الثلثمائة وخمسة عشر وفيه انواع الكبائر وكثير من الصغائر وفيه تصديق كل حديث روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الحسن البصري انزل الله مائة واربعة كتب اودع علومها اربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، ثم اودع علوم الثلثة الفرقان ، ثم اودع علوم الفرقان المفصل ، ثم اودع علوم الفصل فاتحة الكتاب ، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة اخرجه البيهقي .

قلت ولذلك كانت قراءتها في كل ركعة من الصلوة وان كان مأموما واجبة عند أهل المعرفة بالحق ، وكانت السبع المثاني والقرآن العظيم ، وقد وردت احاديث كثيرة في فضلها ما خلا ما صرح بوضعها اهل النقد من علم الحديث وقد فسرها جماعة من اهل العلم مفردة بالتأليف وابسطوا القول فيها واجملوا واستنبط الفخر الرازي الامام منها عشرة آلاف مسئلة كما صرح بذلك في اول تفسيره الكبير ، وكل ذلك يدل على عظم مرتبة الكتاب العزيز ورفعة شأن الفرقان الكريم قال الشافعي رحمه الله جميع ما تقول الأئمة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن .

قلت ولذا كان الحديث والقرآن اصلي الشرع لا ثالث لهما ، وقول الاصوليين ان ادلة الشرع واصوله أربعة : الكتاب والسنة والاجماع والقياس تسامح ظاهر ، كيف وهما كفيلان لحكم كل ما حدث في العالم ويحدث فيه الى يوم

القيامة دلت على ذلك آيات من الكتاب العزيز وآثار من السنة المطهرة ، والى ذلك ذهب أهل الظاهر وهم الذين قال فيهم رسول ﷺ : (لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق) الحديث قال بعض السلف :

ما قال النبي ﷺ من شيء الا وهو في القرآن أو فيه اصله قرب او بعد فهمه من فهم وعمي منه من عمي وكذا كل ما حكم او قضى به انتهى .

فاذا كان السنة شرحا للكتاب فماذا يقال من فضل الكتاب نفسه ، وكفى له شرفا انه كلام ربنا الخلاق الرزاق المنعم بلا استحقاق انزله حكما عدلا جامعا للعلوم والفضائل كلها والفنون باسرها والفواضل والمحاسن والمكارم والمحامد والمناقب والمراتب بقلها وكثرها لا يساويه كتاب ولا يوازيه خطاب ، وهذه جملة القول فيه .

وقد اكثر الناس التصنيف في انواع علوم القرآن وتفاسيرها ، والف الشيخ الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله في جملة من انواعه كأسباب النزول والمعرب والمبهمات ومواطن الورود وغير ذلك وما من كتاب منها الا وقد فاق الكتب المؤلفة في نوعه ببديع اختصاره ، وحسن تحريره وكثرة جمعه .

وقد افرد الناس في احكامه كتبا كالقاضي اسمعيل والبكر بن العلاء وابي بكر الرازي والكيا الهراسي ، وابي بكر بن العربي ، وابن الفرس ، والموزعي وغيرهم وكل منهم أفاد واجاد وجمع فابدع واوعى .

وللسيوطي في ذلك كتاب الاكليل في استنباط التنزيل أورد فيه كل ما استنبط منه واستدل به عليه من مسئلة فقهية او اصولية او اعتقادية فاشدد بذلك الكتاب يديك وعض عليه بناجذيك .

وألفت انا في الاحكام خاصة كتاب نيل المرام من تفسير آيات الاحكام ، وبالجملة فعلوم الكتاب لا تحصى وتفاسيره لا تستقصى وفنونه لا تتناهى وبركاته لا

تقف عند حد وأنواره لا ترسم برسم ولا تحد بحد .

واذا تقرر ذلك عرفت ان العلوم التي ذكرناها في هذا الكتاب كلها موجودة في ذلك الكتاب دلالة واشارة منطوقا او مفهوما مفسرا او مجملا ولا يعرفها الا من رسخ قدمه في الكمال وسبح فهمه في بحار العلم بالتفصيل والاجمال والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

علم تقاسيم العلوم

هو علم يبحث فيه عن التدرج من اعم الموضوعات الى اخصها ليحصل بذلك موضوع العلوم المندرجة تحت ذلك الاعم ، ولما كان اعم العلوم موضوعا العلم الآلهي جعل تقسيم العلوم من فروعه ، ويمكن التدرج فيه من الاخص الى الاعم على عكس ما ذكر لكن الاول اسهل وايسر .

وموضوع هذا العلم وغايته والغرض منه ومنفعته كلها لا يخفى على احد .

وصنف ابن سينا في هذا العلم رسالة وهذا الكتاب الذي نحن بصدد تنقيحه وتهذيبه عظيم النفع في هذا الباب ان شاء الله تعالى وتقدم الكلام على هذه التقاسيم في القسم الاول من هذا الكتاب على وجه التفصيل .

علم تلفيق الحديث

هو علم يبحث فيه عن التوفيق بين الاحاديث المتنافية ظاهر ، اما بتخصيص العام تارة او بتقييد المطلق اخرى ، او بالحمل على تعدد الحادثة الى غير ذلك من وجوه التأويل وكثيرا ما يورده شراح الاحاديث اثناء شروحهم الا ان بعضا من العلماء قد اعتنى بذلك فدونوه على حدة ذكره ابو الخير من فروع علم الحديث والتصانيف في هذا الفن قليلة .

باب الثاء المثلثة

علم الثقات والضعفاء من رواة الحديث

هو من اجل نوع وافخمه من انواع علم الاسماء والرجال ، فانه المرقاة . الى معرفة صحة الحديث وسقمه .

والى الاحتياط في امور الدين وتمييز مواقع الغلط والخطأ في بدء الاصل الاعظم الذي عليه مبنى الاسلام واساس الشريعة .

وللحفاظ فيه تصانيف كثيرة منها ما افرد في الثقات ككتاب الثقات للامام الحافظ ابي حاتم محمد بن حبان البستي المتوفى سنة اربع وخمسين وثلثمائة ، وكتاب الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة للشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي المتوفى سنة تسع وسبعين وثمانمائة وهو كبير في اربع مجلدات ، وكتاب الثقات لخليل بن شاهين وكتاب الثقات للعجلي .

ومنها ما افرد في الضعفاء ككتاب الضعفاء للبخاري وكتاب الضعفاء للنسائي والضعفاء لمحمد بن عمرو العقيلي المتوفى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة .

ومنها ما جمع بينهما كتاريخ البخاري ، وتاريخ ابن ابي حيثمة قال ابن الصلاح رحمه الله وما اغزر فوائده وكتاب الجرح والتعديل لابن ابي حاتم رحمه الله .

باب الجيم
علم الجَبْر والمقابلة

هو من فروع علم الحساب ، لانه علم يعرف فيه كيفية استخراج مجهولات عددية بمعادلتها المعلومات مخصوصة على وجه مخصوص .

ومعنى الجبر زيادة قدر ما نقص من الجملة المعادلة بالاستثناء في الجملة الاخرى لتتعادلا .

ومعنى المقابلة اسقاط الزائد من احدى الجملتين للتعادل .

وبيانه انهم اصطلحوا على ان يجعلوا للمجهولات مراتب من نسبة تقتضي ذلك بطريق التضعيف بالضرب .

اولها :العدد لانه به يتعين المطلوب المجهول باستخراجه من نسبة للمجهول اليه .

وثانيها :الشيء لان كل مجهول فهو من حيث ابهامه شيء ،وهو ايضا جذر لما يلزم من تضعيفه في المرتبة الثانية .

وثالثها :المال وهو مربع مبهم وما بعد ذلك فعلى نسبة الاس في المضروبين .

ثم يقع العمل للفروض في المسئلة فيخرج العمل المفروض الى معادلة بين مختلفين او اكثر من هذه الاجناس فيقابلون بعضها ببعض ، ويجبرون ما فيها من

الكسر حتى يصير صحيحا ، ويحطون المراتب الى اقل الاسوس ان امكن حتى يؤول الى الثلثة التي عليها مدار الجبر عندهم وهي العدد والشيء والمال .

توضيحه ان كل عدد يضرب في تفسير يمسي بالنسبة الى حاصل ضربه في نفسه شيئا في هذا العلم ويفرض هناك كل مجهول يتصرف فيه شيئا ايضا ويسمى الحاصل من الضرب بالقياس الى العدد المذكور مالا في هذا العلم ، فان كان في احد المتعادلين من الاجناس استثناء ، كما في قولنا عشرة الاشياء يعدل اربعة شيئا .

فالجبر رفع الاستثناء بان يزاد مثل المستثنى على المستثنى منه فيجعل العشرة كاملة ، كأنه يجبر نقصانها ، او يزاد مثل المستثنى على عديله كزيادة الشيء في المثال بعد جبر العشرة على اربعة اشياء حتى تصير خمسة .

وان كان في الطرفين اجناس متماثلة فالمقابلة ان تنقص الاجناس من الطرفين بعدة واحدة .

وقيل هي تقابل بعض الاشياء ببعض على المساواة كما في المثال المذكور ، اذا قوبلت العشرة بالخمسة على المساواة .

وسمي العلم بهذين العملين علم الجبر والمقابلة لكثرة وقعهما فيه .

قال ابن خلدون فان كانت المعادلة بين واحد وواحد تعين فالمال والجذر يزول ابهامه بمعادلة العدد ويتعين .

والمال وان عادل الجذور يتعين بعدتها وان كانت المعادلة بين واحد واثنين اخرجه العمل الهندسي من طريق تفضيل الصرف في الاثنين .

واكثر ما انتهت المعادلة عندهم الى ست مسائل لأن المعادلة بين عدد وجزر أي شيء ومال مفردة او مركبة تجيء ستة .

ومنفعته استعلام المجهولات العددية اذا كانت معلومة العوارض ورياضة الذهن .

واول من كتب هذا الفن ابو عبد الله الخوارزمي وبعده ابو كامل شجاع بن اسلم وجاء الناس على أثره فيه وكتابه في مسائله الست من احسن الكتب الموضوعة فيه وشرحه كثير من اهل الاندلس فأجادوا .

ومن احسن شروحه كتاب القرشي وقد بلغنا ان بعض ائمة التعاليم من اهل المشرق انهى المعادلات الى اكثر من هذه الستة الاجناس وبلغها الى فوق العشرين واستخرج لها كلها اعمالا واتبعه ببراهين هندسية والله يزيد في الخلق ما يشاء سبحانه وتعالى انتهى .

قال الشيخ عمر بن ابراهيم الخيامي ان احد المعاني التعليمية من الرياضي هو الجبر والمقابلة وفيه ما يحتاج الى اصناف من المقدمات معتاصة جدا متعذر حلها اما المتقدمون فلم يصل الينا منهم كلام فيها العلم لم يتفطنوا لها بعد الطلب والنظر او لم يضطر البحث الى النظر فيها ولم ينقل الى لساننا كلامهم .

وأما المتأخر فقد عنَّ لهم تحليل المقدمة استعملها ارشميدس في الرابعة من الثانية في الكرة والاسطوانة بالجبر فنادى الى كتاب واموال واعداد متعادلة فلم يتفق له حلها بعد ان انكر فيها مليا فجزم بانه ممتنع حتى تبعه ابو جعفر الخازن وحلها بالقطوع المخروطية ثم افتقر بعده جماعة من المهندسين الى عدة اصناف منها فبعضهم حل البعض انتهى .

قال في مدينة العلوم ومن الكتب المختصرة فيه نصاب الجبر لابن فلوس الماريديني ، والمفيد لابن المحلي الموصلي .

ومن المتوسطة كتاب الظفر للطوسي .

ومن المبسوطة جامع الاصول لابن المحلي والكامل لابي شجاع بن اسلم وبرهن السمّوك على مسائله بالبراهين العددية والهندسية ، وارجوزة ابن الياسمين وشرحه مختصر نافع اورد فيه ما لا بد منه .

ومن الرسائل الوافية بالمقصود رسالة شرف الدين محمد بن مسعود بن محمد المسعودي .

علم الجدل

هو علم باحث عن الطرق التي يقتدر بها على إبرام اي وضع أُريد ونقض اي وضع كان .

وهو من فروع علم النظر ، ومبني لعلم الخلاف .

مأخوذ من الجدل الذي هو أحد اجزاء مباحث المنطق ، لكنه خص بالعلوم الدينية .

ومبادئه بعضها امور مبينة في علم النظر ، وبعضها خطابية ، وبعضها امور عادية .

وله استمداد من علم المناظرة المشهور بآداب البحث .

وموضوعه تلك الطرق .

والغرض منه تحصيل ملكة النقض والابرام والهدم والاحكام .

وفائدته كثيرة في الاحكام العلمية والعملية من جهة الإلزام على المخالفين ودفع شكوكهم كذا في مفتاح السعادة .

ولا يبعد ان يقال ان علم الجدل هو علم المناظرة لان المآل منهما واحد الا أن الجدل اخص منه ويؤيده كلام ابن خلدون في المقدمة حيث قال هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين اهل المذاهب الفقهية وغيرهم ، فانه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا وكل واحد من المناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ فاحتاج الأئمة الى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودها في الرّد والقبول ، وكيف يكون حال المستدل والمجيب ، وحيث يسوغ له ان يكون مستدلا وكيف يكون مخصوصا منقطعاً ، ومحل اعتراضه او معارضته ، واين يجب عليه السكوت

ولخصمه الكلام والاستدلال ، ولذلك قيل فيه : انه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها الى حفظ رأي وهدمه كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره .

وهي طريقتان :

طريقة البزدوي وهي خاصة بالأدلة الشرعية من النص والاجماع والاستدلال .

وطريقة العميدي وهي عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان ، وأكثره استدلال ، وهو من المناحي الحسنة والمغالطات فيه في نفس الأمر كثيرة .

واذا اعتبرنا النظر المنطقي كان في الغالب اشبه بالقياس المغالطي والسوفسطائي الا أن صور الادلة والأقيسة فيه محفوظة مراعاة تتحرى فيها طرق الاستدلال كما ينبغي .

وهذا العميدي هو اول من كتب فيها ونسبت الطريقة اليه وضع الكتاب المسمى (بالارشاد) مختصراً ، وتبعه من بعده من المتأخرين كالنسفي وغيره جاؤوا على أثره وسلكوا مسلكه ، وكثرت في الطريقة التأليف وهي لهذا العهد مهجورة لنقص العلم والتعليم في الامصار الاسلامية ، وهي مع ذلك كمالية وليست ضرورية والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق انتهى .

وقال ابو الخير وللناس فيه طرق احسنها طريق ركن الدين العميدي .

واول من صنف فيه من الفقهاء الامام ابو بكر محمد بن علي بن اسمعيل القفال الشاشي الشافعي المتوفى سنة ست وثلٰثين وثلثمائة .

وعن بعض العلماء اياك ان تشتغل بهذا الجدل الذي ظهر بعد انقراض الاكابر من العلماء ، فانه يبعد عن الفقه ، ويضيع العمر ، ويورث الوحشة والعداوة ، وهو من اشراط الساعة وارتفاع العلم والفقه كذا ورد في الحديث حيثما ذكر في تعليم المتعلم ولله در القائل :

أرى فقهاء العصر طرا اضاعوا العلم واشتغلوا بلم لم
اذا ناظرتهم لم تلق منهم سوى حرفين لم لم لا نسلم

قلنا والانصاف ان الجدل لاظهار الصواب على مقتضى قوله تعالى (وجادلهم بالتي هي احسن) لا بأس به وربما ينتفع به في تشحيذ الاذهان وتصقيل الخواطر وتمرين الطبائع ، والممنوع هو الجدل الذي يضيع الاوقات ولا يحصل منه طائل ، وكثيرا ما لا يخلو عن التحاسد والتنافس المذمومين في الشرع فعليك الاحتياط لئلا تقع في المهالك من حيث لا تشعر انتهى .

قال في مدينة العلوم ومن الكتب المختصرة فيه المغني الابهري والفصول للنسفي ، والخلاصة للمراغي ، ومقدمة النسفي وعليها شروح أحسنها شرح السمرقندي .

ومن المتوسطة اللفائس للعميدي ، والرسائل للارموي ، وتهذيب النكت للابهري .

وفي هذا العلم مصنفات كثيرة لكنها لم تشتهر في بلادنا غير ما ذكرناه انتهى .

علم الجراحة

هو علم باحث عن احوال الجراحات العارضة لبدن الانسان وكيفية برئها وعلاجها ومعرفة انواعها وكيفية القطع ان احتيج اليه ، ومعرفة كيفية المراهم والضمادات وانواعها ، ومعرفة الادوات اللازمة لها .

وهذا العلم جزء من علم الطب وقد يفرد عنه بالتدوين ومنفعته عظيمة جدا ، وهذا العلم بالعمل اشبه منه بالعلم وفي كتاب منهاج البيان ما فيه كفاية في هذا الشأن .

أقول الأصل فيه عمدة الجراحين لابي الفرج .

ومن الكتب المؤلفة فيه جراح نامة تركي لابراهيم بن عبد الله الجراح ذكر فيه ان قلعة متون لما فتحت وجد فيها كتابا يونانيا اسمه جندار فترجمه ورتب على ثلثة وعشرين باباً وجراحات الرأس لبقراط وغيره والله اعلم بالصواب .

علم جر الأثقال

هو علم يبحث فيه عن كيفية اتخاذ آلات تجر الأشياء الثقيلة بالقوة اليسيرة .

ومَنفعته ظاهرة حتى للعوام وقد برهن ايدن في كتابه في هذا العلم على نقل مائة الف رطل بقوة خمسمائة ، وهذا أمر يستبعده العقول القاصرة .

وهو من فروع علم الهندسة وبرهن الامام في آخر جامع العلوم على بعض مسائله ولم يذكر صاحب مفتاح السعادة كتابا في هذا الفن وكذا صاحب مدينة العلوم ولكن حدثت في هذا الزمان كتب كثيرة في هذا العلم بلسان الفرنج ولهم يد طولى في ذلك وقد اوجدوا في زماننا هذا اشياء تجر الاثقال والاحمال الكثيرة الى مسافات شاسعة عسيرة في ازمنة قليلة يسيرة تحار منها الافهام وتأبى عن ضبطها الاقلام منها العجلة الدخانية تقطع مسيرة شهر في يوم وليلة .

علم الجرح والتعديل

هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة وعن مراتب تلك الالفاظ .

وهذا العلم من فروع علم رجال الاحاديث ، ولم يذكره احد من اصحاب الموضوعات مع انه فرع عظيم والكلام في الرجال جرحا وتعديلا ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم عن كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم جوز ذلك تورعا وصونا للشريعة لا طعنا في الناس ، وكما جاز الجرح في الشهود جاز في الرواة والتثبت في امر الدين أولى من التثبت في الحقوق والاموال ، فلهذا افترضوا على انفسهم الكلام في ذلك .

واول من عنى بذلك من الأئمة الحفاظ شعبة بن الحجاج ثم تبعه يحيى بن سعيد .

قال الذهبي في ميزان الاعتدال اول من جمع في ذلك الامام يحيى بن سعيد القطان ، وتكلم فيه بعده تلامذته يحيى بن معين ، وعلي بن المديني وأحمد بن حنبل ، وعمرو بن علي القلانسي وابو حيثمة زهير وتلامذتهم كأبي زرعة وابي حاتم والبخاري ومسلم وابي اسحق الجوزجاني والنسائي وابن خزيمة والترمذي والدولابي والعقيلي وابن عدي وابي الفتح الازدي والدارقطني والحاكم الى غير ذلك .

اقول ومن الكتب المصنفة فيه كتاب الجرح والتعديل لابي الحسن احمد بن عبد الله العجلي الكوفي نزيل طرابلس المغرب المتوفى سنة احدى وستين .

وكتاب الجرح والتعديل للامام الحافظ ابي محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم محمد الرازي المتوفى سنة سبع وعشرين وثلثمائة وهو كتاب كبير اوله الحمد لله رب العالمين بجميع محامده كلها ذكر فيه انه لما لم يجد سبيلا الى معرفة شيء من معاني كتاب الله سبحانه وتعالى ولا من سنن رسول الله ﷺ الا من جهة النقل والرواية وجب ان يميز بين العدول الناقلة والرواة وثقاتهم واهل الحفظ والثبت والاتقان منهم وبين اهل الغفلة والوهم وسوء الحفظ والكذب واختراع الحديث الكاذب والكذب انتهى .

والكامل لابن عدي وهو اكمل الكتب فيه وميزان الاعتدال في نقد الرجال الذهبي وهو اجمع ما جمع فيه ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني رحمه الله .

علم جغرافيا

هي كلمة يونانية بمعنى (صورة الارض) ويقال جغراويا بالواو على الاصل .

وهو علم يتعرف منه احوال الاقاليم السبعة الواقعة في الربع المسكون من كرة الارض وعروض البلدان الواقعة فيها واطوالها وعدد مدنها وجبالها وبراريها وبحارها وانهارها الى غير ذلك من احوال الربع المعمور كذا في مفتاح السعادة ومدينة العلوم .

قال الشيخ داود في تذكرته جغرافيا علم باحوال الارض من حيث تقسيمها الى الاقاليم والجبال والانهار وما يختلف حال السكان باختلافه انتهى وهو الصواب لشموله على غير السبعة وجغرافيا علم لم ينقل له في العربية لفظ مخصوص .

واول من صنف فيه بطلميوس القلوزي فانه صنف كتابه المعروف بجغرافيا بعد ما صنف المجسطي وذكر ان عدد المدن اربعة آلاف وخمسمائة وثلثون مدينة في عصره وسماها مدينة مدينة ، وان عدد جبال الارض مائتا جبل ونيف ، وذكر مقدارها وما فيها من المعادن والجواهر ، وذكر البحار ايضا وما فيها من الجزائر والحيوانات وخواصها وذكر اقطار الارض وما فيها من الخلاق على صورهم واخلاقهم وما يأكلون وما يشربون ، وما في كل سقع[1] مما ليس في الآخر غيره من الارزاق والتحف والامتعة فصار اصلا يرجع اليه من صنف بعده لكن اندرس كثير مما ذكره وتغيرت اسماؤه وخبره فانسد باب الانتفاع منه وقد عربوه في عهد المأمون ولم يوجد الآن تعريبه انتهى .

اقول وفي كتابي لقطة العجلان طرف من هذا العلم على سبيل الاختصار وكذا في مقدمة ابن خلدون واريد ان افرز هذا العلم منها فانه احسن في بيانه واجاد وحرّر وأفاد .

---

(١) السُّقع والصُّقع الناحية كذا في القاموس .

وفي لسان الافرنج والهندكية حدثت كتب كثيرة في هذا العلم في عصرنا هذا يعسر عدها ويطول حدها وأوضحوا فيها ما عليه الاقاليم السبعة الآن من المدن والأمصار والقرى والابحار والسواحل والانهار والبراري والقفار مع اختلاف لغات الامم في اسمائها ولله الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ .

علم الجَفَر وَالجَامعَة

قال اهل المعرفة بهذا العلم هو عبارة عن العلم الاجمالي بلوح القضاء والقدر المحتوى على كل ما كان وما يكون كليا وجزئيا .

والجفر عبارة عن لوح القضاء الذي هو عقل الكل .

والجامعة لوح القدر الذي هو نفس الكل ، وقد ادعى طائفة أن الامام علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه وضع الحروف الثمانية والعشرين على طريق البسط الاعظم في جلد الجفر يستخرج منها بطرق مخصوصة وشرائط معينة ألفاظ مخصوصة تدل على ما في لوح القضاء والقدر .

وهذا علم توارثه اهل البيت ومن ينتمي اليهم ويأخذ منهم من المشائخ الكاملين وكبار الأولياء وكانوا يكتمونه عن غيرهم كل الكتمان ، وقيل لا يفقه في هذا الكتاب حقيقة الا المهدي المنتظر خروجه في آخر الزمان .

وورد هذا في كتب الانبياء السالفة كما نقل عن عيسى بن مريم عليهما الصلوٰة والسلام نحن معاشر الانبياء نأتيكم بالتنزيل وأما التأويل فسيأتيكم به البارقليط الذي سيأتيكم بعدي .

نقل ان الخليفة المأمون لما عهد بالخلافة من بعده الى علي بن موسى الرضا وكتب اليه كتابه عهده كتب هو في آخر ذلك الكتاب نعم الا ان الجفر والجامعة يدلان على أن هذا الامر لا يتم وكان كما قال لأن المأمون استشعر لاجل ذلك فتنة

من طرف ابن العباس فسم الامام علي بن موسى الرضا في عنب على ما هو المسطور في كتب التواريخ كذا في مفتاح السعادة ومدينة العلوم .

قال ابن طلحة الجفر والجامعة كتابان جليلان احدهما ذكره الامام علي بن ابي طالب وهو يخطب على المنبر بالكوفة ، والآخر اسرّه اليه رسول الله ﷺ وأمره بتدوينه ، فكتبه علي حروفا متفرقة على طريق سفر آدم في جفر يعني في رق صنع من جلد البعير فاشتهر بين الناس به لانه وجد فيه ما جرى للازلين والآخرين .

والناس مختلفون في وضعه وتكسيره .

فمنهم من كسره بالتكسير الصغير وهو جعفر الصادق وجعل في حافية البار الكبير . ا ب ت ث . الى آخرها والباب الصغير ابجد الى قرشت . وبعض العلماء قد سمى الباب الكبير بالجفر الكبير والصغير بالجفر الصغير فيخرج من الكبير الف مصدر ومن الصغير سبعمائة .

ومنهم من يضعه بالتكسير المتوسط وهي الطريقة التي توضع بها الأوفاق الحرفية وهو الاولى والاحسن وعليه مدار الحافية القمرية والشمسية .

ومنهم من يضعه بطريق التكسير الكبير وهو الذي يخرج منه جميع اللغات والأسماء .

ومنهم من يضعه بطريق التركيب الحرفي وهو مذهب افلاطون .

ومنهم من يضعه بطريق التركيب العددي وهو مذهب سائر اهل الهنة .

وكل موصل الى المطلوب .

ومن الكتب المصنفة فيه الجفر الجامع والنور اللامع للشيخ كمال الدين ابي سالم محمد بن طلحة النصيبي الشافعي المتوفى سنة اثنتين وخمسين وستمائة مجلد صغير اوله الحمد لله الذي اطلع من اجتباه الخ ذكر فيه ان الأئمة من اولاد جعفر يعرفون الجفر فاختار من اسرارهم فيه انتهى ما في كشف الظنون أقول وهذه أقوال

ساقطة جدا والحق في الباب ما ذكرناه وحققناه في كتابنا لقطة العجلان فارجع اليه .

علم الجناس

وهو وان كان من انواع البديع ، لكن لما كان البحث هناك على وجه كلي في مطلق الكلام وهنا على وجه جزئي في كلام منقول عن الفضلاء والبلغاء افردوه بالتدوين وجعلوه فرعا على البديع او على المحاضرات .

وهو علم باحث عن اللفظين الذين بينهما تشابه في اللفظ فقط أو فيه وفي الخط مع تغايرهما في المعاني والا فلا تجنيس اصلا ووجوه التشابه

وأقسامه مذكورة في موضعها وليس هذا المقام موضع الاستقصاء فيه قبل التجنيس على نوعين جناس شكلي وجناس غير شكلي قال ابو الفتح البستي من اصلح فاسده ارغم حاسده ومن اطاع غضبه اضاع ادبه عادات السادات سادات العادات من سعادة جدك وقوفك عند حدك الرشوة رشا الحاجات المنية تضحك من الأمنية حد العفاف الرضا بالكفاف ، ومن ذلك قول رشيد الدين الوطواط رَبَّ رُبَّ غني غي سرَّته شرِته فجاءه فجاءة بعد بُعد عشرته عسرته ، أي يا رب كم من غني متصف بالغباوة سرته اضراره بالناس حتى جاءه بغته بعد طول معاشرته ونعمه العسر والفقر .

ومنه إن لم يكن لنا حظ في دَرْك دَرِك فخلصنا من شرَكِ شرِّك .

ومنه ان اخليتنا من مبارك مباركّ فارحنا من معارك معاركّ .

ومن غرائب[1] التجنيس قول عليّ بن ابي طالب عليه السلام غَرَّك عزك فصار قصارى ذلّك فاخش فاحش فعلك وفعلّك تهدى بهذا فأجابه معاوية على قدري على قِدْري .

علم الجواهر

هو علم يبحث فيه عن كيفية الجواهر المعدنية البرية كالالماس واللعل والياقوت والفيروز ، والبحرية كالدر والمرجان وغير ذلك ومعرفة جيدها من رديها بعلامات تختص بكل نوع منها ومعرفة خواص كل منها .

وغايته وغرضه ظاهرة لا تخفى على الانسان والتصانيف فيه كثيرة شهيرة بالعربية والفارسية ايضا .

علم الجهاد

هو علم يعرف به احوال الحرب وكيفية ترتيب العسكر واستعمال السلاح ونحو ذلك ، وهو باب من ابواب الفقه تذكر فيه احكامه الشرعية وقد بينوا احواله العادية وقواعده الحكمية في كتب مستقلة ولم يذكره اصحاب الموضوعات بلفظ علم الجهاد ولكنهم ذكروه في ضمن علوم كعلم ترتيب العسكر وعلم الآلات الحربية ونحو ذلك ، لكن الاولى انه يذكر ههنا .

---

(١) قال ابن خلكان غرك غرك الى آخره لابي شجاع عضد الدولة كتبها جوابا لأبي منصور قال الارنيقي ولا منافاة بين الروايتين ومن الجائز ان يكتب عضد الدولة كلام امير المؤمنين علي رضي الله عنه فيما رام موافقا حاله على ان أحسن الكلام شاهد بأن ذلك لا يكون الا لأمير المؤمنين اذ لا تيسير مثله لأفاضل البلغاء والكتاب قطعاً انتهى قلت وفيه نظر واضح لان في كلام الادباء عبارات كثيرة وجدت على هذا النسق في النظم والنشر وللشيخ الفاضل فضل حق الخير آبادي قصائد كثيرة تشتمل على جناس كثير حتى اخرج الكلام عن حسن المذاق وصيره ثقيلا في السماع وعسيرا في الفم فأين هذا من ذاك والله اعلم ، مولوي اعظم حسين خير آبادي سلمه الله تعالى .

ومن الكتب المصنفة فيه الاجتهاد في طلب الجهاد وجمعت كتابا في احكام الجهاد سميته (العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة) وللسيد الامام المجتهد محمد بن اسمعيل الامير رسالة مستقلة في ذلك الباب ذكر فيها مسئلة هل قتال الكفار لطلب اسلامهم ام لدفع شرهم وله رحمة الله ايضا كلام فيها في منحته الغفار حاشية ضوء النهار من كتاب السير .

باب الحاء المهمَلة

علم الحجامَةِ

علم يتعرف به احوال الحجامة ، وكيفية مصها ، وشرطها بالمحجمة وانها في اي موضع من البدن نافعة وفي اي موضع مضرة الى غير ذلك من الاحوال ذكره في مدينة العلوم من فروع العلم الطبيعي .

علم الحديث الشريف

ويسمى بعلم الرواية والأخبار ايضاً على ما في مجمع السلوك ، ويسمى جملة علم الرواية والاخبار علم الاحاديث انتهى فعلى هذا علم الحديث يشتمل على علم الآثار ايضا ، بخلاف ما قيل فانه لا يشمله ، والظاهر ان هذا مبني على عدم إطْلاق الحديث على أقوال الصحابة وافعالهم على ما عرف وهو الحق ولا حجة في قول أحد الا رسول الله ﷺ وعلم الحديث هو علم يعرف به اقوال النبي ﷺ وافعاله واحواله فاندرج فيه معرفة موضوعه .

واما غايته فهي الفوز بسعادة الدارين كذا في الفوائد الخاقانية .

وهو ينقسم الى العلم برواية الحديث وهو علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الاحاديث بالرسول عليه الصلوٰة والسلام من حيث أحوال رُواتها ضبطا وعدالة ،

ومن حيث كيفية السند اتصالا وانقطاعا وغير ذلك وقد اشتهر بأصول الحديث كما سبق .

والى العلم بدراية الحديث وهو علم باحث عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث وعن المراد منها مبنيا على قواعد العربية ، وضوابط الشريعة ومطابقا لاحوال النبي ﷺ .

وموضوعه احاديث الرسول ﷺ من حيث دلالتها على المعنى المفهوم او المراد .

وغايته التحلي بالآداب النبوية والتخلي عما يكرهه وينهاه .

ومنفعته اعظم المنافع كما لا يخفى على المتأمل .

ومبادئه العلوم العربية كلها ومعرفة القصص والأخبار المتعلقة بالنبي ﷺ ومعرفة الاصلين والفقه وغير ذلك كذا في مفتاح السعادة ومدينة العلوم .

والصواب ما ذكر في الفوائد اذ الحديث اعم من القول والفعل والتقرير كما حقق في محله .

وفي كشاف اصطلاحات الفنون علم الحديث : علم تعرف به اقوال رسول الله ﷺ وافعاله .

اما اقواله فهي الكلام العربي فمن لم يعرف حال الكلام العربي فهو بمعزل عن هذا العلم ، وهو كونه حقيقة ومجازا وكناية وصريحا وعاما وخاصا ومطلقا ومقيدا ومنطوقا ومفهوما ونحو ذلك مع كونه على قانون العربية الذي بينه النحاة بتفاصيله ، وعلى قواعد استعمال العرب وهو المعبر بعلم اللغة .

واما افعاله فهي الامور الصادرة عنه التي أمرنا باتباعه فيها اولا كالأفعال الصادرة عنه طبعا او خاصة كذا في العيني شرح صحيح البخاري ، وزاد الكرماني واحواله .

ثم في العيني وموضعه . ذات رسول الله ﷺ من حيث انه رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم .

ومبادئه هي ما تتوقف عليه المباحث وهي احوال الحديث وصفاته ومسائله هي الاشياء المقصودة منه وغايته الفوز بسعادة الدارين انتهى .

قال ابن الأثير في جامع الاصول : علوم الشريعة تنقسم الى فرض ونفل والفرض ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية .

ومن اصول فروض الكفايات علم احاديث رسول الله ﷺ وآثار اصحابه التي هي ثاني ادلة الاحكام ، وله اصول واحكام وقواعد واصطلاحات ذكرها العلماء وشرحها المحدثون والفقهاء ، يحتاج طالبه الى معرفتها والوقوف عليها بعد تقديم معرفة اللغة والاعراب اللذين هما اصل المعرفة الحديث وغيره لورود الشريعة المطهرة على لسان العرب ، وتلك الاشياء كالعلم بالرجال واساميهم وانسابهم واعمارهم ووقت وفاتهم والعلم بصفات الرواة وشرائطهم التي يجوز معها قبول روايتهم ، والعلم بمستند الرواة وكيفية اخذهم الحديث ، وتقسيم طرقه والعلم بلفظ الرواة وإيرادهم ما سمعهوه واتصاله الى من يأخذه عنهم ، وذكر مراتبه ، والعلم بجواز نقل الحديث بالمعنى ورواية بعضه والزيادة فيه والاضافة اليه بما ليس منه ، وانفراد الثقة بزيادة فيه ، والعلم بالمسند وشرائطه والعالي منه والنازل ، والعلم بالمرسل وانقسامه الى المنقطع والموقوف والمعضل وغير ذلك لاختلاف الناس في قبوله وردّه ، والعلم بالجرح والتعديل وجوازهما ووقوعهما وبيان طبقات المجروحين ، والعلم باقسام الصحيح من الحديث والكذب ، وانقسام الخبر اليهما والى الغريب والحسن وغيرهما ، والعلم باخبار التواتر والآحاد والناسخ والمنسوخ وغير ذلك مما توافق عليه ائمة اهل الحديث ، وهو بينهم متعارف فمن اتقنها اتى دار هذا العلم من بابها واحاط بها من جميع جهاتها وبقدر ما يفوته منها تزل درجته وتنحط رتبته الا ان معرفة التواتر والآحاد والناسخ والمنسوخ وان تعلقت بعلم الحديث ، فان المحدث لا يفتقر اليه لأن ذلك

من وظيفة الفقيه ، لأنه يستنبط الاحكام من الأحاديث فيحتاج الى معرفة التواتر والآحاد والناسخ والمنسوخ ، فاما المحدث فوظيفته ان ينقل ويروي ما سمعه من الأحاديث كما سمعه فان تصدى لما رواه فزيادة في الفضل .

وأما مبدأ جمع الحديث وتأليفه وانتشاره فانه لما كان من أصول الفروض وجب الاعتناء به والاهتمام بضبطه وحفظه ، ولذلك يسر الله سبحانه وتعالى للعلماء الثقات الذين حفظوا قوانينه وأحاطوا فيه فتناقلوه كابرا عن كابر واوصله كما سمعه اول الى آخر وحْيه الله تعالى اليهم لحكمة حفظ دينه وحراسة شريعته ، فما زال هذا العلم من عهد الرسول عليه الصلوٰة والسلام اشرف العلوم وأجلّها لدى الصحابة والتابعين وتابعي التابعين خلفا بعد سلف ، لا يشرف بينهم احد بعد حفظ كتاب الله سبحانه وتعالى الا بقدر ما يحفظ منه ، ولا يعظم في النفوس الا بحسب ما يسمع من الحديث عنه ، فتوفرت الرغبات فيه فما زال لهم من لدن رسول الله ﷺ الى ان انعطفت الهمم على تعلمه حتى لقد كان احدهم يرحل المراحل ويقطع الفيافي والمفاوز ويجوب البلاد شرقا وغربا في طلب حديث واحد ليسمعه من راويه .

فمنهم من يكون الباعث له على الرحلة طلب ذلك الحديث لذاته ، ومنهم من يقرن بتلك الرغبة سماعه من ذلك الراوي بعينه ، اما لثقته في نفسه وإما لعلو اسناده ، فانبعثت العزائم الى تحصيله .

وكان اعتمادهم اولا على الحفظ والضبط في القلوب غير ملتفتين الى ما يكتبونه محافظة على هذا العلم كحفظهم كتاب الله سبحانه وتعالى ، فلما انتشر الاسلام واتسعت البلاد وتفرقت الصحابة في الاقطار ومات معظمهم قل الضبط احتاج العلماء الى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة ، ولعمري انها الأصل فان الخاطر يغفل والقلم يحفظ فانتهى الأمر الى زمن جماعة من الأئمة مثل عبد الملك بن جريج ومالك بن انس وغيرهما فَدوَّنوا الحديث حتى قيل :

ان اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج ، وقيل موطأ مالك بن انس ، وقيل ان اول من صنف وبوب الربيع بن صبيح بالبصرة ، ثم انتشر جمع الحديث وتدوينه وتسطيره في الأجزاء والكتب وكثر ذلك وعظم نفعه الى زمن الامامين ابي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري وابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري فدونا كتابيهما واثبتا فيهما من الأحاديث ما قطعا بصحته وثبت عندهما نقله وسميا الصحيحين من الحديث ولقد صدقا فيما قالا والله مجازيهما عليه ولذلك رزقهما الله تعالى حسن القبول شرقا وغربا .

ثم ازداد انتشار هذا النوع من التصنيف وكثر في الأيدي وتفرقت اغراض الناس وتنوعت مقاصدهم الى أن انقرض ذلك العصر الذي قد اجتمعوا واتفقوا فيه مثل ابي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، ومثل ابي داود سليمان بن الاشعث السجستاني ، وابي عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي وغيرهم فكان ذلك العصر خلاصة العصور في تحصيل هذا العلم واليه المنتهى .

ثم نقص ذلك الطلب وقل الحرص وفترت الهمم فكذلك كل نوع من انواع العلوم والصنائع والدول وغيرها فانه يبتدىء قليلا قليلا ولا يزال ينمو ويزيد الى ان يصل الى غاية هي منتهاه ثم يعود وكأن غاية هذا العلم انتهت الى البخاري ومسلم ومن كان في عصرها ثم نزل وتقاصر الى ما شاء الله .

ثم ان هذا العلم على شرفه وعلو منزلته كان علما عزيزا مشكل اللفظ او المعنى ولذلك كان الناس في تصانيفهم مختلفي الاغراض .

فمنهم من قصر همته على تدوين الحديث مطلقا ليحفظ لفظه ويستنبط منه الحكم كما فعله عبد الله بن موسى الضبي وأبو داود الطيالسي وغيرهما اولا .

وثانيا احمد بن حنبل ومن بعده فانهم أَثْبَتُوا الأحاديث من مسانيد رواتها فيذكرون مُسْنَد ابي بكر الصديق رضي الله عنه ويثنون فيه كل ما رووا عنه ثم يذكرون بعده الصحابة واحدا بعد واحد على هذا النسق .

ومنهم من يثبت الاحاديث في الأماكن التي هي دليل عليها فيضعون لكل حديث باباً يختص به فان كان في معنى الصلوٰة ذكروه في باب الصلوٰة وان كان في معنى الزكوٰة ذكروه فيها كما فعل مالك في الموطأ ، الا انه لقلة ما فيه من الاحاديث قلت ابوابه ثم اقتدى به من بعده .

فلما انتهى الأمر الى زمن البخاري ومسلم وكثرت الاحاديث المودعة في كتابيهما كثرت ابوابهما واقتدى بهما من جاء بعدهما ، وهذا النوع اسهل مطلبا من الأول لأن الانسان قد يعرف المعنى وان لم يعرف رواية ، بل ربما لا يحتاج الى معرفة رواية فاذا اراد حديثا يتعلق بالصلوٰة طلبه من كتاب الصلوٰة لأن الحديث اذا اورد في كتاب الصلوٰة علم الناظر ان ذلك الحديث هو دليل ذلك الحكم فلا يحتاج ان يفكر فيه بخلاف الأول .

ومنهم من استخرج احاديث تتضمن ألفاظ لغوية ومعاني مشكلة فوضع لها كتابا قصره على ذكر متن الحديث وشرح غريبه واعرابه ومعناه ولم يتعرض لذكر الأحكام كما فعل ابو عبيد القاسم بن سلام وابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وغيرهما .

ومنهم من اضاف الى هذا الاختيار ذكر الاحكام وآراء الفقهاء مثل أبي سليمان احمد بن محمد الخطابي في معالم السنن واعلام السنن وغيره من العلماء .

ومنهم من قصد ذكر الغريب دون متن الحديث واستخراج الكلمات الغريبة ودوّنها ورتبها وشرحها كما فعل ابو عبيد احمد بن محمد الهروي وغيره من العلماء .

ومنهم من قصد الى استخراج احاديث تتضمن ترغيبا وترهيبا واحاديث تتضمن احكاما شرعية غير جامعة فدونها واخرج متونها وحدها كما فعله ابو محمد الحسين بن مسعود والبغوي في المصابيح وغير هؤلاء .

ولما كان اولئك الاعلام هم السابقون فيه لم يأت صنيعهم على أكمل

الأوضاع ، فان غرضهم كان اولا حفظ الحديث مطلقا واثباته ودفع الكذب عنه ، والنظر في طرقه وحفظ رجاله وتزكيتهم واعتبار احوالهم والتفتيش عن امورهم ، حتى قدحوا وجرَّحوا وعدَّلوا واخذوا وتركوا هذا بعد الاحتياط والضبط والتدبر ، فكان هذا مقصدهم الأكبر وغرضهم الأوفى ، ولم يتسع الزمان لهم والعمر لاكثر من هذا الغرض الاعم والمهم الاعظم ولا رأوا في ايامهم ان يشتغلوا بغيره من لوازم هذا الفن التي هي كالتوابع ، بل ولا يجوز لهم ذلك فان الواجب اولا اثبات الذات ، ثم ترتيب الصفات ، والأصل انما هو عين الحديث ثم ترتيبه وتحسين وضعه ففعلوا ما هو الغرض المتعين واخترمتهم المنايا قبل الفراغ والتخلي لما فعله التابعون لهم والمقتدون بهم فتعبوا الراحة من بعدهم .

ثم جاء الخلف الصالح فأحبوا ان يظهروا تلك الفضيلة ويشيعوا هذه العلوم التي افنوا اعمارهم في جمعها ، اما بايداع ترتيب ، او بزيادة تهذيب ، او اختصار او تقريب او استنباط حكم وشرح غريب .

فمن هؤلاء المتأخرين من جمع بين كتب الاولين بنوع من التصرف والاختصار كمن جمع بين كتابي البخاري ومسلم مثل ابي بكر احمد بن محمد الرماني وابو مسعود ابراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي وابي عبد الله محمد الحميدي ، فانهم رتبوا على المسانيد دون الابواب .

وتلاهم ابو الحسن رزين بن معاوية العبدري فجمع بين كتب البخاري ومسلم والموطأ لمالك وجامع الترمذي وسنن ابي داود والنسائي ، ورتب على الابواب الا ان هؤلاء اودعوا متون الحديث عارية من الشرح وكان كتاب رُزين اكبرها واعمها حيث حوى هذه الكتب الستة التي هي ام كتب الحديث واشهرها وبأحاديثها أخذ العلماء واستدل الفقهاء واثبتوا الاحكام ، ومصنفوها اشهر علماء الحديث واكثرهم حفظا واليهم المنتهى .

وتلاه الامام ابو السعادات مبارك بن محمد بن الاثير الجزري فجمع بين

كتاب رزين وبين الاصول الستة ، بتهذيبه ترتيب ابوابه ، وتسهيل مطالبه ، وشرح غريبه في جامع الاصول فكان اجمع ما جمع فيه .

ثم جاء الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي فجمع بين الكتب الستة والمسانيد العشرة وغيرها في جمع الجوامع فكانَ أعظم بكثير من جامع الاصول من جهة المتون ، الا انه لم يبال بما صنع فيه من جمع الاحاديث الضعيفة بل الموضوعة .

وكان اول ما بدأ به هؤلاء المتأخرون انهم حذفوا الاسانيد اكتفاء بذكر من روى الحديث من الصحابي إنْ كان خبراً ، وبذكر من يرويه عن الصحابي ان كان اثرا والرمز الى المخرج لان الغرض ممن ذكر الاسانيد كان اولاً اثبات الحديث وتصحيحه وهذه كانت وظيفة الاولين ، وقد كفوا تلك المؤنة فلا حاجة بهم الى ذكر ما فرغوا منه .

ووضعوا الاصحاب الكتب الستة علامة ورمزا بالحروف .

فجعلوا البخاري خ لان نسبته الى بلده اشهر من اسمه وكنيته وليس في حروف باقي الاسماء خاء .

ولمسلم (م) لأن اسمه اشهر من نسبه وكنيته .

ولمالك طه لان اشتهار كتابه بالموطأ اكثر .

ولان الميم اول حروف اسمه وقد اعطوها مسلما وباقي حروفه مشتبه بغيرها .

والترمذي (ت) لان اشتهاره بنسبه اكثر .

ولابي داود (د) لان كنيته اشهر من اسمه ونسبه والدال اشهر حروفها وابعدها من الاشتباه .

وللنسائي (س) لان نسبه اشهر من اسمه وكنيته والسين اشهر حروف

نسبه ، وكذلك وضعوا لاصحاب المسانيد بالافراد والتركيب كما هو مسطور في الجامع .

قال في كشاف اصطلاحات الفنون لاهل الحديث مراتب .

اولها الطلب وهو المبتدىء الراغب فيه .

ثم المحدث وهو الاستاذ الكامل وكذا الشيخ والامام بمعناه .

ثم الحافظ وهو الذي احاط علمه بمائة الف حديث متنا واسناداواحوال رواته جرحا وتعديلا وتاريخا .

ثم الحجة وهو الذي احاط علمه بثلثمائة الف حديث كذلك قاله ابن المطري .

وقال الجزري الراوي ناقل الحديث بالاسناد والمحدث من تحمل بروايته واعتنى بدرايته .

والحافظ من روى ما يصل اليه ووعى ما يحتاج اليه انتهى .

قال ابو الخير اعلم ان قصارى نظر ابناء هذا الزمان في علم الحديث النظر في مشارق الانوار ، فان ترفعت الى مصابيح البغوي ظننت انها تصل الى درجة المحدثين وما ذلك الا لجهلهم بالحديث بل لو حفظهما عن ظهر قلب وضم اليهما من المتون مثليهما لم يكن محدثا حتى يلج الجمل في سم الخياط ، وانما الذي يعده اهل الزمان بالغاً الى النهاية وينادونه محمدث المحدثين وبخاري العصر ، من اشتغل بجامع الاصول لابن الاثير مع حفظ علوم الحديث لابن الصلاح او التقريب للنووي ، الا انه ليس في شيء من رتبة المحدثين ، وانما المحدث من عرف المسانيد والعلل واسماء الرجال والعالي والنازل وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون ، وسمع الكتب الستة ومسند الامام احمد بن حنبل وسنن البيهقي ومعجم الطبراني وضم الى هذا القدر الف جزء من الاجزاء الحديثة هذا اقل فاذا سمع ما ذكرناه وكتب الطبقات وردا على الشيوخ وتكلم في العلل والوفيات

والاسانيد كان في اول درجة المحدثين .

ثم يزيد الله سبحانه وتعالى من يشاء ما يشاء هذا ما ذكرناه تاج الدين السبكي .

وذكر صدر الشريعة في تعديل العلوم ان مشائخ الحديث مشهورون بطول الاعمار .

وذكر السبكي في طبقات الشافعية أن ابا سهل قال سمعت ابن الصلاح يقول : سمعت شيوخنا يقولون : دليل طول عمر الرجل اشتغاله باحاديث الرسول ﷺ ويصدقه التجربة ، فان اهل الحديث اذا تتبعت اعمارهم تجدها في غاية الطول انتهى .

الكتب المصنفة في علم الحديث اكثر من ان تحصى لكن استوعبنا ما وقفنا عليه في كتابنا اتحاف النبلاء المتقين باحياء مآثر الفقهاء المحدثين بالفارسية على ترتيب حروف المعجم .

قال في مدينة العلوم لكن اتفق السلف من مشائخ الحديث على ان اصح الكتب بعد كتاب الله تعالى صحيح البخاري وصحيح مسلم ، واصحهما صحيح البخاري وهو الامام شيخ السنة ونور الاسلام وحافظ العصر وبركة الله في ارضه الامام ابو عبد الله محمد بن اسمٰعيل الجعفي البخاري رحمه الله ، كان والي بخارا جعفيا وهو نسبة الى قبيلة باليمن ونسب البخاري اليها بالولاء .

والامام مسلم بن الحجاج القشيري البغدادي احد الائمة الحفاظ وأعلم المحدثين إمام خراسان في الحديث بعد البخاري .

ومن الصحاح كتاب سنن ابي داود الازدي السجستاني ، وكتاب الترمذي ، وكتاب النسائي .

والنووي عَدّد هذه الخمسة في الاصول الا ان الجمهور جعلها ستة وعدوا منها كتاب الموطأ لامام دار الهجرة وقدوة المتقين واحد الائمة المجتهدين الامام

مالك بن انس .

وجعل بعضهم كتاب الموطأ بعد الترمذي وقيل النسائي ، والاصح انه بعد مسلم في الرتبة .

وعدّ بعضهم بدل الموطأ كتاب ابن ماجة محمد بن يزيد الحافظ القزويني .

واعلم ان المحدثين ألحقوا بالكتب الستة ، جامع ابي الحسن رزين العبدري صاحب الجمع بين الصحاح ، وجامع الحميدي بين الصحيحين ، وجامع البرقاتي لجمعه بينهما ، وجامع ابي مسعود الدمشقي ايضا لجمعه بين الصحيحين .

ثم اختاروا من المصنفين سبعة وألحقوا كتبهم بالصحاح لعظم نفعها منهم الدارقطني والحاكم ابو عبد الله النيسابوري وابو محمد عبد الغني الازدي المصري وابو نعيم الاصبهاني صاحب الحلية وابن عبد البر حافظ المغرب والبيهقي والخطيب البغدادي انتهى ملخصاً .

فصل في ذكر علوم الحديث

قال ابن خلدون : واما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة لان منها ماينظر في ناسخه ومنسوخه ، وذلك بما ثبت في شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه لطفا من الله بعباده وتخفيفا عنهم باعتبار مصالحهم التي تكفل لهم بها قال تعالى (ما ننسخ من اٰية او ننسها نأت بخير منها او مثلها) فاذا تعارض الخبران بالنفي والاثبات ، وتعذر الجمع بينهما ببعض التأويل ، وعلم تقدم احدهما تعين ان المتأخر ناسخ ومعرفة الناسخ والمنسوخ من اهم علوم الحديث وأصعبها .

قال الزهري أعيا الفقهاء واعجزهم ان يعرفوا ناسخ حديث رسول الله

ﷺ من منسوخه ، وكان للشافعي رحمه الله قدم راسخة فيه(١) .

ومن علوم الاحاديث النظر في الاسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الاحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط لان العمل انما وجب بما يغلب على الظن صدقه من اخبار رسول الله ﷺ فيجتهد في الطريق التي تحصل ذلك الظن وهو بمعرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط ، وانما يثبت ذلك بالنقل عن اعلام الدين بتعديلهم وبراءتهم من الجرح والغفلة ، ويكون لنا ذلك دليلا على القبول او الترك .

وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك تميزهم فيه واحدا واحدا ، وكذلك الاسانيد تتفاوت باتصالها وانقطاعها بان يكون الراوي الذي نقل عنه وبسلامتها من العلل الموهنة لها ، وتنتهي بالتفاوت الى الطرفين ، فحكم بقبول الاعلى وردّ الاسفل ، ويختلف في المتوسط بحسب المنقول عن ائمة الشأن .

ولهم في ذلك الفاظ اصطلحوا على وضعها لهذه المراتب المرتبة مثل الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب وغير ذلك من ألقابه المتداولة بينهم .

وبوّبوا على كل واحد منها ، ونقلوا ما فيه من الخلاف لأئمة هذا الشأن او الوفاق .

ثم النظر في كيفية اخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة او كتابة او مناولة او اجازة وتفاوت رتبها وما للعلماء في ذلك من الخلاف بالقبول والرّد ، ثم اتبعوا ذلك بكلام في الفاظ تقع في متون الحديث من غريب او مشكل او مصحف او

---

(١) وهذا العلم فيه كتاب افادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ لمؤلف هذا الكتاب جمع فيه ما ألف قبله في ذلك العلم فجاء اجمع ما جمع في هذا الباب وانتهت الاحاديث المنسوخات الى احد عشر حديثا وانحصر العدد في ذلك وهو بالفارسية . حافظ علي حسين اللكنوي كاتب هذا الكتاب سلمه الله الوهاب

مفترق منها او مختلف وما يناسب ذلك هذا معظم ما ينظر فيه اهل الحديث وغالبه .

وكانت احوال نقلة الحديث في عصور السلف من الصحابة والتابعين معروفة عند اهل بلدة ، فمنهم بالحجاز ، ومنهم بالبصرة والكوفة من العراق ، ومنهم بالشام ومصر ، والجميع معروفون مشهورون في اعصارهم .

وكانت طريقة اهل الحجاز في اعصارهِم في الاسانيد اعلى ممن سواهم وامتن في الصحة لاستبدادهم في شروط النقل من العدالة والضبط وتجافيهم عن قبول المجهول الحال في ذلك .

وسند الطريقة الحجازية بعد السلف الامام مالك عالم المدينة ثم اصحابه مثل الامام محمد بن ادريس الشافعي والامام احمد بن حنبل وامثالهم .

وكان علم الشريعة في مبدأ هذا الامر نقلا صرفا شمر لها السلف وتحرّوا الصحيح حتى اكملوها .

وكتب مالك رحمه الله كتاب الموطأ اوْدعه اصول الاحكام من الصحيح المتفق عليه ورتبه على ابواب الفقه ثم عنى الحفاظ بمعرفة طرق الأحاديث واسانيده المختلفة وربما يقع اسناد الحديث من طرق متعددة عن رواة مختلفين ، وقد يقع الحديث ايضا في ابواب متعددة باختلاف المعاني التي اشتمل عليها .

وجاء محمد بن اسمٰعيل البخاري اما م الحدثين في عصره فخرج احاديث السنة على ابوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي للحجازيين والعراقيين والشاميين ، واعتمد منها ما اجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه ، وكرر الاحاديث يسوقها في كل باب بمعنى ذلك الباب الذي تضمنه الحديث فتكررت لذلك احاديثه حتى يقال انه اشتمل على تسعة اٰلاف حديث ومائتين منها ثلٰثة اٰلاف متكررة ، وفرق الطرق والاسانيد عليها مختلفة في كل باب .

ثم جاء الامام مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله فألف مسنده الصحيح

حذا فيه حذو البخاري في نقل المجمع عليه ، وحذف المتكرر منها ، وجمع الطرق والاسانيد ، وبوبه على ابواب الفقه وتراجمه ، ومع ذلك فلم يستوعب الصحيح كله وقد استدرك الناس عليهما في ذلك .

ثم كتب ابو داود السجستاني وابو عيسى الترمذي وابو عبد الرحمن النسائي في السنن باوسع من الصحيح وقصدوا ما توفرت فيه شروط العمل اما من الرتبة العالية في الاسانيد وهو الصحيح كما هو معروف واما من الذي دونه من الحسن وغيره ليكون ذلك إماما للسنة .

والعمل وهذه هي المسانيد المشهورة في الملّة وهي امهات كتب الحديث في السنة فانها وان تعددت ترجع الى هذه في الاغلب ومعرفة هذه الشروط والاصطلاحات كلها هي علم الحديث وربما يفرد عنها الناسخ والمنسوخ فيجعل فنا برأسه وكذا الغريب ، وللناس فيه تآليف مشهورة .

ثم المؤتلف والمختلف وقد الف الناس في علوم الحديث واكثر .

ومن فحول علمائه وائمتهم ابو عبد الله الحاكم وتآليفه فيه مشهورة وهو الذي هذبه واظهر محاسنه ، واشهر كتاب للمتأخرين فيه كتاب ابي عمرو بن الصلاح كان لعهد اوائل المائة السابعة ، وتلاه محيي الدين النووي بمثل ذلك ، والفن شريف في مغزاه لانه معرفة ما يحفظ به السنن المنقولة عن صاحب الشريعة ، وقد انقطع لهذا العهد تخريج شيء من الاحاديث واستدراكها على المتقدمين اذ العادة تشهد بان هؤلاء الائمة على تعددهم وتلاحق عصورهم وكفايتهم واجتهادهم لم يكونوا ليغفلوا شيئا من السنة او يتركوه حتى يعثر عليه المتأخر هذا بعيد عنهم وانما تنصرف العناية لهذا العهد الى تصحيح الامهات المكتوبة وضبطها بالرواية عن مصنفيها والنظر في اسانيدها الى مؤلفيها وعرض ذلك على ما تقرر في علم الحديث من الشروط والاحكام لتتصل الاسانيد محكمة الى منتهاها ولم يزيدوا في ذلك على العناية بأكثر من هذه الامهات الخمسة الا في

القليل .

فأما البخاري وهو اعلاها رتبة فاستصعب الناس شرحه واستغفلوا منحاه من اجل ما يحتاج اليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها من أهل الحجاز والشام والعراق ومعرفة احوالهم واختلاف الناس فيهم ، ولذلك يحتاج الى امعان النظر في التفقه في تراجمه ، لانه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث بسند او طريق ثم يترجم اخرى ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب وكذلك في ترجمة وترجمة الى ان يتكرر الحديث في ابواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها ، ومن شرحه ولم يستوف هذا فيه فلم يوف حق الشرح كابن بطال وابن المهلب وابن التين ونحوهم ، ولقد سمعت كثيرا من شيوخنا رحمهم الله يقولون : شرح كتاب البخاري دَيْنٌ على الامة يعنون ان احدا من علماء الامة لم يوف ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار .

قال في كشف الظنون اقول ولعل ذلك الدين قضي بشرحي المحقق ابن حجر العسقلاني والعيني بعد ذلك انتهى .

قلت وشرح الحافظ ابن حجر او في الشروح لا يعادله شرح ولا كتاب ولذا لما قيل للشوكاني لشرح البخاري اجاب : انه لا هجرة بعد الفتح يعني فتح الباري وما ألطف هذا الجواب عند من يفهم لطف الخطاب .

ثم قال ابن خلدون :

واما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به وأكبوا عليه واجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري من غير الصحيح مما لم يكن على شرطه ، واكثر ما وقع له في التراجم واملى الامام المارزي من فقهاء المالكية عليه شرحا وسماه المعلم بفوائد مسلم ، اشتمل على عيون من علم الحديث وفنون من الفقه ، ثم أمله القاضي عياض من بعده ، وتممه وسماه اكمال المعلم .

وتلاهما محيي الدين النووي بشرح استوفى ما في الكتابين وزاد عليهما فجاء

شرحا وافيا .

واما كتب السنن الاخرى وفيها معظم مآخذ الفقهاء فاكثر شرحها في كتب الفقه الا ما يختص بعلم الحديث ، فكتب الناس عليها واستوفوا من ذلك ما يحتاج اليه من علم الحديث وموضوعاته والاسانيد التي اشتملت على الاحاديث المعمول بها من السنة .

واعلم ان الاحاديث قد تميزت مراتبها لهذا العهد بين صحيح وحسن وضعيف ومعلول وغيرها تنزلها أئمة الحديث وجهابذته وعرفوها لم يبق طريق في تصحيح ما يصح من قبل ولقد كان الائمة في الحديث يعرفون الاحاديث بطرقها واسانيدها بحيث لو روي حديث بغير سنده وطريقه يفطنون الى انه قد قلب عن وضعه .

ولقد وقع مثل ذلك للامام محمد بن اسمٰعيل البخاري حين ورد على بغداد وقصد المحدثون امتحانه فسألوه عن احاديث قلبوا اسانيدها فقال لا اعرف هذه . ولكن حدثني فلان ثم اتى بجميع تلك الاحاديث على الوضع الصحيح ، ورد كل متن الى سنده وأقروا له بالإمامة قف .

قال ابن خلدون واعلم ايضا ان الائمة المجتهدين تفاوتوا في الاكثار من هذه الصناعة والاقلال .

فأبو حنيفة رضي الله عنه يقال بلغت روايته الى سبعة عشر حديثا او

---

(١) هذا التشديد يعكر عليه ان الامام ابا حنيفة عده اهل الرأي من التابعين وان لم يصح ذلك عند نقاد الحديث فلا تكون روايته الا عن الصحابة فاي معنى لتشديد شروط الرواية وقد اجمع اهل العلم بالحديث والفقه ان الصحابة كلهم عدول وان فرض انه رضي الله عنه ليس من التابعين بل من بتبع التابعين كما رجح ذلك اصحاب الحديث فذلك ايضا لا يقتضي التشديد المذكور ثم هذا قول بلا برهان اذ الاحاديث المروية من طريق الامام ليس في حديث واحد منها شرط كشرط الحفاظ المتوسطين فضلا عن الشرائط المعتبرة عند كبارهم فقوله ان شرطه اشد من شرائطهم وثم ليس لهذا المفهوم مصداق . مولوي محمّد عبد الرشيد كاشميري سلمه الله تعالى وابقاهُ واوصله الى ما يتمناه . .

نحوها .

ومالك رحمه الله انما صح عنده ما في كتاب الموطأ وغايتها ثلثمائة حديث او نحوها .

واحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده خمسون الف حديث ولكل ما ادّاه اليه اجتهاده في ذلك .

وقد تقول بعض المبغضين المتعسفين الى ان منهم من كان قليل البضاعة في الحديث فلهذا قلت روايته ، ولا سبيل الى هذا المعتقد في كبار الأئمة لان الشريعة انما تؤخذ من الكتاب والسنة ومن كان قليل البضاعة من الحديث فيتعين عليه طلبه وروايته والجد والتشمير في ذلك ليأخذ الدين عن اصول صحيحة ويتلقى الاحكام عن صاحبها المبلغ لها ، وانما قلل منهم من قلل الرواية لاجل المطاعن التي تعترضه فيها والعلل التي تعرض في طرقها سيما والجرح مقدم عند الاكثر فيؤديه الاجتهاد الى ترك الاخذ بما يعرض مثل ذلك فيه من الاحاديث وطرق الاسانيد ويكثر ذلك فتقل روايته لضعف في الطرق ، هذا مع ان اهل الحجاز اكثر رواية للحديث من اهل العراق لان المدينة دار الهجرة ومأوى الصحابة ومن انتقل منهم الى العراق كان شغلهم بالجهاد اكثر .

والإمام ابو حنيفة انما قلت روايته لما شدد في شروط الرواية والتحمل وضعف رواية الحديث اليقيني اذا عارضها الفعل النفسي وقلت من اجلها روايته فقل حديثه ، لانه ترك رواية الحديث متعمدا فحاشاه من ذلك ، ويدل على انه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتماد مذهبه بينهم والتعويل عليه واعتباره ردا وقبولا .

واما غيره من المحدثين وهم الجمهور فتوسعوا في الشروط وكثر حديثهم والكل عن اجتهاد ، وقد توسع اصحابه من بعده في الشروط وكثرت روايتهم .

وروى الطحاوي فاكثر وكتب مسنده وهو جليل القدر الا انه لا يعدل

الصحيحين لان الشروط التي اعتمدها البخاري ومسلم في كتابيهما مجمع عليها بين الامة كما قالوه وشروط الطحاوي غير متفق عليها كالرواية عن المستور الحال وغيره فلهذا قدم الصحيحان بل وكتب السنن المعروفة عليه لتأخر شرطه عن شروطهم ومن اجل هذا قيل في الصحيحين بالاجماع على قبولهما من جهة الاجماع على صحة ما فيهما من الشروط المتفق عليها فلا تأخذك ريبة في ذلك فالقوم احق الناس بالظن الجميل بهم والتماس المخارج الصحيحة لهم والله سبحانه وتعالى اعلم بما في حقائق الامور .

علم الحروف والأسماء

قال الشيخ داود الانطاكي وهو علم باحث عن خواص الحروف افرادا وتركيبا وموضوعه الحروف الهجائية ومادته الأوفاق والتراكيب .

وصورته تقسيمها كماً وكيفاً وتأليف الأقسام والعزائم وما ينتج منها وفاعله المتصرف وغايته التصرف على وجه يحصل به المطلوب ايقاعا وانتزاعا ومرتبته بعد الروحانيات والفلك والنجامة .

قال ابن خلدون في المقدمة علم اسرار الحروف وهو المسمى لهذا العهد بالسيميا ، نقل وضعه من الطلسمات اليه في اصطلاح اهل التصرف من المتصوفة فاستعمل استعمال العام في الخاص وحدث هذا العلم في الملة بعد الصدر الأول عند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم الى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على ايديهم والتصرفات في عالم العناصر ، وزعموا ان الكمال الاسمائي مظاهره ارواح الافلاك والكواكب وان طبائع الحروف واسرارها سارية في الاسماء فهي سارية في الأكوان وهو من تفاريع علوم السيميا لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله تعددت فيه تأليف البوني وابن العربي وغيرهما .

وحاصله عندهم وثمرته تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالاسماء

الحسنى ، والكلمات الالٰهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان .

ثم اختلفوا في سر التصرف الذي في الحروف بم هو فمنهم من جعله للمزاج الذي فيه وقسم الحروف بقسمة الطبائع الى اربعة اصناف كما للعناصر واختصت كل طبيعة بصنف من الحروف يقع التصرف في طبيعتها فعلا وانفعالاً بذلك الصنف فتنوعت الحروف بقانون صناعي يسمونه التكسير .

ومنهم من جعل هذا السر للنسبة العددية فان حروف ابجد دالة على اعدادها المتعارفة وضعا وطبعا وللاسماء اوفاق كما للاعداد ، ويختص كل صنف من الحروف بصنف من الأوفاق الذي يناسبه من حيث عدد الشكل او عدد الحروف ، وامتزج التصرف من السر الحرفي والسر العددي لاجل التناسب الذي بينهما .

فاما سرّ هذا التناسب الذي بينهما يعني بين الحروف وامزجة الطبائع او بين الحروف والاعداد فأمر عسر على الفهم وليس من قبيل العلوم والقياسات وانما مستندهم فيه الذوق والكشف .

قال البوني ولا تظن ان سر الحروف مما يتوصل اليه بالقياس العقلي وانما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الآلهي .

واما التصرف في عالم الطبيعة بهذه الحروف والاسماء المركبة فيها وتأثر الأكوان عن ذلك فامر لا ينكر لثبوته عن كثير منهم تواترا ، وقد يظن ان تصرف هؤلاء وتصرف اصحاب اسماء الطلسمات واحد وليس كذلك .

ثم ذكر الفرق بينهما واطال وقد ذكرنا طرفا من التفصيل في كتابنا المسمى بروح الحروف والكتب المصنفة في هذا العلم كثيرة جدا انتهى ما في كشف الظنون .

وقد اطال ابن خلدون في بيان هذا العلم الى ثلثة عشر ورقا وعقد له فصولاً

لسنا بصدد ذكره لقلة الفائدة منه في هذا العصر وعدم الحاجة اليه في ذلك الدهر .

علم الحروف النورانية والظلمانية

قال في مدينة العلوم : ان الحروف قسمان :

احدهما حروف نورانية تستعمل في اعمال الخير وهي نص حكيم له سرّ قاطع .

والآخر حروف ظلمانية تستعمل في الشر وهي ما عدا الحروف النورانية ، واجمعوا على انه ليس في سورة الفاتحة ولا في المقطعات في اوائل السور القرآنية شيء من الحروف الظلمانية ، وتفصيل هذا العلم في كتاب غاية للمغنم في اسرار العلم الاعظم انتهى .

علم الحساب

هو علم بقواعد تعرف بها طرق استخراج المجهولات العددية من المعلومات العددية المخصوصة من الجمع والتفريق والتصنيف والتضعيف والضرب والقسمة .

والمراد بالاستخراج معرفة كمياتها .

وموضوعه العدد اذ يبحث فيه عن عوارضه الذاتية والعدد هو الكمية المتألفة من الوحدات فالوحدة مقومة للعدد واما الواحد فليس بعدد ولا مقوم له وقد يقال لكل ما يقع تحت العدّ فيقع على الواحد .

وعبارة ابن خلدون هي صناعة عملية في حساب الاعداد بالضم والتفريق ، فالضم يكون في الاعداد بالافراد هو الجمع وبالتضعيف وهو تضاعف عدداً بآحاد عدد آخر ، وهذا هو الضرب والتفريق ايضا يكون في الأعداد .

اما بالأفراد مثل ازالة عدد من عدد ومعرفة الباقي ، وهو الطرح .

او تفصيل عدد باجزاء متساوية تكون عدتها محصلة وهو القسمة وسواء كان هذا الضم التفريق في الصحيح من العدد او الكسر .

ومعنى الكسر نسبة عدد الى عدد تلك النسبة تسمى كسر ، او كذلك يكون بالضم والتفريق في الجزور ومعناها العدد الذي يضرب في مثله فيكون منه العدد المربع فان تلك الجزور ايضا يدخلها الضم والتفريق .

وهذه الصناعة حادثة احتيج اليها للحساب في المعاملات انتهى .

ومنفعته ضبط المعاملات وحفظ الأموال وقضاء الديون وقسمة المواريث والتركات وضبط ارتفاعات المماليك وغير ذلك .

ويحتاج اليه في العلوم الفلكية وفي المساحة والطب وقيل يحتاج اليه في جميع العلوم بالجملة ولا يستغني عنه ملك ولا عالم ولا سوقة ، وزاد شرفا بقوله سبحانه وتعالى (وكفى بنا حاسبين) وبقوله تعالى (ولتعلموا عدد السنين والحساب) وقوله تعالى (فاسئل العادِّين) ولذلك الف فيه الناس كثيرا وتداولوه في الأمصار بالتعليم للولدان .

ومن احسن التعليم عند الحكماء الابتداء به لأنه معارف متضحة وبراهينه منتظمة فينشأ عنه في الغالب عقل مضيء يدل على الصواب ، وقد يقال ان من أخذ نفسه بتعلم الحساب اول امره يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني ومنافسة النفس فيصير له ذلك خلقا ويتعود الصدق ويلازمه مذهباً .

وهو مستغلق على المبتدىء اذا كان من طريق البرهان ، وهذا شأن علوم التعاليم لأن مسائلها واعمالها واضحة واذا قصد شرحها وهو التعليل في تلك الاعمال ظهر من العسر على الفهم ما لا يوجد في اعمال المسائل .

وهو فرع علم العدد المسمىٰ بالارتماطيقي ، وله فروع اوردها صاحب مفتاح السعادة بعد ان جعل علم العدد اصلا وعلم الحساب مرادفا له مع كونه

فرعا حيث قال :

الشعبة الثامنة في فروع علم العدد وقد يسمى بعلـم الحسـاب ، فعرفـه بتعريف مغاير لتعريف علم العدد .

قال في مدينة العلوم ولعلم الحساب فروع :

منها علم حساب التخت والميل وهو علم يتعرف منه كيفية مزاولة الاعمال الحسابية برقوم تدل على الآحاد وتغني عما عداها بحفـظ المراتـب وتنسـب هذه الارقام الى الهند انتهى .

وقال صاحب الكشف بل هو علم بصور الرقوم الدالة على الاعداد مطلقا ولكل طائفة ارقام دالة على الآحاد الأرقام الهندية والرومية والمغربية والإفرنجية والنجومية وغيرها ويقال له التخت والتراب ايضا انتهى .

ونفع هذا العلم ظاهر ولابن الهيثم كتاب برهن فيه بمعرفة اصول اعماله ببراهين عددية لما فيه من تسهيل الاعمال الحسابية .

ومن الكتب الشاملة فيه كتاب نصير الدين الطوسي وكتاب البهائية وشرحه وكتاب المحمدية لعلي القوشجي وغير ذلك من الكتب التي لا تحصى .

ولأهل المغرب طرق ينفردون بها في الاعمال الجزئية من هذا العلم ، فمنها قريبة المآخذ لطرق ابن الياسين ومنها بعيدة كطرق الحضار كذا في المدينة .

ومنها علم الجبر والمقابلة وقد سبق في الجيم .

ومنها علم حساب الخطأين وهو قسم من مطلق الحساب وسيأتي في الخاء المعجمة وانما جعل علما برأسه لتكثير الأنواع .

ومنها علم حساب النجوم وهو علم يبحث فيه عن كيفية حساب الأرقام الواقعة في الزيجات ، وهذا وان كان من فروع علم العدد الا انه لما امتازت عن سائر علم الحساب بقواعه مخصوصة يعرفها اهلها وتوقف علم التقويم عليه جعلوه علما برأسه .

ومنها علم حساب الدور والوصايا وهو علم يتعرف منه مقدار ما يوصي به اذا تعلق بدور في بادىء النظر .

مثال: رجل وهب لعتقه في مرض موته مائة درهم لا مال له غيرها فقبضها ومات قبل موت سيده وخلف بنتاً والسيد المذكور ثم مات السيد فظاهر المسئلة ان الهبة تمضي من المائة في ثلثها فاذا مات المعتق رجع الى السيد نصف الجائز بالهبة فيزداد مال السيد من إرثه وهلم جراً .

وبهذا العلم يتعين مقدار الجائز بالهبة .

وظاهر ان منفعة هذا العلم جليلة وان كانت الحاجة اليه قليلة ومن كتبه كتاب لأفضل الدين الخونجي .

اقول هذا العلم يؤول الى علم الجبر والمقابلة وفيه تأليف لطيف لأبي حنيفة احمد بن داود الدينوري المتوفى سنة احدى وثمانين ومائتين وكتاب نافع لاحمد بن محمد الكرابيسي وكتاب مفيد لابي كامل شجاع بن مسلم ذكر فيه كتاب الوصايا بالجزور للحجاج بن يوسف .

ومنها علم حساب الدرهم والدينار وهي علم يتعرف منه كيفية استخراج المجهولات العددية التي تزيد عدتها على المعادلات الجبرية ولهذه الزيادة لقبوا تلك المجهولات بالدرهم والدينار والفلس وغير ذلك ومنفعته كمنفعة الجبر والمقابلة فيما يكثر فيه الاجناس المعادلة .

ومن الكتب المؤلفة فيه كتاب لابن فلوس اسمٰعيل بن ابراهيم بن غازي الماردينى الحنبلي المتوفى سنة سبع وثلٰثين وستمائة والرسالة المغربية والرسالة الشاملة للخرقي والكافي الكرخي ومختصره للسموءل بن يحيى بن عباس المغربي الاسرائيلي المتوفى سنة ست وسبعين وخمسمائة كذا في ارشاد القاصد ، وكتاب لابن المحلي الموصلي .

ومن المبسوطة فيه الكافي والكامل لأبي القاسم بن السمح .

ومنها علم حساب الفرائض وهو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة مما نصح باعتبار فروضها الاصول او مناسختها ، وذلك اذا هلك احد الورثة وانكسرت سهامه على فروض ورثته فانه حينئذ يحتاج الى حساب يصحح الفريضة الاولى حتى يصل اهل الفروض جميعا في الفريضتين الى فروضهم من غير تجزية ، وقد تكون هذه المناسخات اكثر من واحد واثنين وتتعدد لذلك بعدد اكثر وبقدر ما تتعدد تحتاج الى الحسبان ، وكذلك اذا كانت فريضة ذات وجهين مثل ان يقرّ بعض الورثة بوارث وينكره الآخر فتصحح على الوجهين حينئذ وينظر مبلغ السهام ثم تقسم التركة على نسب سهام الورثة من اصل الفريضة وكل ذلك يحتاج الى الحسبان ، وكان غالبا فيه وجعلوه فناء مفردا وللناس فيه تآليف كثيرة .

اشهرها عند المالكية من متأخري الاندلس كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي ابي القاسم الحوفيّ ثم الجعديّ .

ومن متأخري افريقية ابن النمر الطرابلسي وأمثالهم .

وأمّا الشافعية والحنفية والحنابلة فلهم فيه تآليف كثيرة وأعمال عظيمة صعبة شاهدة لهم باتساع الباع في الفقه والحساب .

وقد يحتج الأكثر من أهل هذا الفن على فضله بالحديث المنقول عن ابي هريرة رضي الله عنه ان الفرائض ثلث العلم وانها اوّل ما ينسى وفي رواية نصف العلم خرجه ابو نعيم الحافظ واحتج به اهل الفرائض بناء على أن المراد بالفرائض فروض الوراثة .

والذي يظهر ان هذا المحمل بعيد وان المراد بالفرائض انما هي الفرائض التكليفية في العبادات والعادات والمواريث وغيرها وبهذا المعنى يصحح فيها المنصفية والثلثية ، واما فروض الوراثة فهي اقل من ذلك كله بالنسبة الى عمم الشريعة كلها او يعين هذا المراد أن حمل اللفظ الفرائض على هذا الفن المخصوص او تخصيصه بفروض الوراثة انما هو صلاح ناشيء للفقهاء عند حدوث الفنون

والاصطلاحات ولم يكن صدر الاسلام يطلق على هذا الأعلى عموم مشتقا من الفرض الذي هو لغة التقدير او القطع ، ومـا كان المراد به في اطلاقـه الا جميع الفروض كما قلناه وهي حقيقته الشرعية فلا ينبغي ان يحمل الا على ما كان يحمل في عصرهم فهو التي بمرادهم منه والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق انتهى كلام ابن خلدون ملخصا .

ومنها علم حساب الهواء وهو علم يتعـرف منـه كيفية حسـاب الامـوال العظيمـة في الخيال بلا كتابـة ، ولهـا طرق وقوانـين مذكورة في بعض الكتـب الحسابية ، وهذا العلم عظيم النفع للتجار في الاسفار وأهل السوق من العوام الذين لا يعرفون الكتابة وللخواص اذا عجزوا عن احضار آلات الكتابة .

ومنها علم حساب العقود اي عقود الأصابع وقد وضعوا كلا منها بإزاء عدد مخصوص ، ثم رتبـوا الاوضـاع الأصابـع آحاداً وعشرات ومئـات ، وألوفـاً ، ووضعوا قواعد يتعرف بها حساب الألوف فما فوقها بيد واحدة .

وهذا عظيم النفع للتجار سيما عند استعجام كل من المتبايعين لسان الآخر عند فقد آلات الكتابة والعصمة عن الخطأ في هذا العلم اكثر من حساب الهواء .

وكان هذا العلم يستعمله الصحابة رضي الله عنهم كما وقع في الحديث في كيفية وضع اليد على الفخذ .

ومن في التشهد انه عقد خمسا وخمسين واراد بذلك هيئة وضع الأصابع لأن هيئة عقد خمس وخمسين في علم العقود هي عقد اصابع اليد غير السبابة والإبهام وتحليق الإبهام معها وهذا الشكل في العلم المذكور دال على العدد المرقوم فالراوي ذكر المدلول واراد الدال .

وهذا دليل على شيوع هذا العلم عندهم والمراد بالعقود في تمثيل الدلالة غير اللفظية الوضعية هي عقود الأصابع حيث مثلوها بالخطوط والعقود والاشـارات والنصب وفي هذا العلم ارجوزة لابن الحرب اورد فيها مقدار الحاجة ورسالـة

لشرف الدين اليزدي اورد فيها قدر الكفاية .

ومنها علم اعداد الوفق وتقدم في الألف .

ومنها علم خواص الاعداد المتحابة والمتباغضة وسيأتي في الخاء .

ومنها علم التعابي العددية وقد سبق في التاء وهذه الثلثة من فروع علم العدد من حيث الحساب ومن فروع الخواص من جهة اخرى ولذلك اوردناها اجمالاً كما اوردها صاحب مفتاح السعادة ومدينة العلوم واما علم حساب النجوم فهو علم يتعرف منه قوانين حساب الدرج والدقائق والثواني والثوالث بالضرب والقسمة والتجذير والتفريق ومراتبها في الصعود والنزول وتقدم وفيه كتب مفردة غير ما بين في مبسوطات الكتب الحسابية واما المصنفات في علم الحساب مطلقا فكثيرة ذكرها صاحب كشف الظنون على ترتيب الكتاب اجمالاً لا نطول بذكرها .

علم الحضري والسّفري من الآيات

هو من فروع علم التفسير ذكره ابو الخير لمجرد تكثير السواد وإلاّ فلا وجه لعدّه علما برأسه وكذا اكثر ما ذكره من التفاريع قال وامثلة الحضري كثيرة وأما امثلة السفري فقد ضبطوها وارتقت الى نيف واربعين كما في الإتقان .

علم حكايات الصالحين

قال ابو الخير هو من فروع علم التواريخ والمحاضرة وقد اعتنى بجمعها طائفة وافردوها بالتدوين كصفوة الصفوة لابن الجوزي ، وروض الرياحين لليافعي ، وغير ذلك .

وغايته وغرضه ظاهرة ومنفعته اجل المنافع واعظمها انتهى[1] ما في كشف الظنون .

علم الحكْمَة

هو علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية وموضوعه الأشياء الموجودة في الأعيان والأذهان .

وعرّفه بعض المحققين باحوال اعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية ، يعني بذل جهده الانساني بتمامه في ان يكون بحثه مطابقا لنفس الأمر ، فدخلت في التعريف المسائل المخالفة لنفس الأمر المبذولة الجهد بتمامه في تطبيقها على نفس الأمر فيكون موضوعه الأعيان الموجودة وفوائد قيود هذه الحدود مذكورة في كشاف اصطلاحات الفنون بما لها وعليها .

وغايته هي التشريف بالكمالات في العاجل والفوز بالسعادة الأخروية في الآجل .

وتلك الأعيان اما الأفعال والأعمال التي وجودها بقدرتنا اختيارنا اولا فالعلم بأحوال الاول من حيث يؤدي الى اصلاح المعاش والمعاد يسمى حكمة عملية لان غايتها ابتداء الاعمال التي لقدرتنا مدخل فيها فنسبت الى الغاية الابتدائية .

والعلم باحوال الثاني يسمى حكمة نظرية لان المقصود منها حصل بالنظر

---

(١) قال القاضي العلامة الشوكاني في الفتح الرباني قد علمنا من اجل الاسلام سابقهم ولاحقهم سيد الصالحين منهم انهم يدعون الله عز وجل فيستجيب لهم ويحصل لهم ما طلبوه من المطالب المختلفة بعد ان كانوا فاقدين لها ومنهم من يدعو المريض قد اشرف على الموت ان يشفيه الله فيعافى في الحال ومنهم من يدعو على فاجر بأن يهلكه الله فيهلك في الحال ومن شك في شيء من هذا فليطالع الكتب الصحيحة في اخبار الصالحين كحلية ابي نعيم وصفوة الصفوة لابن الجوزي ورسالة القشميري فانه يجد فيهما من هذا القبيل ما ينشرح له صدره ويتثلج به قلبه الى آخر ما قال ونحوه في كتاب دليل الطالب الى ارجح المطالب لمؤلف الكتاب فسح الله في مدته القاضي زيد العابدين ابن المحسن السبعي الانصاري اليمني سلمه الله المغني .

وهوالإدراكات التصورية والتصديقية المتعلقة بالأمـور التـي لا مدخـل لقدرتنـا واختيارنا فيها ، ولا يرد ان الحكمة العملية ايضا منسوبة الى النظر لان النظر ليس غايتها ولان وجه التسمية لا يلزم اطراده وذكر الحركة والسكون والمكان في الحكمة الطبيعية بناء على كونها من احوال الجسم الطبيعي الذي ليس وجوده بقدرتنا وان كانت تلك مقدورة لنا .

وكل منهماَ ثلٰثة اقسام .

اما العملية فلانها امام علم بمصالـح شخص بانفـراده ويسمـى تهـذيب الاخلاق وقد ذكر في علم الاخـلاق ويسمـى الحكمـة الخلقية وفائدتهـا تنقيح الطبائع بان تعلم الفضائل وكيفية اقتنائها لتزكي بها النفس وان تعلـم الرذائـل وكيفية توقيها لتطهر عنها النفس .

وأمّا علم بمصالح جماعة متشاركة في المنزل كالوالد والولد والمالك والمملوك ونحو ذلك ويسمى تدبير المنزل والحكمة المنزلية وقد سبق في التاء .

واما علم بمصالح جماعة متشاركة في المدينة ويسمى السياسة المَدَنية وسيأتي في السين .

وفائدتها ان تعلم كيفية المشاركة التي بين اشخاص الناس ليتعاونـوا على مصالح الابدان ومصالح بقاء نوع الانسان كما ان فائدة تدبير المنـزل ان تعلـم المشاركة التي ينبغي ان تكون بين أهل منزل واحد لتنتظم بها المصلحة المنزلية التي تهم بين زوج وزوجة ومالك ومملوك ووالد ومولود وفائدة هذه الحكمة عامة شاملة لجميع اقسام الحكمة العملية ثم مبادىء هذه الثلٰثة من جهة الشريعة وبها تتبين كمالات حدودها اي بعض هذه الأمور معلومة من صاحب الشرع على ما يدل عليه تقسيمهم الحكمة المدنية الى ما يتعلق بالسلك والسلطنة اذ ليس العلم بهما من عند صاحب الشرع كذا ذكر السيد السند في حواشي شرح حكمة العين .

واما النظرية فلأنها اما علم بأحوال ما لا يفتقر في الوجود الخارجي والتعقل الى المادة كالاله وهو العلم الالهي وقد سبق في الالف .

وأما علم بأحوال ما يفتقر اليها في الوجود الخارجي دون التعقل كالكرة وهو العلم الاوسط يسمى بالرياضي والتعليمي وسيأتي في الراءِ .

وأما علم بأحوال ما يفتقر اليها في الوجود الخارجي والعقل كالانسان وهو العلم الادنى ويسمى بالطبيعي وسيأتي في الطاء .

وجعل بعضهم ما لا يفتقر الى المادة اصلا قسمين ما لا يقارنها مطلقا كالاله والعقول وما يقارنها لكن لا على وجه الافتقار كالوحدة والكثرة وسائر الامور العامة فيسمى العلم بأحوال الاول علما الهيا .

والعلم باحوال الثاني علما كليا وفلسفة اولى .

واختلفوا في ان المنطق من الحكمة ام لا فمن فسرها بما يخرج النفس الى كمالها الممكن في جانبي العلم والعمل جعله منها بل جعل العمل ايضا منها وكذا من ترك الاعيان من تعريفها جعله من اقسام الحكمة النظرية اذ لايبحث فيه الا عن المعقولات الثانية التي ليس وجودها بقدرتنا واختيارنا .

واما من فسرها بأحوال الاعيان الموجودة وهو المشهور بينهم فلم يعده منها لان موضوعه ليس من اعيان الموجودات والامور العامة ليست بموضوعات بل محمولات تثبت بالاعيان فتدخل في التعريف .

ومن الناس من جعل الحكمة اسما لاستكمال النفس الانسانية في قوتها النظرية اي خروجها من القوة الى الفعل في الادراكات التصورية والتصديقية بحسب الطاقة البشرية .

ومنهم من جعلها اسما لاستكمال القوة النظرية بالادراكات المذكورة واستكمال القوة العملية باكتساب الملكة التامة على الاقوال الفاضلة المتوسطة بين طرفي الافراط والتفريط وكلام الشيخ في عيون الحكمة يشعر بالقول الاول وهو جعل الحكمة اسما للكمالات المعتبرة في القوة النظرية فقط وذلك لانه فسر الحكمة

باستكمال النفس الانسانية بالتصورات والتصديقات سواء كانت في الاشياء النظرية او في الاشياء العملية فهي مفسرة عنده باكتساب هذه الادراكات .

وأما اكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة فما جعلها جزء منها بل جعلها غاية للحكمة العملية .

وأما حكمة الاشراق فهي من العلوم الفلسفية بمنزلة التصوف من العلوم الاسلامية كما ان الحكمة الطبيعية والالٰهية منها بمنزلة الكلام منها وبيان ذلك ان السعادة العظمى والمرتبة العليا للنفس الناطقة هي معرفة الصانع بما له من صفات الكمال والتنزه عن النقصان بما صدر عنه من الآثار والافعال في النشأة الاولى والآخرة .

وبالجملة معرفة المبدأ والمعاد والطريق الى هذه المعرفة من وجهين :

احدهما طريقة اهل النظر والاستدلال .

وثانيهما طريقة اهل الرياضة والمجاهدات والسالكون للطريقة الاولى ان التزموا ملة من ملل الانبياء عليهم الصلوٰة والسلام فهم المتكلمون والا فهم الحكماء المشاؤون والسالكون الى الطريقة الثانية ان وافقوا في رياضتهم احكام الشرع فهم الصوفية والا فهم الحكماء الاشراقيون فلكل طريقة طائفتان .

وحاصل الطريقة الاولى الاستكمال بالقوة النظرية والترقي في مراتبها الاربعة اعني مرتبة العقل الهيولاني والعقل بالفعل والعقل بالملكة والعقل المستفاد والاخيرة هي الغاية القصوى لكونها عبارة عن مشاهدة النظريات التي ادركتها النفس بحيث لا يغيب عنها شيء ولهذا قيل : لا يوجد المستفاد لاحد في هذه الدار بل في دار القرار اللهم الا لبعض المتجردين عن علائق البدن والمنخرطين في سلك المجردات .

وحاصل الطريقة الثانية الاستكمال بالقوة العملية والترقي في درجاتها التي اولها تهذيب الظاهر باستعمال الشرائع والنواميس الالٰهية .

وثانيها تهذيب الباطن عن الاخلاق الذميمة .

وثالثها تحلي النفس بالصور القدسية الخالصة عن شوائب الشكوك والاوهام .

ورابعها ملاحظة جمال الله سبحانه وتعالى وجلاله وقصر النظر على كماله والدرجة الثالثة من هذه القوة وان شاركتها المرتبة الرابعة من القوة النظرية فانها تفيض على النفس منها صور المعلومات على سبيل المشاهدة كما في العقل المستفاد الا انها تفارقها من وجهين :

احدهما ان الحاصل المستفاد لا يخلو عن الشبهات الوهمية لان الوهم له استيلاء في طريق المباحثة بخلاف تلك الصور القدسية فان القوى الحسية قد تسخرت هناك للقوة العقلية فلا تنازعها فيما تحكم به .

وثانيهما ان الفائض على النفس في الدرجة الثالثة قد تكون صورا كثيرة استعدت النفس بصفائها عن الكدورات وصقالتها عن اوساخ التعلقات لان تفيض تلك الصور عليها كرات صقلت وحوذي بها ما فيه صور كثيرة فانه يتراءى فيها ما تسع هي من تلك الصور والفائض عليها في العقل المستفاد هو العلوم التي تناسب تلك المبادىء التي رتبت معا للتأدي الى مجهول كمرآة صقل شيء يسير منها فلا يرتسم فيها الا شيء قليل من الاشياء المحاذية لها ذكره ابن خلدون في المقدمة .

واما العلوم العقلية التي هي طبيعة للانسان من حيث انه ذو فكر فهي غير مختصة بملة بل يوجد النظر فيها لاهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الانساني مذ كان عمران الخليقة وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة .

وهي سبعة : المنطق وهو المقدم .

وبعده التعاليم فالارثماطيقي اولا ثم الهندسة ثم الهيئة ثم الموسيقى ثم

الطبيعيات ثم الالٰهيات ولكل واحد منها فروع تتفرع عنه .

واعلم ان اكثر من عني بها في الاجيال الامتان العظيمتان فارس والـروم فكانت اسواق العلوم نافقة لديهم لما كان العمران موفورا فيهم والدولة والسلطان قبل الاسلام لهم ، وكان للكلدانيين ومن قبلهـم من السريانيين والقبـط عنـاية بالسحر والنجامة وما يتبعهما من التأثيرات والطلسمات ، واخذ عنهم الامم من فارس ويونان ثم تتابعت الملل بحظر ذلك وتحريمه فدرست علومه الا بقايا تناقلها المنتحلون .

واما الفرس فكان شأن هذه العلوم العقلية عندهم عظيما ولقد يقال ان هذه العلوم انما وصلت الى يونان منهم حين قتـل اسكنـدر دارا وغلـب على مملكتـه واستولى على كتبهم وعلومهم الا ان المسلمين لما افتتحوا بلاد فارس واصابوا من كتبهم كتب سعد بن ابي وقاص الى عمر بن الخطاب يستأذن في شأنها وتنقيلها للمسلمين .

فكتب اليه عمر رضي الله عنه ان اطرحوها في الماء فان يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله تعالى بأهدى منه وان يكن ضلالا فقد كفانا الله تعالى فطرحوها في الماء او في النار فذهبت علوم الفرس فيها .

واما الروم فكانت الدولة فيهم ليونان اولا وكان لهذه العلوم شأن عظيم وحملها مشاهير من رجالهم مثل اساطين الحكمـة واختص فيهـا المشاؤون منهـم اصحاب الذوق واتصل سند تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه الى سقراط ثم الى تلميذه افلاطون ثم الى تلميذه ارسطـو ثم الى تلميذه اسكندر الافرودوسي ، وكان ارسطو ارسخهم في هذه العلـوم ولـذلك يسمـى المعلم الاول ولما انقرض امر اليونانيين وصار الامر للقياصرة وتنصروا هجروا تلك العلوم كما تقتضيه الملل والشرائـع وبقيت من صحفهـا ودواوينهـا مجلـدات في خزائنهم .

ثم جاء الاسلام وظهر اهله عليهم وكان ابتداء امرهم بالغفلة عن الصنائع حتى اذا اتضح السلطان والدولة واخذوا من الحضارة تشوقوا الى الاطلاع على هذه العلوم الحكمية بما سمعوا من الاساقفة ، وبما تسمو اليه افكار الانسان فيها ، فبعث ابو جعفر المنصور الى ملك الروم ان يبعث اليه بكتب التعاليم مترجمة فبعث اليه بكتاب اقليدس وبعض كتب الطبيعيات وقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها وازدادو حرصا على الظفر بما بقي منها وجاء المأمون من بعد ذلك ، وكانت له في العلم رغبة فأوفد الرسل الى ملك الروم في استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربي ، وبعث المترجمين لذلك فأخذ منها واستوعب وعكف عليها النظار من اهل الاسلام وحذقوا في فنونها وانتهت الى الغاية انظارهم فيها ، وخالفوا كثيرا من آراء المعلم الاول واختصوه بالرد والقبول ودونوا في ذلك الدواوين .

وكان من اكابرهم في الملة ابو نصر الفارابي وابو علي بن سينا في المشرق والقاضي ابو الوليد بن رشد والوزير ابو بكر بن الصانع بالاندلس بلغوا الغاية في هذه العلوم .

واقتصر كثير على انتحال التعاليم وما يضاف اليها من علوم النجامة والسحر والطلسمات ووقفت الشهرة على مسلمة بن احمد المجريطي من اهل الاندلس ثم ان المغرب والاندلس لما ركدت ريح العمران بهما وتناقصت العلوم بتناقصه اضمحل ذلك منه الا قليلا من رسومه وبلغنا عن اهل المشرق ان بضائع هذه العلوم لم تزل عندهم موفورة وخصوصا في عراق العجم وما وراء النهر لتوفر عمرانهم واستحكام الحضارة فيهم وكذلك يبلغنا لهذا العهد ان هذه العلوم الفلسفية ببلاد الفرنجة وما يليها من العدوة الشمالية نافقة الاسواق وان رسومها هناك متجددة ومجالس تعليمها متعددة انتهى خلاصة ما ذكره ابن خلدون .

أقول وكانت سوق الفلسفة والحكمة نافقة في الروم ايضا بعد الفتح

الاسلامي الى اواسط الدولة العثمانية ، وكان شرف الرجل في تلك الاعصار بمقدار تحصيله واحاطته من العلوم العقلية والنقلية ، وكان في عصرهم فحول ممن جمع بين الحكمة والشريعة كالعلامة شمس الدين الفناري ، والفاضل قاضي زاده الرومي ، والعلامة خواجه زاده ، والعلامة علي القوشجي ، والفاضل ابن المؤيد وميرجلبي ، والعلامة ابن الكمال ، والفاضل ابن الحنائي وهو آخرهم .

ولما حل أوان الانحطاط ركدت ريح العلوم وتناقصت بسبب منع بعض المفتين عن تدريس الفلسفة وسوقه الى درس الهداية والاكمل فاندرست العلوم باسرها الا قليلا من رسومه فكان المولى المذكور سببا لانقراض العلوم من الروم وذلك من جملة امارة انحطاط الدولة كما ذكره ابن خلدون والحكم لله العلي العظيم .

ونقل في الفهرس انه كانت الحكمة في القديم ممنوعا منها الا من كان من اهلها ومن علم انه يتقبلها طبعا .

وكانت الفلاسفة تنظر في مواليد من يريد الحكمة والفلسفة فان علمت منها ان صاحب المولد في مولده حصول ذلك استخدموه وناولوه الحكمة والا فلا .

وكانت الفلسفة ظاهرة في اليونانيين والروم قبل شريعة المسيح عليه السلام فلما تنصرت الروم منعوا منها واحرقوا بعضها وخزنوا البعض اذ كانت بضد الشرائع .

ثم ان الروم عادت الى مذهب الفلاسفة ، وكان السبب في ذلك ، ان جوليانوس بن قسطنطين وزر له تامسطيوس مفسر كتب ارسطاطاليس ، ثم قتل جوليانوس في حرب الفرس ، ثم عادت النصرانية الى حالها وعاد المنع ايضا ، وكانت الفرس نقلت في القديم شيئا من كتب المنطق والطب الى اللغة الفارسية فنقل ذلك الى العربي عبد الله بن المقفع وغيره وكان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان فاضلا في نفسه له همة ومحبة للعلوم ، خطر بباله

الصنعة ، فأحضر جماعة من الفلاسفة فأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اليوناني الى العربي وهذا أول نقل كان في الاسلام

ثم ان المأمون رأى في منامه رجلا حسن الشمائل فقال من انت فقال ارسطاطاليس فسأل عن الحسن فقال ما حسن في العقل ، ثم ماذا فقال فما حسن في الشرع فكان هذا المنام من اوكد الاسباب في اخراج الكتب ، وكان بينه وبين ملك الروم مراسلات وقد استظهر عليه المأمون فكتب اليه يسأله إنفاد ما يختار من الكتب القديمة المخزونة بالروم ، فاجاب الى ذلك بعد امتناع ، فاخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة فاخذوا ما اختاروا وحملوا اليه ، فامرهم بنقله فنقل .

وكان يوحنا بن مأسويه ممن ينفد الى الروم وكان محمد واحمد والحسَنُ بنو شاكر المنجم ممن عنى باخراج الكتب ، وكان قسطا بن لوقا البعلبكي قد حمل معه شيئا فنقل له .

واول من تكلم في الفلسفة على زعم فرفوريوس الصوري في تاريخه السرياني سبعة اولهم ، ثاليس .

وقال آخرون قوتاغورس وهو اول من سمى الفلسفة بهذا الاسم وله رسائل تعرف بالذهبيات ، لان جالينوس كان يكتبها بالذهب .

ثم تكلم على الفلسفة سقراط من مدينة ايتنه بلد الحكمة .

ومن اصحاب سقراط افلاطون كان من اشراف يونان ، وكان في قديم امره يميل الى الشعر فأخذ منه بحظ عظيم ثم حضر مجلس سقراط فرآه يسب الشعراء فتركه ثم انتقل الى قول فيثاغورس في الاشياء المعقولة وعنه اخذ ارسطاطاليس والف كتبا وترتيب كتبه هكذا المنطقيات الطبيعيات الالهيات الخلقيات .

اما المنطقية فهي ثمان كتب قاطيغورياس معناه المقالات ، نقَله حنين وفسره فرفوريوس والفارابي .

ياريمينياس معناه العبارة نقله حنين الى السريانية واسحٰق الى العربي وفسّره الكندي .

انالوطيقا معناه تحليل القياس نقله تيودورس الى العربي وفسره الكندي .

انورطيقا ومعناه البرهان نقله اسحٰق الى السرياني ونقل متى نقل اسحٰق الى العربي وشرحه الفارابي .

طوبيقا ومعناه الجدل نقله اسحٰق الى السرياني ونقل يحيى هذا النقل إلى العربي وفسّره الفارابي سوفسطيقا ومعناه المغالطة والحكمة المموهة نقله ابن ناعمة الى السرياني ونقله يحيى بن عدي الى العربي من السرياني وفسره الكندي .

ريطوريقا معناه الخطابة قيل ان إسحٰق نقله الى العربية وفسرّه الفارابي .

انوطيقا معناه الشعر نقله متى من السرياني الى العربي .

واما الطبيعيات والآلهيات ففيهما كتاب السماع الطبيعي بتفسير الاسكندر وهو ثمان مقالات فوجد تفسير مقالة لجماعة .

وكتاب السماء والعالم وهو اربع مقالات نقله متى وشرح الافرودات .

وكتاب الكون والفساد نقله حنين الى السرياني واسحٰق الى العربي .

وكتاب الاخلاق فسره فرفوريوس .

اسماء النقلة اصطفن القديم نقل لخالد بن يزيد كتب الصنعة وغيرها .

والبطريق كان في ايام المنصور ونقل اشياء بامره .

وابن يحيى الحجاج بن مطر وهو الذي نقل المجسطي واقليدس للمأمون .

وابن ناعمة عبد المسيح الحمصي وسلام الابرش من النقلة القدماء في ايام البرامكة .

وحسين بن بهريق فسر المأمون عدة كتب وهلال بن ابـي هلال الحمصي وابن أوى وابو نوح بن الصلت وابن رابطة وعيسى بن نوح وقسطا بن لوقا البعلبكي جيد النقل وحنين واسحٰق وثابت وابراهيم بن الصلت ويحيى بن عدي وابن المقفع نقل من الفارسية الى العربية وكذا موسى ويوسف ابنا خالد والحسن

ابن سهل والبلاذري وكنكه الهندي نقل من الهندية الى العربية وابن وحشية نقل من النبطية الى العربية .

وذكر الشهرستاني في الملل والنحل ان فلاسفة الاسلام الذين فسروا ونقلوا كتبها من اليونانية الى العربية واكثرهم على رأي ارسطو منهم حنين وابو الفرج وابو سليمان السنجري ويحيى النحوي ويعقوب بن اسحٰق الكندي وابو سليمان محمد ابن بكير المقدسي وثابت بن قرة الحراني وابو تمام يوسف بن محمد النيسابوري وابو زيد احمد بن سهل البلخي وابو الحارث حسن بن سهل القمي وابو حامد بن محمد الاسفرائني وابو زكريا يحيى الصيمري وابو نصر الفارابي وطلحة النسفي وابو الحسن العامري وابن سينا .

وفي حاشية المطالع لمولانا لطفي انّ المأمون جمع مترجمي مملكته كحنين بن اسحٰق وثابت بن قرة وترجموها بتراجم متخالفة مخلوطة غير ملخصة ومحررة لا توافق ترجمة احدهم للآخر فبقي تلك التراجم هكذا غير محررة بل اشرف ان عفت رسومها الى زمن الحكيم الفارابي .

ثم انه التمس منه ملك زمانه مصور بن نوح الساماني ان يجمع تلك التراجم .

ويجعل من بينها ترجمة ملخصة محررة مهذبة مطابقة لما عليه الحكمة فاجاب الفارابي وفعل كما اراد وسمى كتابه بالتعليم الثاني فلذلك لقب بالمعلم الثاني .

وكان هذا في خزانة المنصور الى زمان السلطان مسعود من احفاد منصور كما هو مسودا بخط الفارابي غير مخرج الى البياض اذ الفارابي غير ملتفت الى جمع تصانيعه ، وكان الغالب عليه السياحة على زي القلندرية وكانت تلك الخزانة باصفهان وتسمى صوان الحكمة .

وكان الشيخ ابو علي بن سينا وزير المسعود وتقرب اليه بسبب الطب حتى استورده وسلم اليه خزانة الكتب فاخذ الشيخ الحكمة من هذه الكتب ووجد فيما بينها التعليم الثاني ولخص منه كتاب الشفاء .

ثم ان الخزانة اصابها آفة فاحترقت تلك الكتب فاتهم ابو علي بانه اخذ من تلك الخزانة الحكمة ومصنفاته ثم احرقها لئلا ينتشر بين الناس ولا يطلع عليه فانه بهتان وإفك لان الشيخ مقر لاخذه الحكمة من تلك الخزانة كما صرّح في بعض رسائله .

وايضا يفهم في كثير من مواضع الشفاء انه تلخيص التعليم الثاني انتهى الى هنا خلاصة ما ذكروه في احوال العلوم العقلية وكتبها ونقلها الى العربية والتفصيل في تاريخ الحكماء .

ثم ان الاسلاميين لما رأوا في العلوم الحكمية ما يخالف الشرع الشريف صنفوا فنا للعقائد واشتهر (بعلم الكلام) لكن المتأخرين من المحققين اخذوا من الفلسفة ما لا يخالف الشرع وخلطوا به الكلام لشدة الاحتياج اليه كما قال العلامة سعد الدين في شرح المقاصد ، فصار كلامهم حكمة اسلامية ولم يبالوا برد المتعصبين ، وانكارهم على خلطهم لان المرء مجبول على عداوة ما جهله لكنهم لما لم يكن اخذهم وخلطهم على طريق النقل والاستفادة بل على سبيل الرد والاعتراض والنقض والابرام في كثير من الامور الطبيعية والفلكية والعنصرية ، قام اشخاص من الاسلاميين كالنصير وابن رشد ومن غير الاسلاميين وانتصبوا في ردهم وتزييفهم فصار فن الكلام كالحكمة في النقض وتزييف الدلائل كما قال الفاضل القاضي ميرحسين الميبذي في آخر رسالته المعروفة بجام كَيْتي نما ، فاللائق بحال الطالب ان ينظر في كلام الفريقين وكلام اهل المتصوف ويستفيد من كل منها ولا ينكر اذ الانكار سبب البعد عن الشيء كما قال الشيخ في آخر الاشارات .

وأما الكتب المصنفة في الحكمة الطبيعية والالهية والرياضية فاكثرها ليس باسلامي بل يوناني ولاتيني لان معظم الكتب بقي في بلادهم ولم ينقل الى العربي الا الشاذ النادر ، وما نقل لم يبق على اصل معناه لكثرة التحريفات في خلال

التراجم كما هو امر مقرر في نقل الكتب من لسان الى لسان .

وقد اختبرنا وحققنا ذلك حين الاشتغال بنقل كتاب اطلس وغيره من لغة لاتن الى اللغة التركية فوجدناه كذلك ولم نر اعظم كتابا من الشفا في هذا الفن مع انه شيء يسير بالنسبة الى ماصنف اهل اقاديميا التي في بلاد اورفا ثم ان بعض المحققين اخذ طرفا من كتب الشيخ كالشفا والنجاة والاشارات عيون الحكمة وغيرها وجعل مقدمة ومدخلا للعلوم العقلية كالهداية لاثير الدين الابهري وعين القواعد للكابر القزويني ، فصار قصارى همم اهل زماننا الاكتفاء بشيء من قراءة الهداية ولو تجرد بعض المشتغلين وسعى الى مذاكرة حكمة العين لكان ذلك اقصَى الغاية فيما بينهم وقليل ما هم انتهى ما في كشف الظنون .

علم الحمَّامات

ويقال له علم الديماس والحمام وضع صناعي مركب الكيفية للتدبير والاستفراغ في الداخل والخارج معا .

وغايته جلب المنافع للبدن ودفع المضار عنه باعتبار حالة عناصر ذلك البدن فيتبعها صحة او فساد والحاجة باعثة الى اتخاذه .

وهذا العلم من فروع علم الطب وفيه رسالة للسيوطي[1] ورسالة للحكيم محمد احسن الحاجي فوري نزيل بهوبال لطف الله به في الحال والمال .

قال الامام العلامة محمد بن علي الشوكاني في كتابه وبل الغمام انها قد وردت في الحمامات روايات غالبها الضعاف فيها ما هو في رتبة الحَسَنِ وحاصل

(١) هذه الرسالة ضمنتها مطالب نافعة قلما توجد في غيرها وهي من اول من اتخذ الحمام ثم من اخترعه بعد الاندراس ومن دخله من الصحابة وما ورد فيه من الاحاديث وما دلت عليه وتكلمت فيها على هيئته ومنافعه ومضاره وما يجب مراعاته في الدخول فيه والخروج عنه وما قيل في الحمام الجديد والعتيق ومرده وما يتصل بذلك وسميتها تطهير الادناس بالغسل في ديماس . حكيم محمد احسن حامي بوري ومتوسل الرياسة سلمه الله

ما دلت عليه تحريم دخوله على النساء مطلقا وعلى الرجال الا في المآزر وقد استوفيت ذلك في الرسالة المسماة تفويق النبال الى ارسال المقال جعلتها جوابا لرسالة سماها مؤلفها ارسال المقال الى حل الاشكال انتهى[٢] كلامه رحمه الله تعالى .

علم الحيَل السَّاسَانيَة

ذكره ابو الخير من فروع علم السحر وقال : هو علم يعرف به طريق الاحتيال في جلب المنافع وتحصيل الاموال ، والذي باشرها يتزيّاً في كل بلدة بزي يناسب تلك البلدة بأن يعتقد اهلها في اصحاب ذلك الزي ، فتارة يختارون زي الفقهاء ، وتارة زي الوعاظ ، وتارة زي الاشراف ، وتارة زي الصوفية الى غير ذلك ثم انهم يحتالون في خداع العوام بامور تعجز العقول عن ضبطها والتفطن لها منها ما حكى واحد انه رأى في جامع البصرة قردا على مركب مثل ما يركبه ابناء الملوك وعليه ألبسة نفيسة نحو ملبوساتهم وهو يبكي وينوح وحوله خدم يتبعونه ويبكون ويقولون يا اهل العافية اعتبروا بسيدنا هذا فانه كان من ابناء الملوك عشق امرأة ساحرة وبلغ حاله بسحرها الى ان مسخ الى صورة القرد وطلبت منه مالا عظيما لتخليصه من هذه الحالة والقرد يبكي بأنين وحنين والعامة يرقون عليه ويبكون وجمعوا لاجله شيئا عظيما من الاموال ثم فرشوا له في الجامع سجادة فصلى عليها ركعتين ثم صلى الجمعة مع الناس ثم ذهبوا بعد الفراغ عن الجمعة بتلك الاموال وأمثال هذه الحيل كثيرة جدا قلت ذكرت هذه الحكاية في تاريخ مير اخوند

---

(١) قلت وحل الاشكال رسالة للشوكاني اجاب بها على السيد العلامة عيسى بن محمد بن الحسين امير كوكبان لما سأله عن وجه اجبار اليهود على التقاط الازبال فاجاب عليها ولده السيد العلامة عبد الله بن عيسى برسالة سماها ارسال المقال فاجاب عليها الشوكاني برسالة سماها تفويق النبال وكانت هذه المراسلة والشباب في عنفوانه . مولوي محمد عبد الرشيد كشميري سلمه الله تعالى

ايضا وكتاب المختار في كشف الاستار بالغ في كشف هذه الاسرار والله اعلم .

علم الحيَل الشرعيّة

هو باب من ابواب الفقه بل فن من فنونه كالفرائض ، وقد صنفوا فيه كتبا اشهرها كتاب الحيل للشيخ الامام ابي بكر احمد بن عمر المعروف بالخصاف الخفي المتوفى سنة احدى وستين ومائتين وهو في مجلدين ذكره التميمي في طبقات الحنفية .

وله شروح منها شرح شمس الائمة الحلواني .

وشرح شمس الائمة السرخسي وشرح الامام خواهر زاده .

ومنها كتاب محمد بن علي النخعي وابن سراقة وابي بكر الصيرفي وابي حاتم القزويني وغير ذلك ، ذكروا فيه الحيل الدافعة للمغالبة واقسامها من المحرمة والمكروهة والمباحة .

وقد اطال الحافظ ابن القيم رحمه الله في كتاب اعلام الموقعين عن رب العالمين في إبطال الحيل التي احدثها الفقهاء واجاد .

علم الحيوان

هو علم باحث عن احوال خواص انواع الحيوانات وعجائبها ومنافعها ومضارها .

وموضوعه جنس الحيوان البري والبحري والماشي والزاحف والطائر وغير ذلك .

والغرض منه التداوي والانتفاع بالحيوانات والاجتناب عن مضارها والوقوف على عجائب احوالها وغرائب افعالها .

مثلا في غرب الاندلس حيوان لو اكل الانسان اعلاه أُعْطِيَ بالخاصية علم النجوم ، واذا اكل وسطه أُعْطِيَ علم النبات ، واذا اكل عجزه وهو ما يلي ذنبه أُعْطِيَ علم المياه المغيبة في الأرض ، فيعرف إذا أتى ارضا لا ماء فيهَا على كم ذراع يكون الماء فيها .

وفيه كتب قديمة واسلامية منها كتاب الحيوان لديموقراس ذكر فيه طبائعه ومنافعه ، وكتاب الحيوان لارسطاطاليس تسع عشرة مقالة نقله ابن البطريق من اليوناني الى العربي ، وقد يوجد سريانيا نقلا قديما اجود من العربي ولارسطو ايضا كتاب في نعت الحيوان الغير الناطق وما فيه من المنافع والمضار ، وكتاب الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري المتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين وهو كبير اوله جنَّبك الله تعالى الشبهة وعصمك من الحيرة الخ .

قال الصفدي ومن وقف على كتابه هذا وغالب تصانيفه ورأى فيها الاستطرادات التي استطردها والانتقالات التي ينتقل اليها و الجهالات التي يعترض بها في غصون كلامه بادنى ملابسه علم ما يلزم الاديب وما يتعين عليه من مشاركة المعارف .

اقول ما ذكره الصفدي من اسناد الجهالات اليه صحيح واقع فيما يرجع الى الامور الطبيعية ، فان الجاحظ من شيوخ الفصاحة والبلاغة لا من أهل هذا الفن ، ومختصر حيوان الجاحظ لابي القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد جعفر المتوفي سنة ثمان وستمائة ، وكتاب حياة الحيوان للشيخ كمال الدين محمد بن عيسى الدميري الشافعي المتوفى سنة ثمان وثمانمائة وهو كتاب مشهور في هذا الفن جامع بين الغث والسمين لان المصنف فقيه فاضل محقق في العلوم الدينية لكنه ليس من اهل هذا الفن كالجاحظ وانما مقصده تصحيح الالفاظ وتفسير الاسماء المبهمة كما اشار اليه في اول كتابه هذا ، وذكر انه جمعه من خمسمائة وستين كتاب او مائة وتسعة وتسعين ديوانا من دواوين شعراء العرب وجعله نسختين صغرى

وكبرى في كبيراه زيادة التاريخ وتعبير الرؤيا وله مختصرات ذكرها في كشف الظنون .

وعبارة مدينة العلوم وقد صنف فيه كمال الدين الدميري تصنيفا حسنا مطولا ومختصرا . ورأيت مختصرا يسمى بخواص الحيوان وهو كاف في هذا الباب الا اني لم اعرف مصنفه انتهى .

قلت وقد طبع كتاب حياة الحيوان الكبرى بمصر القاهرة ولهذا الزمان وعم نفعه في البلاد .

باب الخاء المعجَمَة

علم الخطأين

من فروع علم الحساب ، وهو علم يتعرف منه استخراج المجهولات العددية اذا أمكن صيرورتها في اربعة اعداد متناسبة ومنفعته نحو منفعة الجبر والمقابلة الا انه اقل عموماً منه وأسهل عملا .

وانما سمي به لانه يفرض المطلوب شيئا ويختبر وان وافق فذاك ، والاحفظ ذلك الخطأ وفرض المطلوب شيئا آخر ويختبر فان وافق فذاك ، والا حفظ الثاني ويستخرج المطلوب منهما ومن المقدارين المفروضين .

وعلى هذا فاذا اتفق وقوع المسئلة اولا في اربعة اعداد متناسبة امكن استخراجها بخطأ واحد ومن الكتب الكافية فيه كتاب لزين الدين المغربي وبرهن عليه ابن علي الحسن بن الحسن بن الهيثم الفيلسوف المتوفي سنة ثلثين واربعمائة على طرق .

علم الخط

هو معرفة كيفية تصوير اللفظ بحروف هجائه الى اسماء الحروف اذا قصد بها المسمى هو في باحداكم رحيم معين فانما بكتب هذه الصورة جعفر لانه سماها

خطا ولفظا ولذلك .

قال الخليل لما سألهم كيف تنطقون بالجيم جعفر فقالوا جيم انما نطقتم بالاسم ولم تنطقوا بالمسؤول عنه والجواب جه لانه المسمى فان سمي به مسمى آخر كتب كغيرها نحو ياسين وحاميم (يٰس وحٰم) هذا ما ذكروه في تعريفه والغرض والغاية ظاهران لكنهم اطنبوا في بيان احوال الخط وانواعه ونحن نذكر خلاصة ما ذكروا في فصول .

فصل في فضل الخط

اعلم ان الله سبحانه وتعالى اضاف تعليم الخط الى نفسه وامتن به على عباده في قوله علم بالقلم وناهيك بذلك شرفا .

وقال عبد الله بن عباس الخط لسان اليد قيل ما من امر الا والكتابة موكل به مدبر له ومعبر عنه وبه ظهرت خاصة النوع الانساني من القوة الى الفعل وامتاز به عن سائر الحيوانات .

وقيل الخط افضل من اللفظ لان اللفظ يفهم الحاضر فقط والخط يفهم الحاضر والغائب وفضائله كثيرة معروفة .

فصل في وجه الحاجة اليه

اعلم ان فائدة التخاطب لما لم تتبين الا بالالفاظ واحوالها وكان ضبط احوالها مما اعتنى العلماء كان ضبط احوال ما يدل على الالفاظ ايضا مما يعتني بشأنه وهو الخطوط والنقوش الدالة على الالفاظ فبحثوا عن احوال الكتابة الثابتة نقوشها على وجه كل زمان وحركاتها وسكناتها ونقطها وشكلها وضوابطها من شداتها

ومداتها وعن تركيبها وتسطيرها لينتقل منها الناظرون الى الالفاظ والحروف ومنها الى المعاني الحاصلة في الأذهان .

فصل في كيفية وضعِه وانواعه

قيل اول من وضع الخط آدم عليه السلام كتبه في طين وطبخه ليبقى بعد الطوفان وقيل ادريس وعن ابن عباس ان اول من وضع الخط العربي ثلٰثة رجال من بولان قبيلة من طي نزلوا مدينة الانبار فأولهم مراز وضع الصور وثانيهم اسلم وصل وفصل وثالثهم عامر وضع الأعجام ثم انتشر .

وقيل اول من اخترعه ستة اشخاص من طلسم اسماؤهم ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت فوضعوا الكتابة والخط وما شذ من اسمائهم من الحروف وألحقوها ويروى انها اسماء ملوك مدين .

وفي السيرة لابن هاشم ان اول من كتب الخط العربي حمير بن سبأ .

قال السهيلي في التعريف والاعلام والاصح ما رويناه من طريق ابن عبد البر يرفعه الى النبي ﷺ قال اول من كتب بالعربية اسمٰعيل عليه السلام .

قال ابو الخير واعلم ان جميع كتابات الامم اثنتا عشرة كتابة بالعربية والحميرية واليونانية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية والقبطية والبربرية والأندلسية والهندية والصينية .

فخمس منها اضمحلت وذهب من يعرفها وهي الحميرية واليونانية القبطية والأندلسية والبربرية .

وثلٰثة بقي استعمالها في بلادها وعدم من يعرفها في بلاد الاسلام وهي الرومية والهندية والصينية .

وبقيت اربع هي المستعملات في بلاد الاسلام وهي العربية والفارسية والسريانية والعبرانية .

أقول في كلامه بحث من وجوه .

اما اولا فلان الحصر في العدد المذكور غير صحيح اذ الاقلام المتداولة بين الأمم الآن اكثر من ذلك سوى المنقرضة فان من نظر في كتب القدماء المدونة باللغة اليونانية والقبطية وكتب اصحاب الحرف الذين بينوا فيها انواع الاقلام والخطوط علم صحة ما قلنا وهذا الحصر يبنى عن قلة الاطلاع .

وأما ثانياً فلأن قوله خمس منها اضمحلت ليس بصحيح ايضا لأن اليونانية مستعملة في خواص الملة النصرانية اعني اهل اقاديميا المشهورة الواقعة في بلاد اسبانيا وفرنسا ونمسه وهي ممالیك كثيرة واليونانية اصل علومهم وكتبهم .

وأما ثالثاً فلان قوله وعدم من يعرفها في بلاد الاسلام وهي الرومية كلام سقيم ايضا اذ من يعرف الرومية في بلاد الاسلام اكثر من ان يحصى وينبغي ان يعلم ان الرومية المستعملة في زماننا منحرفة من اليونانية بتحريف قليل واما القلم المستعمل بين كفرة الروم فغير القلم اليوناني .

وأما رابعا فلأن جعله السريانية والعبرانية من المستعملات في بلاد الاسلام ليس كما ينبغي لان السرياني خط قديم بل هو اقدم الخطوط منسوب الى سوريا وهي البلاد الشامية واهلها منقرضون فلم يبق منهم اثر ثبت في التواريخ والعمرانية المستعملة فيما بين اليهود وهي مأخذ اللغة العربية وخطها والعبراني يشبه العربي في اللفظ والخط مشابهة قليلة .

فصل

واعلم ان جميع الاقلام مرتب على ترتيب ابجد الا القلم العربي وجميعها منفصل الا العربي والسرياني والمغولي واليوناني والرومية والقبطية من اليسار الى اليمين والعبرانية والسريانية والعربية من اليمين الى اليسار وكذا التركية والفارسية .

الخط السرياني

ثلٰثة أنواع : المفتوح والمحقق ويسمى اسطريجالا وهو اجلها والشكل المدور ويقال له الخط الثقيل ويسمى اسكولينا وهي احسنها والخط الشرطاوي يكتبون به الترسل والسرياني اصل النبطي .

الخط العبراني

اول من كتب به عامر بن شالح وهو مشتق من السرياني وانما لقب بذلك حيث عبر ابراهيم الفرات يريد الشام وزعمت اليهود والنصارى لا خلاف بينهم ان الكتابة العبرانية في لوحين من حجارة وان الله سبحانه وتعالى دفع ذلك اليه .

الخط الرومي

وهو اربعة وعشرون حرفا كما ذكرنا في المقدمة ولهم قلم يعرف بالمساميا ولا نظير له عندنا فان الحرف الواحد منه يدل على معان وقد ذكره جالينوس في ثبت كتبه .

الخط الصيني

خط لا يمكن تعلمه في زمان قليل لانه يتعب كاتبه الماهر فيه ولا يمكن للخفيف اليد ان يكتب به في اليوم اكثر من ورقتين او ثلٰثة وبه يكتبون كتب ديانتهم وعلومهم ولهم كتابة يقال لها كتابة المجموع وهو ان كل كلمة تكتب بثلٰثة احرف او اكثر في صورة واحدة ولكل كلام طويل شكل من الحروف يأتي علم المعاني الكثيرة فاذا أرادوا ان يكتبوا ما يكتب في مائة ورقة كتبوه في صفحة واحدة

بهذا القلم .

الخط المانوي

مستخرج من الفارسي والسرياني استخرجه ماني كما ان مذهبه مركب من المجوسية والنصرانية وحروفه زائدة على حروف العربي وهذا القلم يكتب به قدماء أهل ما وراء النهر كتب شرائعهم وللمرقنونية قلم يختصون به .

الخط الهندي والسندي

هو اقلام عدة يقال ان لهم نحو مائتي قلم بعضهم يكتب بالارقام التسعة على معنى ابجد وينقطون تحته نقطتين او ثلثا .

الخط الزنجي والحبشي

على ندرة لهم قلم حروفه متصلة كحروف الحميري يبتدىء من الشمال الى اليمين يفرقون بين كل اسم منها بثلاث نقط .

الخط العربي

في غاية تعويج الى يمنة اليد وقال ابن اسحٰق اول خطوط العربية الخط المكي وبعده المدني ثم البصري ثم الكوفي وأما المكي والمدني ففي شكله انضجاع يسير قال الكندي لا اعلم كتابة يحتمل منها تحليل حروفها وتدقيقها ما تحتمل الكتابة العربية ويمكن فيها سرعة ما لا يمكن في غيرها من الكتابات .

فصل في اهل الخط العربي

قال ابن اسحق اول من كتب المصاحف في الصدر الأول ويوصف بحسن الخط خالد بن ابي الهياج ، وكان سعد نصبه لكتب المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك وكان الخط العربي حينئذ هو المعروف الآن بالكوفي ومنه استنبطت الأقلام كما في شرح العقيلة .

ومن كتاب المصاحف خشنام البصري والمهدي الكوفي وكانا في أيام الرشيد ومنهم ابو حدى وكان يكتب المصاحف في ايام المعتصم من كبار الكوفيين وحذاقهم .

وأول من كتب في ايام بني امية قطبة وقد استخرج الاقلام الأربعة واشتق بعضها من بعض وكان اكتب الناس .

ثم كان بعده الضحاك بن عجلان الكاتب في أول خلافة بني العباس فزاد على قطبة .

ثم كان اسحق بن حماد في خلافة المنصور والمهدي وله عدة تلامذة كتبوا الخطوط الأصلية الموزونة وهي اثنا عشر قلما : قلم الجليل قلم السجلات قلم الديباج قلم اسطورمار الكبير قلم الثلثين قلم الزنبور قلم المفتح قلم الحرم قلم المدامرات قلم العهود قلم القصص قلم الحرفاج فحين ظهر الهاشميون حدث خط يسمى العراقي وهو المحقق ولم يزل يزيد حتى انتهى الامر الى المأمون فأخذ كتابه بتجويد خطوطهم وظهر رجل يعرف بالأحول المحرر فتكلم على رسومه وقوانينه وجعله انواعا .

ثم ظهر قلم المرضع وقلم النساخ وقلم الرياسي اختراع ذي الرياستين الفضل بن سهل وقلم الرقاع وقلم غبار الحلية .

ثم كان اسحق بن ابراهيم التميمي المكنى بابي الحسن معلم المقتدر واولاده اكتب اهل زمانه وله رسالة في الخط اسماها تحفة الوامق .

ومن الوزراء الكتاب ابو علي محمد بن علي بن مقلة المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وهو اول من كتب الخط البديع ثم ظهر صاحب الخط البديع علي ابن هلال المعروف بابن البواب المتوفى سنة ثلث عشرة واربعمائة ولم يوجد في المتقدمين من كتب مثله ولا قاربه وان كان ابن مقلة اول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين وابرزها في هذه الصورة وله بذلك فضيلة السبق وخطه ايضا في نهاية الحسن لكن ابن البواب هذب طريقته ونقحها وكساها حلاوة وبهجة وكان شيخه في الكتابة محمد بن أسد الكاتب .

ثم ظهر ابو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى سنة ست وعشرين وستمائة .

ثم ظهر ابو المجد ياقوت بن عبد الله الرومي المستعصمي المتوفي سنة ثمان وتسعين وستمائة وهو الذي سار ذكره في الآفاق واعترفوا بالعجز عن مداناة رتبته .

ثم اشتهرت الاقلام الستة بين المتأخرين وهي الثلث والنسخ والتعليق والريحان والمحقق والرقاع .

ومن الماهرين في هذه الأنواع ابن مقلة وابن البواب وياقوت وعبدالله ارغون وعبد الله الصيرفي ويحيى الصوفي والشيخ احمد السهروردي ومبارك شاه السيوفي ومبارك شاه القطب واسد الله الكرماني .

ومن المشهورين في البلاد الرومية حمد الله بن الشيخ الاماسي وابنه دده جلبي والجلال والجمال واحمد القرة الحصاري وتلميذه حسن وعبد الله القريمي وغيرهم من النساخين ثم ظهر قلم التعليق والديواني والدشتي وكان ممن اشتهر بالتعليق سلطان علي المشهدي ومير علي ومير عماد وفي الديواني تاج وغيرهم مدوّن في غير هذا المحل مفصلا ولسنا نخوض بذكرهم لان غرضنا بيان علم الخط .

واما ابو الخير فاورد في الشعبة الاولى من مفتاح السعادة علوم متعلقة بكيفية الصناعة الخطية فنذكرها اجمالا في فصل فمما ذكره .

اولا علم ادوات الخط من القلم وطريق بريها واحوال الشق والقط ومن الدواة والمداد والكاغد فأقول هذه الأمور من احوال علم الخط فلا وجه لأفراده ولو كان مثل ذلك علما لكان الأمر عسيرا .

وذكر ابن البواب نظم فيه قصيدة رائية بليغة استقصى فيها ادوات الكتابة ولياقوت رسالة فيه ايضا ومنها علم قوانين الكتابة أي معرفة كيفية نقص صور الحروف البسائط وكيف يوضع القلم ومن ايّ جانب يبتدأ في الكتابة وكيف يسهل تصوير تلك الحروف .

ومن المصنفات فيه الباب الواحد من كتاب صبح الاعشى وما ذلك الا علم الخط .

ومنها علم تحسين الحروف وتقدم في باب التاء وهو ايضا من قبيل تكثير السواد قال ومبنى هذا الفن الاستحسانات الناشئة من مقتضى الطباع السليمة بحسب الالف والعادة والمزاج بل بحسب كل شخص وغير ذلك مما يؤثر في استحسان الصور واستقباحها ولهذا يتنوع هذا العلم بحسب قوم وقوم ولهذا لا يكاد يوجد خطان متماثلان من كل الوجوه .

أقول ما ذكره في الاستحسان مسلم لكن تنوعه ليس بمتفرع عليه وعدم وجدان الخطين المتماثلين لا يترتب على الاستحسان بل هو امر عادي قريب الى الجبلي كسائر اخلاق الكاتب وشمائله وفيه سر الهي لا يطلع عليه الا الافراد .

ومنها علم كيفية تولد الخطوط عن اصولها بالاختصار والزيادة وغير ذلك من انواع التغيرات بحسب قوم وقوم وبحسب اغراض معلومة في فنه وحداق الخطاطين صنفوا فيها رسائل كثيرة سيما كتاب صبح الأعشى فان فيه كفاية في هذا الباب لكن هو أيضا من هذا القبيل ومنها علم ترتيب حروف التهجي بهذا الترتيب المعهود فيما بيننا واشتراك بعضها ببعض في صورة الخط وازالة التباسها بالنقط

واختلاف تلك النقط وتقدم ذكره في باء التاء ولابن جني والجزي[1] رسالة في هذا الباب اما ترتيب الحروف فهو من احوال علم الحروف واعجامها من احوال علم الخط

ذكر النقط والاعجام في الاسلام

اعلم ان الصدر الاول اخذ القرآن والحديث من افواه الرجال بالتلقين ثم لما كثر اهل الاسلام اضطروا الى وضع النقط والاعجام فقيل اول من وضع النقط مراد والاعجام عامر وقيل الحجاج وقيل ابو الاسود الدؤلي بتلقين علي كرم الله وجهه الا ان الظاهر انهما موضوعان مع الحروف اذ يبعدان الحروف مع تشابه صورها كانت عرية عن النقط الى حين نقط المصحف وقد روي ان الصحابة جردوا المصحف من كل شيء حتى النقط ولو لم توجد في زمانهم لما يصح التجريد منها .

وذكر ابن خلكان في ترجمة الحجاج انه حكم ابو احمد العسكري في كتاب التصحيف ان الناس مكثوا يقرأون في مصحف عثمان رضي الله عنه نيفا واربعين سنة الى ايام عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففزع الحجاج الى كتابه وسألهم ان يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات فيقال ان نصر بن عاصم وقيل يحيى بن يعمر قام بذلك فوضع النقط وكان معه ذلك ايضا يقع التصحيف فاحدثوا الاعجام انتهى

واعلم ان النقط والاعجام في زماننا واجبات في المصحف واما في غير المصحف فعند خوف اللبس واجبان البتة لانهما ما وضعا الا لإزالته واما مع امن اللبس فتركه اولى سيما اذا كان المكتوب اليه اهلا .

---

(١) وكذا اورد القلقشندي في كتاب صبح الأعشى ما فيه كفاية . سنة ظله العالي .

وقد حكي انه عرض على عبد الله بن طاهر خط بعض الكتّاب فقال ما احسنه لولا اكثر شونيزة .

ويقال كثرة النقط في الكتاب سوء الظن بالمكتوب اليه .

وقد يقع بالنقط ضرو كما حكي ان جعفر المتوكل كتب إلى بعض عماله ان اخص من قبلك من الذميين وعرفنا بمبلغ عددهم فوقع على الحاء نقطة فجمع العامل من كان في عمله منهم وخصاهم فماتوا غير رجلين ، الا في حروف لا يحتمل غيرها كصورة الياء والنون والقاف والفاء المفردات وفيها ايضا مخير .

ثم اورد في الشعبة الثانية علوما متعلقة باملاء الحروف المفردة وهي ايضا كالاولى .

فمنها علم تركيب اشكال بسائط الحروف من حيث حسنها فكما ان للحروف حسنا حال بساطتها فكذلك لها حسن مخصوص حال تركيبها من تناسب الشكل ومباديها امور استحسانية ترجع الى رعاية النسبة الطبيعية في الاشكال وله استمداد من الهندسيات وذلك الحسن نوعان حسن التشكيل في الحروف يكون بخمسة .

اولها التوفية وهي ان يوفى كل حرف قسمته من الاقدار في الطول والقصر والرقة والغلظة .

والثاني الاتمام وهو ان يعطي كل حرف قسمته من الاقدار في الطول والقصر والغلظة .

والثالث الانكباب والاستلقاء .

والرابع الاشباع .

والخامس الارسال وهو ان يرسل يده بسرعة .

وحسن الوضع في الكلمات وهي ستة .

الترصيف وهو وصل حرف الى حرف .

والتأليف وهو جمع حرف غير متصل .

والتسطير وهو اضافة كلمة الى كلمة .

والتفصيل وهو مواقع المدات المستحسنة ومراعات فواصل الكلام وحسن التدبير في قطع كلمة واحدة بوقوعها الى آخر السطر وفصل الكلمة التامة ووصلها بان يكتب بعضها في آخر السطر وبعضها في اوله .

ومنها علم املاء الخط العربي اي الاحوال العارضة لنقوش الخطوط العربية لا من حيث حسنها بل من حيث دلالتها على الالفاظ وهو ايضا من قبيل تكثير السواد .

ومنها علم خط المصحف على ما اصطلح عليه الصحابة عند جمع القرآن الكريم على ما اختاره زيد بن ثابت ويسمى الاصطلاح السلفي ايضا وهذا العلم وان كان من فروع علم الخط من حيث كونه باحثا عن نوع من الخط لكن بحث عنه صاحب مدينة العلوم في علوم تتعلق بالقرآن الكريم وانما تعرضنا له هنا تتميما للاقسام .

وفيه العقيلة الرائية للشاطبي .

ومنها علم خط العروض وهو ما اصطلح عليه اهل العروض في تقطيع الشعر واعتمادهم في ذلك على ما يقع في السمع دون المعنى المعبئة به في صنعة العروض انما هو اللفظ لانهم يريدون به عدد الحروف التي يقوم بها الوزن متحركا وساكنا فيكتبون التنوين نونا ساكنة ولا يراعون حذفها في الوقف ويكتبون الحرف المدغم بحرفين ويحذفون اللام مما يدغم فيه في الحرف الذي بعده كالرحمان والذاهب والضارب ويعتمدون في الحروف على اجزاء التفاعيل ويقطعون حروف الكلم بحسب قطعها كما في قول الشاعر :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود بها

فيكتبون على هذه الصورة

ستبـــدي لكلايا ممـــا كن تجاهلا ويياتـــي كبـــلا خبـــار منلـــم تزودي

قال في الكشاف وقد اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة عن القياس ثم ما دعا ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الخط وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف .

وقال ابن درستوري في كتاب الكتاب خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه هذا خلاصة ما ذكروه في علم الخط[1] ومتفرعاته .

واما الكتب المصنفة فيه فقد سبق ذكر بعض الرسائل وما عداها نادر جدا سوى اوراق ومختصرات كأرجوزة عون الدين .

علم الخفاء

هو علم يتعرف منه كيفية اخفاء الشخص نفسه عن الحاضرين بحيث يراهم ولا يرونه ذكره ابو الخير من فروع علم السحر وقال وله دعوات وعزائم الا ان الغالب على ظني ان ذلك لا يمكن الا بالولاية بطريق خرق العادة لا بمباشرة اسباب يترتب عليها ذلك عادة وكثيرا ما نسمع هذا لكن لم نر من فعله الا ان خوارق العادات لا تنكر سيما من اولياء هذه الامة انتهى .

---

(١) وفي ذلك رسالة نفيسة لبعض الاعلام قد وقفت عليها ولم اقف على اسم مؤلفها قد سماها مؤلفها بلمحة المختطف في صناعة الخط الصلف ذكر فيها ابو ايلو فصولا ، باب في اختيار الاقلام والسكين باب في بري القلم فصل في كيفية قط القلم فصل في كيفية القط فصل في ذكر اختلاف الكتاب في قط القلم على خمسة مذاهب فصل في ان القط لا يخلو من ثلاثة احوال فصل في ان الاقلام على مرتبتين رطب ويابس فصل في ان لكل قلم السبعة شيء يختص به فصل في كيفية إمساك القلم حين الكتابة وغير ذلك فصل في ان الكتابة سبعة اقسام فصل في ان الاحرف على ضربين مفرد ومركب باب في الكلام على المفردات فصل في المد وغير ذلك هذا تمام الرسالة المذكورة مولوي محمد يوسف علي صاحب لكهنوي سلمه الله الولي .

اقول كونه علما من جهة تفرعه على السحر لا من جهة الكرامة فلا وجه لغلبة ظنه في عدم امكانه اذ هو بطريق السحر ممكن لا شبهة فيه بل طريق الدعوة والعزائم ايضا كما يدعيه اهله وعدم الرؤية لا يدل على عدم الوقوع ويقال له علم الاخفاء ولذا تقدم في باب الالف

علم الخلاف

هو علم يعرف به كيفية ايراد الحجج الشرعية ودفع الشبه وقوادح الادلة الخلافية بايراد البراهين القطعية وهو الجدل الذي هو قسم من المنطق الا انه خص بالمقاصد الدينية .

وقد يعرف بانه علم يقتدر به على حفظ ايّ وضع وهدم ايّ وضع كان بقدر الامكان ولهذا قيل الجدلي إمَّا مُجيبٌ يَحْفَظُ وضعاً او سائل يهدم وضعا وقد سبق في علم الجدل .

قال في مدينة العلوم الفرق بين الجدل الواقع بين اصحاب المذاهب الفرعية كأبي حنيفة والشافعي وغيرهما وبين علم الخلاف .

ان البحث في الجدل بحسب المادة وفي الخلاف بحسب الصورة .

وقد صنف بعض العلماء في الخلاف المسائل العشرة ، وبعضهم العشرين ، وبعضهم الثلثين لتكون مثالا يحتذى بها في غيرها انتهى .

وقال ابن خلدون في مقدمته : اعلم ان هذا الفقه المستنبط من الادلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وانظارهم خلافا لا بد من وقوعه لما قدمناه ، واتسع ذلك الى الامة الاربعين من علماء الامصار وكانوا بمكان من حسن الظن بهم اقتصر الناس على تقليدهم ومنعوا من تقليد سواهم لذهاب الاجتهاد لصعوبة وتشعب العلوم التي هي موادّه باتصال الزمان وافتقاد من يقوم على سوى هذه المذاهب الاربعة ، فاقيمت هذه المذاهب الأربعة

اصول الملة واجري الخلاف بين المتمسكين بها والآخذين باحكامها مجرى الخلاف في النصوص الشرعية والاصول الفقهية ، وجرت بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب امامه تجري على اصول صحيحة وطرائق قويمة يحتج بها كل على مذهبه الذي قلده وتمسك به ، واجريت في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب من ابواب الفقه .

فتارة يكون الخلاف بين الشافعي ومالك وابو حنيفة يوافق احدهما .

وتارة بين مالك وابو حنيفة والشافعي يوافق احدهما .

وتارة بين الشافعي وابي حنيفة ومالك يوافق احدهما ، وكان في هذه المناظرات بيان مأخذ هؤلاء الائمة مثارات اختلافهم ومواقع اجتهادهم ، كان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافيات يحتاج اليها المجتهد الا ان المجتهد يحتاج اليها للاستنباط ، وصاحب الخلافيات يحتاج اليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من ان يهدمها المخالف بأدلته .

وهو لعمري علم جليل الفائدة في معرفة مآخذ الائمة وادلتهم ومن ان المطالعين له على الاستدلال فيما يرومون الاستدلال عليه .

وتآليف الحنفية والشافعية فيه اكثر من تآليف المالكية لان القياس عند الحنفية اصل للكثير من فروع مذهبهم كما عرفت لذلك اهل انظر والبحث .

واما المالكية فالاثر اكثر معتمدهم وليسوا باهل نظر وايضا فاكثرهم اهل المغرب وهم بادية غفل من الصنائع الا في الاقل .

وللغزالي وفيه كتاب المآخذ .

ولابي زيد الدبوسي كتاب التعليقة .

ولابن القصار من شيوخ المالكية عيون الادلة وقد جمع ابن الساعاتي في مختصره في اصول الفقه جميع ما يبتنى عليها من الفقه الخلافي مدرجاً في كل مسئلة ما يبتنى عليها من الخلافيات انتهى .

ومن الكتب المؤلفة فيه ايضا المنظومة النسفية ، وخلافيات الامام الحافظ ابي بكر احمد بن الحسين بن على البيهقي المتوفى سنة ثمان وخمسين واربعمائة جمع فيه المسائل الخلافية بين الشافعي رحمه الله وابي حنيفة رحمه الله .

وقال في مدينة العلوم وعلم الخلاف علم باحث عن وجوه الاستنباطات المختلفة من الادلة الاجمالية او التفصيلية الذاهب الى كل منها طائفة من العلماء افضلهم وامثلهم ابو حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي ومن اصحابه ابو يوسف ومحمد وزفر والامام الشافعي والامام مالك والامام احمد بن حنبل .

ثم البحث عنها بحسب الابرام والنقض لاي وضع اريد في تلك الوجوه ومباديه مستنبطة من علم الجدل والجدل بمنزلة المادة والخلاف بمنزلة الصورة .

وله استمداد من العلوم العربية الشرعية .

وغرضه تحصيل ملكة الابرام والنقض .

وفائدته دفع الشكوك عن المذاهب وايقاعها في المذهب المخالف ، وقد اورد علم الخلاف والجدل الامام فخر الدين الرازي في كتاب المعالم وغير ذلك من الرسائل والتعليقات لكن قد ضاع كتبه وانطمس آثاره وبطل معالمه في زماننا هذا .

واعلم ان اول من اخرج علم الخلاف في الدنيا ابو زيد الدبوسي المتوفى سنة ٤٣٢ وهو ابن ثلث وستين ناظر مرة رجلا فجعل الرجل يبتسم ويضحك فانشد ابو زيد لنفسه :

مالي اذا ألزمته حجة قابلني بالضحك والقهقهه
ان كان ضحك المرء من فقهه فالضب في الصحراء ما افقهه

ويمكن جعل علم الجدل والخلاف من فروع علم اصول الفقه انتهى كلامه رحمه الله .

علم خواص الاقاليم

علم يتعرف منه ما في كل اقليم او بلد من المنافع والمضار والغرائب وهذا علم جليل ترتاح اليه النفوس ، مثل ما روي ان ببلاد الهند وردا مكتوب في الورقة منها محمد رسول الله ﷺ رواه الذهبي في الميزان ، ونظيره ما ذكره ابن العديم في تاريخه في ترجمة الحسن بن احمد بن الحسن الوراق المصيصي انه روى مسند الى علي بن عبد ربه الهاشمي انه رأى في بعض الهند وردة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط ابيض لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق قال ظننت انه معمول ففتحت وردة فلم تفتح بعد فكان فيها مثل ذلك وفي البلد منه شيء كثير .

واهل تلك القرية يعبدون الحجارة ولا يعرفون الله عز وجل .

وحكى الشيخ اليافعي في كتابه المسمى بروض الرياحين عن بعض الشيوخ انه رأى ببلاد الهند شجرة مكتوبة عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جليلة وهم يتبركون بها ويستسقون بها اذا منعوا من الغيث فحدث بها ابا يعقوب الصياد فقال ما استعظم هذا كنت اصطاد على نهر ابلة فاصطدت سمكة مكتوب على جبينها الايمن واذنها اليمنى لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر واذنها اليسرى محمد رسول الله فقذفتها في الماء احتراما لما عليها .

قلت سمعت من اثق به انه يروي عمن يثق به انه رأى جرادة في احدى جناحيها لا اله الا الله وفي الاخرى محمد رسول الله وامثال هذه الغرائب في الآفاق خارجة عن احاطة الاوراق سبحان مبدعها ومخترعها جل جلاله وعم نواله .

وكتاب عجائب المخلوقات للقزويني التي فيه بالعجيب العجاب وكتاب آخر في هذا الباب احسن من كتاب القزويني لكنني لم اتذكر اسمه ثم سألت واحداً عن اصحابي فقال انه خريدة العجائب لابن الوردي وفيها كتاب آخر وهو

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف[1] الصقلي وتقويم البلدان للياقوت الحموي وغير ذلك وانتهى ما في مدينة العلوم .

واقول قد وقفت على الكتابين الاولين ورايت فيهما من ذكر العجائب وغرائب الدنيا ما يستبعده العقل ولا يصدقه القلب المستقيم وان كان الله عز وجل قادرا على كل محال ، وما ذكر من اوراد الهند اعجب من كل عجاب لان اقليم الهند حاله مع بعد مسافة بلاده معلوم لكل واحد ولم يسمع ممن يسكنه الى الآن ان مثل هذه الاوراد في بلد من بلدانها موجود ولم يعين الحاكي لها اسم ذلك البلد او كانت تلك الاوراد في وقت من الازمنة الخالية ولم يبق لها الآن اثر ولا عين مع ان كل محال في حقه سبحانه وتعالى ممكن سهل الحصول والقدرة صالحة لامثال تلك الاحوال لكن الكلام في صحة هذا الكلام وفيما ذكره من عجائب الانام ولا توجد ولا تعلم منها احدى العلامات والله اعلم .

علم خواص الحروف

اعلم ان الحروف لا سيما المقطعات التي في اوائل السور لها خواص شريفة واحوال عجيبة يعرفها اهلها وقد فصلها احسن تفصيل الشيخ عبد الرحمن البسطامي في كتبه المؤلفة في هذا الشأن كذا مدينة العلوم للارنيفي رحمه الله .

علم الخواص

وهو علم باحث عن الخواص المترتبة على قراءة اسماء الله سبحانه وتعالى

(١) قال في كشف الظنون صنفه له جار الفرنجي صاحب صقلية وهو من اصحابه ورتبه على الاقاليم السبعة وأورد فيه اوصاف البلاد والمهالك مستوفية في ذكر المسافات بالميل والفرسخ لكنه لم يذكر الاحوال وكان تأليفه لهذا الكتاب في منتصف المائة السادسة والمعروف انه اختصره بعضهم مولوي حكيم معز الدين صاحب سلمه الله .

وكتبه المنزلة وعلى قراءة الادعية ويترتب على كل من تلك الاسماء والدعوات خواص مناسبة لها كذا في مفتاح السعادة لطاشكبري زاده .

قال واعلم ان النفس بسبب اشتغالها باسماء الله تعالى والدعوات الواردة في الكتب المنزلة تتوجه الى الجناب المقدس وتتخلى عن الامور الشاغلة لها عنه فبواسطة ذلك التوجه والتخلي تفيض عليها آثار وانوار تناسب استعدادها الحاصل لها بسبب الاشتغال ، ومن هذا القبيل الاستعانة بخواص الادعية بحيث يعتقد الراقي ان ذلك يفعل السحر انتهى .

أقول خواص الاشياء ثابتة واسبابها خفية لانا نعلم ان المغناطيس يجذب الحديد ولا نعرف وجهه وسببه ، وكذلك في جميع الخواص الا ان علل بعضها معقولة وبعضها غير معقولة .

ثم ان تلك الخواص تنقسم الى اقسام كثيرة منها خواص الاسماء المذكورة الداخلة تحت قواعد علم الحروف وكذلك خواص الحروف المركبة عنها الاسماء وخواص الادعية المستعملة في العزائم وخواص القرآن .

قال ابو الخير غاية ما يذكر في ذلك تجارب الصالحين وورد في ذلك بعض من الاحاديث اوردها السيوطي في الاتقان وقال :

بعضها موقوفات على الصحابة والتابعين وما لم يرد اثره فقد ذكر الناس من ذلك كثيرا والله سبحانه وتعالى اعلم بصحته .

ويقال ان الرقي بالمعوذات وغيرها من اسماء الله هو الطب الروحاني إذا كان على لسان الابرار من الخلق حصل الشفا باذن الله سبحانه وتعالى فلما عز هذا النوع فزع الناس الى الطبّ الجسماني ويشير إلى هذا قوله (١) عليه الصلوٰة

---

(١) هذا الحديث لا يصلح للاعتماد حتى يحصل العليم بصحة سنده فلينظر فيه . مولوي سبط احمد سهسواني سلمه الله تعالى .

والسلام (لو ان رجلا موقنا قرأ بها على جبل لزال) واجاز القرطبي الرقية باسماء الله وكلامه سبحانه وتعالى قال فان كان مأثورا استحب .

قال الربيع سألت الشافعي عن الرقية فقال لا بأس ان يرقى بكتاب الله تعالى وبما يعرف من ذكر الله .

قال الحسن البصري ومجاهد والاوزاعي لا بأس بكتب القرآن في اناء ثم غسله وسقيه المريض وكرهه النخعي .

ومنها خواص العدد والوفق والتكسير .

ومنها خواص الاعداد المتحابة والمتباغضة .

قال في مدينة العلوم ان كنكة الملك من حكماء الهند استنبط الاعداد المتحابة وذكر انها اذا وضعت في طعام او شراب او غير ذلك مما يستعمله شخصان تآلف بينهما محبة عجيبة ، وان رسمتها على ثوبك لم يفارقك والعدد الاصغر منها كزد والعدد الأكبر منها فرد ترسمها برسم قلم الغبار وتعطي الأصغر من شئت وتأكل انت الأكبر فان الأصغر يطيع الأكبر بخاصية ظريفة ، ويستعمل في الزبيب وحب الرمان واشباههما عدد الأسماء .

ثم ان افلاطون الآلهي بين خواص الاعداد المتحابة والمتباغضة ، وذكر انه لو كتب اعداد المتحابة في كوز لم يمسه الماء وشرب منه شخصين فانه يتولد بينهما محبة اكيدة لم يعهد ذلك قبل وانه لو فعل في الاعداد المتباغضة مثل ذلك فانه يظهر بينهما عداوة راسخة باذن الله انتهى .

وبيّنه في تذكرة الاحباب في بيان التحاب مستوفى ببراهين عددية وخواص البروج والكواكب وخواص المعدنيات وخواص النباتات وخواص الحيوانات وخواص الاقاليم والبلدان وخواص البر والبحر وغير ذلك .

وصنف في هذه الخواص جماعة منهم احمد البوني والغزالي والتميمي والجلنكي في كنز الاختصاص وهو كتاب مفيد في تلك المقاصد وغيرهم وخواص الاسرار في بواهر الانوار وخواص الاسماء الحسنى للشيخ ابي العباس

احمد البوني مختصر وللشيخ جمال الدين قال في مدينة العلوم علم الخواص علم يحصل بسبب ترتيب ما له الخواص من المعادن والابحار وغير ذلك آثار عجيبة وامور غريبة يتحير فيها الناظرون .

ومنها ان بعضا من الاوائل بنى دارا وجعل في جدرانها الاربعة والسقف والارض ومن احجار المقناطيس متساوية المقدار وجعل في وسطها صليبا الى نفسه فوقف ذلك الحديد بالضرورة في الهواء في وسط البيت وافتتن بذلك جمع من النصارى .

ومنها ان في النبات نبتا اذا طلى به الانسان بدنه لم تحرقه النار وامثال ذلك كثيرة مذكورة في كتب الخواص .

واعلم ان الخواص قد تترتب على اسماء الله تعالى وعلى الآيات التنزيلية وآيات التوراة والانجيل لكن تلك الخواص ليست من فروع علم السحر بل هي من فروع علم القرآن انتهى [1]

---

(١) قلت ولكن تلك الخواص لا تصلح للعمل بها حتى تشهد له الاحاديث الصحيحة ولم يرد في السنة ما يصححها فلا عبرة بذلك وان نفعت وان ضرت مولوي محمد ايوب مفتي بهوبال سلمه الله المتعال .

باب الدال المهْمَلة

علم دراية الحديث

تقدم الكلام عليه في علم الحديث .

وقال الشيخ شمس الدين الاكفاني السخاوي دراية الحديث علم تتعرف منه انواع الرواية واحكامها وشروط الرواية واصناف المرويات واستخراج معانيها ويحتاج الى ما يحتاج اليه علم التفسير من اللغة والنحو والتصريف والمعاني والبيان والبديع والاصول ويحتاج الى تاريخ النقلة انتهى .

ولنا كتاب سميناه الحطة بذكر الصحاح الستة ذكرنا فيه جميع فروع علم الحديث .

وشرف هذا العلم واحوال الامهات الست وتراجم اصحابها فان شئت الزيادة فارجع اليه .

وذكر في مدينة العلوم ان لفظ الصحيح في علم الحديث اذا اطلق يراد به عند المحدثين البخاري واذا اطلق لفظ الصحيحين يراد به عندهم صحيح البخاري وصحيح مسلم .

واذا اطلق لفظ الصحاح يراد به عندهم الصحيحان وصحيح ابن حبان وصحيح ابن خزيمة وصحيح ابن عوانة وصحيح مستدرك الحاكم وهذه هي

الصحاح الستة انتهى وفيه نظر واضح .

قال ثم ان السنن اذا اطلقت يراد بها في اصطلاحهم سنن ابي داود وسنن الترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجة القزويني ، واما سنن غير هؤلاء فتذكر مقيدة كسنن الدارقطني وسنن البيهقي واذا اطلق المسانيد يراد بها في اصطلاحهم مسندا للامام احمد بن حنبل ومسند ابي يعلى الموصلي ومسند الدارمي ومسند البزار .

ثم ان المعاجم اذا اطلقت يراد بها المعجم الكبير والاوسط والصغير الثلثة للطبراني قال ولما فرغنا عن ذكر الاقدمين من المحدثين اقتضى الراي ان نورد ههنا بعضا من المتأخرين منهم وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة .

ثم ذكر ابا سليمان الخطابي وابن الجوزي والنووي وابا السعادات الجزري وابا محمد حسين البغوي وابن الصلاح والحسن الصغاني اللاهوري الهندي واكمل الدين البابرني شارح المشارق والقاضي عياض وذكر تراجمهم بالاختصار وكتابنا اتحاف النبلاء المتقين بأحياء مآثر الفقهاء المحدثين قد قضى الوطر عن ذكر الكتب المؤلفة في علم الحديث وتراجم اكابر هذا العلم .

علم دعوة الكواكب

قال في مدينة العلوم كما ان استحضار الجن وبعض الملائك ممكن فكذلك يمكن تسخير روحانية الكواكب سيما السبعة السيارة فيتوصل بذلك الى المقاصد المهمة من قتل الاعداء واحضار المال والغائب وامثال ذلك فيستحضرها متى شاء بعد الدعوة بلا تكلف ومشقة .

حكي ان ملكا كان مشتغلا بدعوة زحل وكان اصحابه يلومونه في ذلك وفي بعض الايام عرض له عدو وكان ذلك العدو ملكا عظيما اعجزه دفعه بالمحاربة فاشتغل ذلك الملك بدعوة زحل فاذاً نزل من السماء شيء فخاف اهل المجلس عنه

فتفرقوا فدعاهم الملك واحضروا عنده فرأوا ظروفا من نحاس مثلث الشكل وفيه رأس الملك الذي خاصمه مقطوعا ففرحوا بذلك وهرب العسكر ونصر الملك بروحانية زحل وقال انتم سفهتموني باشتغالي بالدعوة وهذا نفعه الادنى فاعتقدوا الدعوة كلهم .

واما كون الظرف من النحاس وكونه مثلثا فلاقتضاء طبيعة زحل ذلك المعدن وذلك الشكل .

واعلم ان دعوة الكواكب كانت مما اشتغل فيها الصابئة فبعث عليهم ابراهيم عليه السلام مبطلا لمقالتهم وراداً عليهم واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل انتهى .

قلت وليست هذه الدعوة بعد ما نزل شرع نبينا ﷺ في شيء من امر الدين بل هو شرك بحت وكفر محض اعاذنا الله واخواننا المسلمين عن امثال هذه العلوم .

علم دفع مَطاعِنِ الحديث

لم يزد في كشف الظنون على ذلك والظاهر انه من فروع علم الحديث قال في مدينة العلوم موضوعه ونفعه ظاهران لأولي الالباب وقد طعن في احاديث النبي ﷺ طائفة من الملاحدة وهم القرامطة وعلماء الاسلام جزاهم الله تعالى خير الجزاء انتصبوا لدفع تلك الاوهام الفاضحة بأدلة قوية وبراهين واضحة وصنفوا فيه كتبا يجدها من يطلبها انتهى .

علم دَفع مَطاعِنِ القرآن

علم باحث عن دفع شبهات ارباب الضلال الموردة على القرآن الكريم بحسب لفظه او بحسب معناه ومباديه العلوم العربيّة وعلم الاصلين والله اعلم .

علم دَلائِل الاعجاز

هكذا في كشف الظنون ولم يكشفه والظاهر انها من فروع علم البيان والمَعَاني .

علم الدواوين

لم يزد في كشف الظنون على هذا وذكر تحته اسماء دواوين الشعراء من العرب والعجم واكثر واطنب واجاد .

قال في مدينة العلوم اعلم ان الكلام اما منثور او منظوم ، ولما كانت المحاضرة تقع بالمنظوم كما تقع بالمنثور دونوا الدواوين المشتملة بالقصائد والمقاطيع والاراجيز والمجاميع .

وموضوعه وغايته وغرضه ومنفعته ظاهرة مما تقدم ، ولا يخفي ان افضل الشعراء شرفا وفضلا واولاهم بالتقدم حسان بن ثابت رضي الله عنه لفضيلته بشرف صحبة النبي ﷺ وشرفه بمدحه ﷺ وهو شاعر رسول الله ﷺ المؤيد بروح القدس ، يكنى[1] بابي الحسام لمناضلته عن رسول الله ﷺ الغازي به اعراض المشركين ، عاش مائة وعشرين سنة ، ستين في الاسلام وستين في الجاهلية ، وكذا ابوه وجده وابو جده ، ولا يعرف في العرب أربعة من صلب واحد اتفقت مدة عمرهم غيرهم وكان له القدر الجليل عند رسول الله ﷺ انتهى .

ثم ذكر دواوين كثيرة وقال منها :

نهاية الارب في اشعار العرب يشتمل على الف قصيدة مختارة .

---

(١) ويكنى ايضا بابي عبد الرحمن وابي الوليد .

ومنها[1] الحماسة اختيار ابي تمام الطائي ، وله مجموع آخر سماه فحول الشعراء جمع فيه بين طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والاسلاميين .

وكتاب الاختيارات من شعر الشعراء .

ومنها الذخيرة لابن بسام[2] .

وديوان ابي العلاء[3] المعري ، وكان متهما في دينه يرى رأي البراهمة لا يرى اكل اللحم ولا يؤمن بالبعث والنشر وبعث الرسل وشعره المتضمن للالحاد كثير ، قال ابن العميل في كتابه وقع التحري على ابي العلاء المعري كان يرميه اهل الحسد بالتعطيل ويعملون على لسانه اشعار او يضمنونها اقوال الملاحدة قصدا لهلاكه ، وقد نقل عنه اشعار تتضمن صحة عقيدته وكذب ما ينسب اليه من اسناد الالحاد اليه .

وقال الذهبي انه ملحد وحكم بزندقته .

---

(١) وهو حبيب بن اوس الشاعر المشهور كان واحد عصره في ديباجة لفظ وبضاعة شعره وحسن اسلوبه وله كتاب الحماسة التي دلت على غزارة فضله واتقان معرفته وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره قيل انه كان يحفظ اربع عشرة الف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع ومدح الخلفاء واخذ جوائزهم قالت العلماء خرجت من قبيلة طي ثلثة كل واحد منهم مجيد في بابه حاتم في جوده داود الطائي في زهده وابو تمام الطائي في شعره ولد سنة تسعين او اثنتين وتسعين او ثمان وثمانين ومائة وتوفي بالموصل سنة احدى وثلثين ومائتين وقيل توفي في ذي القعدة او جمادى الاولى سنة ثمان او تسع وعشرين ومائتين وقيل في المحرم سنة اثنتين وثلثين ومائتين ولها شرح جديد للمولوي فيض الحسن السهارنفوري دام ظله سماه بالفيضي وقد طبع الآن ببلدة لكنؤ من بلاد الهند . حافظ علي حسين عفا الله عنه .

(٢) وهي ابو الحسن علي بن احمد بن منصور بن بسّام المعروف بالبسام الشاعر المشهور وكانت امه امامة ابنة حمدون النديم كان من اعيان الشعراء ومجالس الظرفاء لسنا مطابق في الهجاء ولم يسلم منه امير ولا وزير ولا صغير ولا كبير توفي في صفر سنة اثنتين او ثلث وثلثمائة عن نيف وسبعين سنة مولولي محمد احمد سلمه ربه .

(٣) هو احمد بن عبد الله بن سليمان بن داود التنوخي او العلاء المعري من معرة النعمان من الشام غزير الفضل شايع الذكر وافر العلم غاية في الفهم وعالما باللغة حاذقا بالنحو جيد الشعر جزل الكلام وشهرته تغني عن صفته ولد يوم الجمعة عند الغروب لثلث بقين من ربيع الاول سنة ثلث وستين وثلثمائة وجدر من السنة الثلثة من عمره فعمي منه ومات ليلة الجمعة ثالث او ثاني او ثالث عشر ربيع الاول سنة تسع واربعين واربعمائة . مولوي محمد عبد الله بلكرامي مد الله ظله السامي .

وقال السلفي اظنه تاب واناب .

وديوان ابي الطيب المتنبي[1] وكان شعره بلغ الغاية من الفصاحة والبلاغة والحكمة وسائر المحاسن بحيث لا حاجة الى مدحه ، والناس في شعره على اختلاف .

منهم من يرجحه على شعر ابي تمام ومن بعده .

ومنهم من يرجح شعر ابي تمام عليه .

واعتنى العلماء بشرح ديوانه حتى قال بعضهم وقفت له على اكثر من اربعين شرحا ما بين مطول ومختصر وكان رجلا مسعودا ورزق السعادة في شعره ، وانما يقال له المتنبي لانه ادعى النبوة حتى حبس ثم تاب واطلق .

وديوان البحتري[2] سئل المعري اي الثلثة اشعر ابو تمام ام البحتري ام المتنبي ؟ فقال هما حكيمان والشاعر البحتري وشعره سائر وديوانه موجود .

وديوان[3] جرير بن عطية الخطفي التميمي كان من فحول شعراء الاسلام وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة وهو اشعر من الفرزدق عند اكثر اهل العلم ، واجمعت العلماء على انه ليس في شعراء الاسلام مثل ثلثة : جرير وفرزدق واخطل ويقال ان بيوت الشعر اربعة : فخر ومديح ونسيب وهجاء وفي الاربعة فاق جرير

---

(١) هو احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور وقيل احمد ابن الحسين بن مرة بن عبد الجبار وهو من اهل الكوفة قدم الشام في صباه وجال في اقطاره واشتغل بفنون الادب ومهر فيها قيل قتل يوم الاثنين لثمان بقين من رمضان او يوم الابعاء لليلتين بقيتا منه ومولده في سنة ثلث وثلثمائة بمحلة كندة في الكوفة والله اعلم . مولوي انور على صاحب مهم مدارس من بهوبال اسلمه الله .

(٢) هو ابو عبادة وليد بن يحيى الطائي البحتري الشاعر المشهور مدح كثيرا من الخلفاء اولهم المتوكل على الله وكثيرا من الاكابر والرؤساء واقام ببغداد زمانا ثم عاد الى الشام وقيل له انت اشعر ام ابو تمام قال جيده خير من جيدي ورديي خير من رديه وله كتاب الحماسة على مثال حماسة ابي تمام كتاب معاني الشعر ولد سنة ست او سبع او خمس او ثلث وثلثين ومائتين والاول اصبح مولوي عبد الحق صاحب مد ظله العالي .

(٣) هو ابو حريزة جرير بن علية الخطفي التميمي توفي في سنة عشر ومائة وفيها مات الفرزدق وعمر نيفاً وثمانين سنة . . مولوي عبد الحق كابلي مدرس مدرسة شاهجاني .

على غيره .

وديوان الفرزدق[1] :

وديوان ابي نواس حسن بن هاني الشاعر المشهور كان المأمون يقول لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قوله :

ألا كل حي هالك وابن هالك وذونسب في الهالكين عريق

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت لهعن عدو في ثياب صَدِيق

وديوان الطغرائي[2] ومن محاسن شعره قصيدة لامية العجم وكان عملها ببغداد في سنة يصف حاله ويشكو زمانه وشرحها الصفدي في مجلدين وسماه الغيث الذي انسجم وقد ملأ شرحه بالفوائد الادبية والغرائب الجدية والهزلية وبالجملة انه من احسن المجاميع وانفعها .

وديوان ابن نباته بالضم .

وديوان ابن المعتز بالله الخليفة العباسي .

وديوان ابن فارض وشعره لطيف واسلوبه فيه رائق طريف .

وديوان بهاء الدين زهير .

وديوان دعبل الخزاعي بكسر الدال مدح علي بن موسى الرضا بقصيدة اولها :

مدارس آيات خلت عن تلاوة ومهبط وحي مقفر العرصات

---

(١) هو ابو نواس همام ابو هميم بن غالب وكنيته ابو الاخطل التميمي الشاعر المشهور بالفرزدق صاحب جرير كان أبوه من جلة قومه وامه ليلى بنت حابس اخت الأقرع بن حابس توفي بالبصرة سنة عشر ومائة قبل جرير باربعين او ثمانين يوما وقيل انهما توفيا سنة احدى عشرة ومائة قيل انه لقي علي بن ابي طالب. مولوي الهي بخش صاحب.

(٢) هو عبد الملك فخر الكتاب ابو اسمعيل الحسن بن علي بن محمد بن عبد الصمد الملقب مؤيد الدين الاصبهاني المعروف بالطغرائي كان غريد الفضل كان غزير الفضل لطيف الطبع فاق اهل عصره بصنعة النظم والنثر . مولوي اعظم حسين صاحب خير ابادي سلمه الله ذو الايادي .

وديوان التنوخي وله كتاب الفرج بعد الشدة .

وديوان شمس الدين بن عفيف التلمساني وديوان ابن سناء الملك وديوان القاضي الفاضل وديوان ابن الوكيل .

وديوان التهامي هؤلاء شعراء الاسلام ، واما الشعراء القدماء فاشعرهم عشرة نذكر اسماءهم هٰهنا منهم : امرىء القيس الكندي والنابغة الذبياني ومنهم زهير بن ابي سلمى وابنه كعب اسلم ومدح رسول الله ﷺ والاعشى وطرفة بن العبد واوس بن حجر ولبيد بن ربيعة وعدي بن زيد وعبيد بن الابرص وبشر الاسدي وهو عاشرهم واهل الحجاز يقدمونه عليهم ويرون انه اشعرهم واسدهم سياقا للحديث .

باب الدّال المعجمة
علم الذكر والانثى

لم أر من ذكره في موضوعات العلوم وان كان يستحق لذلك لما الف في هذا الباب كتب مستقلة ، وهو في الأصل فرع من علم النحو ولذا دونوه معه .

واقول هو علم يبحث فيه عن الفاظ ولغات استعملت في العبارات مذكرة ومؤنثة او مؤنثة وهي على شكل الالفاظ الغير المؤنثة .

وموضوعه اللفظ من حيث انه يذكر ويؤنث .

والغرض من استعمال الالفاظ على وجهها في التذكير والتأنيث .

وغايته الاحتراز عن الخطأ في ذلك الاستعمال والاتيان به على ما هو عليه في كتب الادباء .

والمؤنث ما فيه علامة التأنيث لفظا حقيقة كامرأة وظلمة او حكما كزينب وعقرب فان الحرف الزائد في المؤنث في حكم تاء التأنيث ولهذا لا يظهر التاء في تصغير غير الثلاثي من المؤنثات او تقديرا كهند ودار والمذكر بخلافه اي ما لم يوجد فيه علامة التأنيث لا لفظا ولا تقديرا ولا حكما .

وللجماعة من ائمة النحو كتب في هذا العلم .

منها كتاب المذكر والمؤنث لابن خالويه حسين بن احمد النحوي المتوفى سنة سبعين وثلثمائة ولابي حاتم سهل بن محمد السجستاني .

ولابي الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة .

وليحيى بن زياد العزي المتوفى سنة سبع ومائتين .

ولابن شقير احمد بن حسن النحوي المتوفى سنة سبع عشرة وثلثمائة .

ولابي جعفر احمد بن عبيد الكوفي الدئلمي المتوفى سنة ثلث وسبعين وسبعمائة .

ولكمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري النحوي المتوفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة مختصر سماه المبلغة اوله الحمد لله المتفرد بجلال الاحدية .

ولابي محمد القاسم بن محمد الانباري المتوفي سنة اربع وسبعين وثلثمائة .

ولابنه ابي بكر محمد بن القاسم الانباري المتوفى سنة ثمان وعشرين واربعمائة .

قال ابن خلكان ما عمل اتم منه .

ولابي بكر محمد بن عثمان المعروف بالجعد احد اصحاب بن كيسان .

ولابن مقسم محمد بن حسن بن ابي بكر العطار المقري النحوي المتوفى سنة خمس وخمسين وثلثمائة .

ولابي عبيده قاسم بن سلام النحوي المتوفى سنة اربع وعشرين ومائتين .

ولابي الحسن عبد الله بن محمد بن سفيان الجزار النحوي المتوفى سنة خمس وعشرين وثلثمائة .

ولابي الجود قاسم بن محمد العجلاني وكان في عصر ابن جني وطبقته كذا في كشف الظنون .

ولابن الحاجب المالكي صاحب الكافية والشافية في النحو والصرف قصيدة مختصرة في المؤنث السماعي اولها :

نفسي الفداء لسائل وافاني بمسائل فاحت كغصن البان

وللشيخ الفاضل اللغوي النحوي عبد الرحيم الصفي بوري ايضا رسالة

مختصرة في ذلك سماها بضرورة الاديب .

ولصاحب المكمل شارح المفصل ايضا رسالة في ذلك فكذا الكمال باشا .

ولمحمّد باقر الطهراني ايضا .

وللسيد الفاضل العلامة النحوي ذو الفقار احمد بن السيد المرحوم همت علي التقوي البهوبالي طابت له الايام والليالي كتاب[1] في ذلك جمع فيه ما لم يتفق لغيره واستقرأه من كتب شتى ومواضع مختلفة حتى جاء حافلا في بابه خطيبا في محرابه قلما يوجد كتاب حاو لمثله في هذا الباب كما يظهر ذلك من النظر في هذا الكتاب .

(١) وهذا الكتاب سماه المؤلف العلامة المبتكر في المؤنث والمذكر وسيطبع ان شاء الله تعالى في بلدة بهوبال صانها الله واهلها عن الفتن والزوال . علي حسين بن الحافظ محمد صادق بن احمد علي اللكنوي كاتب هذا الكتاب عفا عنه الله الوهاب .

بابُ الراء المهملة

علم ربع الدائرة

لم يزد عليه في كشف الظنون والظاهر انه من فروع علم الهيئة وسيأتي في الهاء .

علم رجال الاحاديث

قال فيه سبط أبي شامة العلامة في وصف علم التاريخ وذم من عابه وشأنه ، وقد ألف العلماء في ذلك تصانيف كثيرة لكن قد اقتصر كثير منهم على ذكر الحوادث من غير تعرض لذكر الوفيات كتاريخ ابن جرير ومروج الذهب والكامل وان ذكر اسم من توفي في تلك السنة فهو عار عما له من المناقب والمحاسن .

ومنهم من كتب في الوفيات مجردا عن الحوادث كتاريخ نيسابور للحاكم ، وتاريخ بغداد لابي بكر الخطيب والذيل عليه السمعاني ، وهذا وان كان اهم النوعين فالفائدة انما تتم بالجمع بين الفنين وقد جمع بينهما جماعة من الحفاظ منهم ابو الفرج بن الجوزي في المنتظم وابو شامة في الروضتين والذيل عليه وصل الى سنة خمس وستين وستمائة .

وقد ذيل عليه الحافظ علم الدين البرزالي .

وممن جمع بين النوعين ايضا الحافظ شمس الدين الذهبي لكن الغالب في العبر الوفيات ، وجمع بينهما عماد الدين بن كثير في البداية والنهاية واجود ما فيه السير النبوية ، وقد اخل بذكر خلائق من العلماء وقد يكون من اخل بذكره اولى ممن ذكره مع الاسهاب المخل وفيه اوهام قبيحة لا يسامح فيها وقد صار الاعتماد في مصر والشام في نقل التواريخ في هذا الزمان على هؤلاء الحفاظ الثلثة البرزالي والذهبي وابن كثير .

اما تاريخ البرزالي فانتهى الى آخر سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ومات في السنة الآتية .

واما الذهبي فانتهى تاريخه الى آخر سنة اربعين وسبعمائة .

واما ابن كثير فالمشهور ان تاريخه انتهى الى آخر سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وهو آخر ما لخصه من تاريخ البرزالي وكتب حوادث الى قبيل وفاته بسنتين ولما لم يكن من سنة احدى واربعين وسبعمائة ما يجمع الامرين على الوجه الأتم شرع شيخنا الحافظ مفتي الشام شهاب الدين احمد بن يحيى السعدي في كتابه ذيل من اول سنة احدى واربعين وسبعمائة على وجه الاستيعاب للحوادث والوفيات فكتب منه سبع سنين ثم شرع من اول سنة تسع وستين وسبعمائة فانتهى الى اثناء ذي القعدة سنة خمس عشرة وثمانمائة وذلك قبل ضعفه ضعفة الموت غير انه سقط منه سنة خمس وسبعين فعدمت ، وكان قد اوصاني ان اكمل الخرم من اول سنة ثمان واربعين الى آخر سنة ثمان وستين فاستخرت الله تعالى في تكميل ما اشار اليه ثم التذييل عيه من حين وفاته ثم رأيت في سنة احدى وثمانين وسبعمائة فما بعدها الى آخر سنة ثمان واربعين فوائد جمة من حوادث ووفيات قد اهملها شيخنا ويحتاج الكتاب اليها فألحقت كثيرا منها والحوادث وشرعت من اول سنة احدى واربعين وسبعمائة جامعا بين كلامه وتلك الفوائد على ان الجميع في الحقيقة له .

علم رسم كتابة القرآن في المصاحف

وهذا العلم وان كان من فروع علم الخط لكن باختصاصه بخط المصحف جعله صاحب مدينة العلوم من فروعه .

وموضوعه رسم خط المصحف من الحذف والزيادة والبدل والفصل والوصل وما فيه قراءتان فيكتب على احداهما .

وغايته حفظ المصحف الامام نقل عن مالك انه لم يجوز كتابة المصحف على ما عليه الناس من الهجاء واوجب اتباع المصحف الامام ونقل عن احمد انه حرم مخالفته .

وصنف فيه ابوعمرو الداني المقنع وابو العباس المراكشي عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل والقصيدة الرائية الموسومة بالعقلية للشيخ الشاطبي وشرحها برهان الدين ابراهيم بن عمر الجعبري المتوفى سنة ٧٣٣ وسماه جميلة ارباب المراصد .

علم الرصد

اول رصد وضع في الاسلام رصد وضع بدمشق سنة اربع عشرة ومائتين .

قلت قال الفاضل ابو القاسم صاعد الاندلسي في كتاب التعريف بطبقات الامم لما افضت الخلافة الى عبد الله المأمون بن الرشيد العباسي وطمحت نفسه الفاضلة الى درك الحكمة وسمت همته الشريفة الى الاشراف على علوم الفلسفة ، ووقف العلماء في وقته على كتاب المجَسْطي وفهموا صورة آلات الرصد الموصوفة فيه بعثه شرفه واحداه نبله على ان جمع علماء عصره من اقطار مملكته وامرهم ان يصنعوا مثل تلك الآلات وان يقيسوا بها الكواكب ويتعرفوا احوالها بها كما صنعه بطليموس ومن كان قبله .

ففعلوا ذلك وتولوا الرصد بها بمدينة الشماسية وبلاد دمشق من أرض الشام سنة اربع عشرة ومائتين .

فوقفوا على زمان سنة الشمس الرصدية ومقدار ميلها وخروج مراكزها ومواضع اوجها وعرفوا مع ذلك بعض احوال ما في الكواكب من السيارة والثابتة ثم قطع بهم عن استيفاء عرفهم موت الخليفة المأمون في سنة ثمان عشرة ومائتين فقيدوا ما انتهوا اليه وسموه الرصد المأموني ، وكان الذي تولى ذلك يحيى بن ابي منصور كبير المنجمين في عصره ، وخالد بن عبد الملك المروزي وسند بن علي والعباس بن سفيد الجوهري والف كل منهم في ذلك زيجاً منسوبا اليه ، وكان ارصاد هؤلاء اول ارصاد كان في مملكة الاسلام . وذكر تقي الدين في سدرة منتهى الافكار ان المعلم الكبير بطليموس ختم كتب التعاليم بالمجسطي الذي اعيت اولي الالباب عبارته وكان له مسك الختام تحرير النصير ، فلقد أتى فيه من الايجاز ما تبهر به العقول ، ومن الاستدراكات والزيادات المهمة بما تحير فيه الفحول ، ولم يزل اصحاب الأرصاد ماشين على تلك الاصول الى ان جاء العلامة الماهر والفهامة الباهر علي بن ابراهيم الشاطر ، فاصل اصولا عظيمة وفرّع منها فروعا جسيمة وهي وان لم تكن يصورها النوعية خارجة عن الاصل التدويري المبرهن على صحته في المجسطي بردّ مقدمات وقعت في امثالها ، ونقود عبارات لم تسلم من النسج على منوالها ، وزيادات افلاك مخلة بالقرب من المساحة والبساطة سلم ذلك الكتاب عن امثالها تالله انه لكتاب لا يتيسر لاحد كشف مجملاته الا بتطليق الشهوات ولا يتيسر لبشر حل مشكلاته الا بالانقطاع في الخلوات مع عقد القلب وربط اللب على ما عقد هو عليه قلبه من طلب الحق وايثار الصدق وعدم قصد التكبر والفخار والوصول الى درجات الاعتبار .

قال ولما كنت ممن ولد ونشأ في البقاع المقدسة ، وطالعت الاصلين الجمل مطالعة ، وفتحت مغلقات حصولها بعد الممانعة والمدافعة ، ورأيته ما في الزيجات

المتداولة من الخلل الواضح والزلل الفاضح ، تعلق البال والخلد بتجديد تحرير الرصد ومن الله سبحانه وتعالى عليّ بتلقي جملة الطرائق الرصدية من الكتب المعتبرة ومن افواه المشائخ العظام ، واخترعت آلات اخرى من المهمات بطريق التوفيق ، واقمت على صحة ما يتعاطى بها من الارصاد البراهين ، ونصبتها بأمر الملك الاعظم السلطان مراد خان وباشارة الاستاذ الاعظم حضرة سعد الدين افندي ملقن الحضرة الشريفة ، وشرعت في تقرير التحريرات الرصدية الجديدة حاذيا حذو العلامة النصير ومقتفيا اثر المعلم الكبير وربما نقلت عبارته بعينها ، وزدت فيه من الوجوه القريبة والتحريرات الغريبة .

حكي ان نصير الدين لما اراد العمل بالرصد رأى هلاكو ما ينصرف عليه فقال له : هذا العلم المتعلق بالنجوم ما فائدتهايرفع ما قدّر ؟فقال انا اضرب لمنفعته مثالا القاه ان يأمر من يطلع الى اعلى هذا المكان ويدعه يرمي من اعلاه طشت نحاس كبير من غير ان يعلم به احد ففعل ذلك قلما وقع ذلك كانت له وقعة عظيمة هائلة روعت كل من هناك وكاد بعضهم يصعق ، واما هو وهلاكو فانهما ما تغير عليهما شيء لعلمهما بان ذلك يقع فقال له : هذا العلم النجومي بهذه الفائدة يعلم المتحدث فيه ما يحدث فلا يحصل له من الروعة والاكتراث ما يحصل للغافل الذاهل منه .

فقال لا بأس بهذا وأمره بالشروع فيه وحكى من دخل الرصد وتفرجه انه رأى فيه من آلات الرصد شيئا كثيرا .

منها ذات الحلق وهي خمس دوائر متخذة من نحاس : الاولى دائرة نصف النهار وهي مركوزة على الارض ودائرة معدل النهار ودائرة منطقة البروج ودائرة العرض ودائرة الميل .

وفيه الدائرة السمتية يعرف بها سمت الكواكب واصطرلاب يكون سعة قطره ذراعا واصطرلابات كثيرة وحكي عن العرضي ان نصير الدين اخذ من هلاكو

بسبب عمارة الرصد ما لا يحصيه الا الله سبحانه وتعالى وأقل ما كان يأخذ بعد فراغ الرصد لأجل الآلات واصلاحها عشرين الف دينار .

رصد ابرخس قبل الهجرة بسنة ثلث واربعين وسبعمائة ومنه الى رصد مراغة اربعون ومائة سنة .

رصد ابن الشاطر بالشام .

رصد ابي حنيفة احمد بن داود الدينوري باصبهان سنة خمس وثلثين ومائتين .

رصد ابي الريحان البيروني .

رصد الغ بيك وبسمرقند سنة ثلث وعشرين وثمانمائة .

رصد ايلخاني بمراغة سنة سبع وخمسين وستمائة .

رصد بطلميوس بعد رصد ابرخس بسنة خمس وثمانين ومائتين وقبل الهجرة بسنة ثمان وخمسين واربعمائة .

رصد بني الاعلم ببغداد سنة خمسين ومائتين .

رصد تانجو بسواحل المحيط الغَرْبي .

رصد التباني بالشام .

رصد ثاون الاسكندراني قبل الهجرة بسنة احدى وعشرين وتسعمائة استعمل في زيجه المسمى بالقانون المحصول من الرصد المذكور تاريخ سلس الرومي اخ ذي القرنين .

رصد الحاكمي بمصر سنة خمسين ومائتين ومنه الزيج المصطلح .

رصد طيموحارس بالاسكندرية سنة اربع وخمسين واربعمائة لبخت نصر قبل الهجرة بسنة خمس عشرة وتسعمائة .

رصد مأمون الخليفة ببغداد سنة سبع وعشرين ومائتين .

رصد مالانوس برومة سنة اربع وخمسين وثمانمائة قبل الهجرة بسنة خمس

عشرة وخمسمائة .

رصد راجه جي سنكة بالهند ببلدة جيبور[١] .

علم الرقص

لم يزد صاحب الكشف على هذا قال في مدينة العلوم هو علم باحث عن كيفية صدور الحركات الموزونة عن الشخص بحيث يورث الطرب والسرور لمن يشاهدها ويرغب فيها اصحاب الرفه والاغنياء ومن يحذو حذوهم واهل الهند ماهرون في الرقص ولهم فيها يد طولى الا ان هذا العلم محرم في شريعتنا وانما تعرضنا له تتميما لاقسام العلوم انتهى كلامه .

علم الرقى

هكذا في كشف الظنون وقال في مدينة العلوم هو علم باحث عن مباشرة افعال مخصوصة كعقد الخيط والشعر وغيرهما ، او كلمات مخصوصة بعضها بهلوية وبعضها قبطية وبعضها هندكية تترتب على تلك الأعمال والكلمات آثار مخصوصة من إبراء المرض ورفع اثر النظرة وحل المعقود وأمثال ذلك .

وانما سميت رقية لانها كلمات رقيت من صدر الراقي وأهل الفرس يسمونها أبسون ، وانما سموا بذلك لأنهم كثيرا ما يقرأونها على الماء ويسقونه المريض او يصبونه عليه والشرع اذن بالرقية لكن اذا كانت بكلمات معلومة من اسماء الله تعالى والآيات التنزيلية والدعوات المأثورة ، وهذا الذي اذن به الشرع من الرقي ليس من فروع علم السحر بل هي من فروع علم القرآن انتهى .

---

(١) وايضا رصد بمصر القاهرة وبدهلي ما ببنارس من بلاد الهند ، علي حسين لكهنوي سلمه الله القوي .

وفيه فضل واحد من كتاب القول الجميل في بيان سواء السبيل للشيخ المحدث ولي الله احمد الدهلوي رحمه الله وحكم المسئلة[1]مصرح في نيل الاوطار وشرح منتقى الاخبار لشيخنا القاضي محمد بن علي الشوكاني .

علم الرمل

هو علم يعرف به الاستدلال على احوال المسئلة حين السؤال بأشكال الرمل وهي اثنا عشر شكلا على عدد البروج واكثر مسائل هذا الفن امور تخمينية مبنية على التجارب فليس بتام الكفاية ولا يفيد اليقين في مثل هذه الامور الخفية لانهم يقولونَ كل واحد من البروج يقتضي حرفا معينا وشكلا من اشكال الرمل فاذا سئل عن المطلوب فحٍ يقتضي وقوع اوضاع البروج شكلا معينا فبدل بسبب المدلولات وهي البروج على احكام مخصوصة مناسبة لاوضاع تلك البروج لكن المذكورات امور تقريبية لا يقينية ولذلك قال عليه السلام (كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذلك قيل هو ادريس عليه السلام وهو معجزة له ، والمراد التعليق بالمحال والا لما بقي الفرق بين المعجزة والصناعة .

روي عن بعض المشايخ انه سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقال من جملة الآثار التي ذكر الله سبحانه وتعالى قال (ايتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين) .

وفي مصباح الرمل اين علم معجزة ششن بيغمبراست عليهم السلام الأول آدم الثاني ادريس الثالث لقمان الرابع ارميا الخامس اشعيا السادس دانيال عليهم السلام پس اكر خط موافق خط بيغمبران أمدكما ينبغي حلال بود . والكتب المؤلفة

---

(١) وقد اجبت على هذه المسئلة في كتابي دليل الطالب على اصح المطالب بما يكفي ويشفي ، منه دام ظله العالي .

في هذا الباب كثيرة يعرفها اهلها .

منها ابواب الرمل اصل مفاتيح اصول الرمل .

انوار اقليدي تأليف مولانا بشه تحفه شاهي تقويم الرمل تلخيص توضيح تهذيب جامع الأسرار جهان رمل خلاصة البحرين ذخيرة رسالة يونس رسالة سرخواب رسالة كله كبود روشي رياض الطالبين زبدة وزين الرمل سي باب شامل الحصول شجرة اوزان نزهة العقول وافي نصير طوسي هداية النقطة وكتاب تجارب العرب وكتاب الزماني اصح طرق هذا الفن .

علم رموز الحديث

لم يذكر في الكشف غير ذلك وقال في مدينة العلوم علم رموز اقوال النبي ﷺ واشاراته وهذا علم ظاهر الموضوع باهر النفع لا يخفى غايته وغرضه ورأيت في هذا الفن تصنيفا لطيفا انتهى .

علم الرمي

لم يزد في الكشف على ذلك وقال في مدينة العلوم علم الرمي مثل رمي القوس والبنادق علم يتعرف منه رمي الامور المذكورة بالمزاولة ليكون عملها على وجه الاصابة ومنفعته عظيمة في كل الأمور انتهى .

قلت ويلتحق بالبناديق المدافع وما يشابهها وحكام البرطانية اكمل الناس في هذا العلم في هذا الزمان وكذا الاتراك ويدل له قوله تعالى ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

علم رواة الحديث

وهو علم اسماء الرجال وقد مر وهذا العلم من فروع علم التواريخ من وجه لأنه يبحث فيه عن وفياتهم وقبائلهم واوطانهم وتعديلهم وجرحهم وغير ذلك والمصنفات في هذا العلم كثيرة وقد سبق نبذ منها .

علم رواية الحديث

هو علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الاحاديث بالرسول ﷺ من حيث احوال رواتها ضبطا وعدالة ، ومن حيث كيفية السند اتصالا وانقطاعا وغير ذلك من الأحوال يعرفها نقاد الاحاديث .

وموضوعه الفاظ الرسول من حيث صحة صدورها عنه ﷺ وضعفه الى غير ذلك .

وفي هذا الفن منفعة بينة وغاية عظيمة بل هو أحد اركان الدين .

والكتب المصنفة في هذا العلم اكثر من أن تحصى .

منها كتاب ابن الصلاح وفيه تصنيف النووي .

وكتاب الشيخ الامام حافظ العصر نخبة الدهر امير المؤمنين في الحديث شهاب الدين احمد المعروف بابن حجر العسقلاني مولداً المصري محتدا كذا في مدينة العلوم وقد تقدم الكلام عليه تحت علم الحديث مفصلا .

علم الرّياضة

الرياضي من اقسام الحكمة النظرية .

وهو علم باحث عن أمور مادية يمكن تجريدها عن المادة في البحث ، سمي به لأن من عادة الحكماء ان يرتاضوا به في مبدأ تعليمهم الى صبيانهم ، ولذا يسمى

علما تعليميا ايضا ، وبالعلم الاوسط المتوسطة بين ما لا يحتاج الى المادة وبين ما يحتاج اليها مطلقا لافتقاره من وجه وعدم افتقاره من وجه آخر .

وله اصول ولكل منها فروع فأصوله اربعة : الهندسة والهيئة والحساب والموسيقى وذلك لأن موضوعه الكم وهو اما متصل او منفصل .

والأول متحرك او ساكن فالمتحرك هو الهيئة والساكن هو الهندسة .

والثاني اما ان يكون له نسبة تأليفة أو لا .

فالأول هو الموسيقى .

والثاني هو الحساب وفروعه ستة .

الأول علم الجمع والتفريق .

الثاني علم الجبر والمقابلة .

الثالث علم المساحة .

الرابع علم جر الأثقال .

الخامس علم الزيجات والتقاويم .

السادس علم الارغنوة وهو اتخاذ الآلات الغريبة .

قال صاحب كشاف اصطلاحات الفنون : الرياضي علم بأحوال ما يفتقر في الوجود الخارجي دون التعقل الى المادة كالتربيع والتثليث والتدوير والكروية والمخروطية والعدد وخواصه فانها امور تفتقر الى المادة في وجودها لا في حدودها ويسمى بالحكمة الوسطى .

وقد اختلف قدماء الفلاسفة في ترجيح احد من الرياضي والطبعي على الآخر في الشرف والفضل وكل قد مال الى طرف بحجج مذكورة فيما بينهم ، والحق ان الحكم بجزم فضيلة احدهما على الآخر غير سديد بل كل واحد افضل من الآخر من وجه .

فالطبعي افضل من الرياضي من جهة ان موضوعه جسم طبعي ، وهو

جوهر ، والرياضي موضوعه كم وهو عرض ، والجواهر اشرف من العرض ، وايضا الطبعي في الاغلب معطى اللم والرياضي الان ومعطى اللم افضل ، وايضا هو يشتمل على علم النفس وهو ام الحكمة وأصل الفضائل .

والرياضي افضل من الطبعي من جهة ان الاحوال الوهمية والخيالية غير متناهية القسمة ، فهناك لا تقف عند حد فهو افضل مما هو محصور بين الحواصر وايضا الامور الرياضية اصفى والطف والذ واتم عن الأمور المكدرة الجسمانية وايضا يقل التشويش والغلط في براهينه العددية والهندسية بخلاف الطبعي بل الالهي ومن اجل ذلك قيل ادراك الالهي والطبعي من جهة ما هو اشبه واحرى لا باليقين ، كذا في الصدر انتهى حاصله .

علم رياضة النفس وتهذيب الاخلاق

قال في مدينة العلوم الخلق عبارة عن هيئة راسخة للنفس تصدر عنها الافعال المحمودة بسهولة من غير حاجة الى فكر وروية فان صدر عنها الأفعال المحمودة عقلا وشرعا كذلك يسمى خلقا حسنا وان صدر عنها الأفعال الذميمة عقلا وشرعا كذلك .

ويسمى خلقا سيئا وقد ثبت بالادلة العقلية والنقلية تغيير الاخلاق السيئة الى الاخلاق الحسنة .

وقد دلت الشواهد النقلية والتجارب الحسية على ان ذلك التغيير لا يمكن الا برياضة النفس وتلك الرياضة ليست في شريعتنا هذه الا باتباع الرسول ﷺ ولا يمكن ذلك الا بمجاهدات ورياضات يعرفها اهلها ويشعر بها اهل السلوك وليس هذا المختصر موضع تفصيلها انتهى .

علم الريافة

وهو معرفة استنباط الماء من الأرض بواسطة بعض الامارات الدالـة على وجوده .

فيعرف بعده وقربه بشم التراب او برائحة النباتات فيه او بحركة حيوان مخصوص وجد فيه فلا بد لصاحبه من حس كامل وتخيل قوي شامل ونفع هذا العلم بين وهو من فروع الفراسة من جهة معرفة وجود الماء والهندسة من جهة الحفر واخراجه إلى وجه الارض .

باب الزاء المعجَمة

علم الزائرجة

هو من القوانين الصناعية لاستخراج الغيوب المنسوبة الى العالم المعروف بأبي العباس احمد السبتي وهو من اعلام المتصوفة بالمغرب كان في آخر المائة السادسة بمراكش وبعهد يعقوب بن منصور من ملوك الموحدين وهي كثيرة الخواص يولعون باستفادة الغيب منها بعملها وصورتها التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازنها للافلاك والعناصر وللمكونات والروحانيات الى غير ذلك من اصناف الكائنات الموجودات والعلوم ، وكل دائرة منها مقسومة بانقسام فلكها الى البروج والعناصر وغيرهما ، وخطوط كل منها مارة الى المركز ويسمونها الأوتار وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة فمنها اعداد مرسومة برسوم الزمام التي هي من اشكل الأعداد عند اهل الدواوين والحساب بالمغرب .

ومنها برسوم قلم الغبار متناسقة كلها مع تلك الحروف وفي داخل الزايرجة وبين الدوائر اسماء العلوم ومواضع الأكوان وعلى ظهور الدوائر جدول مستكفى البيوت المتقاطعة طولا وعرضا يشتمل على خمسة وخمسين بيتا في العرض ومائة واحدى وثلثين في الطول جوانب منه معمورة البيوت تارة بالعدد واخرى بالحروف

ومن وجوانب اخرى منه خالية البيوت ، ولا يعلم نسبة تلك الاعداد في اوضاعها نسبة البيوت العامرة من الخالية وجانبي الزائرجة ابيات من عروض بحر الطويل الكامل على روي اللام المنصوبة تتضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك الزائرجة الا انها من قبيل اللغز في عدم الوضوح ومستعجمة غير جلية .

فاذا ارادوا استخراج الجواب عما يسألون عنه احضروا آلة الاصطرلاب لاخد الارتفاع واستخراج الطالع فاذا علموا درجة من البرج احصوه واخذوا أس ذلك البرج في تلك الزائرجة وسموه سلطان الطالع .

ثم يعملون بعضا من الأعمال المتداولة بينهم المعروفة عندهم حتى يخرجون حروفا مقطعة اذا ركبت يخرج منها بيت منظومة على الوزن والروي الذي لأبيات القصيدة المرسومة مع الجدول .

وقد يزعم بعضهم انه يخرج منها أبيات اكثر من واحد وعلى اعاريض أخرى ولا بد عندهم لمن احكم العمل بهذا القانون ان يخرج له الجواب عن سؤاله منظوما مفهوما ، وقد يكون مستغلقا على الفهم لقصور الملكة في العمل بذلك القانون وهي من الأعمال الغريبة في استخراج الأجوبة .

قال في الكشف وفي بعض جوانب الزائرجة بيت من الشعر منسوب الى بعض اكابر اهل الحذاقة بالمغرب وهو مالك بن وهيب الذي كان من علماء اشبيلية في الدولة اللمتونية والبيت هذا :

سؤال عظيم الخلق حزت فصن اذا غرائب شك ضبطه الجد مثلا

وفيه استخراج الجواب لما سئل عنه من المسائل على قانونه .

وذلك انما وقع من مطابقة الجواب للسؤال لأن الغيب لا يدرك بأمر صناعي البتة .

وانما المطابقة فيها بين الجواب والسؤال من حيث الافهام ووقوع ذلك بهذه الصناعة في تكسير الحروف المجتمعة من السؤال والاوتار غير مستنكر وقد وقع

اطلاع بعض الأذكياء على التناسب فحصل به معرفة المجهول منها بالتناسب بين الأشياء وهو سر الحضور على المجهول من المعلوم الحاصل للنفس بطريق حصوله سيا الرياضة فانها تفيد العقل زيادة ولذلك ينسبون الزائرجة الى أهل الرياضة في الغالب .

وزائرجة منسوبة الى سهل بن عبد الله ايضا وهي من الأعمال الغريبة .

في تاريخ ابن خلدون وهي غريبة العمل وصنعة عجيبة وكثير من الخواص يعملون بها بإفادة الغيب وحلها صعب على الجاهل انتهى .

وعبارة مدينة العلوم مبنى هذا العلم هو انهم يدعون ان العالم كله بما فيه من كلي وجزئي علواً وسفلا افلاكا وعناصر ذواتا ومعاني ألفاظا وحروفا واسماء وأفعالا متناسبة كلها على مقادير مقدرة ومرتبط بعضها ببعض ارتباطا غير منفصل .

ومن ذلك السؤال والجواب في ألفاظها وحروفها ومعانيها .

قال الشيخ ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون في كتابه المسمى بعنوان العبر وديوان المبتدأ والخبر ان الناس افترقوا في هذا العلم فرقتين .

لأن منهم المولعون به منها لكون في احكام العمل بقانونه يعتقدون استخراج الغيوب بذلك القانون وعمله .

وآخرون مذعنون بانكاره ويزعمون ان العمل بقانونه غير صحيح في نفسه وانه من الحيل ظنا منهم ان صاحب ذلك العمل يعد البيت منظوما ويخبر به جوابا عن السؤال فيطير به الغراب كل مطار ثم قال :

والحق ان مبنى هذا العلم كما مر على مراعاة التناسب بين الأمور المذكورة فيمكن ان يرفع الله سبحانه وتعالى الحجاب عن عقول بعض عباده فيطلع على وجه التناسب بينها فيقف على بعض الأمور الكائنة في عالم الملك ، ومع ذلك لا يمكن للبشر ان يطلع على علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه اذ التناسب بين العلم

الرباني الذي من عالم الملكوت وبين عالم الملك بعيد ، فكيف يندرج تحت هذا القانون الذي مبناه على التناسب بين الكائنات في عالم الملك فالقوانين والصناعة لا توصل الى معرفة الغيب بوجه من الوجوه والله يعلم وانتم لا تعلمون انتهى .

علم الزهد والورع

قال في مدينة العلوم : الزهد الاعراض عن الدنيا .

والورع ترك الحلال خوفا من الوقوع في الشبهات .

وقيل الزهد ترك الشبهات خوفا من الحرام وكتب الشيخ الامام العلامة الغزالي رحمه الله تعالى نافعة في هذا العلم .

علم الزيج

هكذا في كشف الظنون ولم يزد عليه والزيجات كثيرة ذكرها صاحب الكشف فمن شاء فليرجع اليه وقد تقدم في الألف في علم الازياج .

قال في مدينة العلوم علم الزيجات والتقاويم علم يتعرف منه مقادير حركات الكواكب سيما السبعة السيارة وتقويم حركاتها واخراج الطوالع وغير ذلك منتزعا من الأصول الكلية ومنفعته معرفة الاتصالات من الكواكب من المقارنة والمقابلة والتربيع والتثليث والتسديس والخسوف والكسوف وما يجري في هذا المجرى .

وقال في كشاف اصطلاحات الفنون منفعته معرفة موضع كل واحد من الكواكب السبعة بالنسبة الى فلكه والى فلك البروج وانتقالاتها ورجوعها واستقامتها وتشريقها وتغريبها وظهورها واختفائها في كل زمان ومكان وما أشبه ذلك من اتصال بعضها ببعض وكسوف الشمس وخسوف القمر وما يجري هذا المجرى انتهى .

والغرض منه أمران :

احدهما : مَا ينتفع به في الشرع وهو معرفة اوقات الصلوات وسمت القبلة والساعات واحوال الشفق والفجر .

وثانيهما : معرفة الأحكام الجارية في عالم العناصر وهذه المعرفة لكونها مبنية على أمور واهية ودلائل ضعيفة لا تفيد شبهة فضلا عن حجة ولهذا لا يعتد بها في الشرع ، والذي يصح منها في بعض الأوقات فانما هو بطريق الاتفاق وذلك لا يدل على الصحة .

وانفع الزيجات الايلخاني الذي تولاه خواجه نصير الدين الطوسي .

واتقنها زيج الغ بيك بن شاهرخ مرزا ابن امير تيمور وقد تولاه بسمرقند غياث الدين جمشيد وتوفاه الله تعالى في مبادىء احواله ، ثم تولاه قاضي زاده الرومي وتوفاه الله تعالى ايضا قبل اتمامه وانما اتمه وأكمله علي بن محمد القوشجي .

وأهل مصر يعتنون بالزيج المصطلح .

وأهل الشام يعتنون بزيج ابن شاطر .

والزيجات غير ما ذكر كثيرة يعرفها اهلها انتهى ما في مدينة العلوم للارنيقي رحمه الله .

باب السين المهملة

علم السّباحة

هذا من فروع علم الملاحة وانه يحصل بالمزاولة والإدمان وأكثر ما يحتاج اليه الملاحون كذا في مدينة العلوم .

ورأيت اشخاصا لهم يد طولى في هذا العلم ولها انواع كثيرة منها السباحة في الابحار والأنهار قائما ومنها قاعدا ومنها مستلقيا على الظهر الى غير ذلك من الصور التي يعرفها اهلها .

والأصل في معرفة هذا العلم دون المعرفة الساذجة .

علم السجلات والشروط

وهذا باعتبار اللفظ من فروع علم الانشاء وباعتبار مدلوله من فروع علم الفقه .

وهو علم يبحث فيه عن انشاء الكلمات المتعلقة بالأحكام الشرعية .

وموضوعه ومنفعته ظاهرة .

ومباديه علم الانشاء وعلم الفقه .

وله استمداد من العرف .

والكتب في هذا الفن كثيرة يجدها من يطلبها كذا في مدينة العلوم وسيأتي ايضا في باب الشين المعجمة ان شاء الله تعالى .

علم السحر

هو علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على افعال غريبة باشياء خفية قاله في كشاف اصطلاحات الفنون .

وفي كشف الظنون هو ما خفي سببه وصعب استنباطه لأكثر العقول .

وحقيقته كل ما سحر العقول وانقادت اليه النفوس بخدعة وتعجب واستحسان فتميل الى اصغاء الأقوال والأفعال الصادرة عن الساحر .

فعلى هذا التقدير هو علم باحث عن معرفة الاحوال الفلكية واوضاع الكواكب وعن ارتباط كل منها مع الأمور الأرضية من المواليد الثلاثة على وجه خاص ليظهر من ذلك الارتباط والامتزاج عللها وأسبابها وتركيب الساحر في اوقات المناسبة من الأوضاع الفلكية والأنظار الكوكبية بعض المواليد ببعض فيظهر ما جل أثره وخفي سببه من اوضاع عجيبة وأفعال غريبة تحيرت فيها العقول وعجزت عن حل خفاها افكار الفحول .

وأما منفعة هذا العلم فالاحتراز عن عمله لأنه محرم شرعا الا ان يكون لدفع ساحر يدعي النبوة فعند ذلك يفترض وجود شخص قادر لدفعه بالعمل ولذلك قال بعض العلماء ان تعلم السحر فرض كفاية واباحة الاكثرون دون عَمَله الا اذا تعين لدفع المتنبي .

واختلف الحكماء في طرق السحر .

فطريق الهند بتصفية النفس وطريق النبط بعمل العزائم في بعض الاوقات المناسبة .

وطريق اليونان بتسخير روحانية الافلاك والكواكب .

وطريق العبرانيين والقبط والعرب بذكر بعض الأسماء المجهولة المعاني فكأنه قسم من العزائم زعموا انهم سخروا الملائكة القاهرة للجن .

فمن الكتب المؤلفة في هذا الفن الايضاح للاندلسي والبساطين لاستخدام الانس وارواح الجن والشياطين ، وبغية الناشد ومطلب القاصد على طريقة العبرانيين ، والجمهرة ايضا ، ورسائل ارسطو الى الاسكندر ، وغاية الحكيم للمجريطي ، وكتاب طيماؤس ، وكتاب الوقوفات للكواكب على طريقة اليونانيين ، وكتاب سحر النبط لابن وحشية ، وكتاب العمي على طريقة العبرانيين ، ومرآة المعاني في ادراك العالم الانساني على طريقة الهند انتهى ما في كشف الظنون ، وفي تاريخ ابن خلدون علم السحر والطلسمات هو علم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر اما بغير معين او بمعين من الأمور السماوية والأول هو السحر والثاني هُوَ الطلسمات .

ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة الى غير الله من كوكب او غيره كانت كتبها كالمفقود بين الناس الا ما وجد في كتب الأمم الأقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل النبط والكلدانيين ، فان جميع من تقدمه من الأنبياء لم يشرعوا الشرائع ولا جاؤوا بالأحكام انما كانت كتبهم مواعظ توحيد الله وتذكير بالجنة والنار ، وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانيين وفي أهل مصر من القبط وغيرهم وكان لهم فيها التأليف والآثار ، ولم يترجم لنا من كتبهم فيها الا القليل مثل الفلاحة النبطية من اوضاع اهل بابل ، فأخذ الناس منها هذا العلم وتفننوا فيه ، ووضعت بعد ذلك الأوضاع ، مثل مصاحف الكواكب السبعة ، وكتاب طمطم الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرهم .

ثم ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه الملة فتصفح كتب

القوم واستخرج الصناعة وغاص على زبدتها واستخرجها ووضع فيها غيرها من التآليف ، وأكثر الكلام فيها وفي صناعة السيمياء لانها من توابعها لأن احالة الاجسام النوعية من صورة الى اخرى انما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية فهو من قبيل السحر ، ثم جاء مسلمة بن احمد المجريطي إمام أهل الأندلس في التعاليم والسحريات فلخص جميع تلك الكتب وهذبها وجمع طرقها في كتابه الذي سماه (غاية الحكيم) ولم يكتب احد في هذا العلم بعده ولنقدم هنا مقدمة يتبين بها حقيقة السحر ، وذلك ان النفوس البشرية وان كانت واحدة بالنوع فهي مختلفة بالخواص ، وهي اصناف كل صنف مختص بخاصية واحدة بالنوع لا توجد في الصنف الآخر وصارت تلك الخواص فطرة وجبلة لصنفها .

فنفوس الأنبياء عليهم السلام لها خاصية تستعد بها للمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى كما مر وما يتبع ذلك من التأثير في الأكوان واستجلاب روحانية الكواكب للتصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية او شيطانية .

فأما تأثير الأنبياء فمدد الهي وخاصية ربانية ، ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على المغيبات بقوى شيطانية وهكذا كل صنف مختص بخاصية لا توجد في الآخر .

والنفوس الساحرة على مراتب ثلثة يأتي شرحها :

فأولها المؤثرة بالهمّة فقط من غير آله ولا معين وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر .

والثاني بمعين من مزاج الافلاك او العناصر او خواص الاعداد ويسمونه الطلسمات وهو اضعف رتبة من الأول .

والثالث تأثير في القوى المتخيلة يعمد صاحب هذا التأثير الى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقي فيها أنواعا من الخيالات

والمحاكات وصورا مما يقصده من ذلك ثم ينزلها الى الحسن من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراؤون كأنها في الخارج ، وليس هناك شيء من ذلك كما يحكى عن بعضهم انه يرى البساتين والأنهار والقصور وليس هناك شيء من ذلك ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة او الشعبذة هذا تفصيل مراتبه .

ثم هذه الخاصية تكون في الساحرة بالقوة شأن القوى البشرية كلها ، وانما تخرج الى الفعل بالرياضة ورياضة السحر كلها انما تكون بالتوجه الى الافلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بانواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل فهي لذلك وجهة الى غير الله وسجود له والوجهة الى غير الله كفر فلهذا كان السحر كفرا والكفر من مواده وأسبابه كما رأيت ، ولهذا اختلف الفقهاء في قتل الساحر هل هو لكفره السابق على فعله او لتصرفه بالإفساد وما ينشأ عنه من الفساد في الأكوان والكل حاصل منه .

ولما كانت المرتبتان الأوليان من السحر لهما حقيقة في الخارج والمرتبة الأخيرة الثالثة لا حقيقة لها اختلف العلماء في السحر هل هو حقيقة او انما هو تخييل ؟

فالقائلون بأن له حقيقة نظروا الى المرتبتين الأوليين .

والقائلون بأن لا حقيقة له نظروا الى المرتبة الثالثة الأخيرة فليس بينهم اختلاف في نفس الامر بل انما جاء من قبل اشتباه هذه المراتب والله اعلم .

واعلم ان وجود السحر لا مرية فيه بين العقلاء من اجل التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن قال الله تعالى (وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هارُوت وَمَارُوت وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ)

وسحر رسول الله ﷺ حتى كان يخيل اليه انه يفعل الشيء ولا يفعله وجعل سحره في مشط ومشاقة وجف طلعة ودفن في بئر ذروان ، فانزل الله عز

وجل عليه في المعوذتين (ومن شر النفاثات في العُقَدِ) .

قالت عائشة رضي الله عنها فكان لا يقرأ على عقدة من تلك العقد التي سحر فيها الا انحلت .

واما وجود السحر في اهل بابل وهم الكلدانيون من النبط والسريانيون فكثير ونطق به القرآن وجاءت به الأخبار ، وكان للسحر في بابل ومصر زمان بعثة موسى عليه السلام اسواق نافقة ولهذا كانت معجزة موسى من جنس ما يدعون ويتناغون فيه وبقي من آثار ذلك في البرابي بصعيد مصر شواهد دالة على ذلك ورأينا بالعيان من يصور صورة الشخص المسحور بخواص أشياء مقابلة لما نواه وحلوله موجودة بالمسحور وأمثال تلك المعاني من أسماء وصفات في التأليف والتفريق ، ثم يتكلم على تلك الصورة التي اقامها مقام الشخص المسحورعيناً او معنى ثم ينفث من ريقه بعد اجتماعه في فيه بتكرير مخارج تلك الحروف من الكلام السوء ، ويعقد على ذلك المعنى في سبب اعدّه لذلك تفاؤ لا بالعقد واللزام واخذ العهد على من أشرك به من الجن في نفثه في فعله ذلك استشعارا للعزيمة ،ولتلك البنية والأسماء السيئة روح خبيثة تخرج منه مع النفخ متعلقة بريقه الخارج من فيه بالنفث فتنزل عنها أرواح خبيثة ويقع عن ذلك بالمسحور ما يحاوله الساحر .

وشاهدنا ايضا من المنتحلين للسحر عمله من يشير الى كساء أو جلد ويتكلم عليه في سره فاذا هو مقطوع مترف ويشير الى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج فاذا امعاؤها ساقطة من بطونها الى الارض .

وسمعنا ان بأرض الهند لهذا العهد من يشير الى انسان فيتحتت قلبه ويقع ميتا وينقب عن قلبه فلا يوجد في حشاه ويشير الى الرمانة وتفتح فلا يوجد من حبوبها شيء .

وكذلك سمعنا ان بأرض السودان وأرض الترك من يسحر السحاب فيمطر الأرض المخصوصة .

وكذلك رأينا من عمل الطلسمات عجائب في الاعداد المتحابة وهي (ر ك ر ف د) احد العددين مائتان وعشرون والآخر مائتان واربعة وثمانون .

ومعنى المتحابة ان اجزاء كل واحد التي فيه من نصف وثلث وربع وسدس وخمس وأمثالها اذا جمع كان مساويا للعدد الآخرصاحبه فيسمى لأجل ذلك المتحابة .

ونقل اصحاب الطلسمات ان لتلك الاعداد اثرا في الألفة بين المتحابين واجتماعهما اذا وضع لهما مثالان احدهما بطالع الزهرة وهي في بيتها او شرفها ناظرة الى القمر نظر مودة وقبول ، ويجعل طالع الثاني سابع الأول ، ويضع على احد التمثالين احد العددين والآخر على الآخر ويقصد بالأكثر الذي يراد ائتلافه اعني المحبوب ما ادري الأكثر كمية او الأكثر اجزاء فيكون لذلك من التأليف العظيم بين المتحابين ما لا يكاد ينفك احدهما عن الآخر قاله صاحب الغاية وغيره من ائمة هذا الشأن وشهدت له التجربة .

وكذا طابع الأسد ويسمى ايضا طابع الحصى وهو ان يرسم في قالب هذا الطابع صورة أسد شائلا ذنبه عاضا على حصاة قد قسمها بنصفين وبين يديه صورة حية منسابة من رجليه الى قبالة وجهه ، فاغرة فاها الى فيه وعلى ظهره صورة عقرب تدب ويتحين برسمه حلول الشمس بالوجه الأول او الثالث من الأسد بشرط صلاح النيرين وسلامتهما من النحوس فإذا وجد ذلك وعثر عليه طبع في ذلك الوقت في مقدار المثقال فما دونه من الذهب وغمس بعد في الزعفران محلولا بماء الورد ورفع في خرقة حرير صفراء ، فانهم يزعمون ان لممسكه من العز على السلاطين في مباشرتهم وخدمتهم وتسخيرهم له ما لا يعبر عنه وكذلك السلاطين فيه من القوة والعز على من تحت ايديهم ذكر ذلك ايضا اهل هذا الشأن في الغاية وغيرها وشهدت له التجربة .

وكذلك وفق المسدس المختص بالشمس ، ذكروا انه يوضع عند حلول

الشمس في شرفها وسلامتها من النحوس وسلامة القمر بطالع ملوكيّ يعتبر فيه نظر صاحب العاشر لصاحب الطالع نظر مودة وقبـول ويصلـح فيه ما يكون في مواليد الملوك من الأدلة الشريفة ، ويرفع خرقة حرير صفراء بعـد ان يغمس في الطيب فزعموا انه له اثرا في صحابة الملوك وخدمتهم ومعاشرتهـم وامثـال ذلك كثيرة .

وكتاب الغاية لمسلمـة بن احمـد المجريطي هو مدون هذه الصناعـة وفيه استيفاؤها وكمال مسائلها .

وذكر لنا[١]ان الامام الفخر بن الخطيب وضع كتابـا في ذلك وسماه بالسر المكتوم وانه بالمشرق يتداوله اهله ونحن لم نقف عليه ، والامام لم يكن من ائمة هذا الشأن فيما نظن ، ولعـل الأمـر بخـلاف ذلك وبالمغـرب صنف من هؤلاء المنتحلين لهذه الأعمال السحرية يعرفون بالبعاجين وهم الذين ذكرت اولا انهم يشيرون الى الكساء او الجلد فيتخرق ، ويشيرون الى بطون الغنم بالبعج فتنبَعج ويسمى احدهم لهذا العهد باسم البعاج لأن اكثر ما ينتحـل من السحـر بعـج الأنعام يرتب بذلك اهلها ليعطوه من فضلها وهم متسترون بذلك في الغاية خوفا على انفسهم من الحكام ، لقيت منهم جماعة وشاهدت من افعالهـم هذه بذلك واخبروني ان لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كفرية واشراك روحانيات الجن والكواكب سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى الخـزيرية يتدارسونهـا وان بهـذه الرياضة والوجهة يصلون الى حصول هذه الأفعال لهم ، وان التأثير الذي لهم انما

(١) اقول السر المكتوم في مخاطبة النجوم للامام فخر الدين محمود بن عمر الرازي المتوفى سنـة ست وثلثـين وخمسمائة قيل انه مختلق عليه فلم يصحح انه له وبتقدير نسبته اليه ليس بسحر فليتأمله من يحسن السحر قاله التاج السبكي في هامش هذا الكتاب وعليه رد للشيخ زين الدين سريجا بن محمد الملطي المتـوفى سنـة ثمان وثمانـين وسبعمائة سماه انقضاض البازي في قصاص الرازي وقد رأيت في كتاب انه للحوالي ابي الحسن علي بن احمد المغربي والله اعلم قال الذهبي في الميزان ان له كتاب اسرار النجوم سحر صريح كذا في كشف الظنون حكيم معز الدين خالص فوري متوسل الرياسة سلمه الله تعالىٰ .

هو فيما سوى الانسان الحر من المتاع والحيوان والرقيق يعبرون عن ذلك بقولهم انما انفعل فيما تمشي فيه الدراهم اي ما يملك ويباع ويشترى من سائر الممتلكات هذا ما زعموه ، وسألت بعضهم فأخبرني به .

وأما افعالهم فظاهرة موجودة وقفنا على الكثير منها وعاينتها من غير ريبة في ذلك هذا شأن السحر والطلسمات وآثارهما في العالم فأما الفلاسفة ففرقوا بين السحر والطلسمات بعد ان اثبتوا انهما جميعا اثر للنفس الانسانية واستدلوا على وجود الأثر للنفس الانسانية بان لها آثارا في بدنها على غير المجرى الطبعي وأسبابه الجسمانية بل آثار عارضة من كيفيات الأرواح تارة كالسخونة الحادثة عن الفرح والسرور من جهة التصورات النفسانية اخرى كالذي يقع من قبل التوهم ، فان الماشي على حرف حائط او على حبل منتصب اذا قوي عنده توهم السقوط سقط بلا شك ولهذا تجد كثيرا من الناس يعودون انفسهم ذلك حتى يذهب عنهم هذا الوهم فتجدهم يمشون على حرف الحائط والحبل المنتصب ولا يخافون السقوط ، فثبت ان ذلك من آثار النفس الانسانية وتصورها للسقوط من أجل الوهم ، واذا كان ذلك اثرا للنفس في بدنها من غير الأسباب الجسمانية الطبيعية فجائز ان يكون لها مثل هذا الأثر في غير بدنها اذ نسبتها الى الابدان في ذلك النوع من التأثير واحدة لانها غير حالة في البدن ، ولا منطبعة فيه فثبت انها مؤثرة في سائر الاجسام .

وأما التفرقة عندهم بين السحر والطلسمات فهو ان السحر لا يحتاج الساحر فيه الى معين ، وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب وأسرار الأعداد وخواص الموجودات وأوضاع الفلك المؤثرة في عالم العناصر ، كما يقوله المنجمون .

ويقولون السحر اتحاد روح بروح .

والطلسم اتحاد روح بجسم .

ومعناه عندهم ربط الطبائع العلوية السماوية بالطبائع السفلية ،

والطبائع العلوية هي روحانيات الكواكب ، ولذلك يستعين صاحبه في غالب الأمر بالنجامة .

والساحر عندهم غير مكتسب لسحره بل هو مفطور عندهم على تلك الجبلة المختصة بذلك النوع من التأثير .

والفرق عندهم بين المعجزة والسحر أن المعجزة الهَية تبعث في النفس ذلك التأثير فهو مؤيد بروح الله على فعله ذلك ، والساحر انما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوته النفسانية وبإمداد الشياطين في بعض الأحوال .

فبينهما الفرق في المعقولية والحقيقة والذات في نفس الأمر ، وانما نستدل نحن على التفرقة بالعلامات الظاهرة وهي وجود المعجزة لصاحب الخير وفي مقاصد الخير وللنفوس المتمحضة للخير والتحدي بها على دعوى النبوة والسحر انما يوجد لصاحب الشر وفي أفعال الشر في الغالب من التفريق بين الزوجين وضرر الأعداء وأمثال ذلك وللنفوس المتمحضة للشر هذا هو الفرق بينهما عند الحكماء الالهيين وقد يوجد لبعض المتصوفة واصحاب الكرامات تأثير ايضا في احوال العالم ، وليس معدودا من جنس السحر وانما هو بالامداد الالهي لان طريقتهم ونحلتهم من آثار النبوة وتوابعها ولهم في المدد الالهي حظ على قدر حالهم وايمانهم وتمسكهم بكلمة الله واذا اقتدر احد منهم على أفعال الشر فلا يأتيها لانه متقيد فيما يأتيه ويذره للامر الالهي فما لا يقع لهم فيه الاذن لا يأتونه بوجه ، ومن أتاه منهم فقد عدل عن طريق الحق وربما سلب حاله .

ولما كانت المعجزة بإمداد روح الله والقوى الالهية فلذلك لا يعارضها شيء من السحر ، وانظر شأن سحرة فرعون مع موسى في معجزة العصا كيف تلقفت ما كانوا يأفكون وذهب سحرهم واضحمل كان لم يكن ، وكذلك لما انزل على النبي ﷺ في المعوذتين (ومن شر النفّاثات في العقد) قالت عائشة رضي الله عنها فكان لا يقرؤها على عقدة من العقد التي سحر فيها الا انحلت ، فالسحر لا يثبت

مع اسم الله وذكره .

وقد نقل المؤرخون ان زركش كاويان وهي راية كسرى كان فيه الوفق المئيني العددي منسوجا بالذهب في اوضاع فلكية رصدت لذلك الوفق ووجدت الراية يوم قتل رستم بالقادسية واقعة على الأرض بعد انهزام اهل فارس وشتاتهم وهو الطلسمات والأوفاق مخصوص بالغلب في الحروب وان الراية التي يكون فيها او معها لا تنهزم اصلا الا أن هذه عارضها المدد الالهي من ايمان اصحاب رسول الله ﷺ وتمسكهم بكلمة الله فانحل معها كل عقد سحري ولم يثبت وبطل ما كانوا يعملون.

وأما الشريعة فلم تفرق بين السحر والطلسمات وجعلتهما بابا واحدا محظورا ، لان الأفعال انما اباح لنا الشارع منها ما يهمنا في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا او في معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا ، وما لا يهمنا في شيء منهما فان كان فيه ضرر ونوع ضرر كالسحر الحاصل ضرره بالوقوع ويلحق به الطلسمات لأن اثرهما واحد ، وكالنجامة التي فيها نوع ضرر باعتقاد التأثير فتفسد العقيدة الايمانية بردّ الامور الى غير الله تعالى فيكون حينئذ ذلك الفعل محظورا على نسبته في الضرر ، وان لم يكن مهما علينا ولا فيه ضرر فلا أقل من ان تركه قربة الى الله فان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فجعلت الشريعة باب السحر والطلسمات والشعوذة باباً واحدا لما فيها من الضرر وخصته بالحظر والتحريم.

وأما الفرق عندهم بين المعجزة والسحر فالذي ذكره المتكلمون انه راجع الى التحدي وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه قالوا والساحر مصروف عن مثل هذا التحدي فلا يقع منه وقوع المعجزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لان دلالة المعجزة على الصدق عقلية لأن صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذبا وهو محال ، فاذاً لا تقع المعجزة مع الكاذب باطلاق .

وأما الحكماء فالفرق بينهما عندهم كما ذكرناه فرق ما بين الخير والشر في

نهاية الطرفين ، فالساحر لا يصدر منه الخير ولا يستعمل في اسباب الخير وصاحب المعجزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل في أسباب الشر فكأنهما على طرفي النقيض في أصل فطرتهم والله يهدي من يشاء وهو القوي العزيز لا رب سواه .

ومن قبيل هذه التأثيرات النفسانية الاصابة بالعين وهو تأثير من نفس المعيان عندما يستحسن بعينه مدركا من الذوات او الاحوال ويفرط في استحسانه ، وينشأ عن ذلك الاستحسان حينئذ انه يروم معه سلب ذلك الشيء عمن اتصف به فيؤثر فساده وهو جبلة فطرية اعني هذه الاصابة بالعين .

والفرق بينها وبين التأثيرات وان كان منها ما لا يكتسب ان صدورها راجع الى اختيار فاعلها ، والفطري منها قوة صدورها لا نفس صدورها ولهذا قالوا القاتل بالسحر او بالكرامة يقتل والقاتل بالعين لا يقتل وما ذلك الا لانه ليس مما يريده ويقصده او يتركه وانما هو مجبور في صدوره عنه والله اعلم بما في الغيوب ومطلع على ما في السرائر انتهى كلام ابن خلدون ومن عينه نقلت هنا وفي كل موضع من هذا الكتاب والله تعالى الموفق للحق والصواب .

علم السلوك

هو معرفة النفس ما لها وما عليها من الوجدانيات ويسمى بعلم الاخلاق وبعلم التصوف ايضا وفي مجمع السلوك واشرف العلوم علم الحقائق والمنازل والأحوال وعلم المعاملة والاخلاص في الطاعات والتوجه الى الله تعالى من جميع الجهات .

ويسمى هذا العلم بعلم السلوك .

فمن غلط في علم الحقائق والمنازل والأحوال المسمى بعلم التصوف فلا يسأل عن غلطه الا عالما منهم كامل العرفان ، ولا يطلب ذلك من البزدوي

والهداية والوقاية وغير ذلك وعلم الحقائق ثمرة العلوم كلها وغايتها فاذا انتهى السالك الى علم الحقائق وقع في بحر لا ساحل له وهو اي علم الحقائق علم القلوب وعلم المعارف وعلم الأسرار ويقال له علم الاشارة .

وموضوعه اخلاق النفس اذ يبحث فيه عن عوارضها الذاتية مثلا حب الدنيا في قولهم حب الدنيا رأس كل خطيئة خلق من اخلاق النفس حكم عليه بكونه رأس الخطايا ورأس الاخلاق الرذيلة التي تضرر بسببها النفس وكذا الحال في قولهم بغض الدنيا رأس الحسنات وغرضه التقرب والوصول الى الله تعالى انتهى ما في كشاف اصطلاحات الفنون وتقدم الكلام على هذا العلم في باب التاء الفوقانية تحت علم التصوف فلا نعيده .

علم السماء والعالم

هو من أصول الطبعي وهو علم يبحث فيه عن احوال الاجسام التي هي اركان العالم ، وهي السموات وما فيها والعناصر الأربعة من حيث طبائعها وحركاتها ومواضعها وتعرف الحكمة في صنعها وترتيبها وموضوعه الجسم المحسوس من حيث هو معرض للتغير في الأحوال والثبات فيها ويبحث فيه عما يعرض له من حيث هو كذلك كذا في التلويح وقيد الحيثية احترازاً عن علم الهيئة .

علم السياسية

اقتصر صاحب كشف الظنون على ذلك ولم يزد عليه .

قال في مدينة العلوم هو علم يعرف منه احوال السياسات والاجتماعات المدنية واحوالها ، مثل احوال السلاطين والملوك والأمراء وأهل الاحتساب

والقضاة والعلماء وزعماء الأموال ووكلاء بيت المال وما يجري مجرى هؤلاء .

وموضوعه المراتب المدنية واحكامها .

ومنفعته معرفة الاجتماعات المدينة الفاضلة والمراد به وجه استيفاء كل واحد منها ودفع علل زوالها وجهات انتقالها ومن اعظم اسباب انتقال الدولة الاخلال بركن من اركان الشريعة وقواعد العمارات ، وكتاب السياسة الذي ارسله ارسطاطاليس الى الاسكندر يشتمل على مهمات هذا العلم ، وكتاب آراء المدينة الفاضلة لأبي نصر الفارابي جامع لقوانينه .

ومن الكتب الجامعة لهذه العلوم الثلثة كتاب الأخلاق الناصرية لنصير الدين الطوسي وكتاب الاخلاق الجلالية لجلال الدين الدواني .

ومن الكتب[1] المختصرة الجامعة لأصول هذه الفنون الثلثة رسالة مولانا عضد الدين وشرحها تلميذه مولانا شمس الدين الكرماني وقد شرحها شرحا جامعا في عنفوان الشباب فعاد بحمد الله نافعا في هذا الباب انتهى .

واقول فيه كتاب السياسة الشرعية لاصلاح الراعي والرعية لشيخ الاسلام احمد بن تيمية الحَرّاني رضي الله عنه وأرضاه مختصر وجدته في مكة المكرمة واستنسختها بيدي لنفسي ولمن اخلفه وهو موجود في دار الكتب لي والله الحمد .

وترجمه بير محمد بن علي العاشق لاعلام حاله الى السلطان سليم خان وبيان عجزه عن القضاء وسماه معراج الأيالة ومنهاج العدالة زاد فيه اشياء متعلقة بالحرب وبيت المال .

وفي كتابنا اكليل الكرامة في تبيان مقاصد الامامة فصول مستقلة في هذا الباب .

---

(١) ومنها كتاب الطهارة لابن مسكويه الحكيم وقد طبع من قبل ببلدة لكنؤ ، سيد علي حسن خان سلمه الله المنان .

علم السير

قال في مدينة العلوم : علم سير الصحابة والتابعين من فروع المحاضرات ، وفيها كتاب سير الصحابة والتابعين وهو كتاب عظيم لم يعهد مثله انتهى .

قال في كشف الظنون أوّل من صنف فيه الامام المعروف بمحمد بن اسحق رئيس اهل المغازي المتوفى سنة احدى وخمسين ومائة ، فانه جمعها ودونها ابو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المتوفى سنة ثمان عشرة ومائتين فأحسن واجاد ، وله كتاب في شرح ما وقع في اشعار السير من الغريب .

ثم اعتنى به المتأخرون فشرح الامام ابو القاسم عبد الرحمن السهيلي المتوفى سنة احدى وثمانين وخمسمائة غريب السير وسماه الروض الانف ، وهو كتاب مفيد معتبر .

ونظم ابو نصر فتح بن موسى الخضراوي القصري المتوفى سنة ثلث وستين وستمائة سيرة ابن هشام ، وعبد العزيز بن احمد المعروف بسعد الديري المتوفى في حدود سنة سبع وتسعين وستمائة ، وابو اسحق الانصاري التلمساني على قافية اللام وفتح الدين محمد بن ابراهيم المعروف بابن الشهيد المتوفى سنة ثلث وتسعين وسبعمائة في بضع عشر الف بيت وسماه فتح الغريب في سيرة الحبيب .

وصنف علاء الدين علي بن محمد الخلاطي الحنفي المتوفى سنة ثمان وسبعمائة كتابا فيه ، وصنف فيه الحافظ الكبير عبد المؤمن بن خلف الدمياطي المتوفى سنة خمس وسبعمائة والشيخ ظهير الدين علي بن محمد الكازروني المتوفى سنة اربع وتسعين وستمائة وهو غير سعيد الكازروني صاحب المبتغى .

وصنف الشيخ محمد بن علي بن يوسف الشافعي الشامي المتوفى سنة ستمائة كتابا في السير وشرحه قطب الدين عبد الكريم الحنبلي الحلبي المتوفى سنة خمس

وثلثين وسبعمائة وسماه المورد العذب الهني في الكلام على سيرة عبد الغني ومختصر سيرة ابن هشام البرهان ابراهيم بن محمد بن المرحل وزاد عليه امورا ورتبه على ثمانية عشر مجلسا وسماه الذخيرة في مختصر السيرة .

وممن صنف في السير ابن ابي طي يحيى بن حميدة الحلبي المتوفى سنة ثلثين وستمائة في ثلث مجلدات ، وسيرة مغلطائي لخصها قاسم بن قطلوبغا الحنفي المتوفى سنة خمس وخمسين وثمانمائة ، وشرح منها قطعة كبيرة العلامة بدر الدين محمود بن احمد العيني الحنفي المتوفى سنة خمس وخمسين وثمانمائة وسماه كشف اللثام .

وصنف الشيخ عز الدين بن عمر بن جماعة الكناني مختصرا في السير اوله اما بعد حمد الله على جزيل افضاله .

علم السيميا

اعلم انه قد يطلق هذا الاسم على ما هو غير الحقيقي من السحر وهو المشهور .

وحاصله احداث مثالات خيالية في الجو لا وجود لها في الحس ، وقد يطلق على ايجاد تلك المثالات بصورها في الحسّ فحينئذ يظهر بعض الصور في جوهر الهواء فتمول سريعة لسرعة تغير جوهر الهواء ، ولا مجال لحفظ ما يقبل من الصورة في زمان طويل لرطوبته فيكون سريع القبول وسريع الزوال .

وأما كيفية احداث تلك الصور وعللها فأمر خفي لا اطلاع عليه الا لأهله ، وليس المراد وصفه وتحقيق ههنا بل المقصود هنا الكشف وإزالة الالتباس عن امثاله .

وحاصله ومجمله ان يركب الساحر اشياء من الخواص والادهان او المانعات او كلمات خاصة توجب بعض تخيلات خاصة كدارك الحواس بعض المأكول والمشروع وأمثاله ولا حقيقة له .

وفي هذا الباب حكايات كثيرة عن ابن سينا والسهروردي المقتول انتهى ما في كشف المظنون .

وأطال ابن خلدون في بيان هذا العلم الى أوراق لسنا بصدد نقله في هذا الموضع .

قال في المدينة ومن جملة ما حكى الاوزاعي عن يهودي لحقه في السفر وانه أخذ ضفدعا فسحرها بطريقة علم السيميا حتى صارت خنزيراً فباعها من قوم من النصارى فلما صاروا الى بيوتهم عاد ضفدعا فلحقوا اليهودي وهو مع الاوزاعي فلما قربوا منه رأوا رأسه قد سقط ففزعوا وولّوا هاربين وبقي الرأس يقول للاوزاعي يا ابا عمرو هل غابوا الى ان بعدوا عنه فصار الرأس في الجسد هذا ما حكاه ابن السبكي في رسالته مُعيد النعم ومبيد النقم .

ومنفعة هذا العلم وغرضه ظاهرانِ جدا ولفظ سيميا عبراني معرب أصله سيم يه ومعناه اسم الله وأما المقالات السبع عشرة للحلاج فانما هي على سبيل الرمز وللشيخ ابن سينا امور غريبة تنقل عنه في هذا العلم وكذا للشيخ شهاب الدين السهروردي المقتول انتهى .

وقد حقق شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في مؤلفاته ان الحلاج كان من الساحرين المشعبذين ولم يكن من أولياء الله تعالى كما زعم جماعة من الصوفية والله اعلم وعلمه اتّم .

بابُ الشين المعجمة

علم الشامات والخيلان

هكذا في كشف الظنون ولم يزد على ذلك قال في مدينة العلوم هو علم باحث عن احوال العلامات المذكورة بحسب دلالتها على الاحوال الباطنة والاخلاق الموجودة في الانسان بحسب الفطرة وقد صنف فيه بعض الحكماء رسائل لكنها قليلة الوجود جدا . انتهى .

علم شرح الحديث

هو من فروع الحديث اعتنى العلماء بجمع حديث الاربعين وشرحه لما روي ان النبيﷺ قال : من حفظ على امتي اربعين حديثا من السنة كنت له شفيعا يوم القيامة .

وفي رواية من حمل عني من امتي اربعين حديثا لقي الله عز وجل يوم القيامة فقيها عالما .

وفي رواية من تعلم اربعين حديثا ابتغاء وجه الله تعالىٰ ليعلم به امتي في حلالهم وحرامهم حشره الله سبحانه وتعالى يوم القيامة عالما انتهى ما في كشف الظنون .

اقول وهذا الحديث من جميع طرقه ضعيف عند محققي اهل الحديث لا يعتمد عليه ولا يصير اليه الا من لم يرسخ في علم الحديث قدمه .

وقد تكلمنا عليه في غير هذا الموضع ، ولا يختص شرح الحديث بشرح اربعين حديثا بل كل من شرح كتابا من كتب السنة المطهرة واتى بما ينبغي له وقضى حقه ، فقد شرح الحديث كما فعلنا في مسك الختام شرح بلوغ المرام ، وفي عون الباري لحل ادلة البخاري وكما فعل قبلنا جماعة من الائمة الحفاظ يطول ذكرهم .

منها فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ الامام الحجة ابن حجر العسقلاني .

ونيل الاوطار شرح منتقى الاخبار لشيخنا المجتهد القاضي محمد بن علي الشوكاني رضي الله عنهما .

قال في مدينة العلوم علم شرح الحديث علم باحث عن مراد رسول الله ﷺ من احاديثه الشريفة بحسب القواعد العربية والاصول الشرعية بقدر الطاقة البشرية ونفعه وغايته بمكان لا يخفى على انسان والكتب المصنفة فيه اكثر من ان تحصى .

واشهرها شروح البخاري للكرماني والبرماوي وابن الملقن والعيني والحافظ ابن حجر والكوراني والسيوطي وغير ذلك وشرح مسلم النووي والسيوطي ، وشروح المصابيح للخلخالي والتوريشتي ، ومظهر وزين العرب وغير ذلك .

ومن شروح المشارق المبارق وشرح صاحب القاموس وشرح اكمل الدين وشرح ابن الملك وغير ذلك انتهى قلت وقد استوفيت شروح الكتب الحديثة في كتابي اتحاف النبلاء تحت ذكر المتون فارجع اليه .

علم الشرع

هو علم صدر عن الشرع او توقف عليه العلم الصادر عن الشرع توقف عليه العلم الصادر عن الشرع توقف وجود كعلم الكلام او توقف كمال كعلم العربية والمنطق كذا قال ابو حجر المكي في شرح اربعين النووي .

ومن آلات هذا العلم علم الصرف والنحو واللغة والمعاني والبيان .

والعلم الشرعي عبارة عن التفسير والحديث .

واما الفقه فهو من علوم الدنيا والشرع ما شرعه الله تعالى لعباده من الاحكام التي جاء بها كتابه المنزل ونبيه المرسل الموحي اليه منه تعالى سواء كانت متعلقة بكيفية عمل وتسمى فرعية وعملية ودوّن لهَا علم الفقه أو بكيفية الاعتقاد وتسمى اصلية واعتقادية ، ودوّن لها علم الكلام ، ويسمى الشرع ايضا بالدين والملة .

فان تلك الاحكام من حيث انها تطاع لها دين .

ومن حيث انها تملى وتكتب ملة .

ومن حيث انها مشروعة شرع ، فالتفاوت بينها بحسب الاعتبار لا بالذات الا ان الشريعة والملة تضافان الى النبي ﷺ والى الامة فقط استعمالا ، والدين يضاف الى الله تعالى ايضا .

وقد يعبر عنه بعبارة اخرى فيقال : هو وضع إلهي يسوق ذوي العقول باختبارهم المحمود الى الخير بالذات وهو ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم .

فان الوضع الالهي هو الاحكام التي جاء بها نبي من الانبياء عليهم السلام .

وقد يخص الشرع بالاحكام العملية الفرعية واليه يشعر ما في شرح العقائد النسفية .

العلم المتعلق بالاحكام الفرعية يسمى علم الشرائع والاحكام .

وبالاحكام الاصلية يسمى علم التوحيد والصفات انتهى .

وما في التوضيح من ان الحكم بمعنى خطاب الله تعالى على قسمين شرعي اي خطاب الله بما يتوقف على الشرع ولا يدرك لولا خطاب الشارع كوجوب الصلوٰة .

وغير شرعي اي خطابه تعالى بما لا يتوقف على الشرع بل الشرع يتوقف عليه كوجوب الايمان بالله تعالى ورسوله ﷺ انتهى .

وما في شرح المواقف من ان الشرعي هو الذي يجزم العقل بامكانه ثبوتا وانتفاء ولا طريق للعقل اليه ، ويقابله العقلي وهو ما ليس كذلك انتهى وقد يطلق الشرع على القضاء اي حكم القاضي .

ثم الشرعي كما يطلق على ما مر كذلك يطلق على مقابل الحسي .

فالحسي ما له وجود حسي فقط .

والشرعي ما له وجود شرعي مع الوجود الحسي كالبيع ، فان له وجوداً حسيا ومع هذا له وجود شرعي ، فان الشرع يحكم بان الايجاب والقبول الموجودين حسا يرتبطان ارتباطا حكميا فيحصل معنى شرعي يكون الملك اثرا له فذلك المعنى هو البيع ، حتى اذا وجد الايجاب والقبول في غير المحل لا يعتبره الشرع كذا في التوضيح وفي التلويح .

وقد يقال ان الفعل ان كان موضوعا في الشرع لحكم مطلوب فشرعي والا فحسي انتهى .

وقيل الشرع المذكور على لسان الفقهاء بيان الاحكام الشرعية .

والشريعة كل طريقة موضوعة بوضع الٰهي ثابت من نبي من الانبياء ويطلق كثيرا على الاحكام الجزئية التي يتهذب بها المكلف معاشا ومعادا سواء كان منصوصة من الشارع او راجعة اليه .

والشرع كالشريعة كل فعل او ترك مخصوص من نبي من الانبياء صريحا او

دلالة ، فاطلاقه على الاصول الكلية مجاز وان كان بخلاف الملة فان اطلاقها على الفروع مجاز وتطلق على الاصول حقيقة كالايمان بالله وملائكته ورسله وكتبه وغيرها ولا يتطرق النسخ فيها ولا تختلف الانبياء فيها .

والشرع عند اهل السنة ورد منشأ للاحكام .

وعند اهل الاعتزال ورد مجيزا لحكم العقل ومقررا له لا منشأ وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) قال ابن عباس : الشرعة ما ورد به القرآن والمنهاج ما ورد به السنة .

والشريعة هي الائتمار بالتزام العبودية وقيل هي الطريق في الدين وحينئذ الشرع والشريعة مترادفان كذا في الجرجاني وكذا في كشاف اصطلاحات الفنون .

علم الشروط والسجلات

هو علم باحث عن كيفية ثبت الاحكام الثابتة عند القاضي في الكتب والسجلات على وجه يصح الاحتجاج به عند انقضاء شهود الحال .

وموضوعه تلك الاحكام من حيث الكتابة .

وبعض مباديه مأخوذ من الفقه ، وبعضها من علم الانشاء ، وبعضها من الرسوم والعادات والامور الاستحسانية .

وهو من فروع الفقه من حيث كون ترتيب معانيه موافقا لقوانين الشرع ، وقد يجعل من فروع الادب والانشاء باعتبار تحسين الالفاظ .

واول من صنف فيه هلال بن يحيى البصري الحنفي المتوفى سنة خمس واربعين ومائتين .

ولأبي زيد احمد بن زيد الشروطي الحنفي فيه ثلث كتب كبير وصغير ومتوسط ، وليحيى بن بكر الحنفي مؤلف ، ولابي جعفر احمد بن محمد الامام

الطحاوي المتوفى سنة احدى وعشرين وثلثمائة مؤلف في اربعين جزءاً أوله اما بعد حمد الله عز وجل ، ولمحمد بن افلاطون الرومي البرسوي الشهير بافلاطون المتوفى سنة سبع وثلثين وسبعمائة وكان مقدما فيه ، ذكر الجرجاني في ترجيح مذهب ابي حنيفة ان الشروطي لم يسبقه احد ، واجاب ابو منصور عبد القاهر ابن طاهر البغدادي في ردّه بان النبي ﷺ اول من املى كتب العهود والمواثيق منها عهده لنصارى ابلة بخط علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ، واستقصى محمد ابن جرير الطبري الشروط في كتاب على اصول الشافعي وسرق ابو جعفر الطحاوي من كتابه ما اودعه كتابه واخبرهم انه من نتيجة اهل الري ، ثم جاء بعده شيخ الشروط والمواثيق ابو بكر محمد بن عبد الله الصيرفي فصنف في ادب القضاء والشروط والمواثيق .

وممن صنف في الشروط المزني ، أملى فيه كتابا جامعا ، وابو ثور وكتابه فيها مبسوط ، وابو علي الكرابيسي وبين في تأليفه ما وقع في كتب اهل الري من الخلل في شروطهم ، وداود بن علي الاصبهاني وشرح في كتابه اصول الشافعي وذكر ما عابه الائمة على يحيى بن اكتم من الشروط وابنه ابو بكر وزاد على ابيه ابوابا وفصولا وقبله ابو عبد الرحمن الشافعي .

علم الشعبَذة

قد تقدم الكلام عليه في ذيل علم السحر .

قال في مدينة العلوم علم الشعبذة والتخيلات والاخذ بالعيون المخيلة لسرعة فعل صناعها برؤية الشيء على خلاف ما هو عليه .

والشعبذة وقد يقال الشعوذة معرب شعبادة ، وهي اسم رجل ينسب اليه هذا العلم .

وهو علم مبني على خفة اليد بان يرى الناس الامر المكرر واحدا والواحد

مكرر بسرعة التحريك ، ويرى الجماد حيا ويخفي المحسوس عن أعين الناس بلا اخذ من عندهم باليد الى غير ذلك من الاحوال التي يتعارفها الناس بالآنية دون اللمية وهذا ليس من السحر في شيء لكن لشبهه به في رأي العين جعلناه من فروعه انتهىٰ .

علم الشعر

لم يتكلم عليه في كشف الظنون سوى ذكر اسمه وسيأتي في باب القاف .

وفي المستطرف من كل فن مستطرف فصل في ذكر الشعر والشعراء وسرقاتهم ، وكذا في محاضرات الادباء وغيرهما من كتب الادب .

والشعر بالكسر وسكون العين لغة الكلام الموزون المقفى كما في المنتخب .

وعند اهل العربية الكلام الذي قصد الى وزنه وتقفيته قصدا ، اوليا والمتكلم بهذا الكلام يسمى شاعرا .

فمن يقصد المعنى فيصدر عنه كلام موزون مقفى لا يكون شاعرا وعلى هذا فلا يكون القرآن والحديث شعر العدم القصد الى وزن اللفظ قصد اوليا ويؤيد ما ذكرنا أنك اذا تتبعت كلام الناس في الاسواق تجد فيه ما يكون موزونا واقعا في بحر من بحور الشعر ولا يسمى المتكلم به شاعراً ولا الكلام شعر العدم القصد الى اللفظ اولا وبالجملة .

فالشعر ما قصد وزنه اولا بالذات ، ثم يتكلم به مراعىً جانب الوزن فيتبعه المعنى فلا يرد ما يتوهم من ان الله تعالى لا تخفى عليه خافية وفاعل بالاختيار ، فالكلام الموزون الصادر عنه سبحانه معلوم له تعالى كونه موزونا وصادرا عن قصد واختيار فلا معنى لنفي كون وزنه مقصودا ، لان الكلام الموزون وان صدر عنه تعالى عن قصدواختيارولكن لم يصدر عن قصد اولي هو

المراد ههنا فتأمل كذا ذكره الحلبي في حاشية شرح المواقف .

ولا بأس بالشعر اذا كان توحيدا او حثاً على مكارم الاخلاق من جهاد وعبادة وحفظ فرج وغض بصر وصلة رحم وشبهها او مدحا للنبي ﷺ والصالحين بما هو الحق ، وكان ابو بكر وعمر شاعرين ، وكان عليّ اشعر الثلثة ، ولما نزل (والشعراء يتبعهم الغاوون) الآية جاء حسان وابن رواحة وغيرهما الى النبي ﷺ وكان غالب شعرهم توحيداً وذكراً فقالوا يا رسول الله قد نزلت هذه الآية والله يعلم انّا شعراء فقال ﷺ : ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه وان الذي ترمونهم به نضح النبل ذكره احمد الرازي في تفسيره .

وقال البيضاوي تحت قوله سبحانه (الشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر انهم في كل واد يهيمون) لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم في النسيب بالحرم وذكر صفات النساء والغزل والابتهاء وتمزيق الاعراض في القدح في الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه ثم قال قوله (الا الذين آمنوا) الآية استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحثّ على طاعته ، ولو قالوا اهجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم مكافحة هجاة المسلمين كابن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير ، وكان عليه السلام يقول لحسان قل وروح القدس معك انتهى .

ذكر ابو الحسن الاهوازي في كتاب القوافي ان الشعر عند العرب ينقسم الى اربعة اقسام :

الأول : القصيدة وهو الوافي الغير المجز ولأنهم يصدوا به اتم ما يكون من ذلك الجنس .

الثاني : الرمل وهو المجزور باعيا كان او سداسيا لانه اقصر عن الاول فشبه بالرمل في الطواف وقد يسمى هذا ايضا قصيدة .

والثالث : الرجز وهو ما كان على ثلثة اجزاء كمشطور الرجز والسريع سمي بذلك لتقارب اجزائه وقلة حروفه تشبيها بالناقة التي في مشيها ضعف لداء يعتريها .

الرابع : الخفيف وهو المنهوك واكثر ما جاء في ترقيص الصبيان واستقاء الماء من الآبار وإنما يدعى الرامل شاعراً اذا كان الغالب على شعره القصيدة فان كان الغالب عليه الرجز سمي راجزا انتهى .

قلت وللشعر اقسام كثيرة غير ما ذكر يعرفها الشاعرون وهي مدونة في كتب هذا الفن وقد تقدم الكلام منا على ذلك في القسم الاول من هذا الكتاب وانما تعرضنا بالشعر في هذا المقام ضبطا لاطراف المعلوم .

والشعر عند المنطقيين هو القياس المركب من مقدمات يحصل للنفس منها القبض والبسط ويسمى قياسا شعريا كما اذا قيل الخمر ياقوتية سيالة تنبسط النفس ، ولو قيل العسل مرة مهوعة تنقبض ، والغرض منه ترغيب النفس ، وهذا معنى ما قيل هو قياس مؤلف من المخيلات والمخيلات تسمى قضايا شعرية وصاحب القياس الشعري يسمى شاعرا كذا في شرح المطالع وحاشية السيد علي ايساغوجي .

وشعراء العرب على طبقات .

جاهليون كامرىء القيس وطرفة وزهير .

ومخضرمون المخضرم من قال الشعر في الجاهلية ثم ادرك الاسلام كلبيد وحسان .

ومتقدمون ويقال الاسلاميون وهم الذين كانوا في صدر الاسلام كجرير والفرزدق .

ومولدون وهم من بعدهم كبشار .

ومحدثون وهم من بعدهم كأبي تمام والبحتري .

ومتأخرون كمن حدث بعدهم من شعراء الحجاز والعراق ولا يستدل في استعمال الالفاظ بشعر هؤلاء بالاتفاق ، كما يستدل بالجاهلين والمخضرمين والاسلاميين بالاتفاق .

واختلف في المحدثين فقيل لا يستشهد بشعرهم مطلقا واختاره الزمخشري ومن حذا حذوه وقيل لا يستشهد بشعرهم الا بجعلهم بمنزلة الراوي فيما يعرف انه لا مساغ فيه سوى الرواية ولا مدخل فيه للدراية هذا خلاصة ما في الخفاجي وغيره من حواشي البيضاوي في تفسير قوله تعالى (كلما اضاء لهم مشوا فيه) كذا في كشاف اصطلاحات الفنون والكلام على فن الشعر وحسنه وقبحه والشعراء يطول جدا لا يسع له هذه المقام .

علم الشواذ
من فروع علم القراءة

باب الصَّاد المهملة
علم الصرف

وهو علم يعرف منه أنواع المفردات الموضوعة بالوضع النوعي ومدلولاتها والهيئات الأصلية العامة للمفردات والهيئات التغيرية وكيفية تغيراتها عن هيئاتها الأصلية على الوجه الكلي بالمقايس الكلية كذا في الموضوعات .

وموضوعه الصيغ المخصوصة من الحيثية المذكورة .

وغرضه ملكة يعرف بها ما ذكر من الأحوال .

وغايته الاحتراز عن الخطأ من تلك الجهات .

ومباديه مقدمات مستنبطة من تتبع استعمال العرب .

وفي كشاف اصطلاحات الفنون علم الصرف ويسمى بعلم التصريف ايضا وهو علم بأصول تعرف بها احوال ابنية الكلم التي ليست بإعراب ولا بناء هكذا قال ابن الحاجب ، والمراد من بناء الكلمة وكذا من صيغتها ووزنها هيئتها التي يمكن ان يشاركها فيها غيرها وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار حروفها الزائدة والأصلية كل في موضعه .

وموضوعه هو الكلمة من حيث ان لها بناء ولا محذور في البحث عن قيد الحيثية اذا كانت بيانا للموضوع فلا محذور في البحث عن الأبنية في هذا العلم ،

ويؤيد هذا ما ذكروه في تقسيم العلـوم العـربية من أن الصرف يبحـث فيه عن المفردات من حيث صورها وهيئاتها ، وكذا ما ذكر المحقق عبد الحكيم في حاشية شرح الجامي من ان التصريف والمعاني والبيان والبديع والنحو بل جميع العلوم الأدبية تشترك في ان موضوعها الكلمة والكلام انما الفرق بينها بالحيثيات انتهى .

وفي شرح الشـافية للجـار بردي ان موضوعـه الأبنية من حيث تعـرض الأحوال لها والأبنية عبارة عن الحروف والحركات والسكنات الواقعة في الكلمة ، فيبحث عن الحروف من حيث انها ثلٰثة أو أربعة او خمسة ، ومن حيث انها زائدة او اصلية ، وكيف يعرف الزائد عن الأصلي وعن الحركات والسكنات من انها خفيفة او ثقيلة .

فيخرج عن هذا العلم معرفـة الأبنية ، ويدخـل فيه معرفـة احوالهـا لأن الصرف علم بقواعد تعرف بها احوال الأبنية اي الماضي والمضارع والأمر الحاضر الى غير ذلك ، فان جميع ذلك احوال راجعة الى أحوال الأبنية لا الى نفس الأبنية انتهى .

فعلى هذا اضافة احوال الأبنية ليست بيانية ويرد عليه ان الماضي ونحـوه ليس بناء ولا حال بناء بل هو شيء ذو بناء وأضعف منه ما قوع في بعض كتب الصرف من ان موضوعه الأصول والقواعد .

ومباديه حدود ما تتبنى عليه مسائله كحد الكلمة والاسم والفعل والحرف ومقدمات حججها اي اجزاء على المسائل كقولهم انما يوقع الاعلال في الكلمـة لإزالة الثقل منها ومسائله الأحكام المتعلقة بالموضوع كقولهم الكلمة اما مجردة او مزيدة او جزئه كقولهم ابتداء الكلمة لا يكون ساكنا او جزئية كقولهم الاسم اما ثلاثي او رباعي او خماسي او عرضه كقولهـم الإعـلال امـا بالقلـب او الحـذف أو الاسكان .

وغايته غاية الجدوى حيث يحتاج اليه جميع العلوم العربية والشرعية كعلم

التفسير والحديث والفقه والكلام ، ولذا قيل ان الصرف ام العلوم والنحو ابوها .

قال الـرضي ان التصريف جزء من اجـزءء النحـو بلا خلاف من أهـل الصيغة والتصريف على ما حكى سيبويه عنهم هو ان تبنى من الكلمة بناء لم تبنه العرب على وزن مَا بنته ثم تعمل في البناء الذي بنيته ما يقتضيه قياس كلامهم كما يتبين في مسائل التمرين والمتأخرون على ان التصريف علم بابنية الكلمـة وبمـا يكون لحروفها من اصالة وزيادة وحذف وصحة واعلال وادغام وامالة وبما يعرض لآخرها مما ليس بإعراب ولا بناء من الوقف وغير ذلك انتهى .

فالصرف والتصريف عنـد المتأخـرين مترادفـان والتصريف على ما حكى سيبويه عنهـم جزء من الصرف الـذي هو جزء من اجـزاء النحـو انتهـى مَا في الكشاف وقد أطال الكلام على قيود حد الصرف تركنا ذكره ههنا لقلة فائدته في هذا الكتاب .

قال في مدينة العلوم ان اول من دون علـم الصرف ابو عثمان المازنـي البصري ومن شعره :

شيئـان يعجـز ذو الرياضـة عنهما رأي النسـاء وإمـرة الصبيان

امـا النسـاء فانهـنّ عواهر واخـو الصبـا يجـري بغـير عنان

وصنف في التصريف ابو الفتح بن جني مختصرا سماه التصريف الملوكي ، وصنف ابن مالك في ضروري التصريف مختصرا وشرحه ووسمه بالتعريف ، من المتوسطات في هذا العلم كتاب ابن الحاجب المسمى بالشافية وامثلها الممتع[1] لابن عصفور علي بن مؤمن الإشبيلي وشرح الشافية لاحمد بن حسن الجاربردي ولرضي الدين الأسترآبادي ، ولحسن بن محمد النيسابـوري المشهـور بالنظـام الأعـرج

(١) قال في الكشف قلما يخلو من مسائله كتاب من كتب النحو وكان ابو حيان لا يفارقه مولوي محمد احسن بلكرامي سلمه الله تعالى .

وشرحه ممزوج مشهور متداول ، ومما اشتهر في ديارنا مختصر مسمى بالمقصد وهو كتاب مبارك مشهور بأيدي الناس اليوم وعليه شروح مفيدة مشهورة عند ابناء الزمان ، ومختصر لعز الدين عبد الوهاب بن ابراهيم الزنجاني وله التصريف المشهور بتصريف العزي ، وعلى مختصره شروح افضلها واحسنها شرح السعد التفتازاني والسيد الشريف الجرجاني .

ومن المختصرات مراح الأرواح لأحمد بن علي بن مسعود وعليه شروح مفيدة يعرفها المتأدبون من الصبيان .

وأكثر المصنفات في علم النحو مذيلة بعلم التصريف ومختصر النجاح مفيد في الغاية لكنه غير مشهور وهو لحسام الدين الصغنافي شارح الهداية ومختصر نزهة الطرف في علم الصرف للميداني انتهى ملخصا .

وتركت ما ذكر من تراجم علماء الصرف تحت كل كتاب مذكور فانه ليس من غرضنا في هذا الموضع .

قال في كشف الظنون ومن الكتب المصنفة في الصرف أساس الصرف ، تصريف الأفعال ، جامع الصرف ، عنقود للزواهر ، قصارى ، لامية الأفعال مقصود ، مضبوط ، مطلوب ، منازل الأبنية نجاح هارون انتهى .

قلت ومنها نقود الصرف للشيخ المفتي ولي الله الفرخ آبادي وفصول أكبري وشفاء الشافية للشيخ المولوي عبد الباسط القنوجي وبنج كنج وصرف مير للسيد الشريف الجرجاني رحمه الله .

ورسائل اخرى وهي كثيرة جدا متداولة بين الصبيان ومؤدبيهم وهي بالفارسية والعربية .

علم صلوٰة الحاجات

الواردة في الأحاديث وهي كثيرة جدا اشهرها : الضحى والتهجد وصلوٰة

التسبيح وغير ذلك من نوافل الصلوٰة وقد دوّنها الشيخ فخر الدين الرومي في كتاب دعوات الليل والنهار ويجده من يطلبه هكذا في مدينة العلوم ، ولا حاجة تدعو الى تسمية ذلك علما مستقلا فانه داخل تحت كتاب الصلوات من كتب الحديث الشريف وشرح السنة صرحوا بما صح من ذلك وما لم يصح .

وقد اكثر اهل البدع والضلالات في ايجاد الصلوات التي لا اصل لها في دين الاسلام كصلوٰة الرغائب وغيرها واشنعها الصلوٰة التي تصلى الى بغداد لأجل الشيخ الاجل السيد عبد القادر الجيلاني رحمه الله فهذه الصلوٰة وأمثالها مما تكون للعباد اشد كبا للناس في النار الحامية أعاذنا الله تعالى من الشرك والبدعة ووفقنا لاتباع صرائح الكتاب والسنة.

علم صور الكواكب

هكذا في الكشف ولم يزد عليه شيئا .

وقال في مدينة العلوم هو علم يتعرف منه الصور التي تخيلوها من اجتماع الكواكب الثابتة ومن تلك الصور اثني عشر صورة تخيلوها على منطقة فلك البروج وسموا البروج الإثني عشر بأسماء تلك الصور ، ومنها ثمانية وعشرون صورة هي منازل القمر وضبطوا لهذه الصور مواضع الف واثنين وعشرين كوكباً من الكواكب الثابتة ، ولعبد الرحمن الصوفي كتاب نافع في هذا العلم وكذا لمحيي الدين المولى .

علم الصيدلية

من فروع علم الطب ، وهو علم يبحث فيه عن تمييز المتشابهات من اشكال النباتات من حيث انها صينية او هندية او رومية ، وعن معرفة زمانها صيفية

او خريفية ، وعن تمييز جيدها عن الردي ، وعن معرفة خواصها .

والغرض والفائدة منه ظاهران لمن تأمل .

والفرق بينه وبين علم النباتات ان علم الصيدلية باحث عن تمييز احوالها اصالة ، وعلم النباتات باحث عن خواصها اصالة والأول اشبه للعمل والثاني اشبه للعلم وكل منهما مشترك بالآخر كذا في مدينة العلوم وغيرها .

ومن الكتب الجديدة فيه كتاب عمدة المطببين المعروف بالأقراباذين للشيخ منصور احمد افندي ترجمه من الفرنساوية وافرغه في القوالب العربية وطبع بمصر القاهرة في سنة ١٢٨٣ للهجرية في عهد اسمعيل باشا مصر قال فيه علم الصيدلية اي علم الأقراباذين علم يبحث فيه عن جمع وانتخاب الجواهر الدوائية وتحضيرها ومزجها وتهيئتها للاستعمال الطبي بقطع النظر عن الظواهر الكيماوية التي قد تظهر مدة هذه العمليات انتهى وقد وقفت على هذا الكتاب و وجدته انفس الكتب المؤلفة في هذا الباب ولله الحمد حمدا كثيرا .

علم الصيفي والشتائي

من فروع التفسير وموضوعه وغايته ومنفعته ظاهرة للناظرين .

قال الواحدي انزل الله سبحانه وتعالى في الكلالة آيتين احداهما وهي التي في اول النساء في الشتائي والأخرى وهي التي في آخرها الصيفي ومن الصيفي فأنزل في حجة الوداع كأول المائدة وقوله : (اليوم أكملت لكم دينكم ، واتقوا يوماً ترجعون فيه) وآية الدين ، وسورة النصر ، والآيات التي في غزوة الخندق .

باب الضاد المعجَمة

علم ضروب الأمثال

قال الميداني ان عقود الأمثال يحكم بانها عديمة اشباه وأمثال تتحلى بفرائدها صدور المحافل والمحاضر ، ويتسلى بفوائدها قلب البادي والحاضر ، وتفيدوا بها في بطون الدفاتر والصحائف ، وتطير نواهضها في رؤوس الشواهق وظهور المنائف ، ويحتاج الخطيب والشاعر الى ادماجها وادراجها لاشتمالها على اساليب الحسن والجمال وكفى جلالة قدرها ان كتاب الله سبحانه وتعالى لم يعر من وشاحها ، وان كلام نبيه ﷺ لم يخل في ايراده واصداره من مثل يحوز قصب السبق في حلبة الإيجاز وامثال التنزيل كثيرة .

وأما الكلام النبوي من هذا الفن فقد صنف العسكري فيه كتاب برأسه من اوله الى آخره ، ومن المعلوم ان الأدب سلم الى معرفة العلوم به يتوصل الى الوقوف عليها ومن يتوقع الوصول اليها غير ان له مسالك ومدارج ولتحصيله مراقي ومعارج وان اعلى تلك المراقي واقصاها وأوعر تلك المسائل اعصاها هذه الأمثال الواردة من كل مرتضع درّ الفصاحة يافعا ووليدا فينطق بما يعبر عنها حشواً في ارتقاء معارج البلاغة ، ولهذا السبب خفي أثرها وظهر اقلها ومن حام حول حماها علم ان دون الوصول اليها احرق من خرط القتاد وان لا وقوف عليها الا للكامل

المعتاد كالسلف الماضيين الذي نظموا من شملها ما تشتت وجمعوا من امرها ما تفرق فلم يبقوا في قوس الاحسان منزعا .

علم الضعفاء والمتروكين في رواة الحديث

صنف فيه الامام محمد بن اسمعيل البخاري المتوفى بخرتنك سنة ست وخمسين ومائتين ، يرويه عنه ابو بشر محمد بن احمد بن حماد الدولابي وابو جعفر شيخ ابن سعيد وآدم بن موسى الجفاري وهو من تصانيفه الموجودة قاله الحافظ ابن حجر الامام عبد الرحمن بن احمد النسائي والامام حسن بن محمد الصنعاني وابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، قال الذهبي في ميزان الاعتدال انه يسرد الجرح ويسكت من التوثيق ، وقد اختصره ثم ذيله كما قال .

وذيله ايضا علاء الدين مغلطائي بن قليج المتوفى سنة اثنتين وستين وسبعمائة .

وصنف فيه علاء الدين علي بن عثمان المارديني المتوفى سنة خمسين وسبعمائة .

وصنف فيه محمد بن حيان البستي ووضع له مقدمة قسم فيها الرواة الى نحو عشرين قسما ذكره البقاعي في حاشية شرح الألفية .

باب الطاء المهملة

علم الطبّ

هو علم يبحث فيه عن بدن الانسان من جهة ما يصح ويمرض لحفظ الصحة وإزالة المرض .

قال جالينوس : الطب حفظ الصحة وازالة العلة .

وموضوعه بدن الانسان من حيث الصحة والمرض .

ومنفعته لا تخفى وكفى بهذا العلم شرفا وفخرا اقوال الامام الشافعي : العلم علمان علم الطب للابدان وعلم الفقه للأديان .

ويروى عن علي كرم الله وجهه العلوم خمسة : الفقه للأديان ، والطب للأبدان ،والهندسة للبنيان ، والنحو للسان ، والنجوم للزمان ، ذكره في مدينة العلوم .

قال في كشاف اصطلاحات الفنون وموضوع الطب بدن الانسان وما يشتمل عليه من الأركان والأمزجة والأخلاط والأعضاء والقوى والأرواح والأفعال واحواله من الصحة والمرض وأسبابهما من المآكل والمشرب والأهوية المحيطة بالأبدان والحركات والسكنات والاستفراغات والاحتقانات والصناعات والعادات والواردات الغريبة ، والعلامات الدالة على احواله من ضرر افعاله

وحالات بدنه وما يبرز منه والتدبير بالمطاعم والمشارب واختيار الهواء وتقدير الحركة والسكون والأدوية البسيطة والمركبة واعمال اليد لغرض حفظ الصحة وعلاج الأمراض بحسب الإمكان انتهى .

قال وعلم الطب من فروع الطبعي ، وهو علم بقوانين تتعرف منها احوال ابدان الانسان من جهة الصحة وعدمها لتحفظ حاصلة وتحصل غير حاصلة ما أمكن وفوائد القيود ظاهرة وهذا اولى ممن قال من جهة ما يصح ويزول عنه الصحة فانه يرد عليه ان الجنين الغير الصحيح من اول الفطرة لا يصح عليه انه زال عن الصحة او صحته زائلة كذا في السديدي شرح الموجز فالمراد هنابالعلم التصديق بالمسائل ويمكن ان يراد به الملكة اي ملكة حاصلة بقوانين الخ .

وفي شرح القانوجه هو علم بأحوال بدن الإنسان وما يتركب منه من حيث الصحة والمرض انتهى .

اعلم ان تحقيق اول حدوث الطب عسير لبعد العهد واختلاف آرا القدماء فيه وعدم المرجح فقوم يقولون بقدمه والذين يقولون بحدوث الأجسام يقولون بحدوثه ايضا وهم فريقان :

الأول : يقول انه خلق مع الانسان .

والثاني : وهم الأكثر يقول انه مستخرج بعده اما بإلهام من الله سبحانه وتعالى كما هو مذهب بقراط وجالينوس ، وجميع اصحاب القياس ، واما بتجربة من الناس كما ذهب اليه اصحاب التجربة والحيل وثاسلس المغالط وفنين وهم مختلفون في الموضع الذي به استخرج وبماذا استخرج .

فبعضهم يقول ان اهل مصر استخرجوه ويصححون ذلك من الدواء المسمى بالرأس .

وبعضهم يقول ان هرمس استخرجه مع سائر الصنائع .

وبعضهم يقول اهل تونس .

وقيل اهل سوريا وافروجيا وهم اول من استخرج الزمر ايضا وكانوا يشفون بالألحان والايقاعات آلام النفس .

وقيل اهل قو وهي الجزيرة التي كان بها بقراط وآباؤه وذكر كثير من القدماء انه ظهر في ثلث جزائر احداها رودس والثانية تسمى قندس والثالثة قو .

وقيل استخرجه الكلدانيون .

وقيل استخرجه السحرة من اليمن .

وقيل من بابل .

وقيل من فارس .

وقيل استخرجه الهند .

وقيل الصقالبة .

وقيل اقريطش .

وقيل اهل طور سينا

والذين قالوا بالهام يقول بعضهم هو إلهام بالرؤيا واحتجوا بان جماعة رأوا في الاحلام ادوية استعملوها في اليقظة فشفتهم من امراض صعبة وشفت كل من استعملها .

وبعضهم يقول بالهام من الله سبحانه وتعالى بالتجربة .

وقيل ان الله سبحانه وتعالى خلق الطب لأنه لا يمكن ان يستخرجه عقل انسان وهو رأي جالينوس فانه قال كما نقله عنه صاحب عيون الانباء .

واما نحن فالأصوب عندنا ان نقول ان الله سبحانه وتعالى خلق صناعة الطب وألهمها الناس وهو اجل من ان يدرجه العقل لأنا نجد الطب احسن من الفلسفة التي يرون ان استخراجها كان من عند الله سبحانه وتعالى بالهام منه للناس فوجود الطب بوحي وإلهام من الله سبحانه وتعالى قال ابن ابي صاد في آخر شرحه لمسائل حنين وجدت الناس في قديم الزمان لم يكونوا يقنعون من هذا العلم دون

ان يحيطوا علما بجل اجزائه وبقوانين طرق القياس والبرهان التي لا غنى لشيء من العلوم عنها ثم لما تراجعت الهمم عن ذلك اجمعوا على انه لا غنى لمن يزاول هذا العلم من احكام ستة عشر كتاباً لجالينوس كان اهل الاسكندرية لخصوها لنقبائها المتعلمين ، ولما قصرت الهمَمُ بالمتأخرين عن ذلك ايضا وظف اهل المعرفة على من يقنع من الطب بان يتعاطاه دون ان يتمهر فيه ان يحكم ثلث كتب من اصوله .

احدها : مسائل حنين .

والثاني : كتاب الفصول لبقراط .

والثالث : احد الكناشتين الجامعتين للعلاج وكان خيرها كناش ابن سرافيون .

وأول من شاع عنه الطب اسقلنينوس عاش تسعين سنة منها وهو صبي وقبل ان تصح له القوة الآلهية خمسون سنة وعالما معلما اربعون سنة وخلف ابنين ماهرين في الطب وعهد اليهما ان لا يعلما الطب الا لأولادهما واهل بيته وعهد الى من يأتي بعده كذلك ، وقال ثابت كان في جميع المعمور لاسقلنينوس اثنا عشر الف تلميذ وانه كان يعلم مشافهة وكان آل اسقلنينوس يتوارثون صناعة الطب الى ان تضعضع الأمر في الصناعة على بقراط ورأى ان اهل بيته وشيعته قد قلوا ولم يأمن ان تنقرض الصناعة فابتدأ في تأليف الكتب على جهة الايجاز .

قال علي بن رضوان كانت صناعة الطب قبل بقراط كنزاً وذخيرة يكنزها الآباء ويدخرونها للابناء ، وكانت في اهل بيت واحد منسوب الى اسقلنينوس وهذا الاسم اسم لملك بعثه الله سبحانه وتعالى يعلم الناس الطب او اسم قوة الله تعالى علمت الناس الطب ، وكيف كان ، فهو اول من علم صناعة الطب ونسب المعلم الأول اليه على عادة القدماء في تسمية المعلم ابا للمتعلم وتناسل من المعلم الأول اهل هذا البيت المنسوبون الى اسقلنينوس ، وكان ملوك اليونان والعظماء منهم ولم يكونوا غيرهم من تعلم الطب وكان تعليمهم الى ابنائهم فيفسر ذلك

اللغز للابن وكان الطب في الملوك والزهاد فقط يقصدون به الاحسان الى الناس من غير اجرة ولم يزل ذلك الى ان تشأ بقراط من اهل قو ودمقراط من اهل ايديرا وكانا متعاصرين اما دمقراط فتزهد ؛ واما بقراط فعمد الى ان دوّنه باغماض في الكتب خوفا على ضياعه وكان له ولدان ثاسالوس ودراقر وتلميذ وهو قولونس فعلمهم ووضع عهدا وناموسا ووصية عرف منها جميع ما يحتاج اليه الطبيب في نفسه .

وعبارة مدينة العلوم ان اول من دون علم الطب بقراط ثم ظهر من بعده جالينوس من مدينة فرغاموس من ارض اليونانيين ولا اعلم بعد ارسطاطاليس اعلم بالطبعي من هذين بقراط وجالينوس وظهر جالينوس بعد ستمائة وخمس وستين سنة من وفاة بقراط وبينه وبين المسيح سبع وخمسون سنة المسيح اقدم منه .

واعلم ان من وفاة جالينوس الى هذا التاريخ وهو ثمان واربعون وتسعمائة سنة من هجرة نبينا ﷺ الف واربعمائة وستة وسبعون سنة تقريبا .

ومن مشاهير العلماء في الطب محمد بن زكريا ابو بكر الرازي الف كتب كثيرة في الطب .

ومن الكتب المختصرة النافعة غاية النفع المباركة للطلاب كتاب الموجز لابن النفيس المصري ومن المبسوطة القانون لابن سينا وعليه شرح لابن النفيس وللعلامة الشيرازي انتهى .

حاصله .

قلت يحتاج القانون الى اصلاح عبارة وتلخيص وتهذيب فقد اطال فيه وجاء بعبارات سخيفة بشعة كما لا يخفى على الماهر فيه ومن الكتب الجديدة التأليف كتاب الحكيم احمد بن حسن افندي الرشيدي المطبوع بمصر القاهرة سماه بعمدة المحتاج في علمي الادوية والعلاج ألفه باسم اسمعيل باشا مصر وهو في اجزاء جمعه من المؤلفات العربية والافرنجية ، وله كتاب بهجة الرؤساء في علاج امراض النساء طبع بمصر القاهرة في سنة ١٢٦٠ ألفه باسم محمد علي باشا وافاد

واجاد وله كتاب نزهة الاقبال في مداواة الاطفال وهو مجلد كبير طبع بمصر في سنة ١٢٦١ الهجرية باسم محمد علي باشا ايضا .

ومن الكتب الجديدة كتاب المنحة في سياسة حفظ الصحة للحكيم الاجل محمد الهراوي طبع بمصر في سنة ١٢٤٩ ترجمه من الفرنساوي الى العربي وهو مجلد متوسط .

والكتب المؤلفة في هذا العلم كثيرة جدا ذكرها ملا كاتب الجلبي في كشف الظنون على ترتيب حروف الاعجام واما الذي في مقدمة ابن خلدون فنصه هكذا ومن فروع الطبيعيات صناعة الطب وهي صناعة تنظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالادوية والاغذية بعد ان يتبين المرض الذي يخص كل عضو من اعضاء البدن واسباب تلك الامراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الادوية مستدلين على ذلك بأمزجة الادوية وقواها على المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء اولا في السجية والفضلات والنبض محاذين لذلك قوة الطبيعة فانها المدبرة في حالتي الصحة والمرض وانما الطبيب يحاذيها ويعينها بعض الشيء بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم الطب ، وربما افردوا بعض الاعضاء بالكلام وجعلوه علما خاصا كالعين وعللها واكحالها .

وكذلك ألحقوا بالفن من منافع الاعضاء ومعناها المنفعة التي لاجلها خلق كل عضو من اعضاء البدن الحيواني وان لم يكن ذلك من موضوع علم الطب الا انهم جعلوه من لواحقه وتوابعه .

وامام هذه الصناعة التي ترجمت كتبه فيها من الاقدمين جالينوس يقال انه كان معاصراً لعيسى عليه السلام ويقال انه مات بصقلية في سبيل تغلب ومطاوعة اغتراب وتأليفه فيها هي الامهات التي اقتدى بها جميع الاطباء بعده .

وكان في الاسلام في هذه الصناعة ائمة جاؤ وامن وراء الغاية مثل الرازي

والمجوسي وابن سينا .

ومن اهل الاندلس ايضا كثير واشهرهم ابن زهر وهي لهذا العهد في المدن الاسلامية كأنها نقصت لوقوف العمران وتناقصه وهي من الصنائع التي لا تستدعيها الا الحضارة والترف .

قف وللبادية من اهل العمران طب يبنونه في غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص متوارثا عن مشائخ الحي وعجائزه وربما يصح منه البعض الا انه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج ، وكان عند العرب من هذا الطب كثير وكان فيهم اطباء معروفون ، كالحارث بن كلدة وغيره .

والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل وليس من الوحي في شيء وانما هو امر كان عاديا للعرب ووقع في ذكر احوال النبي ﷺ من نوع ذكر احواله التي هي عادة وجبلة لا من جهة ان ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل فانه ﷺ انما بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات ، وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال انتم اعلم بامور دنياكم فلا ينبغي ان يحمل شيء من الطب الذي وقع في الاحاديث الصحيحة المنقولة على انه مشروع فليس هناك ما يدل عليه اللهم[1] الا اذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الايماني فيكون له اثر عظيم في النفع وليس ذلك في الطب المزاجي وانما هو من آثار

(١) ويرفعه ما قال الحافظ ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد الى يدي خير العباد وليس طلبه ﷺ كطب الاطباء فان طب النبي ﷺ متيقن قطعي إلهي صادر عن الوحي ومشكوة النبوة وكمال العقل وطب غيره اكثر حدس وظنون وتجارب ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة فانه انما ينتفع به من تلقاه بالقبول واعتداد الشفاء به وكمال التلقي له بالايمان والاذعان فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور ان لم يتلق هذا التلقي لم يحصل به شفاء الصدور من ادوائه بل لا يزيد المنافقين الا رجساً إلى رجسهم ومرضا الى مرضهم واين يقع طب الابدان منه فطب النبوة لا يناسب الى الابدان الطيبة كما ان شفاء القرآن لا يناسب الا الارواح الطيبة والقلوب الحية فاعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع وليس ذلك لقصور في الدواء ولكن بحيث الطبيعة وفساد المحل وعدم قبوله انتهى . سيد نور الحسن خان بهادر سلمه الله تعالى .

الكلمة الايمانية كما وقع في مداواة المبطون بالعسل والله الهادي الى الصواب لا رب سواه .

علم الطبّ الشرعي

قال في المنحة في سياسة حفظ الصحة : هو المعارف الطبية والطبيعية المستعملتان في الاحكام الواقعة بين الناس في المحاكم ، فمن ذلك يعلم ان تسميته بالطب الشرعي اصطلاح افرنجي وحقه ان يسمى بالطب المحكمي ولذا سميناه بذلك في جميع ما يأتي .

وهو فن به يهتدي ارباب المحاكم لما يناط بها من القضايا فيعرف كل من تصدر عنه حكومة كيف تكوين الحكومات والتراتيب القانونية التي غايتها استراحة شعبه واطمئنانه ، وبه يهتدي القضاة لإدراك الاشياء التي تفعل على خلاف الشرع ، ولمعرفة الجاني وخلاص البريء المتهم ظلما بل ولمعرفة احكام المشاجرات المدنية الواقعة في غير الجنايات ايضا وكل من القاضي ومن تصدر عنه الحكومة من حيث انه غير عارف للاشياء التي تكون المعارف الطبية واسطة للاهتداء اليها محتاج للالتجاء للطبيب المحكمي ليهتدي به في فعل ما هو نافع للشعب ، حتى لا يحكم على انسان بانه مذنب بغير حق .

وعلى الطبيب الذي يدعوه الحاكم لواقعة حكمية ان يحرر تقريرا بما يراه ليكون اساسا للحاكم يحكم بموجبه ، ومما تقدم من تفسير الطب المحكمي وما يتفرع عليه يعلم ان منفعته ليست قاصرة على تحرير التقارير التي يكتبها الطبيب بما يظهر له حين الكشف عن شيء ليتنور بذلك الحاكم فقط بل اعظم منافع هذا العلم انه يلزم الناس باستعمال الرئيس من المعارف الطبية وما يتبعها في تكوين احكام المشاجرات الواقعة امام الحكام ومسائلها سواء في الجنايات وغيرها .

وفوائد الطب المحكمي لا حصر لها اذ لا توجد حركة من حركات الانسان

في مدة معيشته مع الناس بدون ان يستدعي ذلك الطب الموجود في جميع الاماكن في كل الازمان ، فهو اول الفنون الحكمية وافضلها لان غاية استراحة الناس واطمئنانهم واساس المعارف الطبية المستعملة في الطب المحكمي استخراج ما هو اكثر تعلقا بالقضايا المحكمية من تلك المعارف او ترتيبه وجعله طريقا ومذهبا يتبع ونظن انه لا يوجد شيء تستفاد منه قواعد كلية بما يستعمل في المحاكم من المعارف الطبية اقرب من التفتيش في الفنون الطبية المحتوية على تلك المعارف .

عِلم طِبّ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم

وهو علم باحث عن الطب الذي ورد في الاحاديث النبوية الذي داوى به المرضى وفيه الطلب البتوني لابي نعيم احمد بن عبد الله الاصفهاني المتوفى سنة اثنين وثلٰثين واربعمائة ، ولجلال الدين عبد الرحمٰن السيوطي المتوفى سنة احدى عشرة وتسعمائة اوله الحمد لله الذي اعطى كل نفس خلقها وهو مرتب على ثلٰثة فنون :

الاول : في قواعد الطب .

الثاني : في الادوية والاغذية .

الثالث : في علاج الامراض .

وكتب ابو الحسن علي بن موسى الرضا للمأمون رسالة مشتملة عليه والحبيب النيسابوري جمعه ايضا وابن السني وعبد الملك بن حبيب ولابن طرخان تصنيف في هذا الفن وكذا للامام المستغفري ونفع هذا العلم لا يخفى على احدٍ فليتذكره .

علم طبخ الاطعمَة والاشربَة والمعَاجين

هو علم يعرف به كيفية تركيب الاطعمة اللذيذة النافعة بحسب الامزجة المتخالفة وكيفية تركيب المركبات الدوائية من جهة الوزن والوقت والتقديم والتأخير وفي المزج ومعرفة ما يسحق منه وما يذاب ، وكيفية ضبطه في الظروف ، ومعرفة بقاء نفعه وبطلان فائدته الى غير ذلك من الاحوال التي يعرفها من يزاولها وهو من فروع الطب . غير طبخ الأطعمة .

علم الطبقات

اي طبقات كل صنف من اهل العلم كالادباء ، والاصوليين ، والاطباء ، والاولياء ، والبيانيين ، والتابعين ، والحفاظ ، والحكماء ، والحنفية ، والحنابلة ، والمالكية ، والشافعية ، والمفسرين ، والمحدثين ، والخطاطين ، والرواة ، والخواص ، والشعراء ، والصحابة ، والمجتهدين ، والصوفية ، والطالبين ، والامم ، والعلوم ، والفرسان ، والعلماء ، والقرضيين ، والفقهاء ، ورؤساء الزمن ، والقراء ، والنحاة ، واللغويين ، والمتكلمين ، والمعبرين ، والمعتزلين ، والمالك ، والنسابين ،والنساك الى غير ذلك ، وفي كل من هذا كتب مستقلة تكفلت لبيان طبقة من تلك الطبقات قال في مدينة العلوم :

علم طبقات القراء

هو علم يذكر فيه القراء السبعة بل العشرة بل الثلثة عشر بل الخمسة عشر ورواة هؤلاء وغير ذلك من الشيوخ والمصنفين في هذا العلم ، ويذكر فيه ايضا قراء الصحابة والتابعين وتبع تابعيهم الى هذا الآن ، وطبقات الحافظ الذهبي

تصنيف مفيد في هذا العلم ولا اجمع ولا انفع من طبقات الشيخ الجزري رحمه الله تعالى .

علم طبقات المفسرين

هو من فروع التواريخ ايضا فيه المجلدات الكبار للعلماء رحمهم الله تعالى .

علم طبقات المحدثين

من فروع التواريخ ايضا وفيها المصنفات العظام .

علم طبقات الشافعية

صنف فيها ابن السبكي الكبرى والصغرى وأطنب فيها واجمع واوعب كل من انتسب الى مذهب الشافعية وقد اشتمل على فوائد لا تكاد توجد في كتاب .

علم طبقات الحنفية

صنف فيها العلماء مثل الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ومثل مختصر قاسم بن قطلوبغا سماه تاج التراجم وهو كان في الباب مع اشتمالها على المهمات .

علم طبقات المالكية

صنف فيها ابن فرحون برهان الدين ابراهيم المتوفى سنة تسع وتسعين وسبعمائة سماه الديباج المذهب في علماء المذاهب .

علم طبقات الحنابلة

صنف فيه ابن رجب الحنبلي وقد وقفت عليه في مكة المكرمة زادها الله سبحانه وتعالى شرفا .

علم طبقات النحاة

صنف فيه كثيرون مثل ياقوت الحموي ومجد الدين الشيرازي وصلاح الدين الصفدي وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي وغيرهم من العلماء .

علم طبقات الحكماء

قد اعتنى بذلك كثيرون منهم الصاعد الذي من مشاهير الحكماء وصنف فيه كتاب صوان الحكمة ورأيته في عنفوان الشباب وهو كتاب لطيف لكني نسيت اسم[1] مؤلفه .

علم طبقات الاطباء

قد صنف في ذلك العلماء ورأيت في هذا العلم كتابا موسوما بعيون الانباء في طبقات الاطباء .

وطبقات هؤلاء المذكورين من فروع علم التواريخ وموضوع كل منها وغايتها ومنفعتها ظاهرة على من تتبع تلك العلوم .

قلت قد قصر همم ابناء الزمان عن ادراك هذه العلوم وهي مما يحتاج اليه

---

(١) قال في كشف الظنون هو الصاعد المذكور ، مولانا الشيخ حسين بن محسن سلمه ربه .

العالم والعاقل في كل وقت وما اشد حاجة المحدثين الى ذلك لكن طمست آثار كتبها واندرست معالم زبرها فلا يوجد منه الا كتاب واحد في بعض البلاد وعند افراد من اهل العلم والله الموفق للصواب .

علم الطبعي

هو علم يبحث فيه عن احوال الاجسام الطبعية وموضوعه الجسم ويسمى ايضا بالعلم الادنى وبالعلم الاسفل وهو علم باحوال ما يفتقر الى المادة في الوجودين .

وموضوعه الجسم الطبعي من حيث ان يستعد للحركة والسكون .

وفي ارشاد القاصد للشيخ الاكفاني السخاوي العلم الطبعي : علم يبحث فيه عن احوال الجسم المحسوس من حيث هو معرض للتغير في الاحوال والثبات فيها .

فالجسم من هذه الحيثية موضوعه .

واما العلوم التي تتفرع عليه وتنشأ منه فهي عشرة .

وذلك لان نظره اما ان يكون فيما يفرع على الجسم البسيط او الجسم المركب او ما يعمهما .

والاجسام البسيطة اما الفلكية فاحكام النجوم .

واما العنصرية فالطلسمات .

والاجسام المركبة اما ما لا يلزمه مزاج وهو علم السيميا .

وما يلزمه مزاج فاما بغير ذي نفس فالكيمياء او بذي نفس .

فأما غير مدركة فالفلاحة .

واما مدركة فاما لها مع ذلك ان يعقل اولا الثاني البيطرة والبيزرة وما يجري مجراهما .

والـذي بذي النفس العاقلـة هو الانسـان وذلك امـا في حفـظ صحتـه واسترجاعها وهو الطب او احواله الظاهرة الدالة على احواله الباطنة وهو الفراسة او احوال نفسه حال غيبته عن حسّه وهو تعبير الرؤيا والعام للبسيط والمركب السحر انتهى .

واصول الطبعي ثمانية ، الأول : العلم باحوال الامور العامة للاجسام .

الثاني العلـم باركان العالـم وحركاتهـا واماكنهـا المسمـى بعلـم السماء والعالم .

الثالث : العلم بكون الاركان وفسادها .

الرابع : العلم بالمركبات الغير التامة لكائنات الجو .

الخامس : العلم باحوال المعادن .

السادس : العلم بالنفس النباتية .

السابع : العلم بالنفس الحيوانية .

الثامن : العلم بالنفس الناطقة .

قال ابن خلدون هو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون فينظر في الاجسـام السماوية والعنصرية ومـا يتولـد عنهـا من حيوان وانسان ونبات ومعدن وما يتكون في الارض من العيون والزلازل وفي الجـو من السحـاب والبخـار والرعـد والبـرق والصواعـق وغـير ذلك وفي مبـدء الحـركة للاجسام ، وهو النفس على تنوعها في الانسان والحيوان والنبات .

وكتب ارسطو فيه موجودة بين ايدي الناس مع ما ترجم من علوم الفلسفة ايام المأمون وألف الناس على حذوها .

واوعب من الف في ذلك ابن سينا في كتاب الشفا جمع فيه العلوم السبعة للفلاسفة .

ثم لخصه في كتاب النجاة .

وفي كتاب الاشارات وكأنه يخالف ارسطو في الكثير من مسائلها ويقول برأيه فيها واما ابن رشد فلخص كتب ارسطو وشرحها متبعا له غير مخالف والف الناس في ذلك كثيرا لكن هذه هي المشهورة لهذا العهد والمعتبرة في الصناعة .

ولاهل المشرق عناية بكتاب الاشارات لابن سينا وللامام ابن الخطيب عليه شرح حسن وكذا الآمدي وشرحه ايضا نصير الدين الطوسي المعروف بخواجه من اهل المشرق وبحث مع الامام في كثير من مسائله فأوفى على انظاره وبحوثه وفوق كل ذي علم عليم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

علم الطلسمات

قد تقدم الكلام عليه في بيان علم السحر ومعنى الطلسم عقد لا ينحل وقيل هو مقلوب اسمه اي المسلط لانه من جواهر القهر والتسلط .

وهو علم باحث عن كيفية تركيب القوى السماوية الفعالة مع القوى الارضية المنفعلة في الازمنة المناسبة للفعل والتأثير المقصود مع بخورات مناسبة مقوية جالبة لروحانية ذلك الطلسم ليظهر من تلك الامور في عالم الكون والفساد فعال غريبة ، وهو قريب المأخذ بالنسبة الى علم السحر لكون مبادئه واسبابه معلومة .

واما منفعته فظاهرة لكن طريق تحصيله شديد العنا وبسط المجريطي قواعد هذا الفن في كتابه غاية الحكيم فأبدع لكنه اختار جانب الاغلاق والدقة لفرط ضنته وكمال بخله في تعليمه .

وللسكاكي كتاب جليل فيه .

ونقل ابن الوحشية من النبط كتاب طبتانا في ذلك العلم .

علم الطيرة والزجر

هذا ضد الفال اذ الفال سبب للاقدام وهذا سبب للاحجام وهو تشاؤم بشيء يرد المناظر والمسامع مما نفر منه النفس واما ما ينفر منه الطبع كصرير الحديد وصوت الحمار فليس من ذلك والطيرة مأخوذ من الطير وهو الاصل في هذا الباب والحق به ما عداه .

وكانت العرب اذا ارادوا سفرا يطيرون طيراً فاذا طار عن اليمين يتوجهون الى المقصد ، وان طار عن اليسار يرجعون عن السفر ويسمون الاول السانح والثاني البارح ، والنبي ﷺ نهى عن الطيرة وأمر بالفال .

قال في مدينة العلوم قال الحافظ ابن القيم رحمه الله في كتابه مفتاح دار السعادة ان التطير انما يضر من اشفق منه وخاف وأما من لم يبال به ولم يخشه فلا يضره البتة لا سيما ان قال عند رؤية ما يتطير به او عند سماعه (اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا إله غيرك اللهم لا يأتي بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت ولا حول ولا قوة الا بك .

وقال ابن عبد الحكم خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة والقمر في الدبران فكرهت ان اخرج به فقلت ما احسن استواء القمر في هذه الليلة فنظر فقال كأنك واردت ان تخبرني ان القمر في الدبران انا لا نخرج بشمس ولا بقمر ولكنا نخرج بالله الواحد القهار .

قال في مفتاح دار السعادة ايضا واما من كان معتنياً بالطيرة فهي اسرع اليه من السيل الى منحدره قد فتحت له ابواب الوسواس فيما يسمعه ويراه ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة ما يفسد عليه دينه وينكر عليه معيشته هذا ما ذكره .

وأعلم ان بعضا من الناس قد فتح له باب الوسواس واعتبر امورا بعيدة

يضحك منه الشيطان ويستهزىء به الصبيان مثلا يتشاءم بعضهم بالسفرجل اذا سمعه ورآه ويقول انه سفرجل .

وبعضهم يتشاءم بالياسمين ويقول انه ياس ومين .

وبعضهم يتشاءم بالسوسنة ويقول انه سوء ويبقى سنة .

حكي ان جعفر البرمكي اختار وقتا لينتقل الى داره التي بناها فاختاروا له ساعة من ليلة عينوها فخرج في ذلك الوقت والطرق خالية اذ سمع منشداً يقول :

يدبـر بالنجـوم وليس يدري ورب النجـم يفعـل ما يريد

فتطير ودعا بالرجل وقال له ما اردت بهذا قال ما أردت به معنى من المعاني لكنه شيء عرض لي وجرى على لساني فأمر له بدينار ومضى لوجهه وقد تنغص سروره وتكدر عيشه فلم يمض الا قليلا حتى أوقع به الرشيد ما هو المشهور انتهى ما في مدينة العلوم .

باب الظاء المعجَمة
علم الظاهر والباطن

أما الظاهر فهو علم الشرع وقد تقدم .

وأما الباطن فيقال له علم الطريقة وعلم التصوف وعلم السلوك وعلم الأسرار وقد تقدم ايضا ولا حاجة لنا الى الاعادة ، ولكن نتحفك هنا بفائدة جديدة وعائدة سديدة اشتملت على حكم هذا العلم .

قال شيخنا الامام العلامة القاضي محمد بن علي الشوكاني رضي الله عنه وارضاه في الفتح الرباني ولفظه اعلم ان معنى التصوف المحمود يعني علم الباطن هو الزهد في الدنيا حتى يستوي عنده ذهبها وترابها .

ثم الزهد فيما يصدر عن الناس من المدح والذم حتى يستوي عنده مدحهم وذمهم .

ثم الاشتغال بذكر الله وبالعبادة المقربة اليه ، فمن كان هكذا فهو الصوفي حقا وعند ذاك يكون من أطباء القلوب فيداويها بما يمحو عنها الطواغيت الباطنية من الكبر والحسد ، والعجب والرياء وامثال هذه الغرائز الشيطانية التي هي اخطر المعاصي واقبح الذنوب . ثم يفتح الله له ابوابا كان عنها محجوبا كغيره لكنه لما اماط عن ظاهرة وباطنة في غشاوة صار حينئذ صافيا عن شوب الكدر مطهرا عن

دنس الذنوب فيبصر ويسمع ويفهم بحواس لا يحجبها عن حقائق الحق حاجب ، ولا يحول بينها وبين درك الصواب حائل ويدل على ذلك اتم دلالة واعظم برهان ما ثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : يقول الله تعالى من عادىٰ لي وليًّا فقد بارزته بالمحاربة ، وفي رواية فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الي عبدي بمثل ما افترضت عليه ، ولا زال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى احبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي ، ولأن سألني لأعطينه ، ولإن استعاذني لأعذينه ، وما ترددت في شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه .

ومعلوم ان من كان يبصر بالله سبحانه ويسمع به ويبطش به ويمشي به له حال يخالف حال من لم يكن كذلك لأنها تنكشف له الأمور كما هي وهذا هو سبب ما يُحكى عنهم من المكاشفة لأنه قد ارتفع عنهم حجب الذنوب وذهب عنهم ادران المعاصي وغيرهم من لا يبصر ولا يسمعه به ولا يبطش به ولا يمشي به لا يدرك من ذلك شيئا بل هو محجوب عن الحقائق غير مهتد الى مستقيم الطريق كما قال الشاعر :

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها ... سواها وما طهرتها بالمدامع
وتلتذ منها بالحديث وقد جرى ... حديث سواها في خروق المسامع
أجلك يا ليلى عن العين انما ... اراكِ بقلب خاشع لكِ خاضع

وأما من صفا عن الكدر وسمع وأبصر فهو كما قال الآخر :

الا أن وادي الجزع اضحى ترابه ... من المسك كافوراً واعواده رنداً
وما ذاك الا أن هنداً عشية ... تمشت وجوت في جوانبه بُرداً

ومما يدل على هذا المعنى الذي افاده حديث ابي هريرة حديث اتقوا فراسة المؤمن فانه يرى بنور الله ، وهو حديث صححه الترمذي فانه افاد ان المؤمنين من عباد الله يبصرون بنور الله سبحانه وهو معنى ما في الحديث الأول من قوله ﷺ فبي يبصر .

فما وقع من هؤلاء القوم الصالحين من المكاشفات هو من هذه الحيثية الواردة في الشريعة المطهرة وقد ثبت ايضا في الصحيح عنه ﷺ انه في هذه الأمة محدثين وأن منهم عمر بن الخطاب ، ففي هذا الحديث فتح باب المكاشفة لصالحي عباد الله وان ذلك من الله سبحانه فيحدثون بالوقائع بنور الايمان الذي هو من نور الله سبحانه فيعرفونها كما هي حتى كان محدثا يحدثهم بها ويخبرهم بمضمونها .

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقع له من ذلك الكثير الطيب في وقائع معروفة منقولة في دواوين الاسلام ، ونزل بتصديق ما تكلم به القرآن(١) الكريم ، فمن كان من صالحي العباد متصفا بهذه الصفات متسما بهذه السمات فهو رجل العالم فرد الدهر وزين العصر والاتصال به مما تلين به القلوب وتخشع له الافئدة وتنجذب بالاتصال به العقول الصحيحة الى مراضي الرب سبحانه ، وكلماته هي الترياق المجرب وإشاراته هي طب القلوب القاسية وتعليماته كيمياء السعادة وإرشاداته هي الموصلة الى الخير الاكبر والكرمات الدائمة التي لا نفاذ لها ولا انقطاع ، ولم تصف البصائر ولا صلحت السرائر بمثل الاتصال بهؤلاء القوم الذين هم خيرة الخيرة واشرف الذخيرة ،فيا لله قوم لهم السلطان الاكبر على

---

(١) كقوله عز وجل ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الارض وقوله سبحانه ولا تصلّ على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره وقوله سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم الى غير ذلك من الموافقات وقد جمعها السيوطي في رسالة مستقلة وبلّغها الى ثمانية عشر او أزيد ، سيد علي حسن خان ولد المؤلف سلمه الله تعالى .

قلوب هذا العالم يجذبونها الى طاعات الله سبحانه ، والاخلاص له ، والاتكال عليه ، والقرب منه ، والبعد عما يشغل عنه ، ويقطع عن الوصول اليه ، وقل ان يتصل بهم ويختلط بخيارهم الا من سبقت له السعادة وجذبته العناية الربانية اليهم لانهم يخفون انفسهم ويطهرون في مظاهر الخمول ، ومن عرفهم لم يدل عليهم الا من اذن الله له ولسان حاله يقول كما قال الشاعر :

وكم سائــل عن سر ليلى كتمته بعمياي عن ليلى بعــين يقين
يقولــون خبّرنــا فأنـت امينها ومــا انــا ان خبّرتهــم بأمين

فيا طالب الخير اذا ظفرت يدك بواحد من هؤلاء الذين هم صفوة الصفوة وخيرة الخيرة فاشددها عليه واجعله مؤثراً على الأهل والمال ، والقريب والحبيب والوطن والسكن ، فانا ان وزنـا هؤلاء بميزان الشرع واعتبرناهـم بمعيار الـدين وجدناهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وقلنا لمعاديهـم او للقادح في عليّ مقامهم انت ممن قال فيه الرب سبحانه كما حكاه عنه رسول الله ﷺ (من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وقد آذنته بالحرب) لأنه لا عيب لهم الا أنهم اطاعوا الله كما يحب وآمنوا به كما يحب ، ورفضوا الدنيا الدنية واقبلوا على الله عز وجل في سرهم وجهرهم وظاهرهم وباطنهـم ، واذا فرضنـا ان في المدعين للتصوف والسلوك من لم يكن بهذه الصفات وعلى هذا الهدى القويم فان بدا منه ما يخالف هذه الشريعة المطهرة وينافي منهجها الذي هو الكتاب والسنـة فليس من هؤلاء ؛ والواجب علينا رَدٌّ بدعته عليه ، والضرب بها في وجهـه كما صح عنه ﷺ انه قال (وكل امر ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ) وصحح عنه ﷺ انه قال (كل بدعَة ضلالة) ومن انكر علينا ذلك قلنـا له وزنـا هذا بميزان الشرع فوجدناه مخلفا له وردنا امره الى الكتاب والسنة فوجدناه مخالفا لهما ، وليس المدين الا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والخارج عنهما المخـالف لهما ضال مضـل ولا

يقدح على هؤلاء الأولياء وجود من هو هكذا فانه ليس معدودا منهم ولا سالكا طريقتهم ولا مهديا بهديهم فاعرف هذا فان القدح في قوم بمجرد فرد او افراد منسوبين اليهم نسبة غير مطابقة للواقع لا تقع الا ممن لا يعرف الشرع ولا يهتدي بهديه ولا يبصر بنوره .

وبالجملة فمن اراد ان يعرف أولياء هذه الأمة وصالحي المؤمنين المتفضل عليهم بالفضل الذي لا يعد له فضل والخير الذي لا يساويه خير ، فليطالع الحِلية لأبي نعيم ، وصفوة الصفوة لابن الجوزي ، فانهما تحريا ما صح وأودعا كتابيهما من مناقب الأولياء المروية بالأسانيدِ الصحيحة ما يجذب بعضه بطبع من يقف عليه الى طريقتهم والاقتداء بهم ، وأقل الأحوال ان يعرف مقادير اولياء الله وصالحي عباده ويعلم انهم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم ، وقد صح عنه ﷺ انه قال (انت مع من احببت) فمحبة الصالحين قربة لا تهمل وطاعة لا تضيع وان لم يعمل كعملهم ولا جهد نفسه كجهدهم انتهى حاصله .

وأما ما يحدث من أولياء الله سبحانه وتعالى من الكرامات الظاهرة التي لا شك فيها ولا شبهة فهو حق صحيح لا يمتري فيه من له ادنى معرفة باحوال صالحي عباد الله المخصوصين بالكرامات التي اكرمهم بها وتفضل بها عليهم ، ومن شك في شيء من ذلك نظر في كتب الثقات المدونة في هذا الشأن كحلية الأولياء للشرجي ، وكتاب روض الرياحين لليافعي ، وسائر الكتب المصنفة في تاريخ العالم فان كلها مشتملة على تراجم كثير منهم ويغني عن ذلك كله ما قصه الله الينا في كتابه العزيز عن صالحي عباده الذين لم يكونوا انبياء ، كقصة ذي القرنين وما تهيأ له مما تعجز عنه الطباع البشرية ، وقصة مريم كما حكاه الله تعالى .

ومن ذلك قصة اصحاب كهف فقد قص الله علينا فيها اعظم كرامة ، وقصة آصف من برخيا حيث حكى عنه قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك

وغير ذلك مما حكاه عن غير هؤلاء والجميع ليسوا بأنبياء ، وثبت في الأحاديث الثابتة في الصحيح مثل حديث الثلثة الذي انطبقت عليهم الصخرة ، وحديث جريج الراهب الذي كلمه الطفل ، وحديث المرأة التي قالت سائلة الله عز وجل ان يجعل الطفل الذي ترضعه مثل الفارس فأجاب الطفل بما اجاب ، وحديث البقرة التي كلمت من اراد ان يحمل عليها واقلت اني لم اخلق لهذا .

ومن ذلك وجود القطف من العنب عند خبيب الذي اسرته الكفار .

وحديث ان اسيد بن حضير وعبادة بن بشر خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصاحبين وحديث رُب اشعث اغبر مدفوع بالأبواب لو اقسم على الله لأبره .

وحديث لقد كان فيمن قبلكم محدثون .

وحديث ان في هذه الأمة محدثين وان منهم عمر .

ومن ذلك كون سعد بن ابي وقاص مجاب الدعوة ، وهذه الأحاديث كلها ثابتة في الصحيح وورد لكثير من الصحابة رضي الله عنهم كرمات قد اشتملت عليها كتب الحديث والسير .

ومن ذلك الأحاديث الواردة في فضلهم والثناء عليهم كما ثبت في الصحيح انه قال رجل : اي الناس افضل يا رسول الله : قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، قال ثم من ؟ قال ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه .

وحديث كن في الدنيا كأنك غريب او عابر سبيل وهذه الأحاديث كلها في الصحيح وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية .

باب العين المهملة

علم عجائب القلب

وله معنيان احدهما اللحم الصنوبري المودع في الجانب الأيسر من الصدور وفي باطنه دم اسود ينبعث منه بخار لطيف يسري الى سائر البدن ويحدث منه الحواس الظاهرة والباطنة والحيوانات كلها متشاركة في هذا النوع من القلب ولهذا يسمى الروح الحيواني .

وثانيهما لطيفة ربانية نورانية نازلة من عالم القدس يتعلق بالقلب بالمعنى الأول وهو المخاطب والمكلف وبه يثاب الانسان ويعاقب ولهذا يسمى الروح الانساني .

ثم ان للانسان نفسا وهي قوة حالة في البدن تنشأ منها الشهوة والغضب ، وبين الروح الانساني والنفس مجادلة مستمرة ولكل منهما قوى تعين وتجادل مع الأخرى ، والعقل هو المميز بينهما وتفاصيل تلك القوى وكيفية المخاصمة بينهما وحكم العقل بين الطرفين مفصلة في موضعها ولسنا نحن بصدد بيانها في هذا المختصر ذكره في مدينة العلوم تحت ذكر الاخلاق المهلكات .

علم العدد

هكذا في كشف الظنون ويسمى الارثماطيقي وقد تقدم في باب الألف من

اول الكتاب وقال في كشاف اصطلاحات الفنون علم العدد هو من أصول الرياضي ويسمى بعلم الحساب ايضا وهو نوعان :

نظري وهو علم يبحث فيه من ثبوت الاعراض الذاتية للعدد وسلبها عنه وهو المسمى بالارتماطيقي وتشتمل عليه المقالات الثلث السابعة والثامنة والتاسعة من كتاب الأصول وموضوعه العدد مطلقا .

وعملي وهو علم يعرف به طرق استخراج المجهولات العددية من المعلومات العددية والمراد بها مجهولات لها نسبة الى العدد نسبة الجزئي الى الكلي ، وكذا الحال في المعلومات العددية مثلا في الضرب المضروب والمضروب فيه معلومان ومنهما يستخرج الحاصل الذي هو عدد مجهول بالطريق المعين وكذا في سائر الأعمال .

فهو علم تعرف به الطرق التي يستخرج بها عدد مجهول من عدد معلوم ، وقيد من المعلومات العددية احتراز عما اذا استخرج المجهول العددي بغير علم الحساب كاستخراج عدد الدراهم من علم الرمل ولا يخرج عنه علم المساحة لانها علم بطرق استخراج المجهولات المقدارية من حيث عروض ا لعدد لها فيؤل الى المجهولات العددية عند التأمل .

ثم اعلم ان الحساب العملي نوعان احدهما هوائي تستخرج منه المجهولات العددية بلا استعمال ا لجوارح كالقواعد المذكورة في كتاب البهائية .

وثانيهما غير هوائي وهو المسمى بالتخت والتراب يحتاج الى استعمال الجوارح كالشبكة وضرب المحاذاة .

ثم النظري والعملي ههنا بمعنى ما لا يتعلق بكيفية العمل وما يتعلق بها فتسميه النوع الأول بالنظري ظاهرة ، وكذا تسمية القسم الثاني من النوع الثاني بالعملي .

واما تسمية القسم الأول منه بالعملي فعلى تشبيه الحركات الفكرية بالحركات

الصادرة عن الجوارح ، او يقال المراد بالعمل في تعريفي النظري والعملي أعم من العمل الذهني والخارجي .

ثم اعلم ان لاستخراج المجهولات العددية من معلوماتها طرقا مختلفة وهي إما محتاجة الى فرض المجهول شيئا وهو الجبر والمقابلة ، واما غير محتاجة اليه وهو علم المفتوحات وهي كمقدمات الحساب التي سوى المساحة او مما يحصل ببعض من تلك المقدمات واستعانة بعض القوانين من النسبة وهو شامل اسئلة الخَطَأين ايضا .

وموضوعه العدد مطلقا كما هو المشهور .

والتحقيق ان موضوعه العدد المعلوم تتعقل عوارضه من حيث انه كيف يمكن التأدي منه الى بعض عوارضه المجهولة واما العدد المطلق فانما هو موضوع علم الحساب النظري هذا كله خلاصة ما في شرح خلاصة الحساب والله اعلم بالصواب .

علم العرافة

هو معرفة الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على الحوادث الآتية بالمناسبة او المشابهة الخفية التي تكون بينهما او الاختلاط او الارتباط على ان يكونا معلولي امر واحد او يكون ما في الحال علة لما في الاستقبال ، وشرط كون الارتباط المذكور خفيا ان لا يطلع عليه الا الافراد ، وذلك اما بالتجارب او بالحالة المودعة في انفسهم عند الفطرة بحيث عبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمحدثين المصيبين في الظن والفراسة .

حكي ان الاسكندر حين اراد قتال ملك الفرس قال ذلك الملك لا حاجة الى مقابلة عساكرهم نقاتل معك فاما ان تقتلني واما ان اقتلك ففرح الاسكندر بهذا الكلام حيث قدم ذلك الملك نفسه في ذكر القتل فكان كما قال .

ويُحكى عنه ايضا انه لما دخل بلاد المغرب فمر على امرأة في مدينة تنسج ثوبا فقالت له ايها الملك اعطيت ملكا ذا طول وعرض ، ثم مر عليها الملك الأول فقالت له : سيقطع الاسكندر ملكك فغضب الملك فقالت لا تغضب ان النفوس قد تشاهد امورا قبل وقوعها بعلامات تحكم النفس بصدقها ، لما مر على الاسكندر كنت انسج طول الثوب وعرضه ، ولما مررت انت فرغت وأردت قطعه ، وكان الأمر كما قالت .

ويُحكى انه كان في زمن هارون الرشيد رجل اعمى من أهل العرافة وكان يستدل على المسئول عنه بكلام مصدر عن الحاضرين عقيب السؤال فسرق يوما من خزانة هارون بعض من الأشياء فطلب الرجل وأمر أن لا يتكلم احد بعد السؤال اصلا ففعلوا كما امر هارون والأعمى القى سمعه ولم يسمع شيئاً فامرّ يده على البساط فوجد فيه نواة تمرة فقال ان المسئول عنه درٌّ وَزَبَرْجَدٌ وياقوتٌ فقال الرشيد في اين هو ؟ قال في بئر فوجدوه كما ذكر الأعمى فتحير الرشيد فيه .

فسأل عن سبب معرفته .

فقال وجدت نواة تمرة وطلع النخل ابيض ، وهو كالدرة ثم يكون بسرا وهو اخضر وهو لون الزمرد ، ثم يكون رطبا وهو احمر وهو لون الياقوت ، ثم لما سألتم عن مكان المسروق سمعت صوت دلو فعرفت انه في بئر فاستحسن الرشيد فراسته فاعطاه مالا جزيلا .

وحُكي ان أبا معشر وصاحبه ذهبا الى عرّافٍ فسألاه عن شيء فقال انكما سألتما عن مسجون ، فقالا انه يخلص قال نعم يخلص فسألاه عن سبب معرفته فقال انكما لما سألتماني وقع نظري على قربة ماء فعرفت ان السؤال عن مسجون ، ولما سألتماني عن خلاصة نظرت فاذا هو قد فرغ قربته .

وحكى عن المهدي انه رأى رؤيا فنسيها فأمر بعرّافٍ فأحضر فسأله عن رؤياه فقال يا امير المؤمنين صاحب العرافة ينظر الى الحركة فغضب المهدي من انه

يدعي العرافة ولا يعرف شيئا فوضع يده على رأسه ثم مسح وجهه ثم ضرب بيده على فخذه من شدة غضبه قال العراف يا امير المؤمنين اخبرك عن رؤياك .

انك صعدت على جبل ثم نزلت الى ارض ملساء فيها عينان مالحتان ثم لقيت رجلا من قريش ، فسأله المهدي عن سبب معرفته فقال مسحت الرأس وهو الجبل ، ومسحت الجبهة وهي ارض ملساء فيها عينان مالحتا ن ، ثم مسحت الفخذ وهي قبيلتك ، قال المهدي صدقت وامر له بمال جزيل وأمثال هذه الحكايات كثيرة يعرفها من تتبع المحاضرات ذكر ذلك صاحب مدينة العلوم .

علم العروض

هو علم يبحث فيه عن احوال الاوزان المعتبر للشعر العارضة للألفاظ والتراكيب العربية .

وموضوعه الألفاظ العربية من حيث انها معروضة للايقاعات المعتبرة في البحور الستة عشر عند العرب على ما وضعه واضع هذا الفن خليل بن احمد .

فعلى الأول يكون من فروع الموسيقى .

وعلى الثاني من فروع علم الشعر على مدهب المتأخرين .

وان اعتبرت في الأشعار العربية تكون من فروع العلوم الأدبية .

وغايته الاحتراز عن الخطأ في ايراد الكلام على الايقاعات المعتبرة .

ومباديه مقدمات حاصلة من تتبع اشعار العرب كذا في مدينة العلوم .

قال ابن صدر الدين الشرواني في الفوائد الخاقانية هو علم يبحث فيه عن المركبات الموزونة من حيث وزنها .

واعلم ان اول من اخترع هذا الفن الامام خليل بن احمد تتبع اشعار العرب وحصرها في خمسة عشر وزنا وسمى كلا منها بحرا قيل انما وضعه احمد

وهذبه الجوهري وزاد الأخفش بحرا آخر سماه المتدارك ، ولا حاكم في هذه الصناعة الا استقامة الطبع وسلامة الذوق .

فالذوق ان كان فطريا سليقيا فذاك والا احتيج في اكتسابه الى طول خدمة هذا الفن .

ومن الكتب المؤلفة فيه عروض ابن الحاجب والخطيب التبريزي .

وعروض ابن القطاع .

وعروض ابي الجيش الاندلسي .

وعروض الخزرجي .

وعروض الخليل بن احمد النحوي الى غير ذلك .

وللآيكي مختصر بديع وشفاء العليل في علم الخليل لامين الدين المحلي ، وفيما اورده السكاكي في تكملة مفتاح العلوم كفاية في هذا الفن والكتب والرسائل في هذا العلم بالفارسية والعربية كثيرة شهيرة متداولة بين ايدي الناس .

علم العزائم

العزائم مأخوذ من العزم وتصميم الرأي والانطواء على الأمر والنية فيه والايجاب على الغير يقال عزمت عليك اي اوجبت عليك حتمت .

وفي الاصطلاح الايجاب والتشديد والتغليظ على الجن والشياطين ما يبدو للحائم حوله المتعرض لهم به وكلما تلفظ بقوله عزمت عليكم فقد اوجب عليهم الطاعة والاذعان والتسخير والتذليل لنفسه وذلك من الممكن والجائز عقلا وشرعا[1] ومن انكرها لم يعبأ به لأنه يفضي الى انكار قدرة الله سبحانه وتعالى ،

---

(١) فيه نظر واضح لأن المشرع لم يرد بالعزائم وانما ورد بجواز بعض الرقي وليست العزائم في شيء وقد بين ذلك للمؤلف مد ظله في جواب سؤال ورد من جهة بعض اهل البصرة في كتابه دليل الطالب الى ارجح المطالب فليراجع اليه ، مولوي محمد ايوب صاحب مفتي رياست بهوبال سلمه الله تعالى .

لأن التسخير والتدليل اليه وانقيادهم للانس من بديع صنعه .

وسئل آصف بن برخيا هل يطيع الجن والشياطين للانس بعد سليمان عليه السلام ؟ فقال يطيعونهم ما دام العالم باقيا ، وانما يتسق باسمائه الحسنى وعزائمه الكبرى واقسامه العظام والتقرب اليه بالسير المرضية .

ثم هو في اصله وقاعدته على قسمين محظور ومباح .

الأول هو السحر المحرم .

واما المباح فعلى الضد والعكس اذ لا يستتم منه شيء الا بورع كامل وعفاف شامل وصفاء خلوة وعزلة عن الخلق وانقطاع الى الله تعالى .

وقد علمت ان التسخير الى الله تعالى غير ان المحققين اختلفوا في كيفية اتصاله بهم منه تعالى .

فقيل على نهج لا سبيل لاحد دونه عز وجل .

وقيل بالعزيمة كالدعاء واجابته .

وقيل بها والسير المرضية .

وقيل بالجواسيس الطائعين المتهيئين .

وقيل بالمحتسبة والسيارة .

وقيل بالعمار هذا ما يعتمد من كلام المحققين .

قال فخر الأئمة اما الذي عندي انه اذا استجمع الشرائط وصوّب العزائم صيرها الله تعالى عليهم نارا عظيمة محرقة لهم مضيقة اقطار العالم عليهم كيلا يبقى لهم ملجأ ولا متسع الا الحضور والطاعة فيما يأمرهم به واعلى من هذا انه اذا كان ما هو مسيراً في سيرة الرضية واخلاقه الحميدة فانه يرسل عليهم ملائكة أقوياء غلاظ اشداد ليزجروهم ويسوقوهم الى طاعته وخدمته .

وأثبت المتكلمون وغيرهم من المحققين هذه الأصول حيث قالوا .

اما يمنع من ان يكون من الكلام من اسماء الله تعالى أو غيرها في الكتب

والعزائم والطلمسات ما اذا حفظه الانسان وتكلم به سخر الله تعالى بعض الجن وألزم قلبه وطاعته واختياره بما طلب منه من الأمور الكائنة فيما عرفه الجني وشاهده ليخبر به الانسي وهذا هو بيان قول من قال ان منهم متهيئين وجواسيس قالوا وطاعتهم للإنس غير ممتعة في عقل ولا سمع .

علم عقود الأبنية

علم يتعرف منه احوال اوضاع الأبنية وكيفية احكامها وطرق حسنها كبناء الحصون المحكمة وتنضيد المنازل البهية والقناطر المشيدة وامثالها واحوال كيفية شق الانهار وتقنية القنئي وسد البثوق[1] وإنباط المياه ونقلها من الأغوار الى النجود وغير ذلك .

ومنفعته في عمارة المدن والمنازل والقلاع وفي الفلاحة ظاهرة عظيمة .

وفيه كتاب لابن الهيثم وكتاب آخر للكرخي وللنصارى حكام الهند وهم البرطانية يد طولى في هذا العلم .

علم علل القرَاءَات

علم باحث عن لمية القراءات كما ان علم القراءات باحث عن انيتها فالأول دراية والثاني رواية .

ولما كانت الرواية اصلا في العلوم الشرعية جعل الأول فرعا والثاني اصلاً ولم يعكس الامر وان امكن ذلك باعتبار آخر وموضوع هذا العلم وغايته ظاهران للمتأمل المتيقظ ذكره في مدينة العلوم .

---

(١) بَثَقَ النهر بثقاً وبثقاء تبثاقاً كسر نشطه لينبثق الماء كبثقة واسم ذلك الموضع البثق ويكسر جمعه بثوق ، قاموس .

علم عمل الاصطرلاب

علم يتعرف منه كيفية استخراج الأعمال الفلكية من الاسطرلاب بطريق خاصة في كتبه وهذا ايضا علم نافع يستخرج منه كثير من الأعمال من معرفة ارتفاع الشمس ومعرفة المطالع والطوالع ومعرفة اوقات الصلوٰة وسمت القبلة ومعرفة طول الأشياء بالذراع وعرضها الى غير ذلك وفي هذا العلم رسائل كثيرة مشهورة عند اهله .

علم عمل ربع الدائرة

وهو علم يعرف منه كيفية استخراج الأعمال الفلكية بطرق مختصة وفي هذا العلم رسائل كثيرة ايضا يعرفها اهله .

وصنفت فيه في عنفوان الشباب رسالة نافعة جامعة لجميع الأعمال وللاعمال الفلكية آلات أُخر سوى ما ذكر كالعصا والزرقالة والشكازية وأمثالها فلا نطول الكلام بذكرها لأن الكلام فيها كالكلام فيما سبق ذكره في مدينة العلوم .

علم العيافَة

ويسمى قيافة الاثر ، وهو علم باحث عن تتبع آثار الاقدام والاخفاف والحوافر في المقابلة للاثر وهي التي تكون في تربة حرة يتشكل بشكل القدم .

ونفع هذا العلم بيّن اذ القائف يجد بهذا العلم الفار من الناس والضوال من الحيوان يتتبع آثارها وقوائمها بقوة الباصرة وقوة الخيال والحافظة ، حتى يحكى ان بعض من اعتنى به يفرق بين اثر قدم الشاب والشيخ وقدم الرجل والمرأة وهو غريب كذا في مدينة العلوم لكن الذي يفيده المصباح والقاموس ان العيافة هي زجر الطير فلينظر في ذٰلك .

بابُ الغين المعجمة
علم غريب الحديث والقرآن

قال ابو سليمان محمد الخطابي الغريب من الكلام انما هو الغامض البعيد من الفهم كما ان الغريب من الناس انما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الاهل والغريب من الكلام يقال به على وجهين :

احدهما ان يراد به انه بعيد المعنى غامضه لا يتناوله الفهم الا عن بعد ومعاناة فكر .

والوجه الآخر يراد به كلام من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب فاذا وقعت الينا الكلمة من كلامهم استغربناها انتهى .

وقال ابن الاثير في النهاية وقد عرفت ان رسول الله ﷺ كان افصح العرب لسانا حتى قال له علي رضي الله عنه وقد سمعه يخاطب وفد بني نمر يا رسول الله نحن بنوابٍ واحد ونراك تكلم وفود الغرب بما لا نفهم اكثره فقال ادبني ربي فأحسن تأديبي .

فكان عليه الصلوٰة والسلام يخاطب العرب عَلى اختلاف شعوبهم وقبائلهم بما يفهمونه ، فكان الله عز وجل قد اعلمه ما لم يكن يعلمه غيره وكان اصحابه يعرفون اكثر ما يقوله وما جهلوه سألوه عنه فيوضحه لهم واستمر عصره الى حين وفاته عليه الصلوٰة والسلام .

وجاء عصر الصحابة جاريا على هذا النمط فكان اللسان العربي عندهم صحيحا لا يتداخله الخلل الى ان فتحت الامصار وخالط العرب غير جنسهم فامتزجت الالسن ونشأ بينهم الاولاد فتعلموا من عصر الصحابة وجاء التابعون فسلكوا سبيلهم فلما انقضى زمانهم الا واللسان العربي قد استحال اعجميا ، فلما اعضل الداء ألهم الله سبحانه وتعالى جماعة من اولي المعارف ان صرفوا الى هذا الشأن طرفا من عنايتهم فشرعوا فيه حراسة لهذا العلم الشريف .

فقيل ان اول من جمع في هذا الفن شيئا ابو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري المتوفى سنة عشر ومائتين فجمع كتابا صغيرا ولم تكن قلته لجهله بغيره ، وانما ذلك لامرين :

احدهما : ان كل مبتدىء بشيء لم يسبق اليه يكون قليلا ثم يكثر .

والثاني : ان الناس كان فيهم يومئذ بقية وعندهم معرفة فلم يكن الجهل قد عمّ ، وله تأليف آخر في غريب القرآن ، وقد صنف عبد الواحد بن احمد المليح المتوفى سنة اثنتين وستين واربعمائة كتابا في ردّه ، وابو سعيد احمد بن خالد الضرير وموفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي المتوفى سنة تسع وعشرين وستمائة صنفا في ردّ غريب الحديث .

ثم جمع ابو الحسن النضر بن شميل المازني النحوي بعده اكثر منه المتوفي سنة اربع ومائتين ثم جمع عبد الملك بن قريب الاصمعي كتابا احسن فيه واجاد ، وكذلك محمد بن المستنير المعروف بقطرب وغيره من الائمة جمعوا احاديث وتكلموا على لغتها في اوراق ولم يكد احدهم ينفرد عن غيره بكثير حديث لم يذكره الآخر .

ثم جاء ابو عبيد القاسم بن سلام بعد المائتين فجمع كتابه فصار هو القدوة في هذا الشأن فانه افنى فيه عمره حتى لقد قال فيما يروى عنه اني جمعت كتابي هذا في اربعين سنة وربما كنت استفيد الفائدة من الافواه فأضعها في موضعها فكان

خلاصة عمري وبقي كتابه في ايدي الناس يرجعون اليه في غريب الحديث وعليه كتاب مختصر لمحب الدين احمد بن عبد الله الطبري المتوفى سنة اربع وتسعين وستمائة سماه بقريب المرام في غريب القاسم بن سلام مبوباً على الحروف .

ثم جاء عصر ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ست وسبعين ومائتين فصنف كتابه المشهور حذا فيه حذو ابي عبيدة فجاء كتابه مثل كتابه او اكبر .

وقال في مقدمته أرجو ان لا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لاحد فيه مقال .

وقد كان في زمانه الامام ابراهيم بن اسحٰق الحربي الحافظ وجمع كتابه فيه وهو كبير في خمس مجلدات بسط القول فيه واستقصى الاحاديث بطرق اسانيدها وأطاله بذكر متونها وان لم تكن فيها الا كلمة واحدة غريبة فطال لذلك كتابه فترك وهجر وان كان كثير الفوائد توفي رحمه الله ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين .

ثم صنف الناس غير من ذكر منهم شمر بن حمدويه وابو العباس احمد بن يحيى المعروف بثعلب المتوفى سنة خمس وثمانين ومائتين ، وابو بكر محمد بن قاسم الانباري المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ، واحمد بن حسن الكندي ، وابو عمر ، ومحمد بن عبد الواحد الزاهد صاحب ثعلب المتوفى سنة خمس واربعين وثلثمائة وغريبه غريب مسند الامام احمد وغير هؤلاء اقول كأبي الحسين عمر بن محمد القاضي المالكي المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ولم يتم ، وابي محمد سلمة بن عاصم النحوي ، وابي مروان عبد الملك بن حبيب المالكي المتوفى سنة تسع وثلثين ومائتين ، وابي القاسم محمود بن ابي الحسن بن الحسين النيسابوري الملقب ببيان الحق ، وقاسم بن محمد الانباري المتوفى سنة اربع وثلثمائة ، وابي شجاع محمد بن علي بن الدهان البغدادي المتوفي سنة تسعين وخمسمائة وهو كبير في ستة عشر مجلدا ، وابي الفتح سليم بن ايوب الرازي المتوفى سنة اثنتين واربعين

واربعمائة ، وابن كيسان محمد بن احمد النحوي المتوفى سنة تسع وستين ومائتين ، ومحمد بن حبيب البغدادي النحوي المتوفى سنة خمس واربعين ومائتين وابن درستويه عبد الله بن جعفر النحوي المتوفى سنة سبع واربعين وثلثمائة واسمعيل ابن عبد الغافر راوي صحيح مسلم المتوفى سنة خمس واربعين واربعمائة وكتابه جليل الفائدة مجلد مرتب على الحروف .

واستمر الحال الى عهد الامام ابي سليمان احمد بن محمد الخطابي البستي المتوفى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة فألف كتابه المشهور سلك فيه نهج ابي عبيدة وابن قتيبة فكانت هذه الثلثة فيه امهات الكتب الا انه لم يكن كتاب صنف مرتباً يرجع الانسان عند طلبه الا كتاب الحربي وهو على طوله لا يوجد الا بعد تعب وعناء ، فلما كان زمان ابي عبيد احمد بن محمد الهروي المتوفى سنة احدى واربعمائة صاحب الازهري وكان في زمن الخطابي صنف كتابه المشهور في الجمع بين غريبي القرآن والحديث ورتبه على حروف المعجم على وضع لم يسبق فيه ، وجمع ما في كتب من تقدمه فجاء جامعا في الحسن الا انه جاء الحديث مفرقا في حروف كلماته فانتشر فصار هو العمدة فيه وما زال الناس بعده يتبعون اثره الى عهد ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري فصنف الفائق ورتبه على وضع اختاره مقفى على حروف المعجم ولكن في العثور على طلب الحديث منه كلفة ومشقة لانه جمع في التقفية بين ايراد الحديث مسرودا جميعه او اكثره ثم شرح ما فيه من غريب فيجيء بشرح كل كلمة غريبة يشتمل عليها ذلك الحديث في حرف واحد فرد الكلمة في غير حروفها ، واذا طلبها الانسان تعب حتى يجدها فكان كتاب الهروي اقرب متناولا واسهل مأخذا .

وصنف الحافظ ابو موسى محمد بن ابي بكر الاصفهاني كتابا فيه ما فات الهروي من غريب القرآن والحديث مناسبة وفائدة ورتبه كما رتبه ثم قال واعلم انه سيبقى بعد كتابي اشياء لم تقع لي ولا وقفت عليها لان كلام العرب لم ينحصر

وتوفي سنة احدى وثمانين وخمسمائة سماه كتاب الغث كمل به الغريبين ، ومعاصره ابو الفرج عبد الرحمن بن علي الامام ابن الجوزي صنف كتابا في غريب الحديث نهج فيه طريق الهروي مجردا عن غريب القرآن وكان فاضلا لكنه يغلب عليه الوعظ وقال فيه قد فاتهم اشياء فرأيت ان ابذل الوسع في جمع غريب وارجو ان لا يشذ عني مهم من ذلك . قال ابن الاثير ولقد تتبعت كتابه فرأيته مختصرا من كتاب الهروي منتزعا من ابوابه شيئا فشيئا ولم يزد عليه الا الكلمة الشاذة واما ابو موسى فانه لم يذكر في كتابه مما ذكره الهروي الا كلمة اضطر الى ذكرها فان كتابه ايضا يضاهي كتاب الهروي لان وضعه استدراك ما فات الهروي ، ولما وقفت على ذينك الكتابين وهما في غاية من الحسن ، واذا اراد احد كلمة غريبة يحتاج اليهما وهما كبيران ذوا مجلدات عدة فرأيت ان اجمع بين ما فيهما من غريب الحديث مجرد من غريب القرآن واضيف كل كلمة الى اختها وتمادت بي الايام فحينئذ امعنت النظر في الجمع بين الفاظهما فوجدتهما على كثرة ما اودع فيهما قد فاتهما الكثير فاني في باديء الامر مر بذكري كلمات غريبة من احاديث البخاري ومسلم لم يرد شيء منها في هذين الكتابين فحيث عرفت نبهت لاعتبار ما سوى هذين من كتب الحديث فتتبعتها واستقصيت قديما وحديثا فرأيت فيها من الغريب كثيرا واضفت ما عثرت عليه .

وانا اقول كم يكون ما قد فاتني من الكلمات الغريبة تشتمل عليها احاديث رسول الله ﷺ واصحابه وتابعيهم ذخيرة لغيري انتهى كلام ابن الاثير من كتابه المسمى بالنهاية ملخصا .

اقول وصنف الارموي بعده كتابه في تتمة كتابه وصنف مهذب الدين بن الحاجب عشر مجلدات وتصنيف قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي المتوفى سنة ثلثين وثلثمائة بسرقسطه كان في عصر الحربي ذلك في الشرق هذا في الغرب ولم يطلع احدهما على ما صنع الآخر ذكره البقاعي رحمه الله تعالى .

علم غرائب لغات الحديث

وهذا علم شريف موضوعه لطيف نفعه وغايته ولقد صنف فيه العلامة الزمخشري كتاب الفائق والامام ابن الاثير الجزري كتاب النهاية قال في مدينة العلوم وقد ذكرنا هذين الكتابين في علم اللغة لان هذا العلم قد يعد من فروع علم اللغة ايضا انتهى وهذا هو العلم المتقدم[1] .

علم الغنج

عده صاحب الموضوعات من فروع علم الموسيقى وقال :

هو علم باحث عن كيفية صدور الافعال الموزونة المهيجة للشوق والميل الطبعي التي تصدر عن العذارى والنسوان الفائقات الجمال المتصفات بالظرف والكمال اذا اقترن الحسن الذاتي بالغنج الطبعي كاملا في الغاية وان كان الغنج متكلفا او عرضيا يكون دون الاول لكن كل شيء من المليح مليح وهذا الغنج ان وقع اثناء المباشرة وحال المخالطة والتقبيل وغير ذلك كان محركا لقوة الوقاع وينتفع به العاجزون عن القربان كل الانتفاع وهذا الغنج مرخص في الشرع ويحمد هو هو من النساء في تلك الحال بل قد تؤجر هي عليه في الجماع الحلال ونساء العرب مشهورات بين الرجال بحسن الغنج ولطف الدلال يتعلمنه في صغرهن ومثله في مدينة العلوم .

---

(١) فيه كتاب مجمع البحار للشيخ محمد طاهر الفتني وهو اجمع ما جمع في هذا العلم وعليه التعويل في شرح غريب الكتب الستة الامهات وغيرها وقد طبع بالهند وعم نفعه . مولانا عبد القيوم بن المولوي محمد عبد الحي المرحوم سلمه الله تعالى وابقاه .

باب الفاء

علم الفال

هو علم يعرف به بعض ما يحدث من الحوادث الآتية بطريق اتفاق حدوث امر من جنس الكلام المسموع من الغير او بفتح المصحف او كتب الانبياء والمشائخ كديوان الحافظ والمثنوي ونحوهما .

وموضوع هذا العلم ظاهر من تعريفه .

ومنفعته وفائدته كعلم الرمل .

وقد اشتهر ديوان الحافظ بالتفاؤل حتى صنفوا فيه ، وهو ديوان معروف متداول بين اهل الفرس ويتفاءل به ، وكثيراً ما جاء بيت منه مطابقا بحسب حال المتفاءل ولهذا يقال له لسان الغيب ، وقد الف في تصديق هذا المدعا محمد بن الشيخ محمد الهروي رسالة مختصرة وأورده اخباره متعلقة بالتفاءل به ووقع مطابقا لمقتضى حال المتفائل .

وافرط في مدح الشيخ المذكور وللكفري حسين المتوفى بعد سنة ثمانين وتسعمائة رسالة تركية في تفاؤلات ديوان الحافظ مشحونة بالحكايات الغريبة .

وقد شرحه مصطفى بن شعبان المتخلص بسروري المتوفى سنة تسع وستين تسعمائة شرحا تركيا .

وأما التفاؤل بالقرآن الكريم فجوزه بعضهم لما روي عن الصحابة وكان

عليه الصلوٰة والسلام يحب الفال وينهي عن الطيرة .

ومنعه آخرون وقد صرح الامام العلامـة ابـو بكر بن العربـي في كتابـه الاحكام في سورة المائدة بتحريم اخذ الفال وهو الحق ، ونقله الامام القرافي عن الامام الطرطوشي ايضا .

قال الدميري ومقتضى مذهبنا كراهيته ، لكن اباحه ابن بطة الحنبلي .

قال في مدينة العلوم الاصح الذي شهد الشرع بجوازه التجربة بصدقه هو التفاؤل بالقرآن العظيم وقد نقل عن الصحابة وعن السلف الصالحين وطريق فتح الفال من المصحف كثير مشهور عند الناس لكن الاحسن الاعتبار بالمعاني دون الالفاظ والحروف انتهى .

قلت والمعتمد عدم التفاؤل من كتاب الله ولم يرو عن السلف بطريق يعمد عليها في هذا الباب ، ولم يقل به احد من اهل العلم بالحديث واذا كان فتـح الفال من التنزيل ممنوعا فكيف بغيره من كتب الانبياء والاولياء والمشائخ ؟

وقد تدرب بهذا نوع من الشرك في عقائد المسلمين اعاذنا الله منه نعم كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعجبه الفال ولا يتطير .

ولما هاجر الى المدينة وقاربها سمع مناديا ينادي يا سالـم فقـال لاصحابـه سلمنا .

فلما دخل المدينة سمع قول الآخر يقول يا غانم فقال غنمنا .

فلما نزل أُتي برطب فقال حلانا البلد رواه اهل السير والله اعلم بسنده ، وامثال ذلك كثيرة والاقتصار على ما وردت به السنة اسلم وأصون للدين واما الطيرة والزجر فهو عكس الفال لان المطلوب في الفال الإقدام وفي الطيرة الإحجام واصل الزجر ان يتشاءم الانسان من شيء تتأثـر النفس من وروده على المسامـع والمناظر تأثرا لا بالطبع فان التنفر الطبيعي كالنفـرة من صوت صرير الزجـاج او الحديد ليس من هذا القبيل .

واشتقاق التطير من الطير لان اصل الزجر في العرب كان من الطير كصوت الغراب فألحق به غيره في التعبير وامثاله من الطيرة في العرب كثيرة .

وقد تكون في غيرهم فيتكدر به عيشهم وينفتح عليهم ابواب الوسوسة من اعتبارهم الى المناسبات البعيدة من حيث اللفظ والمعنى كالسفر والجلاء من السفرجل ، والياس والمين من الياسمين وسوء سنة من السؤسنة والمصادفة الى معلول حين الخروج وامثال ذلك .

قال ابن القيم رحمه الله في مفتاح السعادة اعلم ان مضرة التطير وتأثيره لمن يخاف به ويتغير منه واما من لم يكن له مبالاة منه فلا تأثير له اصلا خصوصا اذا قال عند المشاهدة او السماع اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا إله غيرك انتهى .

قلت وقد نهى ﷺ عن التطير وقال لا طيرة ولا هامة ولا صفر والمسئلة مصرحة في كتب الاحاديث لاسيما في فتح الباري شرح صحيح البخاري ونيل الاوطار شرح منتقى الاخبار وغير ذلك .

علم الفتاوى

هو من فروع علم الفقه .

قال في مدينة العلوم هو علم تروى فيه الاحكام الصادرة عن الفقهاء في الواقعات الجزئية ليسهل الامر على القاصرين من بعدهم .

والكتب المصنفة في هذا العلم اكثر من ان تحصى فلا مطمع لاستقصاء ما فيها واشهر من ان تخفى فلا حاجة الى التعرض لها انتهى .

ولنا كتاب في آداب الفتوى المسمى بذخر المحتي من آداب المفتي وهو نفيس جداً وقد اشتمل كتب الفتاوى على قياسات وتفريعات لا تشهد له ادلة الكتاب ولا نصوص المنة وكثرت بحيث لا يمكن الاحاطة بها .

واختلفت اقوال المفتين من اهل المذاهب فيها اختلافا لا تكاد تضبط والحق

ترك النظر في امثال هذه الخرافات والاباطيل وعدم تضييع الاوقات في الاشتغال بها لعدم ابتناءها على الدليل والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل .

علم الفراسة

عده صاحب مفتاح السعادة من فروع العلم الطبيعي وقال :

هو علم تعرف منه اخلاق الناس من احوالهم الظاهرة من الالوان والاشكال والاعضاء وبالجملة الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن .

وموضوعه ومنفعته ظاهران .

ومن الكتب المؤلفة فيه كتاب الامام الرازي خلاصة كتاب ارسطو مع زيادات مهمة ولاقليمون كتاب في الفراسة يختص بالنسوان ، وكتاب السياسة لمحمد بن الصوفي مختصر مفيد في هذا العلم وكفى بهذا العلم شرفا قوله تعالى (ان في ذلك لأيات للمتوسمين) وقوله سبحانه (تعرفهم بسيماهم) وقوله ﷺ (اتقوا فراسة المؤمن بانه ينظر بنور الله) وقوله ﷺ (كان فيمن كان قبلكم من الامم المحدثون وانه لو كان في امتي لكان عمر) .

قلت المحدث المصيب في ظنه وفرسته كانه حديث الامر وهذا العلم نافع للملوك والصعاليك في اختيار الزوج والصديق والمماليك الى غير ذلك ولا بد للانسان من ذلك العلم لانه مدني الطبع محتاج الى معرفة الضار من النافع ذكره في مدينة العلوم . . .

علم الفرائض

هو علم بقواعد وجزئيات تعرف بها كيفية صرف التركة الى الوارث بعد معرفته وموضوعه التركة والوارث لأن الفرضي يبحث عن التركة وعن مستحقها بطريق الأرث من حيث انها تصرف اليه ارثاً بقواعد معينة شرعية ومن جهة قدر ما

يحرزه ويتبعها متعلقات التركة .

ووجه الحاجة اليه الوصول الى ايصال كل وارث قدر استحقاقه .

وغايته الاقتدار على ذلك وايجاده وما عنه البحث فيه هو مسائله .

واستمداده من أصول الشرع كذا في اقدار الرائض .

واختلف في قوله ﷺ انها نصف العلم فقال طائفة سماهم في ضوء السراج وغيره وهم أهل السلامة لا ندري وليس علينا ذلك بل يجب علينا اتباعه عقلنا المعني او لم نعقل لاحتمال خطأ التأويل .

وأوّل الآخرون على اربعة عشر قولاً .

الأول : سماعا نصفاً باعتبار البلوى رواه البيهقي .

والثاني : لان الخلو بين طوري الحياة والممات قاله في النهاية وعليه الأكثرون .

الثالث : ان سبب الملك اختياري وضروري فالاختياري كالشراء وقبول الهبة والوصية والضروري كالإرث قاله صاحب الضوء وغيره .

الرّابع : تعظيما لها كذا في الابتهاج .

الخامس : لكثرة شعبها وما يضاف اليها من الحساب قاله صاحب إغاثة اللهاج .

السادس : لزيادة المشقة قاله نزيل حلب .

السابع : باعتبار العلمين لأن العلم نوعان علم يحصل به معرفة اسباب الارث وعلم يعرف به جميع ما يجب قاله صاحب الضوء وغيره .

الثامن : باعتبار الثواب لانه يستحق الشخص بتعليم مسئلة واحدة من الفراض مائة حسنة وبتعليم مسئلة واحدة من الفقه عشر حسنات ولو قدرت جميع الفراض عشر مسائل وجميع الفقه مائة مسئلة يكون حسنات كل واحد منهما الف حسنة وحينئذ تكون الفرائض باعتبار الثواب مساوية لسائر العلوم .

التاسع : باعتبار التقدير يعني انك لو بسطت علم الفرائض كل البسط لبلغ حجم فروعه مثل حجم فروع سائر الكتب كما في شرح السراجية .

العاشر : سماها نصف العلم ترغيبا لهم في تعلم هذا العلم لما علم انه اول علم ينسى وينتزع من بين الناس .

وورد انها ثلث العلم وفي الجمع بينهما ما أجاب ابن عبد السلام المالكي في شرحه لفروع ابن الحاجب ان الجمع ليس واجبا على الفقيه ، قال الفقيه الامام ابو منصور عبد القاهر بن طاهر المتوفى سنة تسع وعشرين واربعمائة في كتاب (الرد على الجرجاني في ترجح مذهب ابي حنيفة) انه ادعى تقدمهم في الفرائض ونقض بسعيد بن جبير وعبيدة وابو الزناد وفي زمن ابي حنيفة كان ابن ابي ليلى وابن شبرمة قد صنفا في الفرائض ، ولاصحاب مالك والشافعي ايضا كتب منها كتاب ابي ثور وكتاب الكرابيسي وكتاب رواه الربيع عن الشافعي ، وابسط الكتب فيها كتب ابي العباس ابن سريج وابسط من الجميع كتاب محمد بن نصر المروزي ، وما صنف فيها اتقن واحكم منه وحجمه يزيد على خمسين جزءاً قال وكتابنا في الفرائض يزيد على الف ورقة . قال ابن السبكي وهو كتاب جليل القدر لا مزيد على حسنه ، انتهى[1] وبالله التوفيق .

علم الفروع

هو المعروف بعلم الفقه وسيأتي قريبا .

علم الفَصْد

علم باحث عن كيفية آلات الفصد ومعرفة انواع العروق ومعرفة ما يخص

---

(١) وقد تقدم الكلام على هذا العلم تحت علم الحساب فليعلم ، علي حسين كاتب عفا الله عنه .

كل مرض من فصد عرق مخصوص الى غير ذلك من الأحوال التي يعرفها مزاولها وغايته وغرضه ومنفعته لا تخفى كذا في مدينة العلوم .

علم فضائل القرآن

اول من صنف فيه الامام محمد بن ادريس الشافعي المتوفى سنة اربع ومائتين وابو العباس جعفر بن محمد المستغفري المتوفى سنة اثنتين وثلثين واربعمائة ، وداود بن موسى الأودني وأبو العطاء المليح وابو الفضل عبد الرحمن ابن احمد الرازي ولابن ابي شيبة ، ولابي عبد القاسم بن سلام الجمحي المتوفى سنة اربع وعشرين ومائتين ، ولابن الغريس ، ولابي الحسن بن صخر الازدي ، ولابي ذر وللضياء المقدسي ولابي الحسن علي بن احمد الواحدي المتوفى سنة ثمان وستين واربعمائة مختصر فيه اخذ شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي اربعين حديثا منه وأدلة فضائل القرآن لبعض المتأخرين اولها الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل .

علم فضيلة كسر الشهوتين

المراد بهما شهوة البطن والفرج وانما وجب كسرهما لان للقلب جهتين جهة الى عالم الغيب المبرأ عن الشهوات والعيب ، وجهة الى عالم الشهادة للمتحلي بالألف والعادة وهي تعلقه بالبدن ، ويحتاج بحسب هذه الجهة الى الشهوتين .

فمن غلب ميله اليهما لن يلج الملكوت ويكون في عداد الحيوانات .

ومن اكتفى منهما بقدر الحاجة كما فعله نبينا ﷺ يكون سالكاً لطريقه ويصل الى المقامات العلمية والمراتب السنية وطريق كسرهما معروف عند اهل الطريق وليس هذا موضع تفصيله ذكره في مدينة العلوم وفي الإحياء للغزالي ما

يكفي في هذا الباب والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب .

علم الفقه

قال في كشاف اصطلاحات الفنون .

علم الفقه ويسمى هو وعلم اصول الفقه بعلم الدراية ايضـا على ما في مجمع السلوك وهو معرفة النفس ما لها وما عليها هكذا نقل عن ابي حنيفة ، والمراد بالمعرفة ادراك الجزئيات عن دليل ، فخرج التقليد .

قال التفتازاني القيد الاخير في تفسير المعرفة مما لا دلالة عليه اصلا لا لغة ولا اصطلاحاً .

وقوله وما لها وما عليها يمكن ان يراد به ما تنتفع به النفس وما تتضرر به في الآخرة ، والمشعر بهذا شهرة ان علم الفقه من العلوم الدينية ويمكن ان يراد به ما يجوز لها وما يجب عليها او ما يجوز لها وما يحرم عليها .

ثم ما لها وما عليها يتناول الاعتقادات كوجوب الايمان ونحوه .

والوجدانيات اي الاخلاق الباطنة والملكات النفسانية .

والعمليات كالصوم والصلوٰة والبيع ونحوها .

فالأول : علم الكلام .

والثاني : علم الاخلاق والتصوف .

والثالث : هي الفقه المصطلح .

وذكر الغزالي ان الناس تصرفوا في اسم الفقه فخصوه بعلم الفتاوى والوقوف على دلائلها وعللها واسم الفقه في العصر الأول كان مطلقا على علم الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس والاطلاع على الآخرة وحقارة الدنيا .

قال اصحاب الشافعي الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية من ادلتها التفصيلية والمراد بالحكم النسبة التامة الخبرية التي العلم بها تصديق وبغيرها تصور .

فالفقه عبارة عن التصديق بالقضايا الشرعية المتعلقة بكيفية العمل تصديقا حاصلا من الأدلة التفصيلية التي نصبت في الشرع على تلك القضايا وهي الأدلة الأربعة : الكتاب والسنة والاجماع والقياس .

ثم انّ اطلاق العلم على الفقه وان كان ظنياً باعتبار ان العلم قد يطلق على الظنيات كما يطلق على القطعيات كالطب ونحوه .

ثم ان اصحاب الشافعي جعلوا للفقه اربعة اركان فقالوا الأحكام الشرعية اما ان تتعلق بأمر الآخرة وهي العبادات ، او بأمر الدنيا وهي اما ان تتعلق ببقاء الشخص وهي المعاملات ، او ببقاء النوع باعتبار المنزل وهي المناكحات ، او باعتبار المدينة وهي العقوبات ، وههنا ابحاث تركناها مخافة الاطناب فمن اراد الاطلاع عليها فليرجع الى التوضيح والتلويح .

وموضوعه فعل المكلف من حيث الوجوب والندوب والحل والحرمة وغير ذلك كالصحة والفساد وقيل موضوعه اعم من الفعل لان قولنا الوقت سبب او وجوب الصلوة من مسائله وليس موضوعه الفعل وفيه ان ذلك راجع الى بيان حال الفعل بتأويل ان الصلوٰة تجب لسبب الوقت ، كما ان قولهم النية في الوضوء مندوبة في قوة ان الوضوء يندب فيه النية .

وبالجملة تعميم موضوع الفقه مما لم يقل به احد ، ففي كل مسئلة ليس موضوعها راجعا الى فعل المكلف يجب تأويله حتى يرجع موضوعها اليه كمسئلة المجنون والصبي فانه راجع الى فعل الولي هكذا في الخيالي وحواشيه ومسائله الأحكام الشرعية العملية كقولنا الصلوٰة فرض .

وغرضه النجاة من عذاب النار ونيل الثواب في الجنة وشرفه مما لا يخفى لكونه من العلوم الدينية انتهى كلام الكشاف .

قال صاحب مفتاح السعادة : وهو علم باحث عن الأحكام الشرعية

الفرعية العملية من حيث استنباطها من الأدلة التفصيلية .

ومباديه مسائل اصول الفقه .

وله استمداد من سائر العلوم الشرعية والعربية .

وفائدته حصول العمل به على الوجه المشروع .

والغرض منه تحصيل ملكة الاقتدار على الأعمال الشرعية ، ولما كان الغاية والغرض في العلوم العملية يحصلان بالظن دون اليقين بناء على ان اقوى الادلة الكتاب والسنة ، وانه وان كان علم الفقه قطعي الثبوت لكن اكثره ظني الدلالة فصار محلا للاجتهاد وجاز الأخذ فيه اولا بمذهب ايّ مجتهد اراد المقلد .

والمذاهب المشهورة التي تلقتها الأمة بالقبول وقبلها اهل الاسلام بالصحة هي المذاهب الأربعة للأئمة الأربعة : ابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد بن حنبل ، ثم الأحق والاولى من بينها مذهب ابي حنيفة رحمه الله لأنه المتميز من بينهم بالاتقان والاحكام وجودة القريحة وقوة الرأي في استنباط الاحكام وكثرة المعرفة بالكتاب والسنة وصحة الرأي في علم الاحكام الى غير ذلك لكن ينبغي لمن يقلد مذهباً معينا في الفروع ان يحكم بان مذهبه صواب يحتمل الخطأ ومذهب المخالف خطأ يحتمل الصواب .

ويحكم في الاعتقاديات بأن مذهبه حق جزماً ومذهب المخالف خطأ قطعاً انتهى ونحوه في مدينة العلوم .

اقول احق المذاهب اتقاناً وأحسنها اتباعا واحكمها واحراها بالتمسك به ما ذهب اليه اهل الحديث والقرآن والترجيح لمذهب دون مذهب تحكم لا دليل عليه بل المذاهب الاربعة كلها سواسية في الحقيقة ، والواجب على الناس كلهم اتبـ[اع] صرائح الكتاب العزيز والسنة المطهرة دون اتباع آراء الرجال واقوال العلماء والأخذ باجتهاداتهم سيما فيما يخالف القرآن الكريم والحديث الشريف .

وقد حققنا هذا البحث في كتابنا الجنة[1] في الأسوة الحسنة بالسنة وذكر الغزالي في بيان تبديل اسامي العلوم ما تقدم ذكره وتمام هذا البحث ذكرناه في كتابنا (قصد السبيل الى ذم الكلام والتأويل) .

والكتب المؤلفة على المذاهب الأربعة كثيرة جدا لا تكاد تحصى ، ودواوين الاسلام من كتب الحديث وشروحه تغني الناس كلهم قرويهم وبدويهم عالمهم وجاهلهم ودانيهم وقاصيهم عن كتب الرأي والاجتهاد .

والأئمة الاربعة منعوا الناس عن تقليدهم ولم يوجب الله سبحانه وتعالى على احد تقليد احد من الصحابة والتابعين الذين هم قدوة الأمة وأئمتها وسلفها فضلا عن المجتهدين وآحاد اهل العلم ، بل الواجب على الكل اتباع ما جاء به الكتاب والسنة المطهرة وانما احتيج الى تقليد المجتهدين لكون الاحاديث والاخبار الصحيحة لم تدوّن ولكن الآن بحمد الله تعالى قد دوّن اهل المعرفة بالسنن علم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأغنوا الناس عن غيره فلا حيّا الله عبداً قلد ولم يتبع ولم يعرف قدر السنة وحمد على التقليد .

ثم القول بان المذهب الفلاني من المذاهب الأربعة اقدم واحكم من أباطيل المقولات وأبطل المقالات وصدوره من مدعي العلم يدل على انه ليس من أهل العلم لأن التقليد من صنيع الجاهل والمقلد ليس معدوداً في العلماء ، انظر في الكتب التي أُلّفت لردّ التقليد كأعلام الموقعين عن رب العالمين وغير ذلك يتضح لك الصواب من الخطأ بلا ارتياب ، والكتب المؤلفة في الأخبار الصحاح والحسان والضعاف كثيرة جدا ذكرناها في كتابنا إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدثين . والمعتمد كل الاعتماد من بينها الامهات الست وهي معروفة متيسرة في كل بلد وكذلك الكتب المؤلفة في احكام السنة المطهرة خاصة كثيرة ايضا والمستند

---

(١) وقد طبع هذا الكتاب في بلدة بهوبال المحتمية صانها الله عن البلية ، علي حسين عفى عنه .

كل الاستناد من بينها هو مثل منتقى الاخبار وشرحه نيل الاوطار وبلـوغ المرام وشرحه مسك الختام ، وسبل السلام ، والعمدة وشرحه العدة وغير ذلك مما ألف في ضبط الاحكام الثابتة بالسنة وما يليها مثل السيل الجرار ووبل الغمام ، ومنح الغفار حاشية ضوء النهار ، والهدي النبوي ، وسفر السعادة وكذا مؤلفات شيوخنا اليمانيين فان فيها ما يكفي والمقلد المسكين يظن الخرافات في الكتاب والسنة .

وقد أطال الارنيقي في (مدينة العلوم) في ذكر تراجم الأئمة الأربعة ابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد والفقهاء الحنفية كأبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وابن المبارك وداود الطائي الكوفي ووكيع بن الجراح ويحيى بن زكريا واسمٰعيل بن حماد ويوسف بن خالد وعافية بن يزيد وحبان ومندل ابني علي الغزي وعلي بن مسهرق القاسم بن معن واسد بن عامر واحمد بن حفص وخلف ابن ايوب وشداد بن حكم وموسى بن نصر وموسى بن سليمان الجوزجاني وهلال ابن يحيى ومحمد بن سماعة وحكم بن عبد الله وأطال في ترجمة هؤلاء .

وقال : اعلم ان الأئمة الحنفية اكثر من ان تحصى لأنهم قد طبقوا اكثر المعمورة حتى قيل ان للامام ابي حنيفة سبعمائة وثٰلثين رجلا من تلامذته وهذا ما عرف منهم وما لم يعرف فاكثر من ذلك لكنا اكتفينا منهم ههنا بما سمح به الوقت والآن فلنذكر من الكتب المعتبرة في الفقه ما هو المشهور في الزمان انتهى .

ثم ذكر كتباً سماها قال : وان استقصاء الأئمة الحنفية وتصانيفهم خارج عن طوق هذا المختصر ، ولنذكر بعد ذلك نبذاً من ائمة الشافعية ليكون الكتاب كامل الطرفين حائز الشرفين وهؤلاء صنفان احدهما من تشرف بصحبة الإمام الشافعي والآخر من تلاهم من الأئمة انتهى ، ثم ذكر هذين الصنفين واطال في بيانهما وفضائلها إطالة حسنة ، والكتب التي أُلفت في بيان طبقات اهل المذاهب الاربعة تغني عن ذكر جماعة خاصة من المقلدة المذهب واحد وأن كانوا ائمة اصحاب التصانيف ولا عبرة بكثرة المقلدة الذين قلوا مذهباً واحداً من المذاهب

الاربعة بل الاعتبار باختيار الحق والصواب وهو ترك التقليد لآراء الرجال وإيثار الحق على الحق والتمسك بالسنة .

وقد ألف جماعة كتبا كثيرة في طبقات المتبعين وتراجم الحفاظ والمحدثين وهم ألوف لا يحصيهم كتاب وان طال الفصل والباب وهم اكثر واطيب ان شاء الله تعالى بالنسبة الى المقلدة .

وقد تعصب اصحاب الطبقات المذهبية في تعداد اهل نحلتهم حيث ادخلوا فيها من ليس منهم وغالب أئمة المذاهب ليسوا بمقلدين وان انتسبوا الى بعضهم بل هم مجتهدون مختارون لهم أحسن الاقوال وأحق الأحكام وبعد النظر والاجتهاد فعدهم في زمرة المقلدة بأدنى شركة في العلم ليس من الانصاف في شيء وانما خافوا فتنة العوام في ادعاء الاجتهاد او عدم الاعتداد بالتقليد فصبروا على نسبتهم الى مذهب من تلك المذاهب كما يعرف ذلك من له إلمام بتصانيف هؤلاء الكرام ، وليس هذا موضع بسط الكلام على هذا المرام وإلا اريتك عجائب المقام وأتيتك بما لم يقرع سمعك من الأمور العظام .

واعلم ان اصول الدين اثنان لا ثالث لهما : الكتاب والسنة وما ذكروه من أن الأدلة أربعة : القران والحديث والاجماع والقياس فليس عليه اثارة من علم وقد انكر امام أهل السنة احمد بن حنبل رضي الله عنه الاجماع الذي اصطلحوا عليه اليوم ، واعرض سيد الطائفة المتبعة داود الظاهري عن كون القياس حجة شرعية ، وخلاف هذين الامامين نص في محل الخلاف ولهذا قال بقولهما عصابة عظيمة من أهل الاسلام قديما وحديثا الى زماننا هذا ولم يروا الاجماع والقياس شيئا مما ينبغي التمسك به سيما عند المصادمة بنصوص التنزيل وأدلة السنة الصحيحة وهذه المسئلة من معارك المسائل بين المقلدة والمتبعة ، واكثر الناس خلافاً فيها الحنفية لانهم اشد الناس تعصبا للمذهب وتقرير ذلك مبسوط في المبسوطات المؤلفة في هذا الباب .

ومن له نظر في مصنفات شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وتلميذه الواحد المتكلم الحافظ ابن القيم ومن حذا حذوهما من علماء الحديث والقرآن خصوصا أئمة اليمن الميمون وتلامذتهم فهو يعلم بان هذا القول هو الحق المنصور والمذهب المختار والكلام المعتمد عليه ما سواه سراب وتباب ، ولولا مخافة الاطالة وخشية الملالة لذكرت ههنالك ما تذعن له من الأدلة على ذلك ومفاسد ما هنالك وبالله التوفيق وهو العاصم عن التنكيب عن سواء الطريق اللهم ارحم امة محمد ﷺ رحمة عامة .

فصل

قال ابن خلدون رحمه الله تعالى: الفقه معرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجوب والخطر والإباحة والندب والكراهة وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الادلة على اختلاف فيها بينهم ولا بد من وقوعه ضرورة ان الادلة غالبها من النصوص وهي بلغة العرب وفي اقتضاءات الفاظها لكثير من معانيها اختلاف بينهم معروف وايضا .

فالسنة [1] مختلفة الطرق في الثبوت وتتعارض في الاكثر احكامها فتحتاج الى الترجيح وهو مختلف ايضا فالادلة من غير النصوص مختلف فيها ، وايضا فالوقائع المتجددة لا توفي بها النصوص وما كان منها غير ظاهر في النصوص فحمل على منصوص لمشابهة بينهما وهذه كلها اشارات للخلاف ضرورية الوقوع ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والائمة من بعدهم .

ثم ان الصحابة كلهم لم يكونوا اهل فتيا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم

(١) فيه مباحث طويلة والحق كفاية الاصليين لجميع الحوادث الى يوم القيامة وعدم التعارض في الاحاديث وما ذكره ابن خلدون في هذا المقام كله متعقب فيه عليه كما يظهر من الرجوع الى ارشاد الفحول والى الفتح الرباني وغيرهما . حكيم محمد احسن سلمه الله تعالى .

وانما كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالته بما تلقوه من النبي ﷺ وممن سمعه منهم من عليتهم ، وكانوا يسمون لذلك القراء اي الذين يقرأون الكتاب لان العرب كانوا امة امية فاختص من كان منهم قارئا للكتاب بهذا الاسم لغرابته يومئذ ، وبقي الأمر كذلك صدر الملة ثم عظمت امصار الاسلام وذهبت الامية من العرب بممارسة الكتاب وتمكن الاستنباط وكمل الفقه واصبح صناعة وعلما فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء من القراء .

وانقسم الفقه الى طريقتين : طريقة اهل الرأي والقياس وهم اهل العراق .

وطريقة اهل الحديث وهم اهل الحجاز .

وكان الحديث قليلا في اهل العراق فاستكثروا من القياس ومهروا فيه فلذلك قيل اهل الرأي ، ومقدم جماعتهم الذي استقر المذهب فيه وفي اصحابه ابو حنيفة وإمام اهل الحجاز مالك بن انس والشافعي من بعده .

ثم انكر القياس طائفة من العلماء وابطلوا العمل به وهم الظاهرية وجعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص والاجماع وردّوا القياس الجلي والعلة المنصوصة الى النص لان النص على العلة نص على الحكم في جميع محالها وكان إمام هذا المذهب داود بن علي وابنه واصحابه .

وكانت هذه المذاهب الثلاثة هي مذاهب الجمهور المشتهرة بين الامة ، وشذ اهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح ، على قولهم بعصمة الائمة ورفع الخلاف عن اقوالهم وهي كلها اصول واهية ، وشذ بمثل ذلك الخوارج ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم بل أوسعوها جانب الانكار والقدح فلا نعرف شيئا من مذاهبهم ولا نروي كتبهم ولا اثر لشيء منها الا في مواطنهم ، فكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولتهم

قائمة في المغرب والمشرق واليمن ، والخوارج كذلك ، ولكل منهم كتب وتآليف وآراء في الفقه غريبة .

ثم درس مذهب اهل الظاهر اليوم بدروس ائمته وإنكار الجمهور على منتحله ولم يبق الا في الكتب المجلدة ، وربما يعكف كثير من الطالبين ممن تكلف بانتحال مذهبهم على تلك الكتب يروم اخذ فقههم منها ومذهبهم فلا يحلو بطائل ويصير الى مخالفة الجمهور وإنكارهم عليه ، وربما عدّ بهذه النحلة من اهل البدع بنقله العلم من الكتب من غير مفتاح المعلمين وقد فعل ذلك ابن[١] حزم بالاندلس على علو رتبته في حفظ الحديث وصار الى مذهب اهل الظاهر ومهر فيه باجتهاد زعمه في اقوالهم وخالف إمامهم داود وتعرض للكثير من ائمة المسلمين فنقم الناس ذلك عليه واوسعوا مذهبه استهجانا وانكارا وتلقوا كتبه بالإغفال والترك حتى انها ليحظر بيعها بالاسواق وربما تمزق في بعض الاحيان ، ولم يبق الا مذهب اهل الرأي من العراق واهل الحديث من الحجاز .

فاما اهل العراق فإمامهم الذي استقرت عنده مذاهبهم ابو حنيفة النعمان ابن ثابت ومقامه في الفقه لا يلحق شهد له بذلك اهل جلدته وخصوصا مالك والشافعي .

واما اهل الحجاز فكان إمامهم مالك بن انس الاصبحي إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى واختص بزيارة مدرك آخر للاحكام غير المدارك المعتبرة عند غيره وهو عمل اهل المدينة لانه رأى انهم فيما يتفقون عليه من فعل او ترك متابعون لمن قبلهم ضرورة لدينهم واقتدائهم وهكذا الى الجيل المباشرين لفعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الآخذين ذلك عنه وصار ذلك عنده من اصول الادلة الشرعية

---

(١) هذا التحامل على ابن حزم العلامة الاوحد والمجتهد الامجد ليس كما ينبغي انظر الى ترجمته في كتب التاريخ والطبقات يتضح عليك ما هو الخطأ من الصواب . مولوي محمد عبد الصمد صاحب بشاوري سلمه الله القوي .

ظن كثير ان ذلك من مسائل الاجماع فأنكره لان دليل الاجماع لا يخص اهل المدينة ممن سواهم بل هو شامل للامة .

واعلم ان الاجماع انما هو الاتفاق على الأمر الديني عن اجتهاد مالك رحمه الله لم يعتبر عمل اهل المدينة من هذا المعنى وانما اعتبره من حيث اتباع الجيل بالمشاهدة للجيل الى ان ينتهي الى الشارع ﷺ وضرورة اقتدائهم بعين ذلك يعم الملة ذكرت في باب الاجماع الابواب بها من حيث ما فيها من الاتفاق الجامع بينها وبين الاجماع الا ان اتفاق اهل الاجماع عن نظر واجتهاد في الادلة ، واتفاق هؤلاء في فعل او ترك مستندين الى مشاهدة من قبلهم ولو ذكرت المسئلة في باب فعل النبي ﷺ وتقريره او مع الادلة المختلف فيها مثل مذهب الصحابي وشرع من قبلنا والاستصحاب لكان أليق .

ثم كان من بعد مالك بن انس محمد بن ادريس المطلبي الشافعي رحل الى العراق من بعد مالك ولقي اصحاب الامام ابي حنيفة واخذ عنهم ، ومزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق واختص بمذهب وخالف مالكاً رحمه الله في كثير من مذهبه .

وجاء من بعدهما احمد بن حنبل وكان من علية المحدثين وقرأ اصحابه على اصحاب الامام ابي حنيفة مع وفور بضاعتهم من الحديث فاختصوا بمذهب آخر ، ووقف التقليد في الامصار عند هؤلاء الاربعة ودرس المقلدون لمن سواهم وسد الناس باب الخلاف وطرقه لما كثر تشعب الاصطلاحات في العلوم ، ولما عاق عن الوصول الى رتبة الاجتهاد ، ولما خشي من اسناد ذلك الى غير اهله ومن لا يوثق برأيه ولا بدينه ، فصرّحوا بالعجز والاعواز وردّوا الناس الى تقليد هؤلاء كل من اختص به من المقلدين ، وحظروا ان يتداول تقليدهم لما فيه من التلاعب ولم يبق الا نقل مذاهبهم وعمل كل مقلد بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح الاصول واتصال سندها بالرواية لا محصول اليوم للفقه غير هذا ومدعي الاجتهاد

لهذا العهد مردود على عقبه مهجور تقليده وقد صار اهل الاسلام اليوم على تقليد هؤلاء الائمة الاربعة(١) .

فاما احمد بن حنبل فمقلدوه قليلون لبعد مذهبه عن الاجتهاد وأصالته في معاضدة الرواية للاخبار بعضها ببعض واكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها وهم اكثر الناس حفظا للسنة ورواية الحديث .

وامّا ابو حنيفة فمقلدوه اليوم اهل العراق ومسلمة الهند والصين وما وراء النهر وبلاد العجم كلها لما كان مذهبه اخص بالعراق ودار السلام ، وكانت تلاميذه صحابة الخلفاء من بني العباس فكثرت تآليفهم ومناظراتهم مع الشافعية وحسنت مباحثهم في الخلافيات وجاؤوا منها بعلم مستطرف وانظار غريبة وهي بين ايدي الناس وبالمغرب منها شيء قليل نقله اليه القاضي ابن العربي وابو الوليد الباجي في رحلتهما .

وامّا الشافعي رحمه الله فمقلدوه بمصر اكثر مما سواها ، وقد كان انتشر مذهبه بالعراق وخراسان وما وراء النهر وقاسموا الحنفية في الفتوى والتدريس في جميع الامصار وعظمت مجالس المناظرات بينهم ، وشحنت كتب الخلافيات بأنواع استدلالاتهم ، ثم درس ذلك كله بدروس المشرق واقطاره وكان الامام محمد بن ادريس الشافعي لما نزل على بني عبد الحكم بمصر اخذ عنه جماعة من بني عبد الحكم وأشهب وابن القاسم وابن المواز وغيرهم ، ثم الحارث بن مسكين وبنوه .

ثم انقرض فقه اهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة وتداول بها فقه اهل البيت وتلاشى من سواهم الى ان ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن ايوب ورجع اليهم فقه الشافعي واصحابه من اهل

---

(١) انظر حكم التقليد وما له وعليه في كتاب ارشاد الفحول وفي كتاب أدب الطلب وكتاب القول المفيد وما يلي تلك من الصحف المؤلفة في ذلك بين المختصرة والمطولة تعلم ان كل ما ذكره ابن خلدون في هذا المقام هو من ابطل الباطلات التي الا يعرفها احد من الاعلام . سيد علي حسن خان بهادر سلمه الله تعالى وأبقاه.

العراق والشام فعاد الى احسن ما كان ونفق سوقه ، واشتهر منهم محيي الدين النووي من الحلبة التي ربيت في ظل الدولة الايوبية بالشام وعز الدين بن عبد السلام ايضا ثم ابن الرفعة بمصر ، وتقي الدين بن دقيق العيد ، ثم تقي الدين السبكي بعدهما الى ان انتهى ذلك الى شيخ الاسلام بمصر لهذا العهد وهو سراج الدين البلقيني فهو اليوم اكبر الشافعية بمصر كبير العلماء بل اكبر العلماء من اهل العصر .

واما مالك رحمه الله فاختص بمذهبه اهل المغرب والاندلس وان كان يوجد في غيرهم الا انهم لم يقلدوا غيره الا في القليل ، لما ان رحلتهم كانت غالبا الى الحجاز وهو منتهى سفرهم ، والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج العراق ، ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا على الاخذ عن علماء المدينة وشيخهم يومئذٍ وإمامهم مالك رحمه الله وشيوخه من قبله وتلميذه من بعده فرجع اليه اهل المغرب والاندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته ، وايضا فالبداوة كانت غالبة على اهل المغرب والاندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق ، فكانوا الى اهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضاً عندهم ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب .

ولما صار مذهب كل إمام علما مخصوصا عند اهل مذهبه ولم يكن لهم سبيل الى الاجتهاد والقياس فاحتاجوا الى تنظير المسائل في الإلحاق وتفريقها عند الاشتباه بعد الاستناد الى الاصول المقررة من مذهب امامهم وصار ذلك كله يحتاج الى ملكة راسخة يقتدر بها على ذلك النوع من التنظير او التفرقة واتباع مذهب امامهم فيهما ما استطاعوا ، وهذه الملكة هي علم الفقه لهذا العهد واهل المغرب جميعاً مقلدون لمالك رحمه الله .

وقد كان تلامذته افترقوا بمصر والعراق فكان بالعراق منهم القاضي اسمعيل وطبقته مثل ابن خويز منداد وابن اللبان والقاضي ابو بكر الابهري

والقاضي ابو الحسين بن القصار والقاضي عبد الوهاب من بعدهم ، وكان بمصر ابن القاسم وأشهب وابن عبد الحكيم والحارث بن مسكين وطبقتهم ورحل من الاندلس عبد الملك بن حبيب فاخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك في الاندلس ودوّن فيه كتاب الواضحة ، ثم دوّن العتبي من تلامذته كتاب العتبية ، ورحل من افريقية اسد بن الفرات فكتب عن اصحاب ابي حنيفة اولا ثم انتقل الى مذهب مالك وكتب علي بن القاسم في سائر ابواب الفقه وجاء الى القيروان بكتابه وسمى الاسدية نسبة الى اسد بن الفرات فقرأ بها سحنون على اسد ثم ارتحل الى المشرق ولقي ابن القاسم واخذ عنه وعارضه بمسائل الاسدية فرجع عن كثير منها ، وكتب سحنون مسائلها ودوّنها واثبت ما رجع عنه ، وكتب لاسد ان يأخذ بكتاب سحنون فأنف من ذلك فترك الناس كتابه واتبعوا مدونة سحنون على ما كان فيها من اختلاط المسائل في الابواب فكانت تسمى المدونة والمختلطة ، وعكف اهل القيروان على هذه المدونة ، واهل الاندلس على الواضحة والعتبية .

ثم اختصر ابن ابي زيد المدونة والمختلطة في كتابه المسمى بالمختصر ، ولخصه ايضا ابو سعيد البرادعي من فقهاء القيروان في كتابه المسمى بالتهذيب واعتمده المشيخة من اهل افريقية واخذوا به وتركوا ما سواه وكذلك اعتمد اهل الاندلس كتاب العتبية وهجروا الواضحة وما سواها ، ولم تزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الامهات بالشرح والايضاح والجمع .

فكتب اهل افريقية على المدونة ما شاء الله ان يكتبوا مثل ابن يونس واللخمي وابن محرز التونسي وابن بشير وامثالهم .

وكتب اهل الاندلس على العتبية ما شاء الله ان يكتبوا مثل ابن رشد وامثاله وجمع ابن ابي زيد جميع ما في الامهات من المسائل والخلاف والاقوال في كتاب النوادر فاشتمل على جميع اقوال المذهب وفرّع الامهات كلها في هذا الكتاب ،

ونقل ابن يونس معظمه في كتابه على المدونة وزخرت بحار المذهب المالـكي في الافقين الى انقراض دولة قرطبة والقيروان ، ثم تمسك بهما اهل المغرب بعد ذلك الى ان جاء كتاب ابي عمرو بن الحاجب لخص فيه طرق اهل المذهب في كل باب وتعديد اقوالهم في كل مسئلة فجاء كالبرنامج للمذهب وكانت الطريقة المالـكية بقيت في مصر من لدن الحارث بن مسكين وابن المبشر وابن اللهيث وابن رشيق وابن شاس ، وكانت بالاسكندرية في بني عوف وبني سند وابن عطاء الله ولم ادر عمن اخذها ابو عمرو بن الحاجب لكنه جاء بعد انقراض دولة العبيديين وذهاب فقه اهل البيت وظهور فقهاء السنة من الشافعية والمالكية .

ولما جاء كتابه الى المغرب آخر المائة السابعة عكف عليه الكثير من طلبـة المغرب وخصوصا اهل بجاية لما كان كبير مشيختهم ابو علي ناصر الدين الزواوي هو الذي جلبه الى المغرب فانه كان قرأ على اصحابه بمصر ونسـخ مختصره ذلك فجاء به وانتشر بقطر بجاية في تلاميذه ومنهم انتقل الى سائر الامصار المغربية ، وطلبة الفقه بالمغرب لهـذا العهد يتداولون قراءته ويتدارسونه لما يؤثر عن الشيخ ناصر الدين من الترغيب، فيه وقد شرحه جماعة من شيوخهم كابن عبد السلام وابن رشد وابن هارون وكلهم من مشيخة اهل تونس وسابق حلبتهم في الإجادة في ذلك ابن عبد السلام وهم مع ذلك يتعاهدون كتاب التهذيب في دروسهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

علم الفلاحة

قال صاحب مفتاح السعادة : هو علم يتعرف منه كيفية تدبير النبات من اول نشوءه الى منتهى كماله وبدء كونه الى تمام نشوءه باصلاح الارض إما بالماء او بما يخلخلها ويحميها من المعفنات كالسماد والرماد ونحوهما ، او يحميها في اوقـات البرد مع مراعات الأهوية فيختلف باختـلاف الامـاكن ولـذلك تختلف قوانـين

الفلاحة باختلاف الاقاليم ومنفعته زكاة الحبوب والثمار ونحوها وهو ضروري للانسان في معاشه ولذلك اشتق اسمه من الفلاح وهو البقاء انتهى .

وقال ابن خلدون هذه الصناعة من فروع الطبيعيات وهي النظر في النبات من حيث تنمسته ونشوءه بالسقي والعلاج وتعهده بمثل ذلك وكان للمتقدمين بها عناية كثيرة وكان النظر فيها عندهم عاماً في النبات من جهة غرسه وتنميته ومن جهة خواصه وروحانيته ومشاكلتها لروحانيات الكواكب والهياكل المستعمل ذلك كله في باب السحر فعظمت عنايتهم به لاجل ذلك وترجم من كتب اليونانيين كتاب الفلاحة النبطية منسوبة لعلماء النبطمشتملة من ذلك على علم كبير ولما نظر اهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب ، وكان باب السحر مسدوداً والنظر فيه محظوراً فاقتصروا منه على الكلام في النبات من جهة غرسه وعلاجه وما يعرض له في ذلك وحذفوا الكلام في الفن الآخر منه مغفلا تقل منه مسلمة في كتبه السحرية امهات من مسائله وكتب المتأخرين في الفلاحة كثيرة ولا يعدون فيها الكلام في الغراس والعلاج وحفظ النبات من حوائجه وعوائقه وما يعرض في ذلك كله وهي موجودة انتهى كلامه .

قال في مدينة العلوم ومن لطائف علم الفلاحة اتخاذ بعض نتائجه في غير اوقاته واستخراج بعض مباديه من غير اصله وتركيب الاشجار بعضها ببعض الى غير ذلك ذكر ابو بكر بن وحشة في كتابه المسمى بالفلاحة عن النبط ان من دار حول شجرة الخطمي وتطلع بالنظر الى وردها وادام ذلك فانها تحدث فرحاً في النفس وتزيل عنه الهم والحزن والغم انتهى .

علم الفلسفيات

العلوم الفلسفية اربعة انواع : رياضية ومنطقية وطبيعية وإلٓهية فالرياضية على اربعة اقسام :

الأول : علم الارتماطيقي وهو معرفة خواص العدد وما يطابقها من معاني الموجودات التي ذكرها فيثاغورس نيقوماخس وتحته علم الوفق وعلم الحساب الهندي وعلم الحساب القبطي والزنجي وعلم عقد الاصابع .

الثاني : علم الجومطريا وهو علم الهندسة بالبراهين المذكورة في اقليدس ومنها علمية وعملية وتحتها علم المساحة وعلم التكسير وعلم رفع الاثقال وعلم الحيل المائية والهوائية والمناظر والحزب .

الثالث : علم الاسطرلاب قومياً وهو علم النجوم بالبراهين المذكورة في المجسطي وتحته علم الهيئة والميقات والزيج والتحويل .

الرابع : علم الموسيقى وتحته علم الايقاع والعروض والثاني العلوم المنطقية وهي خمسة انواع :

الاول : انولوطيقيا وهو معرفة صناعة الشعر .

الثاني : بطوريقا وهو معرفة صناعة الخطب .

الثالث : بوطيقيا وهو معرفة صناعة الجدل .

الرابع : الولوطيقي وهو معرفة صناعة البرهان .

الخامس : سوفسطيقا وهو معرفة المغالطة .

والثالث : العلوم الطبيعية وهي سبعة انواع:

الاول : علم المبادىء وهو معرفة خمسة اشياء لا ينفك عنها جسم وهي الهيولى والصورة والزمان والمكان والحركة .

الثاني : علم السماء والعالم وما فيه .

الثالث : علم الكون والفساد .

الرابع : علم حوادث الجو .

الخامس : علم المعادن .

السادس : علم النبات .

السابع : علم الحيوان ويدخل فيه علم الطب وفروعه .

الرابع : العلوم الالهية وهي خمسة انواع :

الأول : علم الواجب وصفته .

الثاني : علم الروحانيات وهي معرفة الجواهر البسيطة العقلية الفعالة التي هي الملائكة .

الثالث : العلوم النفسانية وهي معرفة النفوس المتجسدة والارواح السارية في الاجسام الفلكية والطبيعية من الفلك المحيط الى مركز الارض .

الرابع : علم السياسات وهي خمسة انواع علم سياسة النبوة .

الثاني : علم سياسة الملك وتحته الفلاحة والرعايا وهو الاول المحتاج اليه في اول الامر لتأسيس المدن وعلم قود الجيش ومكائد الحرب والبيطرة والبيزرة وآداب الملوك .

الرابع : العلم المدني كعلم سياسة العامة وعلم سياسة الخاصة وهي سياسة المنزل .

الخامس : علم سياسة الذات وهو علم الاخلاق .

فصل في ابطال الفلسفَة وفساد منتحلها

من كلام ابن خلدون رحمه الله وهذا الفصل مهم لأن هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن وضررها في الدين كثير فوجب ان يصدع بشأنها ويكشف عن المعتقد الحق فيها ، وذلك ان قوما من عقلاء النوع الانساني زعموا ان الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تدرك ذواته وأحواله بأسبابها وعللا بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية ، وان تصحيح العقائد الايمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فانها بعض من مدارك العقل ، وهؤلاء يسمون فلاسفة جمع فيلسوف وهو باللسان اليوناني محب الحكمة ، فبحثوا عن ذلك وشمروا له ،

وحوّموا على اصابة الغرض منه ، ووضعوا قانونا يهتدي به العقل في نظره الى التمييز بين الحق والباطل وسموه بالمنطق .

ومحصل ذلك ان النظر الذي يفيد تمييز الحق من الباطل انما هو للذهن في المعاني المنتزعة من الموجودات الشخصية ، فيجرد منها اولاً صوراً منطبقة على جميع الاشخاص ، كما ينطبق الطابع على جميع النقوش التي ترسمها في طين او شمع ، وهذه المجردة من المحسوسات تسمى المعقولات الأوائل ، ثم تجرد من تلك المعاني الكلية اذا كانت مشتركة مع معاني اخرى وقد تميزت عنها في الذهن فتجرد منها معاني اخرى وهي التي اشتركت بها ، ثم تجرد ثانياً ان شاركها غيرها وثالثاً الى ان ينتهي التجريد الى المعاني البسيطة الكلية المنطبقة على جميع المعاني والاشخاص ولا يكون منها تجريد بعد هذا وهي الأجناس العالية .

وهذه المجردات كلها من غير المحسوسات هي من حيث تأليف بعضها مع بعض لتحصيل العلوم منها تسمى المعقولات الثواني .

فاذا نظر الفكر في هذه المعقولات المجردة وطلب تصور الوجود كما هو فلا بد للذهن من اضافة بعضها الى بعض ، ونفي بعضها عن بعض بالبرهان العقلي اليقيني ليحصل تصور الوجود تصوراً صحيحاً مطابقاً اذا كان ذلك بقانون صحيح كما مر ، وصنف التصديق الذي هو تلك الاضافة والحكم متقدم عندهم على صنف التصور في النهاية والتصور متقدم عليه في البداية والتعليم لان التصور التام عندهم هو غاية لطلب الادراك وانما التصديق وسيلة له وما تسمعه في كتب المنطقيين من تقدم التصور وتوقف التصديق عليه ، فبمعنى الشعور لا بمعنى العلم التام وهذا هو مذهب كبيرهم ارسطو .

ثم يزعمون ان السعادة في ادراك الموجودات كلها في الحس وما وراء الحس بهذا النظر وتلك البراهين .

وحاصل مداركهم في الوجود على الجملة وما آلت اليه وهو الذي فرعوا

عليه قضايا انظارهم انهم عثروا اولا على الجسم السفلي بحكم الشهود والحس .

ثم ترقى إدراكهم قليلا فشعروا بوجود النفس من قبل الحركة والحس والحيوانات ، ثم احسوا من قوى النفس بسلطان العقل ووقف ادراكهم فقضوا على الجسم العالي السماوي بنحو من القضاء على امر الذات الانسانية ، ووجب عندهم ان يكون للفلك نفس وعقل كما للانسان .

ثم أنهوا ذلك نهاية عدد الآحاد وهي العشر تسع مفصلة ذواتها جمل واحد اول مفرد وهو العاشر ويزعمون ان السعادة في ادراك الوجود على هذا النحو من القضاء مع تهذيب النفس وتخلقها بالقضاء وان ذلك ممكن للانسان ولو لم يرد شرع لتمييزه بين الفضيلة والرذيلة من الأفعال بمقتضى عقله ونظره وميله الى المحمود منها واجتنابه للمذموم بفطرته ، وذلك اذا حصل للنفس حصلت لها البهجة واللذة ، وان الجهل بذلك هو الشقاء السرمدي ، وهذا عندهم هو معنى النعيم والعذاب في الآخرة الى خبط لهم في تفاصيل ذلك معروف من كلماتهم .

وأمام هذه المذاهب الذي حصّل مسائلها ودوّن علمها وسطر حجاجها فيما بلغنا في هذه الأحقاب هو ارسطو المقدوني من أهل مقدونية من بلاد الروم من تلاميذ افلاطون وهو معلم الاسكندر[1] ويسمونه المعلم الاول على الاطلاق ،

---

(١) الاسكندر بن الفيلسوف الرومي بالكسر وتفتح الهمزة ذكر الوجهين ابو العلاء المعرى وقال ليس له مثال في كلام العرب كذا في شفاء الغليل للخفاجي . وفي العناية له في اثناء سورة آل عمران ألزموا بعض الاعلام العجمية الى علامة للتعريب كالاسكندرية فان ابا زكريا التبريزي قال لا تستعمل بدونها ولحن من استعمله بدونها ولا خلاف في أعجميته ونقل الفاسي عن التبريزي في شرح قول ابي تمام : من عهد اسكندر أو قبل ذلك قد شابت نواصي الليالي وهي لم تشب المتعارف بين الناس الاسكندر بالألف واللام فحذفها منه وبعض الناس ينشده من عهد اسكندر فيثبت في آخره الفا وذلك من كلام المنبسط لأنهم يزيدون الالف اذا نقلوا الاسم من كلام غيرهم فيقولون خمرا ويريدون الخمر والاسكندر ملك مشهور قتل دارا بن واراب آخر ملوك الفرس وملك البلاد وكلها وقصته مشهورة في التواريخ ويقال هو ابن فيلبيس اليوناني وهو أخو فرا وفي كتب الانسان ان الفيلسوف هو ابن صريم بن هرمس بن نطروس بن رومي بن ليطي بن ثابت بن سرحان بن رومة قرمط بن نوفل عيص بن اسحق النبي عليه السلام كذا في تاج العروس وقال محمد عارف باشا هو رومي ويوناني شخص واحد وهو ابن فيلبوس معربه فيلقوس وفيليب بلد من بلاد روم ايلي منسوب الى فيلقوس فرسم ابن الفيلسوف هو من تحريف النساخ =

ويعنون معلم صناعة المنطق اذ لم تكن قبله مهذبة ، وهو اول من رتب قانونها واستوفى مسائلها واحسن بسطها ، ولقد احسن في ذلك القانون ما شاء لو تكفل له بقصدهم في الالهيّات .

ثم كان من بعده في الاسلام من اخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رأيه حذو النعل بالنعل الا في القليل وذلك ان كتب اولئك المتقدمين لما ترجمها الخلفاء من بني العباس من اللسان اليوناني الى اللسان العربي تصفحها كثير من اهل الملة واخذ من مذاهبهم من اضله الله من منتحلي العلوم وجادلوا عنها واختلفوا في مسائل من تفاريعها .

وكان من اشهرهم ابو نصر الفارابي في المائة الرابعة لعهد سيف الدولة .

وابو علي بن سينا في المائة الخامسة لعهد نظام الملك من بني بويه باصبهان وغيرهما .

واعلم ان هذا الرأي الذي ذهبوا اليه باطل بجميع وجوهه ، فاما اسنادهم الموجودات كلها الى العقل الأول واكتفائهم به في الترقي الى الواجب فهو قصور عما وراء ذلك من رتب خلق الله ، فالوجود اوسع نطاقا من ذلك ويخلق ما لا تعلمون وكأنهم في اقتصارهم على اثبات العقل فقط والغفلة عما وراءه بمثابة الطبيعيين المقتصرين على اثبات الاجسام خاصة المعرضين عن النقل والعقل المعتقدين انه ليس وراء الجسم في حكمة الله شيء .

واما البراهين التي يزعمونها على مدعياتهم في الموجودات ويعرضوا على مغيار المنطق وقانونه فهي قاصرة وغير وافية بالغرض .

اما ما كان منها في الموجودات الجسمانية ويسمونه العلم الطبيعي فوجه

= من فيلقوس وتفصيل القول فيه وفي ابنه الاسكندر في ص ٨٩٩ من الاوقيانوس والا يقال لذي القرنين الاسكندر لأن الاسكندر يوناني وذو القرنين حميري ومن هذا وهذا تفاوت عظيم نسبا ودينا وزمناً وهو ألف وتسعماية وثمان وخمسون سنة ، سيد ذو الفقار احمد التقوى البهوبالي طابت له الايام والليالي .

قصوره ان المطابقة بين تلك النتائج الذهنية التي تستخرج بالحدود والأقيسة كما في زعمهم وبين ما في الخارج غير يقينية لان تلك احكام ذهنية كلية عامة والموجودات الخارجية متشخصة بموادّها ولعل في المواد ما يمنع من مطابقة الذهني الكلي للخارجي الشخصي اللهم الا ما يشهدوا له الحس من ذلك فدليله شهوده لا تلك البراهين ، فأين اليقين الذي يجدونه فيها وربما يكون تصرف الذهن ايضا في المعقولات الأول المطابقة للشخصيات بالصور الخيالية لا في المعقولات الثواني التي تجريدها في الرتبة الثانية ، فيكون الحكم حينئذ يقينياً بمثابة المحسوسات اذ المعقولات الأول اقرب الى مطابقة الخارج لكمال الانطباق فيها فنسلم لهم حينئذ دعاويهم في ذلك ، الا انه ينبغي لنا الاعراض عن النظر فيها اذ هو من ترك المسلم لما لا يعنيه ، فان مسائل الطبيعيات لا تهمنا في ديننا ولا معاشنا فوجب علينا تركها .

واما ما كان منها في الموجودات التي وراء الحس وهي الروحانيات ويسمونه العلم الالهي وعلم ما بعد الطبيعة فان ذواتها مجهولة رأساً ولا يمكن التوصل اليها ولا البرهان عليها لان تجريد المعقولات من الموجودات الخارجية الشخصية انما هو ممكن فيما هو مدرك لنا ونحن لا ندرك الذوات الروحانية حتى نجرد منها ماهيات اخرى بحجاب الحس بيننا وبينها فلا يتأتى لنا برهان عليها ، ولا مدرك لنا في اثبات وجودها على الجملة الا ما نجده بين جنبينا من أمر النفس الانسانية واحوال مداركها وخصوصاً في الرؤيا التي هي وجدانية لكل احد ، وما وراء ذلك من حقيقتها وصفاتها فأمر غامض لا سبيل الى الوقوف عليه ، وقد صرّح بذلك محققوهم حيث ذهبوا الى ان ما لا مادة له لا يمكن البرهان عليه ، لأن مقدمات البرهان من شرطها ان تكون ذاتية .

وقال كبيرهم افلاطون ان الالهيات لا يوصل فيها الى يقين وانما يقال فيها بالاحق والاولى يعني الظن ، واذا كنا انما نحصل بعد التعب والنصب على الظن

فقط فيكفينا الظن الذي كان اوّلاً. فأي فائدة لهذه العلوم والاشتغال بها ، ونحن انما عنايتنا بتحصيل اليقين فيما وراء الحسن من الموجودات على ما هي عليه بتلك البراهين فقول مزيف مردود وتفسيره ان الانسان مركب من جزءين :

احدهما جسماني ، والآخر روحاني ممتزج به ، ولكل واحد من الجزءين مدارك مختصة به ، والمدرك فيهما واحد وهو الجزء الروحاني ، يدرك تارة مدارك روحانية ، وتارة مدارك جسمانية ، الا ان المدارك الروحانية يدركها بذاته بغير واسطة والمدارك الجسمانية بواسطة آلات الجسم من الدماغ والحواس ، وكل مدرك فله ابتهاج بما يدركه واعتبره بحال الصبي في اول مداركه الجسمانية التي هي بواسطة كيف يبتهج بما يبصره من الضوء وبما يسمعه من الأصوات ، فلا شك ان الابتهاج بالادراك الذي للنفس من ذاتها بغير واسطة يكون اشد وألذ فالنفس الروحانية اذا شعرت بادراكها الذي لها من ذاتها بغير واسطة حصل لها ابتهاج ولذة لا يعبر عنها وهذا الادراك لا يحصل بنظر ولا علم ، وانما يحصل بكشف حجاب الحس ونسيان المدارك الجسمانية بالجملة ، والمتصوفة كثيرا ما يعنون بحصول هذا الادراك للنفس حصول هذه البهجة فيحاولون بالرياضة امانة القوى الجسمانية ومداركها حتى الفكر من الدماغ ليحصل للنفس ادراكها الذي لها من ذاتها عند زوال الشواغب والموانع الجسمانية فيحصل لهم بهجة ولذة لا يعبر عنها ، وهذا الذي زعموه بتقدير صحته مسلم لهم وهو مع ذلك غير واف بمقصودهم .

فأما قولهم ان البراهين والادلة العقلية محصلة لهذا النوع من الادراك والابتهاج عنه فباطل كما رأيته ، اذ البراهين والادلة من جملة المدارك الجسمانية ، لانها بالقوى الدماغية من الخيال والفكر والذكر ، ونحن اول شيء نعني به في تحصيل هذا الادراك إماتة هذه القوى الدماغية كلها لانها منازعة له فادحة فيه ، وتجد الماهر منهم عاكفا على كتاب الشفاء والاشارات والنجاة وتلاخيص ابن رشد

للفص من تأليف ارسطو وغيره يبعثر اوراقها ويتوثق من براهينها ، ويلتمس هذا القسطمن السعادة فيها ولا يعلم انه يستكثر بذلك الموانع عنها ومستندهم في ذلك ما ينقلونه عن ارسطو والفارابي وابن سينا ان من حصل له ادراك العقل الفعال واتصل به في حياته فقد حصل حظه من هذه السعادة والعقل الفعال عندهم عبارة عن اول رتبة ينكشف عنها الحس من رتب الروحانيات ويحملون الاتصال بالعقل الفعال على الادراك العلمي ، وقد رأيت فساده .

وانما يعني ارسطو واصحابه بذلك الاتصال والادراك ادراك النفس الذي لها من ذاتها وبغير واسطة ، وهو لا يحصل الا بكشف حجاب الحس .

وأما قولهم ان البهجة الناشئة عن هذا الادراك هي عين السعادة الموعود بها فباطل ايضا لانا انما تبين لنا بما قرروه ان وراء الحس مدركا آخر للنفس من غير واسطة وانها تبتهج بادراكها ذلك ابتهاجا شديدا وذلك لا يعين لنا انه عين السعادة الأخروية ولا بد بل هي من جملة الملاذ التي لتلك السعادة .

واما قولهم ان السعادة في ادراك هذه الموجودات على ما هي عليه فقول باطل مبني على ما كنا قدمناه في اصل التوحيد من الاوهام والاغلاط في ان الوجود عند كل مدرك منحصر في مداركه ، وبينا فساد ذلك ، وان الوجود اوسع من ان يحاط به او يستوفي ادراكه بجمله روحانيا او جسمانيا ، والذي يحصل من جميع ما قررناه من مذاهبهم ان الجزء الروحاني اذا فارق القوى الجسمانية ادرك ادراكاً ذاتياً له مختصاً بصنف من المدارك وهي الموجودات التي احاط بها علمنا وليس بعام الادراك في الموجودات كلها اذ لم تنحصر ، وانه يبتهج بذلك النحو من الادراك ابتهاجا شديدا كما يبتهج الصبي بمداركه الحسية في اول نشوة ، ومن لنا بعد ذلك بادراك جميع الموجودات او بحصول السعادة التي وعدنا بها الشارع ان لم نعمل لها هيهات هيهات لما توعدون .

وأما قولهم ان الانسان مستقل بتهذيب نفسه واصلاحها بملابسة المحمود

من الخلق ومجانبة المذموم فأمر مبني على ان ابتهاج النفس بادراكها الذي لها من ذاتها هو عين السعادة الموعود بها لأن الرذائل عائقة للنفس عن تمام ادراكها ذلك بما يحصل لها من الملكات الجسمانية والروحانية ، فهذا التهذيب الذي توصولنا الى معرفته انما نفعه في البهجة الناشئة عن الادراك الروحاني فقط الذي هو على مقاييس وقوانين .

وأما ما وراء ذلك من السعادة التي وعدنا بها الشارع على امتثال ما امر به من الاعمال والاخلاق فأملا يحيط به مدارك المدركين وقد تنبه لذلك زعميهم ابو علي بن سينا فقال في كتاب المبدأ والمعاد ما معناه ان المعاد الروحاني واحواله هو مما يتوصل اليه بالبراهين العقلية والمقاييس لأنه على نسبة طبيعية محفوظة ووتيرة واحدة قلنا في البراهين عليه سعة .

واما المعاد الجسماني واحواله فلا يمكن ادراكه بالبرهان لانه ليس على نسبة واحدة ، وقد بسطته لنا الشريعة الحقة المحمدية فلينظر فيها ولنرجع في احواله اليها فهذا العلم كما رأيته غير واف بمقاصدهم التي حوّموا عليها مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها ، وليس له فيما علمنا الا ثمرة واحدة وهي شحذ الذهن في ترتيب الأدلة والحجاج لتحصيل ملكة الجودة والصواب في البراهين وذلك ان نظم المقاييس وتركيبها على وجه الإحكام والاتقان هو كما شرطوه في صناعتهم المنطقية وقولهم بذلك في علومهم الطبيعية ، وهم كثيرا ما يستعملونها في علومهم الحكمية من الطبيعيات والتعاليم وما بعدها فيستولي الناظر فيها بكثرة استعمال البراهين بشروطها على ملكه الاتقان والصواب في الحجاج والاستدلالات ، لانها وان كانت غير وافية بمقصودهم هم فهي اصح ما علمناه من قوانين الأنظار .

هذه هي ثمرة هذه الصناعة مع الاطلاع على مذاهب اهل العلم وآرائهم ، ومضارها ما علمت فليكن الناظر فيها متحرزا جهده من معاطيها ، فليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه ، ولا يكبّن احد عليها وهو خلو عن علوم الملة فقل ان يسلم لذلك من معاطيها والله الموفق

للصـــواب وللحـــق والهـــادي اليه ومـــا كنـــا لنهتـــدي لولا ان هدانـــا الله .

قال الغزالي في الإحياء الفلسفة ليست علما برأسها بل هي اربعة اجزاء .
احدها الهندسة والحساب وهما مباحان ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه ان يتجاوز بهما الى علوم مذمومة ، فان اكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما الى البدع ، فيصان الضعيف عنهما لا لعينهما خوفا عليه مع ان القوي ينـدب الى مخالطتهم .

قال الثاني : المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجـه الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام .
الثالث : الالهيات وهو بحث عن ذات الله تعالى وصفاته وهـو داخل في الكلام ايضا والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفـرد بمذاهـب بعضها كفر وبعضها بدعة .
الرابع : الطبيعيات بعضها مخالف للشرع والدين الحق فهـو جهـل وليس بعلم حتى يورد في اقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغييرها وهو شبيه بنظر الاطباء ولا حاجة اليها وانما حدث ذلك بحدوث البدع الى آخر ما قال والله اعلم .

علم الفلقطيرات

وهي خطوط طويلة عقدت عليها حروف واشكال اي حلق ودوائر وزعموا ان لها تأثيرات بالخاصة ، وبعضها مقروء الخطوط .
قال في مدينة العلوم وقد خفي علي طريق هذا العلم لمية وانية ولم نر فيه تصنيفا يبين حاله انتهى .

وقال صاحب المفتاح في موضوعاته وقد رأينا كثيراً منها على الأوراق المتفرقة لكن لم نر فيها تصنيفاً مفرداً ولم نقف ايضا على كيفية وضعها وما جرينا لها تأثيراً ام لا فبقيت عندنا مجهولة الحال أولاً وآخراً انتهى .

علم فواصل الآي

قال في مفتاح السعادة الفاصلـة كلمـة آخـر الآية كقـافية الشعـر وفقـرة السجع .

وفرق بين الفواصل ورؤ وس الآي بأن الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وقد يكون غـيره ، ورؤ وس الآي قد تكون منفصلة وقد لا تكون انتهى .

وفواصل الآيات كتاب للطوفي سليمان بن عبد القوي الحنبلي المتوفى سنة سبعمائة وعشرة .

باب القاف

علم القافيَة

قال في الموضوعات هو علم يبحث فيه عن تناسب إعجاز البيت وعيوبها .

وغرضه تحصيل ملكة ايراد الأبيات على اعجاز متناسبة خالية عن العيوب التي ينفر عنها الطبع السليم على الوجه الذي اعتبره العرب .

وغايته الاحتراز عن الخطأ فيه ومباديه مقدمات حاصلة عن تتبع اعجاز اشعار العرب انتهى ومثله في مدينة العلوم .

وقال العلامة ابن الصدر الشرواني في الفوائد الخاقانية هو علم يبحث فيه عن المركبات الموزونة من حيث اواخر ابياتها .

واعلم ان الأدباء اختلفوا في تفسير القافية فعند الخليل من آخر حرف في البيت الى اقرب ساكن اليه مع المتحرك الذي قبل الساكن .

وعند الاخفش هي الكلمة الأخيرة من البيت .

وعند قطرب الرومي هي الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب اليه فيقال دالية ولامية فالقافية في قوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

عند الخليل من الخاء الى اللام ، وعند الاخفش هي لفظ حومل ، وعند قطرب هي اللام انتهى .

ومن الكتب المختصرة فيه كتاب الأيكي ومن المتوسطة كتاب المعروف لابن القطاع الصقيلي ومن المبسوطة كتاب لابن سيده وكتاب الكافي في علمي العروض والقوافي في شرح القصيدة الغراء والخريدة الحسناء لصدر الدين الشاوي ولابن عصفور كتاب جم الفوائد وما اورده السكاكي في كتاب المفتاح كاف وفيه اكثر كتب العروض مذيلة بعلم القوافي .

علم القراءة

هو علم يبحث فيه عن صور ونظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلاف المتواترة ومباديه مقدمات تواترية ، وله ايضا استمداد من العلوم العربية .

والغرض منه تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة .

وفائدته صون كلام الله تعالى عن تطريق التحريف والتغيير وقد يبحث ايضا عن صور نظم الكلام من حيث الاختلافات الغير المتواترة الواصلة الى حد الشهرة .

ومباديه مقدمات مشهورة او مروية عن الآحاد الموثوق بهم ذكره صاحب مفتاح السعادة ومثله في مدينة العلوم .

---

(١) بالخاء كقبول موضع كذا في القاموس وقال الفاكهي في فتح المغلقات والدخول بفتح المهملة لا غير وبعض الفضلاء انشد الدخول بخاء معجمة وهو محتمل لما في الصحاح انه اسم موضع فيحتمل انه المراد فلا ترجيح لواحد من الاحتمالين انتهى ، سيد ذو الفقار احمد سلمه الله الأحد .

وقال : واشهر الكتب في هذا الفن القصيدة اللامية للشيخ ابي القاسم بن فيرّة[1] الشاطبي ومعناه بلغة عجم الاندلس الجديد .

وشاطبة قرية قريبة من اندلس .

ولد رحمه الله اعمى وله قصيدة رائية ضمنها رسوم المصحف وهي اخت القصيدة المذكورة في الشهرة ونباهة الشأن ، ولها شروح منها لابي الحسن السخاوي وسماه بفتح الوصيد في شرح القصيد ، ولابي اسحق الجعبري سماه بكنز المعاني وله شرح القصيدة الرائية .

ومنها شرح الامام محمد بن محمد الجزري ولها شروح كثيرة غير هذا بحيث لا يمكن تعدادها ، ومن اتقن الشروح المذكورة فله غنى عن غيرها .

وفي هذا الفن مصنفات غير القصيدة المذكورة منها التيسير .

ومنها النشر في القراءات العشر للجزري وغير ذلك من المختصرات والمطولات انتهى .

قال في كشف الظنون : قال الجعبري في شرح الشاطبية واعلم ان القراء اصطلحوا على ان يسموا القراءة باسم الامام والرواية للاخذ عنه مطلقا والطريق للاخذ عن الرواية فيقال قراءة نافع رواية قالون طريق ابي نشيط ليعلم منشأ الخلاف فكما ان لكل إمام راو فلكل راو طريق انتهى .

قال ابن الجزري في نشره كان اول امام معتبر جمع القراءات في كتاب ابو عبيد القاسم بن سلام وجعلها فيما احسب خمسة وعشرين قراءة مع السبعة مات سنة اربع وعشرين ومائتين انتهى .

وقال ابن خلدون : القرآن هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الامة ، الا ان الصحابة رووه عن رسول الله صلى

---

(1) بكسر الفاء وبعدها ياء تحتية وبعدها راء مهملة مشددة مضمومة كما يفهم من مدينة العلوم والقاموس .

الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في ادائها وتنوقل ذلك واشتهر الى ان استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها ايضا بأدائها ، واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير فصارت هذه القراءات السبع اصولا للقراءة ، وربما زيد بعد ذلك قراءات أُخر لحقت بالسبع الا انها عند ائمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها ، وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها لانها عندهم كيفيات للاداء وهو غير منضبط وليس ذلك عندهم بقادح في تواتر القرآن ، وأباه الاكثر وقالوا بتواترها ، وقال آخرون بتواتر غير الاداء منها كالمد والتسهيل لعدم الوقوف على كيفيته بالسمع دونت فكتبت فيما كتب من العلوم وصارت صناعة مخصوصة وعلما منفرداً وتناقله الناس بالمشرق والاندلس في جيل بعد جيل الى ان ملك بشرق الاندلس مجاهد من موالي العامريين ، واجتهد في تعليمه ، وعرضه على من كان ائمة القراء بحضرته فكان سهمه في ذلك وافراً واختص مجاهد بعد ذلك بامارة دانية والجزائر الشرقية فنفقت بها سوق القراء خصوصا ، فظهر لعهده ابو عمرو الداني وبلغ الغاية فيها وعوّل الناس عليها و عدلوا عن غيرها واعتمدوا من بينها كتاب التيسير له .

ثم ظهر بعد ذلك فيما يليه من العصور والاجيال ابو القاسم ابن فيرّة من اهل شاطبة فعمد الى تهذيب ما دوّنه ابوعمرو وتلخيصه فنظم ذلك كله في قصيدة لغز فيها اسماء القراء بحروف ا ب ج د ترتيبا احكمه ليتيسر عليه ما قصده من الاختصار وليكون اسهل للحفظ الاجل نظمها فاستوعب فيها الفن استيعابا حسنا ، وعنى الناس بحفظها وتلقينها للولدان المتعلمين وجرى العمل على ذلك في امصار المغرب والاندلس ، وربما اضيف الى فن القراءات فن الرسم ايضا وهي اوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية لان فيه حروفا كثيرة وقع

رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة الياء في بأييد وزيادة الالف في لا اذبحنه ولا اوضعوا والواو في جزاؤ الظٰلمين وحذف الالفات في مواضع دون اخرى وما رسم فيه من التاءات ممدودا والاصل فيه مربوط على شكل الهاء وغير ذلك .

وقد مر تعليل هذا الرسم المصحفي عند الكلام في الخط فلما جاءت هذه المخالفة لأوضاع الخط وقانونه احتيج الى حصرها فكتب الناس فيها ايضا عند كتبهم في العلوم وانتهت بالمغرب الى ابي عمرو الداني المذكور فكتب فيها كتبا من اشهرها كتاب المقنع واخذ به الناس وعولوا فيه ، ونظمه ابو القاسم الشاطبي في قصيدته المشهورة على روي الراء وولع الناس بحفظها .

ثم كثر الخلاف في الرسم في كلمات وحروف اخرى ذكرها ابو داود سليمان بن نجاح من موالي مجاهد في كتبه وهو من تلاميذ ابي عمرو الداني والمشتهر بحمل علومه ورواية كتبه .

ثم نقل بعده خلاف آخر فنظم الخراز من المتأخرين بالمغرب ارجوزة اخرى زاد فيها على المقنع خلافاً كثيراً وعزاه لناقليه واشتهرت بالمغرب واقتصر الناس على حخفظها وهجروا بها كتب ابي داود وابي عمرو والشاطبي في الرسم والله اعلم .

علم القرانات

قال صاحب مفتاح السعادة : اعلم ان القران هو اجتماع كوكبين او اكثر الكواكب السبعة السيارة في درجة واحدة من برج واحد .

ويبحث في هذا العلم عن الاحكام الجارية في هذا العالم بسبب قران السبعة كلها او بعضها في درجة واحدة من برج معين انتهى .

قال في مدينة العلوم :وزعموا ان لقرانات الكواكب كلها او بعضها آثاراً في عالم الكون والفساد كحدوث طوفان عظيم مثل طوفان نوح عليه السلام او تبدل ملة كبعثة الانبياء ، او تبدل دولة كغلبة الاسكندر وجنكيز خان وتيمور وامثال ذلك .

وزعموا ان منها ما يكون في كل عشرين سنة ، ومنها ما يكون في كل مائتين واربعين سنة ، ومنها ما يكون في كل سبعمائة وستين سنة ، ومنها ما يكون في ثلاثة آلاف سنة وثمانية واربعين سنة مرة.

ومنها ما يكون في كل سبعة آلاف سنة مرة والله اعلم بحقيقة الحال فيبحث في هذا العلم عن الاحكام الجارية في هذا العالم بسبب القرانات المذكورة.

ولنصير الدين الطوسي تأليف في هذا الباب وكذا الجاماسب الحكيم انتهى .

اقول وفي كتاب حجج الكرامة في آثار القيامة جملة كافية في ضبط حوادث القرانات الخالية فانظر اليه يتسل قلبك .

علم قرض الشعر

وهو علم باحث عن احوال الكلمات الشعرية لا من حيث الوزن والقافية بل من حيث حسنها وقبحها من حيث انها شعر .

وحاصله تتبع احوال خاصة بالشعر من حيث الحسن والقبح والجواز

والامتناع وامثالها قاله في مفتاح السعادة ومدينة العلوم .

قال ابن الصدر في الفوائد هو معرفة محاسن الشعر ومعائبه كما عاب الصاحب ابا تمام في قوله :

كريم متى امدحه امدحه والورى معي اذا ما لمته لمته وحدي

حيث قابل المدح باللوم والصواب مقابلته بالذم والهجاء وايضا عيب على ابي تمام التكرير في امدحه مع الجمع بين الحاء والهاء وهما من حروف الحلق انتهى وغرضه تحصيل ملكة ايراد الشعر على تلك الاحوال الخاصة .

وغايته الاحتراز عن الخطأ في ذلك الايراد .

ومباديه مقدمات حاصلة من تتبع اشعار الغرب واستحسانات تقبلها الطباع السليم .

قال الارنيفي في المدينة رأيت كتابا منظوما في هذا العلم وانا في عنفوان الشباب في زمن اشتغالي بالعلوم الادبية لكن لم اتذكر اسمه واسم مصنفه في هذا الآن والله المستعان

علم القرعة

وهو علم[1] يعرف به الاستدلال على الأحوال الحادثة في الاستقبال بكتابة الحروف على شكل من الأشكال ثم يستدل بوقوعه على وقوع المطلوب وهو كالرمل فتعتبر احواله فيه ايضا لكن دلالاته اضعف من دلالات الرمل والله اعلم .

---

(١) وقد ثبت اعتبار القرعة في شريعة الاسلام كما صرّح به المؤلف مد ظله في كتاب القضاء له فليعلم ، سيد نور الحسن خان سلمه الله تعالى وابقاه .

علم القضاء

هو علم يبحث فيه عن آداب القضاة في احوالهم وقضاياهم وفصل الخصومات ونحو ذلك وأشهر الكتب فيه كتاب ادب القاضي للخصاف كذا في مدينة العلوم قلت واحسنها واجمعها دليلا كتابنا ظفر اللاضي بما يجب في القضاء على القاضي .

علم قلع الآثار

وتعريفه من اسمه ظاهر لكنه علم شريف يقتدر به الانسان على إزالة الادهان والصموغ والالوان التي يعسر ازالتها عن الثياب ونحوها بادنى شيء او ادنى حيلة ويقتدر ايضا على ازالة الخط من الاوراق من غير كشط ولا بقاء اثر فيها وهذا من اعظم الحيل ولا بد من كتمانها اذ يؤل الى ابطال الصكوك والسجلات وامثالها .

قال في مدينة العلوم دبغ التوت الشامي يزول بورقها وكذا دبغ التوت الحلو يزول بورق التوت الحلو ودبغ العنب الابيض يزول بالعنب الاسود وبالعكس والآثار المجهولة في الثياب تزول بالنقع في خرء الحمام طول الليل ثم يغسل بكرة بالصابون فانه ينقلع انتهى .

علم قوانين الكتابة

قال ابو الخير في موضوعاته : هو علم يعرف منه كيفية نقش صور الحروف البسائط وكيف يوضع القلم ومن ايّ جانب يبتدأ في الكتابة وكيف يسهل تصـ تلك الحروف وفيه من المصنفات الباب الواحد من كتاب صبح الاعشى انتهى ومثله في مدينة العلوم .

وكتاب صبح الاعشى جعله مؤلفه سبعة اجزاء ، قال الارنيقي لم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بعلم الانشاء الا اوردها وزعم ان المنشيء لا بد له من معرفة جميع العلوم والاخبار والاحوال فأتى في كتابه ما امكن له التعرض انتهى .

علم القوافي

قد مر تعريفه في علم القافية .

علم قود العساكر والجيوش

هو علم باحث عن ترتيب العساكر ونصب الرؤساء لضبط احوالهم وتهيئة ارزاقهم وتمييز الشجاع عن الجبان والقوي عن الضعيف .

ومن آدابه ان يحسن الى الأقوياء والشجعان فوق احسان الضعفاء من الأقران ثم يستميل قلوب الشجعان بأنواع اللطف والاحسان ويهيء لهم ألبسة الحروب وما يليق بهم من السلاح ثم يأمر كلا منهم بالزهد والصلاح ليفوز بالخير والفلاح ويأمرهم ان لا يظلموا احدا ولا ينقضوا عهدا ولا يهملوا ركنا من اركان الشريعة فانه الى استئصال الدولة ذريعة اي ذريعة ذكره ابو الخير ومثل له مثالا في موضوعاته ومثله في مدينة العلوم .

وقال : وفي كتاب الأحكام السلطانية للماوردي ما يكفي في هذا الباب .

علم قوس قزح

هو علم باحث عن كيفية حدوثه وسبب حدوثه وسبب استدارته واختلاف الوانه وحصوله عقيب الامطار وطرفي النهار وحصوله في النهار كثيرا وفي ضوء

القمر في الليل احيانا واحكام حدوثه في عالم الكون والفساد الى غير ذلك من الاحوال ذكره ابو الخير وعدّه من علم الطبيعي ومثله في مدينة العلوم .

علم القيافة

هو على قسمين :

قيافة الأثر ، ويقال لها العيافة وقد مرت .

وقيافة البشر ، وهي المرادة ههنا وهو علم باحث عن كيفية الاستدلال بهيئات اعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما في النسب والولادة في سائر احوالهما واخلاقهما .

والاستدلال بهذا الوجه مخصوص ببني مدلج وبني لعب ومن العرب وذلك لمناسبة طبيعة حاصلة فيهم لا يمكن تعلمه .

وحكمة الاختصاص تؤول الى صيانة النسبة النبوية كما قال بعض الحكماء .

وخص ذلك بالعرب ليكون سببا لارتداع نسائهم عما يورث خبث الحس وشوب النسب من فساد البذر والزرع وحصول هذا العلم بالحدس والتخمين لا بالاستدلال واليقين والله سبحانه وتعالى اعلم .

حُكي ان الامام الشافعي ومحمد بن الحسن رأيا رجلا فقال محمد انه نجار .

وقال الشافعي انه حداد فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا والآن نجار .

وانما سمي بقيافة البشر لكون صاحبه متتبع بشرات الانسان وجلوده واعضاءه واقدامه .

وهذا العلم لا يحصل بالدراسة والتعليم ولهذا لم يصنف فيه .

وذكروا ان اقليمون صاحب الفراسة كان يزعم في زمانه انه يستدل بتركيب الانسان على اخلاقه فاراد تلامذة بقراطان أن يمتحنوه به فصوروا صورة بقراط ثم

نهضوا بها اليه وكانت يونان تحكم الصورة بحيث تحاكى المصورة من جميع الوجوه في قليل امرها وكثيره لانهم كانوا يعظمون الصورة ويعبدونها فلذلك يحكمونها . وكل الامم تبع لهم في ذلك ولذلك يظهر التقصير من التابعين في التصوير وظهورا بيناً فلما حضروا عند اقليمون ووقف على الصورة وتأملها وامعن النظر فيها قال : هذا رجل يحب الزنا وهو لا يدري من هو فقالوا له كذبت هذه صورة بقراط ، فقال لا بد لعملي ان يصدق فاسألوه فلما رجعوا اليه واخبروه بما كان قال صدق اقليمون انا احب الزنا ولكن املك نفسي كذا في تاريخ الحكماء .

قال في مدينة العلوم ومبنى هذا العلم ما يثبت في المباحث الطبية من وجود المناسبة والمشابهة بين الولد ووالديه ، وقد تكون تلك المناسبة في الأمور الظاهرة بحيث يدركها كل احد ، وقد يكون في امور خفية لا يدركها الا ارباب الكمال .

ولهذا اختلف احوال الناس في هذا العلم كمالا وضعفا الى حيث لا يشتبه عليه شيء اصلا لسبب كماله في القوتين اي القوة الباصرة والقوة الحافظة اللتين لا يحصل هذا العلم الا بهما وهذا العلم موجود في قبائل العرب ويندر في غيرهم لان هذا العلم لا يحصل الا بالتجارب والمزاولة عليه مددا متطاولة ، ولهذا لم يقع في هذا العلم تصنيف وانما هو متوارث ولاهتمام العرب بهذا العلم اختص بهم وتوارثه خلف عن سلف ولهذا لم يوجد في غيرهم انتهى .

اقول وقد اعتبر القيافة الشارع ايضا في بعض الاحكام كما ورد في الصحيح من حديث مجزز الاسلمي انه دخل فرأى اسامة بن زيد وزيداً وعليهما قطيفة قد غطيارؤوسهماوبدت اقدامها فنظر اليهما مجزز الأسلمي وقال ان هذه الاقدام بعضها من بعض فسر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وجه ادخال هذا الحديث في كتاب الفرائض الرد على من زعموا ان القائف لا يعتبر به فان اعتبر قوله فعمل به لزم منه حصول التوارث بين الملحق والملحق به انتهى وقد بسط القول في ذلك القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني في مؤلفاته فارجع اليها .

بابُ الكاف

علم كتابة التقاويم

هو علم يتعرف به كيفية اثبات ما خرج من حساب الزيج في الاوراق الاثني عشر على وجه خاص وترتيب خاص يعرفه اهل هذا الشأن ، وبين نصير الدين الطوسي جميع احوال التقويم ومصطلحاته في رسالة له ورتبها على ثلثين فصلا .

علم الكحالة

هو من فروع علم الطب وهو علم باحث عن حفظ صحة العين وإزالة مرضها وموضوعه عين الانسان وغرضه ونفعه ظاهران لا يخفيان على المتأمل والكتب التي ألفت فيه كثيرة حسنة .

ومنها تذكرة الكحالين وتركيب العين ورسالة الكي وشفاء العيون وكشف الرين في احوال العين وصور العيون ونتيجة الفكر في احوال البصر ونور العيون والمهذب وغير ذلك ومن الكتب الجديدة التأليف فيه كتاب ضياءالنيرين في مداواة العينين طبع بمصر ووقفت عليه فوجدته انفس الكتب في علاج امراض العين وهو للشيخ العالم الماهر احمد بن حسن الرشيدي ألفه باسم محمد علي باشا مصر .

علم الكسر والبسط

هو علم بوضع الحروف المقطعة بأن يقطع الانسان حروف اسم من اسماء الله تعالى ويمزج تلك الحروف مع حروف مطلوبة ويوضع في سطر ثم يعمل على طريقة يعرفها اهلها حتى يغير ترتيب الحروف الموجودة في السطر الاول وفي السطر الثاني ثم وثم الى ان ينتظم عين السطر الاول فيؤخذ منه اسماء ملائكة ودعوات يشتغل بها حتى يتم مطلوبه قاله صاحب مفتاح السعادة ونحوه في مدينة العلوم .

علم الكشف

لم يزد في الكشف على هذا والظاهر انه من فروع علم الباطن .

علم كشف الدك وايضاح الشك

قال في مفتاح السعادة هو علم تعرف منه الحيل المتعلقة بالصنائع الجزئية .
من التجارات وصنعة السمن واللازورد واللعل والياقوت وتغرير الناس في ذلك ، ولما كان مبناه محرماً في الشرع اضربنا عن تفصيله وان اردت الوقوف عليه فارجع الى كتاب المختار في كشف الاستار فانه بالغ في كشف هذه الأسرار انتهى ومثله في مدينة العلوم .

علم الكلام

قال ابو الخير في الموضوعات : هو علم يقتدر به على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها وموضوعه ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته عند المتقدمين .

وقيل موضوعه الموجود من حيث هو موجود .

وعند المتأخرين موضوعه المعلوم من حيث ما يتعلق به من اثبات العقائد الدينية تعلقا قريبا او بعيدا او ارادوا بالدينية المنسوبة الى دين نبينا محمد ﷺ انتهى ملخصا .

والكتب المؤلفة فيه كثيرة ذكرها صاحب كشف الظنون .

وللسيد الامام العلامة محمد بن الوزير كتاب ترجيح اساليب القرآن لاهل الايمان على اساليب اليونان ، وبيان ذلك باجماع الاعيان بأوضح التبيان وكتاب البرهان القاطع في اثبات الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع ردّ في هذين الكتابين على المتكلمين والكلام واثبت ان جميع مسائل هذا العلم تثبت بالسنة والقرآن ولا يحتاج معهما الى قوانين المتكلمين وقواعد الكلام وهما نفيسان جدا وما احسن ما قال الغزالي في الاحياء .

وحاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما ، فهو اما مجادلة مذمومة وهي من البدع واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيئاً منها مألوفاً في العصر الأول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع انتهى .

قال ابن خلدون : علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالادلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف واهل السنة ، وسر هذه العقائد الايمانية هو التوحيد فلنقدم هنا لطيفة في برهان عقلي يكشف لنا عن التوحيد على اقرب الطرق والمآخذ ثم نرجع الى تحقيق علمه وفيما ينظر ويشير الى حدوثه في الملة وما دعا الى وضعه .

فنقول ان الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات او من

الأفعال البشرية او الحيوانية فلا بد لها من أسباب متقدمة عليها بها تقع في مستقر العادة وعنها يتم كونه وكل واحد من هذه الأسباب حادث ايضا فلا بد له من أسباب أخر ولا تزال تلك الأسباب مرتقية حتى تنتهي الى مسبب الأسباب وموجدها وخالقها سبحانه لا إله الا هو ، وتلك الاسباب في ارتقائها تتفسح وتتضاعف طولا وعرضا ويحار العقل في ادراكها وتعديدها فإذاً لا يحصرها الا العلم المحيط سيما الافعال البشرية والحيوانية ، فان من جملة اسبابها في الشاهد المقصود والارادات اذ لا يتم كون الفعل الا بارادته والقصد اليه ، والقصود والارادات امور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة يتلو بعضها بعضا وتلك التصورات هي اسباب قصد الفعل ، وقد تكون أسباب تلك التصورات تصورات اخرى ، وكل ما يقع في النفس من التصورات مجهول سببه اذ لا يطلع احد على مبادىء الأمور النفسانية ولا على ترتيبها انما هي اشياء يلقيها الله في الفكر يتبع بعضها بعضا ، والانسان عاجز عن معرفة مباديها وغاياتها وانما يحيط علما في الغالب بالأسباب التي هي طبيعية ظاهرة ويقع في مداركها على نظام وترتيب ، لأن الطبيعة محصورة للنفس وتحت طورها .

واما التصورات فنطاقها اوسع من النفس لانها للعقل الذي هو فوق طور النفس فلا تدرك الكثير منها فضلا عن الاحاطة بها وتأمل من ذلك حكمة الشارع في نهيه عن النظر الى الاسباب والوقوف معها فانه واد يهيم فيه الفكر ولا يحلو منه بطائل ولا يظفر بحقيقة (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) وربما انقطع في وقوفه عن الارتقاء الى ما فوقه فزلت قدمه واصبح من الضالين الهالكين نعوذ بالله من الحرمان والخسران المبين ، ولا تحسبن ان هذا الوقوف او الرجوع عنه في قدرتك واختيارك بل هو لون يحصل للنفس وصبغة تستحكم من الخوض في الأسباب على نسبة لا نعلمها اذ لو علمناها لتحرزنا منها فلنتحرز من ذلك بقطع النظر عنها جملة وايضا فوجه تأثير هذه الأسباب في الكثير من مسبباتها مجهول لأنها

انما يوقف عليها بالعادة لاقتران الشاهد بالاستناد الى الظاهر وحقيقة التأثير وكيفية مجهولة (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) فلذلك امرنا بقطع النظر عنها وإلغائها جملة والتوجه الى مسبب الاسباب كلها وفاعلها وموجدها لترسخ صفة التوحيد في النفس على ما علمنا الشارع الذي هو اعرف بمصالح ديننا وطرق سعادتنا الاطلاعه على ما وراء الحس قال صلى الله عليه وآله وسلم (من مات يشهد ان لا إله الا الله دخل الجنة) فان وقف عند تلك الأسباب فقد انقطع وحقت عليه كلمة الكفر ، وان سبح في بحر النظر والبحث عنها وعن اسبابها وتأثيراتها واحدا بعد واحد فانا الضامن له ان لا يعود إلا بالخيبة فلذلك نهانا الشارع عن النظر في الأسباب وامرنا بالتوحيد المطلق (قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن كفواً احد) ولا تثقن بما يزعم لك الفكر من انه مقتدر على الاحاطة بالكائنات واسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله وسفه رأيه في ذلك .

واعلم ان الوجود عند كل مدرك في باديء رأيه منحصر في مداركه لا يعدوها والأمر في نفسه بخلاف ذلك والحق من ورائه الا ترى الاصم كيف ينحصر الوجود عنده في المحسوسات الاربع والمعقولات ويسقط من الوجود عنده صنف المسموعات ، وكذلك الأعمى ايضا يسقط عنده صنف المرئيات ولولا ما يردّهم الى ذلك تقليد الآباء هذه الاصناف لا بمقتضى فطرتهم وطبيعة ادراكهم ، ولو سئل الحيوان الاعجم ونطق لوجدناه منكراً للمعقولات وساقطة لديه بالكلية ، فإذا علمت هذا فلعل هناك ضرباً من الادراك غير مدركاتنا لأن ادراكاتنا مخلوقة محدثة وخلق الله اكبر من خلق الناس ، والحصر مجهول الوجود اوسع نطاقا من ذلك والله من ورائهم محيط فاتهم ادراكك ومدركاتك في الحصر واتبع ما أمرك الشارع به من اعتقادك وعملك فهو احرص على سعادتك ، واعلم بما ينفعك لانه من طور فوق ادراكك ومن نطاق اوسع من نطاق عقلك وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه بل العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها غير انك لا تطمع ان تزن به امور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات

الالهية وكل ما وراء طوره فان ذلك طمع في محال ، ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع ان يزن به الجبال وهذا لا يدرك على ان الميزان في احكامه غير صادق لكنّ العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له ان يحيط بالله وبصفاته فانه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه وتفطن في هذا الغلط من يقدم العقل على السمع في امثال هذه القضايا وقصور فهمه واضمحلال رأيه ، فقد تبين لك الحق من ذلك واذا تبين ذلك فلعل الأسباب اذا تجاوزت في الارتقاء نطاق ادراكنا ووجودنا خرجت عن ان تكون مدركة فيضل العقل في بيداء الاوهام ويحار وينقطع ، فاذا التوحيد هو العجز عن ادراك الأسباب وكيفيات تأثيرها وتفويض ذلك الى خالقها المحيط بها اذ لا فاعل غيره وكلها ترتقي اليه وترجع الى قدرته وعلمنا به انما هو من حيث صدورنا عنه ، وهذا هو معنى ما نقل عن بعض الصديقين العجز عن الادراك ادراك .

ثم ان المعتبر في هذا التوحيد ليس هو الايمان فقط الذي هو تصديق حكمي فان ذلك من حديث النفس ، وانما الكمال فيه حصول صفة منه تتكيف بها النفس كما ان المطلوب من الأعمال والعبادات ايضا حصول ملكة الطاعات والانقياد وتفريغ القلب عن شواغل ما سوى المعبود حتى ينقلب المريد السالك ربانيا .

والفرق بين الحال والعلم في العقائد فرق ما بين القول والاتصاف .

وشرحه ان كثيرا من الناس يعلم ان رحمة اليتيم والمسكين قربة الى الله تعالى مندوب اليها ويقول بذلك ويعترف به ويذكر مأخذه من الشريعة وهو لو رأى يتيما او مسكينا من ابناء المستضعفين لفرّ عنه واستنكف ان يباشره فضلا عن التمسح عليه للرحمة وما بعد ذلك من مقامات العطف والحنو والصدقة ، فهذا انما حصل له من رحمة اليتيم مقام العلم ولم يحصل له مقام الحال والاتصاف ومن الناس من يحصل له مع مقام العلم والاعتراف بان رحمة المسكين قربة الى الله تعالى مقام آخر

اعلى من الأول وهو الاتصاف بالرحمة وحصول ملكتهبا ، فمتى رأى يتيما او مسكينا بادر اليه ومسح عليه والتمس الثواب في الشفقة عليه لا يكاد يصبر عن ذلك ، ولو دفع عنه ثم يتصدق عليه بما حضره من ذات يده وكذا علمك بالتوحيد مع اتصافك وليس الاتصاف ضرورة هو اوثق مبني من العلم الحاصل قبل الاتصاف وليس الاتصاف بحاصل عن مجرد العلم حتى يقع العمل ويتكرر مرارا غير منحصرة فترسخ الملكة ويحصل الاتصاف بحاصل عن مجرد العلم حتى يقع العمل ويتكرر مرارا غير منحصرة فترسخ الملكة ويحصل الاتصاف والتحقيق ويجيء العلم الثاني النافع في الآخرة فان العلم الاول المجرد عن الاتصاف قليل الجدوى والنفع وهذا علم اكثر النظار والمطلوب انما هو العلم الحالي الناشيء عن العادة .

واعلم ان الكمال عند الشارع في كل ما كلف به انما هو في هذا فما طلب اعتقاده فالكمال في العلم الثاني الحاصل عن الاتصاف وما طلب عمله من العبادات فالكمال فيها في حصول الاتصاف والتحقق بها ثم ان الاقبال على العبادات والمواظبة عليها هو المحصل لهذه الثمرة الشريفة قال ﷺ في رأس العبادات (جعلت قرة عيني في الصلوٰة) فان الصلوٰة صارت له صفة وحالاً يجد فيها منتهى لذته وقرة عينه واين هذا من صلوٰة الناس ومن لهم بها (فويل للمصلين الذين هم عن صلوٰتهم ساهون) اللهم وفقنا واهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

فقد تبين لك من جميع ما قررنا ان المطلوب في التكاليف كلها حصول ملكة راسخة في النفس يحصل عنها علم اضطراري للنفس هو التوحيد وهو العقيدة الايمانية وهو الذي تحصل به السعادة وان ذلك سواء في التكاليف القلبية والبدنية ويتفهم منه ان الايمان الذي هو اصل التكاليف وينبوعها هو بهذه المثابة ذو مراتب :

اولها التصديق القلبي الموافق اللسان .

واعلاها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي وما يتبعه من العمل مستولية على القلب فيستتبع الخوارج وتندرج في طاعتها جميع التصرفات حتى تنخرط الأفعال كلها في طاعة ذلك التصديق الايماني .

وهذا ارفع مراتب الايمان وهو الايمان الكامل الذي لا يقارف المؤمن معه صغير ولا كبيرة اذ حصول الملكة ورسوخها مانع من الانحراف عن مناهجه طرفة عين ، قال ﷺ (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) وفي حديث هرقل لما سأل ابا سفيان بن حرب عن النبي ﷺ واحواله فقال في اصحابه : هل يرتد احد منهم سخطة لدينه قال لا قال وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب .

ومعناه ان ملكة الايمان اذا استقرت عسر على النفس مخالفتها شأن الملكات اذا استقرت فانها تحصل بمثابة الجبلة والفطرة ، وهذه هي المرتبة العالية مِنَ الايمان ، وهي في المرتبة الثانية من العصمة لان العصمة واجبة للانبياء وجوبا سابقا ، وهذه حاصلة للمؤمنين حصولا تابعا لاعمالهم وتصديقهم ، وبهذه الملكة ورسوخها يقع التفاوت في الايمان كالذي يتلى عليك من اقاويل السلف وفي تراجم البخاري رضي الله عنه في باب الايمان كثير منه مثل ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وان الصلوٰة والصيام من الايمان ، وان تطوع[1] رمضان من الايمان ، والحياء من الايمان والمراد بهذا كله الايمان الكامل الذي أشرنا اليه والى ملكته وهو فعلي .

وأما التصديق الذي هو اول مراتبه ومن اعتبروا آخر الاسماء وحمله على هذه الملكة التي هي الايمان الكامل ظهر له التفاوت وليس ذلك بقادح في اتحاد حقيقته الاولى التي هي التصديق اذ التصديق موجود في جميع رتبه لانه اقل ما يطلق عليه

---

(١) اي تطوع قيام رمضان .

اسم الايمان وهو المخلص من عهدة الكفر والفيصل بين الكافر والمسلم فلا يجزى اقل منه وهو في نفسه حقيقة واحدة لا تتفاوت وانما التفاوت في الحال الحاصلة عن الأعمال كما قلناه فافهم .

واعلم ان الشارع وصف لنا هذا الايمان الذي في المرتبة الاولى الذي هو تصديق وعين اموراً مخصوصة كلفنا التصديق بها بقلوبنا واعتقادها في انفسنا مع الاقرار بألسنتنا وهي العقائد التي تقررت في الدين قال ﷺ حين سئل عن الايمان فقال (ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) وهذه هي العقائد الايمانية المقررة في علم الكلام .

ولنشر اليها بجملة لتتبين لك حقيقة هذا الفن وكيفية حدوثه فنقول :

اعلم ان الشارع لما أمرنا بالايمان بهذا الخالق الذي رد الأفعال كلها اليه وافرده به كما قدمناه وعرفنا ان في هذا الايمان نجاتنا عند الموت اذا حضرنا لم يعرفنا بكنه حقيقة هذا الخالق المعبود اذ ذاك متعذر على ادراكنا ومن فوق طورنا فكلفنا اولا اعتقاد تنزيهه في ذاته عن مشابهة المخلوقين ، وإلا لما صح انه خالق لهم لعدم الفارق على هذا التقديم ، ثم تنزيهه عن صفات النقص والا لشابه المخلوقين ، ثم توحيده بالاتحاد والا لم يتم الخلق للتمانع ، ثم اعتقاد انه عالم قادر ، فبذلك تتم الأفعال شاهد قضيته لكمال الاتحاد والخلق .

ومريد وإلا لم يخصص شيء من المخلوقات .

ومقدر لكل كائن والا فالارادة حادثة .

وانه يعيدنا بعد الموت .

ثم اعتقاد بعثة الرسل لنجاة من شقاء هذا المعاد لاختلاف احواله بالشقاء والسعادة وعدم معرفتنا بذلك وتمام لطفه بنا في الايتاء بذلك وبيان الطريقين وان الجنة للنعيم وجهنم للعذاب .

هذه امهات العقائد الايمانية معللة بأدلتها العقلية وادلتها من الكتاب

والسنة كثيرة ، وعن تلك الادلة أخذها السلف وأرشد اليها العلماء وحققتها الأئمة ، الا انه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل هذه العقائد اكثر مثارها من الآي المتشابهة فدعا ذلك الى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل زيادة الى النقل فحدث بذلك علم الكلام ، ولنبين لك تفصيل هذا المجمل وذلك .

ان القرآن ورد فيه وصف المعبود بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل في أي كثيرة وهي سلوب كلها وصريحة في بابها فوجب الايمان بها ووقع في كلام الشارع صلوات الله عليه وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها .

ثم وردت في القرآن آي اخرى قليلة توهم التشبيه مرة في الذات واخرى في الصفات .

فأما السلف فغلبوا ادلة التنزيه لكثرتها ووضوح دلالتها وعلموا استحالة التشبيه ، وقضوا بان الآيات من كلام الله فآمنوا بها ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل ، وهذا معنى قول الكثير منهم : اقرأوها كما جاءت اي آمنوا بانها من عند الله ولا تتعرضوا لتأويلها ولا تفسيرها لجواز أن تكون ابتلاء فيجب الوقف والاذعان له .

وشذ لعصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الآيات وتوغلوا في التشبيه .

ففريق اشبهوا في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه عملا بظواهر وردت بذلك فوقعوا في التجسيم الصريح ومخالفة اي التنزيه المطلق التي هي اكثر موارد وأوضح دلالة ، لان معقولية الجسم تقتضي النقص والافتقار وتغليب آيات السلوب في التنزيه المطلق الذي هي اكثر موارد وأوضح دلالة اولى من التعلق بظواهر هذه التي لنا عنها غنية ، وجمع بين الدليلين بتأويلهم ثم يفرون من شناعة ذلك بقولهم جسم لا كالاجسام وليس ذلك بدافع لانه قول متناقض ، وجمع بين نفي وإثبات ان كان بالمعقولية واحدا من الجسم وان خالفوا بينهما ونفوا المعقولية المتعارفة فقد وافقونا في التنزيه ولم يبق الا جعلهم لفظ الجسم اسما من اسمائه

ويتوقف مثله على الاذن .

وفريق منهم ذهبوا الى التشبيه في الصفات كثبات الجبهة والاستواء والنزول والصوت والحرف وامثال ذلك وآل قولهم الى التجسيم فنزعوا مثل الأولين الى قولهم صوت لا كالاصوات جهة لا كالجهات ، ونزول لا كالنزول ، يعنون من الاجسام ، واندفع ذلك بما اندفع به الأول ، ولم يبق في هذه الظواهر الا اعتقادات السلف ومذاهبهم والايمان بها كما هي لئلا يكرّ النفي على معانيها بنفيها مع انها صحيحة ثابتة من القرآن ، ولهذا تنظر ما تراه في عقيدة الرسالة لابن ابي زيد وكتاب المختصر له وفي كتاب الحافظ ابن عبد البر وغيرهم فانهم يحومون على هذا المعنى ، ولا تغمض عينك عن القرائن الدالة على ذلك في غصون كلامهم .

ثم لما كثرت العلوم والصنائع وولع الناس بالتدوين والبحث في سائر لانحاء ، وألف المتكلمون في التنزيه حدثت بدعة المعتزلة في تعميم هذا التنزيه في آي السلوب .

فقضوا بنفي صفات المعاني من العلم والقدرة والارادة والحياة زائدة على احكامها لما يلزم على ذلك من تعدد القديم بزعمهم وهو مردود ، بأن الصفات ليست عين الذات ولا غيرها .

وقضوا بنفي السمع والبصر لكونهما من عوارض الاجسام وهو مردود لعدم اشتراط البينة في مدلول هذا اللفظ وانما هو ادراك المسموع او المبصر .

وقضوا بنفي الكلام لشبه ما في السمع والبصر ، ولم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس فقضوا بأن القرآن مخلوق بدعة صرح السلف بخلافها وعظم ضرر هذه البدعة ، ولقنها بعض الخلفاء عن ائمتهم فحمل الناس عليها وخالفهم ائمة السلف فاستحل لخلافهم ايسار كثير منهم ودماءهم كان ذلك سببا لانتهاض اهل السنة بالادلة العقلية على هذه العقائد دفعا في صدور هذه البدع ،

وقام بذلك الشيخ ابو الحسن الاشعري ،ما المتكلمين فوسط بين الطرق ونفي التشبيه واثبت الصفات المعنوية وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف وشهدت له الادلة المخصصة لعمومه ، فأثبت الصفات الاربع المعنوية والسمع والبصر والكلام القائم بالنفس بطريق النقل والعقل ورد على المبتدعة في ذلك كله ، وتكلم معهم فيما مهدوه لهذه البدع من القول بالصلاح والاصلح والتحسين والتقبيح وكمل العقائد في البعثة واحوال الجنة والنار والثواب والعقاب وألحق بذلك الكلام في الإمامة لما ظهر حينئذ من بدعة الامامية من قولهم انها من عقائد الايمان ، وانه يجب على النبي تعيينها والخروج عن العهدة في ذلك لمن هي له ، وكذلك على الامة .

وقصارى امر الامامة انها قضية مصلحية اجماعية لا تلحق بالعقائد فلذلك الحقوها بمسائل هذا الفن وسموا مجموعه ، علم الكلام .

اما لما فيه من المناظرة على البدع وهي كلام صرف وليست براجعة الى عمل .

واما لان سبب وضعه والخوض فيه هو تنازعهم في اثبات الكلام النفسي .

وكثر اتباع الشيخ ابي الحسن الاشعري واقتفى طريقته من بعده تلميذه كابن مجاهد وغيره ، واخذ عنهم القاضي ابو بكر الباقلاني فتصدر للامة في طريقتهم وهذبها ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الادلة والانظار ، وذلك مثل اثبات الجوهر الفرد والخلاء وان العرض لا يقوم بالعرض ، وانه لا يبقى زمانين وامثال ذلك مما تتوقف عليه ادلتهم ، وجعل هذه القواعد تبعا للعقائد الايمانية في وجوب اعتقادها لتوقف تلك الادلة عليها ، وان بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول وجملت هذه الطريقة وجاءت من احسن الفنون النظرية والعلوم الدينية الا ان صور الادلة تعتبر بها الاقيسة ولم تكن حينئذ ظاهرة في الملة ولو ظهر منها بعض الشيء فلم يأخذ به المتكلمون لملابستها للعلوم الفلسفية المباينة للعقائد

الشرعية بالجملة فكانت مهجورة عندهم لذلك .

ثم جاء بعد القاضي ابي بكر الباقلاني إمام الحرمين ابو المعالي فأملى في الطريقة كتاب الشامل واوسع القول فيه ، ثم لخصه في كتاب الارشاد واتخذه الناس اماما لعقائدهم ثم انتشرت من بعد ذلك علوم المنطق في الملة وقرأه الناس وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بأنه قانون ومعيار للادلة فقط يسير به الادلة منها كما يسير من سواها .

ثم نظروا في تلك القواعد والمقدمات في فن الكلام للاقدمين فخالفوا الكثير منها بالبراهين التي ادلت الى ذلك وربما ان كثيرا منها مقتبس من كلام الفلاسفة في الطبيعيات والالٰهيات ، فلما سيروها لمعيار المنطق ردهم الى ذلك فيها ولم يعتقدوا بطلان المدلول من بطلان دليله كما صار اليه القاضي فصارت هذه الطريقة من مصطلحهم مباينة للطريقة الاولى وتسمى طريقة المتأخرين ، وربما ادخلوا فيها الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه من العقائد الايمانية وجعلوهم من خصوم العقائد لتناسب الكثير من مذاهب المبتدعة ومذاهبهم .

واول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي رحمه الله وتبعه الامام ابن الخطيب وجماعة قفوا اثرهم واعتمدوا تقليدهم ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة والتبس عليهم شأن الموضوع في العلمين فحسبوه فيها واحدا من اشتباه المسائل فيهما .

واعلم ان المتكلمين لما كانوا يستدلون في اكثر احوالهم بالكائنات واحوالها على وجود الباري وصفاته وهو نوع استدلالهم غالبا والجسم الطبيعي ينظر فيه الفيلسوفي في الطبيعيات وهو بعض من هذه الكائنات الا ان نظره فيها مخالف لنظر المتكلم وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن .

والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل .

وكذا نظر الفيلسوفي في الالٰهيات انما هو نظر في الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته .

ونظر المتكلم في الوجود من حيث انه يدل على الموجد ، وبالجملة فموضوع علم الكلام عند اهله انما هو العقائد الايمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن ان يستدل عليها بالادلة العقلية فترفع البدع وتزول الشكوك والشبه عن تلك العقائد .

واذا تأملت حال الفن في حدوثه وكيف تدرج كلام الناس فيه صدرا بعد صدر وكلهم يفرض العقائد صحيحة ويستنهض الحجج والادلة علمت حينئذ ما قررناه لك في موضوع الفن وانه لا يعدوه .

ولقد اختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين والتبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث لا يتميز احد الفنين من الآخر ولا يحصل عليه طالبه من كتبهم كما فعله البيضاوي في الطوالع ومن جاء بعده من علماء العجم في جميع تآليفهم ، الا ان هذه الطريقة قد يعني بها بعض طلبة العلم للاطلاع على المذاهب والإغراق في معرفة الحجاج لوفور ذلك فيها .

واما محاذاة طريقة السلف بعقائد علم الكلام فانما هو الطريقة القديمة للمتكلمين وأصلها كتاب الارشاد وما حذا حذوه .

ومن اراد ادخال الرد على الفلاسفة في عقائده فعليه بكتب الغزالي والامام ابن الخطيب فانها وان وقع فيها مخالفة للاصطلاح القديم فليس فيها من الاختلاط في المسائل والالتباس في الموضوع ما في طريقة هؤلاء المتأخرين من بعدم .

وعلى الجملة فينبغي ان يعلم ان هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم اذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا والأئمة من اهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا والأدلة العقلية انما احتاجوا اليها حين دافعوا ونصروا واما الآن فلم يبق منها الا كلام تنزه الباري عن كثير ايهاماته واطلاقه .

ولقد سئل الجنيد رحمه الله عن قوم مرّ بهم من المتكلمين يفيضون فيه فقال

ما هؤلاء فقيل قوم ينزهون الله بالادلة عن صفات الحدوث وسمات النقص فقال نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب .

لكن فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة اذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها والله تعالى ولي المؤمنين .

علم الكون والفساد

هو علم باحث عن كيفية الامطار والثلوج والرعد وامثالها ووجودها في بعض البلاد دون بعض وفي بعض الازمان دون آخر وسبب نفع بعضها وضرر الآخر الى غير ذلك من الاحوال ذكره الارنيقي في كتابه المسمى بمدينة العلوم .

علم الكهانة

المراد منه مناسبة الارواح البشرية مع الارواح المجردة من الجن والشياطين ، والاستعلام بهم عن الاحوال الجزئية الحادثة في عالم الكون والفساد المخصوصة بالمستقبل واكثر ما يكون في العرب .

وقد اشتهر فيهم كاهنان احدهما شق والآخر سطيح وقصتهما مشهورة في السير .

وقيل كان وجود ذلك في العرب احد اسباب معجزات النبي ﷺ لما كان يخبر به ويحث على اتباعه ، كما يحكى منهم اخبار مجيء رسول الله ﷺ قبل ولادته المباركة وكونه نبي آخر الزمان وخاتم الانبياء وفي هذا الباب حكايات غريبة لا يليق ايرادها بهذا المختصر فمن اراد الاطلاع عليها فعليه بكتب السير والتواريخ ولا سيما كتاب اعلام النبوة للماوردي ، لكنهم كانوا محرومين بعد بعثة نبينا عليه الصلوة والسلام من الاطلاع على المغيبات ومحجوبين عنها بغلبة نور النبي ﷺ حتى ورد في بعض الروايات انه لا كهانة بعد النبوة فلا يجوز الآن

تصديق الكهنة والإصغاء اليهم بل هو من امارات الكفر والمصدق يكون كافرا لقوله عليه الصلٰوة والسلام (من اتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد) .

لكن المفهوم من كتاب السر المكتوم للفخر الرازي جواز ذلك في الشرع ، حيث جوز النبي صلى الله عليه وسلم اصابة العين وقال العين حق .

قال الرازي ان الكهانة على قسمين :

قسم يكون من خواص بعض النفوس فهو ليس بمكتسب .

وقسم يكون بالعزائم ودعوة الكواكب والاشتغال بهما فبعض طرقه مذكورة فيه ، وان السلوك في هذا الطريق محرم في شريعتنا فعلى ذلك وجب الاحتراز عن تحصيله واكتسابه ، والقسم الاول داخل في علم العرافة وقد تنبه عليه في محله فلا تغفل .

حكي ان السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين حاصر حصنا فصعب عليه فتحها فخرج من ذلك الحصن رجل فقال لا يمنعكم عن فتحها الا اصحاب الاوهام والساكنون فيها ، ولا يمنعهم عن ذلك الا تشويشهم بما يمنعهم عن توجيه الاوهام من ضروب الطبول المزعجة وغلبات العساكر المقلقة عند طلوع الشمس ففعلوا كما قاله وانفتح لهم الحصن كذا في مدينة العلوم .

علم كيفية الارصاد

علم يعرف به كيفية التوصل الى تحصيل مقادير الحركات الفَلكيّة واوضاع الافلاك ومقادير أجرامها وأبعادها بآلات مخصوصة يعرفها اهلها ومنفعته تكميل علم الهيئة وتحصيل الزيجات والاقتدار على تدوينها وحصول عمله بالفعل ، وكتاب الارصاد لابن الهيثم يشتمل على نظري هذا الفن ورسالة غياث الدين جمشيد تشتمل على ترتيب الالآت الرصدية .

علم كيفية انزال القرآن

قال صاحب مفتاح السعادة وفي معرفة كيفية انزاله ثلٰثة اقوال :

الأول : وهو الاصح الاشهر انه نزل الى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجما في ثلٰث او خمس وعشرين سنة على حسب الاختلاف في مدة اقامته بمكة بعد البعثة .

الثاني : انه نزل الى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدراً وثلٰث وعشرين او خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله انزاله في كل السنة ثم نزل بعد ذلك منجما في جميع السنة ، وهذا القول نقله مقاتل وقال به الحليمي والماوردي وذكره فخر الدين الرازي بقوله ويحتمل ثم توقف هل هذا اولى او الاول ؟

الثالث : انه ابتدأ انزاله ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجماً في اوقات مختلفة من سائر الاوقات .

واعلم ان العلماء اختلفوا في معنى الانزال .

فمنهم من قال هو اظهار القراءة .

ومنهم من قال أُلهم ﷺ كلامه وعلم قراءته .

ومنهم من قال يتلقفه الملك من الله تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول ويلقيه عليه .

ومنهم من قال ان الذين يقولون القرآن معنى قائم بذاته يقولون انزاله ايجاد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى واثباته في اللوح به .

واما الذين يقولون انه اللفظ فانزاله عندهم مجرد اتيانه في اللوح ثم في المنزل على النبي ﷺ ثلٰثة اقوال .

احدها : انه اللفظ والمعنى .

وثانيها : ان جبرئيل نزل بالمعاني خاصة وانه ﷺ علمها وعبر عنها بلغة العرب وتمسك صاحب هذا القول بظاهر قوله تعالى (نزل به الروح الامين على

قلبك) .

وثالثها : ان جبريل ألقى عليه المعنى وانه عبر بهذه الالفاظ بلغة العرب وان اهل السماء يقرأونه بالعربية ثم نزل به كذلك انتهى وفيه اقوال غير ذلك ان اردتها وجدتها في التفاسير وحواشي البيضاوي والاتقان للسيوطي رحمهما الله .

علم الكيمياء

هو علم يعرف به طرق سلب الخواص من الجواهر المعدنية وجلب خاصية جديدة اليها وإفادتها خواصاً لم تكن لها والاعتماد فيه عن ان الفلزات كلها مشتركة في النوعية ، والاختلاف الظاهر بينها انما هو باعتبار امور عرضية يجوز انتقالها .

قال الصفدي في شرح لامية العجم وهذه اللفظة معربة من اللفظ العبراني واصله كيم يه معناه انه من الله وذكر الاختلاف في شأنه بامتناعه عنهم .

وحاصل ما ذكره ان الناس فيه على طريقتين .

فقال كثير ببطلانه منهم الشيخ الرئيس ابن سينا ابطله بمقدمات من كتاب الشفاء ، والشيخ تقي الدين احمد بن تيمية رحمه الله صنف رسالة في انكاره ، وصنف يعقوب الكندي ايضا رسالة في ابطاله جعلها مقالتين وكذلك غيرهم لكنهم لم يوردوا شيئاً يفيد الظن لامتناعه فضلا عن اليقين بل لم يأتوا الا بما يفيد الاستبعاد .

وذهب آخرون الى امكانه منهم الامام فخر الدين الرازي فانه في المباحث المشرقية عقد فصلا في بيان امكانه .

والشيخ نجم الدين بن ابي الدر البغدادي ردّ على الشيخ ابن تيمية وزيّف ما قاله في رسالته .

ورد ابو بكر محمد بن زكريا الرازي على يعقوب الكندي رداً غير طائل ومؤيد الدين ابو اسمٰعيل الحسين بن علي المعروف بالطغرائي صنف فيه كتبا منها

حقائق الاشهادات وبين اثباته وردّاً على ابن سينا .

ثم ذكر الصفدي نبذة من أقوال المثبتين والمنكرين .

وقال الشيخ الرئيس نسلم امكان صبغ النحاس بصبغ الفضة والفضة بصبغ الذهب ، وان يزال عن الرصاص اكثر ما فيه من النقص فاما ان يكون المصبوغ يسلب او يكسى اما الأول فحال واما الثاني فلم يظهر الى امكانه بعد ،اذ هذه الامور المحسوسة يشبه ان لا تكون هي الفصول التي تصير بها هذه الاجساد انواعاً بل هي اعراض ولوازم وفصولها مجهولة ، واذا كان الشيء مجهولا كيف يمكن ان يقصد قصد ايجاد او افناء .

وذكر الامام حججاً أخرى للفلاسفة على امتناعه وابطل بعد ذلك ما قرره الشيخ وغيره وقرر امكانه واستدل في الملخص ايضا على امكانه فقال الامكان العقلي ثابت لان الاجسام مشتركة الجسمية فوجب ان يصح على كل واحد منها ما يصح على الكل على ما ثبت .

وأما الوقوع فلأن انفصال الذهب عن غيره باللون والرزانة وكل واحد منهما يمكن اكتسابه ولا منافاة بينهما نعم الطريق اليه عسير .

وحكى ابو بكر بن الصائغ المعروف بابن ماجة الاندلسي في بعض تآليفه عن الشيخ ابي نصر الفارابي انه قال : قد بين ارسطو في كتابه من المعادن ان صناعة الكيمياء داخلة تحت الامكان الا انها من الممكن الذي يعسر وجوده بالفعل اللهم الا ان تتفق قرائن يسهل بها الوجود وذلك انه فحص عنها اولا على طريق الجدل فأثبتها بقياس وأبطلها بقياس على عادته فيما يكثر عناده من الأوضاع ثم اثبتها اخيراً بقياس ألفه من مقدمتين بينهما في اول الكتاب .

وهما ان الفلزات واحدة بالنوع والاختلاف الذي بينها ليس في ماهياتها وانما هو في اعراضها ، فبعضه في اعراضها الذاتية ، وبعضه في اعراضها العرضية .

والثانية ان كل شيئين تحت نوع واحد اختلفا بعرض فانه يمكن انتقال كل واحد منهما الى الآخر فان كان العرض ذاتيا عسر الانتقال وان كان مفارقا سهل الانتقال ، والعسير في هذه الصناعة انما هو لاختلاف اكثر هذه الجواهر في اعراضها الذاتية ، ويشبه ان يكون الاختلاف الذي بين الذهب والفضة يسير جدا انتهى كلامه .

وقال الامام شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري اذا اراد المدبر ان يصنع ذهبا نظير ما صنعته الطبيعة من الزيبق والكبريت الظاهرين فيحتاج الى اربعة اشياء :

كمية كل واحد من ذينك الجزئين .

وكيفيته .

ومقدار الحرارة الفاعلة للطبخ .

وزمانه ، وكل واحد منها عسر التحصيل .

واما ان اراد ذلك بان يدبر دواء وهو المعبر عنه بالإكسير مثلا ويلقيه على الفضة ليمتزج بها ويستقر خالدا حال جميع المعدنيات وخواصها وان استخرجه بالقياس فمقدماته مجهولة ولا خفاء في عسر ذلك ومشقته انتهى .

وقال الصفدي زعم الطبيعون في علة كون الذهب في المعدن ان الزيبق لما كمل طبخه جذبه اليه كبريت المعدن فاجنه في جوفه لئلا يسيل سيلان الرطوبات فلما اختلطا واتحدا وزالت الحرارة الفاعلة للطبخ وزمان تكون الذهب وكل منهما عسر التحصيل .

واما ان اراد ذلك بان يدبر دواء وهو المعبر عنه بالاكسير مثلا ويلقيه على الفضة في طبخها ونضجها انعقد من ذلك ضروب المعادن ، فان كان الزئبق صافيا والكبريت نقيا واختلطت اجزاؤهما على النسبة وكانت حرارة المعدن معتدلة لم يعرض لها عارض من البرد واليبس ولا من الملوحات والمرارت والحموضات

انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الإبريز ، وهذا المعدن لا يتكون الا في البراري الرملة والاحجار الرخوة ومراعاة الانسان النار في عمل الذهب بيده على مثل هذا النظام مما تشق معرفة الطريق اليه والوصول الى غايته :

فيا دارهـــا بالخيف ان مزارها   قريب ولـــكن دون ذلك اهوال

وذكر يعقوب الكندي في رسالته تعذر فعلل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخداع اهل هذه الصناعة وجهلهم وبطل دعوى الذين يدعون صنعة الذهب والفضة .

قال المنكرون لو كان الذهب الصباغي مثـلا للذهـب الطبيعـي لكان ما بالصناعة مثلا لما بالطبيعة ولو جاز ذلك لجاز ان يكون ما بالطبيعة مثلا لما بالصناعة فكنا نجد سيفا او سريرا او خاتما بالطبيعة وذلك باطل .

وقالوا ايضا الجواهر الصابغة اما ان تكون اصبر على النار من المصبوغ ، او يكون المصبوغ اصبر او تكونا متساويين .

فان كان الصابغ اصبر وجب[1] ان يكون المصبوغ اصبر ووجب ان يفنـى الصابغ ويبقى المصبوغ على حاله الاول عريا من الصبغ .

وان تساويا في الصبر على النار فهما من جنس واحد لاستوائهما في المصابرة عليها فلا يكون احدهما صابغا ولا مصبوغا وهذه الحجة الثانية من اقوى حجج المنكرين .

والجواب من المثبتين عن الاولى انا نجد النار تحصل بالقدح واصطكاك الاجرام والريح تحصل بالمراوح واكواز الفقاع والنوشادر قد تتخذ من الشعر ، وكذلك كثير من الزاجات ثم بتقدير ان لا يوجد بالطبيعة ما لا يوجد بالصناعة لا يلزمنا الجزم بنفي ذلك ولا يلزمنا من امكان حصول الامر الطبعي بالصناعة امكان

---

(١) في هذه العبارة لفظ .

العكس بل الأمر موقوف على الدليل .

وعن الثانية انه لا يلزم من استواء الصابغ والمصبوغ على النار استواؤهما في الماهية لما عرفت ان المختلفين يشتركان في بعض الصفات وفي هذا الجواب نظر .

وحكى بعض من انفق عمره في الطلب الطغرائي ألقى المثقال من الاكسير اولاً على ستين الف مثقال من معدن آخر فصار ذهبا ، ثم انه ألقى آخر المثقال على ثلثمائة الف وان مر يانس الراهب معلم خالد بن يزيد ألقى المثقال على الف الف ومائتي الف مثقال وقالت مارية القبطية : والله لولا الله لقلت ان المثقال يملأ ما بين الخافقين والجواب الفصل ما قاله الغزي :

كجوهر الكيمياء ليس ترى   من ناله والانام في طلبه

وصاحب الشذور من جملة ائمة هذا الفن صرح بان نهاية الصبغ إلقاء الواحد على الألف في قوله :

فعاد بلطف الحل والعقد جوهرا   يُطاع في النيران واحده الألفا

وزعم بعضهم ان المقامات للحريري وكليلة ودمنة رموز في الكيمياء ، ويزعمون ان الصناعة مرموزة في صورة البراري ، وقد كتب بعض من جرب وتعب وأقلقه الجد وظن ان جدها لعب على مصنفات جابر تلميذ إمام جعفر الصادق :

هذا الذي بمقاله   غَرَّ الأوائل والأواخر
ما أنت الا كاسرٌ   كذب الذي سماك جابر

وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره .

وذكر الصفدي ان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وإمام الحرمين كان كل منهما مغرى به .

واعلم ان المعتنين به بعضهم يدبر مجموع الكبريت والزيبق في حر النار

لتحصل امتزاجات كثيرة في مدة يسيرة لا يحصل في المعدن الا في زمان طويل وهذا اصعب الطرق لانه يحتاج الى عمل شاق .

وبعضهم يؤلف المعادن على نسبة اوزان الفلزات وحجمها .

وبعضهم يجهل القياس فيحصل لهم الاشتباه والالتباس فيستمدون بالنباتات والجمادات والحيوانات كالشعر والبيض والمرارة وهم لا يهتدون الى النتيجة .

ثم ان الحكماء أشاروا الى طريقة صنعة الاكسير على طريق الاحاجي والألغاز والتعمية لان في كتمه مصلحة عامة فلا سبيل الى الاهتداء بكتبهم والله يهدي من يشاء قال ابو الأصبع عبد العزيز بن تمام العراقي يشير الى مكانة الواصل لهذه الحكمة :

فقد ظفرت بما لم يؤته ملك لا المنذران ولا كسرى بن ساسان

ولا ابن هند ولا النعمان صاحبه ولا ابن ذي يزن في رأس غمدان

قال الجلدكي في شرح المكتسب بعد ان بين انتسابه الى الشيخ جابر وتحصيله في خدمته وبالله تعالى اقسم انه اراد بعد ذلك ان ينقلني عن هذا العلم مراراً عديدة ويورد علي الشكوك يريد لي بذلك الاضلال بعد الهداية ويأبى الله الا ما اراد فلما فهمت مراده وعلمت ان الحسد قد داخله مني حصرته في ميدان البحث ومددت اليه سنان اللسان وعجز عن القيام بسيف الدليل ، ونادى عليه برهان الحق بالافحام فجنح للسلم وقام واعتنقني وقال انما اردت ان اختبرك واعلم حقيقة مكان الادراك منك ، ولتكن من أهل هذا العلم على حذر ممن يأخذه عنك .

واعلم ان من المفترض علينا كتمان هذا العلم وتحريم اذاعته لغير المستحق من بني نوعنا وان لا نكتمه عن اهله لان وضع الأشياء في محالها من الأمور الواجبة ولان في اذاعته خراب العالم وفي كتمانه عن اهله تضييع لهم .

وقد رأينا ان الحكمة صارت في زماننا مهدمة البنيان لا سيما وطلبة هذا الزمان من اجهل الحيوان قد اجتمعوا على المحال ، فانهم ما بين سوقة وباعة واصحاب دهاء وشعبذة لا يدرون ما يقولون ، فأخذوا يتذاكرون الفقر ويذكرون ان الكيمياء غناء الدهر ، ويأتون على ذلك بزخارف الحكايات ، ومع ذلك لايجتمع احد منهم مع الآخر على رأي واحد ولا يدرون كيف الطلب ، مع ان حجر القوم لا يعد وهذه المولدات الثلاث لكن جهالاتهم اوقعتهم في الضلال البعيد ، ورأينا انه وجب علينا النصيحة على من طلب الحكمة الالهية وهذه الصناعة الشريفة الفلسفية ، فوضعنا لهم كتابنا الموسوم (ببغية الخبير في قانون طلب الاكسير) ثم وضعنا (الشمس المنير في تحقيق الاكسير) .

وفي هذا الفن رسالة للبخاري ذكر فيها حملة دلائل نقلية وعقلية تبلغ ستة وثلثين .

وفيه ايضاً رسالة ابن سينا المسماة بمرآة العجائب وأول من تكلم في علم الكيمياء ووضع فيها الكتب وبين صنعة الاكسير والميزان ونظر في كتب الفلاسفة من أهل الاسلام خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان .

واول من اشتهر هذا العلم عنه جابر بن حيان الصوفي من تلامذة خالد كما قيل :

حكمة اورثناها جابرٌ عن امامٍ صادق القول وفي
لوصي طاب في تربته فهو كالمسك تراب النجف

وذلك لانه وفي لعلي واعترف له بالخلافة وترك الامارة .

واعلم انه فرقها في كتب كثيرة لكنه اوصل الحق الى اهله ، ووضع كل شيء في محله ، واوصل من جعله الله سبحانه وتعالى سببا له في الايصال ، ولكن اشغلهم بانواع التدهيش والمحال لحكمة ارتضاها عقله ورأيه بحسب الزمان ومع ذلك فلا يخلو كتاب من كتبه عن فوائد عديدة .

وأما من جاء بعد جابر من حكماء الاسلام مثل مسلمة بن احمد المجريطي وابي بكر الرازي وابي الاصبع بن تمام العراقي والطغرائي والصادق محمد بن اميل التميمي والامام ابي الحسن علي صاحب الشذور فكل منهم قد اجتهد غاية الاجتهاد في التعليم والجلدكي متأخر عنهم .

ثم اعلم ان جماعة من الفلاسفة كالحكيم هرمس وارسطاطاليس وفيثاغورس لما ارادوا استخراج هذه الصناعة الالهية جعلوا انفسهم في مقام الطبيعة فعرفوا بالقوة المنطقية والعلوم التجاربية ما دخل على كل جسم من هذه الأجسام من الحر والبرد واليبوسة وما خالطه ايضا من الأجسام الأُخر ، فعملوا الحيلة في تنقيص الزائد وتزييد الناقص من الكيفيات الفاعلة والمفعولة والمنفعلة لعلة تلك الأجسام ، على ما يراد منها بالأكاسير الترابية والحيوانية والنباتية المختلفة في الزمان والمكان ، وأقاموا التكليس مقام حرق المعادن ، والتهابها والتسقية مقام التبريد ، والتجميد والتساوي مقام التجفيف ، والتشميع مقام الترطيب ، والتليين والتقطير مقام التجوهر ، والتفصيل مقام التصفية والتخليص والسحق والتحليل مقام الالتيام ، والتمزيج والعقد مقام الاتحاد والتمكين ، واتخذوا جواهر الاصول شيئا واحدا فاعلا فعلا غير منفعل ، محتوياً على تأثيرات مختلفة شديدة القوة نافذة الفعل والتأثير فيما يلاقي من الأجسام بحصول معرفة ذلك بالإلهامات السماوية والقياسات العقلية والحسية ، وكذلك فعل ايضا اسقليقندر يونس وابدروماخس وغيرهم في تراكيب الترياق والمعاجين والحبوب والاكحال والمراهم ، فانهم قاسوا قوى الأدوية بالنسبة الى مزاج أبدان البشر والأمراض الغامضة فيها ، وركبوا من الحار والبارد والرطب واليابس دواء واحداً ينتفع به في المداواة بعد مراعاة الأسباب كما فعل ذي مقراط ايضاً في استخراج صنعة اكسير الخمر ، فانه نظر اولاً في ان الماء لا يقارب الخمر في شيء من القوام والاعتدال لانه ماء العنب ، ووجد من خواص الخمر خمساً .

والطعم والرائحة والتفريح والاسكار ، فأخذ اذ شرع من اول تركيبه

للادوية العقاقير الصابغة للماء بلون الخمر ، ثم المشاكلة في الطعم ، ثم المعطرة للرائحة ، ثم المفرحة ، ثمّ المسكرة فسحق منها اليابسات وسقاها بالمائعات حتى اتحدت فصارت دواء واحدا يابسا اضيف منه القليل الى الكثير صبغه انتهى من رسالة ارسطو .

قال الجلدكي في نهاية الطب : ان من عادة كل حكيم ان يفرق العلم كله في كتبه كلها ، ويجعل له من بعض كتبه خواص يشير اليها بالتقدمة على بقية الكتب لَمَا اختصوا به من زيادة العلم .

كما خص جابر من جميع كتبه كتابه المسمى بالخمسمائة .

وكما خص مؤيد الدين من كتبه كتابه المسمى بالمصابيح والمفاتيح .

وكما خص المجريطي كتابه الرتبة .

وكما خص ابن اميل كتابه المصباح .

ثم قال الجلدكي ومن شروط العالم ان لا يكتم ما علمه الله تعالى من المصالح التي يعود نفعها على الخاص والعام الا هذه الموهبة فان الشرط فيها ان لا يظهرها بصريح اللفظ ابدا ولا يعلم بها الملوك لا سيما الذين لا يفهمون .

ومن العجب ان المظهر لهذه الموهبة مرصد لحلول البلاء به من عدة وجوه .

احدها انه ان اظهرها لمن ينم عليه فقد حل به البلاء لان ما عنده مطلوب الناس جميعا فهو مرصد لحلول البلاء لانهم يرون انتزاع مطلوبهم من عنده ، وربما حملهم الحسد على اتلافه وان اظهره للملك يخاف عليه منه ، فان الملوك احوج الناس الى المال لأن به قوام دولتهم ، فربما يخيل منه انه يخرج عنه دولته بقدرته على المال لا سيما ومال الدنيا كله حقير عند الواصل لهذه الموهبة .

قال صاحب كنز الحكمة : فاما الواصل الى حقيقته فلا ينبغي له ان يعترف به لانه يضره وليس له منفعة البتة في اظهاره ، وانما يصل اليه كل عالم بطريق يستخرجها لنفسه اما قريبة واما بعيدة ، والارشاد انما يكون نحو الطريق العام ،

واما الطريق الخاص فلا يجوز ان يجتمع عليه اثنان اللهم الا ان يوفق انسان بسعادة عظيمة ، وعناية إلهية لاستاذ يلقنه اياها تلقينا ، وهيهات من ذلك الا من جهة واحدة لا غير وهو ان يجتمع فيلسوفان احدهما واصل والآخر طالب ولا يسعه ان يكتمه اياه وهذا اعز من الكبريت الاحمر(١) وطلب الابلق العَقُوقَ انتهى .

ونحن اقتفينا اثر الحكماء في كل ما وضعناه من كتبنا .

قال في شرح المكتسب الا ان كتابنا هذا امتن من كل كتبنا ما خلا الشمس المنير وغاية السرور فان لكل واحد منهما مزية في العلم والعمل فمن ظفر بهذه الكتب الثلثة فقط من كتبنا فلعله لا يفوته شيء من تحقيق هذا العلم .

والكتب المؤلفة في هذا العلم كثيرة منها حقائق الاستشهادات ، وشرح المكتسب ، وبغية الخبير والشمس المنير في تحقيق الاكسير ورسالة للبخاري ، ومرآة العجائب لابن سينا ، والتقريب في اسرار التركيب وغاية السرور شرح الشذور والبرهان وكنز الاختصاص والمصباح في علم المفتاح ، ونهاية الطلب في شرح المكتسب ، ونتائج الفكرة ومفاتيح الحكمة ومصابيح الرحمة ، وفردوس الحكمة ، وكنز الحكمة انتهى ما في كشف الظنون .

وقد اطال ابن خلدون في بيان علم الكيمياء ثم عقد فصلا في انكار ثمرتها واستحالة وجودها وما ينشأ من المفاسد عن انتحالها .

ثم قال وتحقيق الأمر في ذلك ان الكيمياء ان صح وجودها كما تزعم الحكماء المتكلمون فيها مثل جابر بن حيان ومسلمة بن احمد المجريطي وامثالهما فليست من باب الصنائع الطبيعية ، ولا تتم بأمر صناعي ، وليس كلامهم فيها من منحى الطبيعيات ، انما هو من منحى كلامهم في الأمور السحرية وسائر

---

(١) اي ما لا يمكن لأن الابلق الذكر والعقوق الحامل ، قاموس .

الخوارق وما كان من ذلك للحلاج وغيره ، وقد ذكر مسلمة في كتاب الغاية ما يشبه ذلك ، وكلامه فيها في كتاب رتبة الحكيم من هذا المنحى وهذا كلام جابر في رسائله ونحو كلامهم فيه معروف ولا حاجة بنا الى شرحه .

وبالجملة فأمرها عندهم من كليات المواد الخارجة عن حكم الصنائع فكما لا يتدبر ما منه الخشب والحيوان في يوم او شهر خشبا او حيوانا فيما عدا مجرى تخليقه ، كذلك لا يتدبر ذهب من مادة الذهب في يوم ولا شهر ولا يتغير طريق عادته الا بارفاد مما وراء عالم الطبائع وعمل الصنائع ، فكذلك من طلب الكيمياء طلبا صناعيا ضيع ماله وعمله ، ويقال لهذا التدبير الصناعي التدبير العقيم ، لان نيلها ان كان صحيحا فهو واقع مما وراء الطبائع والصنائع ، فهو كالمشي على الماء وامتطاء الهواء والنفوذ في كثائف الاجساد ونحو ذلك من كرامات الأولياء الخارقة للعادة ، او مثل تخليق الطير ونحوها من معجزات الأنبياء قال تعالى (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني) وعلى ذلك فسبيل تيسيرها مختلف بحسب حال من يؤتاها ، فربما اوتيها الصالح ويؤتيها غيره فتكون عنده معارة .

وربما اوتيها الصالح ولا يملك إيتاءها فلا تتم في يد غيره ومن هذا الباب يكون عملها سحريا ، فقد تبين انها انما تقع بتأثيرات النفوس وخوارق العادة اما معجزة او كرامة او سحراً ولهذا كان كلام الحكماء كلهم فيها ألغاز لا يظفر بحقيقته الا من خاض لجة من علم السحر واطلع على تصرفات النفس في عالم الطبيعة ، وأمور خرق العادة غير منحصرة ولا يقصد احد الى تحصيلها والله بما يعملون محيط .

واكثر ما يحمل على التماس هذه الصناعة وانتحالها العجز عن الطرق الطبيعية للمعاش ، وابتغاؤه من غير وجوهه الطبيعية كالفلاحة والنجاره والصناعة فيستصعب العاجز ابتغاؤه من هذه ويروم الحصول على الكثير من المال دفعة بوجوه غير طبيعية من الكيمياء وغيرها ، واكثر من يعني بذلك الفقراء من

أهل العمران ، حتى في الحكماء المتكلمين في إنكارها واستحالتها .

فان ابن سينا القائل باستحالتها كان عليه الوزراء فكان من اهل الغنى والثروة .

والفارابي القائل بامكانها كان من اهل الفقر الذين يعوزهم أدْنَى بُلْغة من المعاش واسبابه ، وهذه تهمة ظاهرة في انظار النفوس المولعة بطرقها وانتحالها والله الرزاق ذو القوة المتين لا رب سواه .

قال في مدينة العلوم ان علم الكيمياء كان معجزة لموسى عليه السلام علمه القارون فوقع منه ما وقع ، ثم ظهر في جبابرة قوم هود وتعاطوا ذلك وبنوا مدينة من ذهب وفضة لم يخلق مثلها في البلاد .

وممن اشتهر بالوصول اليه مؤيد الدين الطغرائي يقال انه وصل الى الاكسير وهو الدواء الذي يدبره الحكماء ويلقونه على الجسد حال انفعاله بالذوبان فيحيله كإحالة السم الجسد الوارد عليه لكن الى الصلاح دون الفساد ، ويعبرون عن مادة هذا الدواء بالحجر المكرم ، وربما يقولون حجر موسى لانه الذي علمه موسى عليه السلام لقارون ويختلف حال هذا الدواء بقدر قوة التدبير وضعفه .

يحكى ان واحدا سأل من مشائخ هذه الصنعة ان يعلمه هذا العلم وخدمه على ذلك سنين ، فقال ان من شرط هذه الصنعة تعليمها لأفقر من في البلد فاطلب رجلا لا يكون افقر منه في البلد حتى نعلمه وانت تبصرها فطلب مدة مثل ما يقول الاستاذ فوجد رجلا يغسل قميصا له في غاية الرداءة والدرن وهو يغسله بالرمل ، ولم يقدر على قطعة صابون ، فقال في نفسه لم ار افقر منه فاخبر الاستاذ فقال وجدت رجلا حاله وصفته كيت وكيت ، فقال الاستاذ والله ان الذي وصفته هو شيخنا جابر بن حيان الذي تعلمت منه هذه الصنعة وبكى .

قال ان من خاصية هذه الصنعة ان الواصلين اليها يكونون في غاية الافلاس كما نقل عن الامام الشافعي من طلب المال بالكيمياء او الاكسير فقد

افلس ، الا انهم يقولون ان حب الدنانير تفع عن قلب من عرفها ولا يؤثر التعب في تحصيلها على الراحة في تركها حتى قالوا ان معرفة هذه الصنعة نصف السلوك ، لأن نصف السلوك رفع محبة الدنيا عن القلب وذلك يحصل بمعرفتها ، ايّ حصول ومن قصد الوصول الى ذلك بكتبهم وتعبيراتهم واشاراتهم فقد صار منخرطا في (الاخسرين اعمالا الذي ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) بل الوقوف على ذلك ان كان فبموهبة عظيمة من الملك المنان ، او بواسطة الكشف والالهام من الله ذي الجلال والاكرام ، او بانعام من الواصلين الى هذا الامر المكتوم إشفاقا وإحسانا ،ولا تتمن الوصول الى ذلك بالجد والاهتمام ، وانما نذكر بعضا من كتبه اكمالا للمرام لا اطماعا في الوصول الى ذلك السول .

منها كتاب جابر بن حيان وتذكرة لابن كمونة .

وكتاب الحكيم المجريطي .

وشرح الفصول لعيون بن المنذر وتصانيف الطغرائي كثيرة في هذا الفن ومعتبرة عند أربابها والكتب ، والرسائل في هذا الباب كثيرة لكن لا خير في الاستقصاء فيها وانما التعرض لهذا القدر لئلا يخلو الكتاب عنها بالمرة نسأل الله تعالى خيري الدنيا والآخرة انتهى حاصله والله اعلم بالصواب .

بابُ اللام

علمُ اللدني

هو العلم الذي تعلمه العبد من الله تعـالى من غـير واسطـة ملك ونبـي بالمشافهة والمشاهـدة كما كان الخضر عليه السـلام قال تعـالى (وأتينـاه من لدنـا علما) .

وقيل هو معرفة ذات الله تعالى وصفاته علما يقينياً من مشاهدة وذوق ببصائر القلوب كذا في مجمع السلوك وهكذا في كشاف اصطلاحات الفنون .

علم اللغة

هو علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي وعما حصل من تركيب كل جوهر وهيئاتها من حيث الوضع والدلالة على المعاني الجزئية .

وغايته الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية والوقوف على مايفهم من كلمات العرب .

ومنفعته الاحاطة بهذه المعلومات وطلاقة العبارة وجزالتهـا والتمـكن من التفنن في الكلام وايضاح المعاني بالبيانات الفصيحة والاقوال البليغة .

فان قيل علم اللغة عبارة عن تعريفات لفظية والتعريف من المطالب التصورية وحقيقة كل علم مسائله ، وهي قضايا كلية او التصديقات بها وأياً ما كان فهي من المطالب التصديقية فلا تكون اللغة علما .

اجيب بان التعريف اللفظي لا يقصد به تحصيل صورة غير حاصلة كما في سائر التعاريف من الحدود والرسوم الحقيقية او الاسمية بل المقصود من التعريف اللفظي تعيين صورة من بين الصور الحاصلة ليلتفت اليه ويعلم انه موضوع له اللفظ فما له الى التصديق بان هذا اللفظ موضوع بازاء ذلك المعنى فهو من المطالب التصديقية ، لكن يبقى انه حينئذ يكون علم اللغة عبارة عن قضايا شخصية حكم فيها على الالفاظ المعينة المشخصة بانها وضعت بازاء المعنى الفلاني ، والمسئلة لا بد وان تكون قضية كلية .

واعلم ان مقصد علم اللغة مبني على اسلوبين .

لان منهم من يذهب من جانب اللفظ الى المعنى بان يسمع لفظا ويطلب معناه .

ومنهم من يذهب من جانب المعنى الى اللفظ ، فلكل من الطريقين قد وضعوا كتبا ليصل كل الى مبتغاه اذ لا ينفعه ما وضع في الباب الآخر .

فمن وضع بالاعتبار الاول فطريقه ترتيب حروف التهجي .

اما باعتبار اواخرها ابوابا وباعتبار اوائلها فصولا تسهيلا للظفر بالمقصود كما اختاره الجوهري في الصحاح ومجد الدين في القاموس .

واما بالعكس اي باعتبار أوائلها ابوابا وباعتبار اواخرها فصولا كما اختاره ابن فارس في المجمل والمطرزي في المغرب .

ومن وضع بالاعتبار الثاني فالطريق اليه ان يجمع الاجناس بحسب المعاني ويجعل لكل جنس باباً كما اختاره الزمخشري في قسم الاسماء من مقدمة الادب .

ثم ان اختلاف الهمم قد اوجب إحداث طرق شتى .

فمن واحد ادّى رأيه الى ان يفرد لغات القرآن .

ومن آخر الى ان يفرد غريب الحديث .

وآخر الى ان يفرد لغات الفقه كالمطرزي في المغرب .

وان يفرد اللغات الواقعة في اشعار العرب وقصائدهم وما يجري مجراها كنظام الغريب والمقصود هوالإرشاد عند مساس انواع الحاجات .

والكتب المؤلفة في اللغة كثيرة ذكرها صاحب كشف الظنون على ترتيب حروف الهجاء ، وألفت كتابا في اصول اللغة سميته البلغة وذكرت فيه كل كتاب الّف في هذا العلم الى زمني هذا وذكر صاحب مدينة العلوم كتبا في هذا العلم واورد لكل كتاب ترجمة مؤلفه وبسط فيها فليراجعه .

قال ابن خلدون علم اللغة هو بيان الموضوعات اللغوية .

وذلك انه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند اهل النحو بالاعراب واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه ، ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم حتى تأدى الفساد الى موضوعات الالفاظ ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ميلا مع هجنة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية فاحتيج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث ، فشمر كثير من ائمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين ، وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن احمد الفراهيدي الف فيها كتاب العين فحصر فيه مركبات حروف المعجم كلها من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي وهو غاية ما ينتهي اليه التركيب في اللسان العربي ، وتأتي له حصر ذلك بوجوه عددية حاصرة .

وذلك ان جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع الاعداد على التوالي من واحد الى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد ، لان الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين فتكون سبعة وعشرين كلمة

ثنائية ، ثم يؤخذ الثاني مع الستة والعشرين كذلك ثم الثالث والرابع ثم يؤخذ السابع والعشرون مع الثامن والعشرين ، فيكون واحدا فتكون كلها اعدادا على توالي العدد من واحد الى سبعة وعشرين فتجمع كما هي بالعلم المعروف عند اهل الحساب ، ثم تضاعف لاجل قلب الثنائي لان التقديم والتأخير بين الحروف معتبر في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات ، وتخرج الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجمع من واحد الى ستة وعشرين لان كل ثنائية يزيد عليها حرفا فتكون ثلاثية ، فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد مع كل واحد من الحروف الباقية وهي ستة وعشرون حرفا بعد الثنائية ، فتجمع من واحد الى ستة وعشرين على توالي العدد ويضرب فيه جملة الثنائيات ثم يضرب الخارج في ستة جملة مقلوبات الكلمة الثلاثية فيخرج مجموع تراكيبها من حروف المعجم ، وكذلك في الرباعي والخماسي فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه ورتب ابوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف ، واعتمد فيه ترتيب المخارج فبدأ بحروف الحلق ، ثم ما بعده من حروف الحنك ، ثم الاضراس ، ثم الشفة ، وجعل حروف العلة آخرا وهي الحروف الهوائية .

وبدأ من حروف الحلق بالعين لانه الاقصى منها فلذلك سمى كتابه بالعين ، لان المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم الى مثل هذا وهو تسمية بأول ما يقع فيه من الكلمات والالفاظ ثم بين المهمل منها من المستعمل ، وكان المهمل في الرباعي والخماسي اكثر لقلة استعمال العرب له لثقله ، تلحق به الثنائي لقلة دورانه ، وكان الاستعمال في الثلاثي اغلب فكانت اوضاعه اكثر لدورانه .

وضمن الخليل ذلك كله في كتاب العين واستوعبه أحسن استيعاب وأوعاه ، وجاء ابو بكر الزبيدي وكتب لهشام المؤيد بالاندلس في المائة الرابعة فاختصر مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المهمل كله وكثيرا من شواهد المستعمل

ولخصه للحفظ احسن تلخيص .

وألف الجوهري من المشارقة كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم فجعل البداءة منها بالهمزة ، وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الاخير من الكلمة لاضطرار الناس في الاكثر الى اواخر الكلم وحصر اللغة اقتداء بحصر الخليل .

ثم الف فيها من الاندلسيين ابن سيدة من اهل دانية في دولة علي بن مجاهد كتاب المحكم على ذلك المنحى من الاستيعاب وعلى نحو ترتيب كتاب العين ، وزاد فيه التعرض لاشتقاقات الكلم وتصاريفها فجاء من احسن الدواوين .

ولخصه محمد بن ابي الحسين صاحب المستنصر من ملوك الدولة الحفصية بتونس وقلب ترتيبه الى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبار اواخر الكلم وبناء التراجم عليها فكانا توأمي رحم وسليلي ابوة .

هذه اصول كتب اللغة فيما علمناه .

وهناك مختصرات اخرى مختصة بصنف من الكلم مستوعبة لبعض الابواب او لكلها الا ان وجه الحصر فيها خفي ووجه الحصر في تلك جلي من قبل التراكيب كما رأيت .

ومن الكتب الموضوعة ايضا في اللغة كتاب الزمخشري في المجاز بين فيه كل ما تجوزت به العرب من الالفاظ وفيما تجوزت به من المدلولات ، وهو كتاب شريف الافادة .

ثم لما كانت العرب تضع الشيء على العموم ثم تستعمل في الامور الخاصة الفاظا اخرى خاصة بها فرق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال واحتاج الى فقه في اللغة عزيز المأخذ ، كما وضع الابيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض ، ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالاشهب ، ومن الانسان بالازهر ، ومن الغنم بالاملح ، حتى صار استعمال الابيض في هذه كلها لحنا وخروجا عن لسان العرب .

واختص بالتأليف في هذا المنحى الثعالبي ، وافرده في كتاب له سماه فقه اللغة ، وهو من آكد ما يأخذ به اللغوي نفسه ان يحرف استعمال العرب عن مواضعه فليس معرفة الوضع الاول بكاف في التركيب حتى يشهد له استعمال العرب لذلك واكثر ما يحتاج الى ذلك الاديب في فني نظمه ونثره حذرا من ان يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها ، وهو اشد من اللحن في الإعراب وأفحش .

وكذلك الف بعض المتأخرين في الالفاظ المشتركة وتكفل بحصرها وان لم يبلغ الى النهاية في ذلك فهو مستوعب للاكثر .

واما المختصرات الموجودة في هذا الفن المخصوصة بالمتداول من اللغة الكثير الاستعمال تسهيلا لحفظها على الطالب فكثيرة ، مثل الالفاظ لابن السكيت ، والفصيح لثعلب وغيرهما ، وبعضها أقل لغة من بعض لاختلاف نظرهم في الاهم على الطالب للحفظ والله الخلاق العليم لا رب سواه انتهى .

وذكر في مدينة العلوم من المختصرات كتاب العين للخليل بن احمد ، والمنتخب والمجرد لعلي بن حسن المعروف بكراع النمل ، والمنضد في اللغة المجرد .

ومن المتوسطات المجمل لابن حسن الفارس ، وديوان الادب للفارابي .

ومن المبسوطات المعلم لاحمد بن ابان اللغوي والتهذيب والجامع للازهري والعباب الزاخر للصغاني والمحكم لابن سيدة والصحاح للجوهري واللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب والقاموس المحيط[1] قال .

ومن الكتب الجامعة لسان العرب جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح وحواشيه والجمهرة والنهاية للشيخ محمد بن مكرم بن علي وقيل

---

(١) للفيروزي آبادي سمع من تقي الدين السبكي وولده تاج الدين وابن نباتة وابن جماعة وغيرهم .

رضوان بن احمد بن ابي القاسم .

ومن المختصرات السامي في الاسامي للميداني ، والدستور ، ومرقاة الادب ، والمغرب في لغة الفقهيات خاصة للمطرزي ، ومختصر الاصلاح لابن السكيت ، وكتاب طلبة الطلبة لنجم الدين ابي حفص عمر بن محمد ويختص بالفقهيات .

ومما يختص بغريب الحديث نهاية الجزري والغريبين جمع فيه بين غريب الحديث والقرآن .

ومنهم من افرد اللغات الواقعة في اشعار العرب وقصائدهم الى غير ذلك انتهى .

وذكر تراجم اللغويين تحت الكتب المذكورة ومن ابسط الكتب في اللغة وأنفعها كتاب تاج العروس في شرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدي المصري البلجرامي ، وبلجرام قصبة بنواحي قنوج موطن هذا العبد الضعيف . وكتاب المصباح ومختار الصحاح .

وفي كتابنا البلغة كفاية لمن يريد الاطلاع على كتب هذا العلم .

بابُ الميم
علم مبادى الانشاء وأدواته

هو علم باحث عما يحتاج اليه المنشي ، من الخط والعربية والعلوم الشرعية والتواريخ وما يناسب ذلك .

وموضوعه وغايته وغرضه ظاهرة للمتدبر . ومن المصنفات في هذا العلم بحيث لا يغادر قليلا ولا كثيرا الا احصاه ، ولا يدع شيئا من المهمات الا كشف عنها واستقصاها كتاب صبح الاعشى في صناعة الانشاء للشيخ الامام العلامة جامع اشتات الفنون ابي العباس احمد بن علي القلقشيدي الشافعي ، وهو كتاب نافع في بابه في الغاية .

قال في مدينة العلوم ولقد طالعت بعضاً منه وانتفعت به لكن لم اقف على ترجمة مصنفة الا انه مصري الدار مات في جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين وثمانمائة عن خمس وستين سنة كذا في تاريخ السخاوي .

ومن الكتب النافعة المختصرة فيه كتاب مناظر الانشاء لمحمود الشهير بخواجه جهان الا انه وقع باللسان الفارسي وصاحبه من مشاهير الدنيا وكان ذا ثروة ومال عظيم وكان يصل احسانه من الهند الى علماء الروم وفضلاء العجم ويقال انه كان وزيرا في بلاد الهند انتهى .

علم مبادىء الشعر

هو علم باحث عن مقدمات تخييلية يحصل منها الترغيب او الترهيب ، وتختلف تلك المقدمات بحسب قوم وقوم .

وموضوعه الشعر من حيث مقدماته المناسبة من تتبع الامور التخييلية .

ومباديه تحصل من تتبع اشعار الناس بحسب قوم وقوم والغرض منه تحصيل ملكة ايراد الكلام الشعري على مواد متناسبة وغايته الاحتراز عن الخطأ فيها وكتاب الشعر من مواد الاقيسة المذكورة في الكتب الحكمية نافع في هذا الباب .

علم مبهمات القرآن

قال ابو الخير : اعلم ان علم المبهمات مرجعه النقل المحض لا مجال للرأي فيه ، قال وللابهام في القرآن اسباب ثم سرد اسبابه وذكر ستة اسباب .

ومبهمات القرآن للسهيلي ولابن عساكر وللقاضي بدر الدين بن جماعة .

وللسيوطي[1] فيه تأليف جمع فيه فوائد الكتب المذكورة مع زوائد اخرى كما ذكره في الاتقان .

علم متشابه القرآن

اول من صنف فيه الكسائي كما قال السيوطي في الاتقان ونظمه السخاوي ومن الكتب المصنفة فيه : البرهان ، ودرة التنزيل ، وكشف المعاني ، وقطف الازهار ، وغير ذلك .

---

(١) سماه مفحمات الاقران في مبهمات القرآن وقد طبع بمصر القاهرة لهذا الاوان وانتشر في اكثر الاقاليم والبلدان . حافظ علي حسين عفا عنه الله المنان .

علم مَتن الحديث

المتن ما اكتنف الصلب من الحيوان فمتن كل شيء ما يتقوم به ذلك الشيء فمتن الحديث ألفاظه التي يتقوم بها المعنى .

علم المحاضرات

قال ابو الخير في مفتاح السعادة : هو علم يحصل منه ملكة ايراد كلام للغير مناسب للمقام من جهة معانيه الوضعية ، او من جهة تركيبه الخاص .

والغرض منه تحصيل تلك الملكة .

وفائدته الاحتراز عن الخطأ في تطبيق كلام منقول عن الغير على ما يقتضيه مقام التخاطب من جهة معانيه الاصلية ، ومن جهة خصوص ذات التركيب نفسه انتهى .

والفرق بينه وبين علم المعاني .

ان المعاني تطبيق المكلم كلام على مقتضى الحال وكلام الغير على خواص لائقة بحاله .

والمحاضرات استعمال كلام البلغاء اثناء الكلام في محل مناسب له على طريق الحكاية .

وموضوعه وغايته وغرضه ومباديه ظاهرة للمتدبر .

ومن الكتب المصنفة فيه ربيع الابرار لجار الله الزمخشري .

وفنون المحاضرة للراغب الاصفهاني .

والتذكرة الحمدونية لأبي المعالي .

وريحانة الادب لابن سعد .

والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وهو من الكتب الممتعة حوى من كل

شيء ، وقد طبع في هذا الزمان بمصر القاهرة .

وفصل الخطاب للتيفاشي .

ونثر الدر للايلي .

والاغاني لابن الفرج الاصفهاني وطبع بمصر ايضا ووقع الاتفاق على انه لم يعمل في بابه مثله بقال جمعه في خمسين سنة وحمله الى سيف الدولة ، فأعطاه الف دينار واعتذر اليه .

وحكي عن الصاحب بن عباد انه كان في اسفاره وتنقلاته يستصحب حمل ثلثين جملا من الكتب فلما وصل اليه كتاب الاغاني استغنى به عنها .

والسكردان لابن ابي حجلة وكان حنفي المذاهب حنبلي المعتقد وكان كثير الحط على الاتحادية وصنف كتابا عارض به قصائد ابن فارض كلها نبوية وكان يحط عليه لانه لم يمدح النبي ﷺ ويحط على اهل نحلته ويرميه ومن يقول بمقالته ، ومن يقول بمقالته بالعظائم ، وقد امتحن بسبب ذلك على يد سراج الدين الهندي وكان يقول الشعر ولا يحسن العروض ، وجمع مجامع حسنة منها ديوان الصبابة وطبع بمصر وله مصنفات كثيرة ذكرها في مدينة العلوم ، وحيوة الحيوان لكمال الدين الدميري وقد طبع بمصر ايضا ، ومونس الوحيد للثعالبي ، ومحاضرة الابرار ومسامرة الاخيار لابن عربي الطائي ، والفتوحات المكية له وضمن فيها غرائب المعارف الكشفية والذوقية وطبع بمصر ، وسلوان[1] المطاع في عدوان الاتباع لابن ظفر محمد الصقلي المنعوت بحجة الدين وله مصنفات جليلة اخرى ، وكتاب المحاضرات والمناظرات وكتاب الامتاع والموانسة كلاهما لابي حيان التوحيدي نسبة الى نوع من التمر يسمى التوحيد ، وقال ابن حجر يحتمل ان ينسب الى التوحيد الذي هو الدين فان المعتزلة يسمون انفسهم اهل التوحيد .

---

(١) وقد طبع باستنبول ايضا كما يظهر من الجوانب ، احمد حسين خوشنويس .

قال في مدينة العلوم بعد ذكر تلك الكتب المذكورة وكتب المحاضرات كثيرة مثل نزهة الاصحاب في معاشرة الاحباب ، واوثق المجالس وانيس المحاضرة ، والروض الخصيب ومونس الحبيب ، ونظم السلوك في مسامرة الملوك ، ونشوان المحاضرات ، وعجائب الغرائب وترويح الارواح غير ذلك مما يطول تعدادها انتهى . .

علم مخارج الالفاظ

لا يخفى ان للالفاظ مخارج تخصها مغايرة لمخارج الحروف يعرفها اهلها ولا يعرف هذين العلمين الا من احدهما من افواه المشائخ وهذا العلم ايضا ربما يجعل من فروع علم الالفاظ .

علم مخارج الحروف

وهذا علم يبحث فيه عن احوال الالفاظ العربية خارجة ، وانها من اي موضع تخرج ويبحث عن صفاتها من الجهر والهمس وامثالها وقد تقدم في فروع علم الالفاظ لانه يمكن ان يجعل فرعا لهذين العلمين لكن من جهتين هكذا في مدينة العلوم في آخر الكتاب .

وقال في كشف الظنون هو من فروع القراءة والتصريف ، ثم قال في المدينة بموضع آخر ما لفظه وهو تصحيح مخارج الحروف كيفية وكمية وصفاتها العارضة لها بحسب ما تقتضيه طباع العرب .

فموضوعه بسائط الحروف العربية بحسب مخارجها وصفاتها ومباديه ، بعضها بديهي ، وبعضها استقرائي .

ويستمد من العلم الطبيعي وعلم التشريح .

وغرضه تحصيل ملكة ايراد تلك الحروف في المخارج على ما هي عليه في

لسان العرب .

وغايته الاولية الاحتراز عن الخطأ في تلفظ كلام العرب بحسب مخارج حروفه وغايته الآخرية القدرة على قراءة القرآن كما انزل بحسب مخارج حروفها وصفاتها ، ولقد صنف الشيخ الجزري في هذا العلم ارجوزة هي مقدمة لهذا الفن وعليها شرح لولد المصنف .

قال في مدينة العلوم وشرحتها انا في عنفوان الشباب وانتفع بذلك بحمد الله تعالى كثير من الاحباب ولقد ادرج الشيخ الشاطبي في قصيدته ما فيه كفاية في هذا الفن ولا يرجى المزيد عليها انتهى كلام الارنيقي رحمه الله تعالى .

علم مخارج اللسان

ذكره في الكشف ولم يكشفه .

علم المراحيات

هكذا في كشف الظنون .

علم مراكز الاثقال

قال ابو الخير في مفتاح السعادة : هو علم يتعرف منه كيفية استخراج مركز ثقل الجسم المحمول ، والمراد بمركز الثقل حد في الجسم عنده يتعادل بالنسبة الى الحامل .

ومنفعته معرفة كيفية معادلة الاجسام العظيمة بما دونها لتوسط المسافة انتهى .

وفيه كتاب لابي سهيل الكوهي تساهل في مقدمات براهينه ولابن الهيثم في

كتاب مفيد .

علم المرايا المحرقة

قال ابو الخير : هو علم يتعرف منه احوال الخطوط الشعاعية المنعطفة والمنعكسة والمنكسرة ومواقعها وزواياها ومراجعها ، وكيفية عمل المرايا المحرقة بانعكاس اشعة الشمس عنها ونصبها وحاذاتها ومنفعته بليغة في محاصرات المدن والقلاع انتهى .

ومثله في كشاف اصطلاحات الفنون وقد كانت القدماء تعمل المرايا من اسطحة مستوية بعضهم من مقعر كرة الى ان ظهر ونوقلس وبرهن على انها اذا كانت اسطحتها مقعرة بحسب القطع المكاني فانها تكون في غاية القوة والاحراق وكتاب ابن الهيثم في المرايا المحرقة على هذا الرأي قاله في مدينة العلوم .

علم المساحة

هكذا في الكشف واقول هو من فروع علم الهندسة وهو فن يحتاج اليه في مسح الارض .

ومعناه استخراج مقدار الارض المعلومة بنسبة شبر أو ذراع او غيرهما او نسبة ارض من ارض اذا قويست بمثل ذلك ، ويحتاج الى ذلك في توظيف الخراج على المزارع والفدَن [1] وبساتين الغراسة وفي قسمة الحوائط والاراضي بين الشركاء او الورثة وامثال ذلك وللناس فيها موضوعات حسنة كثيرة والله الموفق للصواب بمنه وكرمه انتهى ما في ابن خلدون .

---

(١) آلة الحرث .

وعبارة مدينة العلوم هكذا هو علم يتعرف منه مقادير الخطوط والسطوح والاجسام بما يقدرها من الخط والمربع والمكعب .

ومنفعته جليلة في امر الخراج وقسمة الارضين وتقدير المساكن وغيرها .

ومن الكتب المختصرة فيه كتاب لابن محلي الموصلي .

ومن المتوسطة كتاب لابن المختار وكتاب شميدس انتهى .

وهذا العلم متداول اليوم في الناس واكثرهم علما به النصارى حكام الهند والله تعالى اعلم بالصواب .

علم مسالك البلدان والامصار

علم باحث عن احوال الطرق الواقعة بين البلاد وانها برية او بحرية عامرة او غامرة سهلية او جبلية مستقيمة او منحرفة والعلامات المنصوبة لتلك الطرق من الجبال والتلال وامثالها ومعرفة ما في تلك المسالك من المخاوف الحيوانية او النباتية وامثال ذلك .

ومنفعة هذا العلم لا تخفى على احد ذكره في مدينة العلوم ورأيت فيه كتابا بالفارسي لبعض علماء الهند .

علم مسامرة الملوك

هذا من فروع المحاضرات وهو علم باحث عن احوال يرغب فيها الملوك من القصص والاخبار والمواعظ والعبر والأمثال ، وغرائب الاقاليم ، وعجائب البلدان وغير ذلك من الأحوال التي فيها ترغب الملوك والامراء والرؤساء وأهل الرفاهة والأتراف .

ومن الكتب المصنفة فيه سلوان المطاع في عدوان الاتباع لابن ظفر وكتاب مفاكهة الخلفاء وكتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك .

واكثر كتب المحاضرات وافية بهذا المطلب سيما كتاب حياة الحيوان ومحاضرات الراغب .

وموضوعه وغايته وغرضه ومنفعته ظاهرة للعاقل الذكي .

علم[1]مشكل القرآن

هكذا في كشف الظنون .

علم المعادن

اي معادن الإبريز والجواهر وغير ذلك قال في مدينة العلوم المعادن سبعمائة معدن وهو علم يتعرف منه احوال الفلزات من طبائعها والوانها وكيفية تولدها في المعادن وكيفية استخراجها واستخلاصها عن الأجزاء الأرضية وتفاوت طبائعها واوزانها وغايته .

ومنفعته لا تخفى على احد حتى العوام ، والتصانيف فيه كثيرة ولا انفع ولا اجمع من تأليف الطوسي .

علم المعاد

اي دار الآخرة .

علم المعاني

سبق في حرف الباء في علم البيان قال في مدينة العلوم .

---

(١) فيه تأليف لجماعة من اهل العلم .

(٢) وفيه كتاب السيوطي سماه البدور السافرة في احوال الآخرة وكتاب شرح الصدور في احوال القبور وكتاب روح الروح للحافظ ابن القيم وصلاح الارواح ومرآة الآخرة وغير ذلك ، حافظ علي حسين كاتب هذا الكتاب سلمه الله تعالى .

هو تتبع خواص تراكيب الكلام ومعرفة تفاوت المقامات حتى يمكن من الاحتراز عن الخطأ في تطبيق الاولى على الثانية ، وذلك لأن للتراكيب خواص مناسبة لها يعرفها الأدباء إما بسيلقتهم ، او بممارسة علم البلاغة ، وتلك الخواص بعضها ذوقية ، وبعضها استحسانية وبعضها توابع ولوازم المعاني الأصلية لكن لزوما معتبرا في عرف البلغاء والا لما اختص فهمها بصاحب الفطرة السليمة ، وكذا مقامات الكلام متفاوتة كمقام الشكر والشكاية والتهنية والتعزية والجد والهزل وغير ذلك من المقامات ، وكيفية تطبيق الخواص على المقامات تستفاد من علم المعاني ، ومداره على الاستحسانات العرفية .

وموضوعه التراكيب الخبرية والطلبية من حيث تطبيق خواصها على مقتضى الحال .

ومسائله القواعد التي يتعرف منها ان ايّ مقام يقتضي اي خاصة من الخواص .

ومباديه المسائل النحوية واللغوية .

وبالجملة المسائل الادبية كلها ودلائله استقراء تراكيب البلغاء .

والغرض منه تطبيق الكلام على مقتضى الحال .

وغايته الاقتدار على التطبيق المذكور وتمام تفصيل هذا المقام لا يسعه نطاق الكلام .

واما الكتب المصنفة في علم المعاني فلما لم يفرز عن البيان والبديع ذكرناها هناك ، ولابن الهيثم الجزي كتاب في علم المعاني انتهى .

قال في كشاف اصطلاحات الفنون علم المعاني علم تعرف به احوال اللفظ العربي التي يطابق بها اللفظ لمقتضى الحال هكذا ذكر الخطيب في التلخيص .

والمراد بأحوال اللفظ الأمور العارضة المتغيرة كما يقتضيه لفظ الحال من التقديم والتأخير والتعريف والتنكير وغير ذلك ، واحوال الاسناد ايضا

من احوال اللفظ باعتباران كون الجملة مؤكدة او غير مؤكدة اعتبار راجع اليها .

وموضوعه العلم ليس مطلق اللفظ العربي كما توهمه العبارة بل الكلام من حيث انه يفيد زوائد المعاني ، فلو قال احوال الكلام العربي لكان اوفق ، وعرف صاحب المفتاح المعاني بان تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق ما يقتضي الحال ذكره ، والتعريف الأول اخصر واوضح كما لا يخفى وايضا التعريف بالتتبع تعريف بالمبائن اذاً لنتتبع ليس بعلم ولا صادق عليه وان شئت التوضيح فارجع الى المطول والاطول انتهى حاصله .

علم المعاملات

من فروع علم الحساب ، وهو تصريف الحساب في معاملات المدن في البياعات والمساحات والزكوات ، وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات يصرف في ذلك صناعتا الحساب في المجهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغيرها .

والغرض من تكثير المسائل المفروضة فيها حصول المران والدربة بتكرار العمل حتى ترسخ الملكة في صناعة الحساب ، ولأهل الصناعة الحسابية من أهل الاندلس تآليف فيها متعددة من اشهرها : معاملات الزهراوي وابن السمح وابي مسلم بن خلدون من تلاميذ مسلمة المجريطي وامثالهم .

علم المعَاملة

هو علم احوال القلب ، أما ما يُحْمَدُ منها كالصبر والشكر والخوف والرضاء والزهد والتقوى والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الاحوال ،

وحسن الظن ، والصدق والاخلاص . فمعرفة حقائق هذه الاحوال وحدودها واسبابها التي بها تكتسب وثمرتها وعلاماتها ، ومعالجة ماضعف منها حتى يقوى ، وما زال حتى يعود من علم الآخرة .

واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدر والغل والحسد والحقد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهات والانفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء الى غير ذلك مما ذكره الغزالي في الاحياء .

فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمرتها وعلاجها هو علم الآخرة .

وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة ، فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما ان العرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاءها .

ولو سئل فقيه عن معنى هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا ، أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنّه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الآخرة .

ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شيء منها وان احتيج لم يخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهارا وفي حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء فالله المستعان واليه الملاذ في ان يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان .

علم معرفة الارضي والسماوي[١]

اما الأرضي فظاهر .

وأما السماوي فما نزل ليلة المعراج كالآيتين من آخر سورة البقرة .

قال ابن العربي ان من القرآن سمائيا[٢] وارضيا ، وما نزل بين السماء والأرض ، وما نزل تحت الارض في الغار .

أما الأرضي والسمائي فظاهران .

وأما ما نزل بين السماء والأرض فلعله اراد في الفضاء بين السماء والأرض كالتي نزلت ليلة المعراج .

واما ما نزل تحت الأرض في الغار فسورة المرسلات كما في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه .

علم معرفة اول ما نزل

والأمر في احواله ظاهر وفي اول ما نزل اقوال ، اصحها انه اقرأ باسم ربك .

وقيل يا أيها المدثر .

والتوفيق اول سورة نزلت المدثر ، فلا ينافي ان يكون صدر سورة القلم اول ما نزل على الاطلاق ، والمدثر اول بالنسبة الى ما بعد فترة الوحي لا مطلقا .

وقيل اول ما نزل سورة الفاتحة واليه ذهب اكثر المفسرين .

وقيل اول ما نزل بسم الله الرحمن الرحيم .

وأما آخر سورة نزلت براءة .

---

(١) قال الفيومي في المصباح المنير النسبة الى السماء سمائي بالهمز على لفظها وسماوي بالواو اعتبارا بالأصل وهذا حكم الهمزة اذا كانت بدلا او اصلا وكانت للالحاق ، مولوي حافظ عبد العزيز سلمه الله القوي العزيز .

وآخر آية نزلت يستفتونك .

وقيل انها آخر سورة نزلت في الفرائض .

وأما آخر آية نزلت على الاطلاق فقيل آية الربا ، وقيل آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ، الى آخر السورة .

وقيل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا .

علم معرفة اسماء القرآن واسماء سوره

اعلم ان الله تعالى سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما .

واما السور فمنها ما له اسم واحد وهو الأكثر ومنها ما له اسمان واكثر لأن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى من ذلك الفاتحة ولها نيف وعشرون اسما وتفصيل الاسماء مذكور في كتاب الاتقان للسيوطي رحمه الله .

علم معرفة الامالة والفتح وما بينهما

وكذا علم معرفة الاشمام والادغام والاظهار والاخفاء والاقلاب كل هذه مفصلة في علم القراءة .

وكذا علم معرفة المد والقصر .

وكذا علم معرفة تخفيف الهمزة وقد افرد جماعة بالتصنيف في هذه العلوم الثلثة .

علم معرفة آداب تلاوة القرآن وتاليه

افرده بالتصنيف جماعة منهم النووي في البيان وتلك نيف وثلثون آدابا .

علم[1] معرفة الاقتباس وما جرى مجراه

حرّمه المالكية مطلقا هذا هو المشهور من مذهب مالك الا ان استعمال القاضي عياض الاقتباس في مواضع من خطبة الشفاء يدل على جوازه ، وقد يخصص إنكارهم بالنظم دون النثر صرح بذلك القاضي ابو بكر من المالكية ، فاما قدماء الشافعية فلم يتعرضوا له وكذا اكثر متأخريهم مع شيوع الاقتباس في اعصارهم واجازه عز الدين بن عبد السلام .

قال بان حجة الاقتباس : ثلٰثة انواع ، مقبول ، ومباح ، ومردود .

فالأول ما كان في الخطب والمواعظ والعهود .

والثاني ما كان في الغزل والرسائل والقصص .

والثالث على ضربين .

أحدهما ما نسبه الله الى نفسه وينقله القائل الى نفسه فنعوذ بالله .

وثانيهما تضمين آية كلاما فيه معنى الهزل ونعوذ بالله من ذلك .

علم معرفة اعرابه

افرده جماعة بالتصنيف .

منهم مكي وكتابه في المشكل خاصة .

والحوفي وكتابه اوضحها .

وابو البقاء العكبري وكتابه اشهرها .

والسمين وكتابه اجلها على ما فيه من حشو وتطويل ولخصه السفاقسي

---

(١) وفيه جواب سؤال لحضرة المؤلف دام مجده في كتابه دليل الطالب فليرجع اليه ، منشىء احمد حسين خوشنويس سلمه الله تعالى .

فأوجزه وتفسير ابي حيان مشحون بذلك .

علم معرفة الايجاز والاطناب

وهما من أعظم انواع البلاغة والتفصيل في علم المعاني مذكور .

علم معرفة الآيات المشتبهات

صنف فيه جماعة أولهم الكسائي ، ونظمه السخاوي ، وألف في توجيهه الكرماني كتاب البرهان في متشابه القرآن ، وأحسن منه درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله الرازي ، وأحسن من هذا ملاك التأويل لأبي جعفر بن الزبير .

وللقاضي بدر الدين بن جماعة كتاب لطيف سماه كشف المعاني عن متشابه المثاني وفي كتاب اسرار التنزيل المسمى بقطف الازهار في كشف الأسرار والقصد به أسرار القصة الواحدة في صور شتى يعرف ذلك بالتتبع في هذه المؤلفات النفيسة .

علم معرفة اعجاز القرآن

صنف فيه خلائق منهم الخطابي والرماني والزملكاني والامام الرازي وابن سراقة والقاضي ابو بكر الباقلاني ، قال ابن العربي ولم يصنف مثل كتابه .

علم معرفة امثال القرآن

والمثل تصور المعاني بصورة الاشخاص وفائدته جمة منها تقرير المراد وتقريبه للعقل وتصويره بصورة المحسوس الى غيرذلك ، قال الماوردي من اعظم علم

القرآن علم امثاله والناس في غفلة عنه .

علم معرفة اقسام القرآن

صنف فيه ابن القيم رحمه الله مجلدا سماه التبيان والمراد بالقسم تحقيق الخبر وتأكيده والتفصيل في كتاب الاتقان .

علم معرفة اسماء من نزل فيهم القرآن

وأفرده بالتأليف بعض القدماء لكنه وقع غير محرر وكتاب اسباب النزول والمبهمات يغنيان عن ذلك .

علم معرفة افضل القرآن وفاضله

اتفق العلماء على ان جميع سور القرآن وآياته متساوية في الفضيلة من حيث انها كلام الله تعالى منزلة على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لهداية امته لكنهم اختلفوا في ان بعضها افضل من بعض ام لا .

ومن القائلين بالأول اسحق بن راهويه وابو بكر بن العربي والغزالي والقرطبي وعز الدين بن عبد السلام وغيرهم .

ومن القائلين بالثاني الامام ابو الحسن الاشعري والقاضي ابو بكر الباقلاني وابو حيان وروي المنع عن مالك وقال ابن عبد البر السكوت في هذه المسئلة افضل من الكلام فيها .

علم معرفة بيان الموصول لفضا والمفصول معنى

وهذا العلم من اعظم مهمات الدين قال الله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها .

وساق الآية في قصة آدم وحواء وختمها بقوله جعلا له شركاء فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون ، وآخر الآية مشكل حيث نسب الاشراك اليهما مع ان الإجماع منعقد على ان الأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها فظهر ان آخر الآية مفصول عن قصة آدم وحواء نزل آخرها في آلهة العرب كذا قال السدي ولهذا غير نظير في القرآن فلا تغفل .

علم معرفة بدائع القرآن

اورد فيها ابو الأصبع نحو مائة نوع وصنف فيه مستقلا فارجع اليه ، وذكره اهل البيان في اواخر علم البيان ان المتأخرين زادوا عليها شيئا كثيراً وابن الاصبع والسيوطي ذكرا منها ما وجد في القرآن والتفصيل في كتاب الاتقان للسيوطي رحمه الله .

علم معرفة تشبيه القرآن واستعاراته

وتفسيرهما واقسامهما مذكورة في علم البيان وكلاهما واقعان في القرآن بحيث لا يرتاب فيه احد وهما من مراتب البلاغة ولطائفها ولم يذكر في المدينة كتاباً في هذا العلم .

علم معرفة تفسير القرآن وتأويله و بيان شرفه والحاجة اليه

قد بين معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما في علم الأصول واما شرف

تفسير القرآن فأظهر من ان يخفى ،واما وجه الحاجة الى التفسير فلانه لا يمكن لكل عالم ان يفهم معنى القرآن بدون تفسيره .

علم معرفة جمعه وترتيبه

قال الحاكم في المستدرك جمع القرآن ثلث مرات الأول بحضرة النبي ﷺ وكانوا يكتبون في العسب واللخاف والرقاع وقطع الأديم والأكتاف والاضلاع والثاني لابي بكر جمع القرآن في صحف والثالث ترتيب السور في زمن عثمان رضي الله عنه فانه كتب مصاحف باجماع الصحابة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وارسل الى مكة والشام واليمن والبصرة والكوفة والبحرين وحبس بالمدينة واحدا .

علم معرفة جدل القرآن

صنف فيه نجم الدين الطوفي قال العلماء : اشتمل القرآن على جميع انواع البراهين والادلة الا ان الوارد في القرآن اوضحها واقواها لينتفع بها الخاصة والعامة والعدول الى الدقيق هو للعاجز عن القوي الجَلي والله اعلم بالصواب .

علم معرفة الحضري والسفري

وموضوعه ونفعه وغايته في غاية الظهور اما امثلة الحضري فكثيرة واما امثلة السفري فقد ضبطوها وارتقت الى نيف واربعين استقصاها السيوطي في الاتقان في علوم القرآن .

علم معرفة حفاظه ورواته

هم خلق كثير من الصحابة ولكن المشتهرين بأقرأ القرآن منهم سبعة : عثمان وعلي وأُبي وزيد بن ثابت وابن مسعود وابو الدرداء وابو موسى الأشعري كذا ذكرهم الذهبي .

علم معرفة حقيقة القرآن ومجازها

لم يختلف احد في وقوع الحقائق في القرآن واختلف العلماء في وقوع المجاز فيه والأصح وقوعه فيه والتفصيل في علم الأصول .

علم معرفة حصر القرآن والاختصاص

اما الحصر فيقال له القصر وهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ويقال ايضا اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه وقد يفرق بين الحصر والاختصاص والتفصيل في علم المعاني ، والسيوطي ذكر في كتاب الاتقان تفاصيل اقسامهما .

علم معرفة حكم الشرائع

علم يبحث فيه عن حكم الشرائع ومحاسنها والفقهاء لم يتعرضوا لها إذ وظيفة العباد معرفة دلائل الاحكام والعمل بها حتى قال قائلهم :

لم يخلق العقل دراً كالحكمة لكن ليقبل ما يأتيه من حكم

الا ان بعض العلماء استنبطوا حكم الشرائع ومحاسنها على وجه يطابق قواعد الشريعة بقدر الطاقة البشرية ليزداد نشاط العباد في قبولها ، ومن الكتب

المصنفة فيه كتاب محاسن الشرائع والاسلام للشيخ العلامة ابي عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخاري روح الله روحه ذكره في مدينة العلوم .

علم معرفة الخبر والانشاء

وقد بين تفاصيلهما في المعاني وفصل السيوطي في الاتقان في بيان احوالهما .

علم معرفة خواتم السور

هي ايضا مثل الفواتح في الحسن لتضمنها المعاني البديعة من الحكم والمواعظ والعبر ونحوها ووقوعها بحيث ينبيء عن الانتهاء لئلا يتشوق ذهن السامع الى ما بعدها ويظهر ذلك لمن تأمل ببصيرة تامة نافذة .

علم معرفة خواص القرآن

صنف فيه جماعة من المتقدمين منهم التميمي وحجة الاسلام الغزالي ومن المتأخرين اليافعي سماه الدر النظيم في خواص القرآن العظيم وغالب ما يذكر في ذلك كان مستنده تجارب الصالحين وورد في ذلك بعض من الأحاديث اوردها السيوطي في الاتقان .

علم معرفة الخواص الروحانية

من العددية والحرفية والتكسيرات العددية والحرفية وهو علم باحث عن كيفية تمزيج الاعداد والحروف على التناسب والتعادل بحيث يتعلق بواسطة هذا

التعديل ارواح متصرفة تؤثر في القوابل حسب ما يراد ويقصد عن ترتيب الإعداد والحروف وكيفياتها وموضوعه الأعداد والحروف وغايته الوصول الى المطالب الدينية او الدنيوية او الأخروية .

وغرضه وفائدته لا يخفى ، وكتب عبد الرحمن الانطاكي نافعة في هذاالباب وكذا كتب الشيخ احمد البوني وغير ذلك من المشائخ الكرام ذكره في مدينة العلوم .

علم معرفة سبب النزول

وفائدته انه ربما لا يمكن الوقوف على تفسير الآية بدون معرفة قصتها وصنف فيه علي بن المديني شيخ البخاري وصنف فيه الواحدي واختصره الجعبري والف فيه شيخ الاسلام ابن حجر الا انه مات فبقي في المسودة وألف فيه السيوطي كتابا حافلا سماه لبابُ النقول في أسباب النزول .

علم معرفة شروط المفسر وآدابه[1]

ومن شروطه يجب ان يطلب تفصيل المجمل في موضع آخر من القرآن لان القرآن يفسر بعضه بعضا وكذا يطلب تفصيل ما اختصر في موضع آخر لأن القرآن يفصل بعضه بعضا ، وان اعياه ذلك فليطلب من السنة لان السنة تفسير القرآن وان لم يجد في السنة رجع الى اقوال الصحابة لانهم ادرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والاحوال عند نزوله ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ، واذا تعارضت اقوالهم فان أمكن الجمع فذاك والا فقدم ابن

---

(١) وللمؤلف دام مجده جواب سؤال في ذلك ذكره في كتابه دليل الطالب فليرجع اليه، منشىء احمد حسين خوشنويس سلمه ربه .

عباس لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حقه : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ، وان لم يوجد قول من الصحابي فيعتمد على اقوال التابعين ، والا فيجتهد مراعيا للمدلولات اللغوية والاستعمالات العربية ومراعيا لوجه الاعجاز .

وأما آداب المفسر فصحة الاعتقاد ومتابعة السنة ظاهرا وباطنا ويجب ان يكون اعتماده على النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه ومن عاصرهم ويجتنب المحدثات والبدعات كلها .

علم معرفة الشتائي والصيفي

وأمر موضوعه وغايته ومنفعته لا يخفى وقد استقصى تلك الآيات السيوطي في الاتقان .

علم معرفة الشواذ وتفرقتها من المتواتر

والمتواتر عند الاكثرين سبعة : احدهم نافع وله راويان قالون وورش .

وثانيهم : ابن كثير وله راويان البزي وقنبل .

وثالثهم : ابو عمرو وله راويان الدوري والسوسي .

ورابعهم : ابن عامر وله راويان هشام وابن ذكوان .

وخامسهم : عاصم وله راويان شعبة وحفص .

وسادسهم : حمزة وله راويان خلف وخلاد .

وسابعهم : الكسائي وله راويان ابو الحارث والدوري ولا تظنن ان لكل من هؤلاء المشائخ راويين فقط حتى اذا وجدت لهم راوياً غير هؤلاء تحكم بالشذوذ بل لكل منهم رواة كثيرة ، وانما اختاروا منهم اثنين لشهرتهما ، ثم ان في انحصار

المتواتر في السبعة خلافا اذ بعض العلماء ألحقوا بهم يعقوب الحضرمي ، واما ما وراء هؤلاء الثمانية الى الثلثة عشر بل الى ما فوقها فقد اتفقوا على شذوذها كذا في مدينة العلوم .

علم معرفة طبقات المفسرين

اولهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وهم عشرة : الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وابو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم ، ويليهم التابعون وهؤلاء من الكثرة بحيث لا يحصون كمجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير وطاؤس وغيرهم وهم علماء مكة ، وطبقة اخرى تجمع اقوال الصحابة والتابعين كسفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج ويزيد بن هارون وآخرين .

وبعد هؤلاء ابن جرير الطبري وكتابه اجل التفاسير واعظمها ثم ابن ابي حاتم وابن ماجة والحاكم وابن مردويه وابو الشيخ ابن حبان وابن لمنذر في آخرين .

ثم اتت بعد هؤلاء جماعة ألفوا التفاسير واختصروا الاسانيد ونقلوا الاقوال بتراء فدخل من ههنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل هذا الذي ذكرته من فروع علم التفسير هو ما وقع في كتاب الاتقان ، وهذا بعض من علوم عدوها من فروع علم التفسير بأدنى الملابسة كذا في مدينة العلوم .

علم معرفة عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه

اما سوره فمائة واربع عشرة باجماع من يعتد به ،واما عدد الآي فستة آلاف وستمائة آية وست عشرة آية وجميع حروفه ثلثمائة الف حرف وثلثة وعشرون الف

حرف وستمائة حرف واحد وسبعون حرفا .

وأما كلمات القرآن فسبعة وسبعون الف كلمة وستمائة واربع وثلثون كلمة وفائدة معرفة عدد الآي معرفة الوقف ولأن الاجماع انعقد على ان الصلوٰة لا تصح بنصف آية .

وقال جمع من العلماء تجزي بآية وآخرون بثلاث آيات والآخرون لا بد من سبع والاعجاز لا يقع بدون آية فللعدد غاية عظيمة وفي الأعداد المذكورة اختلافات ذكرها السيوطي في الاتقان في علوم القرآن .

علم معرفة العالي والنازل من اسانيده

وأعلاها القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم القرب من الأئمة المشهورين .

ثم العلو بالنسبة الى الكتب المشهورة كالتيسير والشاطبية .

ومن اقسام العلو تقدم وفاة الشيخ عن قرينه الذي اخذ عن شيخ ذلك الشيخ .

ومن اقسامه ايضا العلو بموت الشيخ لا مع الالتفات الى امر آخر وشيخ آخر متى يكون .

واذا عرفت العلو بأقسامه عرفت النزول فانه ضده وههنا تفاصيل ذكرها السيوطي رحمه الله في كتابه الاتقان .

علم معرفة عام القرآن وخاصه ومجمله ومبينه

ومباحث هذا العلم في علم الاصول .

علم معرفة العلوم المستنبطة من القرآن

وقد افرد الناس كتبا في ذلك كالقاضي اسمعيل وبكر بن العلاء وابي بكر الرازي والكيا الهراسي وأبي بكر بن العربي وعبد المنعم بن القرس وابـن خويز منداد وافراد آخرون كتبا فيما فيه من علوم الباطن ، وافرد ابن برجـان كتابـا فيما تضمنه من معاضدة الأحاديث .

وألف جلال الذين السيوطي رحمه الله كتابا سماه الاكليل[1] في استنباط التنزيل ذكر فيه كل ما استنبط منه من مسئلة فقهية او أصلية أو اعتقادية وبعضا مما سوى ذلك كثير الفائدة جم العائدة يجري مجرى الشرح لما أجمل من أنواعه في الاتقان فليراجعه .

علم معرفة غريب القرآن

وهذا العلم وان كان مذكورا في كتب اللغة الا ان بعض العلماء افـردوه بالتصنيف منهم ابو عبيدة وابو عمر والزاهد وابن دريد العزيزي وهذا اشهرها .

قيل قد اقام العزيزي في تأليف غريب القرآن خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه ابو بكر بن الانباري .

ومن احسنها مفردات الراغب ولأبي حيان في ذلك مختصر مقدار كراسين .

علم معرفة غرائب التفسير

الف فيه محمود بن حمزة الكرماني كتابا في مجلدين سماه العجائب والغرائب

---

(١) وقد طبع لهذا العهد في سنة ١٢٩٥ الهجرية بدهلي على هامش تفسير جامع البيان فليعلم ، شيخ حافظ عبد العزيز بن حمزة البهوبالي سلمه الله تعالى .

لكن يجب ان تكون الغرائب المستنبطة من القـرآن واردة على القواعـد العـربية والمدلولات اللفظية والا فلا عبرة لها كما فعله بعض السفهاء ممن يدعي المعرفة وقد اورد السيوطي بعضا منها في الاتقان .

علم معرفة الفراشي والنومي

وامر الموضوع والنفع لا يخفى والتفصيل مذكور في الاتقان للسيوطي رحمه الله .

علم معرفة فَواصِل الآي

الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع وفرق بين الفواصل ورؤ وس الآي بان الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعـده والـكلام المنفصـل قد يكون رأس آية وغير رأس وكذلك الفواصل تكون رؤوس آي وغيرها وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية .

علم معرفة فواتح السُوَر

صنف فيه ابن ابي الاصبع كتابا سماه خواطر السوانح في اسرار الفواتح وقسمها الى عشرة انواع ذكره السيوطي في الاتقان .

علم معرفة فضائل القرآن

صنف فيه ابو بكر بن ابي شيبة والنسائي وابو عبيدة القاسـم بن سلام وابن الضريس وصنف فيه جلال الدين السيوطي كتابـا سماه حمائـل الزهـر في فضائل السور .

علم معرفة قواعد مهمة

يحتاج اليها المفسر وقد فصلهـا السيوطـي في الاتقـان ولا بد للمفسر من معرفتها .

علم معرفة كيفية انزال القرآن

وفيها ثلٰثةاقوال : الأول وهو الأصح انه نزل الى السماءالدنيا ليلة القدر جملة واحدة ونزل منجما . الثاني : انه نزل الى سماء الدنيا في عشرين ليلة القدر او ثلٰث وعشرين او خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله انزاله في كل السنة ثم نزل بعد ذلك منجما في جميع السنة . الثالث : انه ابتدأ انزاله ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في اوقات مختلفة من سائر الأوقات .

علم معرفة كيفية تحمل القرآن

اعلم ان حفظ القرآن فرض كفاية على الأمة لئلا ينقطـع عدد التواتـر فيه وتعليمه ايضا فرض كفاية وهو من افضل القرب وأوجه التحمل في القرآن السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه والسماع عليه بقراءة غيره والقراءة على الشيخ هي المسئلة سلفا وخلفا واما السماع منه فلم يأخذ به احد من القراء لاحتياجهم الى التمرن في الاداء واكتفاء الصحابة بالسماع فلنـزول القـرآن على لغتهـم وعـدم احتياجهم الى التمرن لفصاحتهم .

علم معرفة كنايات القرآن وتريضاته

وتفسيرهما ايضا في علم البيان وهما عند اهل المعاني من انـواع البلاغـة

وأساليب الفصاحة ومن الكناية شيء كثير في القرآن .

علم معرفة المعاد

وهو علم باحث عن احوال النفس بعد المفارقة عن البدن حيث تتعلق بالبدن الآخر ام لا وهل تمكن لها السعادة[1] او الشقاوة وهل يتبدل احداهما بالأخرى وما سبب كل منهما وموضوعه ونفعه وغرضه لا يحتاج الى بيان .

علم معرفة الملائكة

هي العلم الباحث عن احوال المجردات التي لا تتصرف في البدن واحوالها وكيفية صدورها عن مبدئها وموضوعه وغايته وغرضه ظاهرة لمن تمهر في العلم الالهي .

علم معرفة المكي والمدني

وفائدة معرفة المؤخران يكون ناسخا او مخصصا صنف فيه جماعة منهم مكي والعز الديري وله اقسام يطول ذكرها وقد استقصاها ابو القاسم الحَسَن بن محمد ابن حبيب النيسابوري في كتاب التنبيه .

---

(١) انظر الكلام على ذلك للمؤلف دام مجده في كتابه دليل الطالب يتسل قلبك ان شاء الله تعالى ، سيد علي حسن خان سلمه ربه .

علم معرفة ما نزل على لسان بعض الصحابة

هو في الحقيقة من أسباب النزول وقد افرد بالتصنيف جماعة[1] موافقات عمر رضي الله تعالى عنه ، قال عمر : وافقت ربي في ثلٰث قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر الفاجر فلو امرتهن ان يحجبن فنزلت آية الحجاب واجتمعت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهن عسى ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وامثاله كثيرة يعرفها اهلها .

علم معرفة تكرر نزوله

قال الزركشي في البرهان قد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا عند حدوث سبب خوف نسيانه قيل الاحرف السبعة للقرآن من قبيل تكرار النزول .

علم معرفة تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه

مثال الأول قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد وأنت حِلٌّ بهذا البلد فالسورة مكية وقد ظهر اثر الحل يوم فتح مكة وقوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر نزلت بمكة وظهر حكمها في يوم بدر ومثال الثاني آية الوضوء وانها مدنية اجماعاً وفرضه كان بمكة مع فرض الصلوٰة وكآية الجمعة فانها مدنية والجمعة فرضت بمكة قيل والحكمة في ذلك تأكيد الحكم السابق بالآية المتلوة .

---

(١) وللسيوطي رسالة في موافقات الفاروق رضي الله عنه ذكر فيها نحو ثمانية عشر موافقة ، سيد علي حسن خان سلمه الله تعالى وأبقاه .

علم معرفة ما نزل مفرقا وما نزل جمعا

مثال الأول : اقرأ الى قوله ما لم يعلم واول والضحى الى قوله فترضى ومثال الثاني : من القِصار سورة الفاتحة والاخلاص والكوثر وتبّت والمعوذتان نزلتا معا ومن الطوال المرسلات وسورة الصف وسورة الانعام .

علم معرفة ما نزل مشيعا وما نزل مفردا

وغالب القرآن نزل به جبريل عليه مفردا بلا تشييع واما المشيع فسورة الانعام شيعها سبعون الف ملك وفاتحة الكتاب نزلت ومعها ثمانون الف ملك وآية الكرسي نزلت ومعها ثلثون الف ملك وسورة يونس نزلت ومعها ثلاثون الف ملك وآية واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا نزلت معها عشرون الف ملك قيل وسورة الكهف ايضا شيعها سبعون الف ملك .

علم معرفة ما انزل منه على بعض الانبياء وما لم ينزل منه على احد قبل النبي ﷺ

ومن الثاني : فاتحة الكتاب وآية الكرسي وخاتمة البقرة ومن الأول : سبح اسم ربك الاعلى واول سورة الجمعة وعشر آيات من سورة الانعام وهي قل تعالوا أتل ما حرم عليكم ربكم الخ فانها مكتوبة ، فالتوراة وتفصيل هذا الباب مذكور في كتاب الاتقان في علم القرآن للسيوطي رحمه الله .

علم معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ

قال البلقيني القراءة المتواترة هي السبعة المشهورة والآحاد هي الثلثة التي

هي تمام العشر والشاذ قراءات التابعين .

قال ابن الجوزي في النشر كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه وافقت احدى المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحمل انكارها بل هي من الاحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة ام عن العشرة ام عن غيرهم من الأئمة المقبولين ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلثة اطلق عليها شاذة او ضعيفة او باطلة سواء كانت عن السبعة ام عمن هو اكثر منهم والتفصيل في كتاب الاتقان .

علم معرفة ما وقع في القرآن من غير لغة الحجاز

وقد افردوه بالتصنيف ذكره السيوطي في الاتقان قال ابو بكر الواسطي في كتابه الارشاد في القراءات العشر في القرآن من اللغات العربية خمسون لغة وقد عدها السيوطي في الاتقان ومن غير العربية الفرس والروم والقبط والحبشة والبربر والسريانية والعبرانية وقد فصلها السيوطي في الاتقان .

علم معررفة ما وقع في القرآن من غير لغة العرب

افرده بالتصنيف السيوطي وسماه المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب وأنكر بعض العلماء منهم الشافعي وقوع المعرب في القرآن مستدلين بقوله تعالى قرآناً عربياً .

وذهب آخرون الى وقوعه فيه وقالوا الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تنافي واستدل بمنع صرف ابراهيم للعجمة والعلمية ورد بان الكلام في غير الاعلام والحكمة في وقوعه ان القرآن حوى علوم الاولين والآخرين ونبأ كل شيء فلا بد ان

تقع فيه الاشارة الى انواع اللغات والالسن الا انه اختير من كل لغة اعذبها واخفها واكثرها استعمالا للعرب والتفصيل في كتاب الاتقان للسيوطي رحمه الله .

علم معرفة معاني الادوات التي يحتاج اليها المفسر

والمراد بالادوات الحروف وما شاكلها من الاسماء والافعال والظروف وقد صنف فيها جماعة كالهروي في الازهية وابن ام قاسم في الجنى الداني وادرجه السيوطي في الاتقان .

علم معرفة المحكم والمتشابه

وقد بين تفسيرهما في الاصول واختلفت عباراتهم في تفسيرهما وبيانهما في الاتقان .

علم معرفة مقدم القرآن ومؤخره

وهو قسمان الاول : ما اشكل معناه ظاهراً واتضح بالتقديم والتأخير نحو قوله تعالى أفرأيت من إتخذ إلٰهه هواه والاصل هواه إلٰهه لانه من اتخذ إلٰهه هواه غير مذموم فقدم المفعول .

الثاني : للعناية به وقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه والاصل لولا ان رأى برهان ربه لهم بها .

والثاني : ما ليس كذلك وقد الف فيه العلامة شمس الدين بن الصائغ كتاب المقدمة في سر الالفاظ المقدمة والحكمة في الكل الاهتمام بشأن المقدم لكن الاهتمام امر اجمالي يقتضي تفصيلا بحسب المقام والتفصيل في كتاب الاتقان للسيوطي .

علم معرفة مطلق القرآن ومقيده

قالوا متى وجد دليل على تقييد المطلق صير اليه وإلا فلا بل يبقى كل منهما على حاله والتفصيل في كتب الاصول .

علم معرفة مناسبات الآيات والسور

صنف فيه ابو جعفر بن الزبير شيخ ابي حيان في كتاب سماه البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن وصنف فيه ايضا الشيخ جلال الدين كتابا سماه تناسق الدرر في تناسب السور وذكر مناسبات السور والآيات وكتابه في اسرار التنزيل كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان جميع وجوه الاعجاز واساليب البلاغة .

علم معرفة ما وقع في القرآن من الاسماء والكنى والالقاب

ذكر الله تعالى اسماء الانبياء والرسل خمسا وعشرين من مشاهيرهم وذكر فيه من اسماء الملائكة بعضا ومن اسماء الشياطين والاصنام بعضا والتفصيل في الاتقان .

علم معرفة مبهمات القرآن

والمراد بالمبهم ما ذكر بالموصولية نحو قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم او بطريق العموم نحو قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ونحو ذلك وطريق تعيين مبهمات القرآن الرواية لا غير واسباب الابهام اما الاستغناء عن بيانه لذكره في مقام آخر او تعيينه لاشتهاره او قصد الستر او نحو

ذلك صنف فيه السهيلي وابن العسكر وابن جماعة والسيوطي رحمه الله .

علم معرفة مفردات القرآن

وهو علم يبحث فيه عن احوال آية آية من جهة احكامها ومعانيها كالبحث عن آية هي اعظم القرآن وعن آية هي احكم القرآن وعن آية هي اجمع القرآن وعن آية هي احزن آيات القرآن وعن آية هي ارجى من آيات القرآن ونحو ذلك .

علم معرفة مرسوم الخط وآداب كتابته

وهذا العلم قد يعد من فروع علم القراءة ايضا وقد فصلناه هناك فلا نعيده .

علم معرفة مشكل القرآن وموهم الاختلاف والتناقض

وصنف في هذا العلم قطرب وانما قلنا موهم الاختلاف والتناقض اذ كلام الله تعالى عنهما حقيقة وانما يكون ذلك بالنسبة الى الاوهام القاصرة .

علم معرفة النهاري والليلي

وموضوعه ومنفعته وغايته ظاهرة على الناظرين قالوا انزل اكثر القرآن نهارا واما الليلي فقد تتبعوه فبلغ الى خمسة عشر آية ذكرت في الاتقان في علوم القرآن .

علم معرفة ناسخ القرآن ومنسوخه

ولا يجوز تفسير القرآن الا لمن يعرفهما وقد افرده بالتصنيف جماعة منهم ابو عبيد القاسم بن سلام وابو داود السجستاني وابو جعفر النحاس وابن الانباري

ومكي وابن العربي وآخرون[1] رحمهم الله تعالى .

علم معرفة وجوه مخاطبات القرآن

والخطاب إما عام واما خاص والعام قد يراد به الخصوص والخاص قد يراد به العموم ولهما اقسام أُخر استوفاها السيوطي في كتابه الاتقان في علوم القرآن .

علم المعَمّى

كتاب المعمى المسمى بألفية الشريف للسيد الشريف المعمائي فارسي ذكر فيه انه صنع بيتا واحداً خرج منه الف اسم بطريق التعمية مع التزام تعدد الايهام في كل اسم والبيت هذا :

ازقـد وابـر وبديد آن ماه جهر موج آبـى ديده ام بالاى مهر

جون اغلب وأكثرآنست كه ازيك معمايك اسم بيدا آيد بنابر ان خر وخرده وان برسبيل استعجاب بزبان مى آروع كه بيك خانة تنك اين همه مهمان عجب ست . ثم بين استخراج الاسماء من هذا البيت في مجلد ضخم وقال في اسمه وتاريخه .

بيتي كه يك كتاب بوددر بيان او معلوم نسيت كفته كسى غيراين ضعيف
كرده شريف تعميه دروى هزار نام زان رو لمقب ست بالفية الشريف

ألفه في سنة ثمان وتسعمائة ورتبه على مقدمة وثمان وعشرين مقالة وخاتمة

---

(١) ذكرهم المؤلف دام ظله في اول كتابه افادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ وهو بالفارسي فليراجعه ، سيد سبط احمد سهسواني سلمه الله تعالى .

والكتب المؤلفة في المعميات كثيرة ما بين مطول منها ومختصر قال في مدينة العلوم علم المعمى مثاله .

الاَخُـذْ عدّ موسى مرتين وضـع اصـل الطبائـع تحـت ذين
وسـكن خان شطرنـج فخذها وادرج بـين ذين المدرجين
فهـذا اسـم من يهـواه قلبي وقلـب جميع من في الخافقين

واعلم ان اكثر من يعتني باللغز العرب لكن لم يدونوه في الكتب ، واكثر من يعتني بالمعمى اهل فارس ولهذا وقع جل التصانيف في المعمى على لسان الفرس ، وقد رتبوا له قواعد عجيبةوتقسيمات غريبة وتنويعات لطيفة ، واما ما يوجد في لسان العرب فشيء نزر جدا ولقد وجدت في لسان العرب خمسة معميات فقطمع شدة تنقيري له وكثرة تتبعي عنه على انه لم يقع في مرتبة لطافة اهل فارس الذي لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال منهم ، وان اردت صدق هذا المقال فارجع الى كتاب مولانا عبد الرحمن الجامي قدس سره خصوصا كتاب مولانا حسين المعمائي فانك ان طالعته وجدته السحر الحلال وترى فيه العجب العجاب انتهى .

اقول علم المعمى واللغز ليس مبنياً على اصل كلي وليست له قواعد وضوابط معينة مشخصة حتى يرجع اليها بل بناءه على خيال المعمائي وفكره وما اشده خرافة في العلوم واكثره اضاعة للوقت بلا فائدة ترجع الى امر من الدين والدنيا واكثر من ضيع به اوقاته الفرس ولهذا لا يوجد في علوم العرب الا اقل قليل وهو ايضا باتباع العجم والحديث المتقدم ليس المراد به علم المعمى وما يليه كما زعم صاحب [1]

---

(١) يعني من حيث انه اورد الحديث المذكور في صفة اهل الفارس وكونهم علماء وجعل المعمى من جملة العلوم وقال لفظ العلم موضع الايمان وهذا تسامح آخر فليعلم ، **حافظ علي حسين عفا عنه الله رب المشرقين** .

مدينة العلوم بل المقصود منه علم الدين من لكتاب والسنة المطهرة كما ظهر مصداقه في اصحاب الحديث سيما البخاري ومسلم وليس المعمى من العلم في شيء حتى يستدل بالحديث عليه فما ابرد هذا الاستدلال وما اضعفه من الاقوال .

علم المغازي والسير

اي مغازي رسول الله ﷺ جمعها محمد بن اسحٰق اولا ويقال اول من صنف فيها عروة بن الزبير ، وجمعها ايضا وهب بن منبه ، وابو عبد الله محمد بن عائذ القرشي الدمشقي الكاتب وابو محمد يحيى بن سعيد بن ابان الاموي الكوفي الحنفي المتوفى سنة احدى وتسعين ومائة عن ثمانين سنة .

ومنها مغازي محمد بن مسلم الزهري وابن عبد البر القرطبي المتوفى سنة ثلٰث وستين واربعمائة ، وعبد الرحمن بن محمد الانصاري وابي الحسن علي بن احمد الواقدي المتوفى سنة ثمان وستين واربعمائة وموسى بن عقبة بن ابي عياش المتوفى سنة احدى واربعين ومائة ومغازيه اصح المغازي كذا في المقتفى وهو من فروع علم التواريخ .

وموضوعه ومنفعته وغايته وغرضه لا يخفى على كل واحد من ذي اللب ولكن لما كان ثبوتها بالاحاديث والآثار جعلناها من فروع علم الحديث وفي هذا العلم مصنفات كثيرة اجلها وافضلها تصنيف عبد الملك بن هشام ومغازي ابن اسحق وغير ذلك ذكره في مدينة العلوم .

علم مفردات القرآن الكريم والفرقان الحكيم
علم المقادير والاوزان

المستعملة في علم الطب من الدراهم والاوقية والرطل وغير ذلك ولقد

صنف له كتب مطولة ومختصرة يعرفها مزاولها وقد تقدم في باب الالف .

علم مقادير العَلويات

هكذا في الكشف وقال في مدينة العلوم هو علم باحث عن قدر الكواكب والافلاك بالاميال والفراسخ وقدر الشمس والقمر والارض وبعد كل من هذه الاجرام بعضها عن بعض واعتنى القدماء بهذا العلم وبينوا مسائله ببراهين قطعية لا يرتاب من يتولاها في صحتها انتهى .

علم مقالات الفرق

هو علم باحث عن ضبط المذاهب الباطلة المتعلقة بالاعتقادات الالٰهية وهي على ما اخبر به نبينا ﷺ عن هذه الامة اثنتان وسبعون فرقة .

وموضوعه وغايته وغرضه ومنفعته ظاهرة جدا وقد تكفل بتفصيل مجملاته القاضي عضد الدين في آخر كتاب الموقف من علم الكلام ، وممن اورد فرق المذاهب في العلم كلها محمد. الشهرستاني في كتاب الملل والنحل وله نهاية الاقدام في علم الكلام والمناهج والبينات وكتاب المصارعة وتلخيص الاقسام لمذاهب الانام .

وشهرستان مدينة بخراسان ولنا كتاب مختصر في بيان فرق الاسلام سميناه خبية الاكوان في افتراق الامم على المذاهب والاديان وهو نفيس نافع جدا وفقنا الله للقول الصدق والمذهب الحق وان لا تزلّ اقدامنا عن الصراط السوي والمنهج الواضح القوي والمسلك القويم النبوي والطريق المستبين السني ، ويسر لنا الاهتداء بهدي نبيه محمد ﷺ والاقتفاء بمن اتبع سنته واختار شريعته واقتدى بسيرته اللهم آمين .

علم المقلوب

هكذا في كشف الظنون وهو من فروع علم البديع والمحاضرات كما عرفت في علم التصحيف وهو :

ان يكون الكلام بحيث اذا قلبته وابتدأت من حرفه الاخير الى الحرف الاول كان الحاصل بعينه هو هذا الكلام ، وهذا مغائر لتجنيس القلب المذكور في علم البديع ، فان المقلوب ههنا يجب ان يكون اللفظ الذي ذكر بخلافه ثمه ويجب ثمه ذكر اللفظين جميعا بخلافه هنا .

والقلب قد يكون في النثر كقوله تعالى وربك فكبر .

اما في النظم فقد يكون بحيث يكون كل من المصراعين قلبا للآخر كقوله :[1] ارانا الاله هلالا انارا . وقد لا يكون كذلك بل يكون مجموع البيت قلباً لمجموعه كقول الارجاني :

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم

وقول الحريري :

اس ارملا اذا عرى وارع اذا المرء اسا

الا ان في قول الحريري نوع تكلف وهو زيادة همزة مرء وحذفها في القلب .

واما في النثر فاما في مفرد نحو سلس او مركب كما في قوله تعالى وربك فكبر وقوله تعالى كل في فلك وللحروف المشددة في هذا الباب حكم المخفف لان المعتبر هو الحروف المكتوبة ومنه سر فلا كبا بك الفرس وهو قول عماد الكاتب .

---

(١) **ونحوه بالفارسي** هذا المصراع شكربترا زوي وزارت بركش . مولوي سبط احمد سهسواني سلمه ربه .

وقوله القاضي الفاضل دام علاء العماد .
ومنه كمالك تحت كلامك ومنه عقرب تحت برقع .
ومنه كبر رجا اجر ربك .
ومنه لابقا للاقبال وله نظائر كثيرة وامثال غير قليلة كذا في مدينة العلوم .

علم المكاشفة

ويسمى بعلم الباطن وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور امور كثيرة كان يسمع من قبل واسماءها فيتوهم لها معان مجملة غير متضحة فتتضح اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات وبافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة الى غير ذلك مما يطول تفصيله ، اذ للناس في معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات شتى ذكرها الغزالي في الاحياء .

قال وهذه العلوم هي التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله تعالى عليه بشيء منها الا مع اهله قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله .

وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم بدعة او كبر .

وقيل من كان محباً للدنيا اومصراً على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم واقل عقوبة من ينكره انه لا يذوق منه شيئا وهو علم الصديقين والمقرّبين .

علم الملاحة

هو علم باحث عن كيفية صنعة السفن وكيفية ترتيب الانتهاء وكيفية

اجرائها في البحر وان مقدار هذا الثقل بهذا المقدار من الريح كم فرسخا يتحرك في مقدار هذه الساعات ، ويتوقف على معرفة سموت البحار والبلدان والاقاليم ومعرفة ساعات الايام والليالي ومعرفة مهاب الرياح وعواصفها ورخائها وممطرها وغير ممطرها .

ومن مباديه علم الميقات وعلم الهندسة .

ويتوقف على معرفته عجائب البحر وطبائعها وخواصها وصور الاقاليم وغير ذلك مما يعرفه اهله وهذا العلم عظيم النفع وفيه كتب موجودة عند اهله واكثر مباديه مستندة الى التجربة .

علم المَلاحم

جمع ملحمة وهي الواقعة العظيمة في الفتنة مثل وقعة بخت نصر ووقعة جنكيزخان وهلاكو وتيمور فيبحث في هذا العلم عن معرفة اوقات الفتن بالدلائل النجومية وقد عرفت ان علم احكام النجوم من اضعف العلوم دلالة فلا تعويل عليه اصلا وان اردت الوقوف على معرفة الملاحم فعليك بالاحاديث الواردة فيها ولا ينبئك مثل خبير هذه عبارة مدينة العلوم .

واقول ليست ملحمة ولا فتنة صغرى او كبرى من الملاحم والفتن التي تكون الى يوم القيامة وقيام الساعة في مطلع الشمس ومغربها وسائر اقطار الارض الا وقد اخبر النبي ﷺ بها في احاديثه الشريفة كما في حديث حذيفة بن اليمان المروي في السنن ، وقد وقعت منها ملاحم وفتن كثيرة وسيقع ما بقي منها ، ولكن العلم بمواقيتها مما استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه ولا يتيسر لبشر ان يعلم بوقتها الا بعد وقوعها وحصول التطبيق بالاحاديث الواردة فيها ، وقد اوعبت الفتن الواقعة منذ عهد الخلفاء الراشدين الى الآن في كتابي حجج الكرامة بالفارسي ، وكتبت رسالة نافعة جدا في ذكر الفتن على ما وردت به السنة المطهرة بالعربي المبين

وسميتها بالاذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة فعليك بهذين الكتابين فانهما كافيان وافيان في بابيهما ولا تحتاج معهما الى كتاب آخر يشفي علتك ويسقي غلتك ، وفيهما حكم الفتن وما ينبغي في زمنها للمسلم ، وكلها من مفاهيم الاخبار والآثار ولا ينبغي لمن يعتقد دين الاسلام بقلبه السليم ان يميل عند حدوث امثال تلك الحوادث والاحوال الى اقوال المشائخ وآراء الرجال ، بل الذي يجب على كل مؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ان يستعلم حكم الفتن قبل الابتلاء بها من السنة كما قيل اعط القوس باريها ، ولا منجأ من حوادث الدنيا لاحد كائنا من كان ولا ملجأ له الا من الله تعالى وهو الذي يتولى الصالحين من عباده ويأمنهم من المخاوف والهلكة في ارضه وبلاده وبالله التوفيق .

علم منازل القمر

هكذا في كشف الظنون وقال في مدينة العلوم هي علم يتعرف منه صور المنازل الثمانية والعشرين واسماؤها وخواص كل واحد منها واحكام نزول القمر في كل منها الى غير ذلك انتهى .

علم مناسبات الآيات والسور

من متعلقات علم التفسير .

علم المناظر

من فروع الهندسة وهو علم يتبين به اسباب الغلط في الادراك البصري بمعرفة كيفية وقوعها بناء على ان ادراك البصر يكون بمخروط شعاعي راسه يقطعه الباصر وقاعدته المرئي ثم يقع الغلط كثيرا في رؤية القريب كبيرا والبعيد صغيرا ،

او كذا رؤ ية الاشباح الصغيرة تحت الماء ووراء الاجسام الشفافة كبيرة ، ورؤية النقطة النازلة من المطر خطا مستقيما والشعلة دائرة وامثال ذلك ، فيتبين في هذا العلم اسباب ذلك وكيفياته بالبراهين الهندسية ، ويتبين به ايضا اختلاف المنظر في القمر باختلاف العروض الذي يبتني عليه معرفة رؤية الاهلة وحصول الكسوفات وكثير من امثال هذا .

وقد الف في هذا الفن كثير من اليونانيين .

واشهر من الف فيه من الاسلاميين ابن الهيثم ولغيره فيه أيضاً تأليف وهو من هذه الرياضة وتفاريعها ذكره ابن خلدون .

وعبارة مدينة العلوم في بيان علم المناظر هكذا هو علم يتعرف منه احوال المبصران في كميتها وكيفيتها باعتبار قربها وبعدها عن الناظر واختلاف اشكالها واوضاعها وما يتوسط بين الناظر والمبصرات وغلطته ورقته علل تلك الامور ومنفعته معرفة احوال الابصار وتفاوت المبصرات والوقوف على سبب الاغاليط الحسية الواقعة فيها ، ويستعان بهذا العلم على مساحة الاجرام البعيدة والمرايا المحرقة .

ومن الكتب المختصرة فيه كتاب اقليدس ومن المتوسط كتاب علي بن عيسى الوزير ومن المبسوطة كتاب لابن الهيثم انتهى ونحوه في كشاف اصطلاحات الفنون على وجه الاختصار .

علم مناظر الانشاء

وفيه تأليف لمحمود بن الشيخ محمد الكيلاني المعروف بخواجه جهان رتّبه على مقدمة ومقالتين وخاتمة وهو من الكتب النافعة .

علم المناظرة

علم باحث عن احوال المتخاصمين ليكون ترتيب البحث بينهما على وجه الصواب حتى يظهر الحق بينهما ذكره في مدينة العلوم .

علم المنطق

ويسمى علم الميزان ايضا وهو علم يتعرف منه كيفية اكتساب المجهولات التصورية والتصديقية من معلوماتها .

وموضوعه المعقولات الثانية من حيث الايصال الى المجهول او النفع فيه .

والغرض منه عصمة الذهن عن الخطأ في الفكر .

ومنفعته الإصابة في جميع العلوم .

قال في الكشف الغرض منه ، ومنفعته ظاهران من الكتب المبسوطة في المنطق ، كذا قال في مفتاح السعادة انتهى .

والمنطق لكونه حاكما على جميع العلوم في الصحة والسقم والقوة والضعف واجلها نفعا واعظمها ، سماه ابو نصر الفارابي رئيس العلوم .

ولكونه آلة في تحصيل العلوم الكسبية النظرية والعملية لا مقصودا بالذات سماه الشيخ الرئيس ابن سينا بخادم العلوم .

وحكى ابو حيان في تفسيره البحر ان اهل المنطق بجزيرة الاندلس كانوا يعبرون عن المنطق بالمفعل تحررا عن صولة الفقهاء حتى ان بعض الوزراء اراد ان يشتري لابنه كتابا من المنطق فاشتراه خفية خوفا منهم مع انه اصل كل علم وتقويم كل ذهن انتهى .

قال الغزالي : من لم يعرف المنطق فلا ثقة له في العلوم اصلا ، حتى روي عن بعضهم انه فرض كفاية وعن بعضهم فرض عين بناء على ان معرفة الله تعالى

بطريق البرهان واجبة وانها لا تتم الا بعلم المنطق فما لا يتم الواجب الا به فهو واجب قال القائل :

ان رمت ادراك العلوم بسرعة فعليك بالنحو القويم ومنطق
هذا الميزان العُقول مرجح والنحو اصلاح اللسان بمنطق

قال في كشف الظنون قال الشيخ ابو علي بن سينا المنطق **نعم العون على** ادراك العلوم كلها ، وقد رفض هذا العلم وجحدمنفعته من لم يفهمه ولا اطلع عليه عداوة لما جهل ، وبعض الناس ربما يتوهم انه يشوش العقائد مع انه موضوع للاعتبار والتحرير .

وسبب هذا التوهم ان من الأغبياء الأغمار الذين لم تؤدّبهم الشريعة من اشتغل بهذا العلم واستضعف حجج بعض العلوم واستخف بها وبأهلها ظنا منه انها برهانية لطيشه وجهله بحقائق العلوم ومراتبها ، فالفساد لا من العلم .

قالوا ويستغني عنه المؤيد من الله تعالى ، ومن علمه ضروري ، ويحتاج اليه من عداهما .

فان قلت اذا كان الاحتياج بهذه المرتبة فما بال الأئمة المقتدى بهم كمالك والشافعي وابي حنيفة واحمد بن حنبل رحمهم الله لم ينقل عنهم الاشتغال به ، وانما هو من العلوم الفلسفية ، وقد شنع العلماء على من عرّبها وادخلها في علوم الاسلام ، ونقل عن شيخ الاسلام ابن تيمية الحنبلي رحمه الله انه كان يقول ما أظن الله تعالى يغفل عن المأمون العباسي ولا بد ان يعاقبه بما ادخل على هذه الامة .

فجوابه ان ذلك مركوز في جبلاتهم السليمة وفطرتهم المستقيمة ولم يفتهم الا العبارات والاصطلاحات كما ذكر في علم النحو .

واصول المنطق تسعة على المشهور .

الاول : باب الكليات الخمس .

الثاني : باب التعريفات .

الثالث : باب التصديقات .

الرابع : باب القياس .

الخامس : البرهان .

السادس : الخطابة .

السابع : الجدل .

الثامن : المغالطة .

التاسع : الشعر ، هذا خلاصة ما في العلمي حاشية شرح هداية الحكمة الميبذية وشرح حكمة العين وغيرهما .

والكتب المصنفة في المنطق كثيرة منها ايساغوجي وبحر الفرائد ، وتيسير الفكر ، وجامع الدقاق ، والشمسية ، غرة النجاة ، والقواعد الجلية ، ولوامع الافكار ، والمطالع ، ومجل النظر ، ومعيار الافكار ، وناظر العين ، ونخبة الفكر ، وغير ذلك انتهى ما في الكشف وكشاف اصطلاحات الفنون .

ومن كتبه المرقاة للشيخ الفاضل فضل امام الخير آبادي وهو مختصر مفيد وعليه شرح لحفيده المولوي عبد الحق .

وتهذيب المنطق للتفتازاني والصغرى والكبرى بالفارسية للسيد السند الشريف الجرجاني رحمه الله الى غير ذلك .

قال بعضهم والذي اجاب به شيخ الاسلام من كون المنطق مرتكزا في نفوسهم جواب ضعيف لا يخفى ضعفه على من يعقل ويعرف مقاصد الشريعة الغراء انتهى .

اقول ارجع الى كتاب رد المنطقيين لابن تيمية رحمه الله واعلم ان جواباته كثيرة وكلها صواب حق لا يسع ذكرها هذا المقام وهذا الجواب ايضاً صواب يعرفه من منحه الله طبعاً سليماً لا اعوجاج فيه وصاحب القلب الصحيح والفكر السليم لا يحتاج الى علم المنطق بل يصدر عنه العلم المطابق له من غير درية بهذا الفن كما

يصدر الكلام الموزون ممن لا يعلم بعلم العروض والقافية ، ولا يحسن تقطيعات الأشعار ، ويقول نظما كثيرا وينظم قصائد طويلة ولا يعرف اوزان الشعر ولا بحوره فأي استبعاد في كون المنطق مرتكزا في نفوس بعض العباد الصحيح الفؤاد السليم المراد .

وقد اختلف اهل العلم في انّ المنطق من العلم ام لا فتدبر .

قال ابن خلدون في بيان هذا العلم هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود والمعرفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات وذلك ان الأصل في الادراكات انما هو المحسوسات بالحواس الخمس وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الادراك من الناطق وغيره وانما يتميز الانسان عنها بادراك الكليات وهي مجردة من المحسوسات ، وذلك بان يحصل في الخيال من الأشخاص المتفقة صورة منطبقة على جميع تلك الاشخاص المحسوسة وهي الكلي ثم ينظر الذهن بين تلك الأشخاص المتفقة واشخاص اخرى توافقها في بعض فيحصل له صورة تنطبق ايضا عليهما باعتبار ما اتفقا فيه ولا يزال يرتقي في التجريد الى الكل الذي لا يجد كلياً آخر معه يوافقه فيكون لأجل ذلك بسيطا ، وهذا مثل ما يجرد من اشخاص الانسان صورة النوع المنطبقة عليها ثم ينظر بينه وبين الحيوان ويجرد صورة الجنس المنطبقة عليهما ، ثم بينهما وبين النبات الى ان ينتهي الى الجنس العالي وهو الجوهر فلا يجد كليا يوافقه في شيء فيقف العقل هنالك عن التجريد .

ثم ان الانسان لما خلق الله له الفكر الذي به يدرك العلوم والصنائع ، وكان العلم اما تصور للماهيات ويعني به ادراك ساذج من غير حكم معه .

واما تصديقا اي حكما بثبوت امر لأمر فصار سعي الفكر في تحصيل المطلوبات .

اما بأن تجمع تلك الكليات بعضها الى بعض على جهة التأليف، فتحصل صورة في الذهن كلية منطبقة على افراد في الخارج فتكون تلك الصورة الذهنية

مفيدة لمعرفة ماهية تلك الاشخاص .

وأما بأن يحكم بأمر على أمر فيثبت له ويكون ذلك تصديقا وغايته في الحقيقة راجعة الى التصور ، لأن فائدة ذلك اذا حصل انما هي معرفة حقائق الأشياء التي هي مقتضى العلم .

وهذا السعي من الفكر قد يكون بطريق صحيح .

وقد يكون بطريق فاسد فاقتضى ذلك تمييز الطريق الذي يسعى به الفكر في تحصيل المطالب العلمية ليتميز فيها الصحيح من الفاسد فكان ذلك قانون المنطق .

وتكلم فيه المتقدمون اول ما تكلموا به جملا جملا ومفترقا ولم تهذب طرقه ولم تجمع مسائله حتى ظهر في يونان ارسطو فهذب مباحثه ورتب مسائله وفصوله ، وجعله اول العلوم الحكمية وفاتحتها ولذلك يسمى بالمعلم الأول ، وكتابه المخصوص بالمنطق يسمى النص وهو يشتمل على ثمانية كتب ، اربعة منها في صورة القياس ، واربعة في مادته .

وذلك ان المطالب التصديقية على انحاء .

فمنها ما يكون المطلوب فيه اليقين بطبعه .

ومنها ما يكون المطلوب فيه الظن وهو على مراتب فينظر في القياس من حيث المطلوب الذي يفيده ، وما ينبغي ان تكون مقدماته بذلك الاعتبار ، ومن ايّ جنس يكون من العلم او من الظن ، وقد ينظر في القياس لا باعتبار مطلوب مخصوص بل من جهة انتاجه خاصة .

ويقال للنظر الاول انه من حيث المادة ، ونعني به المادة المنتجة للمطلوب المخصوص من يقين او ظن ويقال للنظر الثاني انه من حيث الصورة وانتاج القياس على الاطلاق فكانت لذلك كتب المنطق ثمانية .

الاول : في الأجناس العالية التي ينتهي اليها تجريد المحسوسات وهي التي

ليس فوقها جنس ويسمى كتاب المقولات .

والثاني : في القضايا التصديقية واصنافها ويسمى كتاب العبارة .

والثالث : في القياس وصورة انتاجه على الاطلاق ويسمى كتاب القياس وهذا آخر النظر من حيث الصورة .

ثم الرابع : كتاب البرهان وهو النظر في القياس المنتج لليقين وكيف يجب ان تكون مقدماته يقينية ويختص بشروط اخرى لإفادة اليقين مذكورة فيه مثل كونها ذاتية واولية وغير ذلك وفي هذا الكتاب الكلام في المعرفات والحدود اذ المطلوب فيها انما هو اليقين لوجوب المطابقة بين الحد والمحدود لا تحتمل غيرها فلذلك اختصت عند المتقدمين بهذا الكتاب .

والخامس كتاب الجدل وهو القياس المفيد قطع المشاغب وافحام الخصم وما يجب ان يستعمل فيه من المشهورات ويختص ايضا من جهة افادته لهذا الغرض بشروط اخرى من حيث افادته لهذا الغرض وهي مذكورة هناك وفي هذا الكتاب يذكر المواضع التي يستنبط منها صاحب القياس قياسه ومنه عكوس القضايا .

والسادس : كتاب السفسطة وهو القياس الذي يفيد خلاف الحق ويغالط به المناظر صاحبه وهو فاسد وهذا انما كتب ليعرف به القياس المغالطي فيحذر منه .

والسابع : كتاب الخطابة وهو القياس المفيد ترغيب الجمهور وحملهم على المراد منهم وما يجب ان يستعمل في ذلك من المقالات .

والثامن : كتاب الشعر وهو القياس الذي يفيد التمثيل والتشبيه خاصة للاقبال على الشيء او النفرة عنه وما يجب ان يستعمل فيه من القضايا التخييلية هذه هي كتب المنطق الثمانية عند المتقدمين .

ثم ان حكماء اليونانيين بعد ان تهذبت الصناعة ورتبت رأوا انه لا بد من الكلام في الكليات الخمس المفيدة للتصور فاستدركوا فيها مقالة تختص بها مقدمة بين يدي الفن فصارت تسعا وترجمت كلها في الملة الاسلامية وكتبها وتداولها

فلاسفة الاسلام بالشرح والتلخيص كما فعله الفارابي وابن سينا ثم ابن رشد من فلاسفة الاندلس ، ولابن سينا كتاب الشفا استوعب فيه علوم الفلسفة السبعة كلها .

ثم جاء المتأخرون فغيروا اصطلاحات المنطق وألحقوا بالنظر في الكليات الخمس ثمرته وهي الكلام في الحدود والرسوم نقلوها من كتاب البرهان وحذفوا كتاب المقولات لان نظر المنطقي فيه بالعرض لا بالذات ، والحقوا في كتاب العبارة الكلام في العكس لانه من توابع الكلام في القضايا ببعض الوجوه .

ثم تكلموا في القياس من حيث انتاجه للمطالب على العموم لا بحسب المادة وحذفوا النظر فيه بحسب المادة وهي الكتب الخمسة : البرهان والجدول والخطابة والشعر والسفسطة وربما يلم بعضهم باليسير منها إلماما واغفلوها كأن لم تكن وهي المهم المعتمد في الفن .

ثم تكلموا فيما وضعوه من ذلك كلاما مستبحراً نظروا فيه من حيث انه فن برأسه لا من حيث انه آلة للعلوم فطال الكلام فيه واتسع .

واول من فعل ذلك الامام فخر الدين بن الخطيب ومن بعده فضل الدين الخونجي وعلى كتبه معتمد المشارقة لهذا العهد ، وله في هذه الصناعة كتاب كشف الأسرار وهو طويل ، واختصر فيها مختصر الموجز وهو حسن في التعليم ، ثم مختصر المجمل في قدر اربعة اوراق اخذ بمجامع الفن واصوله فتداوله المتعلمون لهذا العهد فينتفعون به وهجرت كتب المتقدمين وطرقهم كأن لم تكن وهي ممتلئة من ثمرة المنطق وفائدته كما قلناه والله الهادي للصواب انتهى كلام ابن خلدون .

قال في مدينة العلوم وقد صح بشهادة اهل التواريخ والندماء ان اول من دوّن المنطق ارسطو وقد بذل ملك زمانه في مقابلة ذلك خمسمائة الف دينار وأدرّ عليه في كل سنة مائة وعشرين الف دينار .

وقيل انه تنبه لوضعه وترتيبه من نظم كتاب اقليدس في الهندسة ، ثم ان

ارسطو بعدما دون المنطق صارت كتبه مخزونة في ابنية ولاية موره من بلاد الروم عند ملك من ملوك اليونان ، ولما رغب الخليفة المأمون في علوم الأوائل ارسل الى الملك المذكور وطلب الكتب فلم يرسل فغضب المأمون وجمع العساكر ، وبلغ الخبر الى الملك فجمع البطاريق وشاورهم في الامر فقالوا ان اردت الكسر في دين المسلمين وتزلزل عقائدهم فلا تمنعهم عن الكتب ، فاستحسن الملك فأرسلها الى المأمون فجمع المأمون مترجمي مملكته ، كحنين بن اسحق ، وثابت ابن قرة وغيرهما فترجموها بتراجم مختلفة بحيث لا يوافق ترجمة احدهم ترجمة الآخر فبقيت التراجم غير محررة الى ان التمس منصور بن نوح الساماني من أبي نصر الفارابي ان يحررها ويخصها ففعل كما اراد ولهذا لقب بالمعلم الثاني ، وكان كتبه في خزانة الكتب المبنية باصبهان ا لمساة بصوان الحكمة الى زمان السلطان مسعود ، لكن كانت غير مبيضة لأن الفارابي كان غير ملتفت الى جمع التصانيف ونشرها بل غلب عليه السياحة ، ثم ان الشيخ ابا علي تقرب عند السلطان مسعود بسبب الطب حتى استوزره واستولى على تلك الخزانة واخذ ما في تلك الكتب ولخص منها كتاب الشفا وغير ذلك من تصانيفه ، وقد اتفق ان احترقت تلك الكتب فاتهم ابو علي بانه احرقها لينقطع انتساب تلك العلوم عن اربابها ويختص بنفسه لكن هذا كلام الحساد الذين ليس لهم هاد .

واعلم ان الاوائل من الملوك كانوا يهتمون بجمع الكتب وخزانتها فحدثت في الاسلام خزائن ثلث .

احداها: بمدينة دار السلام بغداد وكانت فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة وقد ذهب الكل في وقعة تاتار ببغداد .

وثانيتها :خزانة الفاطميين بمصر وكانت من اعظم الخزائن واكثرها جمعا للكتب النفيسة ولما انقضت دولتهم باستيلاء الملك صلاح الدين على مصر فاشترى القاضي الفاضل اكثر كتب هذه الخزانة ووقفها على مدرسته بمصر فبقيت

فيها الى ان استولت عليها الأيدي فلم يبق منها الا القليل .

وثالثتها : خزانة بني امية بالاندلس وكانت من اجل خزائن الكتب ايضا ولما انقرضت دولتهم باستيلاء ملوك الطوائف على الاندلس ذهب كلها .

او من الكتب المبسوطة في المنطق البحر الخضم ومنطق الشفاء لأبي علي بن سينا كتبه بلا مطالعة كتاب ، وكان يكتب كل يوم خمسين ورقة من حفظه ، وله كتاب النجاة والقانون والاشارات .

ومنها كتاب بيان الحق ومطالع الانوار والمناهج كلها في المنطق والحكمة للامور وكان شافعيا ، وكتاب كشف الأسرار لمحمد بن عبد الملك الخونجي وهو صاحب الموجز في المنطق ومن الكتب اللطيفة التلويحات والمطارحات لابي الفتوح يحيى بن حنش الملقب بشهاب الدين السهروردي الحكيم المقتول وقيل اسمه عمر .

ومنها الملخص وشرح الاشارات للرازي والمعتبر لابي البركات البغدادي اليهودي اولاً في اكثر عمره والمهتد الى الاسلام في آخر عمره اتى في المعتبر باقسام الحكمة غير الرياضي ، وهو احسن كتاب في هذا الشأن في هذا الزمان استولت عليه آفات لو وضع واحد منها على رضوى لتخلخلت اصولها الرواسخ ، وتدكدكت رؤ وسها الشوامخ ، وذلك انه عمى وطرش وبرص وتجذم ، فنعوذ بالله من نقمة لا تطيقها الابدان ومن زوال العافية وتقلب الاحسان ، ولما احسّ بالموت اوصى من يتولاه ان يكتب على قبره هذا قبر أوحد الزمان ابي البركات ذي العبر صاحب المعتبر فسبحان من لا يغلبه غالب ولا ينجو من قضائه متحيل ولا هارب نسأل الله في حياتنا العافية ، وفي مماتنا حسن العاقبة رب قد احسنت فيما مضى فلك ان تحسن فيما بقي ، ولم يتحقق تاريخ وفاته الا انه كان في اوسط المائة السادسة .

ومنها جامع الدقائق للكاتبي ، وتنزيل الافكار ، وحواشي ملخص الرازي

له ايضا ، وان أردت بلوغ الغاية في المنطق فعليك بتعديل الميزان وهو احد اقسام تعديل العلوم لصدر الشريعة وقد كشف في هذا الكتاب عن غوامض طالما تحير فيها عقول الاقدمين وابرز قواعد لم يهتد اليها احد من الأوحدين ومع هذا فهو لعلوم الشريعة ابو عذرها وابن بجدتها ، وكتب المنطق اكثر من ان تحصى واجلّ من ان تستقصى انتهى حاصله .

علم مواسم السنة

قال الأرنيقي ان لكل امة من الأمم ولكل طائفة من الأقوام مواسم واعياد يعينون لكل منها شغلاً مخصوصا ، فالعلم المذكور يعرف به اعياد كل قوم ، وانها من السنة في اي يوم ، ويعرف شغل اهلها في ذلك ، ومن جملة ذلك يوم النيروز والمهرجان عند اهل الفارس ، وكان اهل القبط يأتي ملكهم في يوم النيروز ، ويرصدون من الليل فيقدمون رجلا حسن الاسم والوجه طيب الرائحة فيقف على الباب حتى يصبح ، فاذا اصبح دخل على الملك بغير اذن فيقف عنده .

فيقول له الملك ما اسمك ومن اين انت اقبلت واين تريد ولأي شيء وردت وما معك ؟

فيقول انا المنصور واسمي المبارك ، ومن قبل الله اقبلت ، والملك السعيد اردت ، وبالهنا والسلامة وردت ، ومعي السنة الجديدة ثم يجلس ، ويدخل بعده رجل معه طبق من فضة وفيه حنطة وشعير وجلبان وذرة وحمص وسمسم وأرز من كل سبع سنابل وسبع حبات وقطعة سكّر ودينار ، فيضع الطبق بين يدي الملك ثم يدخل عليه الهدايا ويبتدىء من الوزير ثم الناس على قدر مراتبهم ، ث يقدم الملك برغيف كبير مصنوع من تلك الحبوب فيأكل منه ويطعم من حضره ، ثم يقول : هذا يوم جديد من شهر جديد من عام جديد من زمان جديد يحتاج ان يجدد فيه ما اخلقه الزمان ، وأحق الناس بالفضل والاحسان الرأس لفضله على

سائر الاعضاء ، ثم يخلع على وجوه دولته ويصلهم ويصرف عليهم ما حمل اليه من الهدايا .

وكان من عادة الفرس في عيدهم ان يدهن الملك بدهـن البـان تبركاً ، ويلبس القصب والوشي ، ويضع على رأسه تاجاً فيه صورة الشمس ، ويكون اول من يدخل عليها المؤبد بطبق عليه اترجة وقطعة سكر ونبق وسفرجل وتفـاح وعناب وعنقود عنب ابيض وسبع باقات آس ، ثم يدخل الناس مثل الاول على طبقاتهم .

ومن عادتهم في يوم النيروز انهم يجمعون بين سبع اشياء اول اسمائهـن سينـات يأكلونهـا هي السـكر والسفرجـل والسمسـم والسماق والسـذاب والسقنقور ، وعادات الناس في الأعياد خارجة عن التعداد انتهى .

قلت وقد ذكر الشيخ الامام العلامة المقريزي في كتاب الخطط والآثار كثيراً من اعيادهم وبسط في بيان ذلك ولكن الشرع الشريف قد ورد بإبطال كل عيد للناس على اختلاف فرقهم وقبائلهم وعشائرهم الا ما وردت به السنة المطهرة من الجمعة والعيدين والحجج وعليه عمل المسلمين الى الآن .

ولشيخ الاسلام احمد بن تيمية رضي الله عنه كتاب سماه اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة اصحاب الجحيم في رد اعياد الاقـوام ، ونهـي المسلمـين عن اعتياد عادات هؤلاء الطغام ، وفي الحديث من تشبه بقوم فهو منهم ، والتشبه يشمل كل شبه يكون في الاعياد والاخلاق وهيآت اللبس والأكل والركوب والبناء والكلام ، وقد تساهل الناس المسلمون اليوم في التحرز عن التشبـه الى الغـاية وشابهوا الكفار واهل الكتاب في مراسمهم ومواسمهم الى النهاية الا من عصمه الله وقليل ما هم ، وتأويل هذا الحديث يستدعي بسطاً تاماً وليس هذا موضع بيان المسائل والاحكام ، فعليك بالنظر في اقتضاء الصراط المستقيم يتضح لك الحق مما هو باطل في دين الاسلام وبالله التوفيق .

علم المواقيت

كذا في كشف الظنون قال في مدينة العلوم ، وهو علم يتعرف منه ازمنة الأيام والليالي واحوالها وكيفية التوصل اليها ومنفعته معرفة اوقات العبادات والطوالع والمطالع من اجزاء البروج والكواكب الثابتة التي منها منازل القمر ومقادير الاظلال والارتفاعات وانحراف البلدان بعضها عن بعض وسموتها ومن المصنفات فيه نفائس البواقيت في احوال المواقيت وجامع المبادىء والغايات لأبي علي المراكشي انتهى .

علم مواقيت الصلوٰة

علم يتعرف منه اوقات الصلوات الخمس على الوجه الوارد في الشرع ، ويفترض علم تلك المواقيت تقريباً ، واما علمه تحقيقاً ففرض كفاية فلا بد في كل بلد من يعرفها على وجه التحقيق كذا في مدينة العلوم .

قلت للسيد الامام العلامة المجتهد شيخ شيوخنا محمد بن اسمعيل الامير اليماني رحمه الله رسالة سماها اليواقيت في المواقيت الفها في ذكر اوقات الصلوات الخمس على ما وردت به السنة المطهرة صرح فيها بأن العمل في الصلوٰة والصوم على علم المواقيت بدعة قبيحة من احداث الملوك ولا يتوقف عليه معرفة اوقات الصلوٰة وهذه الرسالة نفيسة جداً .

علم الموسيقى

قال صاحب الفتحية الموسيقي ، علم رياضي يبحث فيه عن احوال النغم من حيث الاتفاق والتنافر واحوال الازمنة المتخللة بين النقرات من حيث الوزن وعدمه ليحصل معرفة كيفية تأليف اللحن ، هذا ما قاله الشيخ في شفائه الا ان لفظة بين النقرات زيدت على كلامه .

وعبارته بعينها اي معرفة النغم الحاصل من النقرات ليعم البحث عن الازمنة التي تكون نقراتها منغمة او ساذجة ، وكلامه يشعر بكون البحث عن الازمنة التي تكون نقراتها منغمة فقط .

وعرّفها الشيخ ابو نصر بأنها صوت واحد لابث لزمان فاذا قدر محسوساً في الجسم الذي فيه يوجد والزمان قد يكون غير محسوس القدر لصغره فلا مدخل للبحث والصوت اللابث فيه لا يسمى نغمة ، والقوم قدروا اقل المرتبة المحسوسة في زمان يقع بين حرفين متحركين ملفوظين على سبيل الاعتدال فظهر لنا انه يشتمل على بحثين ، البحث الاول ، عن احوال النغم ، والبحث الثاني ، عن الازمنة ، فالاول يسمى علم التأليف والثاني علم الايقاع .

والغاية والغرض منه حصول معرفة كيفية تأليف الالحان ، وهو في عرفهم انغام مختلفة الحدة والثقل رتبت ترتيبا ملائما وقد يقال وقرنت بها ألفاظ دالة على معان محركة للنفس تحريكاً ملذاً ، وعلى هذا فما يترنم به الخطباء والقراء يكون لحناً ، بخلاف التعريف الثالث وهو وقرنت بها ألفاظ منظومة مظروفة الازمنة بالاول اعم من الثاني والثالث وبين الثاني والثالث عموم من وجه .

وقال في مدينة العلوم وهو علم تعرف منه احوال النغم والايقاعات وكيفية تأليف اللحون وإيجاد الآلات الموسيقائية ، وانما وضعوا هذه الآلات لما ليس فيه الطبيعة فلم يرخصوا الاخلال به .

وموضوعه الصوت من جهة تأثيره في النفس اما بالبسط او بالقبض لان الصوت اما ان يحرك النفس عن المبدأ فيحدث البسط من السرور واللذة وما يناسبها ، واما الى مبدئها فيحدث القبض والفكر في العواقب ، وما يناسب ذلك ومن الكتب المصنفة فيه كتاب الفارابي وهو اشهرها واحسنها ، وكذا كتاب الموسيقي من ابواب الشفاء لابن سينا ، ولصفي الدين عبد المؤمن مختصر لطيف ، ولثابت بن قرة تصنيف نافع ، ولابي الوفاء الجوزجاني مختصر نافع في فن

الايقاع ، والكتب في هذا الفن كثيرة وفيما ذكرناه كفاية انتهى كلامه .

وقد اتفق الجمهور على ان واضع هذا الفن اولا فيثاغورس من تلامذة سليمان عليه السلام ، وكان رأي في المنام ثلثة ايام متوالية ان شخصا يقول له : قم واذهب الى ساحل البحر الفلاني وحصل هناك علما غريباً فذهب من غد كل ليلة من الليالي اليه فلم ير احدا فيه وعلم انها رؤيا ليست مما يوخذ جداً فانعكس ، وكان هناك جمع من الحدادين يضربون بالمطارق على التناسب فتأمل ثم رجع وقصد انواع مناسبات بين الاصوات ، ولما حصل له ما قصده بتفكر كثير وفيض إلهامي صنع آلة وشد عليها ابريسما وانشد شعرا في التوحيد وترغيب الخلق في امور الآخرة ، فأعرض بذلك كثير من الخلائق عن الدنيا وصارت تلك الآلة معززة بين الحكماء ، وبعد مدة قليلة صار حكيما محققا بالغاً في الرياضة بصفاء جوهره واصلا الى مأوى الارواح وسعة السموٰات ، وكان يقول : اني اسمع نغمات شهية ،وألحانات بهية ، من الحركات الفلكية ، وتمكنت تلك النغمات في خيالي وضميري ، فوضع قواعد هذا العلم .

واضاف بعده الحكماء مخترعاتهم الى ما وضعه الى ان انتهت النوبة الى ارسطاطاليس فتفكر ارسطو فوضع الاغنون وهو آلة لليونانيين ، تعمل من ثلثة زقاق كبار من جلود الجواميس يضم بعضها الى بعض ، ويركب على رأس الزق الاوسط زق كبير آخر ثم يركب على هذه الزقاق انابيب لها ثقب على نسب معلومة تخرج منها اصوات طيبة مطربة على حسب استعمال المستعمل ، وكان غرضهم من استخراج قواعد هذا الفن تأنيس الارواح والنفوس الناطقة الى عالم القدس ، لا مجرد اللهو والطرب ، فان النفس قد يظهر فيها باستماع واسطة حسن التأليف وتناسب النغمات بسط فتتذكر مصاحبة النفوس العالية ومجاورة العالم العلوي ، وتسمع هذا النداء وهو :

ارجعي ايتها النفس الغريقة ، في الاجسام المدلهمة ، في فجور الطبع الى

العقول الروحانية والذخائر النوراتية والاماكن القدسية في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

ومن رجال هذا الفن من صار له يد طولى كعبد المؤمن فان له فيه شرفية وخواجه عبد القادر بن غيبي الحافظ المراغي له فيه كتب عديدة وقد أطال ابن خلدون في بيان صناعة الغناء فمن شاء فليرجع اليه فانه بحث نفيس .

علم الموعظة

ويقال علم المواعظ ، وهو علم يعرف به ما هو سبب الانزجار عن المنهيات والانزعاج الى المأمورات من الامور الخطابية المناسبة لطباع عامة الناس .

ومباديه الاحاديث المروية عن سيد المرسلين وحكايات العباد والزهاد والصالحين ، وكذا حكايات الاشرار المبتلين بالبليات بسوء اعمالهم وفساد احوالهم ذكره في مدينة العلوم .

قال ابن الجوزي في المنتخب لما كانت المواعظ مندوباً اليها بقوله عز وجل (وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين) وقول النبي ﷺ لعماله (تعاهدوا الناس التذكرة)ولان ادواء القلوب تفتقر الى ادوية كما تحتاج امراض البدن الى معالجة ، ألفت في هذا الفن كتبا تشتمل على اصوله وفروعه ، وكان السلف يقتنعون من المواعظ باليسير من غير تحسين لفظ او زخرفة نطق ، ومن تأمل مواعظ الحسين بن علي رضي الله عنهما وغيره علم ما اشرت اليه ، وكذلك كان الفقهاء في قديم الزمان يتناظرون من غير مفاوضة في تسمية قياس علة او قياس شبه ، وارجو ان يكون ما اخذته من الألفاظ والاسامي لا يخرج عن مرضاة الاوائل ، وكذلك ما اخذته عن علماء المذكورين من تحسين لفظ أو تسجيع وعظ لا يخرج عن قانون الجواز ، وما ذاك الا بمثابة جمع القرآن الذي ابتدأ به ابو بكر رضي الله عنه وثنى به عثمان ، وجمع عمر الناس على قرائه في شهر رمضان ، واذن لتميم الداري ان

يقص ومثل هذه لا تذم لكونها ابتدعت اذ ليست بخارجة عن اصل المشروع ، وقال الحسن القصص بدعة كم من اخ يستفيد ودعوة تستجاب انتهى .

وذكر الشيخ الاجل مسند الوقت احمد ولي الله المحدث الدهلوي رحمه الله في كتابه القول الجميل في بيان سواء السبيل فصل في بيان آداب الوعظ والواعظ وعبارته هذه قال الله تعالى لرسوله محمد ﷺ (فذكر انما انت مذكر) وقال لكليمه موسى عليه السلام وذكرهم بأيام الله .

فالتذكير ركن عظيم ولنتكلم في صفة المذكر وكيفية التذكير والغاية التي يلمحها المذكر ، ومن اي علم استمداده وماذا اركانه وما آداب المستمعين ، وما الآفات التي تعتري في وعاظ زماننا ومن الله الاستعانة .

اما المذكر فلا بد ان يكون مكلفاً عدلاً كما اشترطوا في راوي الحديث والشاهد محدثاً مفسرا عالما بجملة كافية من اخبار السلف الصالح وسيرتهم ، ونعني بالمحدث المشتغل بكتب الحديث بان يكون قرأ لفظها وفهم معناها ، وعرف صحتها وسقمها ولو باخبار حافظ او استنباط فقيه ، وكذلك بالمفسر المشتغل بشرح غريب كتاب الله وتوجيه مشكله ، وبما روي عن السلف في تفسيره .

ويستحب مع ذلك ان يكون فصيحاً لا يتكلم مع الناس الا قدر فهمهم ، وان يكون لطيفاً ذا وجه ومروة .

واما كيفية التذكير فهو ان لا يذكر إلا غباً ولا يتكلم وفيهم ملال بل اذا عرف فيهم الرغبة ويقطع عنهم وفيهم رغبة ، وان يجلس في مكان ظاهر كالمسجد ، وان يبدأ الكلام بحمد الله والصلوٰة على رسول الله ﷺ ويختم بها ويدعو للمؤمنين عموماً وللحاضرين خصوصا ولا يخص في الترغيب والترهيب فقط بل يشوب كلامه من هذا ومن ذلك كما هو سنة الله من إرداف الوعد بالوعيد والبشارة بالانذار وان يكون ميسراً لا معسراً ويعم بالخطاب ولا يخص طائفة دون طائفة ،

وان لا يشافه بذم قوم او الانكار على شخص بل يعرض مثل ان يقول ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا ، ولا يتكلم بسقط وهزل ، ويحسن الحسن ويقبح القبيح ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولا يكون امعة .

واما الغاية التي يلمحها المذكر فينبغي ان يزور في نفسه صفة المسلم في اعماله وحفظ لسانه واخلاقه واحواله القلبية ، ومداومته على الاذكار ، ثم ليتحقق فيهم تلك الصفة بكمالها بالتدريج على حسب فهمهم فيأمر اولا بفضائل الحسنات ومساوىء السيئات في اللباس والزي والصلوٰة وغيرها ، فاذا تأدبوا فليأمر بالاذكار ، فاذا اثر فيهم فليحرضهم على ضبط اللسان والقلب ، وليستعن في تأثير هذه في قلوبهم بذكر ايام الله ووقائعه من باهر افعاله وتصريفه وتعذيبه لامم في الدنيا ، ثم بهول الموت وعذاب القبر وشدة يوم الحساب وعذاب النار ، وكذلك بترغيبات على حسب ما ذكرنا .

واما استمداده فليكن من كتاب الله على تأويله الظاهر ، وسنة رسوله ﷺ المعروفة عند المحدثين ، وأقاويل الصحابة والتابعين وغيرهم من صالح المؤمنين ، وبيان سيرة النبي ﷺ ، ولا يذكر القصص المجازفة فإنَّ الصحابة أنكروا على ذلك أشد الإنكار وأخرجوا أولئك المساجد وضربوهم ، وأكثر ما يكون هذا في الاسرائيلات التي لا تعرف صحتها وفي السيرة وشأن نزول القرآن .

واما اركانه فالترغيب والترهيب والتمثيل بالأمثال الواضحة والقصص المرققة والنكات النافعة ، فهذا طريق التذكير والشرح والمسئلة التي يذكرها اما من الحلال والحرام ، او من باب آداب الصوفية ، او من باب الدعوات ، او من عقائد الاسلام ، فالقول الجلي ان هناك مسئلة يعلمها وطريقها في تعليمها .

واما آداب المستمعين فان يستقبلوا المذكر ولا يلعبوا ولا يلغطوا ولا يتكلموا فيما بينهم ولا يكثروا السؤال من المذكر في كل مسئلة ، بل اذا عرض خاطر .

فان كان لا يتعلق بالمسئلة تعلقا قويا او كان دقيقاً لا يتحمله فهوم العامة

فليسكت عنه في المجلس الحاضر فان شاء سأله في الخلوة .

وان كان له تعلق قوي كتفصيل اجمال وشرح غريب فلينتظر حتى اذا انقضى كلامه ، وليعد المذكر كلامه ثلٰث مرات فان كان هناك اهل لغات شتى والمذكر يقدر ان يتكلم على ألسنتهم فليفعل ذلك ، وليجتنب دقة الكلام واجماله .

واما الآفات التي تعتري الوعاظ في زماننا فمنها :

عدم تمييزهم بين الموضوعات وغيرها بل غالب كلامهم الموضوعات والمحرفات وذكر الصلوات والدعوات التي عدها المحدثون من الموضوعات .

ومنها مبالغتهم في شيء من الترغيب والترهيب .

ومنها قصصهم قصة كربلا والوفاة وغير ذلك وخطبهم فيها انتهى .

قلت ويشمل قوله غير ذلك مجالس قصة الولادة وما يكون فيها من القيام وعند ذكر ولادته ﷺ .

وقد صرح جماعة من اهل العلم بالكتاب والسنة بان محفل الميلاد بدعة لم يرد به دليل ولم يدل عليه نص من الشرع .

منهم الشيخ الاجلّ والصوفي الاكمل مجدد الالف الثاني الشيخ احمد الفاروقي السهرندي وجم غفير من اتباعه .

ومنهم الامام العلامة المجتهد المطلق الفهامة شيخنا القاضي محمد بن علي الشوكاني اليماني وجمع كثير من تلامذته .

ومنهم سيدي الوالد الماجد حسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي رضي الله عنهم وعصابة من مستفيديه واخلافه .

وما ذهب اليه طائفة من العلماء المقلدة من ان البدعة تنقسم الى كذا وكذا فهو قول ساقط مردود لا يعتد به ولا يلتفت اليه ، كيف والحديث الصحيح كل بدعة ضلالة نص قاطع وبرهان ساطع لردّ البدع كلها كائناً ما كان .

والدليل في ذلك على من قال بالقسمة والمانع يكفيه القيام في مقام المنع حتى يظهر ما يخالفه ظهوراً بيناً لا شك فيه ولا شبهة .

واما آراء الرجال واقوال الناس وروايات الكتب الفقهية والفتاوى المذهبية فلا تسأل عنها فانها لكثرة العبائر ووفرة الوجوه والنظائر لا تكاد تنحصر في صحف السماء والارض فضلاً عن الاوراق ، ومن قلد ولم يتبع فقد ضل عن الحق وغاب عن الصواب ، ودخل في الباطل وهوى في مهوى التباب وبالله العصمة والتوفيق .

علم الميزان

ويسمى علم المنطق تقدم ، وانما سمي بالميزان اذ به توزن الحجج والبراهين .

وكان ابو علي يسميه خادم العلوم ، اذ ليس مقصوداً بنفسه بل هو وسيلة الى العلوم ، فهو كخادم لها .

وابو نصر يسميه رئيس العلوم لنفاذ حكمه فيها فيكون رئيساً حاكماً عليها ، وانما سمي بالمنطق لان النطق يطلق على اللفظ ، وعلى ادراك الكليات ، وعلى النفس الناطقة .

ولما كان هذا الفن يقوي الاول ويسلك بالثاني مسلك السداد ويحصل بسببه كمالات الثالث اشتق له اسم منه وهو المنطق .

وهو علم بقوانين تفيد معرفة طرق الإنتقال من المعلومات الى المجهولات وشرائطها بحيث لا يعرض الغلط في الفكر .

والمعلومات تتناول الضرورية والنظرية .

والمجهولات تتناول التصورية والتصديقية ، وهذا اولى مما ذكره صاحب الكشف تفيد معرفة طرق الانتقال من الضروريات الى النظريات لانه يوهم

بالانتقال الذاتي علم ما يتبادر من العبارة ، والمراد الأعم من ان يكون بالذات او بالواسطة .

واما احترازاته فقد ذكرها صاحب كشاف اصطلاحات الفنون وليس إيرادها هٰهنا من غرضنا في هذا الكتاب .

والمنطق من العلوم الآلية لان المقصود منه تحصيل المجهول من المعلوم ولذا قيل الغرض من تدوينه العلوم الحكمية ، فهو في نفسه غير مقصود ، ولذا قيل المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر .

وموضوعه التصورات والتصديقات اي المعلومات التصورية والتصديقية لان بحث المنطقي عن اعراضها الذاتية ، فانه يبحث عن التصورات من حيث انها توصل الى تصور مجهول ايصالاً قريباً اي بلا واسطة كالحد والرسم ، أو ايصالا بعيداً ككونها كلية وجزئية وذاتية وعرضية ونحوها ، فان مجرد أمر من هذه الامور لا يوصل الى التصور ما لم ينضم اليه آخر يحصل منها حد او رسم .

ويبحث عن التصديقات من حيث انها توصل الى تصديق مجهول ايصالا قريباً كالقياس والاستقراء والتمثيل ، أو بعيد ككونها قضية وعكس قضية ونقيضها فانها ما لم تنضم اليه ضميمة لا توصل الى التصديق .

ويبحث عن التصورات من حيث انها توصل الى التصديق ايصالا ابعد ككونها موضوعات ومحمولات ، لا خفاء في ان ايصال التصورات والتصديقات الى المطالب قريباً أو بعيداً من العوارض الذاتية لها فتكون هي موضوع المنطق .

وذهب اهل التحقيق الى ان موضوعه المعقولات الثانية لا من حيث انها ما هي في أنفسها ، ولا من حيث انها موجودة في الذهن فان ذلك وظيفة فلسفية بل من حيث انها توصل الى المجهول ، او يكون لها نفع في الإيصال .

فان المفهوم الكلي اذا وجد في الذهن وقيس الى ما تحته من الجزئيات فباعتبار دخوله في ماهياتها يعرض له الذاتية ، وباعتبار خروجه عنها العرضية وباعتبار

كونه نفس ماهياتها النوعية وما عرض له الذاتية ، جنس ، باعتبار اختلاف افراده ، وفصل باعتبار آخر ، وكذلك ما عرض له العرضية اما خاصة او عرض عام باعتبارين مختلفين .

واذا ركبت الذاتيات والعرضيات اما منفردة او مختلطة على وجوه مختلفة ، عرض لذلك المركب الحدية والرسمية ، ولا شك ان هذه المعاني اعني كون المفهوم الكلي ذاتياً اوعرضياً او نوعاً ونحو ذلك ليست من الموجودات الخارجية بل هي مما يعرض للطبائع الكلية اذا وجدت في الاذهان ، وكذا الحال في كون القضية حملية او شرطية ، وكون الحجة قياساً او استقراء او تمثيلا فانها بأسرها عوارض تعرض لطبائع النسب الجزئية في الاذهان ، اما وحدها او مأخوذة مع غيرها ، فهي اي المعقولات الثانية موضوع المنطق .

ويبحث المنطقي عن المعقولات الثالثة وما بعدها من المراتب ، فانها عوارض ذاتية للمعقولات الثانية فقط .

فالقضية مثلا معقول ثان يبحث عن انقسامها وتناقضها وانعكاسها وانتاجها اذا ركبت بعضها مع بعض ، فالانعكاس والانتاج والانقسام والتناقض معقولات واقعة في الدرجة الثالثة من التعقل ، واذا حكم على احد الاقسام او احد المتناقضين مثلا في المباحث المنطقية بشيء كان ذلك الشيء في الدرجة الرابعة من التعقل ، وعلى هذا القياس .

وقيل موضوعه الالفاظ من حيث انها تدل على المعاني ، وهو ليس بصحيح لان نظر المنطقي ليس الا في المعاني ، ورعاية جانب اللفظ انما هي بالعرض .

والغرض من المنطق التمييز بين الصدق والكذب في الاقوال والخير والشر في الافعال والحق والباطل في الاعتقادات .

ومنفعته القدرة على تحصيل العلوم النظرية والعملية .

وأما شرفه فهو ان بعضه فرض وهو البرهان لانه لتكميل الذات ، وبعضه

فأول من نص على ذلك الامام الشافعي ، ونص عليه من اصحابه اما المحرمين والغزالي في آخر امره ، وابن الصباغ صاحب الشامل ، وابن القشيري ، ونصر المقدسي والعماد بن يونس وحفيده ، والسلفي وابن بندار ، وابن عساكر ، وابن الاثير ، وابن الصلاح ، وابن دقيق العيد ، والبرهان الجعبري ، وابو حيان ، والشرف الدمياطي ، والذهبي ، والطيبي ، والملوي ، والاسنوي ، والاذرعي ، والولي العراقي ، والشرف المقري ، قال وأفتى به شيخنا قاضي القضاة شرف الدين المناوي .

ونص عليه من ائمة المالكية ابن ابي زيد صاحب الرسالة ، والقاضي ابو بكر بن العربي ، وابو بكر الطرطوسي ، وابو الوليد الباجي ، وابو طالب المكي صاحب قوت القلوب ، وابو الحسن بن الحصار ، وابو عامر بن الربيع ، وابو الحسن بين حبيب ، وابو حبيب المالقي ، وابن المنير وابن رشد وابن ابي حمزة وعامة اهل المغرب .

ونص عليه من الأئمة الحنفية ابو سعيد السيرافي والسراج القزويني ، وألف في ذمه كتابا سماه نصيحة المسلم المشفق لمن ابتلى بعلم المنطق .

ونصّ عليه من ائمة الحنابلة ابن الجوزي ، وسعد الدين الحارثي ، والتقيّ ابن تيمية وألف في ذمه ونقض قواعده مجلداً كبيراً اسمه نصيحة ذوي الإيمان في الرد على منطق اليونان انتهى كلامه .

ومن عرف معنى الهيولي الذي جعله سبباً لتحريم هذا الفن لابتناء بعضه عليه علم ان السيوطي رحمه الله تعالى في هذا الفن ناقة ولا جمل ورجل ولا حمل ، فهو معذور ، وقد قال بقول هؤلاء جماعة من اهل البيت وابن حزم الظاهري قال في الجوهرة ، وقد فرط الغزالي وأفرط .

أما تفريطه فكونه زعم انه لا حاجة الى علم الكلام .

واما إفراطه فلانه شرط للمجتهد ما لم يشترط احد من علماء الاسلام من

نقل وهو ما سوى البرهان من اقسام القياس ، لانه للخطاب مع الغير ، ومن اتقن المنطق فهو على درجة من سائر العلوم ، ومن طلب العلوم الغير المتسقة وهي ما لا يؤمن فيها من الغلط ولا يعلم المنطق فهو كحاطب ليل ، وكرامد العين لا يقدر على النظر الى الضوء لا لبخل من الموجد بل لنقصان في الاستعداد ، والصواب الذي يصدر من غير المنطقي كرمي من غير رام وقد يندر للمنطقي خطأ في النوافل دون المهمات لكنه يمكنه استدراكه بعرضه على القوانين المنطقية .

ومرتبته في القراءة ان يقرأ بعد تهذيب الاخلاق وتقويم الفكر ببعض العلوم الرياضية مع الهندسة والحساب .

واما الاول فلما قال البقراط البدن ليس بنقي كلما غذوته انما يزيد شراً ووبالاً الا ترى ان الذين لم يهذبوا اخلاقهم اذا شرعوا في المنطق سلكوا منهج الضلال ، وانخرطوا في سلك الجهال ، وأنفوا ان يكونوا مع الجماعة ، ويتقلدوا ذل الطاعة ، فجعلوا الأعمال الطاهرة والاقوال الظاهرة من البدائع التي وردت بها الشرائع وقر آذانهم ، والحق تحت اقدامهم واما الثاني فلتستأنس طبائعهم الى البرهان كذا في شرح اشراق الحكمة ومؤلف المنطق ومدونه ارسطو انتهى ما في كشاف اصطلاحات الفنون .

ولشيخنا الإمام العلامة قاضي القضاة محمد بن علي الشوكاني رسالة في هذا الباب سماه امنية المتشوق في حكم المنطق قال فيها :

الخلاصة في ذلك انه ذهب الى لزوم تعلم المنطق الغزالي وجماعة .

وذهب الى تكريهه قوم .

وقال بإباحته جمع جم وصرح بتحريمه جماعة .

قال السيوطي في الحاوي : المنطق هو فن خبيث مذموم يحرم الاشتغال به مبني بعض ما فيه على القول بالهيولي الذي هو كفر يجر الى الفلسفة والزندقة وليس له ثمرة دينية اصلا بل ولا دنيوية ، نص على جميع ما ذكرته ائمة الدين وعلماء الشريعة .

معرفة صناعة المنطق ، ولهذا قال المهدي في اوائل البحر : واما المنطق فالمحققون لا يعدونه لامكان البرهان دونه يعني لا يعدونه من علوم الاجتهاد .

وفي منهاج القرشي ان الفلاسفة وضعوا علم المنطق خديعة وتوصلا الى إبطال مسائل التوحيد لانهم جعلوا قياس الغائب على الشاهد ظنياً وجميع مسائل التوحيد مبنية عليه ، فتوصلوا بهذا الى ان الكلام في اثبات الصانع وصفاته ظني لا يمكن العلم به ، وتوصلا الى إبطال مسائل العدل لانهم جعلوا الحكم بقبح المظلم والكذب ونحو ذلك ، والحكم بحسن العدل ووجوب رد الوديعة وشكر المنعم ونحو ذلك اموراً مشهورات مسلمات ليس فيها الا ظن ضعيف ، فلا يحكم الانسان بقبح الظلم إلا لرقة قلبه ، او الحمية ، او لمحبة التعاون على المعاش ونحو ذلك ، فتوصلوا بذلك الى ابطال العدل والوعيد والشرائع ، وتكلفوا للتوصل الى هذه الخديعة فناً من ادق الفنون ، والبراهين الحاصلة عن اشكالهم نوع واحد من انواع العلوم وهو إلحاق التفصيل بالجملة ، وهو اقل العلوم كلفة وان لم يكن ضرورياً كمن يعلم ان كل ظلم قبيح ، ثم يعلم في وقت معين انه ظلم فانه يعلم ان هذا المعين قبيح إلحاقاً للتفصيل بالجملة ، ولا يحتاج الى ايراد مقدمتين في شكل مخصوص انتهى .

قال القاضي علي بن عبد الله بن رادع : ولقد عرفت صحة ما ذكره في المنهاج بسماعي لمعظم كتب المنطق كالرسالة الشمسية وشرحها وغيرهما ووجدت ما يذكرونه في اشكالهم لا فائدة فيه الى آخر ما قال في شرحه للاثمار ، ولقد عجبت من قول هذا القاضي حيث قال بسماعي لمعظم كتب المنطق ثم تكلم بعد ذلك بكلام يشعر بعدم معرفته لاول بحث من مباحث الرسالة الشمسية ، وكثيراً من يظن انه قد عرف علم المنطق وهو لا يعرفه لانه علم دقيق لا يفتح هذه الاشكالات الباردة .

قال ابن رادع في شرح الأثمار : روي عن المؤلف أيده الله انه قال : ان

العلماء المتقدمين كانوا اذا اطلعوا على شيء من ألفاظ الفلاسفة في اي كلام يرد عليهم اكتفوا في ردّه وإبطاله بكون فيه شيء من عبارة الفلاسفة ، ولم يتشاغلوا ببيان بطلانه ، وان كثيرا من العلماء المتقدمين وكثيرا من المتأخرين نهوا عن الخوض فيه اشد النهي .

وصنف الشيخ جلال الدين السيوطي كتابا سماه القول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق ، ولم يشتغل من اشتغل من المتأخرين الا لما كثر التعبير بقواعده من المخالفين ، واستعانوا بالخوض فيه على تيسير الرد عليهم بالطريق التي سلكوها ، وكان الاولى السلوك في طريقة المتقدمين لان قواعد التعبير بعبارة المنطق كثيرة الغلط وخارجة عن عبارة الكتاب والسنة واللسان العربي مع انه مفسدة في كل من الأديان .

وقد روي ان بعض الخلفاء العباسيين لما طلب الفلاسفة ترجم علم المنطق باللغة العربية شاور كبيراً لهم فقال : ترجموه لهم فان علمنا هذا لا يدخل في دين الا افسده .

قال المؤلف رحمه الله وقد وجد ذلك الكلام صحيحاً فان كثيراً من المتعمقين في علم المنطق من المسلمين قد مال في كثير من الاصول الى ما يفكر به قطعاً .

واما غير المسلمين من اهل الكتاب فقد تفلسف اكثرهم ، ولهذا ان كل من خرج عن الاصول الشرعية والعقلية لا يعتمد غيره مثل الباطنية والصوفية وغيرهم انتهى .

وقال جماعة من العلماء : القول الفصل فيه انه كالسيف يجاهد به شخص في سبيل الله ، ويقطع به آخر الطريق .

قال الامام يحيى بن حمزة : ان كان الإطلاع عليه لقصد حل شبهة ونقضها جاز ذلك بل هو الواجب على علماء الاسلام .

وان كان الاطلاع عليه لقصد حل شبهة ونقضها جاز ذلك بل هو الواجب

والمنطق اصلا .

وعلى الجملة فاستعمال المتأخرين لفن المنطق في كتبهم معلوم لكل باحث ، ومن انكر هذا بحث اي كتاب شاء من الكتب المتداولة بين الطلبة التي هي مدارس اهل العصر في هذه العلوم فانه يجد معرفة ذلك متعسرة ان لم تكن متعذرة بدون علم المنطق خصوصاً علم الاصول ، فانها قد جرت عادة مؤلفيه باستفتاح كتبهم بهذا العلم ، كابن الحاجب في مختصر المنتهى وشرحه ، وابن الامام في غاية السول وشرحها وغيرهما ، دع عنك المطولات والمتوسطات هذه المختصرات التي هي مدرس المبتدىء في زماننا كالمعيار للامام المهدي وشروحه، والكافل لابن بهران وشروحه قد اشتمل كل واحد منها على مباحث من هذا العلم لا يعرفها الا أربابه ، ومن ادعى معرفتها بدون هذا العلم فهو يعرف كذب نفسه .

الطرف الثالث : ان كتب المنطق التي يدرسها طلبة العلوم في زماننا كرسالة ايساغوجي للابهري وشروحها التهذيب للسعد وشروحه ، والرسالة الشمسية وشروحها ، وما يشابه هذه الكتب قد هذبها ائمة الاسلام تهذيباً صفت به عن كدورات اقوال المتقدمين فلا ترى فيها الا مباحث نفيسة ولطائف شريفة تستعين بها على دقائق العلوم ، وتحل بها ايجازات المائلين الى تدقيق العبارات ، فان حرمت نفسك معرفتها فلاحظ لك بين ارباب التحقيق ولا صحة لنظرك بين اهل التدقيق فاصطبر على ما تسمعه من وصفك بالبله والبلادة وقلة الفطنة وقصور الباع .

فان قلت السلف اعظم قدوة وفي التشبه بهم فضيلة قلت لا اشك في قولك ولكنه قد حال بينك وبينهم مئات من السنين وكيف لك بواحدة من اهل القرن الأول والثاني او الثالث تأخذ عنه المعارف الصافية عن كدر المنطق هيهات هيهات حال بينك وبينهم عصور ودهور ، فليس في زمانك رجل يسبح في لجج مقدمات علم الكتاب والسنة الا وعلم المنطق من اول محفوظاته ، ولا كتاب من

على علماء الاسلام .

وان كان لغرض غير ذلك كالاقتفاء لآثارهم والتدين بدينهم فهو الكفر والفرية التي لا شبهة فيها ولا مرية ، وفي هذا القدر من اقوال العلماء كفاية وان كان المجال يتسع لأضعاف اضعاف ذلك ، وليس مرادنا الا الاشارة الى الاختلاف في هذا العلم .

واما ما هو الحق من هذه الاقوال فاعلم انه لا يشك من له مسكة في صحة اطراف ثلٰثة نذكرها ها هنا نجعلها كالمقدمة لما نرجحه .

الطرف الاول : ان علم المنطق علم كفري واضعه الحكيم ارسطاطاليس اليوناني وليس من العلوم الاسلامية باجماع المسلمين ، والمنكر لهذا منكر للضرورة ، وليس للمشتهرين بمعرفته المكبين على تحقيق مطالبه من المسلمين كالفارابي وابن سينا ومن نحا نحوهم الا التفهم لدقائقه والتعريف بحقائقه ، ولهذا قال الفارابي وهو اعلم المسلمين بهذا الفن لما قال له قائل : ايما اعلم أنت أم ارسطاطاليس ؟ فقال : لو ادركته لكنت من اكبر تلامذته .

الطرف الثاني : ان المتأخرين من علماء الاسلام ولا سيما ائمة الأصول والبيان والنحو والكلام والجدل من اهل البيت وغيرهم قد استكثروا من استعمال القواعد المنطقية في مؤلفاتهم في هذه الفنون وغيرها ، وبالغ المحقق ابن الامام الحسين بن القاسم في شرح غاية السول فقال :

وها هنا ابحاث يحتاج اليها .

اما الأول فلان هذا العلم لما كان علماً بكيفية الاستنباط وطريقة الاستدلال عن دلائل ، وكان المنطق علما بكيفية مطلق الاستدلال والاستنباط شارك المنطق وشابهه من هذه الجهة حتى كأنه جزئي من جزئيات المنطق وفرع من فروعه ، ولا ريب في ان اتقان الاصل وتدبره ادخل لاتقان الفرع والتبصر فيه انتهى بلفظه .

فانظر كيف جعل علم الاصول جزئياً من جزئيات المنطق ، وجعله فرعاً

فنون هذه المقدمات الا وقد اشتمل على ابحاث منه ، فأنت بخير النظرين .

اما الجهل بالعلوم التي لا سبيل الى معرفة الكتاب والسنة الا بها .

او الدخول فيما دخل فيه ابناء عصرك والكون في اعدادهم ، ولا اقول لك لا سبيل لك الى كتب المتقدمين التي لم تشب بهذا لعلم بل ربما وجده منها ما يكفيك عن كتب المتأخرين ، ولكنك لا تجد احداً من ابناء عصرك تأخذها عنه بسده المتصل بطريق السماع ، كما تجد كتب المتأخرين كذلك ، ولا اقول لك ايضاً ان علم الكتاب والسنة متوقف لذاته على معرفة على المنطق ، فان دين الله ايسر من ان يستعان على معرفته بعلم كفري ، ولكن معرفة علم الاصول والبيان والنحو والكلام على التمام والكمال متوقفة على معرفته في عصرنا لما اخبرناك به ، ومعرفة كتاب الله وسنة نبيه متوقفة على معرفتها على نزاع والمتوقف على المتوقف متوقف .

وسبب التوقف بهذه الواسطة محبّة المتأخرين للتدقيق والاغراب في العبارات واستعمال قواعد المناطقة واصطلاحاتهم وليتهم لم يفعلوه فانه قد تسبب عن ذلك بعد الوصول الى المطلوب على طالبه وطول المسافة وكثرة المشقة حتى ان طالب الكتاب والسنة بما لا يبلغ حد الكفاء لقراءتها الا بعد تفويت اعوام عديدة ومعاناة معارف شديد فيذهب في تحصيل الآلات معظم مدة الرغبة واشتغال القريحة وجودة الذكاء فيقطعه ذلك عن الوصول الى المطلوب وقد يصل اليهما بذهن كليل وفهم عليل فيأخذ منه بأنزر نصيب واحقر حظ ، وهذا هو السبب الأعظم في إهمال علمي الكتاب والسنة في المتأخرين لانهم قد أذهبوا رواء الطلب وبهاء الرغبة في غيرهما ، ولو انفقوا فيهما بعض ما انفقوا في آلاتها لوجدت فيهم الحفاظ المهرة والأئمة الكملة والله[1] المستعان .

---

(١) ومثل هذا الحاصل قد اشار اليه بل صرح به الشاه ولي الله المحدث في رسالته في الوصية وابنه الشاه عبد العزيز في بعض فتاواه وهو القول الوسط في الطرفين والعلاوة بين العدلين والله اعلم ، سيد علي حسن خان ولد المؤلف دام مجده .

وحاصل البحث انه لم يأت من قال بتحريم علم المنطق بحجة مرضية الا قوله انه علم كفري ونحن نسلم ذلك ، ولكنا نقول قد صار في هذه الاعصار بذلك السبب من أهم آلات العلوم حلال او حرام بل يتوقف كثير من المعارف عليه فاشتغل به اشتغالك بفن من فنون الآلات ، ولا تعبأ بتشغيبات المتقدمين وبتشنيعات المقصرين وعليك بمختصرات الفن كالتهذيب والشمسية ، واحذر من مطولاته المستخرجة على قواعد اليونان كشفاء ابن سينا وما يشابهه من كتبه وكتاب الشفاء والاشارات وما يليهما من المطولات والمتوسطات التي خلط فيها اهلها المنطق بالحكمة اليونانية والفلسفة الكفرية يضل اكثر المشتغلين بها ويبعدهم عن الصراط السوي والهدي والنبوي الذي امرنا باتباعه بنصوص الكتاب والسنة والله تعالى اعلم بالصواب .

علم الميقات

ذكره في كشف الظنون ولم يبينه ولعل المراد به علم مواقيت الصلوات الخمس او ميقات الناس على اختلاف مساكنهم وبلدانهم عند ارادة الحج والعمرة ، وقد ورد في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال وقَّتَ رسول الله ﷺ لأهل المدينة ذا الحليفة ، ولأهل الشام الجحفة ، ولأهل نجد قرن المنازل ، ولأهل اليمن يَلَمْلَمْ قال فهنَّ لهنَّ ولمن أتى عليهن من غير أهلهن لمن كان يريد الحج والعمرة ، فمن كان دونهن فمهله من اهله ، وكذلك أهل مكة يهِلُّون منها .

وفائدة التوقيت المنع عن تأخير الإحرام فلو قدم عليه جاز .

والغرض منه والمنفعة والغاية ظاهرة لمن يعرف دين الاسلام .

وميقات العمرة هو الحل وأفضل بقاع الحل الجعرانة ، ثم التنعيم ، ثم الحديبية ، وقال في العالمكيرية التنعيم افضل انتهى .

لكن قال شيخ الاسلام احمد بن تيمية رحمه الله لم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين احد يخرج من مكة ليعتمر الا لعذر لا في رمضان ولا في غيره ، والذين حجوا مع النبي ﷺ فيهم من اعتمر بعد الحج من مكة الا عائشة رضي الله عنها ، ولا كان هذا من فعل الخلفاء الراشدين انتهى .

وزاد تلميذه الحافظ الواحد المتكلم محمد بن ابي بكر بن القيم رحمه الله إنه لم تكن في عمره ﷺ عمرة واحدة خارجا من مكة كما يفعله كثير من الناس وانما كانت عمرة كلها داخلا الى مكة ، وقد قام بعد الوحي ثلث عشرة سنة لم ينقل انه اعتمر خارجاً من مكة ولم يفعله احد على عهده قط الا عائشة لانها اهلّت بالعمرة فحاضت فأمرها فقرنت واخبر ان طوافها بالبيت وبالصفا وبالمروة قد وقع عن حجتها وعمرتها فوجدت في نفسها ان ترجع صواحبها بحجة وعمرة مستقلتين فانهن كن ممتعات ولم يحضن وترجع هي بعمرة في ضمن حجتها ، فأمر أخاها ان يعمرها من التنعيم مطيباً لقلبها والله تعالى اعلم انتهى ، ولأسماء الميقات تفسير وتحقيق ذكره اهل الحديث في شروحه وذكرته في رسالتي رحلة[١] الصديق الى البيت العتيق مبسوطاً فارجع اليه واعتمد عليه فانه ينفعك نفعاً تاماً .

---

(١) وهذه الرسالة قد طبعت بحمد الله تعالى من قبل في بلدة لكنؤ من بلاد الهند وهي متضمنة جميع مسائل الحج والعمرة وما يتعلق بهما نافعة في هذا الباب ، علي حسين عفا الله عنه .

بابُ النون

علم النباتات

ذكره في كشف الظنون .

وقال في مدينة العلوم هو علم يبحث فيه عن خواص نوع النباتات وعجائبها واشكالها ومنافعها ومضارها .

وموضوع نوع النبات .

وفائدته ومنفعته التداوي بها ، ولابن البيطار فيه تصنيف فائق ولا اجمع ولا انفع من كتاب ما لا يسع الطبيب جهله ويوجد نبذ من خواصها في الصحف الطبية .

علم النجوم

هو من فروع الطبعي ، وهو علم بأصول تعرف بها احوال الشمس والقمر وغيرهما من بعض النجوم كذا في بعض حواشي الشافية قاله في كشاف اصطلاحات الفنون .

وفي كشف الظنون هو علم يعرف به الاستدلال على حوادث علم الكون والفساد بالتشكلات الفلكية ، وهي اوضاع الافلاك والكواكب كالمقارنة والمقابلة

والتثليث والتسديس والتربيع الى غير ذلك ، وهو عند الاطلاق ينقسم الى ثلثة اقسام حسابية ، وطبيعيات ، ووهميات :

اما الحسابيات فهي يقينية في علمها قد يعمل بها شرعا .

واما الطبيعيات كالاستدلال بانتقال الشمس في البروج الفلكية على تغيير الفصول كالحر والبرد والاعتدال فليست بمردودة شرعاً ايضاً .

وأما الوهميات كالاستدلال على الحوادث السفلية خيرها وشرها من اتصالات الكواكب بطريق العموم والخصوص فلا استناد لها الى اصل شرعي ولذلك هي مردودة شرعاً كما قال ﷺ (اذا ذكر النجوم فامسكوا) وقال (تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم انتهوا) الحديث .

وقال ﷺ : من آمن بالنجوم فقد كفر لكن قالوا هذا ان اعتقد انها مستقلة في تدبير العالم .

وقال الشافعي رحمه الله اذا اعتقد المنجم ان المؤثر الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى لكن عادته سبحانه وتعالى جارية بوقوع الاحوال بحركاتها واوضاعها المعهودة في ذلك لا بأس عندي كذا ذكره السبكي في طبقاته الكبرى ، وعلى هذا يكون استناد التأثير حقيقة الى النجوم مذموماً فقط .

قال بعض العلماء ان اعتقاد التأثير اليها بذاتها حرام .

وذكر صاحب مفتاح السعادة ان الحافظ ابن القيم الجوزي طنب في الطعن فيه والتنفير عنه .

فان قيل لم لا يجوز ان تكون بعض الاجرام العلوية اسباباً للحوادث السفلية فيستدل النجم العاقل من كيفية حركات النجوم واختلافات مناظرها وانتقالاتها من برج الى برج على بعض الحوادث قبل وقوعها ؟

يقال يمكن على طريق اجراء العادة ان يكون بعض الحوادث سببا لبعضها لكن لا دليل فيه على كون الكواكب اسباباً للعادة وعللا للنحوسة لا حساً ولا عقلا

ولا سمعاً .

اما حسا فظاهر ان اكثر احكامهم ليست بمستقيمة كما قال بعض الحكماء جزئياتها لا تدرك وكلياتها لا تتحقق .

واما عقلا فان علل الاحكاميين واصولهم متناقضة حيث قالوا ان الاجرام العلوية ليست بمركبة من العناصر بل هي طبيعية خاصة ثم قالوا ببرودة زحل ويبوسته وحرارة المشتري ورطوبته فاثبتوا الطبيعة للكواكب وغير ذلك .

واما شرعاً فهو مذموم بل ممنوع كما قال ﷺ من اتى كاهناً بالنجوم او عرافاً او منجما فصدقه فقد كفر بما انزل على محمد الحديث ،وسبب المبالغة في النهي عن هذه الثلثة ذكره الشيخ علاء الدولة في العروة الوثقى وقال علي بن احمد النسوي علم النجوم اربع طبقات :

الأولى : معرفة رقم التقويم ومعرفة الاسطرلاب حسبما هو يتركب .

والثانية :معرفة المدخل الى علم النجوم ومعرفة طبائع الكواكب والبروج ومزاجاتها .

والثالثة :معرفة حسنات اعمال النجوم وعمل الزيج والتقويم .

والرابعة :معرفة الهيئة والبراهين الهندسية على صحة اعمال النجوم ومن تصور ذلك فهو المنجم التام على التحقيق واكثر اهل زماننا قد اقتصروا من علم التنجيم على الطبقتين الاولين وقليل منهم من يبلغ الطبقة الثالثة .

والكتب المصنفة فيه كثيرة منها : الاحكام وابو قماش وادوار وإرشاد والبارع ، ومختصر البارع ، وتحاويل وتنبيهات المنجمين ، وتفهيم الجامع الصغير ودرج الفلك والسراج والقرانات ولطائف الكلام ،ومجمل الأصول ومجموع ابن شرع ومسائل القصر وغير ذلك انتهى ما في كشف الظنون .

وفي كشاف اصطلاحات الفنون .

موضوعه النجوم من حيث يمكن ان تعرف بها احوال العالم ومسائله

كقولهم كلما كان الشمس على هذا الموضع المخصوص فهي تدل على حدوث امر كذا في هذا العالم انتهى .

وقال ابن خلدون : هذه الصناعة يزعم اصحابها انهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب ، وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجتمعة ، فتكون لذلك اوضاع الأفلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من انواع الكائنات الكلية والشخصية .

فالمتقدمين منهم يرون ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة ، وهو امر تقصر الاعمار كلها لو اجتمعت عن تحصيله ، اذ التجربة انما تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم او الظن ، وادوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكرره الى آماد وأحقاب متطاولة يتقاصر عنها ما هو طويل من اعمار العالم ، وربما ذهب ضعفاء منهم الى ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحي ، وهو رأي قائل وقد كفونا مؤنة إبطاله .

ومن أوضح الأدلة فيه ان تعلم ان الأنبياء عليهم الصلوٰة والسلام أبعد الناس عن الصنائع ، وانهم لا يتعرضون للاخبار عن الغيب الا ان يكون عن الله فكيف يدعون استنباطه بالصناعة ويشيرون بذلك لتابعيهم من الخلق .

واما بطليموس ومن تبعه من المتأخرين فيرون ان دلالة الكواكب على ذلك دلالة طبيعية من قبل مزاج يحصل للكواكب في الكائنات العنصرية ، قال لان فعل النيرين واثرهما في العنصريات ظاهر لا يسع احداً جحده ، مثل ، فعل الشمس في تبدل الفصول وامزجتها ، ونضج الثمار والزرع وغير ذلك .

وفعل القمر في الرطوبات والماء وإنضاج المواد المتعفنة وفواكه القثاء وسائر افعاله .

ثم قال ولنا فيما بعدهما من الكواكب طريقان :

الاولى : التقليد لمن نقل ذلك عنه من ائمة الصناعة الا انه غير مقنع للنفس .

الثانية : الحدس والتجربة بقياس كل واحد منها الى النير الاعظم الذي عرفنا طبيعته واثره معرفة ظاهرة فننظر هل يزيد ذلك الكوكب عند القرآن في قوته ومزاجه فتعرف موافقته له في الطبيعة ، او ينقص عنها فتعرف مضادته ، ثم اذا عرفنا قواها مفردة عرفناها مركبة وذلك عند تناظرها باشكال التثليث والتربيع وغيرهما ومعرفة ذلك من قبل طبائع البروج بالقياس ايضا الى النير الاعظم .

واذا عرفنا قوى الكواكب كلها فهي مؤثرة في الهواء وذلك ظاهر والمزاج الذي يحصل منها للهواء يحصل لما تحتها من المولدات وتتخلق به النطف والبزر فتصير حالاً للبدن المتكون عنها ، وللنفس المتعلقة به الفائضة عليه المكتسبة لما لها منه ، ولما يتبع النفس والبدن من الأحوال لأنّ كيفيات البزرة والنطفة كيفيات لما يتولد عنهما وينشأ منهما ، قال وهو مع ذلك ظني وليس من اليقين في شيء ، وليس هو ايضا من القضاء الالهي يعني القدر انما هو من جملة الاسباب الطبيعية للكائن والقضاء الالهي سابق على كل شيء ، هذا مُحصَّل كلام بطليموس واصحابه وهو منصوص في كتابه الاربع وغيره ، ومنه يتبين ضعف مدارك هذه الصناعة وذلك ان العلم الكائن او الظن به انما يحصل عن العلم بجملة اسبابه من الفاعل والقابل والصورة والغاية على ما تبين في موضعه .

والقوى النجومية على ما قرروه انما هي فاعلة فقط والجزء العنصري هو القابل ثم ان القوى النجومية ليست هي الفاعلة بجملتها بل هناك قوى اخرى فاعلة معها في الجزء المادي مثل قوة التوليد للاب والنوع التي في النطفة ، وقوى الخاصة التي تميز بها صنف صنف من النوع وغير ذلك فالقوى النجومية اذا حصل كمالها وحصل العلم فيها انما هي فاعل واحد من جملة الاسباب الفاعلة للكائن ، ثم انه يشترط مع العلم بقوى النجوم وتأثيراتها مزيد حدس وتخمين وحينئذ يحصل عنده الظن بوقوع الكائن والحدس والتخمين قوى للناظر في فكره وليس من علل الكائن ولا من اصول الصناعة ، فاذا فقد هذا الحدس والتخمين رجعت ادراجها عن الظن الى الشك ، هذا اذا حصل العلم بالقوى النجومية على

سداده ولم تعترضه آفة وهذا معوز لما فيه من معرفة حسبانات الكواكب في سيرها لتتعرف به اوضاعها ولما ان اختصاص كل كوكب بقوة لا دليل عليه ومدرك بطلميوس في اثبات القوى للكواكب الخمسة بقياسها الى الشمس مدرك ضعيف لان قوة الشمس غالبة لجميع القوى للكواكب الخمسة بقياسها الى الشمس مدرك ضعيف لأن قوة الشمس غالبة لجميع القوى من الكواكب ومستولية عليها فقل ان يشعر بالزيادة فيها او النقصان منها عند المقارنة كما قال ، وهذه كلها قادحة في تعريف الكائنات الواقعة في عالم العناصر بهذه الصناعة .

ثم أن تأثير الكواكب فيما تحتها باطل اذ قد تبين في باب التوحيد ان لا فاعل الا الله بطريق استدلالي كما رأيته واحتج له اهل علم الكلام بما هو غني عن البيان من ان اسناد الاسباب الى المسببات مجهول الكيفية ، والعقل متهم على ما يقضي به فيما يظهر بادي الرأي من التأثير فلعل استنادها على غير صورة التأثير المتعارف والقدرة الالهية رابطة بينهما كما ربطت جميع الكائنات علواً وسفلا سيما والشرع يرد الحوادث كلها الى قدرة الله تعالى ويبرأ مما سوى ذلك .

والنبوات ايضا منكرة لشأن النجوم وتأثيراتها واستقراء الشرعيات شاهد بذلك في مثل قوله (ان الشمس والقمر لا يخسفان لموت احد ولا لحياته) وفي قوله (اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب ، واما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب) الحديث الصحيح ، فقد بان لك بطلان هذه الصناعة من طريق الشرع وضعف مداركها مع ذلك من طريق العقل مع ما لها من المضار في العمران الانساني بما تبعث في عقائد العوام من الفساد اذا اتفق الصدق من احكامها في بعض الأحايين اتفاقاً لا يرجع الى تعليل ولا تحقيق ، فيلهج بذلك من لا معرفه له ويظن اطراد الصدق في سائر احكامها وليس كذلك ، فيقع في رد الأشياء الى غير خالقها ، ثم ما ينشأ عنها كثيرا في الدول من توقع القواطع وما يبعث عليه ذلك

التوقع من تطاول الاعداء والمتربصين بالدولة الى الفتك والثورة ، وقد شاهدنا من ذلك كثيرا فينبغي ان تحظر هذه الصناعة على جميع اهل العمران لما ينشأ عنها من المضاد في الدين والدُّوَل ، ولا يقدح في ذلك كون وجودها طبيعيا للبشر بمقتضى مداركهم وعلومهم ، فالخير والشرط طبيعتان موجودتان في العالم لا يمكن نزعهما وانما يتعلق التكليف بأسباب حصولهم فيتعين السعي في اكتساب الخير بأسبابه ودفع اسباب الشر والمضار ، هذا هو الواجب على من عرف مفاسد العلم ومضاره ، وليعلم من ذلك انها وان كانت صحيحة في نفسها فلا يمكن احدا من اهل الملة تحصيل علمها ولا ملكتها بل ان نظر فيها ناظر وظن الاحاطة بها فهو في غاية القصور في نفس الأمر ، فان الشريعة لما حظرت النظر فيها فقد الاجتماع من اهل العمران لقراءتها والتحليق لتعليمها ، وصار المولع بها من الناس وهم الاقل واقل من الأقل انما يطالع كتبها ومقالاتها في كسر بيته متسترا عن الناس وتحت ربقة الجمهور مع تشعب الصناعة وكثرة فروعها واعتياصها على الفهم ، فكيف يحصل منها على طائل ، ونحن نجد الفقه الذي عم نفعه ديناً ودنيا ، وسهلت مآخذه من الكتاب والسنة ، وعكف الجمهور على قراءته وتعليمه ثم بعد التحقيق والتجميع وطول المدارسة ، وكثرة المجالس وتعددها ، انما يحذق فيه الواحد في الاعصار والأجيال ، فكيف بعلم مهجور للشريعة مضروب دونه سد الحظر والتحريم مكتوم عن الجمهور صعب المآخذ محتاج بعد الممارسة والتحصيل لاصوله وفروعه الى مزيد حدس وتخمين يكتنفان به من الناظر فأين التحصيل والحذق فيه مع هذه كلها ، ومدعي ذلك من الناس مردود على عقبه ، ولا شاهد له يقوم بذلك لغرابة الفن بين اهل الملة وقلة حملته فاعتبر ذلك يتبين لك صحة ما ذهبنا اليه والله اعلم بالغيب فلا يظهر على غيبه احداً ، ومما وقع في هذا المعنى لبعض اصحابنا من اهل العصر عند ما غلب العرب عساكر السلطان ابي الحسن وحاصروه بالقيروان ، وكثر ارجاف الفريقين الأولياء والاعداء وقال في ذلك ابو القاسم الروحي من شعراء اهل تونس :

استغفر الله كل حين قد ذهب العيش والهناء
اصبح في تونس وامسى والصبح لله والمساء
الخوف والجوع والمنايا يحدثها الهرج والوباء
والناس في مرية وحرب وما عسى ينفع المراء
فاحمدي ترى عليّا حلّ به الهلك والتواء
وآخر قال سوف يأتي به اليكم صبا رخاء
والله من فوق ذا وهذا يقضي لعبديه ما يشاء
يا راصد الخنس الجواري ما فعلت هذه السماء
مطلتمونا وقد زعمتم انكم اليوم املياء
من خميس على خميس وجاء سبت واربعاء
ونصف شهر وعشرتان وثالث ضمه القضاء
ولا نرى غير زور قول اذاك جهل ام ازدراء
انا الى الله قد علمنا ان ليس يستدفع القضاء
رضيت بالله لي إلهاً حسبكم البدر او ذكاء
ما هذه الانجم السواري الا عباديد أو امَاء
يقضي عليها وليس تقضي وما لها في الورى اقتضاء
ضلت عقول ترى قديما ما شأنه الجرم والفناء
وحكمت في الوجود طبعاً يحدثه الماء والهَواء
لم ترحلوا ازاء مُرِّ تغذوهمو تربة وماء
الله ربي ولست ادري ما الجوهر الفرد والخلاء
ولا الهيولي التي تنادي ما لي عن صورة عراء
ولا وجود ولا انعدام ولا ثبوت ولا انتفاء
ولست ادري ما الكسب الا ما جلب البيع والشراء

وانما مذهبي وديني ما كان والناس اولياء
اذ لا فصول ولا اصول ولا جدال ولا ارتياء
ما تبع الصدر واقتفينا يا حبذا كان الاقتفاء
كانوا كما يعلمون منهم ولم يكن ذلك الهذاء
يا اشعريّ الزمان اني اشعرني الصيف والشتاء
انا اجزي بالشر شرا والخير عن مثله جزاء
وانني ان اكن مطيعا فرب اعصي ولي رجاء
وانني تحت حكم بار اطاعه العرش والثراء
ليس باستطاركم ولكن اتاحه الحكم والقضاء
لو حدث الاشعري عمّن له الى رأيه انتماء
فقال اخبرهُمُ بأني مما يقولونه براء

انتهى كلامه الشريف ، ولله دره وعلى الله اجره .

علم النحو

علم باحث عن احوال المركبات الموضوعة وضعاً نوعياً لنوع نوع من المعاني التركيبية النسبية من حيث دلالتها عليها .

وغرضه تحصيل ملكة يقتدر بها على ايراد تركيب وضع وضعاًنوعياً لما اراده المتكلم من المعاني وعلى فهم معنى ايّ مركب كان بحسب الوضع المذكور .

وغايته الاحتراز عن الخطأ في تطبيق التراكيب العربية على المعاني الوضعية الأصلية .

ومباديه المقدمات الحاصلة من تتبع الألفاظ المركبة في موارد الاستعمالات .

وموضوعه المركبات والمفردات من حيث وقوعها في التراكيب والادوات

لكونها روابط التراكيب ، وانما يبحث عنها في النحو على وجه المبدئية لانها من مسائل اللغة حقيقة كذا في مدينة العلوم .

وقال في كشف الظنون وتعريفه وموضوعه مستغن عن التعريف فانه مشهور ، والكتب المؤلفة فيه كثيرة معروفة .

قال في مدينة العلوم علم النحو من فروض الكفايات اذ يحتاج اليه الاستدلال بالكتاب والسنة .

وفي كشاف اصطلاحات الفنون علم النحو ويسمى علم الاعراب ايضاً على ما في شرح اللب وهو علم يعرف به كيفية التركيب العربي صحة وسقما ، وكيفية ما يتعلق بالألفاظ من حيث وقوعها فيه من حيث هو هو اولا وقوعها فيه كذا في الارشاد .

وموضوعه اللفظ الموضوع مفرداً كان او مركباً وهو الصواب كذا قيل .

يعني موضوع النحو اللفظ الموضوع باعتبار هيئته التركيبية وتأديتها لمعانيها الاصلية لا مطلقا ، فانه موضوع العلوم العربية .

وقيل الكلمة والكلام .

وقيل هو المركب باسناد اصلي .

ومباديه حدود ما تبتني عليه مسائله كحد المبتدأ والخبر ومقدمات حججها اي اجزاء علل المسائل كقولهم في حجة رفع الفاعل انه اقوى الاركان والرفع اقوى الحركات ومسائله الاحكام المتعلقة بالموضوع كقولهم .

الكلمة اما معرب او مبني ، او جزئه كقولهم آخر الكلمة محل الاعراب او جزئية كقولهم الاسم بالسببين يمتنع عن الصرف او عرضه كقولهم الخبر .

اما مفرداً وجملة او خاصته ، كقولهم الاضافة تزاحم التنوين ولو بواسطة او وسائط ، اي ولو كان تعلق الاحكام بأحد هذه الامور ثابتاً بواسطة او وسائط كقولهم الامر يجاب بالفاء فالامر جزئي من الانشاء والانشاء جزئي من الكلام .

والغرض منه الاحتراز عن الخطأ في التأليف والاقتدار على فهمه والافهام به هكذا في الاشاد وحواشيه وغيرها انتهى حاصله .

قال ابن خلدون رحمه الله : اعلم ان اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل الساني فلا بد ان تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان ، وهو في كل امة بحسب اصطلاحاتهم .

وكانت الحاصلة للعرب من ذلك احسن الملكات وأوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني ، مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول ومن المجرور أعني المضاف ، ومثل الحروف التي تفضي بالافعال الى الذوات من غير تكلف ألفاظ اخرى وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب ، واما غيرها من اللغات فكل معنى او حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم في مخاطباتهم اطول مما نقدره بكلام العرب ، وهذا هو معنى قوله ﷺ (اوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا) فصار للحروف في لغتهم والحركات والهيئات اي الاوضاع اعتبار في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها انما ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الاول كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا ، فلما جاء الاسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في ايدي الامم والدول ، وخالطوا العجم ، تغيرت تلك الملكة بما ألقي اليه السمع من المخالفات التي للمتعربين والسمع ابو الملكات اللسانية ففسدت بما ألقي اليها مما يغايرها لجنوحها اليه باعتياد السمع ، وخشي اهل العلوم منهم ان تفسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على الفهوم ، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر انواع الكلام ، ويلحقون الاشباه بالأشباه ، مثل ان الفاعل مرفوع ، المفعول منصوب ، والمبتدأ مرفوع .

ثم رأوا تغير الدلالة بتغيير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته

إعراباً وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا وامثال ذلك ، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو .

واول من كتب فيها ابو الاسود الدؤلي من بني كنانة ، ويقال باشارة علي رضي الله عنه لانه رأى تغير الملكة فأشار عليه بحفظها ، ففرغ الى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأة .

ثم كتب فيها الناس من بعده الى ان انتهت الى الخليل بن احمد الفراهيدي ايام الرشيد احوج ما كان الناس اليها لذهاب تلك الملكة من العرب ، فهذب الصناعة وكمل ابوابها .

واخذها عنه سيبويه فكمل تفاريعها واستكثر من ادلتها وشواهدها ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار إماماً لكل ما كتب فيها من بعده .

ثم وضع ابو علي الفارسي وابو القاسم الزجاج كتباً مختصرة للمتعلمين يحذون فيها حذو الإمام في كتابه .

ثم طال الكلام في هذه الصناعة وحدث الخلاف بين اهلها في الكوفة والبصرة المصرين القديمين للعرب ، وكثرت الادلة والحجاج بينهم ، وتباينت الطرق في التعليم ، وكثر الاختلاف في أعراب كثير من أي القرآن باختلافهم في تلك القواعد وطال ذلك على المتعلمين .

وجاء المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار فاختصروا كثيرا من ذلك الطول مع استيعابهم لجميع ما نقل ، كما فعله ابن مالك في كتاب التسهيل وامثاله .

او اقتصارهم على المبادىء للمتعلمين كما فعله الزمخشري في المفصل وابن الحاجب في المقدمة له ، وربما نظموا ذلك نظما مثل ابن مالك في الارجوزتين الكبرى والصغرى ، وابن معطي في الارجوزة الألفية .

وبالجملة فالتأليف في هذا الفن اكثر من ان تحصى او تحاط بها ، وطرق

التعليم فيها مختلفة فطريقة المتقدمين غايرة لطريقة المتأخرين ، والكوفيون والبصريون ، والبغداديون والاندلسيون مختلفة طرقهم كذلك ، وقد كادت هذه الصناعة ان تؤذن بالذهاب لما رأينا من النقص في سائر العلوم والصنائع بتناقص العمران ، ووصل الينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب الى جمال الدين بن هشام من علمائها استوفى فيه احكام الاعراب مجملة ومفصلة وتكلم على الحروف والمفردات والجمل وحذف ما في الصناعة من المتكرر في اكثر ابوابها وسماه بالمغني في الإعراب واشار الى نكت اعراب القرآن كلها ، وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظمت سائرها فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها ، وكانه ينحو في طريقته منحاة اهل الموصل الذين اقتفوا اثر ابن جني واتبعوا مصطلح تعليمه فأتى من ذلك بشيء عجيب دال على قوة ملكته واطلاع، والله يزيد في الخلق ما يشاء انتهى .

قال في مدينة العلوم : ومن الكتب المشهورة في علم النحو مقدمة لابن الحاجب المسماة بالكافية والناس قد اعتنوا بالكافية اشد الاعتناء بحيث لا يمكن احصاء شروحها ، وأجلها الذي سار ذكره في الامصار والاقطار مسير الصبا والامطار شرح العرمة نجم الائمة رضي الدين الاسترآبادي ، وهو شرح عظيم الشأن جامع لكل بيان وبرهان تضمن من المسائل افضلها واعلاها ولم يغادر من الفوائد صغيرة ولا كبيرة الا احصاها .

قال السيوطي في طبقات النحاة لم يؤلف عليها ولا في غالب كتب النحو مثله جمعاً وتحقيقاً وحسن تعليل وقد اكب الناس عليه وتداولوه واعتمده شيوخ العصر في مصنفاتهم ودروسهم ، وله فيه ابحاث كثيرة مع النحاة واختيارات جمة ومذاهب ينفرد بها وله شرح على الشافية انتهى .

ويروى ان رضي الدين كان على مذهب الرفض يحكى انه كان يقول العدل في عمر ليس بتحقيقي موضع قوله العدل في عمر تقديري نعوذ بالله من الغلو في

البدعة والعصبية في الباطل .

ومن شروح الكافية شرح السيد ركن الدين كبير ومتوسط صغير وهذا المتوسط متداول بين الناس على ايدي المبتدئين .

وشرح الفاضل السامي الشيخ عبد الرحمن الجامي بلغ غاية لا يمكن الزيادة عليها في لطف التحرير وحسن الترتيب وشهرة حاله في بلادنا أغنتنا عن التعرض لترجمته .

وشرح جلال الدين الغجدواني احمد بن علي قال السيوطي هذا الشرح مشهور بأيدي الناس .

وشرح النجم السعيدي .

وشرح تقي الدين النيلي وشرح المصنف للمتن وفيه ابحاث حسنة .

ومن المختصرات لب الالباب وعليه شروح احسنها شرح السيّد عبد الله العجمي نقره كار ومعناه صانع الفضة .

ولب الاعراب لتاج الدين الاسفرائيني وله شروح منها شرح قطب الدين الفالي وشرح الامام الزوزني محمد بن عثمان وزوزن بلدين هراة ونيسابور .

وشرح الشيخ علي الشهير بمصنفك كان من اولاد الامام فخر الدين الرازي والرازي يصرح في مصنفاته بانه من اولاد عمر بن الخطاب ، وذكر اهل التاريخ انه من اولاد ابي بكر الصديق .

ومن المختصرات ايضاً المصباح للامام المطرزي وشرحه ضوء المصباح للاسفرائيني .

والعمدة لابن مالك وعليه شروح منها شرح ابن جابر الاندلسي .

وألفية جلال الدين السيوطي ومن المنظومات مُلْحة الاعراب لابي القاسم الحريري .

وارجوزة الشيخ ابن الحاجب نظم الكافية على احسن وجه خالياً عن

تكلف النظم .

ومن المبسوطات شروح المفصل منها الايضاح لابن الحاجب وشرح ابن يعيش والاقليد للجندي وكتاب مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام وله مختصر سماه قواعد الاعراب وعليهما شروح نافعة .

قال ابن خلدون ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع انه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام انحى من سيبويه وكان كثير المخالفة لابي حيان شديد الانحراف عنه اشتهر في حياته واقبل الناس عليه ، قال السيوطي وقد كتبت عليه حاشية وشرحاً لشواهده انتهى حاصل ما في مدينة العلوم وقد اطال في بيان تراجم النحاة المذكورين .

علم نزول الغيث

هو علم باحث عن كيفية الاستدلال بأحوال الرياح والسحاب والبرق على نزول المطر ، وأخص الناس بهذا العلم العرب لاشتداد حاجتهم الى الغيوث التي بها حصول معايشهم من السقي والرعي ، وقد حصل لهم هذا العلم بكثرة التجارب ودليله الدوران بين احوال السحب والامطار .

وجاء في غريب ابي عبد الله ان النبي ﷺ سأل عن سحابة مرّت وقال كيف ترون قواعدها وبواسقها اجون ام غير ذلك ؟ ثم سأل عن البرق أخفوا ام وميضاً ، ام يشق شقاً ؟ فقالوا بل يشق شقاً فقال ﷺ (جاءكم الحياء) هكذا في مدينة العلوم .

علم النظَرِ

هو علم يبحث فيه عن كيفية ايراد الكلام بين المناظرين .

وموضوعه الادلة من حيث انها يثبت بها المدعى على الغير .

ومباديه امور بينة بنفسها .

والغرض منه تحصيل ملكة طرق المناظرة لئلا يقع الخبط في البحث فيصبح الصواب خطأ .

ومن الكتب المختصرة فيه غاية الاختصار رسالة لمولانا عضد الدين وقد بين قواعدها كلها في مقدار عشرة اسطر ، وشرحها بعض الفضلاء المعاصرين لنا شرحاً حسناً وهو مولانا محمد بن محمد البردعي وكان ذكياً في الغاية مات سنة ٩٢٧ ، ورسالة شمس الدين السمرقندي صاحب قسطاس الميزان ، وهذه الرسالة اشهر كتب هذا الفن ، وعليها شروح وكتاب مولانا سنان الدين الكنجي، وكنجةقرية من قرى بردع ولم يتفق له شرح الى الآن قاله في مدينة العلوم وفيه في موضع آخرَ .

علم النظر

وهو القواعد المنطقية من حيث إجرائها في الادلة السمعية فصورة تلك القواعد وان كانت جارية على منهاج العقل لكن موادها مستنبطة من الشرع ولهذا الاعتبار جعل ابن الحاجب القواعد المنطقية من مبادىء اصول الفقه .

علم النفوس

اي معرفة النفوس الانسانية بدأ وعوداً وانها قديمة او حادثة او محشورة وموضوعاً وغرضه لا يخفى على الفطن .

بابُ الواو

علم الوجوه والنظائر

هو من فروع علم التفسير ، ومعناه ان تكون الكلمة واحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد وحركة واحدة وأريد بها في كل مكان معنى غير الآخر فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير لفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر هو النظائر .

وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الآخر هو الوجوه .

فاذا النظائر اسم الألفاظ والوجوه اسم المعاني .

وقد صنف فيه جماعة منهم الشيخ جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد بن الجوزي فانه جمع اجود ما جمعوه في مختصر سماه نزهة الأعين في علم الوجوه والنظائر ورتبه على الحروف ، قال وقد نسب كتاب فيه الى عكرمة عن ابن عباس ، وكتاب آخر الى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ، وألف فيه مقاتل بن سليمان وابو الفضل العباس بن الفضل الانصاري ، وروى مطروح بن محمد بن شاكر عن عبد الله هارون الحجازي عن ابيه كتاباً فيه ، والف فيه ابو بكر محمد بن الحسن النقاش ، وابو علي بن البنا ، وابو الحسن علي بن عبيد الله بن الراغوني انتهى كلام ابن الجوزي رحمه الله .

علم وحدة الوجود

قيل ان بعض كلماتها خارجة عن طور العقل وظاهرها مخالف لتبادر النقل فصارت سبباً بين الناس للفتنة خصوصاً هذه المسئلة وبسببها يكفّر بعض الناس بعضاً وامرها يورث بين الطوائف عداوة وبغضاً بعض يقبلها ويردّ مقابلها ، وبعض ينكرها ويكفر قائلها ، لكن الكثيرون في فهمها على ظن وتخمين وبمعزل عن تحقيق ما ارادوا منها على اليقين ، فلا يكون الرد والقبول مقبولاً ولا لها غير التباغض والتحاسد محصولا ، وفيها تأليفات وتحريرات منها :

رسالة المولوي الجامي ورسالة بدر الدين زاده انتهى ما في كشف الظنون .

واقول الحق في الباب ترك الخوض في هذه المسئلة وامثالها مما لم تخض فيه الصحابة والتابعون ، ولم يدخل فيه سلف الامة وائمتها الصالحون ، ولم ينطق به الكتاب العزيز لا دلالة ولا اشارة ، ولم ترد به السنة المطهرة لا صراحة ولا كناية ، ولم يلهج به المحققون من اهل العلم المتقدمين والمتأخرين ، ولم يتمسك بذيله الا افراد من المتصوفين الذين ليسوا من اهل الدراسة ولا من مزاولة العلوم النبوية في شيء ، فرحم الله امرأ اتبع ظاهر القرآن والحديث ولم يمل عن الصراط السوي ، وصان نفسه عن الوقوع في الالغاز والاحاجي ومن الغرق في بحار الضلالة والمناهي .

وأحسن ما تكلم به اهل العلم من اقليم الهند في هذه المسئلة كلام الشيخ احمد السهرندي المعروف بمجدد الالف الثاني رحمه الله ثم كلام الشاه ولي الله المحدث الدهلوي ، ثم كلام اتباع هؤلاء من العلماء الكملاء فانه صفة الصفة وفيه صيانة الايمان والاعتقاد عن طغيان الهوى والفساد وبالله التوفيق .

علم الوصايا

ذكره في كشف الظنون .

علم الوضع

هكذا في كشف الظنون وقال في مدينة العلوم ، هو علم باحث عن تفسير الوضع وتقسيمه الى الشخصي والنوعي والعام والخاص وبيان حال وضع الذوات ووضع الهيئات الى غير ذلك .

وموضوعه وغايته ومنفعته لا تخفى على المتدرب ، وكتب فيه مولانا عضد الدين رسالة لكنها قطرة من بحر وكان في خلدي ان أؤلف فيه رسالة ابين فيها مقاصد هذا الفن بكمالها فلم يتيسر لي الى الآن ونسأل الله التوفيق لهذا المرام انه ميسّر لكل عسير .

علم وضع الاصطرلاب

علم باحث عن كيفية وضعه ومعرفة رسم خطوطه على الصفائح ومعرفة كيفية الرسم في كل عرض من الاقاليم وقد يعمل اصطرلاب شامل لجميع البلاد وهذا عظيم النفع جداً وفي هذا الفن رسائل كثيرة مشهورة عند اهله ذكره في مدينة العلوم .

علم وضع ربع الدائرة

وهو نوعان : احدهما المسمى بالمقنطرات ويرسم عليها ربع الدوائر المرسومة على الكرة وهي تختلف باختلاف عروض البلدان والآخر الربع المجيب ويرسم عليه خطوط مستقيمة متقاطعة وفي هذا العلم رسائل مشهورة عند اهله كذا في مدينة العلوم .

علم الوعظ

ذكره في كشف الظنون .

علم الوفق

كذا في الكشف ولم يزد على ذلك مع انه وعد تحت علم اعداد الوفق انه يأتي بيانه في علم الوفق وقد تقدم منا بيانه هنالك فراجعه وكتبت جواباً عن سؤال ورد الي من اهل البصرة في هذا الزمان وحاصله النهي عن استعمال الوفق وكونه نوعاً من السحر وقسما من الشرك والله اعلم .

علم وقائع الامم ورسومهم

كانه من فروع علم التاريخ ، قال في مدينة العلوم هذا من فروع المحاضرات والتواريخ هو علم يبحث فيه عن اماكن اقوام مخصوصين ومواضع طوائف معنيين ورسوم مألوفة وعادات معروفة لكل قوم قوم ومباديه مأخوذة من الاستقراء والتواتر من الثقات وغرضه تحصيل ملكة ضبط تلك الامور وغايته الاحتراز عن الخطأ فيها ، والكتب المؤلفة في هذا الفن كثيرة صنف فيه ابوعبيدة والاصمعي كتباً كثيرة واكثر تقربهما عند الخليفة هارون الرشيد بسبب هذا انتهى .

علم الوقوف

قال في كشف الظنون هو من فروع القراءة .

وقال في مدينة العلوم الوقف عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زماناً يتنفس فيه عادة بنية الاستئناف لابنية الاعراض ، ويكون في رؤوس الآي وأوساطها ، ولا يتأتى في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسما .

قيل معرفة وقوف القرآن واجب حيث قال الله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) قال علي كرم الله وجهه : الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف .

قال ابن الانباري : من تمام معرفة القرآن معرفة الـوقف والابتـداء فيه قال النكزاوي لا يتأتى لاحد معرفة معنى القرآن ولا استنباط الادلة الشرعية منه الا بمعرفة الفواصل وللوقف اقسام مذكورة في كتب الوقوف وما تعرضت لذكر تلك الكتب ههنا لشهرتها عند اهلها .

باب الهاء

علم الهندسَة

هو علم بقوانين تعرف منه الاصول العارضة للكم من حيث هو كم وقال في مدينة العلوم :

هو علم يعرف منه احوال المقادير ولواحقها واوضاع بعضها عند بعض ، ونسبتها وخواص اشكالها ، والطرق الى عمل ما سبيله ان يعمل بها ، واستخراج ما يحتاج الى استخراجه بالبراهين اليقينية .

وموضوعه المقادير المطلقة اعني الخط والسطح والجسم التعليمي ولواحق هذه من الزاوية والنقطة والشكل .

ومنفعته الاطلاع على الاحوال المذكورة من الموجودات ، وان يكسب الذهن حدة ونفاذاً ويروض بها الفكر رياضة قوية لما اتفقوا على ان اقوى العلوم برهاناً هي العلوم الهندسية .

ومن جملة منافعها العلاج عن الجهل المركب لما انها علوم يقينية لا مدخل فيها للوهم ، فيعتاد الذهن على تسخير الوهم والجهل المركب ليس الا من غلبة الوهم على العقل .

والمصنفات فيه كثيرة ، اشهرها واصحها تحرير الطوسي لكتاب اقليدس ،

واخصرها واحسنها شرح اشكال التأسيس للابهري وشرحه لقاضي زادة الرومي ، وقد ذكر ابن سينا في كتاب الشفاء جملة كافية منها ، ثم ان للهندسة عدة فروع وكذا ذكر العلامة في كتبه من حقائق هذا الفن ما فيه كفاية انتهى .

والهندسة معرب اندازه ووجه التسمية ظاهر .

واما العلوم المتفرعة عليه فهي عشرة .

وذلك لانه اما يبحث عن ايجاد ما يتبرهن عليه في الاصول الكلية بالفعل أولاً .

والثاني اما يبحث عما ينظر اليه او لا .

الثاني علم عقود الابنية والباحث عن المنظور اليه ان اختص بانعكاس الاشعة فهو علم المرايا المحرقة والا فهو علم المناظر .

واما الاول وهو ما يبحث عن ايجاد المطلوب من الاصول الكلية بالفعل فاما من جهة تقديرها اولا .

والاول منهما ان اختص بالنقل فهو علم مراكز الاثقال والا فهو علم المساحة .

والثاني منهما فاما ايجاد الآلات او لا .

الثاني علم انباط المياه والآلات اما تقديرية او لا .

والتقديرية اما ثقيلة وهو جر الاثقال .

او زمانية وهو علم البنكامات .

والتي ليست تقديرية فاما خربية او لا .

الثاني علم الآلات الروحانية .

والاول علم الآلات الحربية ، وقد ذكرنا هذه العلوم في هذا الكتاب على الترتيب الهجائي فارجع اليها .

قال ابن خلدون رحمه الله هذا العلم هو النظر في المقادير اما المتصلة كالخط

والسطح والجسم ، واما المنفصلة كالاعداد وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية .

مثل ان كل مثلث فزواياه مثل قائمتين .

ومثل ان كل خطين متوازيين لا يلتقيان في وجه ولو خرجا الى غير نهاية .

ومثل ان كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان .

ومثل ان الاربعة المقادير المتناسبة ضرب الاول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع وامثال ذلك ، والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب اوقليدس ويسمى كتاب الاصول ، وكتاب الاركان وهو ابسط ما وضع فيها للمتعلمين .

واول ما ترجم من كتاب اليونانيين في الملة ايام ابي جعفر المنصور ونسخه مختلفة باختلاف المترجمين ، فمنها لحنين بن اسحق ، ولثابت بن قرة ، وليوسف ابن الحجاج ، ويشتمل على خمس عشرة مقالة : اربعة في السطوح ، وواحدة في الاقدار المتناسبة ، واخرى في نسب السطوح بعضها الى بعض ، وثلث في العدد والعاشرة في المنطقات والقوى على المنطقات ومعناه الجذور ، وخمس في المجسمات .

وقد اختصره الناس اختصارات كثيرة كما فعله ابن سينا في تعاليم الشفاء افرد له جزء منها اختصه به وكذلك ابن الصلت في كتاب الاقتصاد وغيرهم .

وشرحه آخرون شروحا كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية باطلاق .

واعلم ان الهندسة تفيد صاحبها اضاءة في عقله واستقامة في فكره لان براهينها كلها بينة الانتظام جلية الترتيب لا يكاد الغلط يدخل اقيستها لترتيبها وانتظامها فيبعد الفكر بممارستها عن الخطأ ، وينشأ لصاحبها عقل على ذلك المهيع ، وقد زعموا انه كان مكتوبا على باب افلاطون من لم يكن مهندسا فلا يدخلن منزلنا .

وكان شيوخنا رحمهم الله تعالى يقولون ممارسة علم الهندسة للفكر بمثابة

الصابون للثوب الذي يغسل منه الاقذار وينقيه من الاوضار والادران ، وانما ذلك لما اشرنا اليه من ترتيبه وانتظامه ومن فروع هذا الفن الهندسة المخصوصة بالاشكال الكرية والمخروطات .

اما الاشكال الكرية ففيها كتابان من كتب اليونانيين لثاوذوسيوس ميلاوش في سطوحها وقطوعها ، وكتاب ثاوذوسيوس مقدم في التعليم على كتاب ميلاوش لتوقف كثير من براهينه عليه ، ولا بد منهما لمن يريد الخوض في علم الهيئة لان براهينها متوقفة عليهما فالكلام في الهيئة كله كلام في الكرات السماوية ومايعرض فيها من القطوع والدوائر باسباب الحركات كما نذكره ، فقد يتوقف على معرفة احكام الاشكال الكرية سطوحها وقطوعها .

واما المخروطات فهو من فروع الهندسة ايضاً وهو علم ينظر في ما يقع في الاجسام المخروطة من الاشكال والقطوع ويبرهن على ما يعرض لذلك من العوارض ببراهين هندسية متوقفة على التعليم الاول .

وفائدتها تظهر في الصنائع العملية التي موادها الاجسام مثل النجارة والبناء ، وكيف تصنع التماثيل الغريبة والهياكل النادرة ، وكيف يتحيل على جرّ الاثقال ونقل الهياكل بالهندام والمنجال وامثال ذلك .

وقد افرد بعض المؤلفين في هذا الفن كتابا في الحيل العملية يتضمن من الصناعات الغريبة والحيل المستطرفة كل عجيبة وربما استغلق على الفهوم لصعوبة براهينه الهندسية وهو موجود بأيدي الناس ينسبونه الى بني شاكر والله تعالى اعلم .

علم الهيئة

ذكره في كشف الظنون ولم يزد على ذلك .

وقال في مدينة العلوم : هو علم يعرف منه احوال الاجرام البسيطة العلوية

والسفلية واشكالها واوضاعها ومقاديرها وابعادها .

وموضوعه الاجرام المذكورة من الحيثية المذكورة وقد يذكر هذا العلم تارة مع براهينها الهندسية كما هو الاصل وهذا هو المذكور في المجسطي لبطليموس ولخصه الابهري وعرّبه .

ومن الكتب المختصرة فيه هيئة ابن افلح .

ومن المبسوطة القانون المسعودي لابي ريحان البيروتي ، وشرح المجسطي للنيروزي وقد تجرد عن البراهين ويقتصر على التصور والتخيل دون اليقين ويسمى هيئة بسيطة .

ومن المختصر فيه التذكرة لنصير الدين الطوسي .

ومن المتوسط هيئة العرضي ومن المبسوطة ايضا التحفة ونهاية الادراك كلاهما للعلامة قطب الدين الشيرازي .

ومن المختصرة الملخص المشهور لمحمود الجغميني وعليه شروح منها شرح لفضل الله العبيدي ، وكمال الدين الزاكاني والشريف الجرجاني .

واحسن الشروح شرح الفاضل قاضي زادة الرومي .

ومن المختصرة النافعة فيه غاية النفع كتاب النخبة لعلي بن محمد القوشجي وعليه شرح لمولانا سنان الدين وشرحه استاذي محمود بن محمد بن قاضي زادة الرومي وهو ابن بنت المصنف علي بن محمد القوشجي كتبه عند قراءتي عليه الكتاب المذكور ، وهذا الشرح من احسن المؤلفات في هذا الفن ، وكانت القدماء قد اقتصروا في هيئة الافلاك على الدوائر المجردة وتسمى هيئة مسطحة وفيه كتاب لابي علي بن الهيثم انتهى كلامه .

قال في كشاف اصطلاحات الفنون : علم الهيئة هو من اصول الرياضي وهو علم يبحث فيه عن احوال الاجرام البسيطة العلوية والسفلية من حيث الكمية والكيفية والوضع والحركة اللازمة لها وما يلزم منها .

فالكمية اما منفصلة كأعداد الافلاك وبعض الكواكب دون اعداد العناصر فانها مأخوذة من الطبيعيات .

وأما متصلة كمقادير الاجرام والابعاد واليوم واجزاءه وما يتركب منها .

واما الكيفية فكالشكل اذ تتبين فيه استدارة هذه الاجسام وكلون الكواكب وضوئها .

وأما الوضع فكقرب الكواكب وبعدها عن دائرة معينة وانتصاب دائرة وميلانها بالنسبة الى سمت رؤوس سكان الأقاليم وحيلولة الأرض بين النيرين والقمر بين الشمس والأبصار ونحو ذلك .

وأما الحركة فالمبحوث عنه في هذا الفن منها هو قدرها وجهتها .

واما البحث عن اصل الحركة واثباتها للافلاك فمن الطبعيات والمراد باللازمة الدائمة على زعمهم وهي حركات الأفلاك والكواكب واحترز بها عن حركات العناصر كالرياح والأمواج والزلازل فان البحث عنها من الطبعيات .

وأما حركة الأرض من المغرب الى المشرق وحركة الهواء بمشايعتها وحركة النار بمشايعة الفلك فمما لم يثبت ، ولو ثبت فلا يبعد ان يجعل البحث عنها من حيث القدر والجهة من مسائل الهيئة ، والمراد بما يلزم من الحركة الرجوع والاستقامة التذكرة هذا القيد اعني قيد ما يلزم منها والظاهر انه لا حاجة اليه .

والغرض من قيد الحيثية الاحتراز عن علم السماء والعالم فان موضوعه البسائط المذكورة ايضا ، لكن يبحث فيه عنها لا عن الحيثية المذكورة بل من حيث طبائعها ومواضعها والحكمة في ترتيبها ونَضْدِها وحركاتها الا باعتبار القدر والجهة .

وبالجملة فموضوع الهيئة الجسم البسيط من حيث امكان عروض الأشكال والحركات المخصوصة ونحوها ، وموضوع علم السماء والعالم الذي هو من اقسام الطبعي الجسم البسيط ايضا لكن من حيث امكان عروض التغير والثبات ،

وانما زيد لفظ الامكان اشارة الى ان ما هو من جزء الموضوع ينبغي ان يكون مسلم الثبوت وهو امكان العروض لا العروض بالفعل .

وقيل موضوع كل من العلمين الجسم البسيط من حيث امكان عروض الأشكال والحركات والتمايز بينهما انما هو بالبرهان ، فان اثبت المطلوب بالبرهان الآني يكون من الهيئة وان اثبت بالبرهان اللمي يكون من علم السماء والعالم ، فان تمايز العلوم كما يكون بتمايز الموضوعات كذلك قد يقع بالمحمولات ، والقول بان التمايز في العلوم انما هو بالموضوع فامر لم يثبت بالدليل بل هو مجرد رعاية مناسبة .

واعلم ان الناظر في حركات الكواكب وضبطها واقامة البراهين على احوالها يكفيه الاقتصار على اعتبار الدوائر ويسمى ذلك هيئة غير مجسمة ، ومن اراد تصور مبادىء تلك الحركات على الوجه المطابق لقواعد الحكمة فعليه تصور الكرات على وجه تظهر حركات مراكز الكواكب وما يجري مجراها في مناطقها ويسمى ذلك (هيئة مجسمة) واطلاق العام على المجسمة مجاز ، ولهذا قال صاحب التذكرة .

انها ليست بعلم تام لأن العلوم هو التصديق بالمسائل على وجه البرهان فاذا لم يورد بالبرهان يكون حكاية للمسائل المثبتة بالبرهان في موضع آخر هذا كله خلاصة ما ذكره عبد العلي البرجندي في حواشي شرح الملخص .

والمذكور في علم الهيئة ليس مبيناً على المقدمات الطبعية والالٓهية ، وما جرت به العادة من تصدير المصنفين كتبهم بها انما هو بطريق المتابعة للفلاسفة وليس ذلك امراً واجباً بل يمكن اثباته من غير ملاحظة الابتناء عليها ، فان المذكور فيه بعضه مقدمات هندسية لا يتطرق اليها شبهة مثلا مشاهدة التشكلات البدرية والهلالية على الوجه المرصود توجب اليقين بان نور القمر مستفاد من نور الشمس ، وبعضه مقدمات يحكم بها العقل بحسب الاخذ لما هو الأليق ،

والأحرى كما يقولون ان محدب الحامل يماس محدب الممثل على نقطة مشتركة ، وكذا مقعره بمقعره ، ولا مستند لهم غير ان الاولى ان لا يكون في الفلكيات فضل لا يحتاج اليه ، وكذا الحال في اعداد الافلاك من انها تسعة وبعضه مقدمات يذكرونها على سبيل التردد دون الجزم كما يقولون ان اختلاف حركة الشمس بالسرعة والبطؤ ، اما بناء على اصل الخارج أو على اصل التدوير من غير جزم بأحدهما ، فظهر أن ما قيل : من ان اثبات مسائل هذا الفن مبني على اصول فاسدة مأخوذة من الفلاسفة من نفي القادر المختار وعدم تجويز الخرق والالتئام على الافلاك وغير ذلك ليس بشيء ، ومنشأه عدم الاطلاع على مسائل هذا الفن ودلائله ، وذلك لأن مشاهدة التشكلات البدرية والهلالية على الوجه المرصود توجب اليقين بان نور القمر حاصل من نور الشمس ، وان الخسوف انما هو بسبب حيلولة الارض بين النيرين ، والكسوف انما هو بسبب حيلولة القمر بين الشمس والبصر مع القول بثبوت القادر المختار ونفي تلك الأصول المذكور ، فان ثبوت القادر المختار وانتفاء تلك الأصول لا ينفيان ان يكون الحال ما ذكر ، غاية الأمر انهما يجوزان الاحتمالات الأخر مثلا على تقدير ثبوت القادر المختار يجوز ان يسود القادر بحسب ارادته وينور وجه القمر على ما يشاهد من التشكلات البدرية والهلالية ، وايضا يجوز على تقدير الاختلاف في حركات الفلكيات وسائر احوالها ان يكون احد نصفي كل من النيرين مضيئاً والآخر مظلما ، ويتحرك النيران على مركزيهما بحيث يصير وجهاهما المظلمان مواجهين لنا في حالتي الخسوف والكسوف ، اما بالتمام اذا كانا تامين او بالبعض ان كانا ناقصين وعلى هذا القياس حال التشكلات البدرية والهلالية لكنا نجزم مع قيام الاحتمالات المذكور ان الحال على ما ذكر من استفادة القمر النور من الشمس ، وأن الخسوف والكسوف بسبب الحيلولة ومثل هذا الاحتمال قائم في العلوم العادية والتجريبية ايضاً بل في جميع الضروريات مع ان القادر المختار يجوز ان يجعلها كذلك بحسب

ارادته بل على تقدير ان يكون المبدأ موجباً يجوز ان يتحقق وضع غريب من الأوضاع الفلكية فيقتضي ظهور ذلك الأمر الغريب على مذهب القائلين بالايجاب من استناد الحوادث الى الأوضاع الفلكية وغير ذلك مما هو مذكور في شبه القادحين في الضروريات .

ولو سلم ان اثبات مسائل هذا الفن يتوقف على تلك الاصول الفاسدة فلا شك انه انما يكون ذلك اذا ادعى اصحاب هذا الفن انه لا يمكن الا على الوجه الذي ذكرنا .

اما اذا كان دعواهم انه يمكن ان يكون على ذلك الوجه ويمكن ان يكون على الوجوه الأُخر فلا يتصور التوقف حينئذ وكفى بهم فضلا انهم تخيلوا من الوجوه الممكنة ما تنضبط به احوال تلك الكواكب مع كثرة اختلافاتها على وجه تيسر لهم ان يعنيوا مواضع تلك الكواكب واتصالات بعضها ببعض في كل وقت ، وارادوا بحيث يطابق الحس والعيان مطابقة تتحير فيها العقول والأذهان كذا في شرح التجريد ، وهكذا يستفاد من شرح المواقف في موقف الجواهر في آخر بيان محدد الجهات .

وفي ارشاد القاصد الهيئة وهو علم تعرف به احوال الأجرام البسيطة العلوية والسفلية واشكالها واوضاعها وابعاد ما بينها وحركات الأفلاك والكواكب ومقاديرها .

وموضوعه الأجسام المذكورة من حيث كميتها واوضاعها وحركاتها اللازمة لها .

واما العلوم المتفرعة عليه فهي خمسة ، وذلك لأنه اما ان يبحث عن ايجاد ما تبرهن بالفعل اولا .

الثاني : كيفية الارصاد .

والاول اما حساب الأعمال او التوصل الى معرفتها بالآلات .

فالأول منهما ان اختص بالكواكب المجردة فهو علم الزيجات والتقاويم ، والا فهو علم المواقيت .

والآلات اما شعاعية او ظلية ، فان كانت شعاعية فهو علم تسطيح الكرة ، وان كانت ظلية فعلم الآلات الظلية ، وقد ذكرنا هذه العلوم في هذا الكتاب على نهج الترتيب المختار فيه .

وقال ابن خلدون هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيرة ويستدل بكيفيات تلك الحركات على اشكال واوضاع للافلاك لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسة كما يبرهن على ان مركز الأرض مبائن لمركز فلك الشمس بوجود حركة الاقبال والإدبار ، وكما يستدل بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود افلاك صغيرة حاملة لها متحركة داخل فلكها الأعظم ، وكما يبرهن على وجود الفلك الثامن بحركة الكواكب الثابتة ، وكما يبرهن على تعدد الافلاك للكوكب الواحد بتعدد الميلول له وامثال ذلك وادراك الموجود من الحركات وكيفياتها واجناسها انما هو بالرصد فانا انما علمنا حركة الاقبال والادبار به ، وكذا ترتيب الافلاك في طبقاتها ، وكذا الرجوع والاستقامة وامثال ذلك .

وكان اليونانيون يعتنون بالرصد كثيراً ويتخذون له الآلات التي توضع ليرصد بها حركة الكوكب المعين ، وكانت تسمى عندهم ذات الحلق وصناعة عملها والبراهين عليه في مطابقة حركتها بحركة الفلك منقول بأيدي الناس .

واما في الاسلام فلم تقع به عناية الا في القليل ، وكان في أيام المأمون شيء منه ، وصنع الآلة المعروفة للرصد المسماة ذات الحلق وشرع في ذلك فلم يتم ولما مات ذهب رسمه واغفل واعتمد من بعده على الأرصاد القديمة وليست بمغنية لاختلاف الحركات باتصال الاحقاب .

وان مطابقة حركة الآلة في الرصد بحركة الافلاك والكواكب انما هو

بالتقريب ولا يعطى التحقيق ، فاذا طال الزمان ظهر تفاوت ذلك بالتقريب .

وهذه الهيئة صناعة شريفة وليست على ما يفهم في المشهور انها تعطي صورة السموات وترتيب الافلاك والكواكب بالحقيقة بل انما تعطي ان هذه الصور والهيئات للافلاك لزمت عن هذه الحركات وانت تعلم انه لا يبعد ان يكون الشيء الواحد لازماً لمختلفين ، وان قلنا ان الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على وجود الملزوم ولا يعطي الحقيقة بوجه على انه علم جليل وهو احد اركان التعاليم .

ومن احسن التآليف فيه كتاب المجسطي منسوب لبطليموس ، وليس من ملوك اليونان الذين اسماهم بطليموس على ما حققه شراح الكتاب ، وقد اختصره الأئمة من حكماء الاسلام كما فعله ابن سينا وادرجه في تعاليم الشفاء ، ولخصه ابن رشد ايضا من حكماء الاندلس وابن السمح وابن الصلت في كتاب الاقتصار ، ولابن الفرغاني هيئة ملخصة قربها وحذف براهينها الهندسية والله علم الانسان ما لم يعلم سبحانه لا إلّه الا هو رب العٰلمين انتهى كلام ابن خلدون ، وقد بسطنا القول في الهيئة في كتابنا لقطة العجلان فمن شاء ان يطلع عليه فعليه به والله الموفق.

باب الياء التحتَانيّة

علم اليوم والليلة(١)

علم يبحث فيه عن اختلاف الليل والنهار ومقدار زمانهما وأيهما اقدم في الوجود وافضل من الآخر وما يتصل بذلك .

والغرض والغاية منه ظاهران .

وموضوعه الزمان من حيث كونه منحصراً في الأيام والليالي .

وقد اقسم الله سبحانه بهما في كتابه واناط الأحكام الشرعية باختلافهما في كريم خطابه فقال (والشمس وضحٰها والقمر اذا تلٰها والنهار اذا جلٰها والليل اذ يغشٰها .

---

(١) هذا العلم لم أرَ من ذكره في نداء الحرف وحين انتهت بي الكتابة الى هذا الموضع تأملت ماذا أملي في هذا المقام وكنت متفكراً في ذلك فبينا انا على هذه الحال اذا لمت بي سكنى واهل بيتي ذات الفضيلة والكرم الرئيسية المعظمة تاج الهند المفخم نواب شاهجهان بيكم حامية حوزة بهوبال المحمية ووالية محروستها البهية احسن الله اليها وعليها انعم فسألتني عما انا فيه وحيثما علمت حقيقة الامر قالت لي اكتب في هذا الباب علم اليوم والليلة واجعله خاتمة هذا الكتاب وذيله فكأني نشطت من العقال وزال عني شكال الاشكال في الحال ولله در من قال:

وما انا الا من غزية ان غوت غويتُ وان ترشد غزية ارشد

وقد علم الله تعالى انها ترشد ولا تغوي ومن يهده الله لا مضل له وكل ذلك منه واليه كان منه فسح الله في مدته وبارك في علمه وعدته .

وقال (والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى) .

وقال (والضحى والليل اذا سجى) فقدم النهار مرة والليل اخرى واخّر الليل تارة وقدم النهار كرة بعد اولى .

واليوم عبارة عن عود الشمس بدوران الكل الى دائرة قد فرضت .

وقد اختلف فيه فجعله العرب من غروب الشمس الى غروبها من الغد من اجل ان شهور العرب مبنية على مسير القمر وأوائلها مقيدة برؤية الهلال ، والهلال يرى لدن غروب الشمس صارت الليلة عندهم قبل النهار .

وعند الفرس والروم اليوم بليلته من طلوع الشمس بارزة من افق الشرق الى وقت طلوعها من الغد فصار النهار عندهم قبل الليل .

واحتجوا على قولهم بان النور وجود الظلمة عدم والحركة تغلب على السكون لانها وجود لا عدم ، وحياة لا موت ، والسماء افضل من الأرض ، والعامل الشاب اصح ، والماء الجاري لا يقبل العفونة كالراكد .

واحتج الآخرون بأن الظلمة اقدم من النور والنور طار عليها فالاقدم يبدأ به وغلبوا السكون على الحركة باضافة الراحة والدعة اليه قال قائلهم :

بقدر هر سكون راحت بود بنكر مراتب را دويدن رفتن استادن نشستن خفتن ومردن

وقالوا الحركة انما هي للحاجة والضرورة ، والتعب نتيجة الحركة ، والسكون اذا دام في الاستقصاءات مدة ولم يولد فسادا فاذا دامت الحركة في الاستقصاآت واستحكمت فسدت وذلك كالزلازل والعواصف والأمواج وشبهها .

وعند اصحاب التنجيم ان اليوم بليلته من موافاة الشمس فلك نصف النهار الى موافاتها اياه في الغد ، وذلك من وقت الظهر الى وقت العصر ، وبنوا على ذلك حساب ازياجهم وبعضهم ابتدأ باليوم من نصف الليل ، وهذا هو حد

اليوم على الاطلاق اذا اشترط الليلة في التركيب فاما على التفصيل فاليوم بانفراده والنهار بمعنى واحد وهو من طلوع جرم الشمس الى غروب جرمها والليل خلاف ذلك وعكسه .

وحد بعضهم اول النهار بطلوع الفجر وآخره بغروب الشمس لقوله تعالى (كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل) وعورض بان الآية انما فيها بيان طرفي الصوم لا تعريف اول النهار ، وبأن الشفق من جهة المغرب نظير الفجر من جهة المشرق وهما متساويان في العلة ، فلو كان طلوع الفجر من اول النهار لكان غروب الشفق آخره ، وقد التزم ذلك بعض الشيعة .

وفي بدائع الفوائد للحافظ ابن القيم رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما من يوم الا وليلته قبله الا يوم عرفه فان ليلته بعده .

قلت هذا مما اختلف فيه فحكي عن طائفة ان ليلة اليوم بعده ، والمعروف عند الناس ان ليلة اليوم قبله .

ومنهم من فصل بين الليلة المضافة الى اليوم كليلة الجمعة والسبت والأحد وسائر الأيام والليلة المضافة الى مكان اوحال او فعل كليلة عرفة وليلة النفر ونحو ذلك ، فالمضافة الى اليوم قبله والمضافة الى غيره بعده ، واحتجوا بهذا الأثر المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ونقض عليهم بليلة العيد ، والذي فهمه الناس قديما وحديثا من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام ولا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي) انها الليلة التي يسفر صبحها عن يوم الجمعة فان الناس يتسارعون الى تعظيمها وكره التعبد فيها عن سائر الليالي فنهاهم ﷺ عن تخصيصها بالقيام كما نهاهم عن تخصيص يومها بالصيام والله اعلَمْ بالصواب وهذا آخر الجزء الثاني من الكتاب والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات .

قد تم بعون الله وحسن توفيقه الجزء الثاني من كتاب ابجد العلوم

المسمى بالسحاب المركوم في أواخر شهر رمضان المبارك

على صاحبها ألف تحية .

سنة ١٣٩٥ الهجرية

فهرس الجزء الثاني
من كتاب ابجد العلوم المسَمَّى
بالسحاب المركوم
في بيان انواع الفنون واقسام العلوم

مطالب	صفحة

مطالب

مطالب	صفحة

مطالب | صفحة

مطالب	صفحة

مطالب	صفحة

مطالب	صفحة

مطالب	صفحة

مطالب	صفحة
باب القاف	٤٢٧
علم القافية	٤٢٧
علم القراءة	٤٢٨
علم القرانات	٤٣١
علم قرض الشعر	٤٣٢
علم القرعة	٤٣٣
علم القضاء	٤٣٤
علم قلع الاثار	٤٣٤
علم قوانين الكتابة	٤٣٤
علم القوافي	٤٣٥
علم قود العساكر والجيوش	٤٣٥
علم قوس قزح	٤٣٥
علم القيافة	٤٣٦
باب الكاف	٤٣٩
علم كتابة التقاويم	٤٣٩
علم الكحالة	٤٣٩
علم الكسر والبسط	٤٤٠
علم الكشف	٤٤٠
علم كشف الدك وايضاح الشك	٤٤٠
علم الكلام	٤٤٠
علم الكون والفساد	٤٥٣
علم الكهانة	٤٥٣
علم كيفية الارصاد	٤٥٤
علم كيفية انزال القران	٤٥٥
علم كيفية انزال القران	٤٥٥
علم الكيمياء	٤٥٦
باب اللام	٤٦٩
علم اللدني	٤٦٩
علم اللغة	٤٦٩
باب الميم	٤٧٧
علم مبادىء الانشاء وادواته	٤٧٧

مطالب	صفحة

مطالب	صفحة

مطالب	صفحة

مطالب	صفحة

مطالب | صفحة

اعلم ان العلوم التي اشتمل عليها هذا الفهرس ليست كلها على ما مستقلة بل اكثرها فروع لعلوم اخرى وانما عُدّت علوما على حدة لكون ان التأليف فيها وقعت مستقلة مفرزة لا يعلم لهذا العهد من يعرف تلك العلوم كلها كيف والجامعية لا سيما على وجه الاتقان فيها هي الكبري الاحمر والاكسير الاعظم بل كل من مهر في بعض من هذه العلوم حق المهارة فقد فاز بحظ عظيم من العلم لا سيما من كان له يد جارحة ويمنى عاملة في علوم الكتاب العزيز والسنة المطهرة وما يرجع اليهما فهو اعجوبة الدنيا والغنيمة الكبرى بين المعاصرين وما احق هذين العلمين بالاشتغال بهما وترك الالتفات الى غيرهما فكل الصيد في جوف الفرى وما اجدر الانسان بأن يقال له في هذا المقام اطرق كرى اطرق كرى ان النعامة في القرى وبالله التوفيق وهو المستعان ومنه الخير كله وعليه التكلان .

قَد تَمّ فهرِسُ القِسمِ

الثاني من كتاب أبجدِ

العُلوم المُسَمَّى بالسَّحَابِ

المركوم الممطر بأنواع الفُنُونِ

وأصناف العُلوم والحمد للهِ

أبجد العلوم

الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم

الجزء الثالث

ألفه
صديق بن حسن القنوجي
ت: ١٣٠٧ هـ، ١٨٨٩ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

بسملة باب الوجود حمد من اسمه الاقدس فاتحة كل كتاب ، وفهرسة نسخة الشهود ثناء من باكورة حمده في رياض الخير مطلع كل باب ، ونسائم التصلية والتسليم سارية الى حمى النبي الكريم ، وازهار التحية باسمة على عريش الأصحاب والآل مَا برق ذكاء ولمع آل .

وبعد فهذا هو القسم الثالث من كتاب «ابجد العلوم» وكنا قد قسمناه على قسمين من قبل ولكن لما انتهى بنا الكلام الى آخر القسم الآخر عَنّ لنا ان نجعل له قسماً ثالثاً في تراجم اكابر ائمة العلوم المتداولة ليكون له كالمسك على الختام ويبلغ به الناظر فيه الى غاية المرام وسميت هذا الثالث من الاقسام الرحيق المختوم من تراجم ائمة العلوم وبالله التوفيق واليه مصير كل موجود معدوم .

فؤادي داع واللسان مترجم ويا رب يا رحمن فضلك اكرم
واني لمضطر وصنعي عاقني وهل غير رب العبد للعبد يرحم

قال في كتاب الجواهر المضيئة : ان ذكر فضائل العلماء تعرض لنفحات الوهب مِنَ الله تعالى ، فان ذكرهم بالفضائل ذكر الله بالانعام والافضال ، وثمرة ذكر الله طمأنينة القلب ، كما نطق به الكتاب المبين ومن الحديث الدائر على

الألسنة عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، رحمنا الله برحمته التي وسعت كل شيء .

وفي رسالة الشيخ المسند حسن العجيمي ما معناه من ورّخ احداً من اهل الفضل والكمال فهو في شفاعته قال الشاعر :

ارّخهُمْ تظفر بأجر وافر　　فبذكرهم يجلى عن القلب الصدّأ

وفي كتاب تحقيق الصفا لمحب الدين الطبري ان من ورّخ مؤمناً فضلاً عن عالم عامل فكأنما احياه ، ومن احيى مؤمناً فكأنما احيى الناس جميعا انتهى .

ارّخت احبابي لكي ألقاهُمْ　　ما دمت في الأحياء نصيب نواظري
وينال سمعي من لذيذ حديثهم　　خيرا وان لم يبرحوا عن خاطري

ولبعضهم :

ان كان قد رحلوا عني وقد بعدوا　　فليس عن حُبّهم قلبي بمرتحل
في حبّهم انا موقوف على رشد　　ميل الغصون وميل الشارب الثمل

علماء اللغة

خليل بن احمد البصري صاحب كتاب العين في اللغة ، استاذ سيبويه ، وهو اول من استخرج العروض واخرجه الى الوجود وحصر الاشعار بها في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحرا ، ثم زاد فيه الاخفش بحراً واحدا وسماه الخَبَبْ ، وله معرفة بالايقاع والنغم ، وتلك المعرفة احدثت له علم العروض فانهما متقاربان في المآخذ ، وكان دعا بمكة ان يرزقه الله تعالى علما لم يسبق اليه ولا يؤخذ الا عنه ، فرجع من حجه وفتح عليه بالعروض .

وكان من الزهاد في الدنيا والمنقطعين الى العلم .

قال تلميذه نضر بن شميل اقام الخليل في خُصٍّ بالبصرة لا يقدر على

فلسين وتلامذته يكتسبون بعلمه الاموال وكان الناس يقولون لم يكن في العرب بعد الصحابة اذكى منه .

وكان يحج سنة ويفرد سنة وابوه اول من سُمّي احمد بعد النبي ﷺ .

وكان يقول اكمل ما يكون الانسان عقلا وذهناً اذا بلغ اربعين سنة وهي السن التي بعث الله فيها محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم يتغير وينقص اذا بلغ ثلاثاً وستين سنة وهي السن التي قبض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصفى ما يكون ذهن الانسان في وقت السحر ومن شعره :

لو كنـــت تعلــم ما اقــول عذرتَني ... او كنـــتَ تعلــم ما تقــول عذلتكا
لكن جهلــت مقالتــي فعذلتني ... وعلمــت انــك جاهــل فعذرتكا

وانشد :

يقولــون لي دار الأحبة قد دنت ... وانــت كئيب ان ذا لعجيب
فقلــت ومــا تغنــي الــديار وقربها ... اذا لم يكن بــين القلــوب قريب

ذكر له ابن خلكان ترجمة حافلة في وفيات الأعيان .

توفي الخليل سنة خمس وستين او سبعين ومائة وله اربع وسبعون .

وسبب موته انه قال اريد ان اعمل نوعاً من الحساب تمضي به الجارية الى البقال فلا يمكن ان يظلمها فدخل المسجد وهو يعمل فكرة فصدمته سارية وهو غافل فانصدع ومات ،ورُيء في النوم فقيل له ما صنع الله بك؟ فقال ارأيت ما كنا فيه لم يكن شيئا او ما وجدت افضل من سبحان الله والحمد الله ولا إلَه الا الله والله اكبر .

علي بن حسن الهناني المعروف بكراع النمل بضـم الـكاف ابـو الحَسَـن النحوي اللغوي ، قال ياقوت : هو من اهل مصر اخذ عن البصريين وكان نحوياً كوفياً كتب المنضد في لغة المجرد سنة سبع وثلثمائة .

احمد بن فارس بن زكريا ابو الحسين اللغوي الرازي القزويني كان نحوياً على طريقة الكوفي سمع أباه وعلي بن ابراهيم بن سلمة وقرأ عليه الاديب الهمذاني وكان اماماً في علوم شتى خصوصاً باللغة فانه اتقنها وألف كتابه المجمل في اللغة وهو على اختصاره جمع شيئا كثيرا ، وله مسائل في اللغة ، وكان مقيما بهمذان فحمل منها الى الريّ ليقرأ عليه ابو طالب بن فخر الدولة فسكنها ، وعليه اشتغل بديع الزمان صاحب المقامات ، وكان شافعياً فتحول مالكياً وقال اخذتني الحمية لهذا الامام ان يخلو مثل هذا البلد عن مذهبه ، وكان الصاحب ابن عباد تلمذ له ويقول شيخنا ممن رزق حسن التصنيفِ وكان كريما جوداً ربما سئل فيهب ثيابه وفرش بيته ، قال الذهبي مات سنة ٣٩٥ وهو اصح ما قيل في وفاته ومن شعره :

مَرَّت بنا هيفاء مجدُولة تركية تنمي لتركي
ترنُو بطرف فاتر فاتن اضعَفُ من حجةِ نحويٍ

اسحق بن ابراهيم الفارابي ابو ابراهيم صاحب ديوان الأدب في اللغة ، خال ابي نصر الجوهري ، ترامى به الاغتراب الى ارض اليمن وسكن زبيد وبها صنف كتاب المجمل ، ومات قبل ان يروى عنه قريباً من سنة ٣٥٠ ، وقيل في حدود السبعين ، وقال ياقوت رأيت نسخة من هذا الكتاب بخط الجوهري ، وقد ذكر فيها انه قرأه الى ابراهيم بقاراب وله رحمه الله تعالى ايضا شرح ادب الكتاب وبيان الأعراب .

احمد بن ابان بن سيد اللغوي الاندلسي صاحب المعلم في اللغة ، اخذ عن ابي علي القالي وغيره ، وكان عالماً إماماً في اللغة والعربية ، حاذقاً أديباً سريع الكتابة .

روى عنه الافليطي صنف المعلم مائة مجلداً مرتباً على الأجناس ، بدء فيه بالفلك وختم بالذرّة ، وشرح كتاب الاخفش وغير ذلك مات سنة ثلث وثلثين وثلثمائة .

محمد بن احمد بن الأزهر طلحة بن نوح الهروي اللغوي الشافعي ابو منصور الازهري ولد سنة ٢٨٢ .

واخذ عن ربيع بن سليمان ونفطويه وابن السراج ، وادرك ابن دريد ولم يرو عنه ،وورد ببغدادو وأَسَرَتْهُ القرامطة فبقي فيهم دهراً طويلا ،وكان رأسا في اللغة واشتهر بها .

اخذ عنه الهروي صاحب الغريبين ، وكان قد رحل وطاف في أرض العرب في طلب اللغة ، وكان جامعا لشتات اللغة مطلعاً على اسرارها ودقائقها ، وصنف في اللغة كتاب التهذيب وهو من الكتب المختارة يكون اكثر من عشر مجلدات ، وله تصنيف في غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء في مجلد واحد وهو عمدة الفقهاء في تفسير ما يشكل عليهم من اللغة المتعلقة بالفقه ، وكان عارفاً بالحديث عالي الاسناد ثخين الورع .

ولد في سنة ٢٨٢ ومات في ربيع الآخر سنة ٣٧٠ سنة وقيل سنة ٣٧١ بمدينة هراة ، وله ايضا تفسير الفاظ مختصر المزني ، والتقريب في التفسير وغير ذلك ورأى ببغداد ابا اسحق الزجاج وابا بكر بن الانباري ولم ينقل انه رحمه الله تعالى اخذ عنهما شيئا .

علي بن اسماعيل بن سيدة اللغوي النحوي المرسي الاندلسي ابو الحَسَن الضرير ، صاحب المحكم في اللغة ، وله كتاب المخصص في اللغة ايضاً ، قيل اسم ابيه محمد ، وقيل اسمعيل ، وكان ابوه ضريراً ايضا قيما بعلم اللغة ، اشتغل ولده كان حافظا لم يكن في زمانه اعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وايام العرب وما يتعلق بها متوفراً على علوم الحكمة .

روى عن ابيه وابي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي وله شرح اصلاح المنطق وشرح الحماسة وشرح كتاب الاخفش مات سنة ٣٥٨ عن نحو ستين سنة

او نحوها ، وكان له في الشعر حظ وتصرف .

اسمٰعيل بن حماد الامام ابو نصر الفارابي الجوهري ، صاحب الصحاح .

قال ياقوت كان من اعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما ، اصله من فاراب الترك ، وكان إماماً في اللغة والأدب ، وخطه يضرب به المثل ، وكان يؤثر السفر على الحضر ، ويطوف الآفاق لأجل العلم ، صنف كتاباً في العروض ، ومقدمة في النحو ، قبل تغير عقله في آخر عمره فعمل لنفسه جناحين فصعد مكاناً علياً فأراد ان يطير فوقع ميتا ،وبقي الصحاح في المسودة فبيّضه تلميذه ابراهيم بن صلاح الورّاق فغلط فيه في مواضع .

قال ياقوت وقد رأيت كتاب الصحاح بخطه عند الملك الاعظم وقد كتبه في سنة ٣٩٢ قال ابن فضل الله في المسالك مات سنة ٣٩٦ .

عبد الله بن بري بن عبد الجبار ابو محمد المقدسي المصري النحوي ، اللغوي علق نكتاً مفيدة على صحاح الجوهري وشاع ذكره واشتهر ولم يكن في الديار المصرية مثله ، كان قيما في النحو واللغة والشواهد .

صنف اللباب للرد على ابن الخشاب في رده على درة الغواص للحريري ، قال الصفدي لم يكمل هو حواشي الصحاح وانما وصل الى وقس وهو ربع الكتاب فأكملها الشيخ عبد الله بن محمد البطي .

مات ابن بري سنة ٥٨٢ ،وللصحاح تكملة وحواش للصغاني رحمه الله تعالى وجمع بينها وبين الصحاح مجمع البحرين .

محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم الشيرازي الفيروز آبادي صاحب المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب والقاموس المحيط والقاموس الوسيط ، الجامع لما ذهب من لغة العرب شماطيط والعباب ، وقد بلغ تمامه ستين مجلداة .

والقاموس معظم البحر .

والقابوس الرجل الجميل الحسن الوجه ، الحَسَن اللون ، يقل رجل وسيط فيهم اي اوسطهم نسباً وارفعهم محلاً ويقال قوم شماطيط اي متفرقة ، وجاءت الخيل شماطيط اي متفرقة ارسالا .

وهو العلامة مجد الدين ابو الطاهر إمام عصره في اللغة .

قال الحافظ ابن حجر : كان يرفع نسبه الى الشيخ ابي اسحق الشيرازي صاحب التنبيه ، ثم ارتقى وادعى بعد ان ولّي قضاء اليمن انه من ذرية ابي بكر الصديق ، وكتب بخطه الصديقي ولد سنة ٧٢٩ سنة بكازرون وتفقه ببلاده ، وسمع بها من محمد بن يوسف الزرندي المدني ، ونظر في اللغة إلى ان مهَر وفاق واشتهر اسمه وهو شاب في الآفاق وطلب الحديث ، وسمع من الشيوخ منهم الحافظ الامام الواحد المتكلم الحجة ابن القيم تلميذ شيخ الاسلام احمد بن تيمية الحرّاني رحمهم الله تعالى وسمع بالشام من الشيخ تقي الدين ابي الحسن السبكي الكبير وولده ابي النصر تاج الدين السبكي الصغير وابن نباتة وابن جماعة وغيرهم ، وجال في البلاد الشمالية والشرقية ولقي جماعة من الفضلاء واخذ عنهم واخذوا عنه وظهرت فضائله وكتب الناس تصانيفه ، ودخل الهند ثم زبيد فتلقاه ملكها الاشرف اسمعيل بالقبول وقرره في قضائها وبالغ في اكرامه ولم يدخل بلدة الا وكرمه متوليها ، وكان معظما عند الملوك اعطاه تيمور لنك خمسة آلاف دينار ، ودخل الروم فأكرمه ملكه ابن عثمان وحصل له مال جزيل ومع ذلك انه كان قليل المال لسعة نفقاته ، وكان يدفعه الى من يمحقه بالاسراف ولا يسافر الا وصحبته عدة احمال من الكتب يخرج اكثرها في منزلٍ ينظر اليه ويعيده اذا رحل ، وكان اذا املق باعها ! وكان سريع الحفظ .

يحكى عنه انه كان يقول : ما كنت انام حتى احفظ مائتي سطر ، ومصنفاته كثيرة ، وقد عُدَّ منها بضع واربعون مصنفا من اللغة والتفسير والحديث ، توفي بزبيد سنة ست او سبع عشرة وثمانمائة وهو متمتع بحواسه ودفن بتربة الشيخ

اسمعيل الجبرتي .

قلت ومن مؤلفاته كتاب سفر السعادة وهو بالعربية وبالفارسية وما اجمعه واصحه واوعاه لهدي النبي ﷺ وما أليقه للعمل لمريد السنة .

محمد بن مكرم بن علي وقيل رضوان بن احمد بن ابي القاسم بن حنفية بن منظور الانصاري الافريقي المصري جمال الدين ابو الفصل صاحب كتاب لسان العرب في اللغة الذي جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح وحواشيه والجمهرة والنهاية .

ولد في محرم سنة ٦٣ ، وسمع من ابي المعز وغيره ، وجمع وعمر وحدث ، واختصر كثيرا من كتب الادب المطولة كالاغاني والعقد والذخيرة ومفردات ابين البيطان .

يقال ان مختصراته خمسمائة مجلد ، وخدم في ديوان الانشاء مدة عمره وولّي قضاء طرابلس وكان صدراً رئيسا فاضلا في الأدب مليح الانشاء .

روى عنه السبكي والذهبي تفرد بالعوالي وكان عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة ،واختصرتاريخ دمشق في نحو ربعه ، وعنده تشيع بلا رفض مات في شعبان سنة احدى عشر وسبعمائة .

احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم الميداني النيسابوري ابو الفضل الاديب النحوي اللغوي صاحب كتاب السامي في الاسامي .

قال ياقوت : قرأ على الواحدي صاحب التفسير وغيره وأتقن اللغة والعربية ، وصنف كتاب الامثال ولم يعلم مثله في بابه والانموذج في النحو والمصادر ونزهة الطرف في علم الصرف وكان قد سمع الحديث ورواه وكان ينشد كثيراً وأظنهما له :

تنفس صبح الشيب في ليل عارضي فقلت عساه يكتفي بعذاري
فلما فشا عاتبته فأجابني ألا هل ترى صبحا بغير نهار

وقرأ عليه ابنه مات في رمضان سنة ٥١٨ ، والميداني نسبة الي ميدان زياد

ابن عبد الرحمن وهي محلة بنيسابور قلت وقد طبع كتابه الأمثال بمصر القاهرة لهذا العهد ، وابنه ابو سعد سعيد بن احمد كان ايضا فاضلا ديّنا وله كتاب الأسماء في الأسماء وتوفي رحمه الله سنة تسع وثلثين وخمسمائة .

ناصر بن عبد السيد بن علي بن المطرزي الحنفي ابو الفتح النحوي الاديب من اهل خوارزم ، قرأ على الزمخشري والموفق ، وبرع في النحو اللغة والشعر وانواع الادب والفقه على مذهب الحنفية ، ويقال انه كان خليفة الزمخشري ، وكان معتزلياً تام المعرفة بفنه ، رأساً في الاعتزال داعياً اليه ، ينتحل مذهب الامام ابي حنيفة في الفروع ، فصيحا فاضلا في الفقه ، صنف شرح المقامات للحريري وهو على وجازته مفيد محصل للمقصود ، وله كتاب المغرب تكلم فيه على الالفاظ التي يستعملها الفقهاء من الغريب وهو للحنفية بمثابة كتاب الازهري للشافعية وما قصّر فيه فانه اتى جامعا للمقاصد ، وله مختصر الاقناع في اللغة والمصباح في النحو ، ومختصر الاصلاح لابن السكيت وغير ذلك وانتفع الناس بكتبه ودخل بغداد حاجاً سنة ٦٠١ وكان سائر الذكر مشهور السمعة بعيد الصيت له شعر كثير يستعمل فيه التجانس .

والمطرزي نسبة الى من يطرز الثياب ويرقمها ولا اعلم هل كان يتعاطى ذلك بنفسه ام كان في آبائه من يتعاطى ذلك فنسب اليه قاله ابن خلكان .

ولد في رجب سنة ٣٨ هـ ، ومات بخوارزم في يوم الثلثاء حادي عشر جمادى الاولى سنة ٦١٠ ورُثِيَ باكثر من ثلثمائة قصيدة .

عمر بن محمد بن احمد بن اسمعيل ابو حفص نجم الدين الامام الزاهد قال السمعاني : كان اماماً فاضلا مبرزاً متقناً لغوياً

سمع ابا مجد محمد التنوخي وابا الحسين محمد البزدوي وغيرهما .

وصنف في كل نوع من العلم في التفسير والحديث واللغة والشروط صنف قريباً من مائة مصنف .

ولد بنسف في شهور سنة اثنتين وستين واربعمائة وتوفي سنة ثمان وثلثين وخمسمائة ، وفي هذه السنة توفي ايضا الزمخشري صاحب الكشاف .

مبارك بن محمد بن محمد مجد الدين ابو السعادات الجزري الارملي المشهور بابن الاثير اشهر العلماء ذكراً واكبر النبلاء قدراً احد الافاضل المشار اليهم وفرد الاماثل المعتمد في الامور عليهم كان نائب المملكة ولد سنة ٥٤٤ هـ بالجزيرة ، وانتقل الى الموصل ، واخذ النحو عن ابن دهان ، ويحيى بن سعدون القرطبي ، وسمع الحديث متأخراً وتنقل في الولايات وكتب في الانشاء .

وله النهاية في غريب الحديث وجامع الاصول في احاديث الرسول ، والبديع في النحو ، وكتاب الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف في التفسير ، وكتاب المصطفى والمختار في الادعية والاذكار ، وكتاب في صفة الكتابة ، صنف هذه الكتب وكان عنده جماعة يعينونه عليها في الاختيار والكتابة وله شعر يسير مات سنة ٦٠٦ رحمه الله تعالى .

ابو الفيض محمد مرتضى بن محمد الحسيني صاحب تاج العروس شرح القاموس السيد الواسطي البلجرامي نزيل مصر شريف النجار ، عظيم المقدار ، كريم الشمائل ، غزير الفواضل والفضائل .

اخذ العلوم النقلية والعقلية في مدينة زريد على جماعة اعلام منهم السيد العلامة احمد بن محمد مقبول الاهدل ومن في طبقته كالشيخ عبد الخالق بن ابي بكر المزجاجي ، والشيخ محمد بن علاء الدين المزجاجي قال في النفس[1] اليماني والروح الريحاني ، واخذ عمن اخذ عنهم كشيخنا الوالد رحمه الله ، ثم توجه الى

---

(١) وهو كتاب نفيس جدا في اجازة القضاة بني الشوكاني من جمع الامام شيخ الاسلام مفتي اليمن السيد الجليل العلامة المولى المقطب الشهير عبد الرحمن بن سليمان بن يحيى بن عمر مقبول الاهدل رضي الله عنه وارضاه استكتبه المؤلف العالي الجاه امير الملك بهادر من زبيد واتى به الشيخ العلامة حسين بن محسن الانصاري شيخ المؤلف دام مجدهما . سيد محمد عبد الحي خان عفا الله عنه .

اقليم مصر واستكمل فيها العلوم النقلية والعقلية وبرع في جميع العلوم سيما علمي الحديث واللغة ، وأدرك شيوخنا من اهل الاسانيد العالية ، وألف التآليف النافعة الواسعة ، واستجاز لي منه شيخنا الوالد واجاز وكذلك استجاز لي منه السيد العلامة عبد الله السعدي مقبول الاهدل ، واجاز واستجاز منه لنفسه ولاولاد شيخنا الوالد القاضي العلامة محمد بن اسمٰعيل الربعي .

واجاز وكتب هذه الاجازة بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي اجاز على العمل الصحيح المقبول احسن اجازة ووعد بوجادة ذلك يوم مناولة الكتاب باليمين وعداً لا يخلف سبحانه انجازه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يسندها عن القلب اللسان ويرفع اسنادها على متن مسندها راية روايتها التي هي علم الايمان والصلوٰة والسلام على سيدنا محمد المرفوع قدره على كل نبي مرسل المطهر نسبه الزكي المسلسل وعلى آله وصحبه الذين قامت لهم بمتابعته شواهد التفضيل واضحى مدرجاً في اجمال ما شهد به كل تفصيل .

وبعد فلما اشرق سبحانه على من اسعده شمس العناية وجلى قلبه بنور التوفيق بكمال الرعاية ، ووالى عليه طول امداده عند بزوغ هلاله ، ولم يزل يعرج في منازل العزالى ان بلغ اوج كماله ، كان من اصدق ما صدقت عليه هذه العبارة واحرى من تنصرف اليه هذه الاشارة السالك بمقتضى التوفيق ابهج المسالك النبوية الراقي بهمته ذرى التحقيق ، فظفر منه بالغاية المقبولة المرضية ، وتحلى بالفضائل ما اوضح شاهده الدليل ، حيث صرف اوقاته النفيسة في التحصيل ، وارق فكره في التفريع والتأصيل ، الى ان اكتال من المعارف بالصاع الأوفى ، وروي من منهلها الاعذب الاصفى ، وتفيأ بظلال رياض العلوم بالمدد ، وروى حديث الفضل عالي السند ، وجاء مجلياً في حلبة الفواضل محرزا قصب السبق باطراف الانامل الا وهو النجيب الكامل صفي الاسلام ابو الامداد محمد نجل شيخنا الامام العلامة قاضي القضاة عماد الاسلام اسمٰعيل ابن

الشهاب احمد بن المرحوم ابراهيم بن عمر بن عبد القادر الربعي الاشعري ، وهو زاكي الحسب عريق في النسب اذ أمُّ جدهِ ابراهيم هي آمنة ابنة الفقيه العلامة محمد بن ابراهيم بن اسمعيل العلوي ، وقد تولى القضاء من اسلافهم جماعة في مور(١) والمهجم(٢) وبعضهم عند البدر الاهدل(٣) مترجم نفعنا الله ببركات السلف الصالح ، واعز جناب هذا الخلف الفالح ، وادام النفع به ، ووصل اسباب الخيرات بسببه آمين .

وقد دعاه حسن الظن بي ان كتب الي كتابا يستدعي فيه الاجازة مني حرصا على الانتظام في سلك من تحلّى بما خصت به هذه الامة من الاسناد ، والتمسك بسلسلته الموصلة لاشرف الرسل الى العباد ولقد ذكّرني حفظه الله بشيء كاد ان يكون نسياً منسياً ورعيا له فقد شوقني لما كان امراً ظاهرا فعاد خفياً فقد كان فيما عَبَر من الزمان يرحل الى الاسناد العالي الى شاسع البلدان وتطلب الاجازة من بعيد تلك الديار واطراف تلك الاقطار اما الآن فقد زال ذلك الانضباط وطوي ذلك البساط وتقاعدت الهمم عن طلبه وركّت عن السعي في تحصيل رتبه وذهب المسدون الخلة ومن كانت تزدهي بوجودهم الملة كأن لم يكن بين الحجون الى الصفاء انيس ولم يسمر بمكة سامر ولكن بقي من آثارهم بقايا في زوايا الزمان ممن تحمل عنهم خبايا ، والعبد بحمد الله ممن تردد الى مشائخ علم الحديث والاسناد قديما ، وصبغ بالتحمل عنهم في ساحته اديما ، وقد قرت عيني به الآن وابتهج خاطري بوجود طالب هذا الشان ، فلله الحمد على ذلك والشكر له على سلوك

---

(١) قرية من قرى اليمن على ثلث منازل من الحديدة في جهة الشام . منه .

(٢) قرية من قرى اليمن بالقرب من مدينة زبيد . منه .

(٣) هو السيد حسين الامام المحدث ابن عبد الرحمن الاهدل له تاريخ كبير اسمه تحفة الزمن في السادات والعلماء والاولياء من اهل اليمن في جلدين ضخمين وله ايضا حاشية على صحيح البخاري وكانت له رحمه الله تعالى يد طولى في علم السنة والتمسك باذيالها وله رسالة نفيسة في الرد على من يزعم حياة الخضر الى الآن وكانت وفاته في بندر عدن ابين . منه .

هذه المسالك ، فانه الموفق لما هنالك المعطي المانـع الملك المالك ، وقـد اجبـت لسيدنا المشار اليه الى مطلوبه ، وسعفته بتحصيل مرغوبه ، واجزته ان يروي عني جميع ما تجـوز لي وعنـي روايتـه من مقـرو ، ومسمـوع ، ومجـاز ، ومناولـة ، ووجـادة ، وكتابـة ، ووصية ، ومراسلـة ، وفـروع ، واصـول ، ومعقـول ، ومنقول ، ومنثور ، ومنظوم ،وتأليف ، وتخريج ، وكلام ، وتصوف ، ولغـة ، ونحـو ، وتصريف ، ومعـان ، وبيان ، وبـديع ، وتـاريخ ، ودواوين ، ومـا ألفته ، وخرّجته ، ونظمته ، ونثرته بشرطه الذي عليه عند اربـاب هذا الشـأن يعتمد ، وقرنت ذلك الاقتصار من الطرق التي رويت بها اعلى السند ، وكذلك اجزت بكل ما ذكر اولاد شيخنا الامام العلامة نفيس الاسلام سليمان بن يحيى بن عمر حفظه الله وحاطهم بحسن رعايته ولطيف كلاءته ذكوراً وإناثاً ، وانا اسأل من فضله أن لا ينساني من خالص دعواته في خلواته وجلواته ، واتوسل الى الله تعالى بخاتم انبيائه عليه افضل الصلوٰة والسلام ان يرزقني واياهم وجميع المسلمين حسن الختام آمين .

فأقول اخبرني ما بين قراءة وسماع واجازة خاصة وعامة مشائخنا الائمـة الاعـلام السيد نجـم الـدين ابـو حفص عمـر بن احمـد بن عقيل الحسينـي ، والشهابان احمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر المجرّي الملوي ، واحمـد بن حسن بن عبـد الـكريم بن محمـد بن يوسف الخالـدي ، وعبـد الله بن محمـد الشبراوي ،والسيدعبد الحي بن الحسن بن زين العابدين البهنسي خمستهم عن مسنِدِ الحجاز عطاء بن سالم البصري والشهاب احمد بن محمد النخلي . وشيخنا النجم ابو المكارم محمد بن سالم بن احمد الحفني عن المسنـد عبـد العـزيز بن ابراهيم الزيّادي . وشيخنا المتفنن احمد بن عبد المنعم بن صيام الدمنهوري عن الشمس محمد بن منصور الاطفيحي . وشيخنا ابو المعالي الحسن بن علي المدابغي عن عبد الجواد بن القاسم المحلي . وشيخنا المعمر السيد محمد بن محمد التليدي

عن ابي عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني . وشيخنا الشهاب احمد بن شعبان ابن غرام الرعيلي الشهير بالسابق قال هو وهـو اعلى بدرجـة والزرقانـي والمحلي والاطفيحي والزيادي والنخلي والبصري .

اخبرنا الحافظ شمس الدين محمد بن علاء الدين البـابلي وزاد الزرقانـي والاطفيحي والزيادي فقالوا وابو الضياء علي بن علي الشَبْرَامَلِّسِي .

واخبرنا شيخنا عبد الله محمد بن احمد العشماوي ، عن ابي العـز محمـد العجمي عن ابيـه محدث القـاهـرة الشهـاب احمـد بن محمـد العجمي قال هو والبابلي اخبرنا المسند نور الدين علي بن يحيى الزيادي عن كل من السندين يوسف بن زكريا ويوسف بن عبد الله الارميوني ، كلاهما ، عن الحافظ شمس الدين ابي الخير محمـد بن عبـد الرحمـن السخاوي . وبـرواية البـابلي والشبراملسي عن الشهاب احمد بن خليل السبكي ، وبرواية البابلي خاصة عن خاله سليمان بن عبد الدائم البابلي وابي النجا سالم بن محمد السنهوري ، وعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي ،والشهاب احمد بن محمد بن يونس الحنفـي ، والمعمر محمد بن محمد بن عبد الله القلقشندي الواعظ خمستهم ، عن نجم السنة محمد بن احمد بن علي الغيطي عن شيخ الاسلام زكريا بن محمد الانصاري .

وبرواية السنهوري عن الشهاب احمد بن محمد بن علي بن حجر المكي ، عن شيخ الاسلام ، وعن عبد الحق بن محمد السنباطي .

وبرواية الواعظ ايضا عن احمد بن محمد السبكي عن الجمال ابـراهيم بن احمد بن اسمعيل القلقشندي .

وبرواية شيخ مشائخنا البصري ، عن علي بن عبد القادرالطبري ،عن عبد الواحد بن ابراهيم الخطيب ، عن الشمس محمد بن ابراهيم العمري هو والجمال القلقشندي والسنباطي وشيخ الاسلام والسخاوي ، عن حافظ الامـة شهـاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن محمد العسقلاني الشهير بابن حجر قدس الله سره باسانيده المتفرعة الى ائمة الكتب الستة وغيرهم مما اوردها في كتاب المعجم

المفهرس وهو في جزء حافل وبرواية عبد الواحد الخطيب ايضا عن الجلال عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي هو والارميوني وابو زكريا ايضا عن الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي باسانيده المذكورة في معجمه .

ومن مشائخي الإمامان الفقيهان محمد بن عيسى بن يوسف الدنجاوي ومصطفى بن عبد السلام المنزلي اخذت عنهما بثغر ذمياط وهما يرويان عن الامام ابي حامد بن محمد البُديري عن الشيخ ابراهيم الكوراني وقريش بنت عبد القادر الطبري ومحمد بن عمر الشوبري ومحمد بن داود العناني والمقري محمد بن قاسم البقري واحمد بن عبد اللطيف البشيشي باسانيدهم .

ومن مشائخي سالم بن احمد النفراوي وسليمان بن مصطفى المنصوري وابو السعود محمد بن علي الحسني وعبد الله بن عبد الرزاق الحريري ومحمد بن الطيب الفاسي ومحمد بن عبد الله بن ايوب التلمساني الشهير بالمنور وعلي بن العربي السقاط وعمر بن يحيى الطحلاوي وغيرهم .

ومن كتب بالاجازة اليّ جماعة اجلهم الشهاب احمد بن علي الميني الحنفي من دمشق وعلي بن محمد السلمي من صالحيتها .

وابو المواهب محمد بن صالح بن رجب القادري .

ومحمد بن ابراهيم الطرابلسي النقيب ومحمد بن طهٰ العقاد واحمد بن محمد الحلوي اربعتهم من حلب .

والمسند ابو عبد الله محمد بن احمد بن سالم السفاريني الحنبلي من نابلس واحمد بن عبد الله السنوسي ومحمد بن علي بن خليفة الفريابي كلاهما من تونس .

ولي غيرهم من الشيوخ ذي الرسوخ الموصوفين بالصلاح المنتظمين في سلك ذوي الفلاح تغمدهم الله بعفوه وزادهم من سلسبيل الجنة بصفوه وأسانيدهم مشهورة وفي صحف السماعات مسطورة اوزعنا الله واياهم شكر نعمته وجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمته على بساط انسه وحضرة قدسه .

ومما نسب من التأليف والتخريج فشرح القاموس المسمى بتاج العروس في عشرة اسفار كبار أتمته في اربع عشرة سنة .

وشرح احياء علوم الدين اعانني الله على اكماله وقد وصلت فيه الى كتاب الصلوٰة .

وتكملة القاموس مما فاته من اللغة لم يكمل .

وشرح حديث ام زرع احد عشر مجلسا .

ورفع الكلل عن العلل .

وتخرج حديث شيبتني هود .

وتخريج حديث نعم الادام الخَلّ .

والمواهب الجلية فيما يتعلق بحديث الاولية .

والمرقاة العملية في شرح الحديث المسلسل بالاولية .

والعروس المجلية في طرق حديث الاولية .

وشرح الحزب الكبير للشاذلي المسمى بتنبيه المعارف البصير على اسرار الحزب الكبير وانالة المنى في سرّ الكنى .

والقول المبتوت في تحقيق لفظ التابوت .

وحسن المحاضرة في آداب البحث والمناظرة .

ورسالة في اصول الحديث .

ورسالة في اصول المعمى .

وكشف الغطا عن الصلوٰة الوسطى .

والاحتفال بصوم الست من شوال .

وايضاح المدارك عن نسب العواتك .

واقرار العين بذكر من نسب الى الحسن والحسين والابتهاج بذكر امر الحاج .

والفيوضات العلية بما في سورة الرحمن من اسرار الصيغة الآلهية .
والتعريف بضروري علم التصريف .
والعقد الثمين في طرق الالباس والتلقين .
واتحاف الاصفيا بسلاسل الاولياء .
واتحاف بني الزمن في حكم قهوة اليمن .
واتحاف الاخوان في حكم الدخان .
والمقاعد العندية في المشاهد النقشبندية مائة وخمسون بيتا .
والدرة المضيئة في الوصية المرضية مائتان وعشرون بيتا .
وارشاد الاخوان الى الاخلاق الحسان مائة وعشرون بيتا .
وألفية السند في الف وخمسمائة بيت وشرحها في عشرة كراريس .
وشرح صيغة ابن مشيش .
وشرح صيغة السيد البدوي .
وشرح ثلث صيغ لابي الحسن البكري .
وشرح سبع صيغ المسمّى بدلائل القرب للسيد مصطفى البكري .
والازهار المتناثرة في الاحاديث المتواترة .
وتحفة العيد في كراس .
وتفسير سورة يونس على لسان القوم .
ولقطة العجلان في ليس في الامكان ابدع مما كان .
والقول الصحيح في مراتب التعديل والتجريح .
والتحبير في الحديث المسلسل بالتكبير .
والامالي الحنفية في مجلد .

والامالي الشيخونية في مجلدين ، وقد بلغت اربعمائة مجلس الى وقت تاريخ الكتابة الى غير ذلك من رسائل منظومة ومنثورة مما لست احصي اسماءها الآن .

وقد اجزتُ السيد المشار اليه ومن ذكر معه بكل ما ذكر اجمالا وتفصيلا اجازة عامة وخاصة قاله بفمه ورقمه بقلمه الفقير لمولاه الشاكر لما اولاه ابو الفيض محمد مرتضى بن محمد الحسِّيني نزيل مصر وخادم علم الحديث بها غفر الله زلله واصلح خلله وتقبل عمله وبلغه امله في مجلس واحد من ليلة خرج المحمل الشريف وهي ليلة الاثنين تاسع شهر شوال سنة ١١٩٥ احسن الله تمامها واسعد عامها والحمد الله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ووصل من السيد المذكور الى شيخنا الوالد هذا الكتاب المشتمل على شرح بعض احواله ومن ادركه من أهل الاسانيد العالية وصورته .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أستخدم نسائم الكمائم في ابلاغ تحياتي الى جناب ذي الفضائل من مناهل المعارف من ندى مسائله .

واستودع لمعان البوارق امام الغوادي تسليماتي على حمال اهل الفواضل الناهض باعباء علوم الشريعة على كاهله .

مَنْ قد كوكَبَ فضله واشرق .

ومآس غصن شمائله فاروق .

وتساوي في الثناء عليه يومه والأمس .

واضاءت به افلاك المكارم ولا بدع فانه الشمس .

مستوطن سنام المجد الباذخ .

مقتعد صهوة الشرف الشامخ .

مشكوة العلوم اذا اظلمت سبل الجهالة .

ضياء العلوم اذا دارت على بدرها المنير هاله .

السيد الشريف الجهيد العلامة العفيف شيخنا واستاذنا السيد سليمان بن يحيى .

لا زالت ربوع المكارم بحسن انظاره تحيى آمين .

أما بعد فقد وصل كتابكم اولا وثانياً وكانا مع الفرح تؤامين .

وقرأناهما فقرت بمضمونها العين وزال الغين ، وماذا اصف وحسبي ان اقف فالطوامير بالنسبة الى شكره قصاصات عصفت بها الرياح ، والمناشير ولو كانت طلاع ما بين الثرى والاثير نبذت في جوانب فيافي البطاح ، واشواقي الى مشاهدة تلك الربوع الانيسة ، ومشاهدة جماله الباهي فيها مع الاستئناس بحضرات الاحباب الكرام في تلك المشاهدة الزكية المأهولة لا قدرة على ابراز مجملها فضلا عن مفصلها ، كيف وقد ترادفت جيوشها وتلاطمت امواجها ولمعت بوارقها ، ولكني اسأل الواهب المنان كثير الجود والاحسان ان يقدر لي الوصول الى تلك الديار ، لأجدد عهدي وانسي بأولئك السادة الابرار فان هذا القدر الذي وصلت اليه ، انما هو من بركات ملاحظاتهم واسرار مشاهداتهم .

وقد اتفق اني حررت الجواب الذي ورد علينا سابقا مع الكتاب المرسل الى حضرة شيخنا المرحوم قطب المكارم السيد الوجيه العيدروس وارسلناهما وفيه بيان بعض الاخبار وافشاء نبذ من الاسرار ، ثم اخبرت فيما بعد ان جواب مكتوبي لم يصل الى حضرتكم قال ذلك بعض طلبة العلم الشيخ علي العديني فقلت لعله خير ، وانما يمنعني من ارسال المكاتيب كثرة اشغالي وتضاعيف الهموم والأحزان بالقلب البالي ، والتي لا يخلو الانسان منها ولو كان في اجل النعم ثم الذي أخبركم مما منّ الله تعالى به علي اني حين وصولي الى مصر افترصت المدة وانتهزت القعدة فأكببت على تحصيل العلوم وتكميل منطوقها والمفهوم وتشرفت بالسماع الصحيح على مسنديها الموجودين .

فمن الطبقة الاولى وهم الذين ادركوا البصري والنخلي والبنا والبقري والعجيمي جماعة وهم الشيخ احمد بن عبد الفتاح بن يوسف المجري الملوي ،

ورفيقه في الأخذ الشهاب احمد بن حسن بن عبد الكريم الخالدي الجوهـري ، وعبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي ، والشمس محمد بن احمـد بن حجـازي العشماوي ، والشهاب بن عبد المنعم صائم الدمنهوري ، وسابق بن رمضان بن غرام الرعيلي الشافعيون والاخير ادرك الحافظ البابلي واجازه لأنه ولد سنة ١٠٦٨ والبابلي وفاته سنة ١٠٧٨ وتوفي شيخنا المذكور في سنة ١٠٨٣ بعد وفاة شيخنا الشبراوي ، فهذا الرجل اعلى من وجدته سنداً بالـديار المصرية وكان له درس لطيف بالجامع الازهر يحضر عليه الافراد ولم يتنبه لعلو سنده الا القليل لاشتغالهم بأحوالهم .

ثم ادركت الطبقة الثانية وهي مضاهية للاولى ومشاركة لهم فمنهم الشيخ سليمان بن مصطفـى المنصـوريّ الحنفـي ، والشيخ حسـن بن علي المدابغـي الشافعي ، والسيد محمد بن محمد التليدي الحسيني المالكي ، وعمر بن علي بن يحيى الطحلاوي المالكي ، والقطـب عبـد الوهـاب بن عبـد السـلام المرزوقـي العفيفي المالكي ، وعبد الحي بن الحسن الحسنـي البهنسي المالـكي ، وعلي بن موسى الحسني المقدسي الحنفي ، ومحمد بن سالم الحنفي .

ثم ادركت بعد هؤلاء طبقة اخرى مشاركة لهم وهم كثيرون ورحلت الى بيت المقدس فحطت بها جماعة مسندين وفي الرملة وثغريا واودمياط ورسد والحلة وسهنود والمنصورة وابو صير ودمنهور وعدة من قرى مصر . سمعت بها الحديث كما هو مذكور في المعجم الكبير الذي ذكرت فيه تفصيل ذلك .

ورحلت الى أسيوط وجرجان وفرشوط وسمعت في كل منها واجازني من مدينة حلب جماعة ، ومن مدينة فاس وتونس وسولا وتلسمان جماعة وادركت من شيوخ المغاربة جماعة مسندين بمصر وغيرها .

وممن كتبت اليه استجيز منه لي ولحضرتكم ولاخيكم السيد ابكر[١] ومحبنـا

---

(١) كذا في محاورة اهل اليمن الحادثة في هذا الزمن يسمون بكرا أبكر بزيادة الالف قبل الموحدة .

العلامة عثمان الجبيلي خاتمة المحدثين بمدينة نابلس من الشام الشمس محمد بن احمد بن سالم السفاريني الحنبلي وذلك في سنة تسع وسبعين ومائة وألف ، فوصلت منه الاجازة وفيها اساميكم مسطرة على التفصيل في نحو كراس اخذها مني الشيخ عبد القادر بن خليل المدني الذي وصل اليكم من مدة ثلث سنوات وفي ظني الغالب انه اجتمع بكم وأراكم هذه الاجازة ، ثم ان المذكور ورد علينا من اليمن وتوجه الى نابلس وتوفي هناك وبقيت الاجازة في جملة كتبه فان اطلعتم عليها وكتبتم منها نسخة فيها وان لم تطلعوا عليها فان اسانيد الشيخ المشار اليه المجيز لكم محفوظة عندي فان سمحت نفسكم بالعمل بهذه الاجازة وطلبتم شيوحه ارسلت لكم ذلك .

ومما منَّ الله تعالى عليّ اني كتب على القاموس شرحاً غريباً في عشر مجلدات كوامل جملتها خمسمائة كراس مكثث مشتغلا به اربعة عشر عاما وشهرين ، واشتهر امره جدا حتى استكتبه ملك الروم نسخة ، وسلطان دارفور نسخة ، وملك الغرب نسخة ، ونسخة منها موجودة في وقف امير اللوا محمد بيك بمصر بذل في تحصيله الف ريال والى الآن الطلب من ملوك الاطراف غير متناه ، واتفق انه جاءني كتاب من السيد العلامة فخر السادة الملوك الاشراف مولانا السيد[1] عبد القادر الكوكباني صحبة فخر السادة الاشراف السيد علي الفتاوي يطلب نسخة من الكتاب فحصلت له الجزء الاخير منه ، وهو مشتمل على شرح الواو والياء المسمى بالاعياء الى آخر الكتاب وهذا العام قد توجه به السيد المذكور الى بلاد اليمن فان سمح خاطركم بارسال مكتوب الى السيد عبد القادر المشار اليه بتحصيله بالاستكتاب فلا بأس ، وان قدر الله الارسال اليكم بشيء من اوله فعلت وسأفعل ان شاء الله تعالى .

---

(١) هو استاذ الامام الشوكاني رحمهما الله .

ثم اذن لي بالقاهرة في درس الحديث فشرعت في اقراء صحيح البخاري في مسجد شيخون بالصليبية ، مع املاء حديث عقب الدرس على طريقة الحفاظ بسنده والكلام عليه بمقتضى الصناعة الحديثية ، فحررت تلك الامالي الى الآن فبلغت نحو اربعمائة مجلس في كل جمعة يومان فقط الاثنين والخميس ، وقد جمع ذلك في مجلدات ونقلها الناس ، وانا الى الآن مستمر على هذه الطريقة ودرس آخر في الشمائل بالترمذي في مقام القطب شمس الدين ابي محمود الحنفي قدس الله سره .

ولما وصلت الى حديث ام زرع امليت عليه نحو سبعة كراريس واكثر في اربعة عشر مجلساً ، ونقلته الطلبة واشتهر بينهم وكتبت اجازة الى غزة ودمشق وحلب وعين ناب واذربيجان وتونس وحرار ونادلا وديار بكر وسناد ودارفور ومدراس وغيرها من البلدان على يد جماعة من اهلها الذين وفدوا علي وسمعوا مني واستجازوا لمن هناك من افاضل العلماء ، فأرسلت اليهم مطلوبهم ، وتلك الاسانيد غالبها ما استفدنا منكم ومن حضرة شيخنا المرحوم عبد الخالق بن ابي بكرالمزجاجي ، ولقد حصلت الاسانيد شهرة في الديار المصرية والشامية والرومية والمغربية واطرافها مما لا أحصي بيانه والحمد الله الذي وفقني لاحياء مراسم أشياخي وانعاش ذكرهم على ممر الزمان ، ولم ازل في مجالسي احييها بذكركم واشوق الناس الى زكي محاسنكم ، وكتبت في هذه المدة عدة رسائل ما بين مختصر ومطول .

فمن ذلك جزء في تخريج حديث شيبتني هود .

وجزء في تخريج حديث نعم الآدام الخل .

وجزء في تحقيق الصلوة الوسطى .

وجزء في تخريج هذا العلم من كل خلف عدوله .

والأربعين المنتقى من العلل للدارقطني والكلام معه بمقتضى الصناعة .

ومعارف الابرار فيما للكنى والالقاب من الأسرار .
وجزء في تخريج حديث اسمح يسمح لك .
والعقد المنظم في امهات النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
والعقد الثمين في رجال الخرقة والذكر والتلقين .
والفوائد الجليلة على مسلسلات ابن عقيلة عشرة كراريس .

والمرقاة العلية في شرح المسلسل بالاولية وضعتها على ترتيب منتهى الآمال في حديث انما الأعمال للحافظ السيوطي وغير ذلك مما لم يحضرني حال تسطير الاحرف وهي كثيرة ، ومن اعظم ذلك اني شرعت في شرح كتاب الأحياء للغزالي وامليته درساً فأتممت شرح كتاب العلم وحده في نحو سبعين كراسا ، والعام الماضي جاءني كتاب من عالم مكة وصالحها مولانا الشيخ ابراهيم الزمزمي يطلب ما تيسر منه فنقل له من المسودة نحو عشرين كراسا ، وارسلت اليه هذا العام ولكن بعد ارسال ذلك اليه حين التبييض زدت فيه من فوائده المغلقة به شيئا كثيرا حتى ان الكتاب مغائر له ، وقد عزمت في هذه السنة على ارسال ما بيضته وزدت عليه ليكون الاعتماد على النسخة الاخيرة ، فاذا ارسلتم الى مكة من يستكتب لكم منه نسخة فانه قريب الحصول ومع ذلك فاني نويت على ارسال شرح كتاب العلم منه الى حضرتكم السعيدة مع شيء من شرح القاموس ، فان ساعدت الاقدار بحصول امنيتي فعلت ذلك وسأفعله ان شاء الله تعالى ، وهذا الشرح يا مولانا غريب الشكل والوصف فانه قد حضرت لي المواد المتعلقة به ما لا احصيها لكثرة وغرابة وهي مذكورة في اوله ، ثم انه شرح ممزوج متكفل لبيان رموزه ونسخه واشاراته ومآخذه ، ونرجو من علو همتكم ان لا تنسوا تلميذكم من صالح الادعية وبالتوفيق والرضا والتيسير للعمل الصالح خصوصا اتمام هذا الشرح على الوتيرة المرضية ، وساعة تاريخ الجواب كنت اشرح الرسالة القدسية وهو ثاني كتاب بعد كتاب العلم ، وقد بقي منه شيء قليل ، وسنشرع في كتاب

اسرار الطهارة ان شاء الله تعالى كل ذلك ببركة نفسكم الطاهر ، ودعائكم الفاخر ، فالبعد الظاهر لا عبرة به عند ارباب القلوب والله علام الغيوب .

ونخبر شيخنا أدام الله فضله علينا ان في جواب الكتاب السابق الذي لم يصل اليكم كنت ارسلت استجيز منكم لي على سبيل التجديد ثم الجماعة من خواص احبابي الذين يترددون علي للتلقي ولهم بنا صحبة ومحبة واشتياقهم لحضرتكم شديد وانما منعهم من الوصول اليكم بُعد الديار وكثرة الاخطار ، وارجو من فضلكم ارسال اجازة لي منكم ولمن يسمى بعد في هذه المحلة ، واذا كتبتم الاجازة في كراريس فليكتب عليها كذلك من بقي الآن بمدينة زبيد حرسها الله من المسندين المعمرين كل ذلك بهمتكم ويكون ارسالها على يد من يعتمد عليه من الثقات لا زلتم اهلا لانجاح الحاجات .

وهذه اسامي المجازين بعد كاتبه الفقير معيد دروسنا السيد الفاضل ابو الصلاح الحسين بن عبد الرحمن الحسيني الشيخوني .

وابو العدل موسى بن داوود بن سليمان الحنفي خطيب المسجد الذي انا اقرأ فيه .

والشيخ الصالح ابو البر احمد بن يوسف الحسيني الشنواني .

وابو الصلاح يوسف بن نور الدين الطحلاوي المالكي خطيب جامع توضون .

ورضوان بن عبد الله الدفراوي مولى نعم ولاولاده ابو البقاء وعثمان ومحمد واحمد وسليمان ونفيسة وابو العرفان عبد الرحمن بن احمد بن محمد الحلواني الحنفي ، ولوالده المذكور ، وفتايَ بلال الحبشي ، وزوجي زبيدة بنت المرحوم ذو العفار الدمياطي ! وفتياتي سعادة ورحمة الحبشيتان كل ذلك بتصريح اساميهم تفصيلا مع ذكر ما ينبغي ذكره من اللطائف الاسنادية والغرائب الحديثية ، وذكر بعض الكتب من اسانيد والدكم المرحوم ومشائخكم الذين اخذتم عنهم والله

يجزيكم عنا كل خير ويمد في حياتكم وعمركم ويجعلكم ملجأ الوافدين .

ثم المسؤول ابلاغ شريف سلامي وتحياتي الى حضرة سلالة المشائخ الكرام العارف بالله سيدنا الوجيه عبد الرحمن المشرع ، وقد كنت حررت له جوابا في طي جوابكم ولم يتفق وصوله ، والى حضرة اخيكم وصنوكم السيد ابي بكر ومحبنا الفقيه العلامة عثمان الجبيلي ، ثم الى حضرة شيخنا العلامة عبد الله الجوهري ، ثم الى حضرة سيدنا الامام العلامة القاضي اسمعيل الربعي ، ثم الى اولاد شيخنا المرحوم عبد الخالق بن ابي بكر والى اولاد شيخنا المرحوم محمد بن علاء الدين ، ثم كل من يسأل عنا ويحويه مجلسكم السعيد وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم انتهى ما في النفس اليماني والروح الريحاني .

واقول ان السيد اصله من السادة الواسطية من قصبة بلكرام وهي على خمس فراسخ من بلدتنا قنوج ما وراء نهر كنك .

قال السيد العلامة مير غلام على آزاد البلجرامي قدس سره السامي في مآثر الكرام تاريخ بلجرام تحت ترجمة السيد قادري ما تعريبه .

ومن نبائره السيد محمد مرتضى بن السيد محمد بن السيد قادري ، حصّل الكتب العربية ووُفّق في حداثة السن لمزيارة الحرمين الشريفين في سنة اربع وستين ومائة والف الهجرية ، واكتسب علم الحديث الشريف في اماكن متبركة ، وهو نزيل زبيد اليمن في هذه الأيام يستند فن الحديث عند الشيخ عبد الخالق الزبيدي بارك الله في عمره واولاده الترقيات الدينية انتهى .

قلت وقد اقام رحمه الله بزبيد حتى قيل له الزبيدي واشتهر بذلك واختفى على كثير من الناس كونه من الهند ومن بلجرامها ، وقد ذكر في برنامجه الذي كتبه لنسيد باسط علي بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد قادري بمصر نحوا من ثلثمائة مشائخ له الذين اخذ عنهم العلم ، وسمى منهم من علماء الهند ومشائخها الشيخ المحدث العلامة محمد فاخر بن محمد يحيى الآله آبادي

المتخلص بالزائر ، ومسند الوقت الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي صاحب كتاب حجة الله البالغة قال وحضرت بمنزله في دهلي .

وقد اجاز له مشائخ المذاهب الأربعة وعلماء البلاد الشاسعة ، ولقي الشيخ ابا الحسن بن محمد صادق السندي المدني صاحب الشروح على الصحاح الستة ، والمولوي خير الدين السورتي بن محمد زاهد وغيرهما .

ومؤلفاته المذكورة في البرنامج تزيد على مائة كتاب ، وذكر مشائخه وكتبه فيه على ترتيب حروف الأعجام ، وقد طبع كتابه تاج العروس شرح القاموس لهذا العهد بمصر القاهرة لكن خمس مجلدات منه فقط وهو شاع في الامصار وبلغ الى الاقطار يتضح من النظر فيه علو كعبه في علم اللغة ، وكونه اماما فيه ، وشرحه هذا يغني عن حمل جملة الدفاتر المؤلفة في فن اللغة .

وقد وقع تأليفه في علم الفقه والحديث واصولهما والتصوف والسير وكلها نافعة مفيدة على اختصار في اكثرها وعندي منها نحو سبع عشرة رسالة ، واستجاز منه الملك الاعظم ابو الفتح نظام الدين عبد الحميد خان سلطان الروم لكتب الحديث فكتب له الاجازة وسند الحديث المسلسل المأثور المشهور الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى مع غيره من الاجازات اولها الحمد الله الذي رفع مقام اهل الحديث مكاناً علياً الخ وكان ذلك في سنة ١١٩٣ واتحف معها الى السلطان قصيدة نظمها في مدحه اولها :

سقى الله ربعاً كان لي فيه مربعا ... ومغنى به غصن الشبيبة اينعا
وحيّا مقاما كان لي فيه جيرة ... بهم كان كأسي بالفضائل مترعا
الا وَرَعَا دهرا تقضّي بأنسهم ... ولولا الهوى ما قلت يوما له رعا
خليلي ما لي كلما لاح بارق ... تكاد حصاة القلب ان تتصدعا
وان نسمت ريح الصبا من ديارهم ... بكت اعيني دمعا يساجل ادمعا

الى آخر الأبيات وكتب اجازة اخرى ايضا للدستور الاعظم ابي المظفر

محمد باشا صدر الوزارة ونظام الملك اولها الحمد لله الذي دل على الخيرات والبرنامج المشار اليه عليه خطه بقلمه الشريف مؤرخة لسنة ١٣٠٠ وكان وفاته رحمه الله بعد تلك السنة .

ولي منه رحمه الله قرابة قريبة من جهة الاخوات يصل نسبنا الى سيد الساجدين الامام زين العابدين علي بن حسين بن علي السبط رضي الله عنه ، وينتهي نسبه الى زيد الشهيد بن الامام زين العابدين السبط فهو شبل ذاك الاسد ونخبة اهل هذا البيت المجد .

وانما اطلت الكلام في ترجمته هذه لجهل اكثر اهل العلم عن حاله ومآله وقد افنى رحمه الله عمره في اشتغال العلم والتدريس بمصر والعلم عند الله سبحانه وتعالى .

ابو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي الكوفي صاحب اللغة وهو من موالي بني هاشم كان احد العالمين باللغة المشهورين بمعرفتها .

اخذ الادب عن الكسائي وغيره .

واخذ عنه ثعلب وابن السكيت وغيرهما ، وناقش العلماء واستدرك عليهم وخطأ كثيراً من نقلة اللغة ، وكان رأساً في الكلام الغريب ، وكان يزعم ان ابا عبيدة والاصمعي لا يحسنان شيئا وكان يقول جائز في كلام العرب ان يعاقبوا بين الضاد والظاء فلا يُخطّى من يجعل هذه في موضع هذه وينشد :

الى الله اشكو من خليل اودّه ثلث خلال كلها لي غائض بالضاد

ويقول هكذا سمعته من فصحاء العرب .

وكان يحضر مجلسه خلق كثير من المستفيدين ويملي عليهم .

ولد في الليلة التي مات فيها الامام ابو حنيفة رحمه الله وذلك في رجب سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٣١ بسُرّ من رأى .

والاعرابي نسبة الى الاعراب يقال رجل اعرابي اذا كان بدوياً وان لم يكن

من العرب ، ورجل عربي منسوب الى العرب وان لم يكن بدويا ، ورجل اعجم واعجمي اذا كان في لسانه عجمة وان كان من العرب ، ورجل عجمي منسوب الى العجم وان كان فصيحا .

ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي اللغوي البصري ، امام عصره في اللغة والادب والشعر الفائق ، اورد اشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين .

له كتاب الجمهرة وهو من الكتب المعتبرة في اللغة ، وله كتاب الاشتقاق ، وكتاب اللغات .

وكان يقال هو اعلم الشعراء واشعر العلماء .

ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ وتعلم فيها اخذ عن ابي حاتم السجستاني والرياشي والاصمعي ، ثم سكن عمان ، ثم خرج الى نواحي فارس ، ثم انتقل الى فارس ذكر له ابن خلكان ترجمة حافلة توفي رحمه الله سنة ٣٢١ ببغداد .

ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري صاحب الكشاف الذي لم يصنف قبله مثله .

كان اماماً في اللغة والنحو وعلم البيان من غير مدافع ، تشد اليه الرحال في فنونه .

له الفائق في غريب الحديث ، واساس البلاغة في اللغة ، وربيع الابرار ، وضالة الناشد ، والرائض في الفرائض ، والمفصل في النحو ، وشقائق النعمان في حقائق النعمان ، وشافي العي من كلام الشافعي رحمه الله والقسطاس في العروض ، ومعجم الحدود ، والمنهاج في الأصول ، ومقدمة الأدب وغير ذلك .

وكان قد سافر الى مكة حرسها الله تعالى وجاور بها زمانا فصار يقال له جار الله لذلك ، وكان هذا الاسم علما عليه .

قال ابن خلكان وسمعت من بعض المشائخ ان احدى رجليه كانت ساقطة وانه كان يمشي في جارن خشب ثم ذكر لذلك قصة ، وكان معتزلي الاعتقاد

متظاهراً به ولد سنة ٤٦٧ بزمخشر قرية كبيرة من قرى خوارزم وتوفي سنة ٥٣٨ بجرجانية وهي قصبة خوارزم وهي على شاطىء جيحون رحمه الله تعالى .

ابو عبيدة معمر بن المثنى البصري اللغوي النحوي العلامة ، قال الجاحظ لم يكن في الارض خارجي ولا جماعي اعلم بجميع العلوم منه ، وكان يبغض العرب والف في مثالها كتباً ، وكان يرى رأي الخوارج ، وكان ابو نواس يتعلم منه ويصفه ويسب الاصمعي ويهجوه ، وكان اذا انشد بيتا لا يقيم وزنه ، واذا تحدث او قرأ ألحن ويقول النحو محدود ولم يزل يصنف حتى مات وتصانيفه تقارب مائتي مصنف ذكر منها عددا وافراً في ابن خلكان ، وقال ولولا خوف الاطالة لذكرت جميعها .

وكان الاصمعي اذا اراد الدخول الى المسجد قال انظروا لا يكون فيه ذاك يعني ابا عبيدة خوفا من لسانه فلما مات لم يحضر جنازته احد لانه لم يكن يسلم من لسانه احد لا شريف ولا غيره ، وكان وسخاً الثغ ، مدخول النسب مدخول الدين ، واخباره كثيرة ذكر جملة صالحة منها في وفيات الاعيان ولد في سنة ١١٠ في الليلة التي توفي بها الحسن البصري وتوفي في سنة ٢٠٩ .

ابو يوسف يعقوب بن اسحق المعروف بابن السكيت صاحب كتاب اصلاح المنطق وغيره ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ، وكان يؤدب اولاد المتوكل .

روى عن الاصمعي وابي عبيدة والفراء ، وكتبه جيدة صحيحة ولم يكن له نفاذ في علم النحو وكان يميل في رأيه واعتقاده الى مذهب من يرى تقديم علي بن ابي طالب ، قال ثعلب : كان ابن السكيت يتصرف في انواع العلوم وكان من اصحاب الكسائي حسن المعرفة بالعربية ، ولم يكن بعد ابن الاعرابي اعلم باللغة منه ، وله شعر حسن وكتب كثيرة ، ذكر جملة منها ابن خلكان .

قال بعض العلماء ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل اصلاح المنطق

ولا شك انه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ولا نعرف في حجمه مثله في بابه .

قتل بأمر المتوكل في سنة ٢٤٤ وبلغ عمره ثمانيا وخمسين سنة لان المتوكل كان كثير التحامل على علي بن ابي طالب وابنيه ، وكان ابن السكيت من المغالين في محبتهم والتوالي لهم ، فقال والله ان قنبراً خادم علي رضي الله عنه خير منك ومن ابنيك فقال المتوكل سلوا لسانه من قفاه ففعلوا ذلك به فمات رحمه الله .

علماء التصريف

مازن ابو عثمان بكر المازني بصري .

روى عن ابي عبيدة والاصمعي وابي زيد .

وروى عنه المبرد وجماعة ، وهو اول من دوّن علم الصرف ، وكان اماماً في العربية متسعاً في الرواية يقول بالارجاء ، وكان لا يناظره احد الا قطعه بقدرته على الكلام ، وقد ناظر الاخفش في اشياء كثيرة فقطعَه قال المبرد ولم يكن بعد سيبويه اعلم بالنحو منه .

واخذ عن الاخفش وقيل عن الجرمي ، واختلف اليه الى ان برع وكان يناظره ، وكان يقول من اراد ان يصنف كتابا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي مات في سنة ٢٤٨ كذا قال الخطيب البغدادي وقال غيره مات سنة ٢٣٠ .

عثمان بن جني ابو الفتح كان من احذق اهل الادب واعلمهم بالنحو والتصريف وعلمه بالصرف اقوى واكمل من علمه بالنحو .

وسببه انه كان يقرأ النحو بجامع الموصل فمرّ به ابو علي الفارسي فسأله عن مسئلة في التصريف فقصر فيها فقال له ابو علي (تَزَبَّبْتَ قَبْلَ أنْ تُحصرم) فلزمه من يومئذ مدة اربعين سنة واعتنى بالتصريف ، ولما مات ابو علي تصدر ابن جني

مكانه ببغداد واخذ عنه عبد السلام البصري وابو الحسن السمسمي .

قال في دمية القصر وليس لاحد من ائمة الادب في فتح المخلقات وشرح المشكلات ما له سيما في علم الاعراب ، وكان يحضر عند المتنبي ويناظره في النحو من غيران يقرأ عليه شيئا من شعره انفة واكباراً لنفسه ، وكان المتنبي يقول فيه : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس ،صنف الخصائص في النحو وغيره ،مولده قيل سنة ٣٠٣ ومات في صفر من سنة ٣٩٢ .

محمد بن عبد الله بن مالك جمال الدين ابو عبد الله الطائي الجياني الشافعي النحوي نزيل دمشق امام النحاة وحافظ اللغة .

قال الذهبي ولد سنة ٦٠٠ او سنة ٦٠١ وسمع بدمشق من السخاوي والحسن الصباح وجماعة .

واخذ العربية عن غير واحد ، وجالس بحلب ابن عمرون وغيره وتصدر بها الاقراء العربية وصرف همته الى اتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية ، وحاز قصب السبق وأربى على المتقدمين .

وكان اماماً في القراءة وعللها .

واما اللغة فكان اليه المنتهى في الاكثار من نقد غريبها والاطلاع على وحشيها .

واما النحو والتصريف فكان فيه بحراً لا يجارى وبراً لا يبارى .

واما اشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو فكان الائمة الاعلام يتحيرون فيه ويتعجبون من اين ياتي بها وكان نظم الشعر سهلا عليه رجزه وطويله وبسيطه وغير ذلك ، هذا ما هو عليه من الدين المتين وصدق اللهجة وكثرة النوافل وحسن السمت ورقة القلب وكمال العقل والوقار والتؤدة .

اقام بدمشق مدة يصنف ويشغل .

روى عنه ابنه الامام بدر الدين والشمس بن ابي الفتح والبدر بن جماعة

والعلاء بن العطاء وخلق انتهى كلام الذهبي .

قال ابو حيان لم يكن لابن مالك شيخ مشهور يعتمد عليه الا ان بعض تلامذته ذكر انه قال قرأت على ثابت بن حيان وجلست في حلقة ابي علي بن الشلوبين نحواً من ثلٰثة عشر يوما ولم يكن ثابت بن حيان من ائمة النحو وانما كان من ائمة المعربين .

قال السيوطي وله شيخ جليل هو ابن يعيش الحلبي .

واما تصانيفه فكثيرة جدا منها الألفية في النحو تسمى الخلاصة والعمدة واكمال العمدة وشرحها ، والتسهيل وشرحه ولم يتم ، وقصيدة في الافعال ، وارجوزة في المثلث ، وقصيدة في المقصور والممدود وشرحها ، واعراب بعض احاديث صحيح البخاري ، وقصيدة في الضاد والظاء ، واخرى فيما هو مهموز وغير مهموز ، وتعريف في الصرف وشرحه ، وسبك المنظوم وفلك المحتوم الى غير ذلك ، تصدر بالتربة العادلية والجامع المعمور وتخرج به جماعة كثيرة ، وصنف تصانيف مشهورة ، واذا صلى بالعادلية وكان امامها يشيعه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان الى بيته تعظيما له ، وكان آية في الاطلاع على الحديث ، واذا لم يجد شاهدا في القرآن عدل الى الحديث ثم الى اشعار العرب ، وكان كثير العبادة والنوافل حسن السمت كامل العقل .

وانفرد عن المغاربة بشيئين : الكرم ، ومذهب الشافعية ، وكان الشيخ زكي الدين القريع يقول ان ابن مالك ما خلّى للنحو حرمة توفي ابن مالك رحمه الله ثاني عشر شعبان سنة ٦٧٢ اثنتين وسبعين وستمائة .

عثمان بن عمر بن ابي بكر بن يونس العلامة جمال الدين ابو عمرو بن الحاجب الكردي الدويني الاصل ، الاسنائي المولد ، المقري ، النحوي ، المالكي ، الاصولي ، الفقيه ، صاحب التصانيف المنقحة ، ولد سنة ٥٧٠ او سنة

٥٧١ باسنا من الصعيد .

قال الذهبي وكان ابوه جندياً كردياً حاجباً للامير عز الدين موسك الصلاحي ، اشتغل في صغره بالقاهرة وحفظ القرآن واخذ بعض القراءة عن الشاطبي وسمع منه اليسير وقرأ بالسبع على ابي الجود وسمع من البوصيري وجماعة ، وتفقه على ابي منصور الانباري وغيره ، وتأدب على ابن البناء ولزم الاشتغال حتى برع في الاصول والعربية وأتقنها غاية الاتقان ، وكان من اذكياء العالم .

ثم قدم دمشق ودرس بجامعها في زاوية المالكية وأكبّ الفضلاء على الاشتغال عليه والاخذ عنه وكان الاغلب عليه النحو والعربية ، وصنف في الفقه مختصرا ، وفي الاصول مختصرا آخر اكبر منه سماه المنتهى ، وفي النحو الكافية وشرحها ونظمها الوافية وشرحها وفي التصريف الشافية وشرحها الى غير ذلك ، وكل مصنفاته في غاية الحسن والافادة ورزقت قبولا تاما لحسنها وجزالتها .

وقد خالف النحاة في مواضع وأورد عليهم اشكالات وإلزامات مفحمة يعسر الجوابات عنها ، وكان فقيها مناظرا مفتياً مبرزاً في عدة علوم متبحراً ثقة دينا ورعاً متواضعاً مطرحاً للتكلف .

ثم دخل مصر هو والشيخ عز الدين بن عبد السلام وتصدر هو بالفاضلية ولازمه الطلبة .

قال ابن خلكان وكان من احسن خلق الله ذهناً وجاءني مراراً بسبب اداء شهادات وسألته عن مواضع في العربية مشكلة فاجاب ابلغ اجابة بسكون كثير وتثبت تام انتهى .

ثم انتقل الى الاسكندرية ليقيم بها فلم تطل مدته هناك ومات بها في سنة ٦٤٦ واسنا بلدة صغيرة من اعمال القوصية بالصعيد الاعلى من مصر .

علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابو الحسن بن عصفور النحوي الحضرمي

الاشبيلي كان لواء العربية في زمانه بالاندلس .

قال ابن الزبير اخذ عن الرباح والشلوبين ولازمه مدة ثم كانت بينهما منافرة ومقاطعة ، وتصدر للاشتغال مدة واقبل عليه الطلبة ، وكان اصبر الناس على المطالعة لا يمل من ذلك ولم يكن عنده ما يؤخذ عنه غير النحو ولا تأهل لغير ذلك .

وقال الصفدي ولم يكن عنده ورع ، وجلس في مجلس شراب فلم يزل يرجم بالتاريخ الى ان مات في رابع عشر ذي القعدة سنة ٦٦٩ او سنة ٦٦١ ومولده سنة ٥٩٩ وصنف الممتع في التصريف .

احمد بن الحسن الشيخ فخر الدين الجاربردي قال السبكي في طبقات الشافعية نزيل تبريز كان إماماً فاضلا ديّناً خيّرا وقوراً مواظباًعلى العلم وافادة الطلبة .

اخذ عن القاضي ناصر الدين البيضاوي ، وصنف شرح منهاجه ، وشرح الحاوي في الفقه لم يكمل ، وشرح الشافية لابن الحاجب ، وشرح الكشاف مات في رمضان سنة ست واربعين وسبعمائة بتبريز رحمه الله .

عبد الوهاب بن ابراهيم بن ابي المعالي الخزرجي الزنجاني صاحب شرح الهادي المشهور الذي اكثر الجاربردي من النقل عنه في شرح الشافية قال السيوطي وقفت عليه بخطه وذكر في آخره انه فرغ عنه في بغداد سنة ٦٥٤ ومتن الهادي له ايضا وله التصريف المشهور بالغربي وله مؤلفات في العروض والقوافي وخطه في غاية الجودة وعلى مختصره في التصريف شروح مفيدة مشهورة عند ابناء الزمان افضلها واحسنها شرحا السعد التفتازاني والسيد الشريف الجرجاني رحمهما الله تعالى .

حسن بن محمد النيسابوري المشهور بالنظام الاعرج شرح الشافية مزجا وهو مشهور متداول ، قال السيوطي لم اقف له على ترجمة .

احمد بن علي بن مسعود صاحب مراح الارواح قال السيوطي لم اقف له على ترجمة وعليه شروح مفيدة يتداولها المتأدبون من الصبيان والمراح طبع بالهند مراراً .

علماء النحو

ظالم بن عمرو بن ظالم وقيل ابن سفيان ابو الاسود الدؤ لي الكوفي المولد البصري المنشأ ، كان من سادات التابعين ومن اكمل الرجال رأياً واسدهم عقلا شيعياً سريع الجواب ثقة في حديثه .

روى عن ابي ذر وغيره ، وصحب علي بن ابي طالب وشهد معه صفين ، وقدم على معاوية فأكرمه واعظم جائزته .

وولي قضاء البصرة وهو اول من وضع علم النحو ونقط المصحف .

مات سنة ٦٩ للهجرة بطاعون الجارف وعمره خمس وثمانون سنة وقيل انه مات قبل الطاعون بعلة الفالج .

وتخرج به معاذ بن مسلم الهراء ، وخلَّف ابو الاسود خمسة نفر أدَّبوا الناس .

اولهم عيينة بن معدان الفيل ولم يكن فيمن اخذ عنه النحو ابرع منه .

وثانيهم ميمون الاقرن .

وثالثهم يحيى بن يعمر العدواني التابعي .

قال الحاكم : فقيه اديب نحوي مبرز سمع ابن عُمَر وجابراً وابا هريرة .

ورابعهم . . . .

وخامسهم ابنا ابي الاسود عطاء وابو حزب .

ثم خلف هؤلاء رجالا احدهم عبد الله الحضرمي احد الائمة في القراءة والعربية .

وثانيهم عيسى التقفي امام في النحو ، واخذ عنه الاصمعي وصنف في النحو الاكمال والجامع ، يقال انّ له نيفاً وسبعين مصنفا ذهبت كلها مات سنة ١٤٩ او سنة ١٥٠ .

ثالثهم ابو عمرو بن العلاء المازني النحوي المقري احد القراء السبعة والاصح ان اسمه ريان ، قال ابو عبيدة كان اعلم الناس بالقراءة والعربية وايام العرب والشعر وكانت دفاتره تملأ بيته الى السقف ثم تنسك فأحرقها ، وكان من اشراف العرب مدحه الفرزدق ووثقه يحيى بن معين .

قال الذهبي : قليل الرواية للحديث وهو صدوق حجة في القراءة وكان نقش خاتمة :

وان امرء دنياه اكبر همّه لمستمسك منها بحبل غرور

مات سنة ١٥٤ او سنة ١٥٩ ثم خلفهم خليل بن احمد وتقدم ترجمته ثم اخذ منه سيبويه وجمع العلوم التي استفاد منها في كتابه فجاء كتابه احسن من كل كتاب صنف في النحو الى الآن .

عمرو بن عثمان بن قنبر ابو بشر وقيل ابو الحسن مولى بنى الحارث بن كعب .

وسيبويه لقب فارسي ومعناه رائحة التفاح ، كانت امه ترقصه بذلك في صغره .

وقيل كان تشم منه رائحة الطيب .

وقيل كان يعتاد شم التفاح .

وقيل للطافته لان التفاح من لطاف الفواكه .

وقيل لان وجنتيه كانها تفاحتان وكان في غاية الجمال ، ونظائره نفطويه وعمرويه وخالويه غير ذلك .

والعجم يقولون بضم الباء وسكون الواو وفتح الياء لانهم يكرهون ان يقع في آخر الكلمة ويه لانها للندبة قاله ابن خلكان .

وكان اصله من بيضـاء من ارض فارس نشـأ بالبصرة واخـذ عن الخليل ويونس وابي الخطاب الاخفش وعيسى بن عمر ، وكان في لسانه حبسة وقلمه ابلغ من لسانه ، وناظر هو والكسائي في قولهم كنت اظن ان العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي او هو اياها .

فاختار سيبويه الرفع .

وقال الكسائي النصب .

ورجح العرب جانب الكسائي .

ومات بالبيضاء وقيل بشيراز سنة ١٨٠ وعمره اثنتان وثلثون سنة .

وقيل نيف على اربعين وقيل مات بالبصرة سنة ١٦١ وقيل سنة ١٨٨ .

وقال ابن الجوزي مات بساوة سنة ١٧٩ تسع واربعين ومائة علي بن حمزة الكسائي من ولد بهمن بن فيروز امام الكوفيين في النحو واللغة واحد القراء السبعة .

وسمي الكسائي لانه احرم في كساء ، واستوطن بغداد ، وتعلم النحو على كبر ، وخدم عمرو بن العلاء سبع عشرة سنة وجلس في حلقة خليل ، وكان يديم شرب النبيذ ، ويأتي الغلمان ، وادّب الامين ولد هارون الرشيد ، ولم يكن له زوجة ولا جارية ، وجرى بينه وبين ابي يوسف القاضي ومحمد بن الحسن الفقيه الحنفي مجالس حكاها في طبقات النحاة وغيرها ، وله مع سيبـويه وابـي محمـد اليزيدي مجالس ومناظرات ذكر ابن خلكان بعضها في تراجم اربابها ، ومات هو ومحمد بن الحسن بالرّي في يوم واحد وكانا خرجا مع الرشيد فقيل دفـن النحـو والفقه في يوم واحد وذلك سنة اثنتين او ثلث او تسع وثمانـين ومائـة او اثنتـين وتسعين ومائة .

ثم صار الناس فريقين .

كوفيا وشيخهم الكسائي وتلميذه المبرد .

وبصريا وشيخهم سيبويه والأخفش تلميذه .

محمد بن يزيد ابو العباس الازدي البصري المبرد امام العربية ببغداد في زمانه كان إماما في النحو واللغة .

والمبرد لقب عرف به واختلف العلماء في سبب تلقيبه بذلك ذكره له ابن خلكان ترجمة حافلة في تاريخه .

اخذ عن الكسائي والازدي وابي حاتم السجستاني .

وروى عنه اسمعيل الصفار ونفطويه والصولي .

وكان فصيحا بليغا مفوهاً ثقة اخباريا علامة صاحب نوادر وظرافة .

وكان جميلا لا سيما في صباه .

وكان الناس بالبصرة يقولون ما رأى المبرد مثل نفسه .

له تصانيف كثيرة منها الرد على سيبويه والكامل ومعاني القرآن .

وكان بينه وبين ثعلب من المنافرة ما صار مثلا حتى قال الشاعر :

وابدانا في بلدة والتقاؤنا عسير كأنا ثعلب ومبرد

نفطويه الواسطي ابو عبد الله ابراهيم النحوي المتوفى سنة **٣٢٣** رحمه الله تعالى ابراهيم الافليلي القرطبي النحوي اللغوي المتوفى سنة **٤٤١** رحمه الله سعيد ابن مسعدة ابو الحسن الاخفش الاوسط تلميذ سيبويه من اهل بلخ ، وكان اجلع وهو الذي لا تنضم شفتاه ولا تنطبق على اسنانه ، والاخفش الصغير العينين مع سوء بصرهما ، سكن البصرة وكان اسن من سيبويه ، وكان معتزلياً يقول ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً الا وعرضه علي ، وكان يرى انه اعلم به مني وانا اليوم اعلم به منه .

وهذا الاخفش هو الذي زاد في العروض بحر الخبب .

له كتاب المقاييس في النحو وكتاب الاشتقاق وكتاب العروض والقوافي وغير ذلك .

ودخل بغداد وقام بها مدة وروى بها وصنف وقرأ عليه الكسائي كتاب سيبويه سراً ، صنف الاوسط في النحو مات سنة عشر او احدى وعشرين او خمس عشرة ومائتين .

قف الاخافش ثلثة :

الاكبر عبد الحميد بن عبد المجيد .

الاوسط هذا السعيد .

الاصغر علي بن سليمان وقيل اربعة .

والرابع احمد بن عمران .

وقيل احد عشر .

الخامس احمد بن محمد الموصلي .

السادس خلف بن عمرو .

والسابع عبد الله بن محمد .

الثامن عبد العزيز بن احمد .

التاسع علي بن محمد المغربي الشاعر .

العاشر علي بن اسمعيل الفاطمي .

الحادي عشر هارون بن موسى بن شريك كذا في مدينة العلوم للارنيقي رحمه الله . محمد بن المستنير بن احمد ابو علي النحوي المعروف بقطرب اللغوي البصري مولى سالم بن زياد لازم سيبويه وكان يدلج اليه فاذا خرج رآه على بابه فقال له ما انت الا قطرب ليل فلقب به .

وقطرب اسم دويبة لا تزال تدوب ولا تفتر وكان من ائمة عصره .

وله من التصانيف كتاب معاني القرآن ، وكتاب الاشتقاق ، وكتاب العلل

في النحو ، وكتاب غريب الحديث .

وهو اول من وضع المثلث في اللغة ، وكتابه وان كان صغيراً لكن له فضيلة السبق وروى له ابن المنجم في كتاب البارع بيتين وهما :

ان كنت لست معي فالذكر منك معي يراك قلبي اذا ما غبت عن بصري
والعين تبصر من تهوى وتفقده وباطن القلب لا يخلو عن النظر

وكان يرى رأي المعتزلة النظامية فاخذ عن النَظّام مذهبه واتصل بأبي دلف العجلي وادب ولده ولم يكن ثقة وله تصانيف في النحو واللغة وغيرهما مات سنة ست ومائتين رحمه الله .

صالح بن اسحق ابو عمرو الجرمي البصري مولى جرم بن ربان من قبائل اليمن ، وقيل مولى بجيلة وفي بجيلة جرم بن علقمة بن انمار والله اعلم بالصواب ، وكان يلقب بالكلب وبالنباح لصياحه حال المناظرة .

قال الخطيب كان فقيهاً عالما بالنحو واللغة ، ديّنا ورعا ، حسن المذهب ، صحيح الاعتقاد ، روى الحديث قدم بغداد واخذ عن الاخفش ويونس واللغة عن الأصمعي ولم يلق سيبويه .

وحدث عنه المبرد وناظر الفراء وانتهى علم النحو في زمانه ، مات سنة خمس وعشرين ومائتين .

له من التصانيف التنبيه وغيره .

وله في النحو كتاب جيد يعرف بالفرخ معناه فرخ كتاب سيوبيه .

وكان يقول في قوله تعالى ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم : قال لا تقل سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم تر علمت ولم تعلم .

وكان عالما باللغة حافظا لها وله كتب انفرد بها ، وكان جليلا في الحديث والاخبار ، وله كتاب في السير عجيب ، وكتاب العروض ، ومختصر في النحو ، وكتاب غريب سيبويه .

والجرمي نسبه الى عدة قبائل كل واحدة منها يقال لها جرم ولا اعلم الى ايهم ينسب هذا الجرمي ولم يكن منهم وانما نزل فيهم فنسب اليهم قاله ابن خلكان

ابراهيم بن محمد بن السري ابو اسحق الزجاج قال الخطيب كان من اهل الفضل والدين ، حسن الاعتقاد ، جميل المذهب ، كان يخرط الزجاج مات سنة ٣١١ وسئل عن سنه عند العرفات فعقد سبعين وسمع منه يقول اللهم احشرني على مذهب احمد بن حنبل رضي الله عنه ، له كتاب مختصر في النحو وكتاب فعلت وافعلت وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف اخذ الادب عن المبرد وثعلب وغير ذلك

محمد بن السري ابو بكر المعروف بابن السراج البغدادي النحوي .

قال المرزباني كان احدث اصحاب المبرد مع ذكاء وفطنة ، قرأ عليه كتاب سيبويه ثم اشتغل عليه بالموسيقى ، وعول على مسائل الاخفش والكوفيين ، وخالف اصول البصريين في مسائل كثيرة ، يقال ما زال النحو مجنونا حتى عقله ابن السراج باصوله .

اخذ عنه السيرافي والفارسي والرماني مات شابا في ذي الحجة سنة ٣١٦ وكان احد الأئمة المشاهير للمجمع على فضله ونبله وجلالة قدره في النحو والادب .

اخذ عنه جماعة من الأعيان منهم السيرافي والرماني وغيرهما ونقل عنه الجوهري في كتاب الصحاح في مواضع عديدة .

ولَه التصانيف المشهورة في النحو .

منها كتاب الصحاح في مواضع عديدة .

ولَه التصانيف المشهورة في النحو .

منها كتاب الأصول وهو من اجود الكتب المصنفة في هذا الشأن واليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه ، وشرح كتاب سيبويه وكان يلثغ في الراء فيجعلها غيناً والسرَّاج بفتح السين والراء المشددة وبعد الألف جيم هذه النسبة الى عمل السروج .

عبد الله بن جعفر بن درستويه ابو جعفر النحو الفارسي احد من اشتهر وعلا قدره وكثر علمه جيد التصنيف ، صحب المبرد ولقي ابن قتيبة .

وأخذ عنه الدارقطني وغيره .

وكان شديد الانتصار للبصريين في النحو واللغة .

وثَّقَهُ ابن مندة وغيره .

ضعفه هبة الله اللالكائي ولد سنة ٢٥٨ ومات سنة ٣٤٧ وصنف الارشاد في النحو والرد على المفضل في الرد على الخليل ، وغريب الحديث وغيرها .

ضبطه السمعاني درستويه بضم الدال والتاء ، وقال ابن ماكولا بفتح الثلاث الأُوَل .

محمد بن يزيد الخزاعي المعروف بابن الازهر النحوي قال الخطيب حدث عن المبرد وكان مستمليه وروى عنه ابو الفرج الاصبهاني والدارقطني .

قال كان ضعيفاً يروى المناكير ، وقال غيره كان كذا بأقبح الكذب مات سنة ٣٢٥ عن نيف وتسعين .

محمد بن مرزبان ولد بطريق رامهرمز .

وأخذ عن المبرد واكثر بعده عن الزجاج ، وكان قيما بالنحو .

اخذ عنه الفارسي والسيرافي وكان ضنيناً لا يقري كتاب سيبويه الا بمائة دينار ، وكان مع علمه ساقط المروة سخيفا ، واذا اراد ان يمضي الى مكان بعيد طرح نفسه في طريق حمال وشده بحبل ، وربما كان معه تمراً وغيره فيأكل ويرمي الناس بالنوى يتعمد رؤ وسهم ،وربما بال على رأس الحمال فاذا قيل له يعتذر له شرح كتاب سيبويه لم يتم قال الزبيدي توفي سنة ٣٦٥ رحمه الله .

محمد بن احمد بن ابراهيم بن كيسان النحوي قال الزبيدي وليس هذا بالقديم الذي له العروض والمعمى .

قال الخطيب كان يحفظ المذهبين البصري والكوفي في النحو لأنه اخذ عن المبرد وثعلب ، وكان ابو بكر بن مجاهد يقول كان انحى منهما .

قال ياقوت لكنه الى مذهب البصريين اميل .

وقال ابن الانباري خلط المذهبين فلم يضبط منهما شيئا .

قال ابو حيان التوحيدي ما رأيت مجلسا اكثر من فائدة واجمع لأصناف العلوم والتحف من مجلسه ، وكان يجتمع على بابه نحو من مائة رأس من الدواب للرؤساء والاشراف الذين يقصدونه ، وكان اقباله على صاحب الرقعة والخلق كاقباله على صاحب الديباج والدابة والغلام مات رحمه الله سنة ٣٢ هـ .

حسن بن احمد بن الفارسي ابو علي ويقال له الفسوي ايضا لأنه ولد بمدينة فسا من أعمال فارس .

اخذ عنه السيرافي والرماني ، ثم تلمذ له عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ، وفاق اكثر من تقدمه في التحقيق والتدقيق ولو لم يكن له سوى كتاب اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لكفاه شرفاً وفخرا ، كان اوحد زمانه في علم العربية .

اخذ عن الزجاج وابن السراج وطوف بلاد الشام ، واقام بحلب عند سيف الدولة وجرت بينه وبين المتنبي مجالس قال تلامذته : انه اعلم من المبرد وكان متهما بالاعتزال انتقل الى بلاد فارس وصحب عضد الدولة وتقدم عنده ، وله كتابُ الإيضاح والتكملة في النحو وقصته فيه مشهورة والكلمة في التصريف توفي ببغداد سنة ٣٧٧ ذكر له ابن خلكان ترجمة حسنة في تاريخه فليرجع اليه .

زيد بن علي بن عبدالله الفارسي ابو القاسم الفسوي النحوي اللغوي ، قال ابن عساكر في تاريخ دمشق وابن العديم في تاريخ حلب ، كان فاضلا يعلم اللغة والنحو عارفاً بعلوم كثيرة ، شرح الايضاح ، وسكن دمشق واقرأ بها ومات بطرابلس سنة سبع ستين واربعمائة رحمه الله .

حسن بن عبد الله بن المرزبان المعروف بالقاضي ابو سعيد السيرافي النحوي .

قال ياقوت كان ابوه مجوسياً اسمه بهزاد فاسلم فسماه ابنه ابو سعيد عبد الله ، وكان بينه وبين ابي الفرج الاصبهاني صاحب كتاب الاغاني ما جرت العادة

بمثله بين الفضلاء من التنافس ، وسيراف بكسر السين بلدة من بلاد فارس على ساحل المجر مما يلي كرمان خرج منها جماعة من العلماء ، وكان يدرس ببغداد علوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض .

اخذ اللغة عن ابن دريد والنحو عن ابي السراج .

قال ابو حيان التوحيدي السيرافي شيخ الشيوخ وإمام الأئمة له معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والحديث والكلام والحساب والهندسة ، افتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب ابي حنيفة فما وجد له خطأ ولا عثر له على زلة ، وقضى ببغداد مع الثقة والديانة والأمانة والرزانة اربعين سنة او اكثر الدهر ، وكان نزها عفيفا جميل الأمر حسن الاخلاق معتزلياً ، ولم يظهر منه شيء وكان لا يأكل الا من كسب يده ينسخ ويأكل منه .

وقال في محاضرات العلماء شيخ الدهر قريع العصر العديم المثل المفقود الشكل ما رأيت احفظ منه نظما ونثراً وكان ديناً ورعاً تقياً زاهدا عابدا خاشعا له دأب بالنهار من القراءات والخشوع ، وورد بالليل من القيام والخضوع ، ما قرى عليه شيء قط فيه ذكر الموت والبعث ونحوه إلا بكى وجزع ونغص عليه يومه وليلته وامتنع من الأكل والشرب ، وما رأيت احدا من المشائخ كان اذكر لاحيان الشباب واكثر تأسفا على ذهابه منه .

وكان اذا رأى احدا من اقرانه عاجله الشيب تسلى به .

قال في الامتاع هو هو اجمع لشمل العلم ونظم مذاهب العرب ، وادخل في كل باب ، واخرج من طريق ، وألزم للجادة الوسطى في الخلق والدين ، وأروى للحديث وأقضى للاحكام ، وافقه في الفتوى ، كتب اليه ملوك عدن كتبا مصدرة بتعظيمه تسأله فيها عن مسائل في الفقه والعربية واللغة ، وكان حسن الخط طُلب ان يقرر في ديوان الافتاء فامتنع وقال هذا من يحتاج الى درية وانا عار منها ، وسياسة وانا غريب فيها .

وقال الخطيب كان زاهدا ورعا لا يأخذ على الحكم اجرا انما كان يأكل من كسب يمينه ، فكان لا يخرج الى مجلسه حتى ينسخ عشر ورقات بعشرة دراهم تكون قدر مؤنته ، وكان ابو علي واصحابه يحسدونه كثيرا ، مولده بسيراف قبل السبعين ومائتين ، وفيها ابتدأ طلب العلم ، وخرج الى عمان وتفقه بها ، وأقام بالعسكر مدة ثم ببغداد الى ان مات بها في خلافة الطائع ثاني رجب يوم الاثنين سنة ٣٦٨ .

وله من التصانيف شرح كتاب سيبويه لم يسبق الى مثله وحسده عليه ابو علي الفارسي وغيره من معاصريه رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

علي بن عيسى بن علي ابو الحَسَن الرماني كان يعرف ايضاً بالاخشيدي ، وبالوراق ، وهو بالرماني اشهر .

كان إماما في العربية علاّمة في الأدب في طبقة الفارسي والسيرافي ، معتزليا ولد في سنة ٣٧٤ .

واخذ عن الزجاج وابن السراج وابن دريد .

قال ابو حيان التوحيدي لم ير مثله قط علما بالنحو وغزارة بالكلام ، وبصيرة بالمقالات ، واستخراجا للعويص وإيضاحاً للمشكل ، مع تنزه ودين وفصاحة وعفاف ونظافة ، وكان يمزج النحو بالمنطق حتى قال الفارسي :

ان كان النحو ما يقول الرماني فليس معنا منه شيء .

وان كان ما نقوله نحن فليس معه منه شيء .

قال السيوطي : النحو ما يقوله الفارسي وهذه مؤلفات الخليل وسيبويه ومعاصريهما ومن بعدهما بدهر لم يعهد فيها شيء من ذلك مات الرماني سنة ٣٨٤ .

وله تصانيف مفيدة منها : شرح اصول ابن السرّاج ، وشرح مختصر الجرمي ، وشرح المقتضب وغير ذلك مما لا يحصى وأصله من سرّ من رأى .

والرماني نسبة الى الرمان وبيعه او الى قصر الرمان وهو قصر بواسطمعروف وقد نسب الى هذا وهذا خلق كثير من الناس .

محمد بن الحسين الفارسي النحوي ابن اخت ابي علي الفارسي .

قال ياقوت اخذ عن خاله علم العربية وطوّف الآفاق ورجع الى الوطن ، وكان خاله اوفده على الصاحب بن عباد الى الرّي فارتضاه واكرم مثواه ، وورد بخراسان ونزل بنيسابور دفعات واملى بها من الأدب والنحو ما سارت به الركبان ، وآل امره الى ان اختص بالأمير اسمعيل بن سبكتكين بغزنة ووزره ثم عاد الى نيسابور ، ثم جاور مكة ، ثم عاد الى غزنة ورجع الى نيسابور ، ثم انتقل الى اسفرائن ، ثم استوطن جرجان الى ان مات .

قرأ عليه اهلها منهم عبد القاهر الجرجاني وليس له استاذ سواه .

وله تصانيف منها الهجاء وكتاب مائة الشعر مات رحمه الله سنة ٤٢١ احدى وعشرين واربعمائة .

عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي الامام المشهور اخذ النحو عن محمد الفارسي المذكور ولم يأخذ عن غيره لأنه لم يخرج عن بلده ، وكان من كبار ائمة العربية والبيان ، شافعيا اشعريا ، صنف المغني في شرح الايضاح والمقتصد في شرح اعجاز القرآن ، والعوامل المائة ، والعمدة في التصريف ، ومن مصنفاته دلائل الاعجاز واسرار البلاغة في علمي المعاني والبيان ، وهما الآية الكبرى واليد البيضاء في العلمين المذكورين واليهما ينتهي علم من تأخر في ذينك العلمين وغير ذلك من التصانيف مات سنة ٤٧١ او سنة ٤٧٦ ومن شعره :

كبّر على العلم يا خليلي ومِلْ الى الجهل ميل هائم
وعش حماراً تعش سعيدا فالسعد في طالع البهائم

وقال ايضا :

لا تأمن النفثـة من شاعر ما دام حيا سالما ناطقا
فان من يمـدحكم كاذبا يحسـن ان يهجـوكم صادقا

ذكر له الصلاح الكتبي ترجمة مختصرة في فوات الـوفيات وهؤلاء الاعـلام الذين ذكرتهم كلهم من تلامذة سيبويه امام اهل البصرة واما تلامذة الكسائي إمام اهل الكوفة فأشهر هؤلاء الفراء وبعده ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب وبعـده القاسم بن محمد الانباري .

اما الفراء فهو يحيى بن زياد الدئلمي امام العربية ، كان اعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي .

اخذ عنه وعليه اعتمد ، واخذ عن يونس واهل الكوفة يدعون انه استكثر عنه واهل البصرة يدفعون ذلك .

وكان يحب الكلام ويميل الى الاعتزال وكان متديّنا متورعاً على تيهٍ وعجبٍ وتعظيم ، كان زائد العصبية على سيبـويه ، وكان كتابـه تحـت رأسه ، وكان يتفلسف في تصانيفه ويسلك ألفاظ الفلاسفة ، وكان اكثر مقامه ببغداد فاذا كان آخر السنة اتى الكوفة فأقام بها اربعين يوما يفرق في اهله ما جمعه ، وكان شديد المعاش لا يأكل وجمع مالا خلفه لابن له شاطر .

له تصانيف مفيدة منها معاني القرآن التي يلحن فيها العامة مات بطريق مكة سنة ٢٠٧ عن سبع وستين سنة .

قال ثعلب لولا الفراء لما كانت عربية لانه خلصها وضبطها ، ذكر له ابن خلكان ترجمة طويلة .

قال الفراء ان طباع اهل البدو الاعراب ، وطباع اهل الحضر اللحن ، فاذا تحفظت لم ألحن ، واذا رجعت الى الطباع لحنت ، وانما قيل له الفراء ولم يكن

يعمل الفراء ولا يبيعها لانه كان يفري الكلام دكره السمعاني في كتاب الانساب .

احمد بن يحيى بن يزيد الشيباني ابو العباس ثعلب امام الكوفيين في النحو واللغة ولد سنة مائتين ، وابتدأ النظر في العربية والشعر واللغة سنة ست عشر ، وحفظ كتب الفراء فلم يشذ منها حرف ، وعنى بالنحو اكثر من غيره فلما اتقنه اكب على الشعر والمعاني ولازم ابن الاعرابي بضع عشرة سنة ، وسمع من نفطويه وغيره قيل انما فضل اهل عصره بالحفظ للعلوم التي تضيق عنها الصدور .

قال ابو الطيب اللغوي كان ثعلب يعتمد على ابن الاعرابي في اللغة ، وعلى سلمة بن عاصم في النحو ، ويروي عن ابن ابي نجدة كتب ابي زيد وعن الاثرم كتب ابي عبيد وعن ابي فص كتب الاصمعي ، وعن عمرو بن ابي عمر كتب ابيه .

وكان ثقة حجة صالحاً مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ، ورواية الشعر القديم ، مقدما عند الشيوخ منذ هو ، حدث ، متفنناً يستغني بشهرته عن نعته ، وكان ضيق النفقة .

قال ابو بكر بن مجاهد : قال لي ثعلب يا إبا بكر اشتغل اصحاب القرآن بالقرآن ففازوا ، واصحاب الحديث بالحديث ففازوا ، واصحاب الفقه بالفقه ففازوا ، واشتغلت انا بزيد وعمرو فليت شعري ماذا تكون حالي فانصرفت من عنده فرأيت النبي ﷺ تلك الليلة فقال لي : اقرأ ابا العباس عني السلام وقل له انت صاحب العلم المستطيل .

وقال ابو عمرو الزاهد سئل ثعلب عن شيء فقال لا ادري فقيل له : اتقول لا ادري واليك تضرب اكباد الابل واليك الرحلة من كل بلد ؟ فقال : لو كان لامك بعد دما لا ادري بعر لاستغنت .

صنف الفصيح وهو صغير الحجم كثير الفائدة .

وثقل سمعه في آخر عمره ثم صم ، انصرف يوم الجمعة من الجامع بعد العصر واذا بدواب من ورائه فلم يسمع صوت حافرها فصدمته فسقط على رأسه

في هوّة من الطريق فلم يقدر على القيام فحمل الى منزله ومات منه سنة ٢٩١ وذكره الداني في طبقات القراء .

ومن تصانيفه كتاب المصون ، وكتاب اختلاف النحويين ، وكتاب معاني القرآن ، وكتاب ما تلحن فيه العامة ، وكتاب ما يجري وما لا يجري الى غير ذلك .

محمد بن ابي محمد القاسم بن محمد بن بشار ابو محمد الانباري النحوي كان محدثا اخباريا عارفا بالادب والنحو والغريب ثقة ، مات في سنة ٣٢٧ .

كان علامة وقته في العربية ، واكثر الناس حفظا لها ، وكان صدوقا ديناً ثقة خيراً من اهل السنة ، صنف كتبا كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث ، اثنى عليه الخطيب في تاريخ بغداد ، سكن بغداد ، وروى عنه جماعة من العلماء ، وكان يحفظ ثلثمائة الف بيت ، شاهد لما في القرآن الكريم ، وقال : احفظ ثلثة عشر صندوقا ، وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيرات للقرآن بأسانيدها .

وله غريب الحديث خمسة واربعون الف ورقة .

وكتاب شرح الكافي نحو الف ورقة ، والمذكر والمؤنث ما عمل احد اتم منه ، ورسالة المشكل رد فيها على ابن قتيبة وابي حاتم .

وكانت ولادته سنة ٢٧١ .

هذه مشاهير علماء الادب وهذه ترجمتهم بالاختصار ولم يخلف من بعدهم مثلهم الا قليلا وستعرفهم ان شاء الله تعالى .

رضي الدين الاسترآبادي محمد بن الطاهر الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليه السلام المعروف بالموسوي ، صاحب ديوان الشعر ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة ، وهو الامام المشهور شارح الكافية لابن الحاجب الذي لم يؤلف عليها ولا في غالب كتب النحو مثله جمعا وتحقيقا وحسن تعليل ولقبه نجم الائمة ، قال السيوطي : لم اقف

على اسمه ولا على شيء من ترجمته الا انه فرغ من تأليف هذا الشرح سنة ٤٨٣[1] واخبرني صاحبنا المؤرخ شمس الدين بن عزم بمكة ان وفاته سنة ٦٨٤ او سنة ٦٨٦ الشك مني وله شرح على الشافية انتهى .

قال في مدينة العلوم يروى ان الرضي كان على مذهب الرفض ، يحكى عنه انه كان يقول العدل في عمر ليس بتحقيق موضع قوله العدل في عمر تقديري نعوذ بالله من الغلو في البدعة والعصبية في الباطل يقال انه ليس في المتأخرين من اطلع على تدقيقات كتاب سيبويه مثله انتهى .

وذكر له ابن الوردي في تاريخه ترجمة وقال ذاكره شيخه السيرافي يوما وهو صبي فقال رأيت عمراً ما علامة النصب في عمرو ؟ فقال الرضي بغض علي اشار الى عمرو بن العاص وبغضه لعلي فعجب الحاضرون من ذهنه مولده سنة ٣٥٩ ببغداد ومات في سنة ٤٠٦ .

قلت ولو قال بدل قوله بغض علي خفض علي لكان ابدع ، وهو اشعر الطالبيين على كثرة شعرائهم المفلقين انتهى .

وذكر له ابن خلكان ترجمة حسنة واثنى عليه وكان انجب سادات العراق يتحلى مع محتده الشريف ، ومفخره المنيف ، بادب ظاهر ، وفضل باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ولو قيل انه اشعر قريش لم يبعد عن الصدق يشهد بذلك شاهد عدل من شعره العالي القدح الممتنع عن القدح الذي يجمع الى السلامة متانة ، والى السهولة رصانة ، ويشتمل على معان يقرب جناها ويبعد مداها ، وديوانه في اربع مجلدات .

توفي بكرة يوم الاحد سادس المحرم وقيل صفر ببغداد ودفن في داره بخط مسجد الانباريين بالكرخ وقد خربت الدار ودرس القبر ومضى اخوه المرتضى الى

---

(١) يخالفه ما سيأتي من سنة مولده ووفاته وهو الصحيح .

مشهد موسى بن جعفر لانه لم يستطع ان ينظر الى تابوته ودفنه .

حسن بن محمد بن شهنشاه العلوي الاسترآبادي ابو الفضائل السيد ركن الدين شارح الكافية .

قال ابن رافع في تاريخ بغداد : قدم مراغة واشتغل على نصير الدين ، وكان يتوقد ذكاء وفطنة .

اخذ اصول الفقه عن السيف الآمدي مات سنة ٧١٥ .

وقال الاسنوي سنة ٧١٨ .

قال الصفدي كان شديد التواضع يقوم لكل احد حتى السقاء شديد الحلم وافر الجلالة عند التتار عاش بضعاً وسبعين سنة .

ابو بكر الخبيصي صاحب شرح الحاجبية سماه الموشح قال السيوطي لا اعرف من ترجمته زيادة على هذا قلت خبيص قرية من قرى كرمان ونسبته اليها لا الى بائع الخبيصة كما توهمه بعض الناس وعلى هذا الشرح فوائد مهمة للشريف الجرجاني رحمه الله .

عبد الرحمن الجامي شارح الكافية بلغ غاية لا يمكن الزيادة عليها في لطف التحرير وحسن الترتيب وشهرة حاله اغنتنا عن التعرض لترجمته قدس سره .

علي مجد الدين بن مسعود بن محمد البسطامي من اولاد الامام فخر الدين الرازي المعروف بمصنفك لانه صنف كتبا شريفة في حداثة سنه والكاف في لغة العجم للتصغير ، وكان الفخر الرازي يصرح في مصنفاته بانه من اولاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذكر اهل التاريخ انه من اولاد ابي بكر الصديق ، ولد مصنفك في سنة ٨٠٣ وسافر مع اخيه الى هراة لتحصيل العلم في سنة ٨٢٣ ذكر له في مدينة العلوم تصانيف كثيرة يجل وصفها وهي بالعربية والفارسية وفي علم النحو والادب والمعاني والبيان والفقه والاصول والمنطق والحكمة والتفسير الى غير ذلك .

ابو البقا يعيش بن علي بن يعيش النحوي الحلبي موفق الدين المشهور بابن

يعيش ، وكان يعرف بابن الصائغ ، ولد في رمضان في سنة ٥٥٣ بحلب كان من كبار ائمة العربية ماهراً في النحو والتصريف .

سمع الحديث على الخطيب الطوسي بالموصل ، وقدم دمشق ، وجالس تاج الدين الكندي ، وتصدر بحلب للاقراء زمانا ، وطال عمره وشاع ذكره ، وغالب فضلاء حلب تلامذته ، وكان حسن الفهم لطيف الطبع طويل الروح على المبتدي والمنتهي ظريف الشمائل كثير المجون .

حدث عنه جماعة آخرهم ابو بكر الدشتي مات في سنة ٦٤٣ .

قال ابن خلكان لما وصلت الى حلب لاجل الاشتغال بالعلم الشريف وكان دخولي اليها سنة ٦٢٨ وهي اذ ذاك ام البلاد مشحونة بالعلماء والمشتغلين وكان الشيخ موفق الدين شيخ الجماعة في الادب لم يكن فيهم مثله ، فشرعت في القراءة عليه ، وكان يقرىء بجامعها في المقصورة الشمالية بعد العصر وبين الصلاتين بالمدرسة الرواحيه ، وكان عنده جماعة قد تنبهوا وتميزوا به ، وهم ملازمون مجلسه لا يفارقونه في وقت الاقراء ، وابتدأت بكتاب اللمع لابن جني فقرأت عليه معظمها مع سماعي لدروس الجماعة الحاضرين ، وله شرح كتاب المفصل للزمخشري شرحه شرحاً مستوفياً وليس في جملة الشروح مثله ، وشرح تصريف الملوكي لابن جني شرحا جيداً وانتفع به خلق كثير من اهل حلب وغيرها حتى ان الرؤساء الذين كانوا بحلب ذلك الزمان كانوا تلامذته رحمه الله .

عبد الله بن يوسف بن احمد الشيخ جمال الدين الحنبلي النحوي الانصاري ابو محمد الشهير بابن هشام صاحب كتاب مغني اللبيب .

قال في الدرر الكامنة ولد سنة ٧٠٨ ، ولزم الشهاب عبد اللطيف بن المرحل ، وسمع على ابن حيان ديوان زهير بن ابي سلمى ، وحضر دروس التاج التبريزي ، وقرأ على التاج الفاكهاني شرح الاشارة له الا الورقة الاخيرة ، وتفقه

للشافعي ، ثم تحنبل وذلك قبل موته بخمس سنين ، واتقن العربية ففاق الاقران بل الشيوخ .

وتخرج به جماعة من اهل مصر وغير هم ، وتصدر لنفع الطالبين ، وانفرد بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة انتهى ملخصا .

قال ابن خلدون ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع انه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام انحى من سيبويه وكان كثير المخالفة لابي حيان شديد الانحراف عنه صنف مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، واشتهر في حياته واقبل الناس عليه انتهى .

قال السيوطي وقد كتبت عليه حاشية وشرحا لشواهده توفي ليلة الجمعة خامس ذي القعدة سنة احدى وستين وسبعمائة الهجرية .

ابو جعفر احمد بن اسمعيل بن يونس النحاس النحوي كان من الفضلاء وله تصانيف مفيدة ، وكتاب في النحو اسمه التفاحة ، وكتاب الكافي في النحو وكتاب الناسخ والمنسوخ .

روى عن النسائي ، واخذ النحو عن ابي الحسن الاخفش والزجاج وابن الانباري ونفطويه واعيان ادباء العراق ، وكان قد رحل اليهم من مصر ، وكانت فيه خساسة وتقتير على نفسه واذا وهب عمامة قطعها ثلث عمائم بخلا وشحاً وكان يلي شراء حوائجه بنفسه ويتحامل فيها على اهل معرفته ، مع هذا فكان للناس رغبة كبيرة في الاخذ عنه فنفع وأفاد .

واخذ عنه خلق كثير توفي بمصر سنة ٣٣٨ .

والنَّحاس نسبة الى من يعمل النُحَاس واهل مصر يقولون لمن يعمل الاواني الصفرية النحاس والله اعلم بالصواب .

علماء المعاني والبيَان

يوسف بن ابي بكر محمد بن علي سراح الدين ابو يعقوب

السكاكي ، كان علامة بارعاً في علوم شتى ، خصوصا المعاني والبيان ، وله كتاب مفتاح العلوم اشتمل على اثني عشر علما من العلوم العربية ، ونقل عنه ابو حيان في الارتشاف في مواضع وقال فيه : ان السكاكي من خوارزم ، وذكره الشيخ سراج الدين البلقيني فقال هو الخوارزمي امام في النحو والتصريف والمعاني والبيان والاستدلال والعروض والشعر ، وله النصيب الوافر من علم الكلام وسائر العلوم ، من رأى مصنفه علم تبحره وفضله ونبله مات بخوارزم في اوائل رجب سنة ست وعشرين وستمائة وكانت ولادته سنة ٥٥٥ الهجرية .

محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي الشهير بقطب الدين الشيرازي الشافعي العلامة ولد بشيراز سنة ٦٣٤ ، وكان ابوه طبيباً فقرأ عليه وعلى عمه ، ثم سافر الى نصير الطوسي فقرأ عليه وبرع ، ثم دخل الروم فاكرمه صاحبها ، وولّي قضاء سيواس وملطية وقدم الشام ثم سكن تبريز واقرأ بها العلوم العقلية ، وحدث بجامع الاصول عن الصدر القونوي عن يعقوب الهندباني عن المصنف .

وكان ينظر في شرح السنة للبغوي ، وكان يخالط الملوك ظريفاً مزّاحاً لا يحمل درهما ولا يغير زي الصوفية ، وكان من بحور العلم ومن اذكياء العالم ، يخضع للفقهاء ويلازم الصلوٰة في جماعة ، واذا صنف كتابا صام ولازم السهر ، ومسودته مبيضة ، ثم انقطع عن ابواب الامراء والملوك الى ان مات .

وله شرح كليات القانون لابن سينا ، وشرح حكمة الاشراق ، وصنف كتاب درة التاج على لسان الفرس أدرج فيه جميع اقسام الحكمة النظرية والعملية ، وصنف في الهيئة التحفة ونهاية الادراك وغير ذلك ، ومصنفاته كثيرة كلها في غاية الحسن والاتقان مات رحمه الله في اربع وعشرين من رمضان سنة ٧١٦ .

مسعود بن القاضي فخر الدين عمر بن برهان الدين الشهير بسعد الدين التفتازاني الامام العلامة عالم بالنحو والتصريف والمعاني والبيان والاصلين والمنطق وغيرها شافعي .

قال ابن حجر الحافظ ولد سنة ٧١٢ ، واخذ عن القطب والعضد ، وتقدم في الفنون ، واشتهر ذكره وطار صيته وانتفع الناس بتصانيفه .

وله شرح العضدي وشرح التلخيص مطول وآخر مختصر وشرح القسم الثالث من المفتاح ، وله التلويح شرح التوضيح وشرح العقائد النسفية ، وشرح الشمسية في المنطق ، وشرح تصريف الزنجاني ، والارشاد في النحو وتهذيب المنطق والكلام ، وحاشية الكشاف ولم يتم وغير ذلك وتصانيفه كثيرة ، وكان في لسانه لكنة وانتهت اليه معرفة العلوم بالمشرق مات بسمرقند سنة ٧٩١ ذكره فتح الله الشرواني في اوائل شرحه للارشاد وقال : لقد زرت مرقده المقدس بسرخس فوجدت مكتوبا على صندوق مرقده من جانب القدوم ولد في صفر سنة ٧٢٢ وتوفي سنة ٧٩١ بسمرقند ونقل الى سرخس انتهى ، ثم ذكر تاريخ تأليف سائر مؤلفاته رحمه الله تعالى .

علي بن محمد بن علي الحنفي الشريف الجرجاني قال العيني في تاريخه عالم بلاد الشرق ، كان علامة دهره وفهامة عصره ، وكان بينه وبين الشيخ سعد الدين التفتازاني مباحثات ومحاورات في مجلس تيمور لنك ، وله تصانيف مفيدة .

منها شرح المواقف للعضد ، وحواشي شرح الاصفهاني على التجريد للطوسي ، ويقال ان مصنفاته زادت على خمسين كتابا مات سنة ٨١٤ انتهى .

قال السيوطي ومن مصنفاته شرح القسم الثالث من المفتاح ، وحاشية المطول والمختصر ، وحاشية الكشاف ولم يتم ، وله رسالة في تحقيق معاني الحروف ، وافادني سيدنا المؤرخ شمس الدين بن عزم ان مولد الشريف الجرجاني بجرجان من ولاية استراباد سنة ٧٤٠ وانه توفي بشيراز في سادس ربيع

الثاني سنة ٨١٦ قلت فمدة عمره رحمه الله ستة وسبعون سنة ، نقل السيوطي عن شيخه محمد الكافيجي انه قال السيد الشريف وقطب الدين الرازي لم يرزقا علم العربية بل كانا حكيمين .

قال في مدينة العلوم قلت وهذا الكلام خروج عن الانصاف ولا يلزم من عدم انفرادهما بعلم العربية ومشاركتهما لسائر العلوم عدم معرفتهما بها فانظر بالانصاف في تصانيفهما مباحث تتعلق بالعربية وقد عجز عنها القدماء من ارباب العلوم العربية :

وعين البغض تبرز كل عيب　　وعين الحب لا تجد العيوبا

انتهى .

برهان الدين حيدر الشيرازي ثم الرومي كان علامة بالمعاني والبيان والعربية .

اخذ عن التفتازاني ، وشرح الايضاح للقزويني شرحاً ممزوجاً ، وقدم الروم واقرأوا وأفتى على مذهب ابي حنيفة ، ومات بعد العشرين وثمانمائة .

قال السيوطي اخذ عنه شيخنامحيي الدين الكافيجي رحمه الله .

عبد الرحمن بن احمد بن عبد الغفار القاضي عضد الدين الا يجيى العلامة الشافعي المشهور بالعضد .

قال في الدرر الكامنة وكان إماما في المعقول ، قائما بالأصول والمعاني والعربية ، مشاركا في الفنون ، كريم النفس كثير المال جدا ، كثير الانعام على الطلبة .

ولد بعد السبعمائة واخذ عن مشائخ عصره ، ولازم الشيخ زين الدين تلميذ البيضاوي ، وولي قضاء المماليك ومن تلامذته الشيخ شمس الدين الكرماني ، وسيف الدين الابهري والتفتازاني ، وجرت له محنة مع صاحب كرمان حبسه في القلعة ، ومات مسجونا سنة ٧٥٦ واورد ابن السبكي في الطبقات

الشافعية ما كتبه عضد الدين يستفتي به اهل عصره فيما وقع في الكشاف في قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله حيث قال من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبده ، ويجوز ان يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد حيث جوز في الوجه الأول كون الضمير لما نزلنا تصريحاً وحظره في الوجه الثاني تلويحا فليت شعري فما الفرق بين فأتوا بسورة كائنة من مثله فانزلناه وفأتوا من مثل ما نزلنا بسورة ، وكتب الجواب كثير من الفضلاء سيما فخر الدين الجاربردي ، ثم رد جواب عضد الدين ابراهيم ولد الجاربردي واطالوا الكلام فيه تركنا ذكرها[1]لطولها وعدم تعلق غرضنا بها في هذا المقام وله تصانيف جمة كثيرة الفوائد منها الفوائد الغياثية مختصر المفتاح .

محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرماني ثم البغدادي شارح البخاري الامام العلامة في الحديث والتفسير والاصلين والفقه والمعاني والعربية ، قال ابنه في ذيل المسالك ولد يوم الخميس سنة ٧١٧ وقرأ على والده بهاء الدين ، ثم انتقل الى كرمان ، واخذ عن العضد وغيره ، وبهر وفاق اقرانه وفضل غالب اهل زمانه ثم دخل دمشق ومصر وقرأ بها البخاري على ناصر الدين الفارقي .

وسمع من جماعة وحج ورجع الى بغداد واستوطنها ، ؛ وكان تام الخلق فيه بشاشة وتواضع للفقراء والعلماء ، غير مكترث باهل الدنيا ولا ملتفت اليهم ، ويأتي اليه السلاطين في بيته ويسئلونه الدعاء والنصحية .

وله من التصانيف شرح البخاري اربع مجلدات .

وشرح المواقف ، وشرح الفوائد الغياثية في المعاني والبيان وحاشية على تفسير البيضاوي ، ورسالة في مسئلة الكحل مات يوم الخميس سنة ٧٨٦ فنقل

(١) اي الاجوبة .

الى بغداد ودفن بقبر أعدّه لنفسه بقرب الشيخ ابي اسحق الشيرازي .

محمد بن علي بن السيد الشريف الجرجاني صاحب التصانيف .

قرأ على والده وبرع وكمل حاشية ابيه على المتوسط ، وشرح الارشاد في النحو للتفتازاني ، وشرح هداية الحكمة .

وله رسالة مختصرة في المنطق اورد فيها ما يحتاج اليه كتبها على اسلوب رسالة والده ، في المنطق مع زيادات شريفة لكن كتبها والده بالفارسية وشرح الفوائد الغياثية ممزوجا رحمهما الله تعالى رحمة واسعة .

علماء العروض والقوافي

ابو القاسم هبة الله بن الفضل المعروف بابن القطان الشاعر المشهور البغدادي .

وسمع الحديث من جماعة من المشائخ .

وسمع عليه ، وكان غاية في الخلاعة والمجون ، كثير المزاح والمداعبة والهجاء ، مغري بالولوع بالمتعجرفين ، ولم يسلم منه احد لا الخليفة ولا غيره ولهم وله في ذلك نوادر ووقائع وحكايات ظريفة ، وله ديوان شعر عبث فيه بجماعة من الأعيان وثلبهم وله مع حيص بيص[1] ماجريات ، وله كتاب عروض اكثره جيد .

ولد سنة ٤٧٧ وتوفي سنة ٥٥٨ ببغداد ودفن بمقبرة معروف الكرخي يوم العيد .

قال ابن خلكان ولولا ايثار الاختصار لذكرت من احواله ومضحكاته شيئا كثيرا فانه كان آية في هذا الباب .

---

(١) اسم شاعر .

محمد بن علي بن عبد الرحمن الشيخ امين الدين المحلي قال الذهبي احد ائمة النحو بالقاهرة تصدر لاقرائه وانتفع به الناس ، وله شعر حسن وتصانيفه حسنة منها ارجوزة في العروض ، وشفاء العليل في علم الخليل مات سنة ٦٧٣ عن ثلث وسبعين سنة .

يحيى بن علي بن محمد المعروف بابن الخطيب التبريزي .

قال ياقوت وربما يقال له الخطيب وهو وَهْمٌ صاحبُ العروض كان احد الأئمة في النحو واللغة والادب ، حجة ، صدوقا ، ثَبْتاً ، هاجر الى ابي العلاء المعري .

وأخذ عنه وعن عبيد الله الرقى وابن البرهان وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم .

وسمع الحديث وكتب الادب على خلق منهم القاضي ابو الطيب الطبري وابو القاسم التنوخي والخطيب البغدادي .

وروى عنه السلفي وتخرج عليه خلق كثيروتلمذوا له ، ذكره السمعاني في كتاب الذيل ، وذكر فضائله .

وله تهذيب غريب الحديث ، وله في النحو مقدمات حسنة ، وكتاب في اعراب القرآن سماه الملخص .

قال ابن خلكان : رأيته في اربع مجلدات ، وكان قد دخل مصر في عنفوان شبابه فقرأ عليه بها ابن بابشاذ النحوي شيئا من اللغة ، ثم عاد الى بغداد واستوطنها الى الممات ، وولي تدريس الادب بالنظامية وخزانة الكتب بها وانتهت اليه الرياسة في فنه وشاع ذكره في الأقطار ، وكان الناس يقرأون عليه تصانيفه .

صنف شرح القصائد العشر والكافي في العروض والقوافي وثلثة شروح على الحماسة وشرح شعر المتنبي وشعر ابي تمام وغير ذلك ولد سنة ٤٤١ ومات فجاءة في سنة ٥٠٢ الهجرية .

علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع الصيقلي المولد المصري الدار والوفاة ، كان احد ائمة الأدب خصوصا اللغة ، صاحب كتاب المعروف في علم القوافي .

قال ياقوت كان امام وقته بمصر في علم العربية وفنون الأدب قرأ على ابي بكر الصيقلي وروى عنه الصحاح للجوهري وكان نقاد المصريين ينسبونه الى التساهل في الرواية ، صنف الأفعال احسن فيه كل الاحسان وهو اجود من الافعال لابن القوطية وان كان ذلك قد سبقه اليه ، وله كتاب ابنية الأسماء جمع فيه فأوعى ، وفيه دلالة على كثرة اطلاعه .

وله حواشي الصحاح والدرة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة ، وكتاب لملح الملح جمع فيه خلقا من شعراء الأندلس وغير ذلك واجاد في النحو غاية الاجادة ، ورحل عن صقلية[1] لما اشرف على تملكها الفرنج ووصل الى مصر في حدود سنة ٥٠٠ ، وبالغ اهل مصر في اكرامه وله شعر كثير ذكر طرفاً صالحاً منها ابن خلكان في تاريخه .

ولد سنة ٤٣٣ بصقلية ومات سنة ٥١٥ او سنة ٥١٤ ودفن بقرب ضريح الامام الهمام محمد بن ادريس الشافعي رحمهما الله تعالى رحمة واسعة .

علماء الانشاء والأدب

ابو الفتح نصر الله بن ابي الكرم محمد بن محمد المعروف بابن الاثير الجزري الملقب بضياء الدين .

كان مولده بجزيرة ابن عمرو ، نشأ بها وانتقل مع والده الى الموصل وبها اشتغل ، وحصل العلوم ، وحفظ كتاب الله الكريم وكثيرا من الاحاديث النبوية ومن النحو واللغة وعلم البيان وشيئا كثيرا من الاشعار .

وله المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، وهو في مجلدين ولد سنة ٥٥٨

وتوفي سنة ٦٣٢ ببغداد ، وكان له اخوان :

احدهما مجد الدين ابو السعادات المبارك تقدم ذكره في اللغة .

والآخر ابو الحسن علي الملقب عز الدين يأتي ذكره في التواريخ ، وكان الإخوة الثلثة كلهم فضلاء نجباء اصحاب التصانيف المقبولة قلما يتفق اخوة مثل هؤلاء وهم مشهورون بابن الاثير رحمهم الله تعالى .

ابو القاسم علي بن محمد الحريري صاحب المقامات ولد في حدود سنة ٤٤٦ وكان غاية في الذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة تصانيفه تشهد بفضله وكفى له شاهدا على ذلك المقامات التي فاق بها الأوائل واعجز الاواخر .

وكان مولده ببلد قريب من البصرة يقال له المشان ، وكان دميما مبتلى بنتف اللحية .

قيل انه كتب سبعمائة نسخة من المقامات بخطه وقرئت عليه ، وله ديوان شعر مات بالبصرة في سادس رجب سنة ٥١٥ .

ذكر له ابن الوردي في تاريخه ترجمة واشعاراً له وقال : إمام في النحو واللغة وله عدة مصنفات منها المقامات طبقت الأرض شهرة ، أمره بتصنيفها انو شيروان ابن خالدبن محمد وزير السلطان محمود وكان خصيصا به قدم البغداد ونزل الحريم .

والحريري بصري المولد والمنشأ من بني ربيعة الفرس ، وكان من اهل اليسار يقال انه كان له ثماني عشرة الف نخلة بمشان البصرة ، واصله منها وخلف ابنين الواحد عبد الله من رواة المقامات والثاني كان متفقهاً انتهى رحمهما الله .

ابو اسحق ابراهيم بن هلال الصابىء صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع ، كان كاتب الانشاء ببغداد عن الخليفة وعن عز الدولة ابن بوية الدئلمي

تقلد ديوان الرسائل وله كل شيء حسن من المنظوم والمنثور توفي سنة ٣٨٤ ببغداد وعمره احدى وسبعون سنة .

قيل ان صديقاً له دخل عليه فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبييض فسأله عما يعمل فقال اباطيل انمقها واكاذيب الفقهاء .

ابو الفضل احمد بن الحسين المعروف ببديع الهمداني صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفائقة وعلى منواله نسج الحريري ومقاماته ، واحتذى حذوه واقتفى اثره ، واعترف في خطبته بفضله وانه الذي ارشده الى سلوك ذلك المنهج ، وهو احد الفضلاء الفصحاء ، وله النظم المليح .

روى عن احمد بن فارس صاحب المجمل في اللغة ، وسكن هراة من بلاد خراسان ، وله كل معنى مليح حسن من نظم ونثر .

فمن رسائله الماء اذا طال مكثه ظهر خبثه واذا سكن متنه تحرك نتنه ، وكذلك الضيف يسمج لقاؤه اذا طال ثواؤه ويثقل ظله إذا انتهى محله والسلام .

ومنها حضرته التي هي كعبة المحتاج لا كعبة الحجاج ومشعر الكرم لا مشعر الحرم ومنى الضيف لا منى الخيف وقبلة الصلات لا قبلة الصلوٰة وكانت وفاته سنة ٣٩٨ مسموما بمدينة هراة .

ويحكى انه مات من السكتة وعجل دفنه فأفاق في قبره وسمع صوته بالليل وانه نبش عنه فوجدوه قد قبض على لحيته ومات من هول القبر والله اعلم .

امية بن عبد العزيز بن ابي الصلت الاندلسي الداني ، كان فاضلا في علوم الأدب ، صنف كتابه الذي سماه الحديقة على اسلوب يتيمة الدهر للثعالبي .

وكان عارفاً بفن الحكمة فكان يقال له الأديب الحكيم ، سكن ـ الاسكندرية ، ذكره العماد في الخريدة وأثنى عليه وذكر اشياء من نظمه توفي رحمه الله سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

ابو احمد بن عبد الله بن السعيد العسكري احد الأئمة في الآداب والحفظ وهو صاحب اخبار ونوادر وله التصانيف المفيدة منها كتاب التصحيف الذي جمع فيه فأوعى وكتاب الحكم والأمثال توفي سنة ٣٨٢ والعسكري نسبة الى عدة مواضع اشهرها عسكر مكرم الباهلي وهي مدينة من كور الاهواز .

ابو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني احد الأفاضل البلغاء له التصانيف المليحة منها .

كتاب الانموذج والرسائل الفائقة والنظم الجيد وابوه مملوك رومي من موالي الازد توفي سنة ٤٦٣ رحمه الله تعالى ومن شعره :

يا رب لا اقوى على دفع الاذى … وبك استعنت على الضعيف المؤذي
ما لي بعثت الي الف بعوضة … وبعثت واحدة الى نمروذ

وله ايضا :

وقائلة ماذا الشحوب وذا الضنا … فقلت لها قول المشوق المتيم
هواك اتاني وهو ضيف اعزه … فأطعمته لحمي واسقيته دمي

ومن تصانيفه ايضا قراضة الذهب وهو لطيف الجرم كثير الفائدة وله كتاب الشذوذ في اللغة يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها .

الشيخ المجيد ابو علي الحسن بن عبد الصمد بن الشحناء العسقلاني صاحب الخطب المشهورة والرسائل المحبرة ، كان من فرسان النثر وله فيه اليد الطولى .

ذكره العماد في الخريدة فقال : المجيد مجيد كنعته قادر على ابتداع الكلام ونحته ، له الخطب البديعة والملح الصنيعة .

وذكره ابن بسام في الذخيرة وسرد جملة من رسائله توفي مقتولا بخزانة البنود وهي سجن بمدينة القاهرة المعزية في سنة ٤٨٢ ومن شعره :

حجـاب واعجاب وفـرط تصلف ومـدّ يد نحـو العـلا بتكلف
ولـو كان هذا من وراء كفاية عذرنـا ولـكن من وراء تخلف

ابو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الملقب بتاج الدين البغدادي ، كان اوحد عصره في فنون الآداب وعلو السماع ، وكان يبتاع الخليع ويسافر به الى بلاد الروم ويعود اليها ، واستوطن دمشق وقصده الناس واخذوا عنه توفي رحمه الله تعالى سنة ٦١٣ الهجرية .

ابو غالب عبد الحميد بن يحيى بن سعد الكاتب المشهور به يضرب المثل في البلاغة حتى قيل فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد ، وكان في كل فن من العلم والأدب إماما ، وهو من اهل الشام ، وعنه اخذ المترسلون ولطريقته لزموا ولآثاره اقتفوا ، وهو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل ، ومجموع رسائله مقدار الف ورقة .

وهو اول من اطال الرسائل واستعمل التمهيدات في فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده ، وكان كاتب مروان بن الحكم الأموي آخر ملوك بني امية المعروف بالجعدي .

ومن كلامه القلم شجرة ثمرتها الالفاظ والفكر بحر لؤلؤه الحكمة ، وخير الكلام ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا ، ثم انه قتل مع مروان في سنة اثنتين وثلثين ومائة .

الشريف المرتضى ابو القاسم علي بن الطاهر كان إماما في علم الكلام والأدب والشعر ، وهو أخو الشريف الرضي .

وله تصانيف على مذهب الشيعة ومقالة في اصول الدين ، وله ديوان شعر كبير .

وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الامام علي بن ابي طالب هل هو جمعه ام جمع اخيه الرضي وقد قيل انه ليس من كلام علي وانما

الذي جمعه ونسبه اليه هو الذي وضعه ، وله كتاب الغرور والدرر هي مجالس املاها تشتمل على فنون من معاني الادب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك ، وهو كتاب ممتع يدلّ على فضل كثير وتوسع في الاطلاع على العلوم ولد في سنة ٣٥٥ وتوفي في سنة ٤٣٦ ببغداد ودفن في داره عشية ذلك النهار .

ابو نصر الفتح بن عبد الله بن خاقان القيسي الاشبيلي صاحب كتاب قلائد العقيان ، له عدة تصانيف منها القلائد جمع فيه من شعراء المغرب طائفة كثيرة ، وتكلم على ترجمة كل واحد منهم باحسن عبارة وألطف اشارة ، وكلامه في مؤلفاته تدل على غزارة فضله وسعة مادته .

وكان كثير الاسفار سريع التنقلات توفي في سنة ٥٢٥ بمدينة مراكش .

قال ابن دحية كان خليع الغذار في دنياه لكن كلامه في تواليفه كالسحر الحلال والماء الزلال قتل ذبحاً في مسكنه بفندق من حضرة مراكش في سنة ٥٢٩ انتهى .

الصاحب ابو القاسم اسمعيل بن عباد الطالقاني كان نادرة الدهر واعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه .

اخذ الأدب عن ابن فارس اللغوي وابن العميد وغيرهما .

قال الثعلبي في اليتيمة ليست تحضرني عبارة ارضاها للافصاح عن علو محله في العلم والادب انتهى .

نشأ من الوزارة في حجرها ودب ودرج في وكرها ، وكان وزير ابن بوية الدئلمي ، واجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره ومدحوه بغرر المدائح .

صنف في اللغة كتبا سماها المحيط وهو في سبع مجلدات اشتمل من اللغة على جزء متوفر وله رسائل بديعة ونظم جيد فمنه قوله :

وشادن جماله تقصر عنه صفتي   اهوى لتقبيل يدي فقلت قبل شفتي

وله في رقة الخمر :

رق الزجاج ورقت الخمر وتشابها فتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر

ولد سنة ٣٢٦ وتوفي سنة ٣٨٥ بالريّ ثم نقل الى اصبهان والطالقان اسم لمدينتين احداهما بخراسان والأخرى من اعمال قزوين والصاحب من الأخرى .

علماء المحاضرة

مفضل بن محمد الاصفهاني ابو القاسم الراغب كان في اوائل المائة الخامسة له المحاضرات وأفانين البلاغة وغير ذلك ، والناس يظنون انه معتزلي لكن نقل السيوطي عن الفخر الرازي انه من ائمة السنة وقرنه بالغزالي وهذه فائدة حسنة فلا عبرة بظنون الناس وان بعض الظن إثم .

ابو المعالي محمد بن ابي سعيد بن الحسن بن حمدون الكاتب الملقب كافي الكفاءة بهاء الدين البغدادي صاحب التذكرة الحمدونية في علم المحاضرات ، كان فاضلا ذا معرفة تامة بالأدب والكتابة ، من بيت مشهور بالرياسة ، وكتابه التذكرة من احسن المجامع ، يشتمل على التاريخ والأدب والنوادر والاشعار لم يجمع احد من المتأخرين مثله ولد في سنة ٤٩٥ وتوفي سنة ٥٦٢ وكان موته في الحبس .

ابو عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه مولى هشام القرطبي صاحب كتاب العقد الفريد ، كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس ، وكتابه العقد من الكتب الممتعة حوى من كل شيء ، طبع في هذا الزمان بمصر القاهرة ، وله ديوان شعر جيد تشمل اشعاره كل معنى مليح وكل لفظ فصيح .

ولد في سنة ٢٤٦ وتوفي في سنة ٣٢٨ وكان قد اصابه الفالج قبل ذلك بأعوام وقرطبة بالضم مدينة كبيرة من بلاد الأندلس وهي دار مملكتها .

ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد الكاتب الاموي الاصبهاني صاحب كتاب الاغاني الذي طبع بمصر حالاً .

ولد باصبهان ، ونشأ ببغداد ، وكان من اعيان ادبائها وافراد مصنفيها ، عالماً بأيام الناس والاسباب والسير .

روى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم .

قال التنوخي وكان من المتشيعين الذي شاهدناهم ، وكان يحفظ من اللغة والنحو والمغازي والسير والاغاني والخرافات والاخبار والآثار والأحاديث المسندة والنسب ما لم ار قط من يحفظه مثله ، ويحفظ دون ذلك من علوم اخر ومن آلات المنادمة شيئا كثيرا ، مثل البيطرة وعلم الجوارح وطرف من الطب والنجوم والاشربة وغيرها ، وشعره يجمع اتقان العلماء واحسان الظرفاء .

وله من المصنفات المستملحة كتاب الأغاني في المحاضرات الذي وقع الاتفاق على انه لم يعمل في بابه مثله يقال انه جمعه في خمسين سنة وحمله الى سيف الدولة بن حمدان فأعطاه الف دينار واعتذر اليه .

وحكي عن الصاحب بن عباد انه كان في اسفاره وتنقلاته يستصحب حمل ثلثين جملا من كتب الأدب ليطالعها فلما وصل اليه كتاب الأغاني لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه استغناء به عنها .

ومنها كتاب القيان وكتاب الديارات ، وكتاب دعوة الاطباء .

ومنها كتاب جمهرة النسب وكتاب الغلمان المغنين ، وكتاب الاماء الشواعر ، وحصل له ببلاد الاندلس كتب صنفها لبني امية ملوك الاندلس ، وكان منقطعا الى الوزير المهلبي وله فيه مدائح وشعره كثير ومحاسنه شهيرة .

ولد في سنة ٢٨٤ وتوفي سنة ٣٥٦ ببغداد ، وكان قد خلط قبل ان يموت ،

وكان من اولاد مروان بن الحكم الأموي آخر خلفاء بني امية وهو اصبهاني الاصل بغدادي المنشأ .

احمد بن يحيى بن ابي بكر التلمساني المعروف بابن ابي حجلة ، نزيل دمشق ، ثم القاهرة .

ولد سنة ٧٢٥ ، واشتغل ثم قدم الى الحج فلم يرجع ومهر في الادب ، ونظم الكتب ونثر فأجاد وترسل ففاق ، وعمل المقامات وغيرها ، وكان حنفي المذهب ، حنبلي المعتقد ، وكان كثير الحط على الاتحادية ، صنف كتابا عارض به قصائد ابن فارض كلها نبوية وكان يحط عليه لكونه لم يمدح النبي ﷺ ، ويحط على اهل نحلته ويرميه ومن يقول بمقالته بالعظائم ، وقد امتحَنَ بسبب ذلك على يد سراج الهندي وكان يقول الشعر ولا يحسن العروض وجمع مجاميع حسنة منها : ديوان الصبابة ، ومنطق الطير والسكردان في علم المحاضرات ، والأدب الغض واطيب الطيب ، والنعمة الشاملة في العشرة الكاملة ، وقصيرات الحجال ، وغير ذلك مات في مستهل ذي الحجة سنة ٧٧٦ وله احدى وخمسون سنة .

كمال الدين محمد بن موسى الدميري الشافعي المصري صاحب كتاب حيوة الحيوان في علم المحاضرة ، وله تصانيف مفيدة في علوم عديدة كان كثير العبادة قائما بالصوم ، عدم النظير في وقته ، وكان يكتسب اولاً بالخياطة ثم تركه ، ولم يتقلد القضاء اصلا ولا لبس لبساً فاخرا .

اخذ عن الاسنوي والعراقي وأعيان العلماء ، ومن تأمل كتابه حيوة الحيوان وما اودعه فيه من الغرائب والفوائد عرف فضله .

ولد سنة ٧٤٣ وتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٨ والدميري بكسر الدال والميم وقيل بفتحها وكسر الميم قال في مدينة العلوم ولعل الصواب هو الأخير لاني قد وجدته مضبوطا بخط بعض الثقات .

ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسمٰعيل الثعالبي النيسابوري صاحب كتاب يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، وهو اكبر كتبه واحسنها واجمعها .

والثعالبي نسبة الى خياطة جلود الثعالب وعملها .

وله كتاب فقه اللغة وسحر البلاغة ، وسر البراعة .

قال ابن بسام صاحب الذخيرة في حقه كان في وقته راعي تلعات العلم وجامع اشتات النثر والنظم ، رأس المؤلفين في زمانه ، وامام المصنفين بحكم اقرانه ، سار ذكره سير المثل ، وضربت اليه آباط الابل ، وتواليفه اشهر مواضع ، وابهر مطالع ، واكثر راو لها وجامع طلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب .

ولد سنة ٣٥٠ وتوفي سنة ٤٢٩ .

وله كتاب مؤنس الوحيد في المحاضرات وشيء كثير جمع فيه اشعار الناس ورسائلهم واخبارهم وأحوالهم وفيها دلالة على كثرة اطلاعه وله اشعار كثيرة ذكر طرفاً منها ابن خلكان في تاريخه .

محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن احمد بن عبد الله الحاتمي الطائي الاندلسي يعرف بابن عربي[1] ، عمدة الواصلين وسند السالكين ، كان جليل الشأن في العلم والعمل ، وله المصنفات الوافرة والمؤلفات الزاخرة منها :

محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار من كتب علم المحاضرة .

مولده سنة ٥٦٠ .

وعنه اخذ الشيخ شرف الدين بن الفارض ، والشيخ صدر الدين القونوي .

---

(١) قوله ابن عربي بدون الالف واللام حسبما اصطلح عليه اهل المشرق فرقا بينه وبين القاضي ابي بكر بن العربي وكان بالمغرب يعرف بابن العربي بالالف واللام كذا في نفح الطيب ، سيد نور الحسن خان سلمه ربه .

وتوفي سنة ٦٣٨ ودفن بالصالحية بسفح قاسيون بتربة بني الذكي وقبره بها يزار بدمشق ، وكان ابوه خماراً بها .

وكان ابو تمام اسمر طويلا فصحيا ، حلو الكلام ، فيه تمتمة يسيرة ، واشتغل وتنقل الى ان صار منه ما صار .

وتوفي بالموصل سنة ٢٣١ او سنة ٢٢٨ او سنة ٢٢٩ وقيل سنة ٢٣٢ كذا قاله ابن خلكان في تاريخه وفيات الاعيان .

ابو الحسن علي بن احمد بن منصور المعروف بالبسام الشاعر المشهور صاحب الذخيرة .

كانت امه امامة ابنه حمدون النديم ، وهو من اعيان الشعراء وأفاضل الظرفاء ، لسناً مطبوعاً في الهجاء لم يسلم منه امير ولا وزير ولا صغير ولا كبير .

توفي سنة ٣٠٣ او ٣٠٢ عن نيف وسبعين سنة .

احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي ابو العلاء المعري من معرة النعمان من الشام بالقرب من حماة ، غزير الفضل ، شائع الذكر ، وافر العلم ، غاية في الفهم ، عالماً باللغة ، حاذقا بالنحو ، جيد الشعر ، جزل الكلام ، شهرته تغني عن صفته .

وله التصانيف المشهورة والرسائل المأثورة ،وله من النظم :لزوم ما لا يلزم وهو كبير في خمسة اجزاء أو ما يقاربها ، وله سقط الزند وشرحه بنفسه وسماه ضوء السقط ، وله كتاب الأيك والغُضُون في الأدب يقارب المائة جزء ، وكان علامة عصره متضلعا من فنون الادب .

ولد يوم الجمعة عند الغروب لثلاث بقين من ربيع الاول سنة ٣٦٣ بالمعرة وجدر في السنة الثالثة من عمره فعمي منه ، وهو مجدر الوجه ، نحيف الجسم ، وكان يقول لا اعرف من الألوان الا الاحمر لاني ألبست في الجدري ثوباً مصبوغاً بالعصفر ، قال الشعر وهو ابن احدى او اثنتي عشرة سنة .

واخذ النحو واللغة عن ابيه وعن محمد بن سعد النحوي بحلب ، وهو من بيت علم ورياسة ، وكان متهما في دينه يرى رأي البراهمة والحكماء المتقدمين ، لا يرى اكل اللحم ، ولا يؤمن بالبعث والنشور وبعث الرسل ، وشعره المتضمن للالحاد كثير .

قال ابن العميل في كتابه وقع التجري على المعري كان يرميه اهل الحسد بالتعطيل ويعملون على لسانه الأشعار يضمنونها اقوال الملاحدة قصداً لهلاكه ، وقد نقل عنه اشعار تتضمن صحة عقيدته وكذب ما ينسب اليه من اسناد الإلحاد اليه .

وقال الذهبي انه ملحد وحكم بزندقته وقال السلفي اظنه تاب واناب .

وله من التصانيف ديوان الشعر ، وشرح شعر المتنبي وسماه معجزا احمد ، وشرح شعر البحتري وسماه عبث الوليد ، واختصر ديوان ابي تمام وشرحه وسماه ذكرى حبيب .

والتنوخي نسبة الى تنوخ وهو اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين وتحالفوا على التناصر واقاموا هناك فسموا تنوخاً والتنوخ الاقامة وهذه القبيلة احدى القبائل الثلث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب .

مات ليلة الجمعة سنة ٤٤٩ وذكر له ابن الوردي ترجمة حافلة في تاريخه فليعلم .

احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الله الصمد الجعفي الكندي الكوفي ابو الطيب المتنبي الشاعر المشهور وقيل احمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار ، وهو من اهل الكوفة ، قدم الى الشام في صباه وجال في اقطاره واشتغل بفنون الادب ومهر فيها ، وكان من المكثرين في نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها ، لا يسئل عن شيء الا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان الشيخ ابا علي الفارسي قال له يوما كم لنا من الجموع على وزن فعلى ؟

فقال في الحال حجلى وظربى .

قال ابو علي فطالعت كتب اللغة ثلث ليال على ان أجد لهذين الجمعين ثالثا فلم اجد .

قال ابن خلكان وحسبك ان يقول في حقه ابو علي هذه المقالة وكان شعره بلغ الغابة من الفصاحة والبلاغة والحكمة وسائر المحاسن بحيث لا حاجة الى مدحه .

والناس في شعره على اختلاف .

منهم من يرجحه على شعر ابي تمام ومن بعده .

ومنهم من يرجح شعر ابي تمام عليه .

اعتنى العلماء بشرح ديوانه حتى قال بعضهم وقفت له على اكثر من اربعين شرحاً ما بين مطول ومختصر ولم يفعل هذا بديوان غيره ، ولا شك انه كان رجلا مسعوداً رزق السعادة التامة في شعره ، وانما قيل له المتنبي لانه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم حتى حبس ثم تاب واطلق ، وهذا اصح وقيل لقوله أنا اول نبي بالشعر ، وقيل لقوله أنا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود وكان سبب قتله قوله :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والحرب والضرب والقرطاس والقلم

وذلك في رمضان سنة ٣٥٤ ومولده بالكوفة سنة ٣٠٣ بمحلة كندة .

ويقال ان اباه كان سقاء بالكوفة ، وبالجملة فسموّ نفسه وعلو همته واخباره وماجرياته كثيرة والاختصار اولى .

ابو عبادة وليد بن عبيد بن يحيى الطائي البحتري الشاعر المشهور صاحب الديوان .

مدح كثيراً من الخلفاء اولهم المتوكل على الله وكثيراً من الأكابر والرؤساء ، واقام ببغداد زمانا ثم عاد الى الشام ، وله اشعار كثيرة فيها ذكر حلب ونواحيها ، وكان يتغزل بها .

روى عنه اشياء من شعره المبرد والمحاملي والحكيمي والصولي .

قيل له أيما شعر أنت ام أبو تمام قال جيده خير من جيدي ورديّ خير من رديه .

وقيل للمعري اي الثلثة اشعر ابو تمام أم البحتري ام المتنبي ؟ فقال : هما حكيمان والشاعر البحتري .

قال ابن خلكان ولعمري ما انصفه ابن الرومي في قوله :

والفتى البحتري يسرق مآقا مثل ابن اوس في المدح والتشبيب
كل بيت له يجود معنا ه فمعناه لابن اوس حبيب

وشعره سائر وديوانه موجود دائر فلا حاجة الى الاكثار في مدح شعره .

وجمع شعره على الحروف ابو بكر الصولي .

وعلى الانواع علي بن حمزة .

وللبحتري كتاب الحماسة على مثال حماسة ابي تمام ، وله كتاب معاني الشعر ، ولد سنة ست او سبع او خمس او ثلث او اثنتين ومائتين والاول اصح .

وكان يقال لشعره سلاسل الذهب وهو في الطبقة العليا ، قال ابن الجوزي في كتاب اعمار الاعيان توفي البحتري وهو ابن ثمانين سنة وكان موته بمنيح اطال ابن خلكان في ترجمته . منبج

جرير بن عطية بن الخطفي التميمي الشاعر المشهور صاحب ديوان الشعر ، كان من فحول شعراء الاسلام ، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض وهو اشعر منه عند اكثر اهل العلم بهذا الشأن .

واجمعت العلماء على انه ليس في شعراء الاسلام مثل ثلثة : جرير والفرزدق والأخطل ويقال ان بيوت الشعر اربعة : فخر ومديح ونسيب وهجاء وفي الاربعة فاق جرير على غيره ، ويلقب بابن المراغة وهذا لقب لأمه هجاه بن الأخطل ونسبها الى ان الرجال يتمرغون عليها .

ولما مات الفرزدق وبلغ خبره جريرا بكى وقال : اما والله اني لاعلم اني قليل

البقاء بعده وقل ما مات ضد او صديق الا تبعه صاحبه وكذلك كان فتوفي سنة ١١٠ وفيها مات الفرزدق ، وكان وفاته باليمامة وعمره نيفاً وثمانين سنة ذكر له ابن خلكان ترجمة حافلة في تاريخه وفيات الاعيان .

ابو فراس همام بن غالب التميم الشاعر المشهور بالفرزدق صاحب جرير وكان بينهما من المهاجاة والمعاداة ما هو المشهور في كتب المحاضرات ، وقد جمع لهما كتاب يسمى النقائض وهو من الكتب المشهورة .

توفي بالبصرة سنة ١١٠ قبل جرير باربعين او ثمانين يوما .

قال ابن الجوزي انهما توفيا في سنة ١١١ قيل لقي الفرزدق علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وقد قارب المائة .

والفرزدق قطع العجين ، وانما لقب به لغلظه وقصره ، وقيل لأنه كان جهم الوجه وقد اصابه جدري في وجهه وهذا القول اصح ، وقصائده مشهورة موجوده منها قصيدته في مدح الامام زين العابدين التي سارت بها الركبان وشرحها جمع جم من الاعيان اولها :

هذا سليل حسين وابن فاطمة بنت الرسول الذي انجابت به الظلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

الخ ، وقد اختلف اهل المعرفة بالشعر في الفرزدق وجرير والمفاضلة بينهما والاكثرون على ان جرير اشعر منه ، واخبار الفرزدق كثيرة والاختصار اولى .

وذكر له ابن خلكان ترجمة حافلة وذكر قصيدته المذكورة مع قصتها ولهذه القصيدة ترجمة بالنظم للشيخ عبد الرحمن الجامي ، ولها شرح للمولوي جميل احمد البلجرامي بالفارسي .

قال ابن خلكان وكان الفرزدق كثير التعظيم لقبر ابيه فما جاءه احد واستجار به الا نهض معه وساعده على بلوغ غرضه انتهى .

ابو نواس حسن بن هاني بن عبد الاول الشاعر المشهور ولد بالبصرة ونشأ بها .

وقيل ولد بالاهواز ، ثم خرج الى الكوفة ، ثم الى بغداد .

وامه هوازية اسمها جلبان ، وكان ابوه من جند مروان بن محمد آخر ملوك بني امية ، وكان من اهل دمشق ، وانتقل الى الاهواز للرباط فتزوج جلبان وأولدها عدة اولاد منهم ابو نواس وابو معاذ .

وروي ان الخصيب صاحب ديوان الخراج بمصر سأل ابا نواس عن نسبه فقال اغناني ادبي عن نسبي فأمسك عنه .

قال اسمٰعيل بن نوبخت ما رأيت قط اوسع علما من ابي نواس ولا احفظ منه مع قلة كتبه ، ولقد فتشنا منزله بعد موته فما وجدنا له الا قمطراً فيه جزاز مشتمل على غريب ونحو لا غير .

وكان في الطبقة الاولى من المولدين وشعره عشرة انواع وهو مجيد فيها ، وقد اعتنى بجمع شعره طائفة من الفضلاء منهم الصولي وتوزون ولهذا يوجد ديوانه مختلفا واخباره كثيرة واشعاره شهيرة .

ولد في سنة ١٤٥ او سنة ١٣٦ وتوفي سنة خمس او ست وثمانين او تسعين ومائة ببغداد وانما قيل له ابو نواس لذوابتين كانتا تنوسان على عاتقيه وما احسن ظنه بربه عز وجل حيث قال :

تكثر ما استطعت من الخطايا فانك بالغ ربّاً غفوراً
ستبصر إن وردت عليه عفواً وتلقى سيداً ملكا كبيرا
تعض ندامة كفيك مما تركت مخافة النار السرورا

قال ابن خلكان وهذا من احسن المعاني واغربها واخباره كثيرة ومن شعره الفائق قصيدته الميمية اولها :

يا دار ما صنعت بك الايام لم تبق فيك بشاشة تستام

ابو اسمعيل الحسين بن علي بن محمد الملقب مؤيد الدين عميد الملك فخر الكتّاب الاصبهاني المنشي المعروف بالطغرائي ، كان غزير الفضل لطيف الطبع ،

فاق اهل عصره بصنعة النظم والنثر ، ذكره السمعاني وأثنى عليه .

له ديوان شعر جيد ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم وكان عملها ببغداد في سنة ٥٠٥ يصف حاله ويشكو زمانه اولها :

اصالـة الــرأي صانتنـــي عن الخطل وحلية الفضـــل زانتنـــي لدى العطل

وهي مذكورة في تاريخ ابن خلكان بتمامها .

وذكره ابو المعالي الخطيري في كتاب زينة الدهر وذكر له مقاطيع .

وذكره ابو البركات ابن المستوفي في تاريخ اربل وقال : انه ولي الوزارة في مدينة اربل مدة وذكر العماد الكاتب في نصرة الفتـرة وعصرة القطـرة وهـو تاريخ الدولة السلجوقية ان الطغرائي كان ينعت بالاستاذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل ، قتل سنة ثلث او اربع او ثماني عشرة وخمسمائة وقد جاوز ستين سنة .

والطغرائي نسبة الى من يكتب الطغراء وهي الطـرة التـي تكتـب في اعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه وهي لفظة أعجمية .

قال ابن الاثير في الكامل كان الاستاذ يميل الى صنعة الكيمياء وله فيهـا تصانيف قد ضيعت من الناس اموالا لا تحصى ، قيل وتلك التصانيف معتبرة عند اهلها .

منها كتـاب مفـاتيح الرحمـة ومصـابيح الحكمـة ، ومنهـا جامـع الاسرار وتراكيب الانوار وكتاب حقائق الاستشهادات بين فيه اثبات صناعة الكيمياء ورد على ابن سينا في ابطالها بمقدمات من كتاب الشفاء ، يقال انه القـى مثقـالا من الاكسير على ستين الف واخرى على ثلثمائة الف فصار ذهبا .

وانما سمّى قصيدته لامية العجم تشبيها بلامية العرب التي مطلعها :

اقيمـوا بنـي امـي صدور مطيكم فانـي الى قومٍ سواكم لأميـل

والللاميات كثيرة منها لامية حسان الهند مير غلام علي آزاد البلجرامـي في ديوانه ولله درها ما ابلغها وافصحها .

ابو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد وفي ابن خلكان ابو يحيى عبد الرحيم ابن محمد بن اسمعيل بن نباتة ، كان شاعرا مجيدا إماما في علوم الادب ، ورزق السعادة في خطبه التي وقع الاجماع على انه ما عمل مثلها ، جمع فيها بين حسن السبك وجودة المعاني وفيها دلالة على غزارة علمه وقوة قريحته ، وهو من اهـل ميافارقين ، وكان خطيب حلب وبها اجتمع بأبي الطيب المتنبي وقالوا انه سمع عليه بعض ديوانه ، طاف البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء ، وله في سيف الدولة بن حمدان غرُّ القصائد ونخب المدائح ومعظـم شعـره جيد ، ولـه ديوان كبير .

وكان سيف الدولة كثير الغزوات فلهذا اكثر الخطيب من خطـب الجهـاد ليحض الناس عليه وحثهم على نصرته ، وكان رجلا صالحاً ذكر الشيخ تاج الدين الكندي باسناده المتصل الى الخطيب انه قال : لما عملت خطبة المنام وخطبت بها يوم الجمعة رأيت ليلة السبت في منامي كأني بظاهر ميافارقين عند الجبانة فقلت ما هذا الجمع ؟

فقال لي قائل : هذا النبي ﷺ ومعه اصحابه فقصدت اليه لأسلم عليه فلما دنوت منه التفت فرآني فقال مرحبا ياخطيب الخطباء كيف تقول وأومى الى القبور قلت لا يخبرون بما اليه آلوا ولو قدروا على المقال لقالوا الى آخر ما ذكره ابن خلكان فقال لي : احسنت أدْن فدنوت منه ﷺ فأخذ وجهي وقبلهُ وتفل في فمي وقال : وفقك الله .

قال فانتبهت من النوم وبي من السرور ما يجل عن الوصف فأخبرت اهلي بما رأيت .

قال الكندي وبقي الخطيب بعد هذا المنام ثلٰثة ايام لا يطعم طعاماً ولا يشتهيه وتوجد في فيه رائحة المسك ولم يعش الا مدة يسيرة ، ولما استيقظ من منامه كان على وجهه اثر نور وبهجة لم يكن قبل ذلك ، وقص رؤ ياه على الناس وقال سماني رسول الله ﷺ خطيبا وعاش ثمانية عشر يوما لا يستطعم فيها طعاما ولا شرابا من اجل تلك التفلة وبركتها .

قال الوزير ابو القاسم بن المغربي رأيت ابن نباتة في المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال دفع لي ورقة فيها سطران بالاحمر وهما :

قد كان امـن لك من قبـل ذا واليوم اضحـى لك امنان
والصفـح لا يحسـن عن محسن وانمـا يحسـن عن جاني

ولد سنة ٣٣٥ وتوفي سنة ٣٧٤ ببغداد .

قال كنت يوما قائلا في دهليزي فدق عليّ الباب .

فقلت من ؟ فقال : رجل من اهل الشرق .

فقلت ما حاجتك ؟

فقال انت القائل :

ومـن لم يمـت بالسيف مات بعلة تنوعـت الاسبـاب والـداء واحد

فقلت نعم فقال أرويه عنك قلت نعم ، فلما كان آخر النهار دق عليّ الباب فقلت من ؟ فقال رجل من اهل تاهرت من الغرب .

فقلت ما حاجتك ؟ فقال : انت القائل ومن لم يمت الخ فقلت نعم فقال ارويه عنك فقلت نَعَمْ وعجبت كيف وصل شعري الى الشرق والغرب .

تلت وعدم القدرة على الشعر ونظمه ثلمة في كون العالم من الطبقة الاولى لاهل العلم كما حرّره وقدّره شيخنا وبركتنا محمد بن علي الشوكاني رحمه الله تعالى رحمة واسعة وتقدم .

ابو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد الهاشمي اخذ الادب عن المبرد وثعلب وغيرهما ، كان اديباً بليغا شاعراً مطبوعا مقتدرا على الشعر ، قريب المأخذ ، سهل اللفظ جيد القريحة حسن الابداع للمعاني ، مخالطاً للعلماء والادباء ، معدودا في جملتهم ، شديد السمرة مسنون الوجه يخضب بالسواد ، رخي البال في عيش رغيد الى ان خلع المقتدر وبويع ابن المعتز ولقبوه المرتضي بالله .

وقيل المنصف بالله .

وقيل الغالب بالله .

وقيل الراضي بالله ، اقام يوما وليلة ثم اعيد المقتدر واختفى ابن المعتز ثم اخذه المقتدر ، وقتله يوم الخميس ثاني شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين والقصة مشهورة وفيها طول ، وهذه خلاصتها .

وله من التصانيف كتاب الزهر والرياض ، وكتاب البديع ، وكتاب مكاتبات الاخوان ، وكتاب الجوارح والصيد ، وكتاب السرقات ، وكتاب اشعار الملوك ، وكتاب الآداب ، وكتاب حلى الاخبار ، وكتاب طبقات الشعراء ، وكتاب الجامع في الغنا وغير ذلك وله اشعار رائقة وتشبيهات بديعة فائقة وله الابيات المشهورة :

سقى المطيرة ذات الظل والشجر ... ودير عبدون هطال من المطر
فطالما نبهتني بالصبوح لها ... في غرة الفجر والعصفور لم يطر
اصوات رهبان دير في صلاتهم ... سود المدارع نعارين في السحر
مزمزمين على الاوساط قد جعلوا ... على الرؤوس اكاليلا من الشعر
كم فيهم من مليح الوجه مكتحل ... بالسحر يطبق جفنيه على حور
لاحظته بالهوى حتى استفاد له ... طوعا واسلفني الميعاد بالنظر
وجاءني في قميص الليل مستترا ... يستعجل الخطو اذيالي على الاثر

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثـل القلامـة قد قدت من الظفر
وكان ما كان مما لست اذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

عمر بن ابي الحسن علي بن المرشد ابو حفص بن الفارض الحموي الاصل المصري المولد والدار والوفاة شيخ الصوفية وصوفي الشعراء ، له ديوان شعر لطيف واسلوبه فيه رائق طريف ، ينحو ينحى طريقة الفقراء ، وله قصيدة مقدار ستمائة بيت مشتملة على اصطلاحهم ومنهجهم .

قال ابن خلكان سمعت انه كان رجلا صالحاً كثير الخير على قدم التجرد ، جاور بمكة زمانا ، وكان حسن الصحبة محمود العشرة ، اخبرني بعض اصحابه أنه ترنم يوما وهو في خلوة ببيت الحريري صاحب المقامات :

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

فسمع قائلا يقول ولم ير شخصه :

محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط

ولد في الرابع من ذي القعدة سنة ٥٧٦ بالقاهرة وتوفي بها يوم الثلثاء في الثاني من جمادى الاولى سنة ٦٣٢ ودفن من الغد بسفح المقطم .

والفارض هو الذي يكتب الفروض للنساء على الرجال انتهى .

قلت وهو ايضا ممن اختلف في اسلامه وكفره اهل العلم بناء على مقالاته التي تقضي بالالحاد والوحدة ، وهو تلميذ الشيخ محي الدين بن عربي الطائي عفا الله عنهما ، وله دوبيت ومواليا وألغاز وقد طبع ديوانه مع الشرح لهذا العهد بمصر وهو موجود عندي وما ألطف قوله من جملة قصيدة طويلة :

اهلا بمن لم اكن اهلا بموقعه قول المبشر بعد اليأس بالفرج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرت ثم على ما فيك من عوج

وله من قصيدة اخرى :

لم اخل من حسد عليك فلا تضع ‏ ‏ سهري بتشييع الخيال المرجف
واسأل نجوم الليل زار الكرى ‏ ‏ جفني وكيف يزور من لم يعرف

ومنها :

وعلى تفنن واصفيه بحسنه ‏ ‏ يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

بهاء الدين زهير بن محمد بن علي بن يحيى الكاتب ابو الفضل .

من فضلاء عصره وأحسنهم نظما ونثرا وخطاً واكبرهم مروة ، كان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين ابي الفتح ايوب بالديار المصرية وتوجه في خدمته الى البلاد الشرقية ثم عاد معه الى القاهرة .

ولد في سنة ٥٨١ بمكة حرسها الله تعالى وتوفي عصر يوم الاحد سنة ٦٥٦ .

قال ابن خلكان اجتمعت به ورأيته فوق ما سمعت عنه من مكارم الاخلاق وكثرة الرياضة ودماثة السجايا ، وكان متمكنا من صاحبه كبير القدر عنده لا يطلع على سره الخفي غيره ، ومع هذا كله فانه كان لا يتوسط عنده الا بالخير ونفع خلقا كثيراً بحسن وساطته وجميل سفارته وانشدني كثيراً من شعره منه :

يا روضة الحسن صلي فما عليك ضير ‏ ‏ فهل رأيت روضة لبس بها زهير

وشعره كله لطيف وهو كما يقال السهل الممتنع واجازني رواية ديوانه انتهى ملخصاً .

ابو علي دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المشهور اصله من الكوفة ويقال من قرقيسا واقام ببغداد . وقيل دعبل لقب واسمه الحسن او عبد الرحمن او محمد .

كان اطروشا وفي قفاه سلعة وكان شاعراً مجيدا الا انه كان بذي اللسان مولعاً بالهجو والحطّ من اقدار الناس ، وهجا الخلفاء فمن دونهم منهم المأمون ،

وطال عمره وشاع ذكره ، وكان يقول : لي خمسون سنة احمل خشبتي على كتفي ادور على من يصلبني عليها فما اجد من يفعل ذلك .

ومن كلامه من فضل الشعر انه لم يكذب احد قط الا اجتواه الناس الا الشاعر فانه كلما زاد كذبه زاد المدح له ، ثم لا يقنع له بذلك حتى يقال له احسنت ، والله فلا يشهد له شهادة زور الا ومعها يمين بالله تعالى .

ولد سنة ١٤٨ وتوفي سنة ٢٤٦ ودعبل بكسر الدال اسم الناقة الشارف .

ومدح دعبل عليّ بن موسى الرضا بقصيدة اولها :

مدارس آيات خلت عن تلاوة ومهبط وحي مقفر العرصات

فأمر له بجائزة سنية فقال ما قلتها الا لوجه الله وسأل منه قميصاً يباشر جسده الشريف ليجعله في كفنه لعل الله يبرد به مضجعه فأعطاه ذلك .

ولما سمعه فضل بن سهل حمل الى دعبل ثلثين الف درهم وحمل اليه مامون مالا جزيلا غفر الله له ذنوبه .

القاضي التنوخي ابو علي المحسن بن ابي القاسم علي بن محمد صاحب كتاب الفرج بعد الشدة ، وله ديوان شعر جيد اكبر من ديوان ابيه ، وكتاب نشوان المحاضرة ، وكتاب المستجاد من فعلات الاجواد ، نزل بغداد واقام بها ، وحدث الى حين وفاته وكان سماعه صحيحا ، وكان اديباً شاعرا اخبارياً تقلد القضاء والاعمال من قبل الامام المطيع لله .

ولد سنة ٣٢٧ بالبصرة وتوفي ببغداد سنة ٣٨٤ ذكره واباه الثعالبي ثم قال في حقه : هلال ذلك القمر وغصن هاتيك الشجر والشاهد العدل بمجد ابيه وفضله والفرع المشيد لاصله والنائب عنه في حياته والقائم مقامه بعد وفاته ومن المنسوب اليه :

قل للمليحة في الخمار المذهب افسدت نسك اخي التقيّ المترهب

نور الخمار ونـور خدك تحته   عجبـا لوجهـك كيف لم يلتهب
وجمعت بـين المذهبـين فلـم يكن   للحســن عن ذهبيهما من مذهب
واذا اتـت عـين لتسرق نظرة   قال الشعـاع لهـا اذهبـي لا تذهبي

قال ابن خلكان وما ألطف قوله اذهبي لا تذهبي .

واما ولده ابو القاسم علي بن المحسن فكان ايضا اديباً فاضلا له شعر صحب ابا العلاء المعري .

واخذ عنه كثيرا وهم اهل بيت كلهم فضلاء ادباء ظرفاء .

ولد في منتصف شعبان سنة خمس وستين وثلثمائة بالبصرة وتوفي مستهل المحرم يوم الاحد سنة سبع واربعين واربعمائة انتهى .

ابراهيم بن العباس بن محمد الصولي كان احد الشعراء المجيدين وله ديوان شعر كله نخب وهو صغير ومن رقيق شعره قوله :

دنـت بأنـاس عن تنـاء زيارة   وشـط بليلى عن دنـو مزارها
وان مقيمات بمنعـرج اللوى   لاقـرب من ليلى وهـاتيك دارها

وله نثر بديع فمن ذلك ما كتبه عن امير المؤمنين الى بعض البغاة الخارجين يهددهم ويتوعدهم وهو .

اما بعد فان لامير المؤمنين اناة فان لم تغن عقّب بعدها وعيدا ، فان لم يغن اغنت عزائمه والسلام ، وهذا الكلام مع وجازته في غاية الابداع فانه ينشأ منه بيت شعر له اوله :

انـاة فان لم تغـن عقـب بعدها   وعيداً فان لم يغـن اغنـت عزائمه

وله كل مقطوع بديع توفي بسرمن رأى في سنة ٢٤٣ .

ابو اسحق ابراهيم بن علي المعروف بالحصري القيراواني الشاعر المشهور ،

له ديوان شعر وكتاب زهر الآداب وثمر الالباب جمع فيه كل غريبة ، وكتاب المصون في سر الهوى المكنون ومن شعره :

انـي احبـك حبـاً ليس يبلغه   فهـم ولا ينتهـي وصفـي الى صفته
اقصى نهـاية علمـي فيه معرفتي   بالعجـز منـي عن إدراك معرفته

توفي في سنة ٢١٣ والقيروان بفتح القاف مدينة بافريقية[1] بناها عقبة بن عامر الصحابي رضي الله عنه وهو في اللغة القافلة وهو فارسي معرب كاروان .

وقال ابن القطاع اللغوي بالفتح الجيش وبضمها القافلة يقال ان قافلة نزلت بذلك المكان ثم بنيت المدينة في موضعها فسميت بها وهو اسم للجيش ايضا . . .

ابو اسحق ابراهيم بن ابي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الاندلسي الشاعر له ديوان شعر احسن فيه كل الاحسان ، ذكره ابن بسام في الذخيرة واثنى عليه وقال كان مقيما بشرق الاندلس ولم يتعرض لاستماحة ملوك طوائفها مع تهافتهم على اهل الادب ومن شعره في عشية انس وقد ابدع فيه :

وعشي انس أضجعتني نشوة   فيه تمهـد مضجعـي وتدمث
خلعـت علي به الاراكة ظلها   والغصـن يصغـي والحمام يحدث
والشـمس تجنـح للغـروب مريضة   والرعـي يرقـي والغمامـة تنفث

ولد في سنة ٤٥٠ وتوفي بها سنة ثلث وثلثين وخمسمائة .

ابو اسحق ابراهيم بن يحيى بن عثمان الاشهبي الغزي شاعر محسن ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق له ديوان شعر اختاره لنفسه وذكر في خطبته انه الف

---

(١) افريقية سميت باسم افريقين بن قيس بن صيفي الحميري وهذا الذي افتتح افريقية وسميت به وقيل ملكها جزجير ويومئذ سميت البربر قال لهم ما اكثر بربرتكم ويقال افريقس والله اعلم، سيد نور الحسن خان سلمه ربه.

بيت ، وذكره العماد الكاتب في الخريدة وأثنى عليه وقال انه جاب البلاد وتغرب ، واكثر النقل والحركات ، وتغلغل في اقطار خراسان وكرمان وبقي الناس ، ومن شعره :

من آلة الدست لم يعط الوزير سوى ... تحريك لحيته في حال ايماء
ان الوزير ولا ازر يشد به ... مثل العروض له بحر بلا ماء

وله :

اشارة منك تغنيني واحسن ما ... ردّاك لام غداة البين بالعنم
حتى اذا طاح عنها المرط من دهش ... وانحل بالضم سلك العقد في الظلم
تبسمت فأضاء الليل فالتقطت ... حبات منتثر في ضوء منتظم

وهو ما تستملحه الأدباء وتستظرفه الظرفاء .

ولد بغزة سنة ٤٤١ وتوفي سنة ٥٢٤ وانه كان يقول لما حضرته الوفاة : ارجو ان يغفر الله لي ثلاثة اشياء : كوني من بلد الامام الشافعي ، واني شيخ كبير ، واني غريب رحمه الله وحقق رجاه .

وانما قال اني غريب لانه مات بين مرو وبلخ من بلاد خراسان ونقل الى بلخ ودفن بها .

الشيخ عبد العزيز اللبناني لم اقف له على ترجمةٍ وذكره السيد ازاد في كتابه الخزانة العامرة وقال طالعت ديوانه الذي صدر من ايران الىٰ هند وتاريخ كتابته سنة ست وسبعين وستمائة ، وهو في غاية المتانة وعليه ديباجة حررها ولده بالعربية في نهاية البلاغة والفطانة وهي : اللهم يا واسم اليوادي بأطواق الأيادي ، وناقع غلة الصوادي بالروائح والغوادي ، ودافع معرة العوادي من الحواضر والبوادي ، صلّ على نبينا الهادي محمد خير من حضر النوادي وعلى آله وصحبه بدور الظلم والدادي ما غنى الحمام الشادي وارتجز بأذناب القلائص الحادي ، وأنلني منية

فوادي يوم يناد المنادي الخ ،ومن اشعار اللبناني ما حكاها ازاد في كتابه المذكور وهو تشبيب لقصيدة منها :

بالله يا حادي الانضاء ما الخبر … اعرّس الركب بالبطحاء ام عبروا
الاّ نشدت فؤادي عند كاظمة … فانه ضل حيث الضال والسمر
اما مررت بوادي الاثل من اضم … اما دعتك بها الآرام والعُفَر
خريدة ما جننت بالحسن وحبتها … الا ومقلتها بالسحر تعتذر
طالت نواها كما طالت غدائرها
وفي خطاها كما في وصلها قِصرَ

واذا انتهيت الى هذا المقام فلعلك تسأم من هذا النوع من الكلام مع ان احصاء شعراء الاسلام امر تنبو عنه الاوهام انظر في قلائد العقيان لأبي الفتح ابن خاقان ، وريحانة الالباء للخفاجي ، ونفحة الريحانة وغير ذلك مما ألف في هذا الباب وهو اكثر من ان يحصى ، وكذلك الدواوين في الشعر مما لا يستقصى يتضح لك حقيقة المرام .

واما الشعراء القدماء فأشعرهم نذكر اسماءهم ههنا .

منهم امرأ القيس الكندي وهو الذي فتح لهم افانين الشعر .

ومنهم النابغة الذبياني واسمه زياد بن عمر وقد قدمه بعض الرواة على
١ مرىء امرؤ القيس لرقة شعره .

ومنهم زهير بن ابي سلمى بضم السين المازني هو اشدهم امراً وامدحهم واجرأهم على الكلام .

وابنه كعب بلغه الاسلام فاسلم ومدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدماهجاه وتاب بعد ماعصاه وانشد عنده قصيدته المشهورة (ببانت سعاد) فعفى عنه النبي ﷺ بعد ان اهدر دمه واجازه ببردة له ﷺ واسلم فحسن اسلامه ،

ذكره في مدينة العلوم ، وتكلم اهل الحديث على صحة هذه الرواية والله اعلم .

ومنهم الاعشى واسمه ميمون بن قيس بن ثعلبة كان لا يمدح احداً الا رفع منه ولا يهجو احدا الا وضع عنه .

ومنهم طرفة بن العبد بن سفيان فضّله بعض الشعراء على غيره وزعم لبيد انه اشعر الناس .

ومنهم اوس بن هجر من بني اسد ادرك زهير او النابغة وكان شاعر تميم .

ومنهم لبيد بن ربيعة من بني عامر بن صعصعة لم يدرك احد من هؤلاء الاسلام غيره لطول عمره وكان أتقاهم تكلفا واقلهم سقطا .

ومنهم عدي بن زيد من بني امرؤ القيس كان الفضل بن محمد يقدمه عليهم بحسن استعاراته وحلاوة عباراته .

ومنهم عبيد بن الابرص هو اقدمهم سناً وقد جعلوه امرؤ القيس .

ومنهم بشر الاسدي وهو عاشرهم واهل الحجاز يقدمونه عليهم ويرون انه اشعرهم واسدهم سياقاً للحديث والله اعلم بالصواب .

علماء التواريخ

ابو الفدا اسمعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي الحافظ عماد الدين بن الخطيب شهاب الدين المعروف بالحافظ ابن كثير .

ولد سنة سبعمائة ، وقدم دمشق وله نحو سبع سنين مع اخيه بعد موت ابيه ، وحفظ التنبيه ومختصر ابن الحاجب .

وتفقه بالبرهان ان الفزاري والكمال ابن شهبة ، ثم صاهر المزي ، وصحب شيخ الاسلام ابن تيمية ومدحه في كتابه الباعث الحثيث احسن مدح .

وقرأ في الأصول على الاصبهاني وكان كثير الاستحضار وقليل النسيان ،

جيد الفهم ، مشاركاً في العربية ينظم نظما وسطا .

قال ابن حجي ما اجتمعت به قط إلا استفدت منه ، وقد لازمته ست سنين ، وذكره الذهبي في معجمه المختص فقال :

الامام المحدث المفتي البارع ، ووصفه بحفظ المتون ، وسمع من ابن عساكر وغيره .

ولازم الحافظ المزي وتزوج بابنته وسمع عليه اكثر تصانيفه .

واخذ عن الشيخ تقي الدين بن تيمية فاكثر عنه وصنف التصانيف الكثيرة في التفسير والتاريخ والاحكام .

وقال ابن حبيب فيه : امام ذوي التسبيح والتهليل وزعيم أرباب التأويل ، سمع وجمع وصنَّف وأطرب الاسماع بأقواله ، وشنف وحدث وافاد وطارت اوراق فتاواة الى البلاد ، واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهت اليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير .

مات بدمشق خامس عشر شعبان فقد اجاز لمن ادركه حياً وهو القائل :

تمر بنا الايام تترى وانما   تساق الى الآجال والعين تنظر
ولا عائد ذاك الشباب الذي مضى   ولا زائل هذا المشيب المكدر

ولو قال فلا عائد صفو الشباب لكان أصنع .

ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري وقيل يزيد بن كثير بن غالب صاحب التاريخ الشهير والتفسير الكبير .

كان اماماً في فنون كثيرة منها الحديث والفقه والتاريخ والتفسير وغير ذلك .

وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله .

وكان من الأئمة المجتهدين لم يقلد احدا ، وكان ابو الفرج المعافى بن

زكريا النهرواني المعروف بابن طرار على مذهبه ، وكان ثقة في نقله ، وتاريخه اصح التواريخ وأثبتها وذكره الشيخ ابو اسحق الشيرازي في طبقات الفقهاء في جملة المجتهدين ولد سنة ٢٢٤ بآمل طبرستان وتوفي في شوال سنة ٣١٠ ببغداد رحمه الله كذا في ابن خلكان .

عز الدين ابو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الاثير الجزري صاحب التاريخ المسمى بالكامل المطبوع بمصر حالا ، ولد بالجزيرة ونشأ بها ، ثم سار الى الموصل مع والده واخويه وسمع بها وقدم بغداد مراراً حاجا ورسولا من صاحب الموصل ، وسمع من فضلائها ، ثم رحل الى الشام والقدس وسمع هناك من جماعة ثم عاد الى الموصل ولزم بيته منقطعا الى التوفر على النظر في العلم والتصنيف ، وكان بيته مجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها .

وكان اماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به حافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة ، خبيراً بانساب العرب ووقائعهم واخبارهم وايامهم .

صنف في التاريخ كتاباً كبيرا سماه الكامل ابتدأ فيه من أول الزمان آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وهو من خيار التواريخ وقفت عليه .

واختصر كتاب الانساب لأبي سعد السمعاني وزاد عليه اشياء أهملها ونبَّه على اغلاط واستدرك عليه فيه في مواضع ، وله كتاب اخبار الصحابة في ست مجلدات .

ولد في سنة ٥٥٥ ومات في سنة ٦٣٠ .

وقال ابن خلكان اجتمعت به فوجدته رجلا مكملا في الفضائل وكرم الاخلاق وكثرة التواضع فلازمت التردداد اليه ، وكان بينه وبين الوالد موانسة اكيدة فكان بسببها يبالغ في الرعاية والاكرام انتهى .

ابو الفرج عبد الرحمن بن ابي الحسن علي بن محمد القرشي التميمي الصديقي البغدادي الفقيه المحدث المفسر الواعظ الحنبلي المعروف بابن الجوزي

الحافظ الملقب جمال الحفاظ ، كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ ، صنف متوناً في فنون عديدة .

منها زاد المسير في علم التفسير اربعة اجزاء أتى فيه بأشياء غريبة .

وله في الحديث تصانيف كثيرة حسنة نافعة .

منها الموضوعات في اربعة اجزاء اورد فيها كل حديث موضوع لكن تعقب عليه في بعضها .

وله تلبيس ابليس وهو نافع جدا مفيداً لمن يريد الآخرة .

والمنتظم في تواريخ الامم وهو كبير .

وكتاب تلقيح فهوم الأثر على وضع كتاب المعارف لابن قتيبة .

ولقط المنافع في الطب .

وبالجملة فكتبه اكثر من ان تعد ، وكتب بخطه شيئا كثيرا ، والناس يغالون في ذلك حتى يقال انه جمعت الكراريس التي كتبها وحُسِبت مدة عمره وقسمت الكراريس عليها فكان ما خص كل يوم تسع كراريس وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله[1] العقل ،ويقال انه جمعت بُراية اقلامه التي كتب بها حديث رسول الله ﷺ فحصل منها شيء كثير وأوصى ان يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك فكفت وفضل منها ، وله اشعار كثيرة وكانت له في مجالس الوعظ اجوبة نادرة .

فمن احسن ما يحكى عنه انه وقع النزاع ببغداد بين اهل السنة والشيعة في المفاضلة بين ابي بكر وعلي رضي الله عنهما فرضي الكل بما يجيب به الشيخ ،

---

(١) لكن رأينا اميرنا ورئيسنا حضرتنا النواب على الجاه امير الملك بهادر مؤلف هذالكتاب متع الله المسلمين بعلومه الى يوم الحساب يصنف ويكتب في يوم واحد اجزاء عديدة صحيحة لا يغالط فيها غالبا فيقبله العقل ولا يأباه والله يختص برحمته من يشاء ، علي حسين عفى عنه .

فأقاموا شخصاً سأله عن ذلك وهو على الكرسي في مجالس وعظه فقال :

أفضلهما من كانت ابنته تحته وفي رواية من كانت بنته في بيته ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك .

فقال السنية هو ابو بكر لأن ابنته عايشة تحت رسول الله ﷺ .

وقالت الشيعة هو علي بن ابي طالب لأنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ تحته ، وهذه من لطائف الاجوبة ولو حصل بعد الفكر التام وامعان النظر كان في غاية الحسن فضلا عن البديهة ، وله محاسن كثيرة يطول شرحها قاله ابن خلكان .

وزاد في مدينة العلوم وسئل ما لنا نرى الكوز الجديد اذا صُبَّ فيه الماء ينش ويخرج منه صوت فقال يشكو ما لاقاه من اذى النار .

وسئل ان الكوز إذا ملأ فاه لا يبرد فاذا نقص برد فقال حتى تعلموا ان الهوى لا يدخل الا على ناقص .

وسئل كيف نسب قتل الحسين الى يزيد وهو بدمشق فانشد :

سهم اصاب وراميه بذي سلم   من بالعراق لقد ابعدت مرماك

وله من هذا النوع اجوبة لطيفة كثيرة .

وله كتاب نزهة الناظر للمقيم والمسافر في المحاضرات كتبه سيدي الوالد العلامة حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري رحمه الله بيده الشريفة لحسن سبكه ولطف مطالبه .

ولد سنة ثمان او عشرة وخمسمائة وتوفي ثاني عشر رمضان سنة ٥٩٢ ببغداد ودفن بباب حرب وتوفي والد سنة ٥١٤ والجوزي نسبة الى فرضة الجوز وهو موضع مشهور .

سبط ابن الجوزي شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي الواعظ المشهور ، حنفي المذهب له صيت وسماع في مجالس وعظه وقبول عند الملوك وغيرهم .

روى عن جده ببغداد وسمع ابن طبرزد وسمع بالموصل ودمشق وحدث بها وبمصر وله تاريخ مرآة الزمان .

قال ابن خلكان : رأيته بخطه في اربعين مجلدا .

وقال صاحب مدينة العلوم : وانا رأيته في ثمان مجلدات لكن ضخام بخط دقيق .

وله كتاب ايثار الإنصاف ومنتهى السول في سيرة الرسول ، واللوامع في احاديث المختصر والجامع ، وتفسير القرآن توفي سنة ٦٥٣ بدمشق ومولده في سنة ٥٨١ ببغداد وكان يقول اخبرتني امي ان مولدي سنة اثنتين وثمانين والله اعلم .

ابن خلكان شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان البرمكي الشافعي كان ذا فضل في كل فن موصوفا بكرم الاخلاق والديانة ثقة في نقله ، صنف تاريخا سماه (وفيات الاعيان) في مجلدين كبيرين قد طبع بمصر القاهرة لهذا العهد وهو بخطه في خمس مجلدات رآه صاحب مدينة العلوم وكان قاضياً بالقاهرة مدة ذكره في تاريخه .

ولد بعد صلوٰة العصر يوم الخميس حادي عشر ربيع الآخر سنة ٦٠٨ بمدينة اربل بالمدرسة المظفرية ، ذكر تاريخ ولادته في ترجمة زينب بنت الشعري في آخر الاسامي المذكورة في حروف الزاي .

وتوفي يوم السبت السادس والعشرين من رجب ٦٨١ بدمشق المحروسة .

تفقه اولا على ابيه باربل ثم انتقل بعده الى الموصل وحضر درس كمال الدين بن يونس ، ثم انتقل الى حلب .

وقرأ النحو على ابي البقاء يعيش بن علي النحوي والفقه علي ابي المحاسن يوسف بن شداد ، ثم قدم دمشق واشتغل على ابن الصلاح .

ثم انتقل الى القاهرة ، ثم ولي قضاء المحلة ، ثم صار قاضي القضاة بالشام وله في الأدب اليد الطولى ، وشعره ارق وأحسن واعذب رحمه الله تعالى .

شيخ الاسلام ابو الفضل احمد بن شيخ الاسلام علاء الدين علي بن حجر العسقلاني المصري صاحب فتح الباري شرح صحيح البخاري الامام العلامة الحجة هادي الناس الى المحجة ، له تصانيف على اكف القبول مرفوعة وآثار حسنة لا مقطوعة ولا ممنوعة .

جمع من العلوم والفضائل والحسنات والكمالات والمبرات والتصنيفات والتأليفات ما لا يأتي عليه الحصر .

كان حافظاً ديناً ورعا زاهدا عابدا مفسرا شاعراً فقهيا اصوليا متكلما ناقدا بصيرا جامعا .

حرّر ترجمته جمع من الاعيان وعدّوه في جملة البالغين الى درجة الاجتهاد في هذا الشأن منها كتاب الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر .

وتشهد بفضائله وغزارة علومه وكثرة فواضله تآليفه الموجودة بأيدي الناس وقد رزق السعادة التامة والاتقان الكبير والانصاف الكامل فيها ، منها بلوغ المرام من ادلة الاحكام وهو كتاب لو خُطَّ بماء الذهب وبيع بالأرواح والمهج لما أدّي حقه .

وقد شرحته بالفارسية وسميته مسك الختام .

ومنها الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة .

وكتاب التلخيص الحبير في تخريج احاديث الرافعي الكبير .

وتعجيل المنفعة في رجال الأربعة الى غير ذلك من الرسائل المختصرة والدفاتر المطولة والله يختص برحمته من يشاء ، وقد ذكرت له ترجمة في اول مسك الختام في اتحاف النبلاء المتقين .

وهو الامام العلامة حافظ العصر قاضي القضاة شيخ الاسلام ولد سنة ثلث وسبعين وسبعمائة وتوفي ليلة السبت المسفر صباحها عن ثامن عشر ذي الحجة ثمان وخمسين وثمانمائة وكان عمره اذ ذاك تسعة وسبعين سنة واربعة اشهر وعشرة ايام

وصلى عليه خلق كثير .

قال في مدينة العلوم ومن جملتهم أبو العباس الخضر عليه السلام رآه عصابة من الأولياء انتهى .

قلت وفيه نظر واضح عند من يقتدي بأهل الحديث .

وتصانيفه اكثر من ان تحصى وكلها اتقن من تأليفات السيوطي وشهرته تغني عن اكثار المدح له واطالة ترجمته وهو من مشائخي في علم الحديث وقد انتفعت بكتبه كثيرا ولله الحمد .

خليل بن ايبك الشيخ صلاح الدين الصفدي الشافعي الامام الاديب الناظم الناثر صاحب التاريخ الكبير وهو بخطه اكثر من خمسين مجلدا ، ولد سنة ٦٦٩ وقرأ يسيراً من الفقه والاصلين ، وبرع في الادب نظما ونثرا وكتابة وجمعا ، وتلمذ على الشيخ تقي الدين ابي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي[1] ولازم الحافظ فتح الدين بن سيد الناس وبه تمهر في الادب .

وقال كتبت ازيد من ستمائة مجلد تصنيفا ، مات بالطاعون ليلة عاشر شوال سنة ٧٩٤ رحمه الله تعالى .

الحافظ ابو بكر احمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب صاحب تاريخ بغداد .

كان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحرين ولو لم يكن له سوى التاريخ لكفاه فانه يدل على اطلاع عظيم ، وصنف قريبا من مائة مصنف وفضله اشهر من ان يوصف .

اخذ الفقه عن ابي الحسن المحاملي والقاضي ابي الطيب الطبري وغيرهما .

وكان فقيهاً فغلب عليه الحديث والتاريخ .

---

(١) هو من تلامذة الحافظ الذهبي كما حكاه تاج الدين في الطبقات الكبرى في ترجمته نقلا عن الذهبي في معجمه المختص وفيه سمعت منه وسمع مني . ابو الفتح مولوي محمد عبد الرشيد الشوبياني سلمه ربه .

ولد يوم الخميس في سنة ٣٩٣ وتوفي يوم الاثنين سابع ذي الحجة وقيل في شوال سنة ٤٦٣ ببغداد وحكايته في ابطال خط النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي اخرجه اليهود لاسقاط الجزية عنهم واحتجوا به مشهورة .

وان الشيخ ابا اسحق الشيرازي من جملة من حمل نعشه لانه انتفع به كثيرا وكان يراجعه في تصانيفه ، والعجب انه كان في وقته حافظ المشرق ، وابوعمرو يوسف بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب حافظ المغرب وماتا في سنة واحدة ، وقد كان تصدق بجميع ماله وهو مائتا دينار فرقها على ارباب الحديث والفقهاء والفقراء في مرضه ، واوصى ان يتصدق عنه بجميع ماله وما عليه من الثياب ، ووقف جميع كتبه على المسلمين ولم يكن له عقب ، وصنف اكثر من ستين كتابا ورؤيت له منامات حسنة صالحة بعد موته ، وكان قد انتهى اليه علم الحديث وحفظه في وقته هذا آخر ما نقلته من كتاب ابن النجار رحمه الله تعالى .

الحافظ محب الدين بن النجار صاحب ذيل تاريخ بغداد جاوز ثلثين مجلدا وذيله دال على سعة حفظه وعلو شانه .

وهو محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله الحافظ الكبير الثقة ، له مصنف حافل في مناقب الشافعي ، وتصانيف أُخر في السنن والاحكام ولد في سنة ٥٧٨ وله الرحلة الواسعة الى الشام ومصر وحجاز ومرو واصبهان وهراة ونيسابور وكانت رحلته سبعا وعشرين سنة توفي ببغداد في سنة ثلث واربعين وستمائة .

تاج الاسلام ابو سعيد السمعاني عبد الكريم بن ابي بكر محمد بن ابي المظفر المروزي الفقيه الشافعي .

رحل في طلب العلم والحديث الى شرق الارض وغربها وجنوبها وشمالها ، لو سافر الى ما وراء النهر وسائر بلاد خراسان عدة دفعات والى قومس والري واصبهان وهمذان وبلاد الجبال والعراق والحجاز والموصل والجزيرة والشام وغيرها من المدن التي يطول ذكرها ويتعذر حصرها .

ولقي العلماء واخذ عنهم وجالسهم وروى عنهم ، واقتدى بأفعالهم الجميلة وآثارهم الحميدة ، وكان عدة شيوخه تزيد على اربعة الاف شيخ .

وصنف التصانيف الحسنة الغزيرة الفائدة منها ذيل تاريخ بغداد وهو نحو خمسة عشر مجلدا وتاريخ مرو يزيد على عشرين مجلدا ، وكذلك الانساب نحو ثمان مجلدات وقد وقفت عليه ولله الحمد .

ولد سنة ٥٠٦ وتوفي بمرو سنة ٥٦٢ وكان ابوه وجده ايضا من الفضلاء العلماء النبلاء ذكرهما ابن خلكان .

محمد بن احمد بن عثمان بن قائماز شمس الدين ابو عبد الله الذهبي [١] محدث العصر امام الوجود حفظاً وذهبي العصر معنى ولفظا .

ولد سنة ٦٧٣ وطلب الحديث وهو ابن ثمان عشرة .

سمع بدمشق ومصر وبعلبك والاسكندرية .

وسمع منه الجمع الكثير ، وكان شديد الميل الى رأي الحنابلة كثير الازراء بأهل الرأي فلذلك لا يصفهم في التراجم .

له التصانيف الجزيلة في الحديث وأسماء الرجال ، قرأ القرآن وأقرأه بالروايات ، صنف التاريخ الكبير ثم الأوسط المسمى بالعبر والصغير المسمى بدول الاسلام وتاريخه من اجل التواريخ .

وقف الشيخ كما الدين بن الزملكاني على تاريخ الاسلام له جزء بعد جزء الى ان انهاه مطالعة فقال هذا كتاب جليل وتاريخه المذكور عشرون مجلدا ، وكتاب تاريخ النبلاء عشرون مجلدا .

وله طبقات القراء .

وطبقات الحفاظ مجلدين .

وميزان الاعتدال ثلث مجلدات .

---

(١) ومن تلامذته السبكي الكبير كما حكاها تاج في الطبقات الكبرى .

والمثبت في الاسماء والانساب مجلد .

ونبأ الرجال مجلد .

وتهذيب التهذيب مجلد .

واختصار سنن البيهقي خمس مجلدات .

وتنقيح احاديث التعليق لابن الجوزي .

والمستحلي اختصار المحلي .

والمقتنى في الضعفاء .

واختصار المستدرك للحاكم مجلدان .

واختصار تاريخ الخطيب مجلدان .

وتوقيف اهل التوفيق على مناقب الصديق مجلد .

ونعم السمر في سيرة عمر مجلد .

والتبيان في مناقب عثمان مجلد .

وفتح الطالب في اخبار علي بن ابي طالب مجلد .

ومعجم اشياخه وهو الف وثلثمائة شيخ واختصار كتاب الجهاد لابن عساكر مجلد .

وما بعد الموت مجلد .

وهالة البدر في عدد اهل بدر .

وله في تراجم الاعيان مصنف لكل واحد منهم قائم الذات مثل الائمة الاربعة ومن يجري مجراهم لكن ادخل الكل في تاريخ النبلاء ومن شعره :

اذا قرأ الحديث علي شخص ... واخلى موضعاً لوفاة مثلي
فما جازى باحسان لاني ... اريد حياته ويريد قتلي

وله :

العلم قال الله قال رسوله ... ان صح والاجماع فاجهد فيه
وحذار من نصب الخلاف جهالة ... بين الرسول وبين رأي فقيه

توفي ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ٧٤٨ ذكر له ابن شاكر الكتبي ترجمة حسنة في فوات الوفيات ان شئت فراجعه .

عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القشيري مولى بني امية يعرف بابن ابي الدنيا .

ولد سنة ٢٠٨ وتوفي سنة ٣٨٣ .

وكان يؤدب المكتفي بالله في حداثته .

وهو احد الثقات المصنفين للاخبار والسير والتاريخ ، له كتب كثيرة تزيد على مائة كتاب .

سمع من المشائخ .

وروى عنه جماعة ، قال ابن ابي حاتم كتبت عنه مع ابي وكان صدوقا اذا جالس احد ان شاء اضحكه وان شاء ابكاه رحمه الله تعالى .

عبد الرحمن بن محمد بن ادريس بن المنذر بن داود مهران ابو محمد بن ابي حاتم التميمي الحنظلي الامام ابن الامام الحافظ ابن الحافظ سمع اباه وغيره .

قال ابن مندة : صنف المسند الف جزء وله كتاب الزهد والكنى والفوائد الكبرى ومقدمة الجرح والتعديل والتاريخ .

وصنف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الامصار وهذا يدل على سعة حفظه وإمامته وكتاب الرد على المجسمة وتفسير كبير سائر آثاره مسندة في اربع مجلدات .

قال ابو يعلى الخليلي : كان يعد من الابدال وقد اثنى عليه جماعة بالزهد والورع التام والعلم والعمل توفي في المحرم سنة ٣٢٧ رحمه الله تعالى .

ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد المعروف بابن حبان الصدقي المحدث المؤرخ المصري كان خبيرا باحوال الناس ومطلعا على تواريخهم عارفا بما يقوله ، جمع لمصر تاريخين وما قصر فيهما .

ولد سنة ٢٨١ وتوفي سنة ٣٤٧ ورثاه الخولاني الخشاب بما منه قوله :

ما زلـت تلهـج بالتـاريخ تكتبه   حتـى رأينـاك في التـاريخ مكتوبا
أرخت موتـك في ذكري وفي صحفي   لمن يؤرخنـي اذا كنـت محسوبا

هارون بن علي بن يحيى بن ابي منصور المنجم البغدادي الاديب الفاضل صاحب كتاب البارع في اخيار الشعراء المولدين جمع فيه مائـة واحـدى وستـين شاعرا وافتتحه بذكر بشار بن برد العقيلي وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح ، واختار فيه من شعر كل واحد عيونه .

وبالجملة فانه من الكتب النفيسة يغني عن دواوين الجماعة الذين ذكرهم فانه اختصر اشعارهم واثبت منها زبدتها وترك زبدتها ، وكتاب الخريدة وكتاب الخظيري والباخرزي والثعالبي فروع عليه وهو الاصل الذي نسجوا على منواله .

وله كتاب النساء وما جاء فيهن من الخير ومحاسن ما قيل فيهن من الشعر والكلام الحسن ، وكان ابو منصـور جد ابيه منجـم ابـي جعفـر المنصـور امـير المؤمنين ، وكان مجوسياً وهم اهل بيت فيهم جماعة من الفضلاء والادباء والشعراء جالسوا الخلفاء ونادموهم وقد عقد لهم الثعالبي في كتاب اليتيمة باباً مستقلا ذكر فيه جماعة منهم .

وكان حافظاً راوية الاشعار حسن المنادمة لطيف المجالسة توفي وهو حديث السن في سنة ٢٨٨ رحمه الله تعالى .

ابو الحسن علي بن الحسن بن علي بن ابي الطيب الباخرزي الشاعر المشهور صاحب دمية القصر وعصرة اهل العصر وهو ذيل يتيمة الدهر للثعالبي .

كان اوحد عصره في فضله وذهنـه السابـق الى حيازة القصـب في نظمـه ونثره ، وكان في شبابه مشتغلا بالفقه فاختص بملازمة الشيخ ابي محمد الجويني والد إمام الحرمين على مذهب الشافعي .

ثم شرع في فن الكتابة وغلب ادبه على الفقه فاشتهر به واختلف الى ديوان الرسائل وارتفعت به الاحوال وانخفضت ورأى من الدهر العجائب سفراً وحضرا وعمل الشعر وسمع الحديث .

وقد وضع على دميته شرف الدين ابو الحسن علي بن يزيد ابو الحسن البيهقي كتابا سماه وشاح الدمية وهو كالذيل له وديوان شعره مجلد كبير والغالب عليه الجودة .

وقتل الباخرزي في مجلس الانس بباخرز في سنة ٤٦٧ وذهب دمه هدرا .

وباخرز ناحية من نواحي نيسابور تشتمل على قرى ومزارع خرج منها جماعة من الفضلاء الكرام والأجلة العظام وغيرهم .

ابو المعالي سعد بن علي بن القاسم الانصاري الخزرجي الوراق الخطيري المعروف بدلال الكتب ، كانت لديه معارف وله نظم جيد والف مجاميع ما قصر فيها منها كتاب زينة الدهر وعصرة اهل العصر وذكر ألطاف شعر العصر الذي ذيله على دمية القصر للباخرزي جمع فيه جماعة كثيرة من اهل عصره ومن تقدمهم وأورد لكل واحد طرفا من احواله وشيئا من شعره .

ذكره عماد الدين الكاتب في الخريدة وانشد له عدة مقاطيع وروى عنه لغيره شعرا كثيرا .

وكان مطلعا على اشعار الناس واحوالهم ، وله كتاب ملح الملح يدل على كثرة اطلاعه وله كل معنى مليح مع جودة السبك .

توفي سنة ٥٦٨ ببغداد ودفن بمقبرة باب حرب ، والحظيري ، نسبة الى موضع فوق بغداد يقال له الحظيرة ينسب اليه كثير من العلماء والثياب الحظيرية منسوبة اليه ايضا . . .

عماد الدين الكاتب محمد بن صفي الدين الاصفهاني كان فقيهاً شافعي المذهب ، تفقه بالمدرسة النظامية ، واتقن الخلاف ، وفنون الادب ، وله من

الشعر والرسائل ما يغني عن الاطالة في شرحه ، ثم بلغ الرفعة عند السلطان صلاح الدين ونور الدين محمود بن اتابك زنكي ، وتقلبت به الاحوال الى ان عظم امره .

وصنف التصانيف النافعة منها : كتاب خريدة القصر وجريدة العصر ، جعله ذيلا على زينة الدهر للحظيري ، وجعله في عشر مجلدات .

وله كتاب البرق الشامي في سبع مجلدات في التاريخ وكتاب الفتح البستي في فتح القدسي .

وصنف السيد على الذيل جعله ذيلا على خريدة القصر وله ديوان رسائل وديوان شعر توفي سنة ٥٩٧ بدمشق وولد سنة ٥١٠ رحمه الله تعالى .

قاضي القضاة بدر الدين العيني الحنفي تفقه واشتغل بالفنون وبرع ومهر وولي قضاء الحنفية بالقاهرة ، وكان إماماً عالما علامة عارفا بالعربية والتصريف وغيرهما ، وله شرح البخاري والتاريخ المسمى بالعيني ، وشرح معاني الآثار ، وشرح الهداية ، ومختصر تاريخ ابن عساكر مات بعين في ذي الحجة سنة ٨٥٥ رحمه الله تعالى .

ثقة الدين الحافظ ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقي كان محدث الشام في وقته ، ومن اعيان الفقهاء الشافعية ، غلب عليه الحديث فاشتهر به وبالغ في طلبه الى ان جمع منه ما لم يتفق لغيره ، ورحل وطوف وجاب البلاد ولقي المشائخ ، وكان رفيق الحافظ ابي سعد السمعاني في الرحلة ، وكان حافظا دينا جمع بين المتون والاسانيد .

سمع ببغداد ثم رجع الى دمشق ثم الى خراسان ، ودخل نيسابور وهراة واصبهان ، والجبال .

وصنف التصانيف المفيدة ، وخرج التخاريج ، وكان حسن الكلام على الاحاديث محفوظا في الجمع والتأليف .

صنف التاريخ الكبير لدمشق في ثمانين مجلداً بخطه اتى فيه بالعجائب .

قيل انه جمع هذا منذ عقل نفسه والا فالعمر لا ينسع لوضعه بعد الاشتغال .

ولد في اول المحرم سنة ٤٩٩ وتوفي في رجب سنة ٥٧١ بدمشق ، وحضر الصلوٰة عليه السلطان صلاح الدين .

وله شعر لا بأس به وتواليف حسنة واجزاء ممتعة .

واما الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله الامام المفتي ابو منصور الدمشقي المعروف بابن عساكر فله ايضا مؤلفات في الفقه والحديث توفي سنة ٦٢٠ ومولده سنة ٥٥٠ .

واما عبد الصمد بن عبد الوهاب بن زين الامناء حسن بن محمد بن عساكر فهو الامام المحدث الزاهد امين الدين ابو اليمن الدمشقي الشافعي نزيل الحرم سمع من جده ومن ابن التين ، وحدث بالحرمين باشياء وكان عالما فاضلا جيد المشاركة في العلوم ولد سنة ٦١٤ وتوفي سنة ٦٨٠ وكان شيخ الحجاز في وقته له تآليف في الحديث .

قال الشيخ علاء الدين علي بن ابراهيم بن داود العطار قدس سره لما ودعت الشيخ محيي الدين النووي بنوى حين اردت السفر الى الحجاز حملني رسالة في السلام عنه لامام ابن عساكر المذكور فلما بلغته سلامه ردّ عليه السلام وسألني عنه اين تركته فقلت ببلدة نوى فانشدني بديهاً :

اخيّمين على نوى اشتاقكم شوقا يجدّد لي الصبابة والجوى
واريد قربكم لاني مرتجى يا سادتي قرب المقيم على نوى

عبد الله بن اسعد المازني الشافعي اليافعي الرجل الصالح محب الصلحاء خادم اولياء الله تعالى المناضل عنهم والمنافح عن شأنهم صاحب المصنفات الكثيرة

وكل تصنيفه نافع في بابه وتاريخه من اصح التواريخ واحسنها وألطفها لوروده بعبارات عذبة ، وانفعها للناس لاشتمالها على المهمات ، وهو مجلدتان كبيرتان .

ومن لطيف مصنفاته مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام .

وكتاب روض الرياحين في حكايات الصالحين .

وبالجملة هو رجل صالح مبارك عزيز الوجود فرد في زمانه ونادرة في اوانه ، اشعري العقيدة سالك طريقة الصوفيه والمعاشر مع اهل الخير والزهد والصلاح .

قال ابن السبكي في طبقاته الكبرى اجتمعت به بمنى سنة ٧٤٧ وتوفي بمكة سنة ٧٦٧ روح الله روحه وزاد في اعلى الجنة فتوحه وتاريخه مشهور موجود بأيدي الناس وقفت عليه .

علماء الحكمة

فمن القدماء ارسطو واستاذه افلاطون ومن يليهما .

ومن المسلمين الفارابي وابن سينا والفخر الرازي ونصير الطوسي .

ومن يلي هؤلاء في معرفة الحكمة الشيخ شهاب الدين المقتول السهروردي .

وممن خرط في سلكهم القطب الشيرازي والقطب الرازي والسعد التفتازاني والشريف الجرجاني ثم الجلال الدواني وخواجه زاده ومصطفى الشهير بالقسطلاني وقد تقدم تراجم بعضهم في القسم الثاني من هذا الكتاب تحت علم الالفي فتذكر وبيده النفع والضرّ

---

(١) كفره الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال وكفر الفارابي ايضا وقال ان مجموع ما غلطا فيه من الالهيات يرجع الى عشرين اصلا يجب تكفيرهما في ثلثة منها وتبديعهما في سبعة عشر اما المسائل الثلاث فقد خالفا فيها كافة المسلمين الاولى قالوا ان الاجساد لا تحشر وانما الثياب والمعاقب هي الارواح الثانية قولهم ان الله يعلم الكليات دون الجزئيات الثالثة قولهم بقدم العالم واعتقاد هذا كفر صريح نعوذ بالله منه حكاه ابن الوردي في تاريخه سيد نور الحسن خان ولد المؤلف سلمهما الله تعالى .

علماء المنطق

وهم علماء الحكمة غالبا لكن ذكرنا هٰهنا بعض من له تصنيف في علم المنطق واشتهر به مع مشاركته في سائر العلوم رحمهم الله تعالى .

محمود بن ابي بكر بن احمد الارموي الشيخ سراج الدين ابو السنا صاحب كتاب مطالع الانوار وبيان الحق ، كان شافعياً قرأ بالموصل على كمال الدين بن يونس مولده سنة ٥٩٤ اربع وتسعين وخمسمائة ووفاته سنة ٦٨٢ بمدينة قونية .

محمد قطب الدين الرازي المعروف بالتحتاني وهذه النسبة لتميزه عن قطب آخر فوقاني وكانا يسكنان في مدرسة واحدة ، احدهما في الطبقة الفوقانية والآخر في التحتانية .

وهو إمام مبرز في المعقولات اشتهر اسمه وبعُد صيته ورد الى دمشق في سنة ٧٦٣ .

قال ابن السبكي بحثنا معه في دمشق فوجدناه اماما في المنطق والحكمة عارفا بالتفسير والمعاني والبيان مشاركاً في النحو يتوقد ذكاء .

وله على الكشاف حواش مشهورة ، وله شرح على المطالع للارموي في المنطق وهذا شرح عظيم الشأن ، وله شرح على الرسالة الشمسية للكاتبي في المنطق توفي سنة ٧٧٦ بظاهر دمشق عن نحو اربع وسبعين سنة ، وكان له عبد رباه من صغره وعلمه حتى كان مدرسا فاضلا في كل العلوم وكان يدعي بمبارك شاه المنطقي ، وهذا الذي اخذ عنه الشريف الجرجاني شرح المطالع لقطب الدين الرازي رحمه الله .

ابو الفتوح يحيى بن حبش بن اميرك الملقب بشهاب الدين المقتول السهروردي ، وقيل اسمه احمد ، وقيل عمر .

كان من علماء عصره قرأ الحكمة واصول الفقه على الشيخ مجد الدين الجيلي

استاذ فخر الدين الرازي بمدينة مراغة من اعمال اذربايجان الى أن برع فيهما ، وعليه تخرج وبصحبته انتفع .

وكان إماماً في فنونه قال في طبقات الأطباء ، وكان السهروردي أوحد زمانه في العلوم الحكيمية جامعا للعلوم الفلسفية بارعـا في الأصـول الفقهية ، مفـرط الذكاء فصيح العبارة وكان علمه اكثر من عقله .

ويقال انه يعرف علم السيمياء ويحكى عنه في اشياء غريبة حكى بعضها في مدينة العلوم ووفيات الاعيان .

وله تصانيف منها التلويحات والمطارحات في المنطق والحكمة والهياكل ، وحكمة الاشراق في الحكمة ، والتنقيحات في اصول الفقه الى غير ذلك .

وله في النظم والنثر اشياء لطيفة لا حاجة الى الاطالة بذكرها .

وكان شافعي المذهب وكان يلقب بالمؤيد بالملكوت وكان يتهـم باختـلال العقيدة والتعطيل ويعتقد مذهب الحكماء المتقدمين ، واشتهر ذلك عنه فلما وصل الى حلب افتى علماؤها بإباحة دمه وقتله بسبب اعتقاده وما ظهـر لهـم من سوء مذهبه ، وكان اشد الجماعة عليه الشيخان زين الدين ومجد الدين ابنا حميد .

قال سيف الدين الآمدي اجتمعت به في حلب فقـال لي لا بد ان املك الأرض فقلت له من اين لك هذا ؟ قال رأيت في المنام كأني شربت ماء البحر فقلت لعل هذا يكون اشتهار العلم وما يناسب هذا فرأيته لا يرجع عما وقع في نفسه ورأيته كثير العلم قليل العقل ويقال انه لما تحقق القتل كان كثيرا ما ينشد :

ارى قدمـي اراق دمي وهـان دمـي فهـا ندمي

وكان ذلك في دولة الملك المظفر صاحب حلب ابن السلطان صلاح الدين فحبسه ثم خنقه في خامس رجب سنة ٥٨٢ بقلعة حلـب وعمـره ثمان وثلثـون سنة ، وكان الناس مختلفين في حقه .

منهم من نسبه الى الزندقة والالحاد .

ومنهم من يشهد له بحسن الاعتقاد .

قال القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد قاضي حلب ان السهروردي كان كثير التعظيم لشعائر الدين واطال الكلام في ذلك وذكر نفسه في آخر التلويحات في وصايا ذكرها هناك واتق شر من احسنت اليه من اللئام ولقد اصابني منهم شدائد .

قال شارحها : اراد به بعضا من تلامذته الذين يصاحبون معه السفر والحضر وينقلون عنه اشياء مخالفة للشرع ، ولعل قتله كان بسبب هؤلاء نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ، وأن يجعلنا من اهل الحق والرشاد وان يعصمنا من شر اهل الزيغ والفساد انه ولي الهداية والارشاد ومن كلامه الفكر في صورة قدسية يتلطف بها طالب الأريحية ونواحي القدس دار لا يطأها القوم الجاهلون وحرام على الاجساد المظلمة ان تلج ملكوت السموات فوحد الله وانت بتعظيمه ملآن واذكره وانت من ملابس الأكوان عريان ولو كان في الوجود شمسان لانطمست الاركان وابى النظام ان يكون غير ما كان :

فخفيت حتى قلت لست بظاهر وظهرت من سعيي على الأكوان
لو علمنا اننا ما نلتقي لقضينا من سليمي وطرا

اللهم خلص لطيفي من هذا العالم الكثيق وذكر له ابن خلكان اشعار اللطيفة لا نطول الكلام بذكرها ههنا .

ابو البركات البغدادي تقدم ترجمته تحت علم المنطق فراجعه .

علماء الجدل

ابو بكر محمد بن علي القفال بن اسمعيل الشاشي الفقيه الشافعي .

اول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء ، كان امام عصره بلا مدافعة ، فقيها محدثاً اصوليا لغويا شاعرا ، لم يكن بما وراء النهر للشافعيين مثله في وقته ،

رحل الى خراسان والعراق والحجاز والشام والثغور ، وسار ذكره في البلاد .

اخذ الفقه عن ابن سريج ، وله مصنفات كثيرة في الجدل وكتاب في اصول الفقه ، وعنه انتشر مذهب الشافعي في بلاده .

روى عن محمد بن جرير الطبري واقرانه .

وروى عنه الحاكم وابن مندة وجماعة كثيرة .

توفي سنة ٣٣٦ وقيل توفي في الشاش في سنة خمس وستين وثلثمائة .

وشاش مدينة ما وراء نهر سيحون في ارض الترك خرج منها جماعة من العلماء .

وهذا القفال غير القفال المروزي وهو متأخر عن هذا كذا قال ابن خلكان في تاريخ وفيات الاعيان .

علماء الخلاف

عبد الله بن عمر بن عيسى ابوزيد الدبوسي بفتح الدال وتخفيف الباء الموحدة نسبة الى دبوسه وهي بلدة بين بخارا وسمرقند ، نسب اليها جماعة من الأدباء ، كان من اكابر اصحاب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه ممن يضرب به المثل ، وهو اول من اخرج علم الخلاف في الدنيا وابرزه الى الوجود .

له كتاب الاسرار والتقويم للادلة وغيره من التصانيف والتعاليق .

وروي انه ناظر بعض الفقهاء فكان كلما ألزمه أبو زيد إلزاماً تبسم وضحك فانشد ابو زيد :

ما لي اذا ألزمته حجة قابلني بالضحك والقهقهه
ان كان ضحك المرء من فقهه فالضّبّ في الصحرا ء ما افقهه

قال الذهبي كان ممن يضرب به المثل في النظر واستخراج الحجج .
وله كتاب الآمد الاقصى .

توفي ببخارا سنة ٤٣٠ وهو ابن ثلث وستين ذكر له ابن خلكان ترجمة مختصرة .

ابو الفتح اسعد بن ابي نصر الميهني الملقب مجد الدين كان اماماً مبرزا في الخلاف والفقه وله فيه تعليقة مشهورة .

تفقه بمرو ثم رحل الى غزنة ، واشتهر بتلك الديار ، وشاع فضله ، وقد مدحه الغزي ثم ورد الى بغداد وفوض اليه تدريس المدرسة النظامية مرتين واشتغل الناس عليه وانتفعوا به وبطريقية الخلافية .

والميهني نسبة الى ميهنة قرية من قرى خابران وهي ناحية بين سرخس وابيورد من اقليم خراسان . .

ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الملقب حجة الاسلام زين الدين الطوسي تلميذ امام المحرمين الجويني جد في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة وصار من الأعيان المشار اليهم في زمن استاذه ولقي الوزير نظام الملك فاكرمه وعظمه وبالغ في الاقبال عليه ، واشتهر اسمه وسارت بذكره الركبان ، واعجب به اهل العراق وارتفعت عندهم منزلته ، ثم ترك جميع ما كان عليه وسلك طريق الزهد والانقطاع وقصد الحج فلما رجع توجه الى الشام فاقام بمدينة دمشق مدة يذكر الدروس ، وانتقل منها الى بيت المقدس ، واجتهد في العبادة ، ثم اقام بالاسكندرية مدة ثم عاد الى وطنه طوس واشتغل بنفسه ، وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون منها احياء العلوم وهو من انفس الكتب واجملها وكان اماما في الخلاف وأصول الفقه والجدل والكلام ومن شعره :

حلت عقارب صدغه في خده   قمرا فجل بها عن التشبيه

ولقـد عهدنـا يحـل ببرجها فمـن العجائـب كيف حلـت فيه

ومن قوله ايضا :

فديتـك لولا الحـب كنـت فديتني ولـكن بحسر المقلتـين سبيتني
اتيتـك لما ضاق صدري من الهوى ولـو كنـت تدري كيف حالي اتيتني

ولد سنة ٤٥٠ وقيل سنة ٤٥١ وتوفي سنة ٥٠٥ بالطابران وهي قصبة طوس رحمه الله تعالى .

ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الرازي الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب صاحب التفسير الكبير ، فاق اهل زمانه وعلـم الاوائـل والأواخر ، وله التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه كل غريب وغريبة حتى قيل فيه كل شيء الا التفسير وهو كبير جدا وقد طبع لهذا العهد بمصر ، قال ابن خلكان لكنه لم يكمله ثم ذكر كتبا من تصانيفه .

قال وله طريقة في الخلاف ، وله في اصول الفقه المحصول ونهاية العقول في الكلام ، وله مؤاخذات جيدة على النحاة ، وكل كتبه ممتعة وانتشرت تصانيفه في البلاد ورزق فيها سعادة عظيمة فان الناس اشتغلوا بها ورفضوا كتب المتقدمين .

وهو اول من اخترع هذا الترتيب في كتبه واتى فيها بما لم يسبق اليه ، وكان له في الوعظ اليد الطولى ، ويعظ باللسانين العربي والعجمي ، وكان يلحقه الوجد في حال الوعظ ويكثر البكاء ، وكان يحضر مجلسه بمدينة هراة اربـاب المذاهـب والمقالات ويسألونه وهو يجيب كل سائل باحسن اجابة ورجع بسببه خلق كثير من الطائفة الكرامية وغيرهـم الى مذهـب اهـل السنـة ، وكان يلقب بهـراة شيخ الاسلام ، وكان العلماء يقصدونه من البلاد وتشد اليه الرحال من الاقطار .

ولد بالري سنة ٥٤٤ وتوفي بهراة في سنة ٦٠٦ قال ابن خلكان رأيت له وصية املاها في مرض موته على احد تلامذته تدل على حسن العقيدة انتهى واطال في ترجمته رحمه الله تعالى .

ابو حامد محمد بن محمد بن محمد العميد ركن الدين الفقيه الحنفي كان إماما في فن الخلاف خصوصا الجست .

وهو اول من افردها بالتصنيف ومن تقدمه كان يمزجه بخلاف المتقدمين ، وصنف في هذا انفن طريقة وهي مشهورة بأيدي الفقهاء ، وكان كريم الاخلاق كثير التواضع طيب المعاشرة توفي في سنة ٦١٥ خمس عشرة وستمائة ببخارا .

ابو طالب محمود بن علي بن ابي الرجاء التيمي الاصبهاني ، صاحب الطريقة في الخلاف برع فيه ، وصنف التعليقة التي شهدت بفضله وتحقيقه وتبريره على اكثر نظرائه وجمع فيها بين الفقه والتحقيق ، وكان عمدة المدرسين في إلقاء الدروس عليها ، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به وصاروا علماء مشاهير ، وكان له في الوعظ اليد الطولى ، وكان متفنناً في العلوم خطيباً باصبهان مدة طويلة توفي في سنة خمس وثمانين وخمسمائة .

علماء المقالات

ابو الفتح محمد بن ابي القاسم عبد الكريم الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل .

اورد فيه فرق المذاهب في العالم كلها ، وهو المتكلم على مذهب الاشعري .

وكان إماماً مبرزا فقيها متكلما .

تفقه على احمد الخوافي وعلى ابي نصر القشيري وغيرهما ، وبرع في الفقه .

وقرأ الكلام على ابي القاسم الانصاري وتفرد فيه ، صنف كتاب نهاية الإقدام في علم الاكلام ، والمناهج والبيان وكتاب المضارعة وتلخيص الاقسام لمذاهب الأنام .

وكان كثير المحفوظ حسن المحاورة ويعظ الناس .

دخل بغداد سنة ٥١٠ واقام بها ثلٰث سنين وظهر له قبول كثير عند العوام ، وسمع الحديث من علي بن احمد المديني بنيسابور ومن غيره وكتب عنه الحافظ ابو سعد عبد الكريم السمعاني .

ولد سنة ٤٦٧ او سنة ٤٧٩ بشهرستان ، وتوفي بها في آخر شعبان سنة ٥٤٨ او سنة ٥٤٩ .

وشهرستان اسم لثلٰث مدن .

الاولى : شهرستان خراسان بينَ نيسابور وخوارزم في آخر حدود خراسان واول الرمل المتصل بناحية خوارزم وهي المشهورة ومنها ابو الفتح المذكور واخرجت خلقا كثيرا من العلماء رحمهم الله .

الثانية : شهرستان قصبة ناحية سابور من ارض فارس .

الثالثة : مدينة جي باصبهان ومعناه مدينة الناحية لفظة اعجمية .

علماء الطبّ

بقراط الحكيم أوَّل من دوّن علم الطب ، وهو حكيم مشهور معتن ببعض علوم الفلسفة ، سيد الطبيعيين في عصره كان قبل الاسكندر بنحو مائة وسنة وله في الطب تصانيف شريفة ، وكان فاضلا متألهاً ناسكا يعالج المرضى احتسابا طواف في البلاد ، وكان في زمن أرْدَشير من ملوك الفرس ، وكان يسكن حمص من مدن الشام ، وكان يتوجه الى دمشق ويقيم في غياضها للرياضة والتعلم والتعليم وفي بساتينها موضع يعرف بصفة بقراط ، وكان طبيبا فيلسوفا فاضلا كاملا معلما لسائر الأشياء قوي الصناعة والقياس والتجربة .

ولما خاف ان يفنى الطب من العالم علّم الغرباءَ الطبَّ وجعلهم بمنزلة اولاده وظهر بقراط سنة ٩٦ لتاريخ بخت نصر وهي سنة ١٤ من ملك بهمن وعاش خمساً وتسعين سنة وله كتب نافعة مفسرة بالعربية .

جالينوس الحكيم الفيلسوف الطبيعي اليوناني ظهر بعد بقراط من مدينة فرغاموس من ارض اليونانيين امام الاطباء في عصره ورئيس الطبيعيين في وقته ، مؤلف الكتب الجليلة في الطب وغيره من علم الطبيعة وعلمن البرهان ، ومؤلفاته تنيف على ستين مؤلفا ، وكان بعد المسيح عليه السلام بنحو مائتي سنة ، وبعد الاسكندر بنحو خمسمائة سنة ونيف ، ولا يعلم بعد ارسطاطاليس اعلم بالطبيعي من هذين بقراط وجالينوس قيل هو من بلاد ايشيا شرقي قسطنطينية في دولة القيصر السادس وجاب البلاد وبرع في الطب والفلسفة والرياضة وهو ابن سبع عشرة سنة ، وجدد علم بقراط وفاق في علم التشريح ، وكان ابوه اعلم بالمساحة في زمانه ، وكانت ديانته النصرانية مات في مدينة سلطانية وقبره بها وعاش ثمانية وثمانين سنة ، وكان يأخذ نفسه في كل يوم بقراءة جزء من الحكمة ، ولم يأخذ من الملوك شيئا ولا داخلهم ولولا هو ما بقي العلم والدرس ودثر من العالم جملته ولكنه اقام أوده وشرح غامضه وبسط مستصعبة وكان في زمانه فلاسفة مات ذكرهم عند ذكره وانتهت اليه الرياسة في عصره .

ابو بكر محمد بن زكريا الرازي من مشاهير العلماء في الطب طبيب المسلمين غير مدافع ، مهر في المنطق والهندسة وغيرها من علوم الفلسفة ، وكان في شبيبته يضرب بالعود ويغني ، ثم اقبل على تعلم الفلسفة ودراسة كتب الطب فنال منها كثيرا وقرأها قراءة رجل متعقب على مؤلفيها فبلغ من معرفة غوائرها الغاية واعتقد الصحيح منها وعلل السقيم ، وكان امام وقته في علم الطب والمشار اليه في ذلك العصر ، وكان متقناً لهذه الصناعة حاذقاً بها عرافاً بأوضاعها وقوانينها تشد اليه الرحال لأخذها والف كتبا أكثرها في الطب ، وتوغل في الالهي ولم يفهم غرضه فتقلد آراء سخيفة واتخذ مذاهب ضعيفة ، ودبّر مارستان الريّ ، ثم مارستان البغداد في أيام المكتفي ، ثم عمي في آخر عمره وتوفي في سنة ٣١١ .

قيل له لو قدحت عينيك قال لا قد ابصرت من الـدنيا حتـى مللـت ، واحسن صناعة الكيمياء وذكر انها اقرب الى الممكن منها الى الممتنع والف فيها اثني عشر كتاباً ، وكان كريما متفضلا باراً بالناس حسن الرأفـة بالفقـراء ولـم يكن يفارق النسخ ، اما يسود أو يبيض ، وتصانيفه تبلغ مائة وست عشر من الكتب والرسائل في الطب والفلسفة وكلها نافع في بابه والله اعلم .

ومن كلامه مهما قدرت ان تعالج بالاغـذية فلا تعالـج بالأدوية ، ومهما قدرت ان تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب .

قال واذا كان الطبيب عالما والمريض مطيعا فما اقل لبث العلة وقال : عالج في اول العلة بما لا تسقطبه القوة ولم يزل رئيس هذا الشأن وكان اشتغاله به على كبر يقال انه لما شرع فيه كان قد جاوز اربعين سنة من العمر وطال عمره .

علي بن ابي الحزم علاء الدين بن النفيس الطبيب المصري صاحب كتاب الموجز في الطب ، وشرح كليات القانون وغيرهما .

كان فقيها على مذهب الشافعي ، صنف شرحا على التنبيه ، وصـنف في الطب غير ما ذكرناه كتابا سماه الشامل قيل لو تم لكان ثلثمائة مجلدة تم منه ثمانون مجلدة .

وصنف في اصول الفقه والمنطق .

وبالجملة كان مشاركا في الفنون واما الطب فلم يكن على وجه الارض مثله في زمانه قيل ولا جاء بعد ابن سينا مثله قالوا وكان في العلاج اعظم من ابن سينا وكانشيخه في الطب الشيخ مهذب الدين توفي سنة ٦٨٧ عن نحو ثمانين سنـة وخلف اموالا جزيلة ووقف كتبه واملاكه علىالمارستان المنصوري .

ابو يعقوب اسحق بن حنين العبادي الطبيب المشهور كان اوحد عصره في علم الطب ، وكان يعرف كتب الحكمة التي بلغة اليونانيين الى اللغة العربية ، وله المصنفات المفيدة في الطب ولحقه الفالج في آخر عمره فتوفي في سنة ٣٩٨ .

والعِبَادي نسبة الى عباد الحيرة وهم عدة بطون من قبائل شتى نزلوا حيرة

وكانوا نصارى ينسب اليهم خلق كثير والحيرة مدينة قديمة كانت لبني المنذر .

ابو زيد حنين بن اسحق العبادي الطبيبُ المشهـور ، كان امـام وقتـه في صناعة الطب ، وكان يعرف لغة اليونانيين معرفة تامة ، وهو الذي عرب كتاب اقليدس وجاء تابت بن قرة فنقحه وهذبه ، وكذلك كتاب المجسطي .

وله في الطب مصنفات مفيدة وتقدم ذكر ولده اسحق آنفاً وكان المأموم مغرما بتعريبها .

واليونانيو ن كانوا حكماء متقدمين على الاسلام وهـم من اولاد يونـان بن يافث بن نوحِ توفي حنين في سنة ٢٦٠ .

ابو الحَسَن هبة الله بن ابي الغنائم بن التلميذ الطبيب البغدادي ذكره العماد الاصفهاني في الخريدة فقال : سلطان الحكماء ومقصد العالم في علم الطب بقراط عصره وجالينوس زمانه ، وختم به هذا العلم ، ولم يكن في الماضيين من بلـغ مداه في الطب ، عمر طويلا وعاش نبيلا جليلا ، رأيته وهو شيخ بهي المنظر حسن الرُواء عذب المجتلى والمجتنى ، لطيف الروح ظريف الشخص بعيد الهم ، عالي الهمة ذكي الخاطـر ، مصيب الفـكر حازم الـرأي ، شيخ النصـارى وقسيسهـم ورأسهم ورئيسهـم ، وله في النظم كلمات رائقة وحلاوة جنية وغزارة بهية ، وكان بينه وبين ابي البركات هبة الله بن علي الحكيم المشهور صاحب كتاب المعتبر في الحكمة تنافر وتنافس كما جرت العادة بمثله بين اهل كل فضيلة وصنعة ، ولهما في ذلك امور ومجالس مشهورة ، وكان يهوديا ثم اسلم في آخر عمره وأصابه الجذام فعالج نفسه بتسليط الافاعي على جسده بعد ان جوعها فبالغت في نهشه فبرىء من الجزام وعمي وقصته مشهورة .

ولابن التلميذ في الطب تصانيف مليحة فمن ذلك اقراباذين وحوش على كليات ابن سينا توفي في سنة ٥٦٠ ببغداد وقد ناهز المائة من عمره مات في عيد النصارى .

ابو علي يحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب صاحب كتاب المنهاج الذي جمع فيه من اسماء الحشائش والعقاقير والأدوية وغير ذلك شيئا كثيراً .

كان نصرانيا ثم اسلم وصنف رسالة في الرد على النصارى وبين عوار مذاهبهم ومدح فيها الاسلام ، وأقام الحجة على انه الدين الحق ، وذكر فيها ما قرأه في التوراة والانجيل من ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي مبعوث ، وان اليهود والنصارى اخفوا ذلك ولم يظهروه ، ثم ذكر فيها معائب اليهود والنصارى وهي رسالة حسنة اجاد فيها ، وهو من المشاهير في علم الطب وعمله وكان يطبب اهل محلته ومعارفه بغير اجرة ويحمل اليهم الاشربة والأدوية بغير عوض ، ويتفقد الفقراء ويحسن اليهم ، ووقف كتبه قبل وفاته وجعلها في مشهد ابي حنيفة رحمه الله توفي في سنة ٤٩٣ غفر الله له .

علماء اصول الفقه

احمد بن علي ابو بكر الرازي المعروف بالجصاص ولد سنة ٣٠٥ وسكن ببغداد وانتهت اليه رياسة الحنفية ، تفقه على الكرخي وكان على طريقه من الزهد والورع توفي ببغداد سنة ٣٧٠ .

ابو الحَسَن علي بن محمد فخر الاسلام البزدوي ، فقيه ما وراء النهر على مذهب ابي حنيفة ، توفي سنة ٤٨٢ دفن بسمرقند ، له كتاب المبسوط احد عشر مجلداً وشرح الجامع الكبير ، ولكتابه في الأصول شروح اشهرها الكشف .

شمس الأئمة السرخسي ابو بكر محمد بن احمد صاحب المبسوط تخرج بعبد العزيز الحلواني ، كان عالماً أصولياً ، وقد شاع أنه أملى المبسوط من غير مراجعة الى شيء من الكتب ، وله كتاب في اصول الفقه أبدأه وهو في الجب محبوس بسبب كلمة نصح بها الامراء وكان يجتمع تلامذته على اعلى الجب يكتبون فلما وصل الى باب الشرط اطلق من الحبس فخرج الى فرغانة فاكرمه الامير حسن فوصل اليه الطلبة فأكمله .

وقيل له يوما حفظ الشافعي ثلثمائة كراس فقال : حفظ زكاة ما احفظه فحسب ما حفظ فكان اثني عشر[1] الف كراس .

توفي في حدود سنة خمسمائة رحمه الله تعالى .

سيف الدين الآمدي علي بن محمد بن سالم الثعلبي .

ولد بآمد سنة ٥٥٠ ، قرأ على مشائخ بلدة القراءات ، وحفظ كتابا على مذهب احمد بن حنبل وبقي على ذلك مدة ، فكان في اول اشتغاله حنبلي المذهب ثم انتقل الى مذهب الشافعي ، ثم رحل الى العراق واقام في الطلب ببغداد مدة وحصل علم الجدل والخلاف والمناظرة ، ثم انتقل الى الشام واشتغل بفنون المعقول وحفظ منه الكثير وتمهر فيه ولم يكن في زمانه احفظ منه لهذه العلوم .

وصنف في اصول الدين والفقه والمنطق والحكمة والخلاف ، وكل تصانيفه مفيدة .

وكان قد اخذ علوم الأوائل من نصارى الكرخ ويهودها فاتهم لذلك في عقيدته ففر الى مصر خوفا من الفقهاء سنة ٥٩٢ وناظر بها وحاضر واظهر تصانيف في علوم الأوائل ، ثم تعصبوا عليه فخرج من القاهرة مستخفيا ثم استوطن حماة او دمشق وتولّى بها التدريس ومات بها في سنة ٦٣١ .

لـه كتاب الماهر في علوم الأوائل والأواخرة خمس مجلدات ، وكتاب ابكار الافكار في اصول الدين اربع مجلدات ، قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ما سمعت أحداً يلقي الدرس احسن من الآمدي وما علمنا قواعد البحث الا منه ، وقال لو ظهر متزندق مشكك في الدين ما تعين لمناظرته الا هو ، وله كتاب منتهى السول والأمل في علمي الاصول والجدل ومختصرهما لابن الحاجب ، وله مقدار عشرين تصنيفا .

---

(١) هذه الرواية يأباه العقل الصحيح ويستبعده وأن كانت القدرة الالهية صالحة لكل شيء ، سيد علي حسن خان سلمه الله تعالى .

توفي سنة ٦٣١ ودفن بسفح جبل قاسيون وكانت ولادته في سنة ٥٥١ والآمدي نسبة الى آمد وهي مدينة كبيرة في ديار بكر مجاورة لبلاد الروم .

ابو البركات النسفي عبد الله بن احمد حافظ الدين ، صاحب كنز الدقائق وكتاب المنار في اصول الفقه وكتاب العمدة في اصول الدين تفقه على شمس الأئمة الكردري .

وللمنار شروح منها افاضة الانوار في اضاءة اصول المنار لسعد الدين محمود الدهلوي رحمه الله تعالى .

ـــ سراج الدين الهندي ابو حفص عمر بن اسحق بن احمد الغزنوي قاضي الحنفية بالقاهرة .

تفقه ببلاده على الوجيه الرازي والسراج الثقفي والزين البدواني وغيرهم من علماء الهند ، وحج وظهرت فضائله ، له وجاهة في كل دولة واسع العلم كثير المهابة ، وكان يتعصب للصوفية الموحدة وعزر ابن ابي حجلة لكلامه في ابن الفارض .

مات في ليلة مات فيها البهاء السبكي وهي السابع من رجب سنة ٧٧٣ وكان يكتب بخطه مولدي سنة ٧٠٤ .

محمد بن محمد بن عمر حسام الدين الاخشيكي ، واخشيكت قرية فيما وراء النهر ، الف المختصر في اصول الفقه مات رحمه الله تعالى سنة ٦٤٤ .

ابو المعالي امام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني مولده في الكامل سنة ٤١٠ وفي تاريخ ابن ابي الدم ٤١٩ ، امام العلماء في وقته فحل المذهب .

ومن تصانيفه نهاية المطلب في دراية المذهب ، سافر الى بغداد ، ثم الى الحجاز ، واقام بمكة والمدينة اربع سنين يدرس ويفتي ويصنف ، وامّ في الحرمين الشريفين وبذلك لقب ، ثم رجع الى نيسابو وجعل اليه الخطابة ومجلس الذكر

والتدريس ثلثين سنة ، وحظي عند نظام الملك وزير السلطان الب ارسلان السلجوقي .

ومن تلاميذه الغزالي وحسبك ، وابو الحسن علي الكيا الهراسي .

وادعى امام الحرمين الاجتهاد المطلق لأن اركانه كانت حاصلة له ، ثم عاد الى تقليد الامام الشافعي رحمه الله لعلمه بان منصب الاجتهاد قد مضت سنوه .

مات بقرية بشتقان ونقل الى نيسابور ، ثم نقل بعد سنين الى مقبرة الحسين فدفن بجنب ابيه ، وصلى عليه ولده ابو القاسم فأغلقت الاسواق يوم موته وكسر منبره في الجامع وقعد الناس لعزائه ورثوه كثيرا منه :

قلوب العالمين على المقالي وايام الورى شبه الليالي
ايثمر غصن اهل العلم يوما وقد مات الامام ابو المعالي

وقد كانت تلامذته يومئذ نحو اربعمائة فكسروا محابرهم واقلامهم واقاموا كذلك عاما كاملا كذا في تاريخ ابن الوردي .

قال ابن خلكان هو اعلم المتأخرين من اصحاب الشافعي على الاطلاق المجمع على إمامته المتفق على غزارة مادته وتفننه في العلوم من الأصول والفروع والأدب ، ورزق من التوسع في العبادة ما لم يعهد من غيره ، وكان يذكر دروساً يقع كل واحد منها في عدة اوراق ولا يتلعثم في كلمة منها ، سافر الى بغداد ولقي بها جماعة من العلماء ، ظهرت تصانيفه وحضر دروسه الاكابر من الأئمة ، وله اجازة من الحافظ ابي نعيم الاصفهاني صاحب حلية الأولياء .

ومن تصانيفه الشامل في اصول الدين ، والبرهان في اصول الفقه ، وغياث الامم في الامامة ، وكان اذا شرع في علوم الصوفية وشرح الاقوال ابكى الحاضرين ، ولم يزل على طريقة حميدة مرضية من اول عمره الى آخره انتهى ملخصاً .

الشيخ صفي الدين الهندي الارموي المتكلم على مذهب الاشعري ، كان

اعلم الناس بمذهبه وأدراهم باسراره ، متضلعا بالأصلين اشتغل على سراج الدين صاحب التلخيص .

صنف الزبدة في علم الكلام والنهاية في اصول الفقه والفائق فيه ايضا ، وكل مصنفاته جامعة حسنة لا سيما النهاية ولد ببلاد الهند سنة ٦٤٤ ورحل الى اليمن ثم حج وقدم الى مصر ثم سار الى الروم واجتمع بسراج الدين ، ثم قدم دمشق واشغل الناس بالعلم توفي بها سنة ٧١٥ خمس عشرة وسبعمائة .

صدر الشريعة عبد الله بن مسعود بن محمود عالم محقق وحبر مدقق ، له تصانيف مثل شرح الوقاية ، والوشاح في المعاني ، وتعديل العلوم في اقسام العلوم العقلية كلها ، والتنقيح وشرحه المسمى بالتوضيح في اصول الفقه رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

مولانا خسرو اسمه محمد بن قرامز بن خواجة علي ، كان عالما عاملا محققا فاضلا ، استقضاه السلطان محمد خان بالعسكر ثم صار قاضيا بمدينة قسطنطينة ، ثم صار مفتياً بها سنين كثيرة ، توفي سنة ٨٨٥ لهُ مصنفات كثيرة في علوم عديدة مثل الدرر وشرحه الغرر وحواشي التلويح وحواشي المطول وغير ذلك من الكتب والرسائل .

قَاضي القضاة محمد بن علي الشوكاني وستأتي ترجمته .

علماء الفقهِ

ابو حنيفة نعمان بن ثابت رضي الله عنه امام الحنفية ومقتدي اصحاب الرأي .

ولد سنة ٨٠ من الهجرة كذا ذكره الواقدي والسمعاني عن ابي يوسف ، وقيل عام احدى وستين والاول اكثر واثبت ، لم ير احدا من الصحابة باتفاق اهل الحديث وان كان عاصر بعضهم على رأي الحنفية ، وبالغ في مدينة العلوم في

اثبات اللقاء والرواية عن بعضهم وليس كما ينبغي ، قال وقد ثبت بهذا التفصيل ان الامام من التابعين وان انكر اصحاب الحديث كونه منهم اذ الظاهر ان اصحابه اعرف بحاله منهم انتهى .

وفيه نظر واضح لأن معرفة اهل الحديث بوفيات الصحابة احوال التابعين اكثر من معرفة اصحاب الرأي بها ، وقولهم ان المثبت اولى من النافي تعليل لا تعويل عليه ولا عبرة بكثرة مشائخه رحمهم الله ايضا بالنسبة الى مشائخ الشافعي رحمه الله لأن الاعتبار بالثقة دون كثرة المشيخة ، وقد ضعف المحدثون ابا حنيفة رحمه الله في الحديث وهو كذلك كما يظهر من الرجوع الى فقه مذهب هذا الامام وتصرفاته في الكلام ، والانصاف خير الاوصاف ، ولم يكن هو عالما حق العلم بلغة العرب ولسانهم .

والكتب المؤلفة في ترجمته كثيرة يوجد بعضها فهي تغني عن الاطالة في هذا المقام .

والكلام على ترجيح فقه امام ومذهبه على فقه امام آخر ومذهبه ليس من العلم شيء .

واكثر من ابتلي بأمثال هذه الخرافات هم المقلدون للمذاهب والمتمذهبون للمشارب ، والحق عدم الترجيح واحكم المذاهب واصوبها واشرفها ما كان موافقا للكتاب والسنة بعيدا عن شوائب الآراء والمظنة وبالله التوفيق وبيده ازمة التدقيق والتحقيق .

الامام مالك بن انس صاحب كتاب الموطأ في الحديث الشريف ، عالم المدينة وإمامها ، احد المجتهدين الاربعة ، مات وله تسعون سنة وقبره بالمدينة على شط بقيع الغرقد ، وكان وفاته في ايام الرشيد ، ولد واسنانه ثابتة فسمي ضحاكا اضحكه الله في جناته .

اخذ عنه العلم جماعة كثيرة منهم الشافعي قال : اذا ذكر العلماء فمالك

النجم واذا جاء الحديث عنه فاشدد يديك به .

وقال مالك ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يضعه الله تعالى في القلب .

قال في مدينة العلوم : انه لا يفي بتعداد فضائل هذا الطود العظيم الاشم والبحر الزخار الاطم بطون الكتب ومضامين الاسفار فضلا عن هذه الاوراق والسطور انتهى .

وهو كذلك وكتابه الموطأ في الطبقة الاولى من كتب الحديث عند المحققين ، وكان شارحه صاحب المصفى والمسوى شديد الاعتناء به حتى قال ان المقصود في هذه الدورة العمل بالموطأ وترك العمل بغيره من التفريعات والكتب .

وهذا يدل على عظمة رتبة هذا التأليف .

توفي في سنة تسع او ثمان وسبعين ومائة وقد ذكرت له ترجمة حافلة في كتابي الحطة في ذكر الصحاح الستة واتحاف النبلاء فارجع اليهما .

الامام محمد بن ادريس الشافعي القرشي ثالث المجتهدين واعلم العلماء الربانيين لما حملت به امه رأت كأن المشتري خرج من بطنها وانقض ووقع في كل بلدة منه شظية ، فعبر المعبر انه يخرج من بطنك عالم عظيم فكان كما عبر .

وهو اول من دوّن علم اصول الفقه ورزق السعادة التامة في علمه .

قال احمد حنبل كان الشافعي كالشمس للنهار وكالعافية للناس واني لادعو له في أثر صلاتي اللهم اغفر لي ولوالدي ولمحمد بن ادريس الشافعي .

قال في مدينة العلوم : وبالجملة هو عالم الدنيا وعالم الارض شرقا وغربا جمع الله له من العلوم والمفاخر ما لم يجمع لامام بعده وفضائله اكثر من ان تحصى لا يسعها الا المجلدات .

حدث عنه احمد بن حنبل وغيره مات بمصر سنة ٢٠٦ وله اربع وخمسون سنة واتفق العلماء قاطبة من اهل الفقه والأصول والحديث واللغة والنحو وغيرها

على امانته وعدالته وزهده وورعه وتقواه وجوده وحسن سيرته وعلو قدره ، فالمطنب في وصفه مقصر والمسهب في مدحه مقتصر وقد كثرت في ذلك المجلدات الكبار ولم تبلغ ساحل هذا البحر وقد اعتنى جماعة من اهل العلم بترجمته مفردة .

ـــ الامام احمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي إمام اهل السنة بلا مدافع ، وقدوة اهل الحديث بغير منازع .

ولد ببغداد سنة ١٦٤ ومات بها سنة ٢٤١ وله سبع وسبعون سنة ، به عرف صحيح الحديث من ضعيفه والمجروح من المعدّل .

رحل الى الكوفة والبصرة ومكة واليمن والشام والجزيرة وكتب عن علمائها .

وسمع الحديث من شيوخ بغداد وسمع منه الشيخان الكبيران البخاري ومسلم وابو زرعة وابو داود السجستاني وخلق كثير سواهم ، وفضائله كثيرة ، ومناقبه جمة في الاسلام ، وآثاره مشهورة ومقاماته في الدين مذكورة وهو رابع المجتهدين المعول على قوله ورأيه وروايته .

قال ابن راهويه هو حجة بين الله وبين عباده في ارضه وكان يحفظ الف الف حديث ، وكانت مجالسته مجالسة الآخرة لا يذكر من امر الدنيا شيئا ضرب تسعة وعشرين سوطا على انكار خلق القرآن .

قال احمد بن محمد الكندي : رأيته في المنام فقلت ما صنع الله بك؟ قال غفر لي ربي وقال يا احمد ضربت فيّ قلت نعم يا رب قال هذا وجهي انظر اليه قد ابحتك النظر اليه .

ولما مات صلى عليه من المسلمين من لا يحصى ومسح موضع الصلوٰة عليه فوجدوا موقف الفي الف وثلثمائة الف ذراع ونحوها ذكرت له ترجمة كافية في كتابي الحطة واتحاف النبلاء .

وقد ألفت في مناقب هؤلاء الاربعة صحف كثيرة مستقلة لا حاجة بعدها الى اطالة الكلام لهم في هذا المقام .

واعلم الاربعة بعلم الحديث واستاذ الكل فيه هو ذاك احمد الامام ولولاه لم يكن لمذهب السنة بقاء في الدنيا واليه تنتهي رياسة علم السنة واهلها وظهر في اهل نحلته الائمة المجتهدون على كثرة لا يعلم مثلها في مذهب آخر ورزق السعادة الكاملة في علمه ودينه .

قف وذكر في مدينة العلوم بعد تراجم الائمة الاربعة تراجم غالب علماء المذهب الحنفي بالبسط التام لكونه من الحنفيه وليس ذكرها من غرضنا في هذا الكتاب ، كذلك ذكر تراجم غيرهم من فقهاء المذاهب الثلثة لان تراجمهم مذكورة في كتب الطبقات كل واحد من هؤلاء مسطورة في محلها وهم اكثر من ان تحصى وازيد من ان تستقصى وذكرهم يستدعي مجلدات ضخيمة واسفار عظيمة .

والائمة منهم معروفون مشهورون وانما اشرنا الى تراجم الاربعة المجتهدين لكونهم ائمة الفقهاء المتقدمين والمتأخرين وههنا اشير الى اسمائهم رحمهم الله فمن الحنفية :

الامام القاضي ابو يوسف وكان من اهل الاجتهاد .

والامام محمد وقد بلغ رتبة الاجتهاد ايضا .

وابن المبارك المحدث المروزي .

والامام داود بن نصير الطائي الكوفي .

ووكيع بن الجراح .

ويحيى بن زكريا .

والحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي .

وحماد بن ابي حنيفة الامام .

واسمعيل بن حماد المذكور .
ويوسف بن خالد صاحب أبي حنيفة .
وعافية بن يزيد الكوفي .
وحبان ومندل ابنا علي الغزي .
وعلي بن مسهر الكوفي .
والقاسم بن معن واسد بن عمرو بن عامر .
واحمد ابو حفص الكبير .
وخلف بن ايوب من اصحاب الامام محمد .
وشداد بن حكم من اصحاب زفر رحمه الله .
وموسى بن نصر الدين الرازي
وموسى بن سليمان الجوزجاني .
وهلال بن يحيى النصري .
ومحمد بن سماعة وابو مطيع الحكم بن عبد الله القاضي رواي كتاب الفقه الاكبر عن ابي حنيفة .

قال في المدينة ان الائمة الحنفية اكثر من ان تحصى لانهم قد طبقوا اكثر المعمورة حتى قيل ان لابي حنيفة رحمه الله سبعمائة وثلثين رجلا من تلامذته وهذا ما عرف منهم وما لم يعرف فاكثر من ذلك انتهى .

ثم ذكر الكتب المعتبرة في الفقه الحنفي على ما هو المشهور في ذلك الزمان ، هي مذكورة في كشف الظنون على وجه البسط والتفصيل مع ذكر الحواشي عليها والشروح لها .

قال واعلم ان استقصاء الائمة الحنفية ونصانيفهم خارج عن طوق هذا المختصر ، فلنذكر بعد ذلك نبذا من ائمة الشافعية ليكون الكتاب كامل الطرفين حائز الشرفين وهؤلاء صنفان :

احدهما من تشرف بصحبة الامام الشافعي .

والآخر من تلاهم من الائمة .

اما الاول فمنهم : احمد خالد الخلال ابو جعفر البغدادي ، واحمد بن سنان

الواسطي ، واحمد بن صالح ابو جعفر الطبري ، واحمد بن ابي سرح الصباح ، واحمد بن عبد الرحمن القرشي ، واحمد بن عمرو بن السرح الاموي ، والامام احمد بن حنبل المشهور في الآفاق ، واحمد بن محمد الوليد ويقال عون بن عقبة ، واحمد بن يحيى البغدادي المتكلم ، واحمد بن الوزير المصري ، واحمد بن سريج الرازي ، ومحمد بن عبد الحكم المصري ، ومحمد بن الامام الشافعي ، وابو ثور ابراهيم بن خالد البغدادي ، وابراهيم بن محمد ابن عم الشافعي ، وابراهيم بن محمد بن هرم ، واسمعيل بن يحيى ابو ابراهيم المزني ، وبحر بن نصر الخولاني وحارث النقال ، وحسن بن محمد الصباح البغدادي الزعفراني ، وحسين بن علي الكراسي والحسن الفلاس ، وحرملة التجيبي ، وربيع بن سليمان الجبري المصري ، وربيع بن سليمان المرادي ، وسليمان بن داود العباسي ، وابو بكر الحميد بن زهير ، وعبد العزيز ابو علي الخزاعي ، وعبد العزيز الكناني ، وفضل ابن ربيع والقاسم بن سلام بتشديد اللام ، وقحزم الاسواني وهو آخر من صحب الشافعي رحمه الله موتا ، وموسى بن ابي الجارود المكي ، ويوسف بن يحيى البويطي وبويط من صعيد مصر ، ويونس بن علي الصدفي المصري .

واما الصنف الثاني فمنهم : محمد بن ادريس ابو حاتم الرازي ، ومحمد بن اسمعيل البخاري ، ومحمد بن علي الحكيم الترمذي الصوفي ، ومحمد بن نصر المروزي ، وحنيد بن محمد البغدادي سيد الطائفة الصوفية ، وحارث بن اسد المحاسبي ، وداود بن علي البغدادي امام اهل الظاهر ، وسليمان بن الاشعث السجستاني ، والحافظ ابو سعيد الدارمي محدث هراة ، وابو تراب عسكر بن محمد التخشبي وتخشب بلدة من بلاد ما وراء النهر عربت فقيل لها نسف ، والنسائي صاحب السنن ، واحمد بن شريح القاضي ، واحمد بن محمد ابو علي الروذباري ، وابو منصور محمد بن احمد الازهري اللغوي ، وابو زيد محمد بن احمد الفاشاني المروزي ، وابو بكر محمد بن احمد الحداد المصري ، وابو جعفر

محمد بن جرير الطبري احد ائمة الدنيا علما ودينا ، ومحمد بن خفيف الشيرازي ، وابو سهل محمد بن سليمان الصعلوكي ، وابو بكر الصيرفي محمد بن عبد الله ، وابو الحسن علي شيخ الاشاعرة ، وابو اسحٰق الشيرازي ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي ، وابو اسحٰق الاسفرائني ابراهيم بن محمد ، واسمعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، وابو القاسم القشيري حسن بن علي ، وابو الطيب سهل ابن محمد الصعلوكي ، والقاضي ابو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري وله مناظرات مع ابي الحسن القدوري من الحنفية .

والعراقيون اذا اطلقوا لفظ القاضي يعنون اياه .

والخراسانيون يعنون القاضي حسين .

والاشعرية في الاصول القاضي ابا بكر الباقلاني .

والمعتزلة عبد الجبار الاسترابادي ، والقفال المروزي الصغير واسمه عبد الله بن احمد وهو المراد عند الاطلاق ، والاكبر يقيد بالشاشي وابن هوازن القشيري ، وابو محمد الجويني والد امام الحرمين ، وابو نصر بن الصباغ وعبد القاهر التميمي ابو منصور البغدادي ، وعبد القاهر الجرجاني ، وابو المعالي امام الحرمين ، وابو الحسن الماوردي صاحب الحاوي والاقناع ، وابو حيان التوحيدي ، وابو المظفر السمعاني ، وابو حامد الغزالي صاحب الاحياء ، ومحمد الخيوشاني ، ومحيي السنة الفراء البغوي ، وابو المحاسن الروياني ، والحافظ ابن عساكر والشيخ صدر الدين القونوي ، والامام فخر الدين الرازي ، والشيخ عز الدين بن عبد السلام ومن تلامذته ابن دقيق العيد ، وابو القاسم الرافعي وابو نصر الشهروزي ، وابو القاسم الصوفي ، وابو الفتح الموصلي ، وابو العباس احمد بن محمد شارح الوسيط ، ومحمد التركماني الذهبي الحافظ ، والقاضي جـ[illegible] الدين القزويني ، الصفي الهندي وابن الزملكاني ومحمد بن سيد الناس الحافظ والحافظ علم الدين العراقي الضرير ، وعلي بن عبد الكافي السبكي الكبير وابن خطاب الباجي ، والقاضي شرف الدين البارزي انتهى .

ثم ذكر لهؤلاء تراجم مختصرة ومطولة كما ذكر تراجم الفقهاء الحنفية ، ولم يذكر للأئمة المالكية والحنبلية تراجم ولعل الوجه في ذلك كثرة اولئك وقلة هؤلاء وقليل من عبادي الشكور ولكن تغني عن ذلك كتب الطبقات المختصة لتراجم المالكية والحنابلة وهي لم تغادر احد منهم .

وقد ذكر القاضي ابو اليمن مجير الدين الحنبلي في كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل جماعة من علماء المذاهب الاربعة وقضاتهم الذين كانوا في ايلياء ومنهم علماء الحنابلة ، وكذا ذكرهم ابن رجب الحنبلي في طبقاته وغيره من اهل التاريخ والسير في كتبهم الموضوعة لذلك .

والذين ترجم لهم صاحب مدينة العلوم أكثرهم من رجال وفيات الاعيان لابن خلكان وقد ردت عليه رجالا منه ومن غيره واشرت الى المآخذ وتركت تراجم غالب العلماء تحت كل علم مذكور هاهنا وأومأت الى اسمائهم ليسهل المراجعة للطالب الى معرفة كل واحد منهم من المآخذ .

واذكر الآن جماعة من علماء الحديث والقرآن ، ثم اردف ذلك ذكر طائفة من علماء الهند المشهورين المشار اليهم في العلوم النقلية والعقلية ولم ادرجهم تحت علماء العلوم المذكورة هٰهنا لسهولة الضبطوالربطوهم مشاركوا الجميع الا ما شاء الله تعالى ، فليكن ذلك على ذكر منك وما ذكرناه من علماء الحرمين واليمن فاكثرهم مشائخمشائخناوهم في سلسلة الاسناد لنا .

ذكر حفاظ الاسلام

والمراد بهؤلاء في هذا الموضع الذين لم يقلدوا واحدا من اهل الاجتهاد ولم يكونوا اصحاب الرأي غالبا وهم المفسرون المتقنون والمحدثون المصنفون لكتب التفاسير والسنن على اختلاف انواعها وتباين انحائها سيا الائمة منهم وان انتسب بعضهم في الظاهر الى احد من المجتهدين فهو في الحقيقة ليس منتسبا اليه بل تابع

للقرآن والحديث مجتهد بنفسه في علمه وعمله والله اعلم بالصواب .

شيخ الاسلام تقي الدين ابو العباس احمد بن المفتي شهاب الدين عبد الحليم بن شيخ الاسلام مجد الدين ابي البركات عبد السلام بن عبد الله بن ابي القاسم بن تيمية الحراني الحنبلي .

مولده رحمه الله ورحمنا به بحرّان يوم الاثنين عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وستمائة ، هاجر والده به وباخوته الى الشام من جور التتر ، وعنى الشيخ تقي الدين بالحديث ونسخ جملة وتعلم الخط والحساب في المكتب وحفظ القرآن ، ثم اقبل على الفقه وقرأ اياما في العربية على ابن عبد القوي ثم فهمها ، واخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهمه وبرع في النحو ، واقبل على التفسير اقبالا كليا حتى سبق فيه ، احكم اصول الفقه كل هذا وهو ابن بضع عشرة سنة ، فانبهر الفضلاء من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وادراكه ، ونشأ في تصون تام وعفاف وتعبد واقتصاد في الملبس والمآكل ، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره فيناظر ويفحم الكبار ويأتي بما يتحيرون منه ، وأفتى وله اقل من تسع عشرة سنة وشرع في الجمع والتأليف ، ومات والده وله احدى وعشرون سنة ، وبعُد صيته في العالم فطبق ذكره الآفاق ، واخذ في تفسير الكتاب العزيز ايام الجمع على كرسي من حفظه فكان يورد المجلس ولا يتلعثم وكذلك الدرس بتؤدة وصوت جهوري فصيح يقول في المجلس ازيد من كراسين ، ويكتب على الفتوى في الحال عدة اوصال بخط سريع في غاية التعليق والاغلاق .

قال الشيخ العلامة كمال الدين بن الزملكاني علم الشافعية في خط كتبه في حق ابن تيمية كان اذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع انه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم بان لا يعرفه احد مثله ، وكانت الفقهاء من سائر الطوائف اذا جالسوه استفادوا في مذاهبهم منه اشياء .

قال ولا يعرف انه ناظر احدا فانقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم سواء

كان من علوم الشرع او غيرها الآفاق فيه اهله ، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها انتهى كلامه .

وكانت له خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ، معرفة بفنون الحديث وبالعالي والنازل والصحيح والسقيم مع حفظه لمتونه الذي انفـرد به ، وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه واليه المنتهى في عزوه الى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه ان يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الاحاطة لله غير انه يغترف فيه من بحر وغيره من الائمة يغترفون من السواقي .

اما التفسير فسلم اليه وله في استحضار الآيات للاستدلال قوة عجيبة ، ولفرط امامته في التفسير وعظمة اطلاعه بين خطـأ كثيراً من اقـوال المفسرين ، ويكتب في اليوم والليلة من التفسير او من الفقه او من الاصلين او من الرد على الفلاسفة والاوائل نحوا من اربعة كراريس ، وما يبعد ان تصانيفه الى الآن تبلغ خمسمائة مجلدة ، وله في غير مسئلة مصنف مفرد كمسألة التحليل سماه بيان الدليل على ابطال التحليل مجلد وغيرها .

وله مصنف في الرد على ابن مطهر الرافضي الحلي في ثلث مجلـدات كبـار سماه منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية .

وتصنيف في الرّدّ على تأسيس التقديس للرازي في سبع مجلدات .

وكتاب في الرد على المنطق وكتاب في الموافقـة بـين المعقـول والمنقـول في مجلدين ، وقد جمع اصحابه من فتاواه ست مجلدات كبـار ، ولـه باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين قلّ ان يتكلم في مسألة الا ويذكر فيها مذاهب الاربعة ، وقد خالف الاربعة في مسائل معروفـة ، وصـنف فيهـا واحتـج لهـا بالكتاب والسنة .

وله مصنف سماه السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية .

وكتاب رفع الملام عن الائمة الاعلام وبقي عدة سنين لا يفتي بمذهب معين بل بما قام الدليل عليه عنده ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية واحتج لها ببراهين ومقدمات وامور لم يسبق اليها ، واطلق عبارات احجم عنها الاولون والآخرون ، وهابوا وجسر هو عليها حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه وبدَّعوه وناظروه وكابروه وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي بل يقول الحق المر الذي ادّى اليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته في السنن والاقوال .

وجرى بينه وبينهم حملات حربية ووقعات شامية ومصرية .

وكان معظما لحرمات الله دائم الابتهال كثير الاستعانة قوي التوكل ثابت الجأش ، له اوراد واذكار يديمها وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء والجند والامراء والتجار والكبراء وسائر العامة تحبه ، بشجاعته تضرب الامثال وببعضها يتشبه اكابر الابطال ولقد اقامه الله في نوبة غازان والتقى اعباء الامر بنفسه واجتمع بالملك مرتين ، وبخلطو شاه وبولان وكان قيحق يتعجب من إقدامه وجرأته على المغل .

قال القاضي المنشي شهاب الدين ابو العباس احمد بن فضل الله في ترجمته جلس الشيخ الى السلطان محمود غازان حيث تجم الاسد في آجامها ، وتسقط القلوب دواخل اجسامها ، وجد النار فتورا في ضرومها والسيوف فرقا في قرمها خوفها من ذلك السبع المغتال والنمروذ المحتال ، والاجل الذي لا يدفع بحيلة محتال فجلس اليه وأومى بيده الى صدره وواجهه ودار في نحره ، وطلب منه الدعاء فرفع يديه ودعاء منصف اكثره عليه وغازان يؤمن على دعائه .

وكتب ابن الزملكاني على بعض تصانيف ابن تيمية رحمه الله هذه الابيات :

ماذا يقول الواصفون له   وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة   هو بيننا اعجوبة العصر

هو آية في الخلـق ظاهرة انوارهـا اربـت على الفجر

قال القاضي ابو الفتح ابن دقيق العيد : لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما يريد وحضر عنده شيخ النحاة ابو حيان وقال ما رأت عيناي مثله وقال فيه على البديهية ابياتا منها :

قام ابـن تيمية في نصر شرعتنا مقـام سيد تيم اذ عصـت مضر
فأظهـر الحـق اذ آثـاره درست واخمـد الشر اذا طارت له الشرر
كنـا نحـدث عن حبـر يجـيء فها انـت الامـام الـذي قد كان ينتظر

قال ابن الوردي في تاريخه بعد ذلك كله هو اكبر من ان ينبه مثلي على نعوته فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت اني ما رأيت بعيني مثله ولا رأى هو مثل نفسه في العلم ، وكان فيه قلة مداراة وعدم تؤدة غالبا ، ولم يكن من رجال الدول ولا يسلك معهم تلك النواميس ، واعان اعداءه على نفسه بدخوله في مسائل كبار لا يحتملها عقول ابناء زماننا ولا علومهم ، كمسألة التكفير في الحلف بالطلاق ، ومسألة ان الطلاق بالثلاث لا يقع الا واحدة ، وان الطلاق في الحيض لا يقع .

وساس نفسه سياسة عجيبة فحبس مراتب بمصر ودمشـق والاسكنـدرية وارتفع وانخفض واستبد برأيه وعسى ان يكون ذلك كفـارة له ، وكم وقـع في صعب بقوة نفسه وخلصه الله ، وله نظم وسطولم يتزوج ولا تسرى ولا كان له من المعلوم الا شيء قليل ، وكان اخوه يقوم بمصالحه ، وكان لا يطلب منهم غداء ولا غشاء غالبا وما كانت الدنيا منه على بال وكان يقول في كثير من احوال المشائخ انها شيطانية او نفسانية فينظر في متابعة الشيخ الكتاب والسنـة فان كان كذلك فحاله صحيح وكشفه رحماني وغالبا وما هو بالمعصوم ، وله في ذلك عدة تصانيف تبلغ مجلدات ، من اعجب العجب وكم عوفي من صرع الجني انسـان بمجـرد تهديده للجني ، وجرت له في ذلك فصول ولم يفعـل اكثـر من ان يتلـو آيات

ويقول : ان تنقطع من هذا المصروع والا عملنا معك حكم الشرع والا علمنا معك ما يرضي الله ورسوله .

وفي آخر الامر ظفروا له بمسألة السفر لزيارة قبور النبيين وان السفر وشد الرحال لذلك منهي عنه لقوله ﷺ (لا تشد الرحال الا الى ثلٰثة مساجد) مع اعترافه بان الزيادة بلا شد رحل قربة فشنعوا عليه بها ، وكتب فيها جماعة بانه يلزم من منعه شائبة تنقيص للنبوة فيكفر بذلك .

وأفتى عدة بانه مخطىء بذلك خطأ المجتهدين المغفور لهم ووافقه جماعة وكبرت القضية فأعيد الى قاعة بالقلعة فبقي بضعة وعشرين شهرا او آل الأمر الى ان منع من الكتابة والمطالعة وما تركوا عنده كراسا ولا دواة وبقي اشهرا على ذلك فاقبل على التلاوة والتهجد والعبادة حتى اتاه اليقين ، فلم يفجأ الناس الا نعيه وما علموا بمرضه فازدحم الخلق عند باب القلعة وبالجامع زحمة صلاة الجمعة وارجح ، وشيّعه الخلق من اربعة ابواب البلد ، وحمل على الرؤوس وعاش سبعا وستين سنة واشهرا ، وكان اسود الرأس قليل شيب اللحية ربعة جهوري الصوت أبيض أعين .

قلت تنقص مرة بعض الناس من ابن تيمية عند القاضي ابن الزملكاني وهو بحلب وانا حاضر فقال : ومن يكون مثل الشيخ تقي الدين في زهده وصبره وشجاعته وكرمه وعلومه ، والله لولا تعرضه للسلف لزاحمهم بالمناكب ، وهذه نبذة من ترجمة الشيخ مختصرة اكثرها من الدرة اليتيمية في السيرة التيمية للامام الحافظ شمس الدين محمد الذهبي رحمه الله .

قال ابن الوردي وفيها اي سنة ٧٢٣ ليلة الاثنين والعشرين من ذي القعدة توفي شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه معتقلا بقلعة دمشق ، وغسل وكفن واخرج وصلى عليه اولا بالقلعة الشيخ محمد بن تمام ، ثم بجامع دمشق بعد الظهر ، من باب الفرج واشتد الزحام في سوق الخيل ، وتقدم عليه

في الصلوة هناك اخوه وألقى الناس عليه مناديلهم وعمائمهم للتبرك ، وتراص الناس تحت نعشه وحضرت النساء خمسة عشر الفا ، واما الرجال فقيل كانوا مائتي الف وكثر البكاء عليه وختمت له عدة وتردد الناس الى زيارة قبره اياما ورؤيت له منامات صالحة ورثاه جماعة . قلت ورثيته انا بمرثية على حرف الطاء فشاعت واشتهرت وطلبها مني الفضلاء والعلماء من البلاد وهي :

عثافي عرضه قوم سلاط ... لهم من نشر جوهره الالتقاط
تقي الدين احمد خير حبر ... خروق المعضلات به تخاط
توفي وهو محبوس فريد ... وليس له الى الدنيا انبساط
ولو حضروه حين قضى لألفوا ... ملائكة النعيم به احاطوا
قضى نحبا وليس له قرين ... ولا لنظيره لف القماط
فتى في علمه اضحى فريدا ... وحل المشكلات به يناط
وكان الى التقى يدعو البرايا ... وينهى فرقة فسقوا ولاطوا
وكان الجن تفرق من سطاه ... بوعظ للقلوب هو السياط
فيا لله ما قد ضم لحد ... ويا لله ما غطى البلاط
هم حسدوه لما لم ينالوا ... مناقبه فقد مكروا وشاطوا
وكانوا على طرائقه كسالى ... ولكن في اذاه لهم نشاط
وحبس الدر في الاصداف افخر ... وعند الشيخ بالسجن اغتباط
بآل الهاشمي له اقتداء ... فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا
بنوا تيمية كانوا فبانوا ... نجوم العلم ادركها انهباط
ولكن يا ندامة حابسيه ... فشك الشرك كان به يماط
ويا فرح اليهود بما فعلتم ... فان الضد يعجبه الخباط
الم يك فيكم رجل رشيد ... يرى سجن الامام فيستشاط

امــام لا ولاية كان يرجو ولا وقف عليه ولا رباط
ولا جاراكم في كسب مال ولـم يعهـد له بكم اختلاط
ففيم سجنتمـوه وعظتموه امـا لجـزا اذيّتـه اشتراط
وسجـن الشيخ لا يرضـاه مثلي ففيه لقـدر مثلـكم انحطاط
امـا والله لولا كتـم سري وخـوف الشر لانحـل الرباط
وكنـت اقـول ما عنـدي ولكن باهـل العلـم ما حسـن اشتطاط
فما احـد الى الانصـاف يدعو وكل في هواه له انخراط
سيظهـر قصـدكم يا حابسيه وننبئـكم اذا نُصِـبَ الصراط
فَماَ هو مات عنـكم واسترحتم فعاطـوا ما اردتـم ان تعاطوا
وحلـوا واعقـدوا من غـير ردّ عليكم وانطـوى ذاك البساط

وكنتُ اجتمعتُ به بدمشق سنة ٧١٥ بمسجده بالقصاعين وبحثت بين يديه في فقه وتفسير ونحو فأعجبه كلامي وقبّل وجهي ، وانـي لارجـو بركة ذلك ، وحكى لي عن واقعته المشهورة في جبل كسروان ، وسهرت عنده ليلة فرأيت من فتوّته ومروّته ومحبته لاهل العلم ولا سيا الغرباء منهم امراً كثير ، وصليت خلفه التراويح في رمضان فرأيت على قراءته خشوعا ورأيت على صلاته رقة حاشية تأخذ بمجامع القلوب انتهى كلام الامام زين الدين عمر بن الوردي المتوفى بحلب سنة ٧٤٩ رحمه الله تعالى بعبارته .

وقد ذكرت لابن تيمية رحمه الله ترجمة حافَلة بالفارسية في كتابـي اتحـاف النبلاء المتقين .

وله قدس سره تراجم كثيرة حسنة اعتنـى بجمعهـا جمـع جم من العلماء الفضلاء .

منها كتاب القول الجلي في ترجمة شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية الحنبلي للسيد صفي الدين احمد الحنفي البخاري نزيل نابلس رحمه الله ، وهو جزء

لطيف ، وعليه تقريظ للشيخ العلامة محمد التافلاني مفتي الحنفية بالقدس الشريف ، وتقريظ للشيخ عبد الرحمن الشافعي الدمشقي الشهير بالكزبري .

ومنها كتاب الكواكب الدرية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية للشيخ الامام العلامة مرعي .

ومنهاكتاب الردّ الوافر على من زعم ان من سمى ابن تيمية شيخ الاسلام كافر للشيخ الامام الحافظ أبي عبد الله محمد بن شمس الدين ابي بكر بن ناصر الدين الشافعي الدمشقي ، وعليه تقريظ للحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري ، وتقريظ القاضي القضاة صالح بن عمر البلقيني رحمه الله ، وتقريظ للشيخ الامام عبد الرحمن التفهني الحنفي وتقريظ للشيخ العلامة شمس الدين محمد بن احمد البساطي المالكي ، وتقريظ للقاضي الفهامة نورالدين محمود بن احمد العيني الحنفي وهذا اطول التقاريظ وهي التي كتبوها في سنة ٨٣٥ ، وايضا عليه تقريظ للامام العلامة قاضي قضاة الحنابلة بالديار المصرية ابي العباس احمد بن نصر الله بن احمد البغدادي ثم المصري كتبه في سنة ٨٣٦ بصالحة دمشق بدار الحديث الاشرفية ، وتقريظ لمحدث حلب الحافظ الامام ابي الوفا ابراهيم بن محمد النعيم رضوان بن محمد بن يوسف العقبي المصري الشافعي ، ثم قرظ عليه غيرهم من سائر البلدان كالقاضي سراج الدين الحمصي الشافعي وخلق كثير .

وكان قد نبغ شخص في المائة التاسعة يسمى علاء الدين محمد البخاري بدمشق تعصب على الشيخ وأفتى بكفره وكفر من سماه شيخ الاسلام ، فردّ عليه في هذا الكتاب وعدّد من سماه شيخ الاسلام من ائمة جميع المذاهب منهم خصومه كالسبكي وغيره ، وبعد اتمامه ارسله الى مصر فقرظ عليه من تقدم ذكرهم .

وممن مدح شيخ الاسلام بقصائد حسنة طويلة الشيخ العلامة اسحق بن ابي بكر النزلي المصري الفقيه المحدث نجم الدين ابو الفضل اولها :

يعنفني في بغيتي رتبة العلى   جهول اراه راكبا غير مركبي

إلى آخرها وهي نفيسة جداً .

وهذه التقاريظ المشار اليها كلها بمنزلة تراجم مفيدة وهي تفصح عن علو مكان شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في العلوم والمعلومات .

وقد اقر بفضله وبلوغه رتبة الاجتهاد من لا يحصى كثرة منهم الحافظ الذهبي ، والسيوطي ، والسخاوي ، والمزي ، والحافظ ابن كثير ، وابن دقيق العيد ، والحافظ فتح الدين اليعمري المعروف بسيد الناس ، والحافظ علم الدين البرزالي وغير هؤلاء وقد ترجم له الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة والعلامة شهاب الدين بن فضل الله العمري في مسالك الابصار ، والامام العلامة ابن رجب الحنبلي في طبقاته ، والعلامة ابن شاكر في تاريخه والامام العالم الحافظ شمس الدين عبد الهادي في تذكرة الحفاظ ترجمة حافلة جداً ، وذكر الشيخ الفاضل صلاح الدين الكتبي في فوات الوفيات من تصانيفه كتباً جمة لا يسع لها هذا الموضع .

واثنى عليه شيخنا العلامة القاضي محمد بن علي الشوكاني في آخر شرح الصدور في تحريم رفع القبور وشهد ايضاً بفضله وعمله وسعة اطلاعه وكمال ورعه مخالفوه .

منهم الشيخ كمال الدين الزملكاني ، والشيخ صدر الدين بن الوكيل ، والشيخ ابو الحسن تقي الدين السبكي الرّاد عليه في مسئلة الزيارة .

وقد ردّ هذا الرّد صاحب كتاب الصارم المنكى على نحر ابن السبكي واجمع له ان شاء الله تعالى ترجمة حافلة مستقلة في كتاب مفرز لذلك فلنقتصر على هذا المقدار ههنا .

الشيخ العلامة الحافظ شمس الدين محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد بن القيّم الجوزي الدرعي الدمشقي الحنبلي .

ولد سنة احدى وتسعين وستمائة .

وسمع على الشيخ تقي الدين سليمان القاضي ، وابي بكر بن عبد الدائم وشيخ الاسلام ابن تيمية ، والشهاب النابلسي العابر ، وفاطمة بنت جوهر ، وعيسى المطعم وجماعة .

وقرأ في الأصول علي الصفي الهندي .

وتفقه في المذهب وأفتى وتفنن في علوم الاسلام ، وكان عارفا بالتفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين واليه فيهما المنتهى ، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذلك وبالفقه واصوله وبالعربية وله فيها اليد الطولى وبعلم الكلام وغير ذلك من كلام اهل التصوف واشاراتهم ودقائقهم له في كل فن من الفنون اليد الطولى والمعرفة الشاملة .

وكان عالما بالملل والنحل ومذاهب اهل الدنيا علما اتقن واشمل من اصحابها .

وكان جري الجنان واسع العلم والبيان ، عارفا بالخلاف ومذاهب السلف غلب عليه حب ابن تيميّة رحمه الله حتى كان لا يخرج عن شيء من اقواله بل ينتصر له في جميع ذلك ، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه ، وكان له حظ عند الامراء المصريين واعتقل مع شيخه ابن تيمية في القلعة بعد ان اهين وطيف به على جمل مضروبا بالدرة فلما مات شيخه افرج عنه .

وامتحن مرة اخرى بسبب فتاوى ابن تيمية وكان ينال من علماء عصره وينالون منه وكان نيله حقا ونيلهم باطلا .

قال الذهبي في المختصر : حبس مرة لانكاره شد الرحل لزيارة قبر الخليل ، ثم تصدر للاشتغال ونشر العلم ولكنه معجب برأيه ، جرى على امور وكانت مدة ملازمته لابن تيمية منذ عاد من مصر اثنتي عشرة سنة الى ان مات .

قال الحافظ ابن كثير كان ملازما للاشغال ليلا ونهارا ، كثير الصلوة والتلاوة ، حسن الخلق ، كثير التودد لا يحسد ولا يحقد .

قال ولا اعرف في زماننا من اهل العلم اكثر عبادة منه ، وكان يطيل الصلوة جداً ويمد ركوعها وسجودها ، وكان يقصد للافتاء بمسئلة الطلاق الى ان جرت له بسببها امور يطول بسطها مع ابن السبكي وغيره .

وكان اذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار ، وكان يقول هذه عبادتي حتى لو لم اعتدها سقطت قواي ، وكان مغرى بجمع الكتب فحصل منها ما لا ينحصر حتى كان اولاده يبيعون منها بعد موته دهرا طويلا سوى ما اصطفوه لانفسهم منها .

وله من التصنيفات زاد المعاد في هدي خير العباد اربع مجلدات كتاب عظيم جدا ، وأعلام الموقعين عن رب العالمين ثلث مجلدات ، وبدائع الفوائد مجلدان ، وجلاء الافهام مجلد ، وإغاثة اللهفان مجلد ، ومفتاح دار السعادة مجلد ضخم وكتاب الروح ، وحادي الارواح الى بلاد الافراح ، والصواعق المنزلة على الجهميّة والمعطلة مجلدات وتصانيف اخرى .

ومن نظمه قصيدة تبلغ سبعة آلاف بيت سماها الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية مجلد .

ومن كلامه بالصبر والفقر تنال الامامة في الدين وكان يقول لا بد للسالك من همة يسيرة ترقيه وعلم يبصره ويهديه .

وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف وهو طويل النفس فيها قصد للايضاح ومعظمها من كلام شيخه يتصرف في ذلك ، وله في ذلك ملكة قوية وهمة علوية ولا يزال يدندن حول مفرداته وينصرها ويحتج لها .

مات سنة احدى وخمسين وسبعمائة ثالث عشر رجب وكانت جنازته المقدسة حافلة جداً ، ورؤيت له بعد الموت منامات حسنة ، وكان هو ذكر قبل موته بمدة انه رأى شيخه ابن تيمية في المنام وانه سأله عن منزلته فقال : انه انزل منزلا فوق فلان وسمى بعض الأكابر ثم قال وانت كدت تلحق بنا ولكن انت

الآن في طبقة ابن خزيمة .

قال الشيخ العلامة ابن رجب الحنبلي في طبقاته وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة الى الغاية القصوى ، وتأله ولهج بالذكر وشغف بالمحبة والانابة والافتقار الى الله تعالى والانكسار له والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته لم اشهد مثله في ذلك ولا رأيت اوسع منه علما ولا اعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الايمان منه ، وليس هو بالمعصوم ، ولكن لم ار في معناه مثله ، وقد امتحن وأوذي مرات ، وحبس مع شيخه في المرة الاخيرة بالقلعة منفردا عنه ، وكان مدة حبسه مشتغلا بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر ففتح عليه من ذلك خير كثير ، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم اهل المعارف والدخول في غوامضهم ، وتصانيفه ممتلئة بذلك ، وحج مرات كثيرة ، وجاور بمكة ، وكان اهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف امرا يتعجب منه ، ولازمت مجالسته قبل موته ازيد من سنة وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السُّنَّة واشياء من تصانيفه وغيرها .

واخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه والى ان مات وانتفعوا به ، وكان الفضلاء يعظمونه ويتلمذون له كابن عبد الهادي وغيره .

قال القاضي برهان الدرعي ما تحت اديم السماء أوسع علما منه درس بالصدرية ، وامّ بالجوزية مدة طويلة وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة ، وصنف تصانيف كثيرة جدا في انواع العلم ، وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعته وتصنيفه واقتناء كتبه ، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره فمن تصانيفه :

كتاب تهذيب سنن ابي داود وايضاح مشكلاته على ما فيه من الاحاديث المعلولة مجلد .

وكتاب سفر الهجرتين وباب السعادتين مجلد ضخم .

وكتاب شرح منازل السائرين كتاب جليل القدر .

وكتاب شرح اسماء الكتاب العزيز مجلد .

وكتاب زاد المسافرين الى منازل السعداء في هدي خاتم الانبياء .

وكتاب نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول .

وكتاب نزهة المشتاقين وروضة المحبين مجلد .

وكتاب الداء والدواء مجلد .

وكتاب تحفة الودود في احكام المولود مجلد لطيف .

وكتاب اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو الفرقة الجهمية .

وكتاب رفع اليدين في الصلوٰة مجلد .

وكتاب تفضيل مكة على المدينة مجلد .

وكتاب فضل العلم مجلد ، وعدة الصابرين مجلد .

وكتاب الكبائر مجلد ، وحكم تارك الصلوٰة مجلد .

وكتاب نور المؤمن وحياته مجلد ، وكتاب التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير وكتاب جوابات عابدي الصلبان وان ما هم عليه دين الشيطان ، وكتاب بطلان الكيمياء من اربعين وجها ، وكتاب الفرق بين الخلة والمحبة ، وكتاب الكلم الطيب والعمل الصالح ، وكتاب الفتح القدسي ، وكتاب امثال القرآن وكتاب ايمان القرآن ، وكتاب مسائل الطرابلسية ثلٰث مجلدات والصراط المستقيم في احكام اهل الجحيم ، وكتاب الطاعون انتهى كلام ابن رجب رحمه الله تعالى مع الاختصار .

قلت وعندي من هذه الكتب اكثرها وقد انتفعت به بتوفيق الله تعالى انتفاعا لا استطيع ان اؤدّي شكره ، ووقفت على بعض هذه الكتب في سفر الحجاز والتقطت منه بعض الفوائد .

وله رحمه الله تصانيف غير ما ذكرنا لا تحصى كثرة ولكن عز وجودها في هذا الزمان ونسجت عليها عناكب النسيان ، وغابت عن العيان ودرجت في خبر

كان ، لمفاسد وتعصبات من ابناء الزمان ، وقلة مبالاتٍ بها من اسراء التقليد ، وظني ان من كان عنده تصنيف من تصانيف هذا الحبر العظيم الشأن الرفيع المكان ، او تصنيف شيخه العلامة الامام ناصر الاسلام ابن تيمية درة معدن الحران ، او تصنيف شيخنا وبركتنا القاضي محمد بن علي الشوكاني شمس فلك الايمان ، او تصانيف السيد العلامة محمد بن اسمعيل الامير اليماني غرة جبهة الزمان شملهم رحمة ربنا الرحمن في الآخرة وخصهم الله تعالى بنعيم الرضوان والجنان لكفى لسعادة دنياه وآخرته ، ولم يحتج بعد ذلك الى تصنيف احد من المتقدمين والمتأخرين في درك الحقائق الايمانية ان شاء الله تعالى ، والتوفيق من الله المنان وبيده الهداية وهو المستعان .

وكان ابو ابن القيم ابو بكر بن ايوب متعبدا قليل التكلف .

سمع على الرشيد العامري وحدث عنه توفي في ذي الحجة سنة ٧٢٣ .

واما ولد الحافظ ابن القيم ابراهيم بن محمد فمولده سنة ٧١٦ احضر على ايوب الكحال ، وسمع من جماعة كابن الشحنة ومن بعده واشتهر وتقدم وأفتى ودرس ، ذكره الذهبي في معجمه .

فقال تفقه بابيه وشاركه في العربية ، وسمع وقرأ واشتغل بالعلم .

ومن نوادره انه وقع بينه وبين الحافظ عماد الدين بن كثير منازعة في تدريس فقال له ابن كثير : انت تكرهني لاني اشعري .

فقال له : لو كان من رأسك الى قدمك شعر ما صدقك الناس في قولك انك اشعري وشيخك ابن تيمية رحمه الله .

ألف شرحا على ألفية ابن مالك وكان فاضلا في النحو والحديث والفقه على طريقة ابيه ، ودرس باماكن عديدة وكانت وفاته في صفر سنة ٧٦٧ والله اعلم .

واما ولده الآخر عبد الله بن محمد فمولده سنة ٧٢٣ اشتغل على ابيه وغيره ، وكان مفرط الذكاء حفظ سورة الاعراف في يومين ، ثم درس المحرر في

الفقه والمحرر في الحديث والكافية والشاطبية ، وسمع الحديث فاكثر على اصحاب ابن عبد الدائم وغيرهم ، وسمع الصحيح في الحجاز ومهر في العلم وأفتى ودرس وحج مرارا .

وصفه ابن كثير الحافظ بالذهن الحاذق والفكر الصائب .

وقال ابن رجب كان اعجوبة زمانه ووحيد أوانه توفي رحمه الله في سنة ٧٥٦ وذكر ترجمتهم الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة .

ابو سليمان داود بن علي بن خلف الاصفهاني الامام المشهور بالظاهري ، كان زاهدا متقللا كثير الورع .

اخذ العلم عن اسحق بن راهويه وابي ثور وغيرهما .

وكان صاحب مذهب مستقل ، وتبعه جمع كثير يعرفون بالظاهرية .

وكان ولده ابو بكر محمد علي مذهبه وانتهت اليه رياسة العلم ببغداد وهو امام اصحاب الظاهر .

قال ابو العباس ثعلب كان عقل داود اكثر من علمه ، وكان يقول خير الكلام ما دخل الاذان بغير اذن .

ولد بالكوفة سنة ٢٠٢ ونشأ ببغداد وتوفي سنة ٣٠٧ .

قال ولده رأيت ابي في المنام فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي وسامحني .

فقلت : غفر الله لك فبم سامحك ؟ .

فقال يا بني الامر عظيم والويل كل الويل لمن لم يسامح .

ابو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب اللخمي الطبراني ، كان حافظ عصره رحل في طلب الحديث من الشام الى العراق والحجاز واليمن ومصر وبلاد الجزيرة ، واقام في الرحلة ثلاثا وثلاثين سنة ، وسمع الكثير ، عدد شيوخه الف شيخ ، وله المصنفات الممتعة النافعة .

منها المعاجم الثلاثة : الكبير والاوسط والصغير وهي اشهر كتبه .

روى عنه الحافظ ابو نعيم والخلق الكثير توفي سنة ٣٦٠ .

والطبراني بفتح الطاء والباء والراء نسبة الى طبرية والطبري نسبة الى طبرستان .

ابو الوليد سليمان بن خلف الباجي الاندلسي المالكي ، كان من علماء الاندلس وحفّاظها ، سكن شرق الاندلس ، ورحل الى المشرق ، واقام بمكة مع ابي ذر الهروي ثلٰثة اعوام وحج .

ثم رحل الى بغداد فاقام بها ثلٰثة اعوام يقرأ الحديث ويدرس الفقه ، ولقي بها ابا الطيب الطبري ، وابا اسحق الشيرازي ، وروى عن الخطيب وروى الخطيب عنه .

له كتاب التجريح والتعديل فيمن روى عنه البخاري في الصحيح وغير ذلك ، وهو احد ائمة المسلمين ، وكان قد رجع الى الاندلس ، وولي القضاء هناك توفي بالمرية سنة ٤٧١ .

واخذ عنه ابن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب وبينه وبين ابي محمد بن حزم الظاهري مجالسات ومناظرات وفصول يطول شرحها .

والباجي نسبة الى باجة ، وهي مدينة بالاندلس ، وثم باجة اخرى وهي مدينة بافريقية وباجة اخرى وهي قرية من قرى اصفهان .

ابو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري المعروف بابن الصلاح ، كان احد فضلاء عصره في التفسير والحديث واسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث ونقل اللغة والفقه .

قال ابن خلكان وهو احد اشياخي الذين انتفعت بهم .

تولى التدريس بالمدرسة الناصرية بالقدس ، واقام بها مدة واشتغل الناس عليه وانتفعوا به .

ثم انتقل الى دمشق وكان من العلم والدين على قدم عظيم .

وصنف في علوم الحديث كتابا نافعا ولم يزل امره جاريا على السداد والصلاح والاجتهاد في الاشتغال والنفع الى ان توفي يوم الاربعاء وقت الصبح في ربيع الآخر سنة ٦٤٠ بدمشق ومولده سنة ٥٧٧ بشرخان .

ابو الحسن علي بن عمر بن احمد الحافظ الدارقطني ، كان عالما حافظا انفرد بالامامة في علم الحديث في عصره ولم ينازعه في ذلك احد من نظرائه وتصدر في آخر ايامه للاقراء ببغداد ، وكان عارفا باختلاف الفقهاء ، ويحفظ كثيرا من دواوين العرب .

روى عنه الحافظ ابو نعيم الاصفهاني صاحب حلية الاولياء ، وقبل القاضي ابن معروف شهادته فندم على ذلك وقال : كان يقبل قولي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بانفرادي فصار لا يقبل قولي على نقلي الا مع آخر .

صنف كتاب السنن ، والمختلف والمؤتلف ، وغيرهما .

وخرج من بغداد الى مصر ، وكان متفننا في علوم كثيرة ، إماما في علوم القرآن .

ولد سنة ٣٠٦ وتوفي في سنة ٣٨٥ ودفن قريبا من معروف الكرخي ، ودار القطن محلة كبيرة ببغداد .

ابو الحسن علي بن احمد بن محمد الواحدي صاحب التفاسير كان استاذ عصره في التفسير والنحو ورزق السعادة في تصانيفه ، واجمع الناس على حسنها وذكرها المدرسون في دروسهم ، منها البسيط والوسيط والوجيز ، ومنه اخذ ابو حامد الغزالي اسماء كتبه الثلاثة وله كتاب اسباب نزول القرآن ، وشرح ديوان المتنبي .

وكان تلميذ الثعلبي المفسر وعنه اخذ علم التفسير وأربى عليه .

وتوفي عن مرض طويل في سنة ٤٦٧ بمدينة نيسابور .

ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الظاهري الامام المشهور اصله من فارس ، ومولده بقرطبة من بلاد الاندلس يوم الاربعاء قبل طلوع الشمس سلخ شهر رمضان سنة ٣٨٤ ، ويزيد جده الاعلى : وهو من موالي يزيد بن معاوية بن ابي سفيان الاموي ، كان حافظا عالما بعلوم الحديث وفقهه مستنبطا للاحكام من الكتاب والسنة بعد ان كان شافعي المذهب فانتقل الى مذهب اهل الظاهر .

وكان متفننا في علوم جمة عاملا بعلمه ، زاهدا في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولابيه من قبله في الوزارة وتدبير الملك ، متواضعا ذا فضائل جمة وتواليف كثيرة .

الف في فقه الحديث كتابا سماه الايصال الى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الاسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والاجماع ، اورد فيه اقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من ائمة المسلمين والحجة لكل طائفة وعليها ، وهو كتاب كبير قال ابن بشكوال في حقه : كان ابو محمد اجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام ، واوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والاخبار ، كتب بخطه من تأليفه نحو اربعمائة مجلد ، تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة .

قال الحافظ الحميدي : ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ ، وكرم النفس والتدين ، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة اسرع منه ، وكان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين ، لا يكاد يسلم احد من لسانه فنفرت عنه القلوب ، واستهدف فقهاء وقته فتمالوا على بغضه وردوا اقواله ، واجمعوا على تضليله وشنعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ، ونهوا عوامهم عن الدنو اليه والاخذ عنه فأقصته الملوك وشردته عن بلاده حتى انتهى الى بادية لبلة فتوفي بها آخر النهار من شعبان سنة ٤٥٦ وقيل في منت ليشم وهي قرية ابن حزم .

قال ابن العريف : كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج الثقفي شقيقين .

وانما قال ذلك لكثرة وقوعه في الائمة وكان والده وزير الدولة العامرية ذكر ذلك ابن خلكان في تاريخه .

قلت وذكر الشيخ ابن عربي صاحب الفتوحات انه رأى ابا حزم في المنام وقد عانق رسول الله صلى الله عليه وسلم فغاب احدهما في الآخر فلم اعرف احدهما عن الآخر هذا حاصل معناه ، وهذا يدل على حسن عاقبته ولطف علمه وخيرة طريقه وكما اتحاده بالنبي صلى الله عليه وسلم وليس وراء ذلك غاية والله اعلم .

والظاهرية هم ائمة الامة وسلفها وقدوة المسلمين في كل زمان ومذهبهم اصفى مذاهب عالم الامكان ولنعم ما قيل :

بلاء ليس يعدله بلاء عداوة غير ذي حسب ودين
يبيحك منه عرضا لم يصنه ويرتع منك في عرض مصون

القاضي ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي ، كان امام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وايامهم وانسابهم ، له التصانيف المفيدة منها .

كتاب الاكمال في شرح صحيح مسلم .
ومشارق الانوار في غريب الحديث .
والشفاء في حقوق المصطفى .

دخل الاندلس طالبا للعلم واخذ بقرطبة عن جماعة وجمع من الحديث كثيرا وكان له عناية كثيرة به والاهتمام بجمعه وتقييده ، وهو من اهل اليقين في العلم والذكاء والفطنة والفهم .

واستقضى ببلدة سبتة مدة طويلة حمدت سيرته فيها ثم نقل منها الى قضاء غرناطة فلم تطل مدته فيها وله شعر حسن ونثر بليغ ولد سنة ٤٧٦ وتوفي في سنة

٥٤٤ بغرناطة وهي بلدة بالاندلس .

ابو عبد الله محمد بن يحيى بن مندة العبدي الحافظ المشهور صاحب كتاب تاريخ اصفهان ، كان احد الحفاظ الثقات وهم اهل بيت كبير خرج منه جماعة من العلماء توفي في سنة ٣٠١ .

ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي الاندلسي الاشبيلي المالكي الحافظ المشهور ، صاحب كتاب القبس في شرح موطأ مالك بن انس .

قال ابن بشكوال : هو ختام علماء الاندلس وآخر ائمتها وحفاظها ، رحل الى المشرق ودخل الشام وبغداد ، وسمع بها من جماعة .

ثم دخل الحجاز فحج ثم عاد الى بغداد وصحب ابا بكر الشاشي وابا حامد الغزالي رحمهم الله وغيرهما .

ثم صدر عنهم ولقي بمصر والاسكندرية جماعة من المحدثين فكتب عنهم واستفاد منهم وافادهم .

ثم عاد الى الاندلس وقدم الى شيبيلية بعلم كثير لم يد˙˙ل احد قبله بمثله ممن كانت له رحلة الى المشرق ، وكان من اهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها ، مقدما في المعارف كلها متكلما في انواعها نافذا في جميعها ، حريصا على ادائها ونشرها ، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها ، ويجمع الى ذلك كله آداب الاخلاق مع حسن المعاشرة ولين الكنف ، وكثرة الاحتمال ، وكرم النفس ، وحسن العهد ، وثبات الود ، واستقضى ببلده فنفع الله به اهلها لصرامته وشدته ونفوذ احكامه ، وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة .

ثم صرف عن القضا واقبل على نشر العلم وبثه .

ولد سنة ٤٦٨ وتوفي بمدينة فاس في سنة ٥٤٣ .

وله مصنفات منها : كتاب عارضة الاحوذي في شرح الترمذي .

والعارضة القدرة في الكلام ، والاحوذي الخفيف في الشيء لحذقه ، وقال

الاصمعي المسمى في الامور القاهر لها الذي لا يشذ عليه منها شيء .

ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله المعروف بابن تيمية الحراني الملقب فخر الدين الخطيب الواعظ .

كان فاضلا تفرد في بلاده بالعلم ، وكان المشار اليه في الدين لقي جماعة من العلماء واخذ عنهم العلوم ، وقدم بغداد وتفقه بها ، وسمع الحديث وصنف في مذهب الامام احمد مختصراً أحسنَ فيه ، وله ديوان خطب مشهور وهو في غاية الجودة ، وله نظم حسن ، وكانت اليه الخطابة بحرّان ولاهله من بعده ، ولم يزل أمره جاريا على سداد وصلاح حال .

ولد بمدينة حران سنة ٥٤٣ وتوفي بها في سنة ٦٢١ .

ذكره ابن سلامة في تاريخ حران واثنى عليه .

وذكره ابن المستوفي في تاريخ اربل فقال : ورد اربل حاجاً وذكر فضله ، قال : وكان يدرس التفسير كل يوم وهو حسن القصص حلو الكلام مليح الشمائل وله القبول التام عند الخاص والعام .

قال سألته عن اسم تيمية ما معناه .

فقال حج ابي او جدي انا اشك ايهما فلما رجع الى حران وجد امرأته قد وضعت جارية فلما رفعوها اليه قال يا تيمية يا تيمية ، يعني انها تشبه التي رآها بتيماء فسمى بها ، أو كلاما هذا معناه .

وتيماء بليدة في بادية تبوك اذا خرج الانسان من خيبر اليها تكون على منتصف طريق الشام .

وتيمية منسوبة الى هذه البليدة وكان ينبغي ان تكون تيماوية لان النسبة الى تيماء تيماوي لكنه هكذا قال واشتهر كما قال .

يوسف بن عبد البر بن محمد النمري القرطبي امام عصره في الحديث والاثر وما يتعلق بهما ، لم يكن في الاندلس مثله في علم السنة ، وكان احفظ اهل

المغرب في زمانه ، دأب في طلب العلم وافتى به وبرع براعة فاق فيها من تقدمه من رجال الاندلس .

والف في الموطأ كتبا مفيدة منها كتاب التمهيد .

قال ابن حزم : لا اعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف احسن منه ؟ .

وله كتاب الاستدراك لمذاهب الاعصار .

وكتاب الاستيعاب .

وكتاب جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله وغير ذلك .

وكان موفقا في التأليف معانا عليه نفع الله به ، وكان له بسطة كثيرة في علم النسب .

وفارق قرطبة وجال في غرب الاندلس مدة ثم سكن دانية وبلنسية وشاطبة في اوقات مختلفة ، وتولى قضاء الاشبونة وشنترين .

توفي في سنة ٤٦٣ بمدينة شاطبة .

وكان مولده سنة ٣٦٨ ، وهو حافظ المغرب كما كان الخطيب البغدادي حافظ المشرق وقد ماتا في سنة واحدة وهما إماما في هذا الفن وكان امر الله قدرا مقدورا .

ابو بكر بن احمد بن الحسين البيهقي واحد زمانه ، وفرد اقرانه في الفنون ، من كبار اصحاب الحاكم في الحديث ، ثم الزائد عليه في انواع العلوم ، غلب عليه الحديث واشتهر به ، ورحل في طلبه الى الجبال والحجاز والعراق .

وسمع بخراسان من علماء عصره تبلغ تصانيفه الف جزء .

وهو اول من جمع نصوص الامام الشافعي .

وله السنن الصغير والكبير ودلائل النبوة وشعب الايمان ومناقب الامام الشافعي واحمد بن حنبل .

وكان قانعاً من الدنيا بالقليل ، قال امام الحرمين في حقه ما من شافعي المذهب الا وللشافعي عليه منة الا احمد البيهقي فان له على الشافعي منة .

وطلب الى نيسابور لنشر العلم فانتقل اليها وكان على سيرة السلف .

واخذ عنه الحديث جماعة من الاعيان .

ولد في سنة ٣٨٤ وتوفي في سنة ٤٥٨ بنيسابور ونقل الى بيهق ، وهي قرى مجتمعة بنواحي نيسابور على عشرين فرسخا منها وخسرو جرد من قراها فهو منها .

ابو عبد الرحمن احمد بن علي بن شعيب النسائي الحافظ كان امام اهل عصره في الحديث ، له كتاب السنن ، سكن مصر وانتشرت بها تصانيفه ، واخذ عنه الناس ، وكان يتشيع ، امتحن بدمشق فادرك الشهادة وحمل الى مكة المكرمة فتوفي بها سنة ٣٠٣ وهو مدفون بين الصفا والمروة ، وكان يصوم يوما ويفطر يوماً ، وكان موصوفا بكثرة الجماع ، وكان إماما في الحديث ثقة ثبتاً حافظاً .

ونَسَا مدينة بخراسان خرج منها جماعة من الأعيان ذكرت له ترجمة حسنة في الحطة والاتحاف مع بقية اصحاب الستة فلا نطول الكلام بذكرها هنا .

الشيخ عبد السلام بن عبد الله بن ابي القاسم بن محمد بن الحضر شيخ الاسلام مجد الدين ابو البركات بن تيمية الحراني جد الشيخ تقي الدين .

قال الشوكاني في حقه علامة عصره المجتهد المطلق شيخ الحنابلة المعروف بابن تيمية .

قال الذهبي في النبلاء ولد في حدود سنة ٥٩٠ وتوفي في سنة ٦٥٢ يوم الفطر .

تفقه في صغره على عمه الخطيب فخر الدين ورحل الى بغداد وهو ابن بضعة عشر ، وسمع بها من احمد بن سكينة وابن طبرزد ويوسف بن كامل .

وسمع بحرّان روى عنه الدمياطي وولده الشيخ شهاب الدين عبد الحليم

وجماعة .

وتفقه وبرع واشتغل وصنف التصانيف ، وانتهت اليه الإمامة في الفقه ، ودرس القرآن وحج في سنة ٦٥١ على درب العراق والتمس منه استاذ دار الخلافة بغداد ابن الجوزي الاقامة عندهم فتعلل بالاهل والوطن ، وكان الشيخ ابن مالك يقول : أُلَيِّنَ للشيخ المجد الفقه كما أُلَيِّنَ لداود الحديث وابتهر علماء بغداد لذكائه وفضائله .

قال الشيخ تقي الدين : وجدناه عجيباً في سرد المتون وحفظ المذاهب بلا كلفة ، وصنَّف التصانيف مع الدين والتقوى وحسن الاتباع .

قال شيخنا وبركتنا الامام القاضي الشوكاني في نيل الاوطار وقد يلتبس على من لا معرفة له بأحوال الناس صاحب الترجمة هذا بحفيده شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام شيخ ابن القيم الذي له المقالات التي طال بينه وبين عصره فيها الخصام واخرج من مصر بسببها ، وليس الأمر كذلك .

قال في تذكرة الحفاظ في ترجمة شيخ الاسلام هو احمد بن المفتي عبد الحليم ابن الشيخ الامام المجتهد عبد السلام انتهى .

وبالجملة كان إماما حجة بارعا في الفقه والحديث ، وله يد طولى في التفسير ومعرفة تامة في الأصول والاطلاع على مذاهب الناس ، وله ذكاء مفرط ولم يكن في زمانه مثله .

وله المصنفات النافعة كالأحكام المسمى بالمنتقى ، وشرح الهداية ، وصنف ارجوزة في القراءة ، وكتابا في اصول الفقه .

وشيخه في الفرائض والعربية ابو البقا وحكى البرهان المراغي انه اجتمع به فأورد نكتة عليه فقال مجد الدين الجواب عنها عن مائة وجه الأول كذا والثاني كذا وسردها الى آخرها ، ثم قال للبرهان : وقد رضينا منك الاعادة فخضع له

وانتهى .

وعلى كتابه منتقى الاخبار شرح لشيخنا القاضي العلامة المجتهد المطلق الرباني محمد بن علي الشوكاني سماه نيل الاوطار أجاد فيه كل الاجادة ، وبلغ غاية في الاحسان والافادة ، ونهاية في التحقيق والاستدلال ، مع البدء والاعادة ، ولله الحمد حمداً كثيراً مباركاً .

شمس الدين محمد بن احمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي ابن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي ، احد الأذكياء المشهورين ، وإمام الفقهاء المحدثين .

ولد في رجب سنة ٧٥٥ وقيل قبلها وقيل بعدها .

وسمع من التقى سليمان وابن سعد وطبقتهما .

وتفقه بابن مسلم وتردد الى شيخ الاسلام ابن تيمية ، ومهر في الحديث والفقه والاصول والعربية وغيرها .

قال الصفدي لو عاش لكان آية كنت اذا لقيته سألته عن مسائل أدبية وقواعد عربية فينحدر كالسيل ، وكنت أراه يوافق المزي في اسماء الرجال ويرد عليه فيقبل منه .

وقال الذهبي في معجمه : هو الفقيه البارع المقري المجود المحدث الحافظ النحوي الحاذق ذون الفنون ، كتب عني واستفدت منه .

وقال الحافظ ابن كثير : كان حافظا علامة ناقدا حصَّل من العلوم ما لا يبلغه الشيوخ الكبار ، وبرع في الفنون ، وكان جبلا في العلل والطرق والرجال ، حسن الفهم جداً صحيح الذهن .

وله كتاب الاحكام في ثمان مجلدات والرّدّ على ابي الحسن السبكي الكبير في رده على شيخه ابن تيمية سماه الصارم المنكي على نحر ابن السبكي ، كتبته بخطي حين سافرت الى الحرمين الشريفين على المركب فوق البحر المحيط ذهابا من بندر

ممبيء الى مكة المشرقة في سنة ١٢٨٥ ، وله المحرر في الحديث اختصره من الالمام فجوده جداً ، واختصر التعليق لابن الجوزي وزاد عليه ، وشرح التسهيل في مجلدين ، وله مناقشات مع ابي حيان فيما اعترض به على ابن مالك في الالفية ، وله الكلام على احاديث مختصر ابن الحاجب رحمه الله وشرح كتاب العلل على ترتيب الفقه ، وقفت منه على المجد الاول ، وجمع التفسير المسند ولم يكمله ، وله المغني في الفقه وهو اجمع كتاب في بابه مغن للمقلد والمجتهد اشتريته بمائة ربية للمدرسة السليمانية الواقعة بمحميّة بهوبال المحروسة .

قال الذهبي ما اجتمعت به قط إلا واستفدت منه ، وكثر التأسف لما مات وحضر جنازته من لا يحصى كثرة .

وكانت وفاته في عاشر جمادى الاولى سنة ٧٤٤ ، ذكر له الحافظ ابن حجر ترجمة حسنة في الدرر الكامنة .

وكتابه الصارم المنكي يدل على سعة اطلاعه في علم السنة ، وغزارة فضله وتحقيقه في العلوم الشرعية ، وإيثاره الحق على الخلق رحمه الله تعالى .

جمال الاسلام كمال الدين محمد بن علي بن عبد الواحد بن الزملكاني الانصاري الدمشقي قاضي قضاة الشافعية في عصره .

سمع من ابن علان ، وطلب الحديث وقرأه ، وكان فصيحا متسرعا بصيراً بالمذهب واصوله ، ذكيا صحيح الذهن ، صائب الفكر ، وكان شكله حسنا ، ومنظره رائعا وتجمله في زيّه ، وهيئته غايةً ، وشيبته منورةً ، يكاد الورد يقتطف من وجنتيه ، وعقيدته اشعرية ، وفضائله جموعها عديدة ، وفواضله ربوعها مشيدة .

ورسالة في الرد عليه في مسئلة الزيارة والحق فيهما مع ابن تيمية ولذلك اعترف آخرا بفضله ومدحه مدحا بالغا الى الغاية .

درّس بالشامية البرانية والطاهرية والرواحية ، وألّف رسالة سماها رابع

اربعة .

توفي في سنة ٧٢٧ ، وكان كثير التحيل شديد الاحتراز ، يتوهم اشياء بعيدة وتعب بذلك وعودي وحسد .

ومن نظمه قصيدة يذكر فيها الكعبة الشريفة ، ويمدح النبي صلى الله عليه وسلم اولها :

اهـواك يا ربـة الاستـار اهواك وان تباعـد عن مغنـاي مغناك

وعمل على هذه القصيدة كراريس سماها عجالة الراكب ذكر له اهل الطبقات تراجم حسنة في كتبهم .

محمد بن علي بن وهب بن مطيع الامام العلامة شيخ الاسلام تقي الدين ابو الفتح بن دقيق العيد القشيري المنفلوطي المصري المالكي الشافعي ، احد الاعلام وقاضي القضاة .

ولد سنة ٦٢٥ بناحية ينبع ، وتوفي يوم الجمعة حادي عشر صفر ٧٠٢ ، سمع من ابن عبد الدائم والزين خالد وابن رواح وغيرهم .

له التصانيف البديعه كالامام ، والالمام وعلوم الحديث ، وشرح عمدة الأحكام ، شرح مقدمة المطرز في اصول الفقه ، وجمع الأربعين في الرواية عن رب العالمين ، وكان إماما متقنا محدثا مجودا فقهيا مدققا اصوليا اديبا شاعرا نحويا ذكيا ، غواصا على المعاني ، مجتهدا وافر العقل كثير السكينة ، بخيلاً بالكلام ، تام الورع ، شديد التدين ، مديم السهر ، مكبا على المطالعة والجمع ، قل ان ترى العيون مثله ، سمحاً جواداً وكان قد قهره الوسواس في امر المياه والنجاسات ، وله في ذلك حكايات ووقائع كثيرة ، وكان كثير التسري والتمتع ، وله عدة اولاد ذكور باسماء الصحابة العشرة .

تفقه بأبيه ، وبالشيخ عز الدين بن عبدالسلام ، واشتهر اسمه في حياة مشائخه ، وكان مالكياً ثم صار شافعياً ، ومن شعره رحمه الله تعالى :

أأحبـاب قلبـي والـذين بذكرهم وترداده‍م طول الزمـان تعلقي
لئـن غاب من عينـي بديع جمالكم وجـار على الأبـدان حكم التفرق
فما ضرنـا بعـد المسافـة بيننا سرائرنـا تسري اليكم فتلتقي

وقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

لم يبـق امـل سواك فان بغت ودّعـت ايام الحياة وداعاً
لا استلـذ بغـير وجهـك منظرا وسـوى حديثـك لا اريد سماعا

قف هؤلاء المترجمون هم نقاوة الحفاظ ، ولعل قد اهملنا خلقا كثيرا من نظرائهم ، فان المجلس الواحد في ذلك الزمان كان يجتمع فيه ازيد من عشرة آلاف محبرة يكتبون الآثار النبوية ويعتنون بهذا الشأن ، وبينهم نحو من مائتي امام قد برزوا وتأهلوا للفتيا ، ثم اندرج اصحاب الحديث وتلاشوا وتبدل الناس بطلبة يهزأ بهم اصحاب الحديث والسنة ، ويسخـرون منهـم ، وصـار علماء الاعصار وفضلاء الأمصار في الغالب عاكفين على التقليد في الفروع من غير تحرير لها ، مكبين على عقليات من حكمة الاوائل وآراء المتكلمين من غير ان يتعقلوا اكثرها ، فعمّ البلاء واستحكمت الاهواء ، ولاحت مبادي رفع العلم وقبضه من الناس ، فرحم الله امرأً أقبل على شأنه ، وقصر من لسانه ، واكب على تلاوتـه قرآنه وبكى على زمانه ، وأدمن النظر في الصحيحين وعبد الله قبل ان يأتيه الاجل اللهم فوفق وارحم .

قال الذهبي في الطبقات في آخر تراجم اهل الطبقة التاسعة ولقد كان في ذلك العصر ، وما قاربه من ائمة الحديث النبوي في الدنيا خلق كثير ما ذكرنـا عشرهم ههنا ، واكثرهـم مذكورون في تاريخـي الكبـير ، وكذلك كان في هذا الوقت خلق من ائمة اهل الرأي والفروع وعدد كثير من اساطين المعتزلة والشيعة واصحاب الكلام الذي مشوا وراء المعقـول ، وأعرضـوا عما عليه السـلف من التمسك بالآثار النبوية ، وظهر في الفقهاء التقليد وتناقض الاجتهاد فسبحان من

له الخلق والأمْرُ .

فبالله عليك يا شيخ ارفق بنفسك والزم الانصاف ، ولا تنظـر الى هؤلاء النذر الشرر ، ولا ترمقنهم بعين النقص ، ولا تعتقد فيهم انهم من جنس محدثي زماننا ، حاشا وكلا ، فما فيمن سميت احد ولله الحمد الا وهو بصير بالدين عالم بسبيل النجاة وليس في كبار محدثي زماننا احد يبلغ رتبة اولئك في المعرفة فاني احسبك لفرط هواك وسعة جهلك تقول بلسان الحال ان اعذرك المقال مَنْ احمد ، وما ابن المديني ، وايّ شيء ابو زرعة ، وهؤلاء المحدثون لا يدرون الفقه ولا اصوله ، ولا يفقهون الرأي ولا علم لهم بالبيان والمعاني ولا الدقائق ، ولا خبرة لهم بالبرهان والمنطق ، ولا يعرفون الله تعالى بالدليل ، ولا هم من فقهاء الملة فاسكت بحلم او انطق بعلم ، فالعلم النافع هو ما جاء عن امثـال هؤلاء ولكن نسبتك الى ائمة الفقه كنسبة محدثي عصرنا الى ائمة الحديث ، فلا نحن ولا انت ، وانما يعرف الفضل لأهل الفضـل ذو الفضـل ، فمـن اتقـى راقـب الله واعترف بنقصه ، ومن تكلم بالجهل او بالجاه وبالشرف فاعرض عنه وذره وغيّه فعقباه الى وبال ، نسأل الله العفو والعافية انتهى كلامه ملخصاً .

وقال في آخر الطبقة الخامسة من كتابه الطبقات وكان الاسلام واهله في عز تام ، وعلم غزير ، واعلام الجهاد منشورة ، والسنن مشهورة ، والبدع مكبوبة ، والقوالون بالحق كثيرون ، والعباد متوافرون ، والناس في رغدة من العيش بالأمن ، وكثرة الجيوش المحمدية من اقصى المغرب وجزيرة الاندلس والى قريب مملكة الخطا وبعض الهند والحبشة .

وخلفاء هذا الزمان ابو جعفر واين مثل ابي جعفر عَلَمٌ ظلم فيه ، ثم ابنه المهدي ، ثم ولده الرشيد هارون .

وكان في هذا الوقت من الصالحين مثل ابراهيم بن ادهم ، وداود الطائي ، وسفيان الثوري .

ومن النحاة مثل عيسى بن عمرو الخليل بن احمد وحماد بن سلمة .

ومن القراء حمزة بن حبيب وابن العلاء ونافع .

ومن الشعراء مروان بن ابي حفصة وبشار بن برد .

ومن الفقهاء كأبي حنيفة ومالك والاوزاعي .

قال وعن يحيى التميمي قال سمعت ابا يوسف القاضي صاحب ابي حنيفة عند وفاته يقول : كل ما افتيت به فقد رجعت عنه الا ما وافق الكتاب والسنة .

وفي لفظ الا ما وافق القرآن واجمع عليه المسلمون انتهى .

قلت وهكذا كان حال السلف ، فقد روينا عن ابن خزيمة انه قال ليس لاحد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قول اذا صح الخبر ، وكان الحافظ ابن المنذر مجتهدا لا يقلد احدا .

وكان ابن عبد البر صاحب اتباع وسنة .

وكان ابن وهب الفهري حافظا مجتهدا لا يقلد احدا ، وكذا بقي بن مخلد القرطبي المفسر المحدث كان لا يقلد احد ،تعصبوا عليه لانكاره مذهب اهل العصر ، فدفعهم عنه امير الأندلس محمد بن عبد الرحمن المرواني واستنسخ كتبه وقال لبقي انشر علمك .

وروي عن بقي انه قال لقد غرست للمسلمين غرسا بالاندلس لا يقلع الا بخروج الدجال .

وهكذا كان قاسم بن محمد بن سيار إماماً مجتهدا لا يقلد احدا ، وكان مذهبه النظر والحجة ، ولم يكن بالاندلس مثله في حسن النظر مات سنة ٣٧٦ الى غير هؤلاء ممن لا يحصى كثرة ولا يستقصى عدداً . ولذا قال المحققون ان التقليد والمقلدة ليسا من العلم والعلماء في صدر ولا ورد ولا يطلق اسم لعلم والعالم عليهما .

وانما حدث التقليد حين ضعف العلم وتمسك به الجهال والعوام وعمت به البلوى على ممر الدهور في الانام .

قال سفيان الثوري ليس طلب الحديث من عدة الموت لكنه علة يتشاغل بها الرجل قلبه ، وقد صدق والله في هذا المقال ، لأن طلب الحديث شيء غير الحديث .

فطلب الحديث اسم عرفي لامور زائدة على تحصيل ماهية الحديث ، وكثير منها مراقٍ الى العلم واكثر امور يشغف به المحدث تحصيل النسخ المليحة ، وتطلب العالي وتكثر الشيوخ ، والفرح بالألقاب ، والابتشار بالثناء ، وتمنى العمر الطويل ليروي وحب التفرد الى امور عديدة لازمة للاغراض النفسانية لا للأعمال الربانية .

فاذا كان طلبك للحديث النبوي محفوفاً بهذه الآفات فمتى خلاصك منها الى الاخلاص ، واذا كان علم الآثار مدخولا فما ظنك بعلم المنطق والجدل وحكمة الأوائل التي تسلب الايمان وتورث الشكوك والحيرة التي لم تكن والله من علم الصحابة ولا التابعين ،ولا من علم الاوزاعي والثوري ومالك وابي حنيفة وابن ابي ذئب وشعبة ، ولا والله عرفها ابن المبارك ولا ابو يوسف ولا وكيع ولا ابن وهب ولا الشافعي ولا ابو عبيد ، ولا ابن المديني ولا احمد ولا ابو داود ولا المزني والبخاري والاثرم ومسلم والنسائي وابن خزيمة وابن شريح وابن المنذر ولا امثالهم ، بل كانت علومهم القرآن والحديث والنحو والتاريخ وشبه ذلك .

ومن كلام سفيان ايضا ما من عمل افضل من طلب الحديث اذا صحت النية فيه .

هذا آخر ما استفدته من كلام الحافظ الذهبي وبالله التوفيق وهو المستعان .

علماء الفرائض

ابو عبد الله الحسين بن محمد بن الوني الفرضي الحاسب ، كان إماماً ي الفرائض وله فيه تصانيف كثيرة مليحة اجاد فيها ، وهو شيخ الخبري في علم الحساب والفرائض وانتفع به وبكتبه خلق كثير توفي شهيدا ببغداد سنة احدى

وخمسين واربعمائة في فتنة البساسيري والوني نسبة الى ون وهي قرية من اعمال قهستان .

الشيخ عبد الباسط بن رستم علي بن علي اصغر القنوجي ، كان من علماء الهند .

ولد سنة ١١٥٩ ، اخذ العلوم عن ابيه وبرع في الفنون النقلية والعقلية خصوصا الحساب والفرائض وله في ذلك تصانيف مفيدة ، وكان في زمانه استاذ الاساتذة وشيخ المشائخ .

تلمذ عليه خلق كثير من علماء الهند منهم سيدي الوالد العلامة حسن بن على القنوجي رحمه الله تشد اليه الرحال في طلب العلم من بلاد شاسعة وتقصده الطلبة من كل فج عميق ، وكان في الفرائض آية باهرة درس وأفاد وألف واجاد وتوفي في سنة ١٢٢٣ ثلث وعشرين ومائتين والف الهجرية .

ومن مؤلفاته : زبدة الفرائض ونظم اللآلي في شرح ثلاثيات البخاري وانتخاب الحسنات في ترجمة احاديث دلائل الخيرات ، واربعون حديثا ثنائيا وشرحه المسمى بالحبل المتين في شرح الاربعين ، وعجيب البيان في اسرار القرآن ، وشفاء الشافية .

وكان له اليد الطولى في علم النحو والصرف والفقه والاصول والمنطق له شرح على التهذيب يعرف بشرح الفاضل القنوجي .

وكان سريع الكتابة جيد الخط يعظمه اهل عصره تعظيما بليغا ويكرمه علماء وقته إكراماً جليلا تلمذ عليه الشيخ المفتي ولي الله الفرخ آبادي صاحب المطر الثجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج .

علماء النجوم

ابو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي المنجم المشهور ، كان إمام وقته

في فنه وله التصانيف المفيدة في علم النجامة .

منها المدخل والزيج والالوف وغير ذلك وكانت له اصابات عجيبة مات في سنة ٢٧٣ .

والبلخي نسبة الى بلخ وهي مدينة عظيمة من بلاد خراسان فتحها الاحنف ابن قيس التميمي في خلافة عثمان رضي الله عنه وهذا الاحنف هو الذي يضرب به المثل في الحلم .

ابو الحسن علي بن يحيى بن ابي منصور المنجم ، كان نديم المتوكل ومن خواصه وجلسائه المتقدمين عنده ، ثم انتقل الى من بعده من الخلفاء ولم يزل مكينا عندهم حظيا لديهم يجلس بين يدي اسرتهم ويفضون اليه باسرارهم ويأمنونه على اخبارهم ، ولم يزل عندهم في المنزلة العلية ، ثم اتصل بالفتح بن خاقان وعمل له خزانة الكتب اكثرها حكمة ، وله اشعار حسنة ، وعاش الى ان خدم المعتمد على الله توفي في سنة ٢٧٥ بسرمن رأي وخلف جماعة من الاولاد وكلهم نجباء علماء ادباء ندماء .

ابو الحسن علي بن ابي سعيد عبد الرحمن بن يونس الصدفي المصري المنجم المشهور صاحب الزيج الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس وهو في اربع مجلدات ، بسط القول والعمل فيه وما اقصر في تحريره ، ولم ير في الازياج على كثرتها اطول منه ، كان مختصا بعلم النجوم متصرفا في سائر العلوم ، وكان قد افنى عمره في الرصد والتسيير للمواليد ، وعمل فيها ما لا نظير له وكان يقف للكواكب توفي في سنة ٣٩٣ ودفن بداره وصلي عليه في الجامع بمصر .

ابو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الحراني الحاسب المنجم المشهور صاحب الزيج الصابي له الاعمال العجيبة والارصاد المتقنة وكان اوحد عصره في فنه واعماله تدل على غزارة فضله وسعة علمه توفي سنة ٣١٧ بموضع ، يقال له قصر الحضر . قال ابن خلكان :ولم اعلم انه اسلم لكن اسمه يدل على اسلامه، وله

من التصنيفات الزيج وهي نسختان الثانية اجود وكتاب معرفة مطالع البروج فيما بين ارباع الفلك في مقدار الاتصالات ، وشرح اربع مقالات بطليموس .

علماء الحرمين

الشيخ علي بن محمد بن عريق عالم المدينة المنورة ، وخطيب مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، كان نائبا مناب ابيه في العلم والعمل والتقوى ، له تصانيف مفيدة .

منها كتاب تنزيه الشريعة عن الاحاديث الموضوعة لخصه تلميذه الشيخ رحمة الله السندي وهو في غاية اللطف من الاختصار .

الشيخ ابو الحسن البكري المصري الشافعي من آل ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، كان جامعا بين العلم والعمل وهو ممن اتفقوا على ولايته وجلالته وبلوغه رتبة الاجتهاد ، لا يفارق الكتاب من يده وينظر فيه دائما ، سئل عن شرب القهوة وذكر له ان المغاربة يحرمونه فقال كيف يدعى بالحرام وانا اشرب منها ؟

تلمذ عليه الشيخ علي المتقي وسمع منه الحديث ، واخذ عنه الطريقة ، وكان ولده محمد البكري شاعرا مفلقاً جيداً له تأليف في التوحيد سماه تأبيد المنة بتأييد السنة .

توفي محمد المذكور في سنة ٩٩١ .

ولمحمد ولد يسمّى زين العابدين ، كان عالما كبيرا ، ومن مقالاته ان ابا بكر افضل من علي ولكن المحبة والانجذاب شيء آخر وهذا مذهبي ، ومواهبنا كلها على يدي سيدنا علي رضي الله تعالى عنه .

الشيخ ابو بكر بن سالم اليمني الحضرمي هو ممن جمع بين العلم والحال والولاية والسيادة ، له كلام عال وشعر حسن ينبىء عن حاله ومقامه :

فلـولا وجـود السر ما كان كائن فتمـت بذاك السر كل البرية
تمسـك بنـا والـزم دقائـق حسّنا وزرنـي بصرف الـود تسعـد بزورتي
ولي شرف المصطفـى سيد الورى بنسبتـه فقنـا جميع الخليقة
وصلّي على الهـادي النبـي وآله واصحابـه والتابعـين بجملة

الشيخ شهاب الدين احمد بن الحجر المكي الهيتمي كان اعظم علماء عصره وفقهاء دهره ، لم يكن له نظير في الفقاهة في زمانه .

قال الشيخ عبد الحق الدهلوي : لا نسبة له بالشيخ ابن حجر العسقلانـي الكبير في علم الحديث ولكن يحتمل ان يكون في الفقه مثله .

تلمذ على الشيخ زكريا المصري الآخذ عن الحافظ ابن حجر العسقلاني .

له مؤلفات ممتعة منها شرح الشمائل للترمذي ، وشرح الاربعين للنووي ، وشرح المشكوة في الحديث ، والزواجر عن اقتران الكبائر وهو كتاب لم يؤلف مثله قبله ، والصواعق المحرقة في الردّ على الروافض ، وشرح الهمزية في نعته ﷺ ، وشرح عين العلم في السلوك ، وقلائد العقيان في مناقب النعمان توفي في سنـة ٩٧٥ انتهى وكان له تعصب مع شيخ الاسلام ابن تيمية شديد عفا الله عنه ما جناه .

الشيخ احمد ابو الحرام كان من فقهاء المدينة وعلمائها وكان في علم القراءة آية باهرة واستاذ الاساتذة في الديار الحرمية ، مات ولده الفاضل الصالح في حياته فحزن عليه حزنا شديدا وبكى عند نزعه فقال الولد لا تحزن عليّ ابق انت فان في بقائك نفع الخلق وتلى هذه الآية (اما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع النـاس فيمكث في الارض) مات رحمه الله في سنة ١٠٠١ ودفن بالبقيع .

الشيخ محمد البهنسي نسبة الى قرية من قرى مصر ، هاجر عنها الى مكة المكرمة واستوطنها ، وتلمذ على الرملي تلميذ السيوطي ، وكان يقول عملنا على كتب الاحاديث الصحاح ،ويستنبط في المسائل الفقهية ويجتهد ، لم اقف على عام

وفاته رحمه الله .

السيد جعفر المدني مدرس المسجد الشريف النبوي ، كان يقول لما صنف القسطلاني كتابه المواهب اللدنية واورد فيه النقول من كتب السير والاحاديث قال له السيوطي :

نقلت هذه الاقوال من كتبي ولم تسمّني ولا كتبي ، وان كنت نقلتها من غير كتبي فأتني باصولها فعجز القسطلاني وكان قد نقلها من كتب السيوطي ولا يخلو ذلك من نوع خيانة وعدم ديانة انتهى .

قلت وقد فعل بكتبي مثل ذلك بعض ابناء الزمان ايضا لا اسميه حياء من الله تعالى .

الشيخ احمد بن علي بن عبد القدوس بن محمد العباسي الشناذي ، تلمذ في علم الحديث على الشيخ شمس الدين الرملي وعلى والده وعلى السيد غضنفر ، وروى عن الشيخ محمد بن ابي الحسن البكري ، وصحب السيد صبغة الله ولبس منه الخرقة وكان يقول لو كان الشعراني حيا ما وسعه الا اتباعي .

الشيخ احمد القشاشي بن محمد بن يونس الدجاني ،والدجانة بتخفيف الجيم قرية من قرى بيت المقدس ، كان يبيع القشاشة في المدينة المنورة وهي سقط المتاع يبيعها لستر حاله واخفاء امره ، وكان له اليد الطولى في علم الشريعة والحقيقة ، صحب المشائخ الكثيرة منهم الشيخ احمد الشناذي ولما وفد عليه قال مرحبا بمن جاء يقتبس منا علومنا .

ومن عجائب احواله انه تلى القرآن الكريم من اوله الى آخره في المنام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال الشيخ عيسى المغربي ما خرجت من عند القشاشي قط الا والدنيا في عيني احقر من كل حقير ونفسي اذل من كل ذليل ولو تكرر دخولي عليه مرات .

توفي رحمه الله ١٩ ذي الحجة سنة ١٠٧١ .

السيد عبد الرحمن الادريسي الشهير بالمحجوب ، ولد بمكناسة بلدة بمغرب ، وساح الروم والشام ومصر ، وجاور بمكة المكرمة ، ورحل الى اليمن لزيارة اوليائها ، وقال : اليمن ينبت فيها الاولياء كما ينبت في الارض البقل قلت ، وكذا ينبت فيه العلماء بالكتاب والسنة ايضا مثل نبات البقل من الارض ، وذلك من فضل الله تعالى على اليمن وما فيها والله يختصُّ برحمته من يشاء ، وكان السيد المحجوب من مشائخ الحرمين المعروف بالفضل والكرامة والولاية ذكر له ترجمة حافلة في انسان العين .

الشيخ شمس الدين محمد بن العلاء البابلي ، حافظ الحديث في زمانه ، استاذ اهل الحرمين ومصر ، ادرك ليلة القدر في بدء امره ودعا الله سبحانه بان يجعله مثل الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى فاجاب الله نداءه .

وكان له روايات الصحيح للبخاري وسائر الكتب الحديثية عن الشيخ سالم السهنوري ومسلسلات صحيحة ضبطها الشيخ عيسى المغربي في رسالة وكانها اصل لاثبات المتأخرين توفي في سنة ١٠٧٩ وبابل قرية بمصر .

الشيخ عيسى الجعفري المغربي حفظ القرآن وبرع في علوم الاعيان ورحل الى جزائر وصحب السلجماسي قريبا من عشر سنة وتبحر عنده ، واخذ عن علماء قسطنطينية ومصر والحرمين ، وتوطن بمكة المكرمة ، له معجم سماه مقاليد الاسانيد .

تلمذ عليه جمهور اهل الحرمين الشريفين ، وصار استاذا لهم ، وكان من اوعية الحديث والقراءة .

قال السيد حسن باعمر : من اراد ان ينظر الى شخص لا يشك في ولايته فلينظر الى هذا ، وكان لا يعمل الا بالسنة المطهرة ، غلب عليه احزاب الشاذلية .

الف لأبي حنيفة رحمه الله مسندا عنعن فيه اتصالا توفي رحمه الله في سنة

١٠٨٠ الهجرية .

الشيخ ابراهيم الكردي عارف بفنون العلم من الفقه والحديث والعربية والاصلين .

وله تصانيف في ذلك كلها رحل الى بغداد والشام ومصر والحرمين ، وصحب القشاشي وروى عنه الحديث ، وكان يتكلم بالفارسي والكردي والتركي والعربي ، وكان متصفا بتوقد الذهن والتبحر في العلم والزهد والصبر والحلم والتواضع ، كان زيه زي عامة اهل الحجاز ، ولم يكن يلبس لبس المتفقهة ولا المتصوفة ، ولا يختار هيئاتهم من تكبير العمامة وتطويل الاكمام .

قال الشيخ عبد الله العباسي كان مجلسه روضة من رياض الجنة ، وكان يرجح كلام الصوفية على الحقائق الحكمية ويقول : هؤلاء الفلاسفة قاربوا عثورا على الحق ولم يهتدوا اليه ،تاريخ وفاته انا على فراقك يا ابراهيم لمحزونون .

محمد بن محمد بن سليمان المغربي كان حافظا للحديث جامعاً لفنون العلم ، لبس الخرقة عن الشيخ ابي مدين المغربي ، وجَدَّ واجتهد في تصحيح كتب الحديث واتقنها اتقانا كاملا حتى صار اماما بالحرمين الشريفين ومن ثقات الحفاظ ، زاده الله بسطة في العلم والجسم والعقل المتُعلق بالمعاد والمعاش على وجه الكمال لم يذكر عام وفاته في انسان العين .

الشيخ حسن العجيمي واحد من شيوخ الحديث جامع لفنون العلم ، فاق اقرانه في الفصاحة والحفظ وجودة الفهم ، وصحب الشيخ عيسى المغربي واستفاد منه كثيرا ، وروى عن احمد القشاشي والبابلي والشيخ زين العابدين بن عبد القادر الطبري مفتي الشافعية ، وكان حنفيا لكن يجمع بين الصلوتين في السفر ويقرأ الفاتحة خلف الامام ، ولم يكن يلتزم مذهبا معينا في جميع الامور بل يجوز التلفيق وكانت في عينيه هنة ، وكان مع ذلك اذا قرأ الحديث رئي على وجهه الانوار وصار كأجمل من رؤي في الدنيا وذلك سر قوله ﷺ (نَضَّرَ الله عبدا)

الحديث ، ضبط اسانيده في رسالةٍ يعلم منها سعة علمه قال : يقول الناس ولد العالم نصف العالم وصدقوا فان العالم له نصفان عا ولم ، وليس لواحد منهما معنى ، فكأنهم قالوا ولد العالم لا معنى له ، يأتي كل رجب الى المدينة المنورة ومعه كتاب من الكتب الستة يختمه في المسجد النبوي على طريق السرد ، تلمذ عليه الشيخ ابو طاهر المدني شيخ مسند الوقت الشاه ولي الله المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى .

الشيخ ابو طاهر محمد بن ابراهيم الكردي المدني لبس الخرقة من ابيه واستجاز له ابوه من مشائخ كثيرين منهم الشيخ محمد بن سليمان المغربي ، واخذ النحو عن السيد احمد ادريس المغربي الذي كان سيبويه زمانه في العربية ، واكتسب فقه الشافعي عن الشيخ علي الطولوني المصري ، والمعقول عن المنجم الباشي الرومي ، والحديث عن الشيخ حسن العجيمي واحمد النخلي والشيخ عبد الله البصري والشيخ عبد الله اللاهوري ، وكان مجتهدا في الطاعة ومشتغلا بالعلم والمذاكرة رقيق القلب كثير البكاء .

قال في انسان العين لما حضرت عنده للوداع الى الهند انشدت بين يديه :

نسيت كل طريق كنت اعرفه الا طريقا يؤديني لربعكم

فغلب البكاء على الشيخ وتأثر تأثراً عظيمًا توفي رحمه الله في سنة ١١٤٥ الهجرية .

الشيخ تاج الدين الحنفي القلعي بن القاضي عبد المحسن كان مفتياً بمكة المكرمة ، صحب كثيرا من مشائخ الحديث ، واخذ العلوم منهم وكلهم اجازوه ، واستجاز له والده من الشيخ عيسى المغربي ، وكان غالب تعلمه لعلم الحديث من الشيخ عبد الله بن سالم البصري .

قال عرضت عليه هذه الكتب على نهج البحث والتنقيح ، وقرأت الصحيحين على العجيمي واجازني بجميع ما تصح له روايته .

ولازم الشيخ صالح الزنجاني واستفاد منه وتفقه عليه وحصّل الرواية والاجازة عن الشيخ احمد النخلي والشيخ احمد القطان وغيرهما ، وتعلم منهما طريق الدرس .

وله اجازة عن الشيخ ابراهيم الكردي وعنه روى الحديث المسلسل بالاولية .

قال الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي في انسان العين حضرت بمجلس درسه اياما حين كان يدرس البخاري وسمعت عليه اطراف الكتب الستة وموطأ مالك ومسند الدارمي وكتاب الآثار لمحمد ، واخذت الاجازة لسائر الكتب وحدثني بالحديث المسلسل بالاولية عن الشيخ ابراهيم وهو اول حديث سمعته منه بعد عودتي من زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سنة ١١٤٣ .

قلت وكان والدي السيد ابو احمد الحسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي قدس الله سره قد تلمذ على الشيخ عبد العزيز ، والشيخ رفيع الدين ابني الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي المذكور ، ولي سند متصل اليه والى مشائخه بواسطة الشيخ محمد يعقوب المهاجر المكي حفيده ، وكذا ينتهي سندي الى القاضي محمد بن علي الشوكاني بواسطة الشيخ عبد الحق بن فضل الله الهندي المتوفى في سنة ١٢٨٦ بمنا ، والى السيد عبد الرحمن بن سليمان بن يحيى مقبول الاهدل ولذلك ذكرت تراجم مشائخي من اهل الحديث النبوي ﷺ في هذا الكتاب واجازاتي مكتوبة في كتابي سلسلة العسجد في ذكر مشائخ السند وبالله التوفيق وهو الهادي الى سواء الطريق .

الشيخ محمد حيات السندي المدني كان من العلماء الربانيين وعظماء المحدثين ، قرن العلم بالعمل ، وزان الحسن بالحلل .

واسم والده ملا فلاريه من قبيلة جاجر الساكنة في اطراف عاد لبور بليدة من توابع بكر .

وُلد بالسند ورحل الى الحجاز وحج وتوطن مدينـة النبـي صلى الله عليه وسلم ، وتلمذ على الشيخ ابي الحسن السندي نزيل المدينـة المكرمـة وبـرع في الحديث ، واخذ الاجازة عن خاتمة المحدثين الشيخ عبد الله بن سالم البصري ، وشدّ حزامه على درس الحديث النبوي وافنى عمره في خدمة الكلام المصطفوي ، وكان يعظ الناس قبل صلوة الصبح بالمسجد الشريف ، وانتفع به خلق كثير من العرب والعجم ، واقبل عليه اهل الحرمين ومصر والشام والروم والهند بالاعتقاد والانقياد ، وعاش عيشـة مرضية ، ولقـي الله سبحانـه يوم الاربعـاء السـادس والعشرين من صفر سنة ١١٦٣ ودفن بالبقيع .

ومن تلامذته السيد العلامة غلام علي آزاد البلجرامـي والشيخ المحـدث الفهامة محمد فاخر الإلّه آبادي وغيرهما رحمهما الله تعالى .

الشيخ صالح بن محمد بن نوح بن عبد الله بن عمر بن موسى الفلاّني ، من ذرية العلامة الحافظ عليم بن عبد العزيز الاندلسي الشاطبي اخي بني سالم ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وانما قيل له الفلاني لأن اباءه نزلوا في دارهم واستوطنوها .

وفُلاّن على ما في اليانع الجنى بضم الفاء وتشديد الـلام قبيلـة من فُلاّنـة بالفوقية بدل النون أمَّةٌ من السودان وارضه التي نشأ بها تُسمّى مَسُوف .

قال وكان الفلاّني فاضلا دينا صالحا ذا اسانيد عالية نفع الله به كثيرا من عباده توفي بالمدينة ليلة الخميس لخمس مضين من جمادى الآخرة سنة ثماني عشرة ومائتين والف رحمه الله رحمة واسعة انتهى كلام اليانع .

واقول هو استاذ الشيخ محمد عباد السندي الآتي ذكره وله تصانيف حسنة ممتعة .

منها كتاب إيقاظ همم اولي الابصار في ردّ التقليد ، وذكره شيخنا وبركتنا الشوكاني رحمه الله في الفتح الرباني واثنى عليه بالخير .

قال محمد عابد في ذكر اسناد الموطأ أرويه عن العلامة الكبير والاستاذ الشهير الشيخ صالح الفُلّاني عن شيخه محمد بن سنّة قرأه عليه قراءة بحث وتدقيق الى آخر الكلام .

ومن الاتفاقات ان الفلاني له شدة في فتّ عضد التقليد وهمة كبيرة في اتباع السنة لا يتصور عليها مزيد ، وتلميذه الشيخ محمد عابد السندي له عصبية في الجمود على المذهب الحنفي مع كونه معروفا بدرس الحديث ، وهذا من غرائب الدنيا وعجائب الدهر بل ولا غرو فان عمر الدنيا قد انصرم ، وكثر الاختلاف ، وذهب الائتلاف وعم الفساد في ا لبر والبحر ، وسأل به الوادي وطمّ ، ولم ينجح من بليات التقليد وآفات الرأي الا من عصمه الله وعليه رحم .

الشيخ محمد عابد السندي بن احمد علي بن يعقوب الحافظ من بني ابي ايوب الانصاري .

وُلد ببلدة سِيْوَنْ وهي على شاطىء النهر شمالي حيدر آباد السند مما يلي بلدة بوبك ، هاجر جده الملقب بشيخ الاسلام الى ارض العرب وكان من اهل العلم والصلاح ، وأقام الشيخ محمد عابد بزبيد دارة علم باليمن معروفة واستفاد من علمائها واقتبس من اشعة عظمائها حتى عُدّ من اهلها ، ودخل صنعاء اليمن يتطبب لإمامهم وتزوج ابنة وزيره ، وذهب مرة سفيراً من امام صنعاء الى مصر وكان شديد التحنن الى ربوع طابة ، وعاود مرة ارض قومه فدخل نُوارى بلدة بأرض السند مما يلي بندر كراجي واقام بها ليالي معدودات ، ثم عاد الى المدينة الطيبة ووُلّي رياسة علمائها من قبل والي مصر ، وخلف من مصنفاته كتبا مبسوطة ومختصرة .

منها : كتاب المواهب اللطيفة على مسند الامام ابي حنيفة .

وكتاب طوالع الانوار على الدر المختار .

وكتاب شرح تيسير الوصول الى احاديث الرسول بلغ منه الى كتاب

لحدود ، يقال له شرح على بلوغ المرام للحافظ ابن حجر .

وكان ذا عصبية للمذهب الحنفي ولذلك تعقبه في بعض الرسائل له السيد العلامة اخونا احمد بن حسن الحسيني القنوجي البخاري العرشي رحمه الله .

توفي محمد عابد يوم الاثنين من ربيع الاول سنة ١٢٥٧ ودفن بالبقيع ولم يخلف عقبا رحمه الله .

علماء اليَمَن

السيد يحيى بن عمر مقبول الاهدل .

كان إماما في جميع العلوم ، غلب عليه علم الحديث حتى نسب اليه وله من الحفظ والاطلاعات شيء لا يمكن وصفه ، وكان يحفظ معظم صحيح البخاري ومسلم ، وكان له اسانيد ومشائخ شتى ، وله السند العالي الذي هو أعلى ما يكون له في اليمن ، اخذ الحديث عن جماعة من الحفاظ مثل السيد ابي بكر بن علي والقاضي احمد بن اسحق جعيان والشيخ عبد الله المزجاجي ، وكان ذا همة لا تجده الا مشتغلا بعبادة إما مدرسا او تاليا للقرآن او مُصلياً ، بعُد صيته وقصده الطلبة من بلاد شاسعة ، وطلب منه الاجازة علماءُ عصره ما بين موافق ومخالف .

منهم شافعي زمانه طٰه بن عبد الله السادة من ذي جبلة وعلماء صنعاء كالسيد العلامة هاشم بن حسين الشامي ، والسيد احمد بن عبد الرحمٰن ، والسيد محمد بن اسحٰق بن المهدي ، والعلامة اسحٰق بن يوسف بن المتوكل ، وابراهيم ابن اسحٰق المهدي ، وعلماء الحرمين الشريفين كافة طلبوا منه الاجازة قبل وفاته رحمه الله بسنة فاجازهم .

وله في بلدة زبيد تلامذة اعلام منهم السيد احمد بن محمد مقبول الاهدل ، والشيخ يحيى بن احمد الحكمي وغيرهما ، وقد اطال في (النفس اليماني والروح

الريحاني) في ترجمة زهده وكرمه واحسانه الى الوفود والقصاد وصلابته في الـدين وصلاحه وكراماته وحرصه على تعلم العلم واجتهاده في رمضان لا نطول الكلام بايرادها في هذا المقام .

وكان يحسده جماعة من أقرانه ممن له تعلق بالعلم فسلبت منه هيبة العلم وأبهته وليس له منه الا الاسم ولم يحملهم على هذا الا الهوى ولكن :

اذا رضيت عنـي كرام عشيرتي — فلا زال غضبانـاً علي لئامها

وما احسن ما قيل :

جزى الله عنـا الحاسـدين فانهم — قد استوجبـوا منـا على فعلهـم شكرا

اذاعـوا لنا ذماً فافشـوا مكارما — وقـد قصـدوا ذمـا فصـار لنـا فخرا

ولله در العيني الحنفي حيث قال في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله لله در الحسد ما اعدله بصاحبه فقتله .

وله مصنفات مفيدة منها كتاب في فضل ذوي القربى ، ومنها القول السديد فما احدث من العمارة بجامع زبيد .

وبالجملة كان سيدا علامة وعلَما فهامة حافظ عصره بالاتفاق ومحدث اقليمه بلا شقاق توفي ليلة الاربعاء رابع عشر ربيع الآخر سنة ١١٤٧ وهو ابن اربعة او ثلاثة وسبعين كذا قال قبل موته باحد عشر يوما .

قال محمد المحبي في خلاصة الاثـر في اعيان القـرن الحـادي عشر معنـى الاهدل الادنى الأقرب وفي نظام الجواهر النفيسة في بيان انساب العصابة الاهدلية اصل هذه الكلمة على الله دل وقبل غير ذلك وهذا اصحّ .

ابو المحاسن السيد سليمان بن يحيى المذكور ، كان سراً لابيه وعالما محدثا كاملا ذا بصيرة وتنويه .

قرأ العلوم على والده واستفاد من طريفه وتالده ، واخذ من مشائخ الحديث علما وافرا وفضلا ظاهرا منهم السيد العلامة احمد بن محمد مقبول الاهدل ،

والسيد سليمان بن ابي بكر هجام الاهدل ، والشيخ عبد الخالق المزجاجي ، والسيد عمر بن احمد بن عقيل ، والعلامة احمد الاشبولي ومشائخه من اهل اليمن والحرمين ومصر والشام وغيرهم جم واسع سماهم في (النفس اليماني) . منهم :

الشيخ الحافظ محمد حياة السندي والشيخ حسن بن محمد الكردي ، والشيخ محمد بن احمد الجوهري ، والشيخ محمد هلال سنبل مفتي الشافعية ، والعلامة ابو الحسن المغربي التنوسي .

ومنهم الامام الكبير محمد بن احمد بن سالم السفاريني .

وله كتاب الرحلة سماه وشي حبر السمر في شيء من احوال السفر ذكر فيه مشائخه توفي في سنة ١١٩٧ وقد اعتنى بترجمته من العلماء غير واحد وامتدحه بعدة قصائد منهم الشيخ عبد القادر كدك المدني والعلامة الكبير احمد بن محمد قاطن في تاريخه المسمى (اتحاف الاحباب بدمية القصر الناعتة لمحاسن اهل العصر) والشاعر المفلق احمد بن عبد الله السعدي في كتابه سرد النقول في تراجم اعيان بني المقبول وغيرهم رحمهم الله تعالى .

الشيخ المعمر عبد الله بن عمر الخليل كان بحرا في العلوم النقلية ولا سيما الادبية وفي الحساب والمساحة والهندسة والهيئة والحكمة قال : اشتغلت بهذ مدة واتقنتها ولم اجد عنها سائلا ولا لها حاملا فلو كان الاشتغال بذلها بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وله نثر فصيح ونظم بليغ ومراجعات ومناظرات ومطارحات ومفاكهات بينه وبين ادباء عصره .

وكان في عمر التسعين لا تراه الا تاليا كتاب الله او مشغولا بذكر الله او مدرسا في العلوم النافعة ، لا يزال هذا دأبه من اول النهار الى حصة وافرة من الليل .

ومن مؤلفاته تحذير المهتدين عن تكفير الموحدين ، وذيل على الحصن الحصين ، ونظم نخبة الفكر في مصطلح اهل الأثر ، ونظم الرسالة الاثيرية في

علم المنطق وشرحها ، ونظم قواعد الاعراب وشرحها ، ومنظومة لقواعد القاموس ، ومنظومة في الاستعارة ، وحاشية على شرح ايساغوجي .

وذكر من مشائخه رجلا من علماء الهند من اكابر المحققين يسمى حسام الدين ولعله الشيخ علي المتقي توفي رحمه الله تعالى ليلة الخميس قبل الفجر في سنة ١١٩٦ الهجرية .

الشيخ الفقيه عبد الله بن سليمان الجوهزي كان من اعيان العلماء واعلام الفضلاء مؤلفاته تقارب خمسين مؤلفا في الحديث والفقه والاصول ، وكان رحب الصدر للتدريس كريم الكف واسع العطاء كثير البكاء من خشية الله تعالى غزير الكشف تحكى عنه في ذلك امور غريبة .

ومن مؤلفاته شرح لبلوغ المرام لم يكمله ، وحاشية على المنهج القويم لابن حجر ، وبلوغ الامل في شرح المسائل الفاضلة مع قلتها على كثير العمل ورسالة في بيان دلالة قوله تعالى (إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح) على الرد على اهل الهيئة ورسالة الخطوشرح الحزب الامام النووي وحاشية على بداية الهداية الى غير ذلك توفي في سنة ١٣٠١ رحمه الله .

الشيخ احمد حسن الموقري المتوفى سنة ١٣٠١ كان عالما كبيرا عارفا سالكا اليف المسجد والمنزل بمعزل عن جميع الانام وقد قال صلى الله عليه وسلم (عليك بخويصة نفسك وليسعك بيتك) وقال تعالى (ولا يخرجنكما من الجنة فتشقى) وله اشعار بليغة شرحوها ولا يقدر احد ولو كان من اكابر العلماء ان ينطق بلفظة عنده الا ان يتكلم هو هيبة من الله تعالى .

الشيخ عبد الخالق بن الزين بن محمد باقي الزجاجي نسبة الى قرية من قرى الوادي بزبيد ، كان مطلعا على احوال العلماء سيما الذين كانوا في عصره خصوصا من وفد اليه من الحرمين ومصر والشام والهند والجاوة وغيرهم .

له اتحاف البشر في القراءات الاربعة عشر ، تلمذ على الشيخ محمد حياة المدني السندي تلميذ الشيخ ابي الحسن السندي محشي الامهات الست ، وعلى والده الزين والشيخ محمد ابي طاهر الكوراني والشيخ العلامة عبد الكريم الهندي المكي والشيخ امر الله الهندي ، وشيخ الطريقة كوشك الهندي وحسين البخاري الهندي وغيرهم من جمع جم من علماء الحرمين الشريفين ومصر وغيرها سرد اسماءهم في النفس اليماني والروح الريحاني .

السيد احمد بن محمد شريف مقبول الاهدل كان من العلماء الراسخين والعباد الزاهدين ، له اليد الطولى في علم القراءات والتفسير والحديث والفقه والأصلين والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق والحساب والهندسة والفلك وغيرها .

اشتغل بجميع هذه العلوم حتى برع فيها وحقق ظواهرها وخوافيها وكان قد منحه الله ملكة تامة على حل صعاب المسائل في ايّ فن من الفنون اذا عرضت عليه المسألة الصعبة حلها بفهمه الثاقب وفتح مغلقها برأيه الصائب تلمذ على خاله السيد يحيى بن عمر مقبول الاهدل واخذ عنه التفسير والحديث ، وكان السيد يحيى من الدعاة الى العمل بما صح به الدليل وألى التغريب في الاقبال على علمي القرآن والسنة وتفهم معانيها والتفقه في ذلك وكان لسانُ حاله ينشد :

اذا اختار رجل الناس في الدين مذهبا وصيّره رأياً وحققه فعلا
فاني ارى علم الحديث واهله احق اتباعاً بل أسدّهم سبلا
ورأيهم اولى وأعلى لكونهم يؤمّون ما قال الرسول وما املا

ثم انه شارك شيخه في جميع مشائخه رواية واجازة وله شرح على الهمزية وعلى النمازية وعلى زيد بن رسلان وعلى طلبة الطلبة وغير ذلك .

الشيخ علاء الدين المزجاجي كان من العلماء الاكابر اخذ العلم عن علماء اليمن والحرمين كالقاضي احمد جعمان ، والعلامة ابراهيم الكوراني ، والشيخ

احمد التحلي والشيخ حسن العجيمي ، والشيخ عبد الله بن سالم البصري وغيرهم ، وهو من مشائخ السيد احمد الأهْدَل المذكور رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي قاريء صحيح البخاري في جوف الكعبة المشرفة ، له شرح عليه عزان يلقى في الشروح له مثال لكن ضاق به الوقت عن الاكمال سماه (ضياء الساري) وهذا الاسم موافق لعام الشروع في تأليفه ترجم له آزاد في (سبحة المرجان وتسلية الفؤاد) ترجمة حافلة حسنة ، وكذا الشيخ المسند الشاه ولي الله المحدث الدهلوي في (انسان العين) ، وكذا معاصرنا الشيخ محمد محسن المرحوم في كتابه (اليانع الجني) في اسانيد الشيخ عبد الغني .

ومن مناقبه تصحيح للكتب الستة حتى صارت نسخة يرجع اليها من جميع الاقطار ومن اعظمها صحيح البخاري ، اخذ في تصحيحه نحواً من عشرين سنة وجمع مسند احمد بعد ان تفرق ايدي سبأ وصححه وصارت نسخته أماً اخذ علم الحديث عن جملة من المشائخ منهم ، الحافظ محمد بن علاء الدين البابلي رحمه الله والشيخ احمد البنا وغيرهما وعنه اخذ السيد احمد الأهدل المذكور آنفاً ايضا توفي رحمه الله في سنة ١١٣٤ الهجرية .

صفي الاسلام احمد بن محمد النخلي المكي كان من اعيان العلماء الجامعين بين العلوم النقلية والعقلية والفروعية والاصولية .

اخذ عن عدة من العلماء منهم العلامة المحقق عبد الله بن سعيد باقشير والحافظ محمد البابلي وعليه مدار روايته ، والشيخ العلامة محمد بن علي بن محمد ابن علان الصديقي ، والشيخ محمد بن محمد الشرنبلالي المصري ، ولبس الخرقة من السيد عبد الرحمن المحجوب عاش تسعين سنة رحمَه الله تعالى رحمة واسعة .

السيد ابو بكر بن يحيى بن عمر مقبول الاهدل :

يا ليت شعري ما يعبر ناطق عن فضله العالي وعظم المنصب
او ليس ذاك الماجد العلم الذي سفرت محاسنه ولم تتجلبب

اخذ العلوم العقلية والنقلية عن مشائخ عصره .

منهم السيد احمد بن محمد شريف المذكور والشيخ عبد الخالق المزجاجي ، ومفتي زبيد الفقيه العلامة سعيد بن عبد الله الكيودي .

وكان على جانب عظيم من لين الجانب ورحب الصدر وكمال التواضع وبشاشة الوجه ، وكان في حفظ كتاب الله عن ظهر قلب آية باهرة وله شعر حسن وكلام فصيح رحمه الله تعالى .

السيد يوسف بن حسين البطاح .

ثمال اليتامى والمساكين لم يزل ابأً لهم يحنو عليهم ويرأف
وهمته استنباط حكم دليله شواهد نقل او قياس مؤلف

اخذ التفسير والحديث والفقه عن السيد احمد الاهدل ، واستفاد من الشيخ عبد الخالق المزجاجي وغيره ، وكان كثير المباحثة والمراجعة مع اهل عصره من اهل العلم ، كتب له الاجازة السيد العلامة سليمان بن يحيى الاهدل في شوال سنة ١١٨٣ الهجرية .

الشيخ عثمان بن علي الجبْلي اخذ عن السيد احمد الاهدل والشيخ عبد الخالق المزجاجي وقرأ شرح الجامي على الكافية والشرح الصغير في المعاني للسعد وشرح التهذيب للشيرازي وشرح سبط المارديني على الياسمينية في الجبر والمقابلة ، وبرع في العلوم كلها من الفقه والحديث والقراءة .

وتصدر للتدريس في سائر الفنون لاسيما علم القراءة له شعر حسنٌ واخبار مأثورة اطال في ترجمته في النفس اليماني والروح الريحاني .

الشيخ عبد الرحمن بن محمد المشرع المتوفى سنة ١١٩٥ الهجرية :

كريم له من نفسه بعض نفسه وسائره للمجد والشكر والفضل

اخذ عن مشائخ الوقت علوماً عديدة منهم السيد احمد الاهدل والمزجاجي

والكبودي واحمد الاشبولي ، وكانت وفاته في قرية الروية من قرى وادي زبيد بعد ان وعك اشهرا عديدة بالاسهال .

وكان شيخا كاملا مكملا جيد الرأي حسن التدبير جوادا سخيا عالما بالنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والفقه والتصوف والحديث وغيرها ، يشتغل بقراءة صحيح البخاري في الجامع كل سنة ،وحصّل كتبا كثيرة في عدة من الفنون تلمذ في المعاني والبيان على العلامة عبد الله بن عمر الخليل وعلى الشيخ عبد الرحمن بن عبد السلام الحاوي ايام اقامته بزبيد ورحل الى الحرمين الشريفين وسمع الحديث عن الشيخ المجمع على جلالته احمد الاشبولي المصري وانتدب الشعراء لمدحه بقصائد بديعة منهم السيد العلامة قاسم بن يحيى الامير رحمه الله تعالى .

شرف الاسلام اسمعيل بن احمد الربعي اخذ هو وولده القاضي العلامة محمد بن اسمعيل عن السيد احمد الاهدل ، والشيخ عبد الخالق بن ابي بكر المزجاجي واحمد الاشبولي ايام وفوده الى زبيد .

ومن تلامذته الشيخ احمد القاطن ، وكان لا يترك كل يوم من كتابة قدر معلوم من كتاب الله وفوائد وآداب ونسخة من العلوم النافعة حتى اجتمع له مع الدوام من ذلك الشيء الواسع ولنعم ما قيل :

فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك في القيامة ان تراه

وكان صدّاعا بالحق ذا قيام عظيم في اعانة المظلوم واغاثة الملهوف وكان فيه تشيع كثير في كافة اهل بيت النبوي ﷺ :

وهل يستوي وُدّ المقلد والذي ... له حجة في ودّه ودلائل

القاضي العلامة عز الاسلام محمد بن اسمعيل بن احمد الربعي كان من افاضل العلماء واماجد الفضلاء .

تلمذ على السيد احمد بن محمد شريف وعلى المزجاجي وغيرهما في علم النحو والمعاني والبيان والحساب واصول الدين والهيئة والهندسة والمنطق واصول الفقه والحديث .

وسمعه على القاضي العلامة احمد بن محمد القاطن له مشائخ من الحرمين الشريفين منهم عطاء المصري ومحمد بن سليمان الكردي وتصنيف في علم الفروع ولعمري هو حقيق بقول الشاعر :

لقد حسنت بك الايام حتى كانك في فم الدهر ابتسام

سراج الاسلام السيد ابو بكر بن علي البطاح الاهدل جد واجتهد في الترقي الى اكتساب المعالي ، وسهر في تحصيل العلوم الليالي ، وكان له ملكة الاستحصال وملكة الحصول وملكة الاستنباط على وجه الكمال .

برع في التفسير والحديث والتصوف والفقه والآلات والاصول ، وصار اماما يرجع اليه في الفروع والاصول ، وبلغ الى ان يملي في تحقيق مسئلة مؤلفا بلا تكلف ، ومن هذا الجنس كتابه صلة الموصول بايضاح روابط الجمل لابن المقبول وبالجملة فكان البحر الزاخر في جميع العلوم سيما علم النحو والمنطق فانه كان فيهما آية باهرة ونعمة ظاهرة ومن اعظم شيوخه السيد سليمان بن يحيى مقبول الاهدل رحمه الله تعالى .

يوسف بن محمد البطاح :

العالم الفاضل النحرير افضل من بث العلوم فأروى كل ظمآن

اخذ العلوم العقلية والنقلية عن السيد سليمان الاهدل ولازمه كثيرا ، وعن الجرهزي والجبيلي ويوسف بن حسين البطاح ، وعن غير هؤلاء من اهل اليمن والحرمين ، وهاجر من زبيد الى الحرمين الشريفين ، وتفرغ تفرغا عظيما انشر

العلوم فدرّس وألف ووقع به النفع سيما لطلبة العلم اليمانية .

ومن مؤلفاته افهام الافهام شرح بلوغ المرام في مجلدين ، وشرح منظومة القواعد للسيد ابي بكر بن ابي القاسم الاهدل ، وشرح ربع العبادة من منظومة الزبد في مجلد حافل اكثر فيه من سرد الادلة وذكر الخلاف ، وله عدة رسائل في اعمال الحج الفها لكثرة المسائل الواردة عليه في ذلك وله تشنيف السمع باخبار العصر والجمع ، قرظ عليه اهل مكة المكرمة حرسها الله تعالى مات شهيدا في الوباء العام الواقع في سنة ١٢٤٢ الهجريّة .

السيد طاهر بن احمد الانباري فاضل فقيه وعالم نبيه حصّل العلوم الدرسية والفنون المتداولة وبرع فيها ، وهو ممن تلمذ على السيد الاجل سليمان بن يحيى الاهدل وعلى العلامة داود الجبرتي العقيلي الهاشمي وعبد الله بن عمر الخليل والجرهزي والجبيلي وعبد الخالق المزجاجي والقاضي محمد الربعي وغيرهم .

الشيخ العلامة عبد القادر بن خليل كدك المحدث الحافظ المسند الرحلة وجيه الاسلام خطيب المدينة المشرفة ، وفد الى مدينة زبيد ناشرا فيها علوم الاسناد الى خير العباد بعد ان جال البلاد شرقا وغربا ولقي من المشائخ المسندين الاعلام عالما كثيرا ، والف في ذلك كتابه المسمى (بالمطرب المعرب الجامع لاهل المشرق والمغرب) قال في خطبته وقد ارتحل لطلب الاسناد جمع من السلف والخلف ، رحل جابر بن عبد الله الى مصر لاجل حديث واحد وكذلك ارتحل احمد بن حنبل وغيرهما قال :

ارتحلت الى مصر وغزة والرملة والقدس والشام وآبدين والروم ونلت ما نلت من ذلك ولما وفد الى مدينة زبيد تلقاه علماؤها واعيانها بالاعزاز والاجلال وازدحم عليه الافاضل لاخذ الاجازة منه فاجازهم ، وهو الذي استجاز للسيد عبد الرحمن بن سليمان ين يحيى بن مقبول الاهدل ولجماعة من محدثي زبيد من مسند الشام الحافظ الكبير محمد بن سالم السفاريني محتد الحنبلي مذهبا الاثري

معتقداً ، القادري مشربا .

وسفارين قرية من قرى نابلس ثم وفد الى مدينـة صنعـاء وتلقـاه اهلهـا بالتعظيم والتبجيل .

واستجاز منه جماعة من العلماء الاعيان .

منهم السيد العلامة عبد الله بن محمد الامير .

وله مؤلف خاص في ذلك سماه (السر المؤتمن في شرح الرحلة الى اليمن) ثم عاد الى المدينة المنورة وتصدى فيها لنشر علـوم الاسنـاد وامـلاء الاحـاديث والاجتهاد في هذا الشأن العظيم .

وكانت وفاته بنابلس من ارض الشام في ربيع الاول سنة ١١٨٥ الهجرية .

صفي الاسلام احمد بن ادريس المغربي الحسيني المتوفى سنة ١٢٥٣ بمدينة صبيا وقبره هناك معروف مشهور .

وفد الى مدينة زبيد سنة ١٢٤٤ ناشرا فيها ما منحه الله من علـوم اسرار الكتاب والسنة ، وكاشفا من اشاراتها الباهرة ، ولطـائفها الزاهـرة ، بعبارتـه الجلية المشرق عليها نور الاذن الرباني واللائح عليهـا اثـر القبـول الرحمانـي ، وازدحم عليه الخاص والعـام حينئـذ على الاستفـادة وتلقـى كل احـد من تلك اللطائف على قدر الاستعداد :

على قدرك الصهبـاء تعـطيك نشوة ولسـت على قدر السـلاف تصابُ

وكان مذهبـه ما صح به الحـديث كما هي طريقـة خلائـق من العلماء الاعلام :

ومذهبـي كل ما صح الحـديث به ولا ابـالي بلاحٍ فيه اوزاري

واجاز اهل زبيد خصوصاً واهل اليمن عموما كما وقع نظير ذلك للحافظ ابن حجر العسقلاني عند قدومه زبيد ، ثم توجه الى بندر الحديدة وتلقاه اهلها

بالإعزاز والاكرام ، وامتدحه علماء البندر بعدة قصائد ، ثم صار الى صبيا وكان باقيا فيها الى سنة ١٢٤٨ يذكر ايام الله ويملي من علوم السنة والكتاب ما يفيد ذوي الدين والالباب ، وامتدحه اهل تلك الجهات ايضا بعدة قصائد منهم المحقق العلامة عبد الرحمن بن احمد البهكلي قاضي بيت الفقيه وترجم له السيد العلامة محمد بن محمد الدئلي قاضي زبيد في كراريس.

السيد عبد القادر بن احمد بن عبد القادر الحسني الكوكباني للعلوم الزاخرة والاحوال الشريفة الفاخرة .

اخذ العلوم عن الجهابذة من اهل صنعاء وزبيد والحرمين الشريفين .

ومن مشايخه سلطان ذوي الاجتهاد وعمدة المحدثين النقاد السيد الامام محمد بن اسمعيل الامير الصنعاني ، والشيخان العلامتان عبد الخالق ومحمد بن علاء الدين المزجاجيان ، والسيد الحبر محمد بن الطيب المغربي الفاسي الآخذ عن ابي الاسرار الحسن بن علي العجيمي والشيخ المسند محمد ابراهيم الكوراني .

وله من المشائخ نيف وثلاثون شيخاً ومن المؤلفات ما يزيد على اربعين مؤلفا .

منها حاشية القسطلاني في مجلدين وشرح القاموس وشرح نظم فصيح ثعلب وحاشية المطول ومختصره .

ومن مشايخه ايضا الشيخ محمد حياة السندي ، قال القاضي العلامة في ترجمته مظهر السنة النبوية على رؤوس الاشهاد مبكتاً لاهل البدعة في الحاضر والباد ، ولقد قام بهذا الواجب اتم قيام ، وذب عن سنة جده بين الانام ، وادخلها الى آذان الفقهاء المقلدين ، وقبلها من له الفهم المكين والذهن الثمين وله اليد الطولى في كل فن والتحقيق الفائق من بين ابناء الزمن انتهى ملخصا .

ومن تخرج به شيخنا القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني والسيد

ابراهيم والسيد عبد الله والسيد قاسم اولاد امير المؤمنين في حديث سيد المرسلين محمد بن اسمعيل الامير وغيرهم رحمهم الله تعالى .

السيد السند والجليل المعتمد صارم الدين ابراهيم بن محمد بن اسمعيل الامير قال القاضي العلامة احمد بن محمد قاطن في ترجمته ذو الذهن الوقاد والفكر المستقل النقاد ، الحاوي لخصال الكمال بأكمل الخلال الراقي الى اوج البلاغة في جميع الاحوال ، ان وعظ خلته الحَسَن ، وان خطب اعلن السنن، وايقظ الوسن ، وقلد المنن ، وبغض السمن ، وجبب الخشن ، وضيق العطن ، ووسع الحزن ، وشجع الجبان ، وشبع الجنان ، زين الجِنان ، وشيد الايمان يخلط الترهيب بالترغيب ، والتبعيد بالتقريب ، والوعيد بالوعد والمطر بالرعد الى آخر ما قال .

وله ولدان السيد العلامة علي بن ابراهيم والسيد يوسف بن ابراهيم ، وكانا على استقامة تامة من ملازمة الاتباع وتجنب الابتداع كما هو طريقة سلفهم الصالح :

ليس الطريق سوى طريق محمد　　فهو الصراط المستقيم لمن سلك
من يمش في طرقاته فقد اهتدى　　سبل الرشاد ومن يزغ عنها هلك

ومن مؤلفات السيد علي بن ابراهيم (تشنيف الآذان بأسرار الآذان) (والبشائر والصلات باسرار الصلوات) (والفتح الإلَهي لتنبيه اللاهي) وكتاب (السوانح) على وزن صيد الخاطر لابن الجوزي وكتاب (سوق الشوق لاهل الذوق) من تحت إلى فوق في شرح حديث (ان لربكم في ايام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها) وهو مؤلف حافل وله نظم في الدرجة العليا قد جمعه ولده السيد العلامة حسن بن علي في ديوان .

واما السيد العلامة يوسف فكان على قدم راسخ في العلوم المأثورة وله من النظم الرائق الفائق الشيء الواسع .

واما اخو السيد ابراهيم بن محمد المذكور فهو السيد الجليل والعالم النبيل

فخر الاسلام وزينة الليالي والايام عبد الله بن محمد بن اسمعيل الامير ، وكان من العلماء الاعلام احد ائمة العصر وحامل لواء الفخر له اليد الطولى في العلوم العقلية والنقلية ، وجودة النظر والنقادة في الاحاديث النبوية مشتغلا بذلك غاية الاشتغال حتى نال من العلم الشريف كل منال ترك التعصبات المذهبية ، واخذ بالسنة المطهرة السنية ، له شعرٌ وتواليف صحّح كتب والده وكتب بخطه كثيرا وعندي من خطه الشريف كتاب سبل السلام شرح بلوغ المرام وغيره والسيد عبد الرحمن بن سليمان الاهدل ممن تلمذ له واستجاز منه فاجازه وايضا تلمذ على اخيه السيد قاسم فأجازه لفظا .

صفي الاسلام الشيخ احمد بن محمد قاطن كان من اجلّ الاعلام الاعيان كبير المقدار عظيم الشأن ، اخذ العلوم العقلية والنقلية من علماء صنعاء وغيرهم منهم :

السيد العلامة الامام محمد بن اسمعيل الامير ، والعلامة الاوحد زيد بن محمد بن الحسن شارح الايجاز في المعاني والبيان ، والمحقق هاشم بن يحيى بن محمد الشامي والسيد يحيى بن عمر مقبول الاهدل له منه اجازات وروايات .

له تحفة الاخوان نظم فيها اسناد صحيح البخاري وشرحها شرحا عظيما .

ومن مشائخه محمد حياة المدني السندي ،والشيخ محمد الدقاق ، والشيخ سالم بن عبد الله البصري والشيخ محمد بن حسن العجيمي وقد ترجم لهؤلاء المشائخ في تحفة الاخوان المذكورة .

ومن مؤلفاته نفحات العوالي بالاحاديث العوالي (والاعلام بأسانيد الاعلام) و (وسيلة المستجير بالله الكبير) و (نزهة الطرف في احكام الجار والمجرور والظرف) وهو شرح عظيم على كتاب العقد الوسيم لشيخه الامام صلاح الاخفش وله اشعار رائقة ذكرها في النفس اليماني والروح الريحاني ، وكان بينه وبين السيد عبد الرحمن بن سليمان الاهدل مودة اكيدة وكان يحرضه على العمل

بالسنة النبوية وسلوك الطريق السلفية وترك العصبية المذهبية واخذ السيد منه اجازة له ولاولاده فكتب الاجازة رحمه الله تعالى .

الشيخ احمد بن عبد القادر بن بكري العجيلي ، اخذ العلوم عن آبائه الكرام وعن غيرهم من الاعلام وهم كثيرون .

منهم : الشيخ عبد الخالق المزجاجي ، وعمه محمد بن بكري ، والسيد ابراهيم بن محمد الامير ، والشيخ ابراهيم الزمزمي مفتي الشافعية في ام القرى بروايته عن الشيخ عبد الوهاب بن احمد الطنطاوي المصري مؤلف بذل العسجد في شيء من اسرار اسم محمد .

وللشيخ احمد مؤلفات ورسائل منظومات ومسائل يطول ذكرها منها (النفحة القدسيّة في وظائف العبودية) و (عقد جواهر اللآل في مدح الآل) وعليه شرح وتقاريظ من جمع جم منهم السيد الجليل علي بن محمد بن احمد بن اسحق كتبه بمكة المشرفة سنة ١٢٣٠ ، وللسيد عبد الرحمن بن سليمان الاهدل منه اجازة في الحديث المسلسل بالاولية ، وله مناقب وفضائل شهيرة ، وكان لا يسمع بذي فضيلة في جهة من الجهات الا وتعرف به واستطلع حقيقة فضيلته ، ومكث على هذه الحالة دهرا طويلا ثم آثر الخلوة والعزلة الى ان انتقل الى جوار رحمة الله تعالى .

الشيخ ابراهيم بن محمد الزمزمي تصدى في ام القرى للافتاء والتدريس على مذهب الامام محمد بن ادريس ، فكان يقرىء فيه ويفيد ويبدىء ويعيد ويتكلم في سائر العلوم لفظاً ومعنى وعلى اصولها وفروعها حفظا :

صفاته في العلوم ان ذكرت يغار منه النسيب والغزل
تعرف من عينه حقائقها كأنه بالعلوم مكتحل

استجيز منه للسيد عبد الرحمن الاهدل في سنة ١١٩٢ قال اخذت عن الشيخ عبد الوهاب الطنطاوي الآمدي وعن المحقق عبد الله النمرسي عن الشيخ

عبد الله بن سالم البصري .

واما ولده محمد صالح بن الشيخ ابراهيم الزمزمي فكان خلف ابيه في العلوم والفضائل منه اجازة للسيد عبد الرحمن الاهدل ذكر فيها الامهات الست وبقية العلوم مقرونا بسنده العالي عن المشائخ العظام في سنة ١٢٢٤ ، وفيها ان من أعلى اسانيدنا سيدي العلامة المحدث شيخنا صالح بن محمد الفلاني العمري المغربي ، ومن اجلّ شيوخه الحافظ محمد بن سنة العمري وهو ايضا شيخ السيد عبد الرحمن الاهدل كما صرح بذلك في المنهج السوي حاشية المنهل الروي .

الشيخ عبد الملك بن عبد المنعم القلعي مفتي ام القرى على مذهب الامام الاعظم كان كنز الذخائر وبحر العلم الزاخر استجاز منه السيد عبد الرحمن الاهدل فأجازه في سنة ١٢٢٤ وذكر في الاجازة مشائخه من اهل الحرمين منهم عبد الله بن سالم البصري .

سراج الاسلام سالم بن ابي بكر الانصاري الكراني من اجلّ علماء المدينة المنورة له حاشية على المنهج القويم لابن حجر الهيتمي في سنين كراسا وهو ممن تلمذ على الشيخ محمد بن سليمان الكردي الآخذ عن الشيخ محمد الدمياطي والشيخ محمد بن سعيد سنبل المكي والعلامة احمد الجوهري المصري .

الشيخ محمد بن سليمان الكردي :

ولا تحسب الاكراد ابناء فارس ولكنهم ابناء عمرو بن عامر

تلمذ على المحقق محمد بن سعيد سنبل مفتي الشافعية في ام القرى .

واخذ عن الشيخ احمد النخلي ، واجازه عبد الله بن سالم البصري ، وعن الشيخ طاهر بن ابراهيم الكوراني .

وله مؤلفات منها : فتح الفتاح بالخير على من يريد معرفة شروط الحج عن الغير والثغر البسام عن معاني الصور التي تزوج فيها الحكام وازهار الربا في بيان

ابواب الربا وهو من مشائخ السيد عبد الرحمن الاهدل .

السيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس باعلوي المصري الامام الكبير العلم الشهير اخذ عن والده وعن السيد عبد الرحمٰن بن عبد الله باالفقيه ،والسيد العلامة غلام حيدر الحسيني الهندي ، والسيد فضل الله بن احمد الهندي ،والحافظ المسند الشيخ محمد حياة السندي وغيرهم .

ومن مؤلفاته : بسط العبارة في شرح ضبط الاستعارة وعليه حاشية للمحقق الحفناوي وقطف الثمر في شرح المقولات العشر والمنهل العذب في الكلام على الروح والقلب .

ابو الفيض محمد مرتضى بن محمد الحسيني الواسطي البلكرامي نزيل مصر تقدم ترجمته الشريفة في ذيل علماء اللغة فراجعه وهو صاحب تاج العروس في شرح القاموس وهو من مشائخ السيد عبد الرحمٰن بن سليمان الاهدل .

السيد عبد الرحمٰن بن سليمان بن يحيى بن عمر مقبول الاهدل ينتهي نسبه الشريف الى موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم ،صاحب كتاب (النفس اليماني والروح الريحاني في اجارة القضاة بني الشوكاني) وهو شيخ شيخنا الامام العلامة المجتهد المطلق الرباني محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليماني الصنعاني ، وشيخ اخويه العلامة صفي الاسلام احمد ، وعماد الاسلام يحيى رحمهم الله تعالى الّف الفقيه العلامة سعد بن عبد الله سهيل في ترجمته كتابا حافلا في سنة ١٢٦٣ سَمَّاه (فتح الرحمن في مناقب سيدي عبد الرحمن بن سليمان) قال فيه كانَ رضي الله عنه من صدور المقربين صاحب العلوم الجمة ، والفنون الكثيرة والكرامات الباهرة ، والمقامات الفاخرة ، تصانيفه دالة على سعة علمه وغزارة اطلاعه منها .

فتح الولي في معرفة سلب الولي ، والمنهج[١] السوي حاشية المنهل

(١) وهو موجود عندنا ولله الحمد منه مد ظله ومجده .

الروي ، وفيه دلالة على كماله في علم الحديث وانه من اجلّ ائمته .

وله فرائد الفوائد وقلائد الخرائد مجلدان جمع فيه فأوعى والروض الوريف في استخدام الشريف ، وتلقيح الافهام في وصايا خير الانام ، وشرح بلوغ المرام بلغ فيه الى التيمم في نحو عشرين كراساً ولم تساعده القدرة على اتمامه ، وفتح اللطيف شرح مقدمة التصريف ، والجنا الداني على مقدمة الزنجاني ، وكشف الغطا عن اسئلة ابن العطا ، ورسالة في البندقة ، وتحفة النساك في شرب التنباك الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة .

ومن تلامذته شيخنا الشوكاني ويا له من تلميذ واستاذ .

ومنهم السيد العلامة محمد بن طاهر الانباري الملقب بالشافعي الصغير ، والعارف بالله محمد بن احمد المشرع ، وكان في غاية من العبادة سيما قيام الليل وتلاوة الكتاب العزيز ، وكان هجّيره هجّيره خلفاء النبي ﷺ ، وكان حسن الخلق لين الجانب قريب التناول يتصل به كل احد يتكلم باللسان العالي في لطائف الاسرار ويقول : ليس العلم بلقلقة اللسان ولا بطول الاطناب وبديع البيان ولا في الكراريس الكثيرة والمجلدات الضخيمة والاوراق ، وانما العلم ما افادته الملكة التامة والرسوخ ، وكان مما ينفع صاحبه هداية ويقربه الى رب العالمين ، وله اشعار فائقة وابيات رائقة ذكر بعضها في فتح الرحمن واطال في بيان كلماته الرفيعة الشأن واعتضدها بنقول العلماء الاعيان يطول ذكرها في هذا المكان .

وكانت ولادته في سنة ١١٧٩ ومرض مرض الموت قريبا من عشرة ايام وأتاه اليقين في ليلة الثلثاء الاخيرة في الحادي والعشرين من شهر رمضان احد شهور سنة ١٢٥٠ وله من العمر احدى وسبعون سنة ، وأرخ بعض الفضلاء وفاته بقوله ليهنك الفردوس مفتي الانام .

وله من الاولاد محمد وعبد الباقي وسليمان وقد اجازهم واولادهم ومن

سيولدهم وكافة من ادرك حياته سيما من وقعت بينه وبينه المعرفة او الاستفادة العلمية واولادهم ومن سيولد لهم راجيا بذلك الخير الشامل الكثير ان شاء الله تعالى وهو من مشايخنا ولله الحمد .

الشيخ العارف بالله محمد بن عبد الرحمن المتقدم ذكره اخلف والده في هديه وسمته ودلّه وإفتائه وجميع احواله المرضية السنيّة ونفع الله به خلقا كثيرا الى ان توفي رحمه الله في سنة ١٢٥٨ وله من العمر ثمانية واربعون سنة ، وله من الكرامات والمكاشفات ما لا يحصى ، وكان غاية في اطلاق اللسان ، يكتب الجوابات من غير مراجعة لكتب المذهب لسعة ملكته .

ولما توفي قام مقامه اخوه السيد العلامة عبد الباقي رحمه الله .

السيد محمد بن ابراهيم الوزير بن عليّ بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي الهادوي الامام العلامة والمحدث الأصولي النحوي المتكلم الفقيه البليغ الرحلة الحجة السني الصوفي ، كان فريد العصر ونادرة الدهر خاتمة النقاد ، وحامل لواء الاسناد ، وبقية اهل الاجتهاد بلا خلاف وعناد رأساً في المعقول والمنقول اماماً في الفروع والاصول .

يقول واصفه في وصفه كشاف اصداف الفرائد ، قطاف ازهار الفوائد ، فاتح اقفال اللطائف ، مانح انفال الظرائف مصيب شواكل المشكلات بنوافذ انظاره ، ومطبق مفاصل المعضلات بصوارم افكاره ، مضحك كمائم النكت من نوادره ومفتح انظار الظرف في موارده ومصادره عز الدين محيي سنة سيد المرسلين فلان الحسني نسباً على السماك عالياً والسني مذهباً ، الى الصواب هاديا الى آخر ما ذكره في ترجمته .

وبالجملة كان مولده في شهر رجب سنة ٧٧٥ في شظب وهو جبل عال باليمن هكذا نقلته من خطه وحفظته من غيره من الاهل .

وله مصنفات عديدة ومجموعات مفيدة منها كتاب العواصم في الذب عن

سنة ابي القاسم اربعة اجزاء في الرد على الزيدية اشتمل من الفوائد على ما لم يشتمل عليه كتاب ، وكتاب البرهان القاطع في معرفة الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع ألفه في سنة ٨٠١ ، ومختصر جليل في علم الاثر ألفه بعد اطلاعه على نخبة الفكر سماه تنقيح الانظار صنفه في آخر سنة ٨١٣ ، ومنها الروض الباسم مختصر العواصم ، وكتاب التأديب الملكوتي مختصر فيه العجائب والغرائب وكتاب (العزلة) وقبول البشرى في التيسير وكتاب (ايثار الحق على الخلق) صنفه في سنة ٨٣٧ الى غير ذلك وغالبها عندي موجود ولله الحمد ، وله ديوان شعر سماه مجمع الحقائق والرقائق في ممادح رب الخلائق وشرحه سماه بفتح الخالق ، والحسام المشهور في الذب عن الامام المنصور وقد ذكر له الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه الدرر الكامنة ترجمة حافلة وأثنى عليه ثناء كثيرا جميلا لم يثن بمثله احدا توفي رحمه الله في الطاعون الذي وقع في اليمن شهيدا في سنة ٨٤٠ فكان جملة عمره ستا وستين سنة .

السيد العلامة بدر الملة النير المؤيد بالله محمد بن الامام المتوكل على الله اسمعيل بن صلاح الامير الصنعاني اليمني وهو الامام الكبير المحدث الاصولي المتكلم الشهير ، قرأ كتب الحديث وبرع فيها ، وكان اماما في الزهد والورع يعتقده العامة والخاصة ويأتونه بالنذور فيردها ويقول ان قبولها تقرير لهم على اعتقادهم انه من الصالحين وهو يخاف انه من الهالكين ، حكى بعض اولاده انه قرأ وهو يصلي بالناس صلوٰة الصبح هل اتاك حديث الغاشية فبكى وغشي عليه ، وكان والده ولي الله بلا نزاع من اكابر الائمة اهل الزهد والورع ، استوى عنده الذهب والحجر ، وخلّف اولاداً هم اعيان العلماء والحكماء ، اعظمهم ولده هذا .

قال الشيخ احمد بن عبد القادر الحفظي الشافعي في ذخيرة الآمال في شرح عقد جواهر اللآل الامام السيد المجتهد الشهير المحدث الكبير السراج المنير محمد

ابن اسمعيل الامير ، مسند الديار ومجدد الدين في الاقطار ، صنف اكثر من مائة مؤلف ، وهو لا ينسب الى مذهب بل مذهبه الحديث .

قال اخذ عن علماء الحرمين واستجاز منهم وارتبط بأسانيدهم ، وقرأ على الشيخ عبد الخالق بن الزين الزجاجي ، والشيخ عليه ، واستجاز منه ، واسند عنه مع تمكنه من علوم الآل وتاصّله انتهى على ما نقله السيد حامد حسين المعاصر في كتابه عبقات الانوار في إمامة الائمة الاطهار .

ومن شيوخه الشيخ عبد القادر بن علي البدري ، والشيخ محمد طاهر بن ابراهيم الكردي ، والشيخ سالم بن عبد الله البصري وغيرهم .

وتلمذ عليه ايضا خلق كثير منهم الشيخ عبد الخالق المزجاجي الـزبيدي وهو ايضا استاذه كما تقدم ، وايضا ولده السيد العلامة عبد الله بن محمد الامير وغيرهما .

له مصنفات جليلة ممتعة تنبيء عن سعة علمه وغزارة اطلاعه على العلوم النقلية والعقلية ، وكان ذا علم كبير ورياسة عالية ، وله في النظم اليد الطولى بلغ رتبة الاجتهاد المطلق ولم يقلد احدا من اهل المذاهب وصار اماما كاملا مكملا بنفسه ، وقد منّ الله تعالى عليّ باكثر مصنفاته وهي ازيد من ان تذكر .

منها سبل السلام شرح بلوغ المرام وهو عندي بخطولده السيد عبد الله وفيه خطه الشريف ايضا .

ومنها منحة الغفار حاشية ضوء النهار واسبال المطر على قصب السـكر ، وجمع التشتيت في شرح ابيات التثبيت ، وتوضيح الافكار في شرح تنقيح الانظار الى غير ذلك من الرسائل والمسائل التي لا تحصى ، وكلها فريدة في بابها خطيب في محرابها حج ، وزار واستفاد من علماء الحرمين الشريفـين وغيرهـم من فضلا الامصار فهو اكرم من ان يصفه مثلي ،وقفت له على قصائد بديعة ونظم رائق ، وكان له صولة في الصدع بالحق واتباع السنة وترك البدعة لم ير مثله في هذا الامر

وهو من مشائخي في سند الكتب الحديثية على ما صرحت به في سلسلة العسجد من ذكر مشائخ السند ، وقد ذكرت له ترجمة في كتابي اتحاف النبلاء ونقلها عنه السيد المعاصر حامد حسين في العبقات على تشيعه ، فلا نطول الكلام هٰهنا بذكر ذلك الاملاء .

توفي رحمه الله في سنة ١١٨٢ .

وخرج في زمانه الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي الذي تنسب اليه الطائفة الوهابية فتظم قصيدة في ذلك وارسلها اليه واثنى على طريقته ، ثم لما سمع انه يكفر اهل الارض ويسفك الدماء رجع عما كان قاله في قصيدته كما سيأتي ذلك مفصلا في ترجمة محمد بن عبد الوهاب ، وكان له رحمه الله اولاد صلحاء تقدم تراجمهم في هذا الكتاب ، وقد اثنى عليه ولده السيد عبد الله في اجازة كتبها للشيخ المحدث شيخنا عبد الحق بن فضل الله المحمدي الهندي المتوفى بمنى سنة الف ومائتين وثمان وثمانين الهجرية القدسية قال فيه :

سمع مني حصة من صحيح الامام البخاري وقد منّ الله عليّ بالمثول بين يدي ائمة السنة النبوية والسماع منهم للآثار والاحاديث المصطفوية .

منهم والدي وشيخي ناصر السنة مجدد المائة الحادية عشر رضي الله عنه الخ ، والشيخ عبد الحق المحمدي قد تلمذ على شيخ شيوخنا الشوكاني وكتب له اجازة بخطه الشريف يقول فيها :

اني اجزت للشيخ العلامة اي الفضل عبد الحق بن الشيخ العلامة محمد فضل الله المحمدي الهندي كثر الله تعالى بمنه وكرمه فوائده ونفع بمعارفه ما اشتمل عليه هذا الثبت الذي جمعته وسميته (اتحاف الاكابر باسناد الدفاتر) فليروعني ما اشتمل عليه من كتب الاسلام على اختلاف انواعها كما يراه فيه ، وهو اهل لما هنالك ، ولم اشترط عليه شرطا فهو اجل من ذلك وأعلى ، حرر يوم الجمعة بتاريخ ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٨ كتبه محمد بن علي الشوكاني انتهى .

وقد أتحفني شيخي عبد الحق بكتاب شيخه الشوكاني (اتحاف الاكابر باسناد الدفاتر) ولي اسانيد اخرى الى الشوكاني كما يلوح من (الحطة) (واتحاف النبلاء) (وسلسلة العسجد) ولله الحمد وله المنة .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن احمد بن راشد بن يزيد ابن محمد بن يزيد بن مشرف صاحب نجد الذي تنسب اليه الطائفة الوهابية ، وهذا هو المعروف من نسبه ، ويذكر انه من مضر ثم بني تميم .

ولد سنة ١١١٥ بالعينية من بلاد نجد ونشأ بها وقرأ القرآن وسمع الحديث .

اخذ عن ابيه وهم بيت فقه حنابلة ، ثم حج وقصد المدينة المنورة ولقي بها شيخاً عالما من اهل نجد اسمه عبد الله بن ابراهيم قد لقي ابا المواهب البعلي الدمشقي واخذ عنه ، ثم انتقل مع ابيه الى جُرَيْمِلْ قرية من نجد ايضا ، ولما مات ابوه رجع الى العينية واراد نشر الدعوة فرضي اهلها بذلك ، ثم خرج عنها بسبب الى الدرعية واطاعه اميرها محمد بن سعود من آل مقرن ، يذكر انهم من بني حنيفة ، ثم من ربيعة ، وهذا في حدود سنة ١٢٠٦ .

وانتشرت دعوته في نجد وشرق بلاد العرب الى عمان ، ولم يخرَج عنها الى الحجاز واليمن الا في حدود المائتين والالف وتوفي سنة ١٢٠٩ .

قال الشيخ الامام العلامة محمد بن ناصر الحازمي الآخذ عن شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني ، هو رجل عالم متبع الغالب عليه في نفسه الاتباع ورسائله معروفة وفيها المقبول والمردود واشهر ما ينكر عليه خصلتان كبيرتان :

الاولى : تكفير اهل الارض بمجرد تلفيقات لا دليل عليها ،وقد انصف

السيد الفاضل العلامة داود بن سليمان في الرد [1] عليه في ذلك .

الثانية : التجاري على سفك الدم المعصوم بلا حجة ولا اقامة برهان ، وتتبع هذه جزئيات ذكر السيد المذكور بعضها وترك كثيرا منها وهي حقيرة تغتفر مع صلاح الاصل وصحته انتهى .

وللعلامة الفاضل حسين بن غنام اليمني قصيدة بديعة ردّ فيها على محمد بن فيروز في قصيدة لم يكفر فيها اهل نجد ويحث الناس على قتالهم فأجاب عليه بالقصيدة المذكورة اولها :

عروسٌ هوى ممقوتة زارت الشطا ... على وجهها الموسوم بالشؤم قد خطًّا

وللامام العلامة عبد الله بن عيسى بن محمد الصنعاني كتاب سماه السيف الهندي في ابانة طريقة الشيخ النجدي الفه في سنة ١٢١٨ سنة قال فيه .

كان مبتدأ امره في بضع وستين ومائة ولف خرج محمد بن عبد الوهاب الحنبلي فنزل بمحلة الشيخ عبد العزيز النجدي ، وكان اهل تلك المحلة قوم اعراب مضيعين لاركان الاسلام وهؤلاء اهل اليمامة ، فلما حل الشيخ محمد المذكور ما زال يدعوهم الى التوحيد ويعلمهم الشرائع من الصلوة والصيام وغير ذلك ، والشيخ عبد العزيز بن محمد النجدي اول من تابعه واسلم على يديه .

ثم لما تم للشيخ ابن عبد الوهاب ما اراد في تلك القرى المجاورة للدرعية وهي قرية الشيخ عبد العزيز واجتمع على الاسلام معه عصابة قوية صاروا

---

(١) قلت للسيد داود بن سليمان رسالة سماها صلح الاخوان في الرد على من قال على المسلمين بالشك والكفران وهي في معرض الرد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان وتلامذته وأتباعه من اهل نجد والعروض وعمان وفي جوابها رسالة من الشيخ الامام محمد بن ناصر الحازمي سماه فتح المنان في ترجيح الراجح وتزييف الزائف من صلح الاخوان قبل فيها ما صح دليله ورد ما عمى سبيله وهي عند سيدي الوالد بخطه الشريف سيد نور الحسن خان سلمه ربه .

يدعون من حولهم من القرى بالرغبة والرهبة ويقاتلون من حولهم من الاعراب .

ثم لما تمكن في قلوبهم الاسلام وهم عرب اغنام ، قرر لهم ان ان دعا غير الله او توسل بنبي او ملك او عالم فانه مشرك شاء او ابى اعتقد ذلك ام لا .

وتعدى ذلك الى تكفير جمهور المسلمين وقد قاتلهم بهذ الوجه الذي ابداه ، وقد وقفت على رسالة لهم في هذا الشان وقد كان المولى العلامة السيد محمد بن اسمعيل الامير بلغة من احوال هذا النجدي ما سرّه فقال قصيدته المشهورة :

سلام على نجـد ومـن حل في نجد وان كان تسليمي على البعد لا يجدي

ثم لما تحقق الاحوال من بعض من وصل الى اليمن وجد الامر غير صاف عن الادغال وقال :

رجعـت عن القـول الـذي قلـت في النجد

فقد صحّ لي عنه خلاف الذي عندي

ونقلت من خط العلامة وجيه الاسلام عبد القادر بن احمد بن الناصر ما صورته في ذي القعدة سنة ١١٧٠ سنة وصل الينا الشيخ الفاضل مِرْبَد بن احمد بن عمر التميمي النجدي الجريملي نسبة الى جريمل بلد قرب سدوس اول بلاد اليمامة من جهة الغرب ، وكان وصوله الى اليمن لطلب تحقيق مسئلة جرت بينه وبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تكفير من دَعَا الاولياء والشيخ يكفر من فعل ذلك ومن شك في كفره ويجاهد من خالفه ، وكان سبب وصوله الى اليمن انه سمع قصيدة لشيخنا السيد العلامة محمد بن اسمعيل الامير كتبها الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وللشيخ مربد عليها جواب صغير ولم يكن يتعاطى فيها الشعر قط ، فهذا كلام امامي ذلك الزمان في تحقيق مذهب الشيخ محمـد بن عبـد الوهـاب النجدي من قبل ان يولد اكثر هذه الطبقة التي نحن فيها انتهى حاصله .

ثم رد في هذه الرسالة عليه بعض عقائده ومسائله :

وأما السيد العلامة محمد بن اسمعيل الامير فعبارته في شرح قصيدة مذكورة له الموسوم (بمحو الحوبة في شرح ابيات التوبة) لما بلغت هذه الأبيات نجداً يعني القصيدة الاولى وصل الينا بعد أعوام من بلوغها رجل عالم يسمى الشيخ مربد بن احمد التميمي وكان وصوله في شهر صفر سنة ١١٧٠ واقام لدينا ثمانية اشهر ، وحصّل بعض كتب شيخ الاسلام ابن تيمية والحافظ ابن القيم بخطه ، وفارقنا في عشرين من شوال ١١٢٠ راجعا الى وطنه ، وكان من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي وجهنا اليه الأبيات فاخبرنا ببلوغها ولم يأت بجواب عنها ، وكان قد تقدمه في الوصول الينا بعد بلوغها الشيخ الفاضل عبد الرحمن النجدي ووصف لنا من حال ابن عبد الوهاب اشياء انكر ما عليه ، من سفك الدماء ونهبه الاموال وتجاربه على قتل النفوس ولو بالاغتيال ، وتكفيره الامة المحمدية في جميع الاقطار ، فبقي معنا تردد فيما نقله الشيخ عبد الرحمن حتى وصل الشيخ مربد ، وله نباهة ، ووصل ببعض رسائل ابن عبد الوهاب التي جمعها في وجه تكفير اهل الايمان وقتهلم ونهبهم وحقق لنا احواله وافعاله واقواله ، فرأينا احواله احوال رجل عرف من الشريعة شطرا ، ولم يمعن النظر ، ولا قرأ على من يهديه نهج الهداية وبدله على العلوم النافعة ، ويفقهه فيها ، بل طالع بعضا من مؤلفات الشيخ ابي العباس ابن تيمية ومؤلفات تلميذه ابن القيم الجوزية وقلدهما من غير اتقان ، مع انهما يحرمان التقليد .

ولما حقق لنا احواله ورأينا في الرسائل اقواله وذكر لي انه انما عظم شأنه بوصول الأبيات التي وجهناها اليه وانه يتعين علينا نقض ما قدمناه وحل ما ابرمناه ، وكانت هذه الأبيات قد طارت كل مطار وبلغت غالب الاقطار وأتتنا فيها جوابات من مكة المشرفة ومن البصرة وغيرهما ، الا انها جوابات خالية عن الانصاف ، ولما اخذنا علينا الشيخ مربد ذلك تعين علينا لئلا نكون سببا في شيء من هذه الأمور التي ارتكبها ابن عبد الوهاب المذكور ، كتبت ابياتا وشرحتها

واكثرت من النقل عن ابن القيم وشيخه، لانهما عمدة الحنابلة انتهى كلام السيد رحمه الله تعالى .

وقد وقفت على هذا الشرح وهو عندي موجود ألفه السيد المؤلف في سنة ١١٧٠ ، ثم وقفت لهذا العهد على كتاب رد المحتار وحاشية الدر المختار للسيد محمد امين بن عمر المعروف بابن العابدين بمصر حالا وكان في سنة ١٢٤٩ ما لفظه ، كما وقع في زماننا في اتباع عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة ، لكنهم اعتقدوا انهم هم المسلمون وان من خالف اعتقادهم مشركون ، واستباحوا بذلك قتل اهل السنة وقتل علمائهم ، حتى كسر الله شوكتهم وخرّب بلادهم ، وظفر بهم عساكر المسلمين عام ثلٰث وثلٰثين مائتين والف انتهى .

هذا وقد وقفت على رسائل للشيخ محمد بن عبد الوهاب منها كتاب (النبذة في معرفة الدين الذي معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة والجهل به واضاعته سبب لدخول النار) وكتاب التوحيد المشتمل على مسائل من هذا الباب اوله قول الله عز وجل مَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونَ ، وليس لهذا الكتاب ديباجة يذكر فيه الآيات والأحاديث ثم يقول فيه : مسائل وكتاب في مسائل خالف فيها رسول الله ﷺ ما عليه اهل الجاهلية من اهل الكتاب وغيرهم وهو مختصر في نحو كراسة .

وكتاب كشف الشبهات في بيان التوحيد وما يخالفه والرد على المشركين .

ورسالة اربع قواعد من قواعد الدين في نحو ورقة وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وكتاب في تفسير شهادة ان لا اله الا الله .

وكتاب تفسير سورة الفاتحة .

ورسالة في معرفة العبد ربه ودينه ونبيه .

ورسالة في بيان التوجه في الصلوٰة ورسالة في معنى الكلمة الطيبة ايضا .
ورسالة في تحريم التقليد .

وهذا جل ما وقفت عليه من تواليفه الى الآن وفيها ما يقبل ويرد ، وعلى كتابه التوحيد شرح مبسوط مفيد للشيخ العالم العلامة مفتي الديار النجدية عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب حفيد المؤلف سَمّاه فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد ولقبه قرة عين الموحدين في تحقيق دعوة المرسلين .

ذكر فيه انه تصدى لشرحه حفيده الشيخ سليمان بن عبد الله فوضع عليه شرحا اجاد فيه وأفاد وابرز فيه من البيان ما يجب ان يطلب منه ، ويراد وسماه (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد) ولما قرأت شرحه رأيته اطنَبَ في مواضع وفي بعضها تكرار يستغني بالبعض منه عن الكل ولم يكمله ، فاخذت في تهذيبه وتقريبه وتكميله ، وربما ادخلت فيه بعض النقول المستحسنة تتميا للفائدة وسميته (فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد) ولاتباعه ايضا رسائل منها :

(الرسالة الدينية في معنى الإلهية) للشيخ عبد العزيز بن محمد بن سعود قال فيها : من عبد العزيز الى من يراه من العلماء والقضاة في الحرمين الشريفين والشام ومصر والعراق وسائر علماء الغرب الشرق سلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد الخ .

ولما اراد الثويني وهو رئيس بدوان العراق ان يقدم على سعود بن عبد العزيز المذكور وقدم عليه في جيش عظيم فتلقاه رجل يقال له طعيس فقتله واغار سعود على جيشه فاخذهم وغنمهم فقال الشيخ العلامة حسين بن غنام يهنيه بذلك :

تلألأ نور الحق وانصدع الفجر　　وديجور ليل الشرك مزقه الظهر
وشمس الأماني اشرقت في سعودها　　ولاح بأفق السعد نجمه الزهر

وهي قصيدة طويلة حسنة الفها في سنة ١٢١٧ ثم وقفت بعد ذلك كله في

سنة ١٢٨٥حين السفر الى الحرمين الشريفين على رسالة للشيخ العالم عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب إمام الوهابية ذكر فيها ما لفظه :

وبعد فانا معاشر موحدون لما منّ الله علينا وله الحمد بدخول مكة المشرفة نصف النهار يوم السبت ثامن شهر المحرم سنة ١٢١٨ بعد ان طلب اشراف مكة وعلماؤها وكافة العامة من امير الغزو سعود حماه الله ، وقد كان امراء الحج وامير مكة على القتال والاقامة في الحرم ليصدوه عن البيت ، فلما زحفت اجناد الموحدين ألقى الله الرعب في قلوبهم فتفرقوا شذر مذر كل واحد يعد الاياب غنيمة ، وبذل الامير ح ِ الامان لمن بالحرم الشريف ودخلنا بالتلبية آمنين محلقين رؤ وسنا ومقصرين غير خائفين من احد من المخلوقين بل من مالك يوم الدين ، الى قوله ، ولما تمت عمرتنا جمعنا الناس ضحوة الاحد وعرض الامير عافاه الله على العلماء ما نطلب من الناس ونقاتلهم عليه ، قال ثم دفعت اليهم الرسائل المؤلفة للشيخ محمد في التوحيد واختصر من ذلك رسالة للعوام انتهى .

وفي هذه الرسالة انكر كثيرا مما ينسب اليه من المسائل والاقوال المخالفة لصحاح الكتب ، وللشيخ المحدث العلامة محمد بن ناصر الحازمي رسالة في المشاجرة مع اهل مكة المشرفة في المسائل التي اختلف فيها الوهابية وغيرهم ، انصف في هذه الرسالة غاية الإنصاف واتى بما يقضي منه العجب العجاب ، وله رحمه الله تعالى رسالة اخرى في اثبات الصفات قال في مطاويها قد بينا فيما تقدم عقيدة شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب وان عقيدته وعقيدة اتباعه هي عقيدة السلف الماضيين من الصحابة والتابعين وسائر ائمة الدين انتهى .

وقال فيها في موضع آخر ان هذا الاعتقاد الذي حكيناه عن محمد بن عبد الوهاب واتباعه يعني في آيات الصفات واجرائها على الظاهر هو الاعتقاد والحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وكلام الصحابة وسائر الأمة الى آخر ما ذكره .

وبالجملة فالشيخ محمد بن عبد الوهاب ممن اختلف فيه اعتقاد الناس .

فمنهم من اثنى عليه في كل ما قاله ووضعه ونشره ودعا اليه وقاتل عليه وانتصر له وافتخر بالانتساب اليه والى طريقته .

ومنهم من ساء الظن به كل الظن ورد عليه كل نقير وقطمير اختاره وذهب اليه وكفره وبدعه .

ومنهم من سلك سبيل الانصاف وترك خشية الله تعالى القول باعتساف ، فقبل من اقواله ما كان صوابا وردّ ما خالف منها سنة وكتابا ، ولعمري هذا هو الطريق السوي والصراط المستوي وهو الذي درج عليه ائمة الأمة وسلفها عند اختلاف الناس وتنازعهم في الدين ، وقضوا بذلك وبه كانوا يعدلون بين المسلمين ، ومن حاد عن طريقهم وشذ عن فريقهم فهو على شفا حفرة من النار ، ولا عبرة بالعامة بل ولا بالخاصة في نصرة من احبّوه وحط من ابغضوه لأن ذلك دأب اكثر الناس في غالب الامصار والاعصار الا من عصمه الله ووفقه للنصفة والاعتبار والله اعلم بالصواب .

محمد بن علي بن محمد الشوكاني شيخنا الامام العلامة الرباني والسهيل الطالع من القطر اليماني امام الائمة ، ومفتي الامة بحر العلوم وشمس الفهوم سند المجتهدين الحفاظ ، فارس المعاني والألفاظ ، فريد العصر نادر الدهر ، شيخ الاسلام قدوة الانام ، علامة الزمان ، ترجمان الحديث والقرآن ، علم الزهاد اوحد العباد ، قامع المبتدعين ، آخر المجتهدين ، رأس الموحدين ، تاج المتبعين ، صاحب التصانيف التي لم يسبق الى مثلها قاضي الجماعة شيخ الرواية والسماعة ، عالي الاسناد ، السابق في ميدان الاجتهاد على الأكابر الأمجاد ، المطلع على حقائق الشريعة ومموارها ، العارف بغوامضها ومقاصدها .

قال القاضي العلامة عبد الرحمن بن احمد البهكلي في كتاهب (نفح العود في ايام الشريف حمود) كان مولد شيخنا الشوكاني يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذي قعدة الحرام سنة اثنتين وسبعين بعد مائة ، والف كما اخبرني بذلك في بلده

هجرة شوكان ونشأ على العفاف والطهارة وما زال يجمع النشأ ويحرز المكرمات ، له قراءة على والده ولازم إمـام الفروع في زمانه القاضي احمد بن محمد الحرازي وانتفع به في الفقه .

واخذ النحو والصرف عن السيد العلامة اسمعيل بن حسن والعلامة عبد الله بن اسمعيل النهمي والعلامة القاسم بن محمد الخولاني ، واخذ علم البيان والمنطق والاصلين عن العلامة حسن بن محمد المغربي والعلامـة علي بن هادي عرهب ، ولازم في كثير من العلوم مجدد زمانه السيد عبد القادر بن احمد الحسني الكوكباني .

واخذ في علم الحديث عن الحافظ علي بن ابراهيم بن عامر وغير ذلك من المشائخ في جميع العلوم العقلية والنقلية حتى احرز جميع المعارف ، واتفـق على تحقيقه المخالف والموالف ، وصار مشار اليه في علوم الاجتهاد بالبنان ، والمجلي في معرفة غوامض الشريعة عند الرهان ، له المؤلفات في اغلب العلوم .

ومنها : كتاب نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار لجَدّ ابن تيمية رحمه الله في اربع مجلدات كبار لم تكتحل عين الزمان بمثله في التحقيق ، اعطى فيه المسائل حقها في كل بحث على طريق الانصاف وعدم التقيد بمذهب الاسـلاف ، وتناقلـه عنـه مشائخه فمن دونهم .وطار في الآفاق في حياته وقرىء عليه مراراً وانتفع به العلماء وكان يقول : انه لم يرض عن شيء من مؤلفاته سواه ، لما هو عليه من التحرير البليغ ، وكان تأليفه في أيام مشائخه فنبهوه على مواضع منه حتى تحرر .

وله التفسير الكبير المسمى فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير ، وقد سبقه الى التأليف في الجمع بين الرواية والدراية العلامة محمد بن يحيى بن بهران فله تفسير في ذلك عظيم لكن تفسير شيخنا ابسط واجمع واحسن ترتيبا وترصيفا ، وقد ذكر الحافظ السيوطي في الاتقان انه جعله مقدمـة لتفسـير جامع للدراية والرواية سماه مطلع البدرين ومجمع البحرين .

وله مختصر في الفقه على مقتضى الدليل سماه الدرر البهية وشرحه شرحا نافعا سماه الدراري المضيئة اورد فيه الادلة التي بنى عليها ذلك المؤلف .

وله : وبل الغمام حاشية على شفاء الاوام للامير حسين بن محمد الامام .

وله : در السحابة في مناقب القرابة والصحابة .

وله : الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة .

وله : ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول يعز نظيره وترصيفه وحسن ترتيبه وتصنيفه .

وله : السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار كان تأليفه في آخر مدته ولم يؤلف بعده شيئا فيما اعلم ، وقد تكلم فيه على عيون من المسائل وصحح من المشروع ما هو مقيد بالدلائل ، وزيف ما لم يكن عليه دليل ، وحسَّن العبارة في الرد والتعليل .

والسبب في ذلك انه نشأ في زمنه جماعة من المقلدة الجامدين على التعصب في الأصول والفروع ولم تزل المصاولة والمقاولة بينه وبينهم دائرة ولم يزالوا يندون عليه في المباحث من غير حجة ، فجعل كلامه في ذلك الشرح في الحقيقة موجها اليهم في التنفير عن التقليد المذموم ، وايقاظهم الى النظر في الدليل ، لأنه يرى تحريم التقليد وقد الف في ذلك رسالة سماها (القول المفيد في حكم التقليد) وقد تحاماه لما حواه جماعة من علماء الوقت ، وارسل اليه اهل جهته بسببه سهام اللوم والمقت ، وثارت من اجل ذلك فتنة في صنعا بين من هو مقلد وبين من هو مقتد بالدليل ، توهما من المقلدين انه ما اراد الا هدم مذهب اهل البيت لأن الازهار هو عمدتهم في هذه الأعصار وعليه في عبادتهم والمعاملة المدار ، وحاشاه من التعصب على من اوجب الله تعالى محبتهم وجعل اجر نبينا ﷺ في تبليغ الرسالة مودتهم ، لأن له الولاء التام لهم ، وقد نشر محاسنهم في مؤلفه (در السحابة) بما لم تخالج بعده ريبة لمرتاب ، على ان كلامه مع الجميع من اهل

المذاهب سواء بسواء ، لأن المأخذ واحد والرد واحد والخطب يسير ، والخلاف في المسائل العلمية الظنية سهل ، لأنها مطارح انظاره والاجتهاد يدخلها والمصيب من المجتهدين في ذلك له اجران والمخطي له اجر ، وهذا شأن اهل العلم في كل زمان ومكان ما بين راد ومردود عليه ، وكل مأخوذ من قوله ومتروك الا صاحب العصمة عليه افضل الصلوٰة والتسليم ، ومن طالع الكتب الاسلامية في الفروع والاصول على اختلاف انواعها عرف ذلك وهان عليه سلوك هذه المسالك ، ومن وزن الأمور بالانصاف لا تخفى عليه الحقيقة ، ومن جمد على التقليد وضاق عطنه عن مدارك الاستدلال فما له والاعتراض على المجتهدين ، ولا ينبغي ان يضائق المجتهد في اجتهاده لاجل توقفه في موقفه الذي هو التقليد وقد تفضل الله عليه بالاجتهاد والتقليد لا يجوز الا لغير المجتهد ، والاجتهاد غير متعذر ، ومن اعترض على المجتهد فيما ادى اليه اجتهاده فقد تحجر الواسع وجرى على خلاف نهج السلف من اهل العلم .

نعم انا قد حبّرت مقاصد السيل الجرار في مؤلف سميته (نزهة الابصار) وهو وافٍ بالمقصود من ايراد تلك الادلة من غير تعرض لما يقع به بسط الالسنة من الناس وللمترجم له تاريخ حافل سماه البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن التاسع جرى فيه من ذلك الوقت الى زمانه .

وابتدأ فيه بذكر عابد اليمن ابراهيم الولي المشهور ، وله جملة رسائل من مطولات ومختصرات وقد جمعت فتاواه ورسائله فجاءت في مجلدان وسماها ابنه العلامة علي بن محمد (بالفتح الرباني) وله في الادب اليد الطولى ، وله اشعار كثيرة مدونة قد رتبها ابنه المذكور على حروف المعجم فجاءت في ديوان ، وقد اخذت عنه في كثير من الفنون العلمية ؛ واخذت عنه غالب مؤلفاته وبموته طفىء على اهل اليمن مصباحهم المنير ولا اظن يرون مثله في تحقيقه للعلوم والتحرير ، وقد جرت بيني وبينه مكاتبة ادبية ومراسلة لمسائل علمية هي عندي مثبتة بخطه .

وعلى الجملة فما رأى مثل نفسه ولا رأى من رأى مثله علما وورعا وقياما بالحق بقوة جنان وسلاطة لسان .

وقد افرد ترجمته تلميذه الأديب محمد بن حسن الجني الذفاري بمؤلف قصره على ذكر مشائخه وتلامذته وسيرته وما انطوت عليه شمائله وما قاله من شعر وما قيل فيه جاء في مجلد ضخم .

وكانت وفاته في شهر جمادى الآخرة في سنة خمسين بعد المائتين والألف ، وقد كان توفي قبله بمدة يسيرة ابنه العلامة علي بن محمد وهو احد محققي العلماء وممن لازم والده في جميع المعارف حتى بلغ ذروة العلوم تحقيقا وتدقيقا ، وقد شاركته في الاخذ على والد في كثير من مقرواته ، وقد كنت قلت في والده مراثي لولا الاطالة لذكرتها انتهى كلامه رحمه الله تعالى بلفظه ومعناه مع التلخيص .

قلت ووجدت على ظهر كتابه الدراري المضيّة ان مولده رضي الله عنه كان عام سبع وسبعين ومائة والف ، وقلد ولاية القضاء من جهة الامام المنصور بالله علي بن العباس في اوائل شهر شعبان سنة ١٢٢٩ ، وتوفاه الله تعالى يوم الاربعاء في السادس والعشرين من جمادى الآخرة من شهور سنة ١٢٥٠ ، وكان بين وفاته ووفاة ولده علي بن محمد نحو شهر ، وكان قد توفاه الله قبله ولم يظهر والده جزعا ولا حزنا وكان ولدا صالحا عالما مبرزا في جميع العلوم ، وكان نادرة وقته على صغر سنه قيل انه توفي وهو في حدود العشرين رحم الله الجميع برحمته ، ثُمَّ ذكر له تصانيف عددها ثلثة وخمسون كتابا سماها باسمائها .

قال السيّد الجليل العلامة عبد الرحمن بن سليمن بن يحيى بن عمر مقبول الأهدل رحمه الله في كتابه المسمى (بالنفس اليماني والروح الريحاني في اجازة القضاة بني الشوكاني) ما عبارته .

وممن تخرج بسيدي الامام عبد القادر بن احمد الحسني إمام عصرنا في سائر العلوم وخطيب دهرنا في ايضاح دقائق المنطوق والمفهوم الحافظ المسند الحجة

الهادي في إيضاح السنن النبوية الى المحجة عز الاسلام محمد بن علي الشوكاني بلغه الله في الدارين اقصى الاماني :

ان هز أقلامه يوما ليعلمها انساك كل كمى هز عامله
وان اقر على رق انامله اقر بالرق كتّاب الانام له

ولقد منح رب العالمين من بحر فضله الواسع هذا القاضي الامام ثلٰثة امور لا اعلم انها في هذا الزمان الاخير جمعت لغيره .

الأول : سعة التبحر في العلوم على اختلاف اجناسها وانواعها واصنافها .

الثاني : سعة التلاميذ المحققين والنبلاء المدققين اولي الافهام الخارقة والفضائل الفائقة الحقيق ان ينشد عند حضور جمعهم الغفير ومشاهدة غوصهم على جواهر المعاني التي استخراجها من بحر الحقائق غير يسير :

اني اذا حضرتني الف محبرة تقول اخبرني هذا وحدثني
صاحت بعقوتها الاقلام ناطقة هذي المكارم لا قعبان من لبن

الثالث : سعة التأليف المحررة والرسائل والجوابات المحبرة التي تسامى في كثرتها الجهابذة الفحول وبلغ من تنقيحها وتحقيقها كل غاية وسول ، وقد ذكر لي بعض المعتمدين مؤلفاته الحاصلة الآن مائة وأربعة عشر مؤلفا عدد سور كتاب الله تعالى قد شاعت في الأمصار الشاسعة فضلا عن القريبة ووقع بها غاية الانتفاع والله عز وجل المسئول ان يبارك للاسلام والمسلمين في اوقاته وان يمتع بحياته آمين ثم آمين :

كلنا عالم بانك فينا نعمة ساعدت بها الاقدار
فوقت نفسك النفوس من البشر وزيدت في عمرك الأعمار

وقد اعتنى بشرح مناقبه وفضائله عدة من العلماء الاعلام والجهابذة الفخام منهم : السيد العلامة ابراهيم بن عبد الله الحوثي .

ومنهم بعض علماء كوكبان عظماء القدر كبراء الشأن .

ومنهم السيد العلامة محمد بن محمد الدئلمي .

منهم القاضي العلامة محمد بن حسن الجني الذماري في كتاب حافل سماه التقصار في جيد زمن علامة الامصار .

ومنهم والحبر العلامة والبحر الفهامة لطف الله جحاف وبالجملة فمحل القول في هذا الامام ذو سعة فان وجدت لسانا قائلا فقل :

زد في العلا مهما تشا رفعة — وليصنع الحاسد ما يصنع
فالدهر نحوي كما ينبغي — يدري الذي يخفض او يرفع

والله المسئول ان يزيده مما اولاه ان يصلح لكل منا آخره وأولاه فضلا من رب العالمين وكرمنا منه سبحانه اللهم آمين انتهى كلامه رحمه الله وللمترجم له كتاب اتحاف الاكابر باسناد الدفاتر ذكر فيه مشائخه الاعلام واسماء كتبه المقروءة والمسموعة ومروياته على التمام ، فمن شاء الزيادة فعليه بالكتاب المذكور فان النظر فيه يقضي العجب العجاب ، وهذا الذي ذكرناه في هذا الكتاب قطرة من بحر فضائله التي لا تحصى وذرة من وادي فواضله التي لا تستقصى ، تشهد بذلك مؤلفاته وتنطق به مصنفاته ، والله يختص برحمته من يشاء وَهُوَ الذاب عن شريعة الاسلام باللسان والقلم ، والمناضل عن الدين النبوي ، وكم ابدى الحِكَم ولا عبرة بمن يرميه بما ليس فيه او ينسبه بمجرد الهوى لقول غير وجيه فلم يضره قول الطاعن عن الحاسد والباغي الجاحد :

وما ضر نور الشمس ان كان ناظرا — اليها عيون لم تزل دهرها عميا

غير ان الحسد يحمل صاحبه على اتباع هواه وان يتكلم فيمن يحسد هو بما يلقاه وما احقه بقول القائل :

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا علمه — فالقوم اعداء له وخصوم

فالله تعالى هو المسئول ان يقينا شرور نفوسنا وحصائد ألسنتنا بمنه وفضله وقد روي عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه انه قال كان الناس ورقاً لا شوك فيه فصاروا اليوم شوكا لا ورق فيه فهذا زمان ابي ذر فما ذاك من زماننا وباشراره :

ان يسمعوا الخير اخفوه وان سمعوا   شراً اذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا

فالمناسب جمع الخاطر عن علماء الوقت ورفع الهمة عنهم ، والقناعة بمن مضى من علماء السنة المطهرة واقتصار النظر في كتبهم المحققة ، هذا وله رحمه الله تعالى مؤلفات مفيدة في فنون عديدة والتي وقفت عليها وهي عندي موجودة ايضا كثيرة جدا غير ما ذكر .

منها : كتاب آداب الطلب ومنتهى الادب .

والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة .

واتحاف الأكابر باسناد الدفاتر .

وتحفة الذاكرين شرح عدة الحصن الحصين .

وارشاد الثقات الى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات رداً على موسى بن ميمون الاندلسي اليهودي في ظاهر المستند والزنديق في باطن المعتقد .

والطود المنيف في الانتصاف للسعد على الشريف في المسئلة المشهورة التي تنازعا فيها بين يدي تيمور لنك .

وشفاء العلل في زيادة الثمن لمجرد الاجل .

وشرح الصدور في تحريم رفع القبول .

وطيب النشر في المسائل العشر جواب على القاضي عبد الرحمٰن .

ورسالة اجاب بها على الشريف ابراهيم بن احمد بن اسحٰق .

ومنها الصوارم الهندية المسلولة على الرياض الندية لإبطال قول من اوجب غسل الفرجين .

ورسالة في اختلاف العلماء في تقدير النعاس .

ورسالة في الرد على القائل بوجوب التحية .

والقول الصادق في حكم الامام الفاسق .

ورسالة في حد السفر الذي يجب معه قصر الصلوة .

وله تشنيف السمع بابطال ادلة الجمع .

والرسالة المكملة في ادلة البسملة .

واطلاع ارباب الكمال على ما في رسالة الجلال في الهلال من الاختلال .

ومنها رسالة في الطلاق البدعي يقع ام لا .

ورسالة الطلاق لا يتبع الطلاق .

ورسالة في ارضاع الكبير هل يقتضي التحريم ام لا .

ورسالة تنبيه ذوي الحجج على حكم بيع الرجا .

ورسالة القول المحرر في لبس المعصفر وسائر انواع الاحمر .

وعقود الزبرجد في جيد مسائلا علامة ضمد .

ورسالة ابطال دعوى الاجماع على تحريم السماع .

ورسالة زهر النسرين في حديث المعمرين الفائح بفضائل العمرين .

واتحاف المهرة في الكلام على حديث : لا عدوى ولا طيرة .

وعقود الجمان في بيان حدود البلدان .

واخرى سماها ارشاد الاعيان الى تصحيح ما في عقود الجمان ردّا على السيد العلامة حسين بن يحيى الدئلمي .

ورسالة حل الاشكال في اجياد اليهود على التقاط الأزبال ، واخرى ردّا على مناقضها السيد العلامة عبد الله بن عيسى بن محمد الكوكباني التي سماها ارسال المقال على ازالة حل الاشكال فرد شيخ الاسلام على تعقبه .

بتفويق النبال الى ارشاد المقال .

ورسالة البغية في مسئلة الرؤية .

والتشكيك على التفكيك .

وارشاد الغبي الى مذهب اهل البيت في صحب النبي .

ورسالة رفع الجناح عن نافي المباح هل هو مأمور به ام لا .

والعقد الثمين في اثبات وصاية امير المؤمنين .

والقول المقبول في رد خبر المجهول من غير صحابة الرسول .

وجواب السائل في جواب والقمر قدرناه منازل وامنية المتشوق الى معرفة حكم المنطق .

وارشاد المستفيذ الى دفع كلام ابن دقيق العيد في الاطلاق والتقييد .

والبحث المِلِم المتعلق بقوله تعالى الا من ظُلِم .

والبحث المسفر عن تحريم كل مسكر .

وله الدواء العاجل لدفع العدو الصائل .

ورسالة عجيبة في رفع المظالم والمآثم .

والدرر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد .

ورسالة في وجوب التوحيد .

والمقالة الفاخرة في اتفاق الشرائع على الدار الآخرة .

ونزهة الاحداق في علم الاشتقاق .

ورفع الريبة فيما يجوز ولا يجوز من الغيبة .

وتحرير الدلائل على مقدار ما يجوز بين الامام والمؤتم من الارتفاع والانخفاض والبعد والحائل .

وكشف الاستار عن حكم الشفعة بالجوار .

واشراق النيرين في بيان الحكم اذا تخلف عن الوعد احد الخصمين .

ورسالة التسعير .

وكتاب نثر الجوهر في شرح حديث ابى ذر .

ورسالة في التحلي بالذهب للرجال .

ورسالة منحة المنان في اجرة القاضي والسجان .

ورسالة في مسائل العول .

ورسالة تنبيه الامثال على عدم جواز الاستعانة من خالص المال .

ورسالة في الاتصال بالسلاطين .

وقطر الولي في معرفة الولي .

والتوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح .

ورسالة جيد النقد في عبارة الكشاف والسعد .

وبغية المستفيد في الرد على من انكر الاجتهاد من اهل التقليد .

والروض الوسيع في الدليل المنيع على عدم انحصار علم البديع .

وفتح الخلاق في جواب مسائل عبد الرزاق الى غير ذلك .

واما الابحاث التي اشتمل عليها كتابه الفتح الرباني وغيره فهي كثيرة جداً لا يسعها هذا المقام.

وكل بحث منها كالرسالة في بابه وقد وقفت على اكثرها بحمد الله تعالى وانتفعت به نفعا عظيما صلح به قلبي وجسدي وبالله التوفيق وهو المستعان .

الشيخ العلامة القاضي حسين بن محسن بن محمد بن مهدي بن محمد بن ابي بكر بن محمد بن احمد بن عثمان بن محمد بن عمر بن محمد بن حسين بن ابراهيم بن ادريس بن تقي الدين بن سبيع بن عامر بن غبشة بن ثعلبة بن غبشة بن عوف بن مالك بن عمر بن كعب بن الخزرج بن قيس بن سعد بن عبادة بن دلهم بن حارثة بن خزام بن خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة الخزرجي الانصاري ، كانت ولادة شيخنا الحسين في شهر جمادى الاولى سنة ١٢٤٥ ، ولما بلغ ثلث عشرة سنة من العمر توجه الى قرية المراوعة لتحصيل طلب العلم على يد شيخه ومربيه شرف الاسلام وحسنة الليالي والايام ذي المنهج

الاعدل السيد حسن بن عبد الباري الاهدل ، فأقام بها ثمان سنين مشتغلا بالطلب في التفسير والحديث والنحو والفقه على شيخه الموصوف وحصلت له منه الاجازة والاسناد كما ذلك معروف ومشهور ، واخذ ايضا على أخيه وشقيقه الكبير القاضي العلامة محمد بن محسن الانصاري فقرأ عليه صحيح البخاري قراءة بحث وتحقيق من أوله الى آخره ، وفي كثير من علوم الحديث والفقه والفرائض وغيرها ، والشيخ محمد بن محسن المذكور من الآخذين على شيخه السيد حسن ابن عبد الباري ايضا ، وحصلت للشيخ حسين المذكور والاجازة العامة وايضا الملاقات بشيخه القاضي العلامة احمد بن محمد بن علي الشوكاني في بندر الحديدة واجازه اجازة عامة بجميع مروياته وسموحاته ، وبشيخه الامام العلامة الشريف محمد بن ناصر الحازمي بمكة المشرفة في سنوات عديدة وقرأ عليه الامهات الست قراءة بحث وتحقيق ومسند الدارمي واوائل الشيخ محمد سعيد سنبل المدني وشمائل الامام الترمذي واجازه بجميع مروياته ومسموعاته اجازة عامة كما هي موجودة بخطه الشريف .

ورحل الى مدينة بيدر واخذ بها على شيخه السيد العلامة نفيس الدين سليمان بن محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن يحيى بن عمر مقبول الاهدل مفتى مدينة زبيد حالا عافاه الله تعالى وقرأ عليه أوائل الامهات وحصل له الاجازة منه بجميع مروياته ومسموعاته كما هي موجودة بخطه الشريف .

هذا والشيخ حسين بن محسن شيخنا في العلوم الحديثية اخذت عليه اكثر الامهات الست وغيرها واجازني بها اجازة عامة تامة كما هي موجودة عندنا بخطه الشريف مكتوبة في (سلسلة العسجد في ذكر مشائخ السند) وقرأ عليه ايضا ثمرة الفؤاد ونخبة المراد الولد نور الحسن بارك الله له وعليه ، وفيه الكتب الحديثية وحصل له منه الاجازة بجميع مروياته ومسموعاته ، وكتب له الاجازة بخطه

الشريف ، وكم[1] له من تلامذة في بلدتنا بهوبال المحمية وهو الغنيمة الكبرى للطالبين والنعمة العظمى للراحلين ، كان فيما مضى قاضيا ببلدة اللحية من بلاد اليمن ، وهو في الحال نزيل بهوبال ومدرس المدرسة الرياسية يدرس ويفيد .

له علم نافع وعمل صالح وفكرة صحيحة ، وهمة في اشاعة علم الحديث رفيعة ولقاء مبارك ، جاءنا بمؤلفات علماء اليمن الميمون وامطر علينا نفائس الكتب كالغيث الهتون ،كم قد ذهب في طلب كتب الحديث لنا الى ارض الحجاز وغيرها ورجع من هناك برسائل نفيسة ومجاميع عزيزة ، وكتب الشروح والمتون ودواوين العلوم على الحقيقة دون المجاز احسن الله اليه كما احسن اليّ وتفضل عليّ ، وان كان قد بذلنا في تحصيل هذه الكتب وتلك الصحف مالا جمّا ، وجمعناها على يده من بلاد شتى ، نحو صنعاء وزبيد وابي عريش واليمن والحديدة والبصرة ومصر والحرمين الشريفين ، وهو عافاه الله تعالى صرف همته العليا في اشاعة مؤلفاتنا ايضاً حتى بلغ بها الى اقصى اليمن ، وابلغها الى الاماكن البعيدة سوى ما سارت بها الركبان الى بلاد الله تعالى من هذه البلدة ومن مكة المشرفة ولله الحمد كل الحمد والمنة .

علماء الهند

تقدم في القسم الاول من هذا الكتاب ان علماء الملة الاسلامية في العلوم الشرعية والعقلية اكثرهم من العجم وقليل منهم من العرب ، فالاعاجم هم سباق حلبة العلوم ، وفرسان معركة المنطوق والمفهوم ، تعاطوا من دِنان الحكم اصفى الحميا ، وتناولوا من غوامض العلوم ما كان بالثريا ، ولكن الله تعالى بعث

---

(١) ومن تلاميذه هذا العبد الضعيف الراجي الى رحمة ربه القوي علي حسين اللكنوي ابن الحافظ محمد صادق ابقاه الله تعالى كاتب هذا الكتاب عند الطبع فاخذت عنه الأمهات الست وغيرها من كتب الحديث .

في الاميين رسولا عربيا نسخ جميع الكتب والاديان ، وجاء الناس باليمن والايمان ، واخذ بنواصي كافة الامم والزم طاعته على رقاب العرب والعجم ، وهذا الفخر كاف للعرب العرباء واف في باب العلياء ، لا يدانيهم فيه احد من الاعاجم ، ولا يبلغ شأوه فرد من الاعاظم .

ولما ورد الاسلام قبل الهند بالايران والتوران ، وكشف نوره الاتم اغطية الظلم عن هذه البلدان ، نشأت العلوم الاسلامية سابقا بتلك البلاد وترعرعت بها اغصان هذا الشجر المياد .

واما الهند فقد فتح في عهد الوليد بن عبد الملك على يد محمد بن قاسم الثقفي سنة اثنتين وتسعين الهجرية ، وبلغت راياته المظلة على الفوج من حدود السند الى اقصى قنوج سنة خمس وتسعين ، وبعد ما عاد ولاة الهند الى امكنتهم ، وبقي الحكام من الخلفاء المروانية والعباسية ببلاد السند ، وقصد السلطان المحمود الغزنوي اواخر المائة الرابعة غزو الهند ، واتى مرارا وغلب واخذ الغنائم ، وانتزع السند من الحكام الذين كانو من قبل القادر بالله بن المقتدر العباسي ، لكن السلطان محمود لم يقم بالهند ، وكان اولاده متصرفين من غزنين الى لاهور حتى استولى السلطان معز الدين سام الغوري على غزنين ، واتى لاهور وقبض على خسرو ملك خاتم الملوك الغزنوية ، وضبط الهند وجعل دهلي دار الملك سنة تسع وثمانين وخمسمائةهـ ، ومن هذا التاريخ الى آخر المائة الثانية عشر كانت ممالك الهند في يد السلاطين الاسلامية .

ولما انتشر الاسلام في هذه البلاد وطلعت شموسه البازغة على الاغوار والانجاد ، وعلت الكلمة الطيبة في هذه الغبراء ، واجتمعت بشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء ، ظهر بها جمع من العلماء والادباء الاسلامية الناثرين على بسط الازمنة لآلي من السحب الاقلامية ، لكن لم يعمد احد منهم الى ضبط تراجمهم ولم يجتن جان زهرا من حواجمهم الا نزراً يسيراً ، ولذلك لا ترى من

السلف والخلف كتابا مستقلا في هذا الباب لا على طريق الايجاز ولا على سبيل الاطناب ، الا ترى ان (عين العلم) كتاب مفيد مصنفه على الاصح من اهل الهند كما ذكر ذلك علي القاري في شرحه له على ما صرح به الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله، ومع وجود مثل هذا الكتاب لم يعرف واحد من مؤرخي الهند خبره وما ابقى الزمان الجائر مع ابقاء الكتاب اثره، ومن ثم اندرست آثار جم غفير من العلماء الاجلاء، واندثرت معالم كانت افلاذ كبد الدهناء :

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا   انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فأبادنا   صروف الليالي والخطوب الزواجر

وبالجملة قد خرج من ارض الهند جماعة كبيرة من العلماء الفضلاء ، وطلع من بلادها طائفة من النبلاء الادباء قديما وحديثا ، وان لم يسر بذكرهم الركبان سيرا حثيثا ، وقد كنت يخطر ببالي ان اجمع لتراجمهم كتابا مستقلا لا يغادر صغيراً ولا كبيرا ، وارتب لذكرهم سفرا مفردا يثبت لهم ذكرا جميلا وفضلا كثيرا لكن عاقني عن ذلك كثرة الاشغال وتشتت البال من تغير الاحوال حتى لم يتيسر تلك الامنية الى الآن فاقتصرت في تذكارهم في هذا الكتاب على ما وجدته في كتاب (سبحة المرجان) مع زيادة يسيرة من تراجم المتأخرين الذين هم من العلم والفضل بمكان مكين فاقول وبالله احول واصول .

ابو حفص ربيع بن صبيح السعدي البصري ، هو من اتباع التابعين واعيان المحدثين ، كان صدوقا عابدا مجاهدا ، اول من صنف في الاسلام .

روي عن الحسن البصري وعطاء .

وعنه سفيان الثوري ووكيع وابن مهدي .

قال صاحب المغني ، مات بارض السند سنة ستين ومائة ومن ثم ذكرته في علماء الهند تيمنا بذكره والله الموفق .

مسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري ،اصله من همدان ، خرج ابوه سعد

منها الى الهند وورد لاهور في دولة السلاطين الغزنوية ، ولازم منهم السلطان ابراهيم فاعطاه عدة من الاعمال ، واستوطن لاهور وتزوج بها واستولد كثيرا منهم مسعود المذكور نشأ في كفالة والده ، واحتظى من العلم والكمال بطريفه وتالده الى ان فوض اليه السلطان حكومة بعض الامصار ، وكان شاعرا مجيدا محبا للشعراء يعطيهم صلاتٍ عظيمةً على ادنى شعر ، وكان نديما لسيف الدين محمود ابن السلطان ابراهيم .

توفي في سنة ٥١٥ محبوساً في قلعة ناىء ، وكان لبث في السجن عشرين سنة حفظ هناك القرآن ونظم الاشعار ، وكان عارفا بالالسنة الثلاثة العربي والفارسي والهندي ، صاحب ثلثة دواوين فيها ، وديوانه الفارسي متداول في بلاد الهند والايران ، ولم يصل احد من شعراء العجم في الطريقة اليه لا في حسن المعاني ولا في لطف الالفاظ والمباني صرح بذلك نظامي العروضي في رسالته جهار مقاله وله شعر حسن منه ما اورده الرشيد الوطواط في حدائق السحر :

ثق بالحسام فعهده ميمون ... واركب وقل للنصر كن فيكون

ومنه هذه القطعة في التورية :

وليل كأن الشمس ضلت ممرها ... وليس لها نحو المشارق مرجع
نظرت اليه والظلام كأنه ... على العين غربان من الجو وقع
فقلت لقلبي طال ليلي وليس لي ... من الغم منجاة وفي الصبر مفزع
ارى ذنب السرحان في الجو طالعا ... فهل ممكن ان الغزالة تطلع

ذكره الاديب صابر والسنائي الحكيم وجمال الدين عبد الرزاق في اشعارهم واثنوا عليه ثناء جميلا .

حسن بن محمد بن حسن بن حيدر الصغاني صاحب مشارق الانوار اصله من صغان بلدة من بلاد ما وراء النهر .

وولد بلاهور في سنة ٥٧٧ وهو من نسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

كان محدثا لغويا فقيها .

اخذ العلم عن والده ، ورحل الى بغداد واقام بها مدة ، له مشاركة في العلوم والتصانيف العديدة المفيدة فيها .

منها : كتاب الشوارد في اللغات ، وكتاب الافتعال ، وكتاب العروض ، وكتاب مصباح الدجى ، والشمس المنيرة وشرح البخاري ، والعباب في اللغة .

توفي ببغداد في سنة ٦٥٠ اوصى بنقل ميته الى مكة فدفن بها ، وكان قد اقام بمكة مجاوراً مدة ثم عاد الى العراق وارسل برسالة الى الهند .

وسمع الحديث بمكة وعدن والهند من شيوخ كثيرة ، وكان اماماً دينا عالما متقنا ، وقد دعا لوقوع موته وقبره بمكة المكرمة في مبدإ مشارق الانوار حيث قال : اماته بها حميداً فاقبره ، ثم اذا شاء أنشره فسمع الله تعالى نداءه .

شمس الدين يحيى الأودي واود بلدة قديمة من الهند ، يقال بناها شيث بن آدم عليهما السلام ، وكانت دار الامارة لبعض الرؤساء .

اخذ العلم عن ظهير الدين البكري ، وفريد الدين الشافعي شيخ الاسلام بأود وبايع الشيخ نظام الدين الدهلوي البدايوني ، وبدايون بلدة من توابع صوبة دهلي وهي بكسر الدال سكون الهاء دار الخلافة لسلاطين الهند ، ذكرها المجد في القاموس كان عالما جليلا وفاضلا نبيلا مدحه تلميذه الشيخ نصير الدين بقوله :

سألت العلم من احياك حقا فقال العلم شمس الدين يحيى

درّس بدهلي وانتهت اليه رياسة العلم بها ومات بعد شيخه النظام رحمه الله بعدة سنين وتوفي شيخه في سنة ٧٢٥ الهجرية .

الشيخ حميد الدين الدهلوي كان عالما كبيرا فقيها دينا له شرح على هداية الفقه لم يقصر فيه ، ذكره في كشف الظنون واثنى عليه العلامة ابن كمال توفي في سنة ٧٦٤ الهجرية .

القاضي عبد المقتدر بن القاضي ركن الدين الشريحي الكندي الدهلوي ، كان عالماً مقتدراً على العلوم الكثيرة ، بايع الشيخ نصير الدين الدهلوي واخذ عنه الطريقة ، واقام دولة العلم والتدريس ، وافاض على الطلبة والمشتغلين عليه انوار التقديس ، وكان طريقة شيخه واكثر خلفائه المحافظة على سنن الشريعة والاشتغال بدرس العلوم الدينية ، وكان يقول الفكر في مسئلة واحدة من الشريعة افضل من الف ركعة مشوبة بالعجب والريا .

توفي القاضي في سنة ٧٩١ وعمره ثمان وثمانون سنة ودفن قريبا من الحوض الشمسي الواقع في دهلي وله قصيدة لامية طويلة اولها :

يا سائق الظعن في الاسحار والاصل　　سلم على دار سلمى وابك ثم سل

اورَدَ اكثرها وترك اقلها ازاد في سبحة المرجان وغيره وعليها شرح لبعض العلماء وهي في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الشيخ معين الدين العمراني الدهلوي ، كان فاضلا مشارا اليه بالانامل ، درّس بدهلي وارسله السلطان محمد بن تغلق شاه والي الهند المتوفى سنة ٧٥٢ الى القاضي عضد الايجي بشيراز والتمس قدومه بالهند ، فامسكه السلطان ابو اسحق واكرم الشيخ اكراما بليغا ، وظهرت منه آثار الفضل والعلم على اهلها وعلمائها له تصانيف منها الحواشي على الكنز وعلى الحسامي وعلى مفتاح العلوم .

الشيخ احمد التانيسري بلدة بين دهلي ولاهور كان عالما شاعرا ، من مريدي الشيخ نصير الدين الهلوي ، ولما اخذ تيمور الاعرج دهلي رغب في لقياه واختاره للمجالسة حين توجه من الهند الِى الروم فتأخر عن موكبه وتيمور فتح دهلي في سنة ٨٠١ وفتح الروم في سنة ٨٠٥ فقال مؤرخ للفتح الاول فتح قريب ، وللثاني غلبت الروم في ادنى الارض ، ثم هاجر الشيخ من دهلي الى كالبي واستوطنها واشتغل بالدرس والتعليم الى ان توفي في داخل قلعتها ، له شعر جيد حسن وقصيدة بديعة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم اولها :

اطـــار لبــي حنــين الطائــر الغرد وهـــاج لوعـــة قلبـــي التائـــه الكمد
واذكرتنــي عهــودا بالحمــى سلفت حمامــة صدحــت من لاعــج الكبد

وهي مذكورة في السبحة وغيرها .

القاضي شهاب الدين بن شمس الدين بن عمر الزاولي ، ولد بدولة آباد دهلي ، وتلمذ على القاضي عبد المقتدر ومولانا خواجكي الدهلوي ، وهـو من تلامذة مولانا معين الدين العمراني ، وفاق اقرانـه وسبـق اخوانـه وكان استاذه القاضي يقول في حقه : اتاني من الطلبة من جلده علم ولحمه علم وعظمه علم ولما توجه موكب تيمور الى الهند ، خرج الشهاب في صحبة استاذه خواجكي الى كالبي فاقام هو بها ، وذهب الشهاب الى جونفور بلدة من صوبة إلّه آباد كانـت دار الخلافة للسلاطين الشرقية ، خرج منها جمع جم من اهل العلـم والشيخوخـة فاغتنم السلطان ابراهيم الشرقي قدومه ولقبه (بملك العلماء) وهو درّس هنـاك والف وافاد وحرر واجاد .

ومن مؤلفاته : البحر المواج بالفارسية ، تفسير والحواشي على كافية النحو ، والارشاد متن فيه التزم فيه تمثيل المسئلة في ضمــن تعريفهـا ، وبـديع الميزان في البلاغة ، وشرح البزدوي في اصول الفقه ، وشرح قصيدة بانت سعاد ، ورسالة في تقسيم العلوم ومناقب السادات ، وغير ذلك توفي في سنة ٨٤٩ ودفن بجونفور في الجانب الجنوبي من مسجد السلطان ابراهيم الشرقي .

الشيخ علي بن احمد المهائمي من طائفـة النوائـت[١] قوم في بلاد الـدكن ومهائم بندر من بنادركوكن ، ووهي ناحية من الدكن مجاورة للبحر المحيط ، وكان الشيخ من علمائها الصوفية ، وكان مثبتا للتوحيد الوجودي ، مقتفياً بالشيخ ابن

(١) قال الطبري النائتة طائفة من قريش خرجوا من المدينة المنورة خوفا من حجاج بن يوسف الثقفي الذي [illegible] خمسين الفا من العلماء على غير حق وبلغوا ساحل بحر الهند وسكنوا به انتهى ، مير عبد الحي خان سلمه ربه .

عربي توفي سنة ٨٣٥ ودفن بها .

له مصنفات تدل على غزارة علمه وكمال قدرته على العلوم منها التفسير الرحماني ، والزوارف شرح العوارف ، وشرح فصوص الحكم ، وشرح النصوص للشيخ صدر الدين القونوي ، وادلة التوحيد ، ورسالة عجيبة استخرج فيها من وجوه الاعراب في قوله تعالى الٓمٓ ذٰلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِيَن ما يبلغ عدده (١) الى اثني عشر كرورا وثلثة وثمانين لكا واربعة واربعين الفا وخسمائة واربعة وعشرين وجها ، ويكتب ذلك بالهندسة هكذا (١٢٨٣٤٤٥٢٤) ذكر جملة صالحة من بيان ذلك في سبحة المرجان في آثار هند وستان فليرجع اليه .

الشيخ سعد الدين الخيرآبادي بلدة من صوبة اود ، كان ابو الشيخ قاضيا بهذه البلدة فمات وتركه صغيرا فحفظ القرآن الكريم في صغره ولما بلغ اشده تلمذ على مولانا اعظم اللكنوي بلدة من بلاد بورب ولبس الخرقة من الشيخ مينا المتوفي في سنة ٨٧٤ ، وجلس للتدريس والارشاد فافاد واجاد ، واوصل المريدين الى المراد وحرر شروحا غراء على الكتب المتداولة مثل : شرح البزدوي ، وشرح الحسامي، وشرح الكافية ، وشرح المصباح ، وشرح رسالة شيخه مينا ، وكلما ينقل فيها قولا من شيخه يقول : قال شيخي الشيخ مينا ادامه الله فينا ، عاش حصورا على طريقة شيخه الامجد حتى لقي من لم يلد ولم يولد ودفن بخير آباد وقبره يزار .

الشيخ عبد الله بن إله داد العثماني التلنبي ، بفتح التاء بلدة بقرب ملتان ، كان رأساً في العلوم النقلية والعقلية ، مدرسا في وطنه زمانا طويلا ، ثم هاجر منه

---

(١) واخرج بعض الفضلاء في تخريجها اربعة وعشرين الفا وتسعمائة وسبعين وجها وزاد عليه المحقق خسرو الرومي فبلغ المجموع مائتي الف وتسعة وسبعين وجها لكن بعض تلك الوجوه لا يستقيم في نفسها وبعضها لا يرتبط ببعضها والشيخ علي زاد عليها ما ذكر ههنافليعلم ، سيد نور الحسن خان ولد المؤلف دام ظله واقباله .

الى دهلي وأوى الى السلطان اسكندر اللودي فاستوى فلكه على الجودي فاكرمه السلطان ونفع الله به اهل الزمان الى ان توجه في سنة ٩٢٢ الى جنّة المأوى ، وكان تاريخه اولئك لهم الدرجات العلى وقبره بدهلي ومن مؤلفاته شرح ميزان المنطق .

الشيخ الهداد الجونفوري ومعناه عطية الله تلمذ على الشيخ الفاضل عبد الله التلنبي ، وبايع راجي حامد شاه المانكفوري بلدة من صوبة إِلٰه أباد صرف عمره في الافادة ، وحرر الحواشي على المتون والشروح ، كشرح هداية الفقه في عدة مجلدات ، وشرح البزدوي والحواشي على الحواشي الهندية ، والحاشية على تفسير المدارك .

الشيخ علي المتقي بن حسام الدين عبد الملك بن قاضي خان القادري الشاذلي المدني الجشتي .

اصله من جونفور .

مولده برهانفور من بلاد الدكن .

تلمذ على الشيخ حسام الدين الملتاني وغيره من العلماء ، ثم سافر في سنة ٩٥٣ الى الحرمين الشريفين وصحب الشيخ ابا الحسن البكري وتلمذ عليه .

يقول البكري للسيوطي منه على العالمين .

وللمتقي منه عليه ، اشتغل بالتدريس والتأليف ورتب جمع الجوامع للسيوطي على ابواب الفقه ، تزيد مؤلفاته على المائة ، وكان الشيخ ابن حجر المكي الفقيه الشافعي صاحب الصواعق المحرقة استاذه وفي الآخر تلمذ عليه ولبس الخرقة منه .

توفي رحمه الله في سنة ٩٧٥ تاريخ وفاته قضى نحبه، ذكر له الشيخ عبد الحق الدهلوي ترجمة حافلة في المقصد الاول من كتابه (زاد المتقين في سلوك طريق اليقين) واثنى عليه كثيراً وحرر احواله الشريفة في ابواب خمسة

بايضاح تام .

وللشيخ عبد الوهاب المتقي كتاب سماه (اتحاف التقي في فضل الشيخ على المتقي) ابان فيه عن فضائله الكثيرة وهو حقيق بذلك وقد وقفت على تواليفه فوجدتها نافعة مفيدة ممتعة تامة .

الشيخ محمد طاهر الفتني صاحب مجمع البحار في غريب الحديث ، وفتن بلدة من بلاد كجرات .

تلمذ على علماء بلده وصار راساً في العلوم الحديثية والأدبية . ورحل الى الحرمين الشريفين ، وادرك علماءهما ومشائخهما سيما الشيخ علي المتقي ، وذكره في مبدأ كتابه (مجمع البحار) واثنى عليه ثناء حسنا جميلا وعاد الى بلده وقصر همته على افادة العلوم ، وكان طريقته الاشتغال بعمل المداد واعانة كتبة العلوم بهذا الامداد حتى في حالة الدرس ايضا يشتغل بحله .

له المغني في اسماء الرجال ، وتذكره الموضوعات ، وعزم على كسر البواهير المهدوية الذي كانوا قومه وعهد ان لا يرتبط العمامة على رأسه حتى يزيل تلك البدعة ، فلما استولى السلطان اكبر والي دهلي في سنة ٩٨٠ على كجرات ، واجتمع بالشيخ ربط العمامة بيده على رأس الشيخ وقال : على ذمة معدلتي نصرة الدين وكسر الفرقة المبتدعين وفق ارادتك ، وكان قد فوض حكومة كجرات الى اخيه الرضاعي ميرزا عزيز كوكه المقلب بالخان الاعظم فأعان الشيخ وازال رسوم البدعة مهما امكن ، ثم عزل الخان الاعظم ونصب مكانه عبد الرحيم خان خانان وكان شيعيا فاعتضد به المهدوية وخرجوا من الزوايا ، ورموا السهام على الخبايا ، فحل الشيخ العمامة عن رأسه وانطلق الى اكبر بادشاه وكان في مستقر الخلافة آكره ، فتبعه جمع من المهدوية سرا وهجموا عليه في حوالي أُجّين وقتلوه سنة ٩٨٦ فاستشهد ونقل جسده الى فتن ودفن في مقابر اسلافه ، وكان صديقي النسب من

جهة امه واصله من البواهير[1]واسلافهم جديدو الاسلام .

وبيوهار في الهندية التجارة ، وبوهره التاجر .

وقد ذكر الشيخ عبد الحق الدهلوي ترجمته في اخبار الاخيار ، وذكرتها انا في (اتحاف النبلاء) وايضا افردت ترجمتها في رسالة مستقلة ألحقتها في اوائل مجمع البحار .

قال الشيخ[2]عبد الوهاب المتقي : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الرؤيا فقلت من افضل الناس في هذا الزمان يا رسول الله ؟ فقال : شيخك ثم محمد طاهر ، ويا لها من رؤيا تفضل على اليقظة .

وكتابه مجمع البحار قد طبع بالهند لهذا العهد واشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار ، وهو كتاب جمع فيه كل غريب الحديث وما أُلّف فيه فجاء كالشرح للصحاح الستة ، فان لم يكن عند احد شرح لكتاب من الامهات الست فهذا الكتاب يكفيه لحل المعاني وكشف المباني ، وهو كتاب متفق على قبوله متداول بين اهل العلم منذ ظهر في الوجود وبالله التوفيق .

الشيخ وجيه الدين العلوي الكجراتي كان وجيها في الدينا والآخرة ، وعالما عارفاً ذا المناقب الفاخرة .

ولد في سنة ٩١١ في جابانير من بلاد كجرات ، ونشأ بها وارتحل في طلب

---

(١) قال مير نور الله السوستري الشيخ المتوفى في العشرة الثانية بعد الالف في بعض مؤلفاته البوهيرة طائفة متوطنون بكجرات اسلم اسلافهم على يد الملا علي الذي قبره في كنبايت بلدة بقرب كجرات ومضى لاسلافهم ثلاثمائة سنة تخمينا واكثرهم يكسبون المعاش بالتجارة وانواع الحرف كما يدل عليه فهم بوهيرة ومعناه التاجر بالهندية انتهى . واقول هم في العقائد قرامطة كما طرح بذلك المقريزي في الخطط والآثار واطال في حقائق احوالهم وديانتهم وكذا ذكر أمرهم الحاج رفيع الدين خان المراد آبادي في كتابه حالات الحرمين فليعلم ، سيد نور الحسن خان ولد المؤلف دام ظله العالي .

(٢) هو خليفة الشيخ علي المتقي ذكر ترجمته خليفته الشيخ عبد الحق الدهلوي في المقصد الثاني من كتا زاد المتقين واطنتب في بيان احراله الشريفة الى خمسة ابواب وكان من الأولياء الكرام المجمع على فضله وولايته ، سيد علي حسن خان ولد المؤلف ادام الله اقباله وضاعف احلاله .

العلم ، وأخذ من ملا عماد الطارمي من اعيان علماء العصر ، ولبس الخرقة من الشيخ قاضن ، واستفاد من الشيخ محمد غوث الكواليري صاحب الجواهر الخمسة حين ورد بكجرات وتوفي في سنة ٩٩٨ ودفن بها .

وتاريخ وفاته لهم جنات الفردوس نُزُلاً .

وله المصنفات الكثيرة منها : حاشية تفسير البيضاوي ، وشرح النخبة في اصول الحديث ، وحاشية العضدي ، وحاشية التلويح ، وحاشية البزدوي ، وحاشية هداية ، وحاشية شرح الوقاية ، وحاشية المطول ، وحاشية المختصر ، وحاشية شرح التجريد ، وحاشية الاصفهاني ، وحاشية شرح العقائد للتفتازاني ، وحاشية الحاشية القديمة للمحقق الدواني ، وحاشية شرح المواقف ، وحاشية شرح حكمة العين، وحاشية شرح المقاصد ، وحاشية شرح الجغميني ، وحاشية شرح الحامي ، وشرح الارشاد للشهاب في النحو الى غير ذلك مما لا يحصى .

الشيخ ابو الفيض المتخلص بفيضي الاكبر آبادي ، كان فاضلا جيدا وشاعرا مجيدا ، مفلقا بارعا في العلوم العقلية والأدبية .

ولد بآكرة في سنة ٩٥٤، وتلمذ على ابيه الشيخ مبارك صاحب التفسير المسمى (بمنبع عيون المعاني) المتوفى سنة ١٠٠١ احدى وألف .

اخذ عنه الفنون المتداولة وحصل الفراغ منها وهو ابن اربع عشرة سنة ، وخاض كثيرا بالحكمة والعربية ، واختص بمزيد قربة السلطان اكبر ملك الهند ولقب بملك الشعراء ، وله قصائد في مدحه ، وابيات ديوانه الفارسي خمسة عشر الف شعر ، وله تصانيف تدل على اقتداره في اللسان العربي منها (موارد الكلم

في الاخلاق) وترجمة ليلاوتي[1] ، واجلّ مصنفاته (سواطع الالهام تفسير القرآن الكريم) الغير المنقوط صنفه في سنتين واتمه في سنة ١٠٠٢ يدل على اطالة يده في علم اللغة وانا وقفت عليه ، وذكره في كشف الظنون ، وكان فيضي على طريقة الحكماء ، وكذا اخوانه ابو الفضل وغيره وكانوا معروفين بانحلال العقائد وسوء التدني والالحاد والزندقة نعوذ بالله منها، توفي في سنة ١٠٠٤ ودفن عند قبر ابيه بآكرة.

السيد صبغة الله البروجي بلدة من كجرات ، اخذ العلوم عن الشيخ وجيه الدين الكجراتي، واشتغل بالتدريس والارشاد برهة ثم رحل الى مكة والمدينة وغيرهما وعاد الى بروج ، ثم ارتحل الى مالوه واقام في احمد نكر من بلاد الدكن عند سلطانها برهان الملك ، ثم سافر الى الحرمين الشريفين ودخل بيجابو فخدمه السلطان ابراهيم وهيأ له اسباب السفر فدخل المدينة ، وسكن بجبل أحد ، وعرّب الجواهر الخمسة ، وحرر عليه تلميذه الشيخ احمد الشناوي حاشية ، وذكر له الشيخ محمد عقبلة المكي ترجمة حسنة في كتابه لسان الزمان ، وله كتاب الوحدة ، ورسالة اراءة الدقائق في شرح مرآة الحقائق وما لايسع المريد تركه كل يوم من سنن القوم، توفي بالمدينة سنة ١٠١٥ الهجرية وقبره بها.

الشيخ احمد بن عبد الاحد بن زين العابدين الفاروقي السهرندي ، بلدة عظيمة بين دهلي ولاهور ، وهو المعروف بمجدد الالف الثاني.

كان عالما عاملا عارفا كاملا ينتهي نسبه الى الفاروق .

ولد في سنة ٩٧١ حفظ القرآن وقرأ على ابيه اولا واستفاد منه جما من العلوم ، ثم ارتحل الى سالكوت ، وتلمذ على المحقق كمال الدين الكشميري

---

(١) بكسر اللام كتاب في علم الحساب والمساحة صنفه باسكر البيدري من علماء الهنود وبيدر بكسر الباء وسكون الياء بلدة عظيمة من بلاد الدكن وباسكر كان عالما عديم المثال في الرياضي ولم يذكر في ليلاوتي تاريخ تأليفه لكن له كتاب آخر أرخ له بالتاريخ المعمول في الدكن وهو مطابق لسنة ٦٢٢ الهجرية كذا في سبحة المرجان سيد علي حسن خان سيد سلمه الله الرحمن .

بعض المعقولات بغاية من التحقيق ، واخذ الحديث عن الشيخ يعقوب المحدث الكشميري ، وكان صاحب كبراء المحدثين بالحرمين الشريفين ، وأسند الحديث عنهم وتناقل الحديث المسلسل بالرحمة بواسطة واحدة عن الشيخ عبد الرحمن بن فهد من كبراء المحدثين في زمانه بالهند ، وتعاطى عنه اجازة كتب التفسير والصحاح الست وسائر مقروءاته .

وروى الحديث المسلسل بالأولية عن القاضي بهلول البدخشاني عن ابن فهد المذكور ولعله هو الواسطة في الاجازة بينهما ، وفرغ من التحصيل في عمر سبعة عشرة سنة ، واشتغل بالتدريس .

وله رسائل لطيفة باللسان العربي والفارسي .

وجاء الى دهلي في سنة ١٠٠٢ واخذ الطريقة النقشندية عن خواجه عبد الباقي عن خواجه امكنكي عن ابيه مولانا درويش محمد عن خاله مولانا محمد زاهد عن خواجه عبيد الله احرار ، وكذا الطرائق الاخرى عن شيوخ أُخر ، ووصلت سلسلته من الهند إلى ما وراء النهر والروم والشام والعرب واقصى المغرب مثل فاس وغيرها .

وله مكتوبات في ثلٰثة مجلدات هي حجج قواطع على تبحرة ، وسمعت انها عربها بعض العلماء ولكن لم ار المعرّبة وحَبَسه السلطان جهانكير في حصن كواليا على عدم سجدة التعظيم منه له واليه اشار آزاد في غزله :

لقد برع الاقران في الهند ساجع ... وجدّد فن العشق يا للمغرد
فلا عجب ان صاده متقنص ... الم تر في الاسلاف قيد المجدد

ولما حبس لبث في السجن ثلٰث سنين ثم اطلق واقام في العسكر يدور معه ، ثم عاد الى سهرند والعود احمد ثم توفي في سنة ١٠٣٤ وله ثلٰث وستون سنة دفن بسهرند .

ومن مؤلفاته : الرسالة التهليلية ، ورسالة اثبات النبوة ، ورسالة المبدأ

والمعاد ، ورسالة المكاشفات الغيبية ، ورسالة آداب المريدين ، ورسالة المعارف اللدنية ، ورسالة رد الشيعة ، وتعليقات العوارف الى غير ذلك .

ومن افاداته انه اوضح الفرق بين وحدة الوجود وبين وحدة الشهود ، وبين ان وحدة الوجود تعتري السالك في اثناء سلوكه ، فمن ترقى مقاماً اعلى من ذلك تتجلى له حقيقة وحدة الشهود ، فسدَّ بذلك طريق الالحاد على كثير ممن كان يتستر بزي الصوفية ، ثم انه باحث الملاحدة في زمانه وجادلهم بقلمه ولسانه ، وردَّ على الروافض ، وحقق الفرق بين البدعة والسنة وأقيسة المجتهدين واستحسانات المتأخرين ، والتعارف عن القرون المشهود لها بالخير ، وما احدثه الناس في القرون المتأخرة وتعارفوه فيما بينهم فردّ بذلك مسائل مما استحسنها المتأخرون من فقهاء مذهبه ، وكان فقيهاً ماتريديا حريصا على اتباع السنة مجتهدا فيه قليل الخطأ في دركه والمسائل المعدودة التي شدد بعض اهل العلم النكير بها عليه ، فالصواب ان لها تأويلا وقد شاركه فيها غيره ممن لا يحصى كثرة فليس اذاً يخصه الانكار .

ومن ابنائه الشيخ محمد سعيد الملقب بخازن الرحمة له حاشية على المشكوة توفي في سنة ١٠٢٠ ، والشيخ محمد معصوم يلقب بالعروة الوثقى ، له مجموع من مكاتيبه مفيد توفي في سنة ١٠٧٧ .

وكان لهما اخ ثالث يقال له الشاه محمد يحيى اخذ عن اخويه ، وهو الذي خالفهم في مسئلة الاشارة بالسبابة توفي في سنة ١٠٩٨ .

ومن اجلة اصحابه المتأخرين الشيخ شمس الدين العلوي من ذرية محمد ابن الحنفية المعروف بميرزا مظهر جانجان ، كان ذا فضائل كثيرة ، وقرأ الحديث على الحاج السيالكوني واخذ الطريقة المجددية عن اكابر أهلها كان له في اتباع السنة والقوة الكشفية شأن عظيم .

وله شعر بديع ومكاتيب نافعة وكان يرى الاشارة بالمسبحة ويضع يمينه على

شماله تحت صدره ويقوي قراءة الفاتحة خلف الامام .

عام وفاته عاش حميدا مات شهيدا .

ومن اجلة اصحاب جانجان القاضي ثناء الله الاموي العثماني من اهل بلدة باني بت بقرب دهلي ، كان فقيها اصوليا زاهدا مجتهدا له اختيارات في المذهب ومصنفات في الفقه والتفسير وكان شيخه المظهر يفتخر به رأيت له مؤلفات على مذهب النعمان بالفارسية والعربية وبعضها موجود عندي رحمه الله تعالى .

الملا عصمة الله السهارنفوري قصبة من صوبة دهلي ، كان مكفوف البصر ، مكشوف البصيرة ، افنى عمره في خدمة العلم والتدريس ، وهو من مشاهير العلماء .

وله تصانيف مفيدة ، منها الحاشية على شرح الجامي توفي في سنة ١٠٣٩ هـ

الشيخ عبد الحق الدهلوي وهو المتضلع من الكمال الصوري والمعنوي ، رزق من الشهرة قسطاً جزيلا واثبت المؤرخون ذكره اجمالا وتفصيلا ، وحفظ القرآن وجلس على مسند الافادة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، ورحل الى الحرمين الشريفين وصحب الشيخ عبد الوهاب المتقي خليفة الشيخ علي المتقي واكتسب علم الحديث وعاد الى الوطن واستقر به اثنتين وخمسين سنة بجمعية الظاهر والباطن ونشر العلوم ، وترجم كتاب المشكوة بالفارسي ، وكتب شرحا على سفر السعادة ، وبلغت تصانيفه مائة مجلد .

ولد في محرم سنة ٩٥٨ وتوفي سنة ١٠٥٢، واخذ الخرقة القادرية من الشيخ موسى القادري من نسل الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وكان ذا عصبية في المذاهب الحنفية ، وانتقد كلامه في مواضع من مؤلفاته ، وكان ينال من الشيخ احمد السهرندي ، ثم تاب واستغفر ولما وردت بدهلي حضرت على مزاره وزرته

فوجدت موضع القبر مؤنسا بردا عفا الله عنه ، ما كان منه من شدة التقليد ، وتأويل الأحاديث بمجرد رأي وحفظ للمذهب ، وغلو في اعتقاد الأولياء ، ولم يكن يعرف علم الحديث على وجهه بل على جهة الاجازة والاستجارة كما يلوح ذلك من مصنفاته ، وانما كان له اليد الطولى في الفقه الحنفي الذي عليه نشأ وفيه درج ، ولكل جواد كبوة وعفو الله يسمع كل هفوة .

الشيخ نور الحق بن الشيخ عبد الحق الدهلوي المذكور تلمذ على ابيه وولاه السلطان شاهجهان قضاء آكره فادي هذا المنصب في نهاية الديانة والسداد له تصانيف كثيرة منها ترجمة الصحيح للبخاري بالفارسية عاش تسعين سنة ومات سنة ١٠٧٣ الهجرية .

ملا محمود الفارقي الجونفوري صاحب كتاب شمس البازغة في الحكمة ، وكان علامة الاشراقين ونقاوة المشائين .

وجونفور من بورب وهو ملك وسيع في الشرقي من دهلي عبارة عن ثلث صُوَبٍ[1] أَوَد إلّه آباد وعظيم آباد تلمذ ملا على جده الشيخ شاه محمد المتوفى سنة ١٠٣٢ ، وعلى استاذ الملك الشيخ محمد افضل الجو نفوري ، وفرغ عن تحصيل العلوم وهو ابن سبع عشرة سنة .

له تصانيف شهيرة منها : الفرائد شرح الفوائد[2] وعلق عليه حاشية احسن فيها كل الاحسان ، روي انه لم يصدر عنه في تمام العمر قول يرجع عنه وكان

---

(١) الصوبة عبارة عن ارض وسيعة محدودة فيها دار الامارة وبلدات اخر لها توابع وكل بلدة لها قصبات تضاف اليها وكل قصبة اما قرى تضاف اليها وقصبات بورب في حكم البلدان لانها مشتملة على عمارات عالية ومحلات رفيعة للشرفاء والنجباء والامراء والعلماء وغيرهم من الاقوام المختلفة وارباب الحرف المتنوعة وعلى المساجد والمدارس والصوامع ومساجدها معمورة بصلوة الجمعة والجماعات يصح ان يطلق على القصبة اسم البلدة كذا في سبحة المرجان ، سيد علي حسن خان سلمه ربه .

(٢) اي الفوائد الغياثية للقاضي عضد الدين الايجي في المعاني والبيان البديع وهو شرح جليل القدر يعرف منه تبحره في علوم الفصاحة مير عبد الحي خان سلمه ربه .

يجيب السائل ان كان خاطره حاضر اولا يقول خاطري في هذا الوقت غير حاضر .

قال مؤلف الصبح الصادق وهو من تلامذته ، رحل الشيخ الى آكره ولقي آصف خان من اعاظم امراء السلطان شاهجهان وكنت معه في هذا السفر ، ثم عاد الى جونفور واشتغل بالتدريس انتهى .

له رسالة في اربعة اوراق بالفارسية في اقسام النسوان خالية عن الامثلة لان الفرس مغازلتهم بالامارد لا بالخرائد .

توفي في سنة ١٠٦٢ فحزن عليه استاذه حزنا عظيما ولم يتبسم اربعين يوما ثم لحق بالتلميذ .

قال السيد آزاد : ولا ريب انه لم يظهر في الهند مثل الفاروقيين احدهما في علم الحقائق ، وهو الشيخ احمد السهرندي ، والثاني في العلوم الحكمية والأدبية وهو ملا محمود صاحب الترجمة انتهى .

ثم ذكر كلامه على مسئلة الحدوث الدهري التي اخترعها مير محمد باقر الاسترآبادي من الشمس البازغة .

الشيخ محمد افضل الجو نفوري كان افضل فضلاء عصره ، وامثل علماء دهره في العقليات والنقليات ، وكان حصورا تقيا حسن الخلق سليم المزاج ، مقيما لدولة العلم والتدريس هو وتلامذته بجو نفور اجلهم واشرفهم ملا محمود المذكور مات من حزن موت تلميذه المسطور في سنة ١٠٦٢ كما تقدم .

ملا عبد الحكيم السيالكوئي الفنجابي ، نسبة الى بنجاب معرب ببجاب وهو ملك وسيع في الغربي من دهلي عبارة عن صوبتين لاهور وملتان .

ولد بسيالكوت بلدة من توابع لاهور ، وقام في سن التمييز على طلب العلم ، وتلمذ على ملا كمال الدين الكشميري نزيلها الذي كان استاذ المجدد السهرندي واشتغل بافادة العلوم في عهد السلطان جهانكير ولما جلس ابنه شاهجهان على سرير المملكة وتصدى لترويج العلم والعلماء جاء ملا الى سدته

مرارا ووزنه السلطان مرتين في الميزان ، واعطاه في كل مرة ستة آلاف من الربابي[1] وانعم عليه قرى متعددة بها كان يعيش ويدرس ويصنف حتى توفي في سنة ١٠٩٧ ودفن ببلده .

له حواشي تفسير البيضاوي ، ومقدمات التلويح ، والمطول والشريفية ، وشرح العقائد التفتازانية ، والعقائد الدوانية وحاشية على الخيالي ، وعلى شراح الشمسية وعلى عبد الغفور وعلى شرح المطالع ، والدرة الثمينة في اثبات الواجب تعالى ، والحواشي على هوامش شرح حكمة العين ، وعلى شرح هداية الحكمة للميبذي ، وعلى هوامش مراح الارواح .

الشيخ عبد الرشيد الجونفوري الملقب بشمس الحق ، تلمذ على الشيخ فضل الله اشتغل بالتدريس ، ثم اقبل على كتب الحقائق سيما تصانيف ابن عربي واوّل كلامه على محامل حسنة ، ونأى بجانبه عن اختلاط الامراء والاغنياء ، واستطلبه السلطان شاهجهان وارسل اليه كتابا صحبة رسول مهذب فلبى ولم يخرج من زاوية العزلة حتى لقي الله عز وجل في تحريمة صلوٰة الفجر .

ولد سنة ١٠٨٣ له تصانيف مفيدة .

منها : الرشيدية في المناظرة ، وزاد السالكين ، وشرح اسرار الخلوة لابن عربي ، والحواشي المتفرقة على مختصر العضدي وعلى الكافية ، ومقصود الطالبين في الاوراد وديوان الشعر بالفارسية عفا الله عنه .

مير زاهد بن القاضي محمد اسلم الهروي الكابلي ، ولد بالهند ونشأ بها وقرأ على ابيه وغيره من علماء الهند ، وكان ذا ذهن ثاقب وفكر صائب ، فسبق في التدقيق السابقين ، وتفرد في الحاضرين وانسلك الى السلطان شاهجهان فجعله محرّر وقائع كابل في سنة ١٠٦٢ ، ولما تولى السلطان عالمكير ارتحل الى معسكره فولاه احتساب عسكره سنة ١٠٧٧ ، ثم طلب منه صدارة كابل فسلمها له فعاد

---

(١) جمع ربية معرب روبية وهي السكة الفضية المروجة في الديار الهندية .

الى كابل وزين بها دست الافادة ومتع الطّلبة بالحسنى وزيادة .

له حاشية شرح المواقف ، وشرح التهذيب للدواني ، وحاشية التصور والتصديق للقطب الرازي ،وحاشية شرح الهياكل، قال آزاد سألت اسلم خان ابن الابن لمير محمد زاهد عن عام وفاته فقال سنة ١١٠٠١ ثم ذكر شيئاً من تحقيقه في العلم وانه من اي مقولة .

القاضي محمد اسلم والد مير زاهد ولد بهرات ، وهو من احفاد خواجه كوهي من مشائخ خراسان ، دخل القاضي لاهور لطلب العلم وتلمذ على الشيخ بهلول من صناديد العلماء بها ، ثم قصد السلطان جهانكير بآكره ، واعتنى السلطان بشأنه لكونه من قربى مولانا كلان المحدث استاذ السلطان وولاه قضاء كابل ، واشتهر بالتدين في امور القضاء ، ثم ولاه قضاء عسكره ، ولما جلس شاهجهان قرره على القضاء وزاد عليه المنصب الهزاري[1] ، واستمر على القضاء ثلثين سنة في نهاية الديانة والامانة ، وكان موردا للعنايات السلطانية الى الغاية حتى وزنه السلطان في الميزان ، وجاء في كفته ستة الآف وخمسمائة من الربابي توفي سنة ١٠٦١ الهجرية ودفن بلاهور .

مولانا كلان هو السبط لخواجه كوهي اخذ العلوم الدرسية بكمالها والحديث عن ميرك شاه الشيرازي ، وصحب مشائخ كثيرة ، وحج ودخل الهند وتوفي بها سنة ٩٨٣ وهو ابن مائة سنة ودفن بآكره ، وكان استاذ جهانكير بن اكبر شاه ، واخذ عنه الحديث جماعة كثيرة من اهل الهند وهو من شيوخ علي القاري .

قال في المرقاه شرح المشكوة : اني قرأت بعض احاديث المشكوة على مولانا الشهير بمير كلان ، وهو قرأ على زبدة المحققين ميرك شاه وهو على والده السيد السند جمال الدين المحدث صاحب روضة الاحباب ، وهو على عمه السيد اصيل

---

(١) نسبة الى الهزار بمعنى الألف الفارسية وهو لفظ مصطلح السلاطين الهند في درجات المناصب السلطانية وهي مشروحة في كتاب آيئن اكبري لابي الفضل . سيد علي حسن خان سلمه الله تعالى .

الدين الشيرازي انتهى .

ملا قطب الدين الشهيد السهالوي نسبة الى قصبة سهالي من اعمال لكهنؤ وشيوخها فريقان :

فرق انصاري .

وفريق عثماني ، ورياستها تتعلق بكليهما ، فملا من الانصار اخذ العلوم عن مُلا دانيال الجوراسي نسبة الى جوراس قصبة من بورب ، وهو تلميذ ملا عبد السلام الديوي نسبة الى ديوه قصبة من بورب ايضا ، وعن القاضي كاشي وهو تلميذ محب الله الاله آبادي صاحب رسالة (التسوية في التصوف) وشارح (الفصوص) بالفارسية وكان الشيخ قطب الدين مقداما في العقليات والنقليات واليه انتهى رياسة العلم والتدريس في بورب ، وسلسلة تلمذ اكثر علماء بورب وغيره تنتهي اليه هجم العثمانية ليلة على داره فقتلوه واحرقوا داره فمات سنة ١١٠٣ له حاشية على شرح العقائد الدوانية في غاية الدقة .

السيد قطب الدين الشمس آبادي اصله من سادات اميئهي قصبة من قصبات بورب رحل عنها الى شمس أباد قصبة من توابع قنوج وتوطن بها ، وهو قطب العلماء والمدار عليه للفضلاء .

تلمذ على ملا قطب الدين المذكور وغيره من اساتذة العصر ودرس الى آخر العمر بشمس أباد .

تلمذ عليه خلق كثير ، وكان من القانعين تمر الايام ولا توقد في بيته نار ، ويقاسي الفاقات ولا يظهر الحاجات ، ويدرس طلق الوجه واللسان والحالة هذه ، وهذا مقام لا يثبت فيه الا من رزق القوة من الله تعالى ، مات رحمه الله سنة ١١٢١ الهجرية وهو ابن سبعين سنة .

القاضي محب الله البهاري نسبة الى بهار بكسر الموحدة بلدة عظيمة في شرقي بورب تعرف في القديم بالصوبة ، ثم اطلق ذلك على بئنة والبلدتان

متصلتان .

ولد القاضي بموضع كره من توابع محب على فور وهي معمورة من مضافات بهار ، وعشيرة القاضي تعرف بملك ، والقاضي جاب ديار بورب ، واخذ اوائل الكتب الدرسية من مواضع شتى ، ثم انقطع برمته الى حوزة درس القطب الشمس آبادي فصار بحرا من العلوم ، وبدرا بين النجوم ، ورحل الى الدكن ولازم السلطان عالمكير فولاه قضاء لكهنؤ ، ثم بعد مدة قضاء حيدر أباد وهي دار الامارة للديار الشرقية من دكن ، ثم عزله ثم امّره بتعليم ابن ابنه رفيع القدر بن محمد معظم ، ثم لما فوض عالمكير في آخر عمره حكومة كابل الى ابنه محمد معظم الملقب بشاه عالم وسافر هو مع ابنه رفيع القدر من الدكن الى كابل صحبه القاضي ، ولما توفي عالمكير في الدكن سنة ١١١٨ وانتهض شاه عالم من كابل الى الديار الهندية اعطى القاضي منصبا جليلا ، وولاه صدارة ممالك الهند كلها ، ولقبه بفاضل خان سنة ١١١٩ فتوفي في هذه السنة .

ومن مؤلفاته : سلم العلوم في المنطق ، ومسلم الثبوت في اصول الفقه ، والجوهر الفرد في مسئلة الجزء الذي لا يتجزى ، وهذه الثلاثة مقبولة متداولة في مدارس العلماء .

الحافظ امان الله بن نور الله بن حسين البنارسي بلدة من بلاد بورب ، وهي معبد الهنود ، حفظ القرآن وبرع في المعقول والمنقول ، وتبحر في الفروع والاصول .

له كتاب المفسر في اصول الفقه ، وكتب عليه شرحاً سماه محكم الاصول ، وله حواش على تفسير البيضاوي ، والعضدي ، والتلويح ، والحاشية القديمة ، وشرح المواقف ، وحكمة العين ، وشرح عقائد الدواني والرشيدية في المناظرة .

وله محاكمة بين مير باقر الاستراٰبادي وملا محمود الجونفوري في مسئلة

الحدوث الدهري ، وكان متقلدا بصدارة لكنؤ من قبـل السلطـان عالمكير وكان محب الله البهاري قاضيا بها ، وكانا يجتمعان وتجري بينهما مباحث علمية توفي في بنارس سنة ١١٣٣ ودفن بها .

الشيخ غلام نقشبند بن الشيخ عطاء الله اللكهنوي تلمذ على مـير محمـد شفيع الدهلوي وهو على الشيخ عطاء الله والد الشيخ غلام نقشبند ، وفرغ من التحصيل على شيخ شيخه بير محمد اللكهنوي ، وصار خليفة له ونفع خلقا كثيرا بالتدريس والتلقين ، ولاقاه شاه عالم بن عالمكير فاكرمـه ، وكان حاميا لحمـى الشريعة الغراء وحارساً لبيضة الملة البيضاء .

توفي في سلخ رجب سنة ١١٢٦ ودفن بلكهنؤ .

له تفسير لربع القرآن وحواشيه ، وفسير بعض السور القرآنية ، وكتـاب فرقان الانـوار واللامعـة العـرشية في مسئلـة وحـدة الوجـود ، وشرح القصيدة الخزرجية في العروض وغيرها ، وهو استاذ السيد عبد الجليل البلكرامي جد مير أزاد من جهة الام والله اعلم .

الشيخ احمد المعروف بملاجِيْوَنْ الصديقي الاميبهوي وجيون بالهندية الحياة حفظ القرآن وتنقل في قصبات بورب ، واخذ العلوم الدرسية من علمائها وفرغ من التحصيل عند ملا لطف الله الكوروي وكوره بضم الكاف بلدة من نواحي بورب ، ثم رحل الى السلطان عالمكير فاكرمه وراعى ادبه الى الغاية ، وكذلك يحترمه شاه عالم وغيره من اولاد السلطان ، وكان ذا حافظة قوية يقرأ عبـارات الكتب الدرسية صفحة صفحة وورقا ورقا من غير ان ينظر في الكتاب ، وكان يحفظ قصيدة طويلة بسماع دفعة واحدة ، حج وعـاد الى الهنـد ودرس وألف ، وتوفي بدار السلطنة دهلي سنة ١١٣٠ ونقل جسده الى اميهي ودفن بها .

له التفسير الاحمدي يختص بآيات الاحكام الفقهية ، ونور الانوار في شرح المنار في اصول الفقه على طريقة الحنفية وفيهما الرطب واليابس .

السيد عبد الجليل بن السيد احمد الحسيني الواسطي البلكرامي ولد ببلكرام قصبة عظيمة بقرب قنوج ، وهي بلدة مشهورة مذكورة في القاموس يرجع نسبه الى علي العراقي من نسل زيد الشهيد .

كان علامة بارعا وكوكباً ساطعاً مزج العلم بالطهارة ، وصاغ الزهد في الامارة .

ولد في سنة ١٠٧١ بمحلته ميدان فوره ، ونشأ بهذه المعمورة .

اخذ العلوم ولقي الجهابذة .

وسمع الحديث عن السيد مبارك المحدث الواسطي الحسيني البلكرامي المتوفى سنة ١١٠٥ ، وهو اخذ عن الشيخ نور الحق ، وهو عن ابيه الشيخ عبد الحق .

وتأدب على الشيخ غلام نقشبند اللكهنوي وتفنن في الفنون العالية سيما التفسير والحديث والسير واسماء الرجال وتاريخ العرب والعجم .

واما اللغة فحسابها في بنانه وكان القاموس على لسانه .

واما الادب فهو معدن جواهره ولجة عنابره ، كان عارفا بالعربية والفارسية والتركية والهندية وتكلم بالاربعة المذكورة في غاية الطلاقة ، وانشأ في كل منها اشعارا في نهاية الرشاقة ، واجتمع بالسيد علي معصوم صاحب سلافة العصر باورنك أباد فقال : ما رأيت لهذا السيد بالهند نظيرا لاَزَمَ السلطان عالمكير فاعطاه عمل بخشيكري ، ووقائع نكاري بلدة كجرات من بلاد فنجاب ، ثم بلدة بكر وبلدة سيرستان من بلاد السند فعمل فيهَا بالسيرة الحسنى وتقررت عليه هذه الاعمال في الطبقات التي بعد عالمكير وعاد في سنة ١١٢٦ من بكر الى شاهجهان أباد ولازم السلطان ، فرخ سير ، ثم استعفى عن الخدمات وفوض خدمته الى ابنه

السيد محمد وأتى بلكرام فتلمذ عليه حفيده السيد أزاد ثم رجع بعد سنة الى دهلي واقام بها .

وتوفي في سنة ١١٣٨ ونقل جسده الى بلكرام ودفن بها في بستان محمود ، وخرج من التابوت سالما ، قال أزاد في تاريخ وفاته (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) وايضا (اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن) ومن تفردانه دليل هندسي على إبطال جزء لا يتجزى ذكره في مسبحة المرجان ومن اشعاره الفصيحة البليغة :

يا صاح لا تلم المتيم في الهوى   هو عاشق لا ينثني عن خله
يأبى الدواء سقامه كعيونه   فعلى الطبيعة يا معالج خله

حبيبي قوس حاجبه كنون   وصاد يد ابن مقلة شكل عينه
لعمري انه نص جلي   على ان الرماية حق عينه

ذكر له حفيده السيد أزاد ترجمة حافلة في سرد أزاد وتسلية الفؤاد وغيرهما من مؤلفاته وذكر من اشعاره وفضائله شيئا كثيرا لا نطول بذكرها الكلام ونظم في مدحه قصائد عظاماً منها قصيدته المشهورة التي اولها :

ادرك عليلا لقاء منك يكفيه   وطرفك الناعس المراض يشفيه

السيد علي بن السيد احمد بن السيد معصوم الدشتكي هو من مشاهير الادباء ، وصناديد الشعراء ، بيته بشيراز بيت العلم والفضل والمدرسة النظامية بها منسوبة الى جده مير غياث الدين منصور والسيد اشتهر بعلي المعصوم ، تزوج باخت شاه عباس الثاني الصفوي ، وتوطن مكة المكرمة ، وولد له من بطنها السيد احمد ، نشأ بمكة واكتسب العلوم ، وفاق الاقران .

ثم ان مير محمد سعيد المخاطب بمير جملة وزير السلطان عبد الله قطب شاه والي حيدر أباد من بلاد الدكن طلبه الى حيدر أباد فزوج قطب شاه بنته بالسيد احمد وما جاء له منها ولد ، وكان قد تزوج قبل خروجه من مكة الى الدكن بمكة وتولد السيد علي بالمدينة ، ولما مات قطب شاه وتملك ابو الحسن سعى في اتلاف اخلاف السيد احمد ، فهرب السيد علي عن الاسر وجاء الى السلطان عالمكير ببرهانبور فاعطاه منصب هزاري وبانصدي وثلثمائة فارس كل واحد منهم صاحب فرسين ولقبه بسيد عليخان .

ولما انتهض السلطان الى احمد نكر كان السيد حارسا على اورنك أباد مدة ، ثم اخذ من السلطان حكومة ماهور قلعة مشهورة من ديار برار ، ثم استعفى عنها واخذ ديواني برهانبور ، ثم رحل الى الحرمين الشريفين وبغداد وسر من رأى وكربلا ونجف وطوس ثم الى اصفهان ، وادرك السلطان حسين الصفوي وذهب الى شيراز واقام بالمدرسة المنصورية ، وافنى عمره في إفادة طلبة العلم .

وتوفي سنة ١١١٧ ولم يكن في اصله من الهند ، وانما دخل الهند وتوطن بها مدة طويلة .

له مصنفات منها (انوار الربيع في انواع البديع) (وسلافة العصر) وشرح الصحيفة الكاملة .

السيد محمد بن السيد عبد الجليل البلكرامي كان حافلا لاصناف العلوم وارثا لفضائل والده المرحوم ولد في سنة ١١٠١ بمحروسة بلكرام ، تلمذ على السيد محمد الاترولوي ، وكان محررا لسوانح سلطان فرخ سير ومتقلدا عمل بخشيكري ببلدة بكر وسيوستان له شعر حسن منه :

صنت عن عارضيه ناظرتي وتركت الهوى بلا ضنة
قال لي لا ترد ريحاناً انه خارج من الجنَّة

وله مختصر كتاب المستطرف ألفه في سنة ١١٥٥ وسماه الجزء الاشرف من المستطرف وللسيد أزاد في مدحه قصائد امجاد توفي سنة ١١٨٨ وله ايضاً تبصرة الناظرين بالفارسي في التاريخ .

السيد سعد الله السلوني هو العالم المجدد لقول سلوني ، والامام القائل انا طلاع الثنايا فاعرفوني .

ولد بسلون قصبة من صوبة اله أباد ، وهو سبط الشيخ بير محمد السلوني من مشاهير المشائخ ، وفق في صغر سنه باكتساب العلوم ، وطوي مسافة التحصيل في زمان يسير ، وتربع على دست التدريس ، واطلق اليراع في مسارح التأليف ، وحج واقام برهة في ام القرى ، واعتقده اهل الحرمين الشريفين ، وتلمذوا عليه ، واخذوا عنه الطريقة .

منهم الشيخ عبد الله البصري المكي صاحب ضياء الساري شرح صحيح البخاري ، ثم عاد الى الهند وتزوج بالبندر المبارك سُرَّة ، وصار مرجعا للانام وتوفي بسرّة في سنة ١٠٣٨ الهجرية رحمه الله تعالى .

السيد طفيل محمد بن السيد شكر الله الحسيني الاترولوي البلكرامي .

كان فاضلا عارفا كاملا عالما بالعلوم الدرسية من العقلية والنقلية .

ولد باترولي في سنة ١٠٧٣ قصبة من توابع آكره ، رحل مع عمه السيد أحسن الله الى دهلي وقرأ الدرس الاول من ميزان الصرف على السيد حسين الملقب برسول نما ، ثم قرأ على عمه المذكور الى شرح الجامي ، وجاء الى بلكرام طلبا للعلم ، وتلمذ على السيد المربي المتوفى في سنة ١١١٧ ، والحاج السيد سعد الله المتوفي سنة ١١١٩ تلميذ ملا عبد الرحيم قاضي مراد أباد من توابع شاهجهان أباد ، وهو تلمذ على عبد الحكيم السيالكوني ، وعلى القاضي عليم الله الكجندوي المتوفى سنة ١١١٤ ، والسيد قطب الدين الشمس أبادي ، ثم احيى

العلوم سبعين عاما وكان رفيق السيد عبد الجليل البلكرامي في سفر اكره ، ولم يتزوج .

توفي في سنة ١١٥١ وله شعر حسن منه :

بهجتي غادة قالت لجارتها شخص اراه خليعا فارغ البال
يحوم كل اوان حول مشربتي اني لاقتله في اسرع الحال

مدحه السيد آزاد بقصيدة بديعة اولها :

يا للاحبة ساروا في التباشير فاسود يومي كاحداق اليعافير

الشيخ نور الدين بن محمد صالح الاحمد آبادي .

كان اوحد زمانه وفرد اوانه .

تلمذ على ملا احمد السليماني ، وملا فريد الدين الأحمد آباديين .

واخذ من كل فن حظا وافرا وقسطا متكاثرا ، وحج وعاد الى احمد آباد ، ولبس الخرقة عن السيد محبوب عالم الملقب بشاه عالم الثاني ، وبنى مدرسة بها رفيعة ، وعكف على التدريس والتصنيف ، وتواليفه تزيد على مائة وخمسين كتابا .

منها تفسير مختصر والحاشية على البيضاوي ، ونور القاري شرح صحيح البخاري ، والحاشية القويمة على الحاشية القديمة ! وحاشية شرح المواقف ، وحل المعاقد حاشية شرح المقاصد ، وحاشية شرح المطالع ، وحاشية التلويح ، وحاشية العضدي ، والمعول حاشية المطول ، والحواشي على شرح الوقاية ، وعلى شرح الجامي على الكافية ، وعلى المنهل والشمسية في المنطق ، وشرح تهذيب المنطق وهو ادق تصانيفه ، والطريق الامم شرح فصوص الحكم .

ولد باحمد آباد في سنة ١٠٦٤ وتوفي بها في سنة ١١٥٥ عن احدى وتسعين سنة تاريخ وفاته اعظم الاقطاب .

ملا نظام الدين بن ملا قطب الدين السهالوي .

كان فاضلا جيدا عارفا بالفنون الدرسية والعلوم العقلية والنقلية ، تلمذ على الشيخ غلام نقشبند اللكهنوي ، وأقام بلهكنؤ واشتغل بالتدريس والتأليف وانتهت اليه رياسة العلم في بورب ، بايع الشيخ عبد الرزاق البانسوي المتوفى سنة ١١٣٦ ، واخذ النصوص الكثيرة عن السيد اسمعيل البلكرامي المتوفى سنة ١١٦٤ .

قال السيد آزاد اجتمعت به فوجدته على طريقة السلف الصالحين ، وكان يلمع من جبينه نور القدس .

توفي في سنة ١١٦١ .

ومن تصانيفه : حاشية على شرح هداية الحكمة للصدر الدين الشيرازي ، وشرح على مسلم الثبوت في اصول الفقه رحمه الله تعالى .

مسند الوقت الشيخ الاجل شاه ولي الله احمد بن عبد الرحيم المحدث الدهلوي .

له رسالة سماها الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف ذكر فيها ترجمته بالفارسية مفصلة .

وحاصلها انه وُلد يوم الاربعاء رابع شوال وقت طلوع الشمس في سنة ١١١٠ الهجرية ، تاريخه عظيم الدين ، ورأى جماعة من الصلحاء منهم والده الماجد مبشرات قبل ولادته وهي مذكورة في كتاب (القول الجلي في ذكر آثار الولي) للشيخ محمد عاشق بن عبيد الله البارهوي البهلتي المخاطب بعلي ، واكتسب في صغر سنه الكتب الفارسية والمختصرات من العربية ، وشرع في قراءة شرح الجامي وهو ابن عشرة سنين وتزوج وهو ابن اربع عشرة سنة واستسعد ببيعة والده في الخامس عشر من عمره ، واشتغل باشغال المشائخ النقشبندية ولبس خرقة الصوفية ، وقرأ البيضاوي واجيز بالدرس ، وفرع من تحصيل العلم ، وقرأ

طرفا من المشكوة والصحيح للبخاري والشمائل للترمذي ، والمدارك .

ومن علم الفقه شرح الوقاية والهداية بتمامها الا طرفا يسيرا .

ومن اصول الفقه الحسامي ، وطرفا صالحا من التوضيح والتلويح .

ومن المنطق شرح الشمسية وقسطا من شرح المطالع .

ومن الكلام شرح العقائد وجملة من الخيالي وشرح المواقف وقطعة من العوارف .

ومن الطب موجز القانون .

ومن الحكمة شرح هداية الحكمة .

ومن المعاني المختصر والمطول ، وبعض الرسائل في الهيئة والحساب الى غير ذلك ، وبرع في هذه كلها واجازه والده بأخذ البيعة ممن يريدها وقال يده كيده .

ثم اشتغل بالدرس نحوا من اثنتي عشرة سنة وحصل له فتح عظيم في التوحيد والجانب الواسع في السلوك ، ونزل على قلبه العلوم الوجدانية فوجا فوجاً ، وخاض في بحار المذاهب الاربعة واصول فقههم خوضا بليغا ، ونظر في الأحاديث التي هي متمسكاتهم في الأحكام وارتضى من بينها بامداد النور الغيبي طريق الفقهاء المحدثين ، واشتاق الى زيارة الحرمين الشريفين فرحل اليهما في سنة ١١٤٣ واقام هناك عامين كاملين ، وتلمذ على الشيخ ابي الطاهر المدني وغيره من مشائخ الحرمين . وتوجه الى المدينة المنورة واستفاض فيضا كثيراً ، وصحب علماء الحرمين صحبة شريفة ، ثم عاد في سنة ١١٤٥ الى الهند .

ومن نعم الله تعالى عليه ان اولاه خلعة الفاتحية ، وألهمه الجمع بين الفقه والحديث واسرار السنن ومصالح الأحكام وسائر ما جاء به ﷺ من ربه عز وجل ، حتى اثبت عقائد اهل السنة بالأدلة والحجج وطهرها من قذى ا س المعقول ، واعطي علم الابداع والخلق والتدبير والتدلي مع طول وعرض وعلم استعداد النفوس الانسانية لجميعها ، وأفيض عليه الحكمة العملية وتوفيق

تشييدها بالكتاب والسنة ، وتمييز العلم المنقول من المحرف المدخول ، وفرق السنة السنية من البدعة الغير المرضية انتهى .

وكانت وفاته في سنة ١١٧٦ الهجرية وله مؤلفات جليلة ممتعة يجل تعدادها .

منها : فتح الرحمن في ترجمة القرآن ، والفوز الكبير في اصول التفسير ، والمسوى والمصفى في شروح الموطأ ، والقول الجميل والخير الكثير ، والانتباه ، والدر الثمين ، وكتاب حجة الله البالغة ، وكتاب إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء ، ورسائل التفهيمات وغير ذلك .

وقد ذكرت له ترجمة حافلة في كتابي اتحاف النبلاء المتقين باحياء مآثر الفقهاء المحدثين ، وذكر له معاصرنا المرحوم المولوي محمد محسن بن يحيى البكري التيمي الترهتي رحمه الله ترجمة بليغة في رسالته (اليانع الجني) وبالغ في الثناء عليه وأتى بعبارة نفيسة جداً واطال في ذكر احواله الأولى والاخرى وأطاب ، فان شئت زيادة الاطلاع فارجع اليهما .

وقد طبع كتابه الحجة لهذا العهد بمصر ، وكذا الازالة بالهند بنفقه الشيخ الوزير محمد جمال الدين خان مدير مهمات الرياسة عافاه الله تعالى ، وكان له اولاد صالحون الشيخ عبد العزيز ، والشيخ رفيع الدين ، والشيخ عبد القادر ، والشيخ عبد الغني والد الشيخ محمد اسمعيل الشهيد الدهلوي ، وكلهم كانوا علماء نجباء حكماء فقهاء كاسلافهم واعمامهم ، كيف وهم من بيت العلم الشريف والنسب الفاروقي المنيف ، وقد آذن الزمان الآن بانصرام ذلك البيت واهله فإنا لله وإنا اليه راجعون .

وكان بيته في الهند بيت علم الدين ، وهم كانوا مشائخ الهند في العلوم النقلية بل والعقلية ، اصحاب الأعمال الصالحات وارباب الفضائل الباقيات ، لم يعهد مثل علمهم بالدين علم بيت واحد من بيوت المسلمين في قطر من اقطار

الهند ، وان كان بعضهم قد عرف بعض علم المعقول ، وعُدّ على غير بصيرة من الفحول ، ولكن لم يكن علم الحديث والتفسير والفقه والأصول وما يليها الا في هذا البيت ، لا يختلف في ذلك مختلف من موافق ولا من مخالف الا من اعماه الله عن الانصاف ، ومسّته العصبية والاعتساف ، واين الثرى من الثـريا ، والنبيذ من الحميا ، والله يختص برحمته من يشاء .

ولكل من اخلافه رحمهم الله مؤلفات ممتعة نافعة ، كفتح العزيز في والتفسير ، والتحفة الاثنا عشرية في الرد على الروافض ، وسر الشهادتين وغيرها للشيخ عبد العزيز الدهلوي .

ومثدمة العلم ، ورسالة العروض ، وكتاب التكميل للشيخ رفيع الدين .

وموضح القرآن للشيخ عبد القادر .

ورسالة في اصول الفقه ورسالة في الامامة ورد الاشراك للشيخ محمد اسمعيل الدهلوي الى غير ذلك .

وهذه المصنفات ممتعة نافعة متداولة بين الناس وفضائلهم شهيرة وهي متلقاة بالقبول من العلماء الاكياس .

لا يدرك الواصف المطري خصائصهم   وان لم يكن بالغـافي كل ما وصفا

والشيخ عبد العزيز عمري فاروقي في النسب وكان السلف من ابائه من حفدة السيد ناصر الدين الشهيد ، وجده الاعلى وجيه الدين الشهيد ، حفيد للسيد نور الجبار المشهدي ، ونسبه يتصل بالامام موسى الكاظم .

ولد عام تسعة وخمسين ومائة والف دلّ عليه لقبه ، غلام حليم قال صاحب (اليانع الجني) ومنها كتابه بستـان المحدثـين جمـع فيه علـوم الحـديث مهذبـة واختصرها منقحة غير اني لم اقف عليها بعد انتهى .

قلت ليس فيه علوم الحديث بل فهرس كتبها وتراجم بعض اهلها على غير

ترتيب وتهذيب وقد ادرجته في مطاوي كتابي (اتحاف النبلاء) فليراجعه .

ومن اصحاب الشيخ عبد العزيز اخوه عبد القادر كان عالما زاهدا فاضلا عابدا ذا ورع في الدين وله وجه وأي وجه بين المتقين ، صادق الفراسة ، حسن التوسم ، اخذ عنه جماعة اجلهم الشيخ ابو العلاء فضل الحق العمري الخيرآبادي احذق الناضرة والادباء في زمانه قال في (اليانع الجني) حدثنا هو بذلك وسمعته غير مرة يثني عليه ويحكي لنا من كراماته انتهى .

ومنهم اخوه الشيخ رفيع الدين المحقق المتقن كانت له خبرة بعلوم الاوائل ، وله مؤلفات جيدة يكثر فيها من رموز خفية يعسر الاطلاع عليها ، ويجمع مسائل كثيرة في كلمات يسيرة ، وكتابه دمغ الباطل في بعض المسائل الغامضة من علم الحقائق معروف ، اثنى عليه به اهلها ، وله مختصر جامع بين فيه سريان الحب في الأشياء كلها ، واوضح للناس اطواره يسمى اسرار المحبة . ومن اجلّ تلاميذه سيدي الوالد الماجد العلامة حسن بن علي بن لطف الله المحدث الحسيني القنوجي البخاري قدس سره ، واستنتج من رسائله كتبا كثيرة بيده الشريفة اوان طلب العلم بدهلي ، منها كتاب (التكميل) ورسالة العروض والقافية ، ورسالة مقدمة العلم وغير ذلك .

ثم ان الاخوين توفيا قبل الشيخ عبد العزيز ، وكذا اخوهما عبد الغني ابو اسمعيل الشهيد .

ومن اصحابه ايضاً ختنه الشيخ عبد الحي البكري من برانه بلدة من اعمال دهلي، وكان من احسنهم خبرة بالفقه الحنفي، وأمرسهم بالكتب الدرسية .

قال في (اليانع الجني) رأيت له رسالة في حث الناس على تزويج أياماهم وردعهم عن استقباح ذلك ، توفي في الغزوة المشهورة بأرض الافاغنة انتهى .

قلت وكان من اخبار سيدي الوالد وليس له تأليف مستقل الا هذه الفتاوى التي كتبها ويذكر عنها في الحوائح ، وله اجازة عن شيخنا وبركتنا الشوكاني

مكاتبة ، وهو اول من جاء بتأليفه الى ارض العند واشاعه ثم تتابع الناس .

ومنهم ابن اخيه اسمعيل بن عبد الغني كان من اذكى الناس بأيامه ، وكان اشدهم في دين الله وأحفظهم للسنة ، يغضب لها ويندب اليها ، ويشنع على البدع واهلها ومن مصنفاته (كتاب الصراط المستقيم) في التصوف ، والايضاح في بيان حقيقة السنة والبدعة ، ومختصر في اصول الفقه ، وتنوير العيني .

قال في اليانع الجني انفرد فيها بمسائل عن جمهور اصحابه ، واتبعه عليها اناس من المشرق ومن بنجالة وغيرها اكثر عدداً من حصى البطحاء .

وله كتاب آخر في التوحيد والاشراك ، فيه امور في حلاوة التوحيد والعسل ، واخرى في مرارة الحنظل فمن قائل انها دُسَّتْ فيه وقائل انه تعمدها والله عالم بالسرائر انتهى .

واقول ليس في كتابه الذي اشار اليه وهو المسمى (برد الاشراك) في العربية (وبتقوية الايمان) بالهندية شيء مما يشان به عرضه العلي ، ويهان به فضله الجلي ، وانما هذه المقالة الصادرة عن صاحب اليانع الجني مصدرها تلمذه بالشيخ فضل حق الخير آبادي ، فانه اول من قام بضده وتصدّى لردّه في رسائله التي ليست عليها آثاره من علم الكتاب والسنة ، وان شئت زيادة الاطلاع على حالهٖ ومآله فارجع الى كتابنا (اتحاف النبلاء) يتضح عليك ما تذهب به الشحناء من صدرك ان شاء الله تعالى .

ومنهم ابن بنته الشيخ محمد اسحق المهاجر يقال انه وُلِدَ على التقوى ترجمةُ المشكوة له معروفة مرغوب فيها على ما فيها من عوج ، وكذا بعض رسائل فارسية تنسب اليه ، نعم كان كثير العبادة ، قليل العلم ، غزير التقوى ، نزره الاطلاع على الفنون .

ومنهم الشيخ جمال الدين المعروف بحسن علي الهاشمي اللكنوي كان له خبرة في الحديث يعتني لعلومه .

واشتهر انه كان شافعي المذهب ، رأيت له فتاوى بالفارسية على طريقة الفقهاء ولم يجد له عزما يمتاز به عن غيره .

وكان من احباب سيدي الوالد الماجد رحمه الله ، وقد تعقبه الوالد في بعض مسائله .

ومنهم الشيخ رشيد الدين خان الدهلوي ، كان فاضلا جامعا بين كثير من العلوم الدرسية ، وكان حسن العبارة دأبه الذب عن حمى اهل السنة والجماعة والنكاية في الرافضة المشائيم ، صنف في الرد عليهم كتابه (الشوكة العمرية) وغيرها مما يعظم موقعه ، عند الجدليين من اهل النظر ونجاره كشميري .

ومن رهطه شيخي المفتي صدر الدين خان بهادر ، ولي الصدارة بدهلي من جهة البرطانية حكام الهند اليوم فاستمر عليها الى الفتنة .

واخذ الحديث عن الشيخ المهاجر وله رسالة (منتهى المقال في شد الرحال) قال في اليانع الجني قد تأنق فيها سلمه الله تعالى انتهى اي اتى بتحقيقات رائقة .

قلت هذا غلط بحت ، بل زل فيها زلة عظيمة تنبىء عن قلة اطلاعه على ادلة المسئلة وماجرياتها وقد ردّ عليه فيها بعض علماء الهند ويغني عن ذلك كله كتاب (الصارم المنكي) في هذا الباب .

ومنهم السيّد حيدر علي الرامفوري[1] ، نزيل تونك رحمه الله اخذ عن الشيخ عبد العزيز المحدث ، وكان فاضلا جليلا جمع علم الطب الى سائر علومه ، وكان يذب عن اسمعيل الشهيد قال في (اليانع الجني) وله مع شيخنا ابي العلاء الفضل بن الفضل الخير آبادي مباحثات في شأن اسمعيل يحويها بطون مؤلفاتهما بدرت منه عند البحث بوادر وهّاها العلماء توفي في المحرم مستهل عام القرطاس رحمه الله انتهى .

---

(١) وتأتي بقية ترجمته تحت ترجمة المفتي سعد الله المرحوم ان شاء الله تعالى ، منه مد ظله .

قلت والحق ان الحق في تلك المباحث بيد السيد لا بيد الشيخ كما يظهر من الرجوع الى كتبهما عند نظر الانصاف وقد رأيت اكثرها ولم ار السيد كما رأيت الشيخ وقد كتب على بعض كتب لي تقريظات حسنا وبالغ فيه في الثناء عليّ بما لست اهلا له .

ومنهم الشيخ الفاضل سلامة الله البدايوني ثم الكانفوري ، ومن ذرية عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق ، كان فقيها صوفيا شاعرا واعظا ، حصلت له الاجازة من قبل الشيخ عبد العزيز واجتمع معه في آخر عمره ، وكتب له ايضا الشيخ رفيع الدين الاجازة بيده من قبل اخيه .

قال في اليانع الجنيّ وهو من اجلة اشياخي في الهند انتهى ، ثم اثنى عليه وذكر له تأليفات في التصوف والشعر والرد على الرافضة .

واقول عداده عندنا من العلماء المبتدعين والفضلاء المريدين للدنيا المؤثرين لها على الآخرة والله اعلم .

السيد محمد يوسف بن السيد محمد اشرف الواسطي البلكرامي كان قسطاس المعقولات ونبراس المنقولات .

ولد في سنة ١١١٦ ، وهو سبط السيد عبد الجليل ، وابن خالة السيد آزاد كسبا العلوم بالموافقة ، وسلكا جادة التحصيل بالمرافقة ، وقرأ الكتب الدرسية والفنون من البداية الى النهاية على السيد طفيل محمد المتقدم ذكره ، واللغة والسير على جدهما السيد عبد الجليل ، والعروض ، والقوافي على السيد محمد ، ثم اكتسب الهيئة والهندسة من فضلاء دهلي حين رحل آزاد الى الحرمين الشريفين وبايع السيد لطف الله الحسيني الواسطي البلكرامي ، واستقام على الشرائع ، وأقام في الوطن ، ورمى الدهر آزاد الى الدكن ثم توفي في سنة ١١٧٣ ودفن عند قدم جده المذكور ، له شعر حَسَنٌ في اللسانين العربي والفارسي منه :

لاحت لنا روضة راقت مباسمها   وعارضت في السنا برق اليعاليل

فلا تخــل تلك أوراد بسمـــن بها   هن المصـــابيح في حمـــر القناديل

وله كتاب (الفرع النابت من الأصل الثابت) في التـوحيد الشهـودي ، وقفت عليه فوجدته مفيدا في بابه خطيبا في محرابـه ، ارخ له السيد آزاد بأبيات عربية ذكرها فى سبحة المرجان في آثار هندوستان .

السيد قمر الدين الحسيني الاورنك آبادي .

كان قمرا طالعا في ميزان الشرع المبين ، وكوكبا ساطعـا في اوج الشرف الرصين ، آباؤه من سادات خجند والسيد ظهير الدين منهم ، هاجر منها الى الهند وتوطن في آمن آباد من توابع لاهور ، ثم ابنه السيد محمد رحل الى الدكن ، وكان ابنه السيد عناية الله من العرفاء ، اخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ ابي المظفر البرهان فوري ، عن الشيخ محمد معصوم ، عن ابيه الشيخ احمد السهرندي ، وتوطن ببلدة بالابور على اربع منازل من برهانفور ، وتوفي بها سنة ١١١٧ .

وابنه السيد منيب الله المتوفى سنة ١١٦١ كان من العرفاء ايضا ، وصاحب هذه الترجمة ولده الارشد ولد سنة ١١٢٣ وساح في مناهج الفنـون ، وبـرع في العلوم العقلية والنقلية حتى صار في النقليات إماما بارعا ، وفي العقليات برهانا ساطعا ، حفظ القرآن وزان العلم بالعمل ، وراح الى دهلي وسهرنـد وزار قبـر المجدد ، ورحل الى لاهور واجتمع بطائفة من العلماء والعرفاء في تلك البلاد ، ثم رجع الى بالابور وجاء الى اورنك آباد وانعقد الوداد بينه وبين السيد آزاد فكانا فرقدين على فلك الاتحاد ، ثم ارتحل الى الحرمين الشريفـين مع ابنيه الكريمـين ميرنور الهدى ومينور العلي ورجع الى الهند ، ثم انتهض مع اهل بيته الى اورنك آباد .

له كتاب في مسئلة الوجـود سماه مظهـر النـور بـين فيه مذاهـب العلماء ومسالك المتكلمين والحكماء ذكر طرفا منها السيد آزاد في السبحة وارخ له بأبيات عربية اولها :

فاح عرف النسيم في السحر   وأتانـــي بأطيب الخبر

توفي في اورنك آباد في سنة ١١٩٣ ودفن داخل البلد ، قال آزاد في تاريخ وفاته موت العلماء ثلمة .

المين نور الهدى بن السيد قمر الدين نور هذا القمر الوقاد وثمر هذا الشجر المياد ولد في سنة ١١٥٣ باورنك ، وتلمذ من البدء الى الغاية على ابيه ، وبرع في العلوم الدرسية وهو ابن ستة عشر سنة ، ثم حفظ القرآن الكريم وحج وعاد مع ابيه ، وعكف على التدريس والتصنيف ، وحرر شرحا على مظهر النور لوالـده اورد آزاد شيئا من عبارة هذا الشرح في سبحة المرجان واثنى عَليه ثناء جميلا .

السيد غلام علي آزاد بن السيد نوح الحسينـي نسبـا الواسطـي حسبـا البلكرامي مولدا ومنشأ، والحنفي مذهبا ،الجشتي طريقة ،الملقب بحسان الهند ، ذكر لنفسه الشريفة ترجمة حافلة بالعربية والفارسية في غالب كتبه .

وهذا خلاصتها :ولد في الخامس والعشرين من صفر يوم الاحد سنة ١١١٦ بمحروسة بلكرام ، واتم تحصيل الكتب الدرسية من البداية الى النهاية على السيد طفيل محمد ، واخذ اللغة والسـير وسنـد الحـديث المسلسـل بالأولية وحـديث الاسودين واجازة اكثر كتب الحديث والشعر العربي والفارسي عن جده القريب من جهة الام السيد عبد الجليل البلكرامي ، والعروض والقوافي عن خاله السيد محمد وبايع السيد لطف الله البلكرامي المتوفى سنة ١١٤٣ ، ورحـل الى البيت العتيق ولذلك قصة عريضة طويلة ذكرها في (سبحة المرجان) و (تسلية الفؤاد) و غيرهما بعبارة احلى من العسل المصفى ، ومرّ في هذه الرحلة على بلدة بهوبال المحمية ، وقرأ بالمدينة المنورة صحيح البخاري على الشيخ محمد حياة السندي واخذ عنه اجازة الصحاح الستة وسائرمقروءاته ، وصحب الشيخ عبد الوهاب الطنطاوي المصري المتوفى سنة ١١٥٧ واخذ عنه فوائد جمة ، وعرض عليه تخلّصه آزاد فقال انت من عتقاء الله تعالى ، فاستبشر بهذه الكلمة وأرَّخ لحجه بلفظ عمل

اعظم .

ورحل الى الطائف وزار هناك قبر سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، ثم رجع الى الهند وأرخ له لفظ (سفر بخير) والقى عصا التسيار باورنك آباد ، واقام في تكية الشاه مسافر الغجدواني المتوفى سنة ١١٢٦ هـ عند شاه محمود المتوفى في سنة ١١٧٥ سبعة اعوام ، وحصل بينه وبين نواب نظام الدولة ناصر جنك خلف نواب نظام الملك أصف جاه الموافقة فأحبه حباً شديدا ، ورفعه مكانا علياً ، وكان لا يدعه في الظعن والإقامة حتى فاز برتبة الشهادة في سنة ١١٦٤ وكان يوما راكبا على الفيل وآزاد ايضا على فيل آخر فانشد :

هو ناصر الاسلام سلطان الورى ابقاه في العيش المخلد ربه
حاز المناقب والمآثر كلها جبل الوقار يحبنا ونحبه

ولم ينظم قط في مدح غني بيتاً الا هذين ، وكان نزيلا بأورنك آباد ثابتا في مقام الفقر والفناء ، مجتمعا كالمركز في دائرة الانزواء ، ولما توفي نظام الملك في سنة ١١٦١ وتولى نظام الدولة رياسة الدكن بالغ في اختياره لمنصب من مناصب الامارة فأبى ونفض الذيل عن الهبا وقال(١) :

هذه الدنيا مثل نهر طالوت ، غرفة منه حلال والزيادةخ عليها حرام

واشند :

عصابة اعطوا العافين سلطنة ان سلموني لنفسي فهو مغتنم

ولە مصنفات جليلة ممتعة مقبولة ، منها :

ضوء الدراري شرح صحيح البخاري الى آخر كتاب الزكوة ، وقفت عليه وذكرت اوله في كتابي الحطة بذكر الصحاح الستة ، وتسلية الفؤاد ،وسبحة

---

(١) يعني ابن ديابنهر طالوت مياند غرقه ازان حلال ست وزيادة برآن حرام : درين ديار كه شاهي بهركدا بخشند ، غنميت ست كه مارا همين بما بخشند منه مد ظله .

المرجان ، وشفاء العليلي في المؤاخذات على المتنبي في ديوانه ، وغزلان الهند ، وسند السعادة ، وسرو آزاد ، وخزائنه عامرة ويد بيضا ، وروضة الأولياء ، ومآثر الكرام ، وتاريخ بلكرام ورسائل أُخر ، وديوانان ، وما ظهر في الهند قبله من يكون له ديوان عربي ، ومن يكون له شعر عربي على هذه الحالة ، وقرر نصاب القصيدة احدا وعشرين بيتا الى احد وثلثين ، وهي الدرجة الوسطى التي تريح الاسماع ولا تمل الطباع ، وجملة اشعاره في الدواوين ثلثة آلاف ، وارسلها الى بعض الفضلاء بالمدينة المنورة فعرضها على (الروضة الخضراء) وأوصلها الى داخل شباك القبة الغراء والأمثلة المترشحة من قلمه في كتاب سبحة المرجان زائدة على ثلثين الف .

هذا آخر ما لخصته من كتابه المذكور ، وله الدواوين السبعة بالعربية تغزل فيها واكثر من مدحه صلى الله عليه وسلم وهي موجودة عندي .

وله مظهر البركات في البحر الفارسي واللسان العربي على وزن المثنوي اجاد فيه كل الاجادة ، وقد ذكرت ترجمته ايضا في كتاب (اتحاف النبلاء) وأوردت طرفا صالحا من اشعاره الغراء .

وله ثلثة ديوان أُخر غالبها مدح النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف لاحد من علماء الهند من يكون له الشعر العربي بهذه الكثرة والمثابة ، وأُعطي لقب حسان الهند من جهة الاستاذ[1] وتوفي في سنة ١١٩٤ في بلدة اورنك آباد ودفن بالموضع الذي يعرف بالروضة احله الله تعالى في روضة الجنان وخصه بنعيم الروح والريحان .

السيد جان محمد البلكرامي هو ابن عم السيد عبد الجليل العلامة الواسطي .

---

(١) وتاريخ وفاته كلمة غلام علي آزاد .

ولد في سنة ١٠٨٣ ، وكان ابوه السيد معين الدين صاحب دار العدالة ببلدة ملتان ، اقره على هذه ناظمها نواب مكرم خان خلف نواب شيخمير في عهد عالمكير ، وحفظ القرآن وأخذ القراءة ، ثم رتع في رياض العلوم وارتقى بها الى اعالي الغصون ، فحاول من كل فن طرفا صالحا ، وتناول من كل نوع وزنا راجحاً ، واكتسب قلم النسخ في غاية الملاحة ، وكان يتكلم بالفارسية في نهاية الفصاحة ، ثم خرج من الوطن شوقا الى الحج ، وذهب الى بغداد وسرمن رأي ومنها الى نجف وكربلاء وطوس ، ومنها الى البيت الحرام وأدّى مناسك الركن والمقام ، وسار الى المدينة وأقام بها متمنياً للموت ، وكان يجلس بالمسجد النبوي ويصحح المصاحف الى ان توفي في سنة ١١٤٩ ، ودفن بالبقيع ومدحه السيد آزاد بقصيدة بليغة في تسلية الفؤاد اولها :

حي الغمام بساكب هتان ارضا هناك أو أنس الغزلان

ومنها :

طوبى لقوم هاجروا وتوطنوا تلك الديار ومعادن الايمان

وذكر فيها قصة هجرته الى الحرمين وما وقع له في هذا البين . .

المولوي فضل الحق العمري الحنفي الماتريدي الجشتي الخير آبادي ولد بها في سنة ١٢١٢ يرجع نسبه الى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

تلمذ على ابيه الفاضل فضل إمام ، وسمع الحديث على الشيخ الاجلّ عبد القادر بن مسند الوقت الشه ولي الله المحدث الدهلوي ، وحفظ الكتاب في اربعة اشهر ، وفرغ عن اكتساب العلوم وهو ابن ثلث عشرة سنة ، واخذ الطريقة عن شاه دهو من الدهلوي ، وصار بارعا في علم المنطق والحكمة والفلسفة والعربية والكلام والاصول والشعر ، ونظمه يزيد على اربعة آلاف شعر وغالب قصائده مدح النبي ﷺ ، وبعضها في هجو الكفار والفساق ، اتته الطلبة للاشتغال عليه من بلاد بعيدة فدرس وأفاد وألف واجاد الى ان حُبس على يد الافرنج وارسل

به الى جزيرة رنكون فتوفي بها ثاني عشر صفر من سنة ١٢٧٨ .

كان إمام وقته في العلوم الحكمية والفلسفية بلا مدافع ، غير انه وقع في اهل الحق ونال منهم على تعصب منه ، وكان السبب في ذلك قلة الخبرة منه بعلوم السلف وطريقتهم في الدين ، واتباعهم للادلة الواردة عن سيد المرسلين ، مع ميل الى البدع التي يستحسنها المقلدة ، ولذا انتقد عن سيد المرسلين ، مع ميل الى البدع التي يستحسنها المقلدة ، ولذا انتقد عليه عصابة من علماء الحق تواليف في ذلك .

ومن مؤلفاته رسالة الجنس الغالي في شرح الجوهر العالي ، وحاشية شرح السلم للقاضي مبارك ، وحاشية الافق المبين لباقر داماد ، وحاشية تلخيص الشفاء لابن سينا ، والهداية السعيدية في الحكمة الطبيعية ، ورسالة في تحقيق العلم والمعلوم ، والروض المجود في تحقيق حقيقة الوجود ، ورسالة في تحقيق الاجسام ، ورسالة في تحقيق الكلي الطبعي وفي التشكيك وفي الماهيات ، وتاريخ فتنة الهند الى غير ذلك .

وله نظم رائق وشعر فائق لولا انه اكثر فيه من التجنيس الذي ينبو عنه السماع وتأباه الطباع وقصائد وغزليات وتقاريظ وأدبيات جمعها الشيخ الاديب جميل احمد البلكرامي المرحوم في مجموع وشرح معانيها ، وقد رأيت الشيخ فضل الحق بدهلي زمان الطلب وهو كهل في المسجد الجامع وقد اتى هناك لصلوة الجمعة وزيه زي الامراء دون العلماء ، وكان بينه وبين استاذي الشيخ العلامة محمد صدر الدين خان الدهلوي صدر الصدور بها مودة اكيدة ومحبة شديدة ، لانهما كانا شريكين في الاشتغال على استاذ واحد وعلى ابيه الفاضل فضل امام ، ومع ذلك يسخط استاذي عليه في بعض اموره .

منها رده على الشيخ الحافظ الواعظ المحدث الاصولي الحاج الغازي الشهيد محمد اسمعيل الدهولي ويقول لا أرضى منك ذلك وليس هذا بعشك ، ثم رأيت

ولده الفاضل الفلسفي المولوي الشيخ عبد الحق بن فضل حق في سفري الى دهلي في سنة ١٢٩٤ فوجدته ايضا كهلا في العمر ، وبارعا في العلم ، ومهذبا في الخلق ، وقد كتب كراسة في الشرح لرسالتي في اصول الفقه المسماة بحصول المأمول من علم الأصول ، وهي دالة على سعة علمه في هذا الفن حياه الله وبياه ، والذي لا يرتضيه منه اهل العلم بالكتاب والسنة مشيه على طريقة اسلافه من الانهماك في الفلسفة ، وما يليها وعدم المبالاة بالعلوم الاسلامية وما يضاهيها ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

وقد طالما خطر ببالي ان اكتب كتاباً مستقلا في تراجم علماء الهند وفضلائها الى ان سودت اوراقي ذلك ، ثم شغلني عنها عوائق الزمان ولم يتيسر لي تهذيبها الى الآن ، ولعل الله يحدث بعد ذلك امراً فاقتصرت في هذا الكتاب هذه الساعة على ذكر جماعة خاصة منهم مشهورة ، واعرضت عن ذكر الباقين لا سيما المعاصرين لوجوه ليس هذا موضع ذكرها كيف وليس في المعاصرين من يكون في طبقة الراسخين من العالمين .

المولوي محمد باقر النائطي المدراسي المتخلص بآكاه اصله من بيجابور وولد في ديلور في سنة ١١٥٨ كان عالما شاعرا يعرف العلوم العجيبة والفنون الغريبة لم يقم من كرنائك مثله في الفضائل الجليلة ولم يدرس في بلدة مدراس غيره من اهل الفواضل الجميلة ، له يد طولى في الأدب وبراعة كاملة في لسان العرب وقفت له على أبيات في الرد على الشيعة وكان شافعي المذهب مات رحمه الله في سنة ١٢٢٠ الهجرية .

الشاه عبد القادر المتخلص بمهربان المعروف بالفخري ، اصله من السادة النقوية الساكنة بنيشابور ، انتقل بعض اسلافه الى قصبة كنتور من مضافات لكهنؤ ، ووالده السيد شرف الدين خان ألقى عصا التسيار ببلدة اورنك آباد ، واختص بقضاء بلدة (روضة) وهناك وُلِدَ الفخري في سنة ١١٤٣ وحفظ القرآن

واكتسب العلوم العقلية والنقلية ، ودرس وطالع كتب التفسير والحديث والتصوف حتى صار بارعا في ذلك كله ، ولبس خرقة الطريقة القادرية يتخلص مرة بالفخري ، واخرى بمهربان له شعر مدون ذكر له استاذه آزاد ترجمة في تذكرته ، واثنى على ذكائه وفطنته كثيرا ، جلس على كرسي الافادة ، ومسند الارشاد ، وافنى عمره في هداية العباد ، وتكميل الزهاد .

ورحل في اواخر المائة الثانية عشر الى (مدراس) وأقام بها مفيدا مفيضا ، وعظمه نواب والاجاه تعظيما جليلا وحسّن العقيدة فيه الى ان مات رحمه الله في سنة ١٢٠٤ ، ودفن بخانقاه الواقع بقصبة ميلابور من مضافات مدراس .

الشيخ الفاضل المفيد القاضي المفتي محمد سعد الله المراد آبادي رحمه الله لم اره ولكن كان بيننا وبينه الكتابة والخط ، اهدى الينا رسائل من مؤلفاته ، واتحفت اليه كتباً من مصنفاتي فاستحسنها كثيرا واثنى عليها ثناء كبيرا ، وطلبت منه ترجمته فكتب الينا ما تعريبه :

ولدت بمراد آباد في سنة ١٢١٩ تاريخه (ظهور حق) وايضا (بيدار بخت) اكتسبت في زمن الصبا الكتب الفارسية من معلمي المكاتب ، ورحلت الى رامفور ونجيب آباد مراهقا ، وقرأت مختصرات الصرف والنحو عند المولوي عبد الرحمن القهستاني تلميذ بحر العلوم الملا عبد العلي اللكنوي ، وفي سنة ٣٩ وصلت الى دهلي ، وحضرت في مجالس الوعظ للشاه عبد العزيز وغيره من اكابر البلدة ، وكان يحلل الغوامض المستفسرة عنها بالارشادات اللسانية ، وحصلت بعض الكتب الدرسية من المولوي محمد حياة اللاري الفنجاني ، واخوند شير محمد خان الفاضل ، والمفتي الكامل محمد صدر الدين خان .

ثم رحلت في سنة ٤٣ الى بلدة لكهنؤ واكملت التحصيل في خدمة المولوي محمد اشرف والمولوي محمد ظهور الله ، والموي محمد اسمعيل المراد آبادي ، والمولوي حسن علي المحدث ، واقمت هناك مدة اثنتين وعشرين سنة ، وسافرت

في سنة ٢٠ الى الحرمين الشريفين ، ورجعت الى لكهنؤ ، وبعدما انقلبت سلطنة أَوَدْ وتسلطت عليها النصارى جئت الى رامفور قبل الفساد الواقع في مملكة الهند وانا نزيلها الى يومنا هذا .

ومن مؤلفاته القول المأنوس في صفات القاموس ، وميزان الافكار شرح معيار الاشعار ، ونوادر الوصول في شرح الفصول ، وحاشية شرح السلم لحمد الله ، وحاشية شرح الجغميني ، وزاد اللبيب الى دار الحبيب ، ومحصل العروض مع شرحها الى غير ذلك مما لم يتم انتهى بلفظه الشريف .

وقد طلبته لقضاء بلدة بهوبال المحمية واراد الرحلة اليها لكن سبق القضاء فتوفي رحمه الله في سنة ١٢٩٣ الهجرية ، وطلبت منه تراجم علماء بلدة رامفور فكتب شيئاً منها وذكر منهم :

المولوي محمد حسن السهالوي اللكنوي ، وكتب انه كان من اشهر علماء هذه البلدة ، جاء في عهد نواب فيض الله خان الى رامفور ، واقام بالمحلة المعروفة بالمدرسة وله اولاد .

المولوي محمد اسحق .

والمولوي موسى .

والمولوي عبد الله وهؤلاء الثلثة ههنا ورأيت له ولدين بلكنؤ وهما المولوي غلام يحيى ، والمولوي غلام زكريا .

ومن مؤلفاته شرح السلم والمسلم ، والحواشي على الزواهد ، وعلى شرح هداية الحكمة ، والشمس البازغة ومعارج العلوم ، وغيرها وهي معروفة .

ومن ارشد تلاميذه المولوي محمد مبين اللكنوي والمولوي عماد الدين اللبكني مات رحمه الله في رامفور ودفن بمقبرة نواب محمد عليخان والد نواب احمد عليخان تشرفت بزيارته حيا .

ومنهم الملا عبد العلي بحر العلوم قدم برامفور في زمن نواب فيض الله

خان ، وتقررت له وظيفة مائة ربية في كل شهر ، ثم سافر بعد سنة الى مدراس وعظم قدومه نواب محمد عليخان والي صوبة اركات ، ، له من التأليفات الحواشي والتعليقات والشروح على اكثر الكتب الدرسية ، وكان شديد البغض لمذهب الرفض ، مات بمدراس رحمه الله وكان حينئذ برامفور الملا عمران والد المولوي خليل الرحمن ، صاحب حاشية الدوار على الدائر ، والمولوي رستم علي ، والمولوي غلام بني الشاهجهانفوري ، ولهما حواش على رسالة ميرزاهد ، والمولوي محمد جيلاني صاحب جنكنامه وهؤلاء كلهم تلمذوا على بحر العلوم .

ثم اشتهر الملا احمد الولايتي تلميذ المولوي بركت في العلوم الدرسية والفلسفية اشتهاراً واليه تنتهي سلسلة علماء هذه البلدة ، وكان المفتي شرف الدين ختناً له تلمذ على احمد جماعة من اهل العلم منهم :

المولوي رستم علي ، والمولوي هدايت علي وغيرهما ، ومن اكابر علماء هذه البلدة .

المولويي سلام الله من اولاد الشيخ عبد الحق الدهلوي ، كان جامعا للمعقول والمنقول عارفاً بالحديث مشهورا به ، له الكمالين حاشية الجلالين ، والمحلى شرح الموطأ ، وترجمة صحيح البخاري بالفارسي ، وترجمة الشمائل للترمذي ايضا ، وُلد له المولوي نور الاسلام وبرع في العلوم العقلية والنقلية لا سيما علم الرياضي .

ومنهم : السيد المولوي حيدر علي جاء في صغر السن وتلمذ على المولوي عبد الرحمن القهستاني الدكني اولا ، وعلي المولوي محمد جيلاني ثانيا ، وكمل التحصيل وتزوج بابنته واختص بختانته ، وكان بارعا في علم الطب له يد طولى

---

(١) ألفه لنواب غلام محمد خان .

في ذلك خرج في آخر عهد نواب احمد عليخان الى طونك وارتفع بها شأنه وقدرته ومات هناك .

قلت : له تقريظ على رسالتنا المسماة بكلمة الحق في رد عمل المولد ،وكان من احباب والدنا المرحوم ، وكان بيننا وبينه الخط والكتابة ، وكان قصير القامة نحيف البدن ، ومن مؤلفاته (صيانة الاناس عن وسوسة الخناس) بالهندية ورسالة (في اثبات رفع اليدين في المواضع الاربعة من الصلاة) حررها ردا على المولوي محبوب علي الدهلوي بالفارسية ، وكان يدرس ويطبب وينفع الناس انتهى قولي .

واما الموالي الآخرون الذين اجتمعوا في رامفور وهم : الملا محمود الولايتي ، والملا كمال ، والد المولوي جلال الدين ، والملا عبد اللطيف ، الفقيه والملا نسيم المنطقي ، والملا جمال الصيرفي ، والملا عبد الرحيم ، والملا عبد الله البكلوي والملا غفران المعروف بروايت كش ، والمولوي محمد حياة ، والمولوي محمد علي ابن اخت زوجة المفتي محمد شرف الدين ، والمولوي اسحق ولد الملا احمد المذكور الى غير دلك فلم تبق منهم آثار التأليف ، وكان الملا عياض تلميذ المفتي محمد شرف الدين رجلاً بحاثاً يباحث ويناظر كل واحد له كتاب دستور المنتهى في الصرف ألفه في مقابلة دستور المبتدي ، واختار لفظ الشك والفك مكان السؤال والجواب واصطلح عليهما فيه .

ومن مؤلفات المفتي شرف الدين كتاب سراج الميزان في المنطق وشرح السلم الى مقام لا يحد ولا يتصور ، وبعض الفتاوى الفقهية .

قلت وكان شراً في الدين لا شرف الدين كما سماه بذلك سيدي الوالد قدس سره .

وكان ابعد خلق الله من السنة مع حفظ الحواشي والشروح الكثيرات للكتب الدرسية المتداولة منتصرا للبدعة رادّا على اهل الحق بخرافاته ، محباً للدنيا عفا الله عنه ما جناه .

واما علماء هذا العهد فمنهم : المولوي عبد الحق بن المولوي فضل حق ،

والفاضل المولوي حيدر علي الفيض آبادي صاحب منتهى الكلام . والمولوي سديد الدين خان ولد المولوي رشيد الدين خان الدهلوي ، والمولوي عبد العلي المنطقي ، والمولوي حسن شاه المحدث ، والمولوي محمود عالم والمولوي الحافظ لطف الله ولدنا انتهى كلام المفتي محمد سعد الله رحمه الله مع زيادة يسيرة عليه .

وقد لاقيت الاول والثاني من هؤلاء الجماعة ببلدة بدهلي وتأتي الينا خطوطهم .

وممن يعد في العلماء ببلدة رامفور ارشاد حسين ولكنه ليس برشيد ولا مرشد بل رجل متصوف متفلسف مقلد واي مقلد ، والمهدي من هداه الله .

والمولوي لطف الله ولد المولوي المفتي محمد سعد الله جاء الى بهوبال وصار ملازما بالرياسة ، وجدته عالما صالحا ذا متانة وتقاوة على قدم ابيه المرحوم ، ولما توفي والده ترك التعلق ورحل الى رامفور وصار هناك قائمقام ابيه ، لطف الله به واحسن اليه وقد اعانا على بعض الكتب المطلوبة لنا بالاستعارة جزاه الله خيراً .

الشيخ عبد الغني بن ابي سعيد العمري نزيل المدينة المنورة حالا ، وُلِدَ في شعبان سنة ١٢٣٥ بدهلي دار ملك الهند ، حفظ القرآن واقتنى الفقه على مذهب النعمان ، وحصلت له الاجازة من علماء الهند والحجاز ، فاشتغل بدرس الحديث ، ورواية الاثر ببلدته ، والف ذيلا على سنن ابن ماجة سماه انجاح الحاجة وقد طبع على هامشها بدهلي ، وله غير ذلك من المؤلفات .

ثم لما وقعت الفتنة في الهند وتسلط العلوج على دهلي ، توجه في رهطه الى ارض العرب فقدم مكة المكرمة اولا ، ورحل الى المدينة المنورة ثانيا ، وهو اليوم نزيلها مواظب على ما عوّده من الوظائف ،رأيته بدهلي مراراًثم لقيته بالطيبة الطابة آخرافي سنة ١٢٨٥ سلمه الله تعالى .

ومشائخه الذين اخذ منهم العلم وانتفع بهم جمع اجلة منهم :

والده[1] الشيخ ابو سعيد قرأ عليه كتاب الموطأ لمحمد بن حسن الشيباني ، واخذ منه طريقة الصوفية وصار مجازا بها وبسائر ما وصل اليه من اشياخه ، وصحبه في حجته وحصلت له دعوة بركته .

ومنهم الشيخ مخصوص الله بن مولانا رفيع الدين الدهلوي قرأ عليه كتاب المشكوة للخطيب التبريزي ، وكان مقريا في دروس عمه الشيخ عبد العزيز بعد ما توفي ابوه رأيته بمنزله في دهلي ووجدت فيه عصبية على بعض الفقهاء الحنفية ، وكان موصوفا بالصلاح مات في سنة ١٢٧٣ .

ومنهم الشيخ ابو سليمان اسحق ابن بنت الشيخ عبد العزيز ، واخذ من جده المذكور وجلس بعده مجلسه ، وكان معروفا بالزهد والصلاح ، وله مؤلفات بالفارسية يتعاطاها عوام اهل الهند ، هاجر الى مكة المكرمة واقام بها سنين ثم توفي بها عام (١٢٦٢) .

ومنهم الشيخ محمد عابد السندي الانصاري نزيل المدينة المنورة ، قرأ عليه بعض صحيح البخاري واجاره بباقيه ، وكتب له الاجازة العامة برواية الكتب الستة التي اوردها في كتابه حصر الشارد .

ومنهم : الشيخ ابو زاهد اسمعيل بن ادريس الرومي ثم المدني اجازه كذلك اجازة عامة مكاتبة والله اعلم بالصواب ثم توفي رحمه الله سنة ١٢٩٦ بالمدينة المنورة

علماء قنوج

الشيخ الاجل علي اصغر بن الشيخ عبد الصمد القنوجي البكري الكرماني ، من اولاد الشيخ عماد الدين الكرماني صاحب الفصول العمادية ،

---

(١) قرأ الكتب على المفتي شرف الدين الرامفوري وبعضها على الشيخ رفيع الدين واجيز بالاجازة العامة عن الشيخ عبد العزيز الدهلوي المحدث وبالطريقة النقشبندية عن الشيخ غلام علي العلوي رحمه الله ببلدة طونك صبيحة عيد الفطر في سنة ١٢٤٩ الهجرية ، سيد ذو الفقار احمد سلمه الله الاحد .

كان من اعيان علماء قنوج واكابرها .

ولد في سنة ١٠٥١ واخذ العلوم الدرسية المتداولة عن السيد العلامة محمد القنوجي ، واتم المتوسطات والمطولات في حلقة درس السيد عصمة الله السهارنقوري ، وقرأ فاتحة الفراغ عند الشيخ الكامل ملا محمد زمان الكاكوروي ، وصار بارعا في جميع العلوم النقلية والعقلية ، إماما في التصوف والسلوك له مصنفات .

منها : اللطائف العلية في المعارف الالهية على طريقة كتاب فصوص الحكم لابن عربي الطائي .

ومنها : تبصرة المدارج في علم السلوك جمع فيه مااستفاده من شيخه بير محمد الجونفوري المولد اللكهنوي المحتد .

ومنها : القصيدة المهيمنية في النفحة المحمدية وشرحها المسمى بالنفائس العلية في كشف اسرار المهيمنية .

ومنها : تفسير القرآن الكريم المسمى بثواقب التنزيل مختصر على هيئة تفسير الجلالين لكن احسن منه في البلاغة والمتانة .

وله شرح فصوص الحكم وملخصه ينتهي نسبه الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه .

قال السيد غلام علي ازاد البلكرامي رحمه الله في مآثر الكرام خرج بعض آبائه من المدينة المنورة بتصاريف الزمان وتوطن بكرمان وارتحل الشيخ مبارك بن عماد الدين الكرماني من كرمان الهند ، واقام ببلدة قنوج وتوطن بها وفيها أعقابه الى الآن شارك الشيخ علي اصغر في تحصيل العلم مع الشيخ احمد ملا جيون صاحب نور الانوار ، ولبس الخرقة من الشيخ بير محمد اللكهنوي واستجار فأجاز وبايعه ، وجلس في الاربعينات ورجع الى قنوج واختار العزلة الى آخر العمر ، ودرس ستين سنة بلغ خلق كثير في حوزة درسه الى منتهى الفصيلة ، ادركت

صحبته مرارا ووجدته ذاتاً مقدساً مباركاً توفي في سنة ١١٤٠ وقلت تاريخه بالفارسية :

مولوي زمان على اصغر ازوفاتش كما شد معدوم
منال تاريخ اونوشت خرد شد نهان آفتاب صبح علوم

انتهى كلامه مترجما ١١٤٠ هـ .

السيد إمام والسيد حسن والسيد صدر الدين القنوجي كانوا من مشاهير علماء هذا البلد في عهد السلطان سكندر اللودي في سنة ٩٠٤ ، وكان السيد صدر الدين ملازم ركاب السلطان في كل حين واوان .

الخواجه محمد بن عبد الرحمن القنوجي كان سيدا عالما كبيرا وعارفا سالكا من سادات رسول دار ، له معارف وحقائق جيدة وفضائل شهيرة .

رحل الى الحرمين الشريفين ولقي مشائخهما واستفاد منهم ، ثم رجع الى قنوج وبها توفي ، مزاره يزار .

له كتاب سماه هداية السالكين الى صراط رب العالمين ، ألفه لابن السلطان المسمى بشاه عالم بهادر وهو في علم التصوف والسلوك على طريقة كتاب قوت القلوب لابي طالب المكي واحياء العلوم للغزالي لم اقف على تاريخ وفاته رحمه الله

الشيخ ياسين القنوجي كان من اساتذة الوقت واعيان العصر والفضلاء الكاملين المكملين ، تلمذ عليه خلق كثير وبلغوا الى منتهى الفضيلة .

منهم : السيد مربي بن السيد عبد النبي بن السيد الطيب البلكرامي ، وملا فيضي الامروهي وقد ذكر لهذين ترجمة السيد آزاد البكري رحمه الله في كتابه مآثر الكرام تاريخ بلكرام .

المولوي محمد فصيح الدين كان من شيوخ بلدنا قنوج ومن علمائها الكاملين اشتغل بالدرس والعبادة وبالغ في الافاضة والافادة حتى اتاه اليقين ولقي الله رب العالمين .

المولوي عليم الدين بن الشيخ فصيح الدين المذكور كان في الفضائل انموذج السلف الصلحاء وفي العلوم العربية تذكار العرب العرباء ، تلمذ على الشيخ العلامة عبد الباسط القنوجي وأتم الكتب الدرسية من البدء الى الغاية في حلقة درسه وحوزة افادته ، ودرّس عمرا والف كتبا منها عين الهدى شرح قطر الندى في النحو ودرر الفضائل في شرح الشمائل والرسائل في علم المنطق وعام تأليف عين الهدى سنة ١٢١١ .

المولوي نعيم الدين هو اخو الشيخ عليم الدين والابن الصغير للشيخ فصيح الدين كان في اخذ العلوم وتحصيل الكمالات العلمية تلو اخيه الكبير تلمذ على العلامة القنوجي عبد الباسط .

ومن مصنفاته شرح تصديقات سلم العلوم والحاشية على صدراً في الحكمة .

المولوي رستم علي بن العلامة علي اصغر القنوجي عالم بن عالم وفاضل ابن فاضل، من بيت العلم المشهور ، والحي الذي بالفضائل مذكور .

ولد في سنة ١١١٥ اكتسب العلوم المتداولة وكتبها المطولات من ابيه العارف وأتمها بعد وفاته في حلقة درس ملا نظام الدين اللكهنوي في سنة ١٢٤٠ وجلس على صدر الافادة مقام والده وعلّم ودرّس والّف .

ومن مصنفاته تفسير القرآن الكريم المسمى بالصغير ، وشرح على المنار في غاية من الاختصار

المولوي محمد عبد العلي القنوجي اخو الشيخ رستم علي المذكور كسب العلوم من اخيه وصار بارعا في كل فن نبيه له حاشية على شرح المنار في اصول الفقه ،توفي بقصبة بندكي من توابع كوره جهان آباد .

المولوي حسين علي بن علامة العصر عبد الباسط القنوجي .

اخذ العلوم عن ابيه الماجد وتصدى في حياته للدرس وافاد الطلبة وافاضهم .

ومن مؤلفاته كتاب (تمرين المتعلم) في الصيغ المشكلة والتعليلات الصعبة توفي بعد ابيه بخمسة اشهر وعمره اربع وعشرون سنة في سنة ١٢٢٣ ودفن عند ابيه رحم الله على شبابه وبوّأه في دار النعيم وخصه بثوابه .

المولوي غلام حسنين بن المولوي حسين علي بن الشيخ العلامة عبد الباسط القنوجي ولد في سنة ١٢٢١ ، واسمه التاريخي (غلام عليم) تلمذ على الشيخ العالم محمد سعادت خان الفرخ أبادي المتوكل المشهور .

وعلى العلامة محمد ولي الله المفتي الفرخ أبادي واخذ عنه علم الحديث والتفسير في سنة ١٣٣٦ ، ورحل الى الحرمين الشريفين ، واقام في برودة من ارض كجرات وحج في سنة ١٢٥٥ وصحب هناك الشيخ عبد الله سراج والشيخ شمس الدين شطا والسيد عمر افندي وغيرهم من اهل مكة الكرمة واستجاز بالمدينة المشرفة من الشيخ محمد عابد السندي فاجازه بكتب الصحاح والسنن المشهورة ، وزار القرآن العثماني واشتغل بكتب التصوف وطالعها .

له من التأليفات (ذيل كتاب المنازل) الاثنا عشر لجده وقد قاسى في تكميله جهدا بليغا لاقيته مرارا وصحبته في صغر سني ببلدة قنوج وارتحل الى برودة وسافر في آخر عمره الى الحرمين الشريفين وحج وزار ثم رجع فلما بلغ في بندر بمبئى مرض وتوفي في سنة ١٢ الهجرية رحمه الله.

المولوي محمد امجد القنوجي كان من كبار الفضلاء واعاظم العلماء من اهل قنوج تلمذ على الشيخ العارف علي اصغر القنوجي وبلغ الغاية في الكمال ودرس وألف وله حاشية على صدرا في الحكمة متداولة في ديارنا لم اقف على تاريخ وفاته .

الشيخ المولوي فتح علي القنوجي كان قاضيا بها اباً عن جد تلمذ على ملا علي اصغر القنوجي وحصّل الحيثية العلمية المعتد بها وفاق الاقران وكان له مناسبة تامة بكل علم ، ومن مؤلفاته حاشية على شرح التهذيب الجلالي وشرح لمقامات ابي

القاسم الحريري .

السيد محمد القنوجي هو من سادات رسول دار ، كان استاذا للسلطان عالمكير اورنك زيب ومن صالحاته الباقية عمارة بيت المسافرين الذي لم يعهد مثله في هذه الديار ، وله بستان فيه مقبرة عظيمة فيها قبره ، كان له اليد الطولى في العلوم الرياضية والعربية ، الف حاشية على المطول وكان معظما ذا جاه وثروة ودولة عظمى جامعا بين رياسة العلم والحكومة والشرافة له اعقاب في تلك البلدة لكن كلهم جهلاء متشيعون .

الشيخ عبد الوهاب الراجكيري المخاطب بنو اب منعم خان بهادر وراجكير محلة من محلات قنوج كان فاضلا جيدا وعالما نبيلا له اليد الطولى في العلوم المتداولة والتصانيف المفيدة في الفنون الدرسية المتناولة منها مفتاح الصرف وبحر المذاهب في الكلام وكتاب الصدرة في علم العقائد وعندي منها شيء يسير .

الشيخ العارف حبيب الله القنوجي هو من مشائخ قنوج اكتسب العلوم الدرسية وبرع فيها ، ثم توغل في السلوك والتصوف وصار رأسا في ذلك العلم والعمل ، وقصر نفسه على ارشاد الخلق الى الله تعالى وذكره سبحانه ، وكان معاصر الملا علي اصغر القنوجي .

ومن مؤلفاته : الجواهر الخمسة ، وتذكرة الاولياء ، وروضة النبي في السير ، وانيس العارفين ، والفاضل في الفقه .

ومن آثاره الباقية الى الآن مسجد وخانقاه وروضة فيها قبره ، قال السيد غلام علي أزاد في مآثر الكرام ، توفي في سنة ١١٤٠ تاريخه (الموت جسر يوصل الحبيب الى الحبيب) قبره بقنوج وشيخه الشاه عبد الجليل الإلّه أبادي الآخذ للطريقة عن الشاه محمد صادق الآخذ عن الشيخ ابي سعيد من احفاد الشيخ عبد القدوس الكنكوهي رحمه الله .

سيدي الوالد الماجد المرحوم حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري

القنوجي قدس الله سره ونور الله مضجعه ، ذكرت له ترجمة حافلة في (اتحاف النبلاء المتقين) فلا حاجة الى اعادتها ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله .

وهو ابن السيد الامير الكبير نواب اولاد علي خان بهادر انورجنك ، المتوفى بارض حيدر أباد الدكن ، جده القريب السيد ابو عبد الله جلال الدين حسين المعروف بمخدوم جهانيان جهان كشت ، ونسبه الاقصى ينتهي الى سيدنا زين العابدين علي اصغر بن حسين الشهيد بكربلاء رضي الله تعالى عنه في سنة ١٢١٠ .

اخذ اوائل العلوم الدرسية من الشيخ العلامة عبد الباسط القنوجي ، ورحل الى لكهنؤ بعد وفاته فاكتسب عن الشيخ العارف العالم محمد نور وغيره من علماء عصره ، وسافر في سنة ١٢٣٣ الى دهلي وتلمذ على الشيخ عبد العزيز والشيخ رفيع الدين ابني الشيخ الاجل الشاه ولي الله المحدث الدهلوي ، واخذ الاجازة لكتب التفسير والحديث وغيرهما وصحب السيد الكبير والعارف الشهير احمد البريلوى مجدد المائة الثالث عشر ، وبايعه واستفاض منه فيوضاً كثيرة ، وجاهد معه في سبيل الله وصار خليفة له في دعوة الحق الى دين الله تعالى فرجع الى الوطن وتمكن به للدرس والافادة والوعظ الى آخر العمر ، وكان في التقوى والديانة واتباع الحق واقتداء الدليل وردّ الشرك والبدع آية باهرة ، وقدرة كاملة ، ونعمة ظاهرة من الله سبحانه وتعالى .

وله مؤلفات بالالسنة الثلثة : الهندية والفارسية والعربية .

منها : راه سنت وهداية المؤمنين ، ونور الوفاء من مرآة الصفا ، ورسالة في معنى الكلمة الطيبة ، ورسالة في ردّ التعزية والضريح ، ورسالة في آداب التذكير ، ورسالة في آداب البيعة ، وكتاب في الحدود والقصاص سماه بالاختصاص ، وتقوية اليقين في الرد على عقائد المشركين الى غير ذلك مما يعسر عدّها .

توفي رحمه الله في سنة ١٢٥٣ تاريخ وفاته (مات بخير) استخرجه المولوي

امين الدين الجاليسري من لفظ الحديث النبوي صلى الله عليه وآله وسلم الواقع في باب المساجد :

موت التقــي حيوٰة لا انقطــاع لها قد مات قوم وهــم في النــاس احياء

السيد العلامة احمد بن حسن بن علي العرشي القنوجي اخونا الكبير كان اساسا محكما للمراتب العليا وقياسا منتجا للفضيلة الكبرى ميزان نقد العقليات برهان عدل النقليات ، وُلد تاسع عشر رمضان يوم السبت وقت الاشراق سنة ١٢٤٦ ، واخذ العلوم المروجة والفنون الدرسية متفرقة في بلاد شتى من اساتذة متعددين كبلدة دهلي وغيرها ، وساح البلاد ولاقى جماعة من اهل العلم المدرسين ، وبرع في الفضائل ، وجمع الفواضل المتكثرة ، كالرمي بالبندق والركوب على الافراس ونظم القصائد الغراء في الفارسية والعربية ، وفاق الاقران في الذكاء والفطنة وقوة الحافظة وجودة الذهن ، وتلمذ على المولوي عبد الجليل الكولي واجاز له الشيخ العارف عبد الغني المجددي الدهلوي نزيل المدينة المنورة حالا الآخذ لعلم الحديث عن الشيخ محمد عابد السندي الراوي عن امام المحدثين وخاتمة المجتهدين الشيخ صالح بن محمد العمري المسوّفي الشهير بالفلاني ، وسمع منه الحديث المسلسل بالاولية في سنة ١٢٧١ ، وسافر من الوطن قاصدا بيت الله الحرام في سنة ١٢٧٦ فوارد ببلدة برودة من ارض كجرات ، واقام مدة يسيرة عند المولوي غلام حسنين القنوجي ، ثم مرض بالحمى واشتد المرض وانجر الى الاسهال وكان هناك الوباء فتوفي رحمه الله تعالى تاسع جمادى الاولى يوم الجمعة من شهور سنة ١٢٧٧ ، ودفن بعد صلوٰة الجمعة في التكية الماتريدية عند مزار السيد يحيى الترمذي من خلفاء المخدوم اخي جمشيد الراجكيري ، وكان عمره ثلٰثين سنة وسبعة اشهر وعشرين يوما ، ولما جاء هذا الخبر ببلدة قنوج حزن عليه جميع اهل البيت واهل البلد ومن سمع ذلك لاسيما

امه الشريفة ، وكنت اذ ذاك ببلدة بهوبال المحمية والله يعلم ماذا صبّ علي من المصائب والاحزان والنوائب ولا مفر لاحد من تقدير العزيز العليم ، ولا فرج بعد الشدة غير الاصطبار كما امر به القادر الحكيم ، فرحمه الله تعالى وإيانا برحمته الواسعة وغفر لنا وله بكرمه العميم ، وقد قال تعالى (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله) ورُوينا عن عمرو بن العاص انه قال مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ليته مات بغير مولده ، قالوا ولم ذلك ؟ قال : ان العبد اذا مات بغير مولده قيس ما بين مولده الى منقطع اثره في الجنة اخرجه النسائي .

وفي حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يموت يوم الجمعة او ليلة الجمعة الا وقاه الله فتنة القبر ، رواه احمد والبيهقي والحديث له شواهد ولنعم ما انشدته عائشة رضي الله عنها حين وردت على قبر اخيها عبد الرحمن وزارته بمكة المكرمة :

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير في حياة وقبلنا ... اصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا ... لطول افتراق لم نبت ليلة معا

ثم انه رثاه الشيخ حسن اليمني الاديب بقصيدة اولها :

خطب أَلَمَّ وفادح قد اوجعا ... بمصاب ركن الدين يوم تصدعا

وقد ذكرت هذه القصيدة في ترجمته الشريفة في كتابي (اتحاف النبلاء) فارجع اليه ووجدت بخطه .

اما بعد فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمحروسة قنوج في مبشرة أريتها في اليوم الثامن من رمضان المبارك سنة خمس وستين بعد الف ومائتين

من هجرته ﷺ رأيته وهو حسين ولونه أبيض من لون الحنطة ويده لا يشتكي منه قصر ولا طول ، فرأيت اني اكلت معه الطعام وطال يده ﷺ الى قصعتي فقربت الإدام إليه فتناوله بيده الشريفة وأخذ كأنه يأكل في قصعتي ولم يبق شيء فقلت : ايتها الحضرة من رآكم في هذا الزمان وصحبكم في المنام هل يعد من اصحابكم ؟ فأجاب بما مفهومه :

انه لا يعد منهم ، واعطاني فلوسا .

وسألت عنه ﷺ ما بال الناس يتركون الحديث بقياس المجتهدين ، مع انهم انما قاسوا اذ لم يجدوا الحديث من رسول الله ﷺ ، واوصوا اصحابهم بالعمل على الحديث ، والناس في هذا الزمان قد غلوا في ذلك وكفروا من ارشدهم الى اتباع السنة المخالفة لمذهبهم ، فشاهدت آثار الملال في بشرته ﷺ من صنع الناس .

هذا وكنت اذا سئلته عن شيء ارى جسمي كأنه يمس جسم رسول الله ﷺ ، وهو ﷺ يتعطف علي ويقبل الي ووجدت له ﷺ بعد هذه المبشرة محبة عظيمة من قلبي حتى احببت ان جعلني الله فداه ، واقتل في الجهاد وانا احميه ، ووجدته ﷺ يرضى بالعمل للحديث انتهى .

وبالجلمة كان له اليد الطولى في الرد على المقلدة كما يلوح ذلك من كتابه حديث الاذكيا الملقب بالشهاب الثاقب ، وغيره وله نظم رائق وشعر فائق بالفارسية والعربية يربو على نظم الادباء المتقدمين والبلغاء المتأخرين ، ذكرت جملة صالحة منها في كتابي (اتحاف النبلاء) وتذكرتي المسماة (بشمع انجمن) فارجع اليهما ، وهو نظير المحدث العلامة الشيخ محمد فاخر المتخلص بالزائر الاله أبادي تلميذ الشيخ محمد حياة السندي المدني في ايثار الاتباع ورفض الابتداع والتمسك بالادلة والتجنب عن الآراء المضلة .

والعبد الضعيف ايضا رأى رسول الله ﷺ في الرؤيا ببلدة قنوج ، رأيته

جالسا على سرير تحته يجري الماء الصافي فسلمت عليه وجلست على طرف من السرير موضع الحاشية أدباً منه ﷺ مقبلا اليه فقال قولاً لم افهمه حق الفهم لكن قلت في جوابه : اين انا من هذه الرتبة ؟

ورأيت ان وراء ظهره ﷺ عمارة كالحمام وقلة من رمان ، فاخذ رمانين منها وجاء اليّ واعطانيهما بيده الشريفة فتناولتهما ووقع لي ذهول ما في اثناء هذا الحال ، ثم افقت ورأيت عمارة المدينة المنورة كانها عمران قديم وديار بالية وسكك خالية ، ثم تيقظت والعين تجري بدموع وفي القلب من الراحة والسكينة ما لا يعلمه الا الله ، ثم تأملت في التأويل فوجدت ان الزمانين عبارة عن العمل بالكتاب والسنة او السفر الى الحرمين الشريفين وقد وقع كما اوّلت ولله الحمد ونظمت هذه الرؤيا في ابيات اولها :

رأيت رسول الله في النوم ليلة وقد كنت مشتاقا اليه متيما

الى آخر الابيات .

العبد الفقير لما انزل اليه من خير الباري

ابو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسنين القنوجي البخاري كان الله له في الدنيا والآخرة وحباه فيهما بنعمه الذاخرة الوافرة الفاخرة .

تولد في سنة ١٢٤٨ ثمان واربعين ومائتين والف القدسية على صاحبها الصلوٰة والتحية ، ونشأ بموطنه بلدة قنوج وما اليها من الاقطار الهندية فهو مولده ومسكنه ومرباه ومحتده وداره ومثواه .

يرجع نسبه الى حضرة سيد السادة وقدوة القادة زين العابدين علي بن حسين السبط بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه .

تلمذ العلوم الدرسية على الوجه المرسوم على شيوخ هذا العهد .

منهم الشيخ الفاضل المفتي محمد صدر الدين خان الدهلوي من تلامذة

الشيخ الكامل عبد العزيز ، وأخيه الشيخ العامل رفيع الدين ابني الشيخ الاجل مسند الوقت احمد شاه ولي الله المحدث الدهلوي رحمهم الله تعالى .

واستفاد العلوم الملية من التفاسير والاحاديث وما يليهما من مشيخة اليمن الميمون والهند .

منهم الشيخ القاضي حسن بن محسن السبعي الانصاري تلميذ الشيخ الماهر محمد بن ناصر الحازمي تلميذ القاضي الامام العلامة المجتهد المطلق الرباني محمد ابن علي بن محمد اليمني الشوكاني .

والشيخ المعمر الصالح عبد الحق بن فضل الله الهندي .

والشيخ التقي محمد يعقوب المهاجر الى مكة المكرمة اخو الشيخ محمد اسحق حفيد الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي رحمهم الله تعالى .

وكلهم اجازوا له مشافهة وكتابة اجازة مأثورة عامة تامة .

وممن استجاز منه العالم الكامل والمحدث الفاضل الشيخ يحيى بن محمد بن احمد بن حسن الحازمي قاضي عدن حالا اجاز له حسب اقتراحه في ذي الحجة سنة ١٢٩٥ الهجرية ، والشيخ العلامة زينة اهل الاستقامة السيد نعمان خير الدين الوسي زاده مفتي بغداد حالا اجاز له في هذا العام الحاضر وهو سنة ١٢٩٦ الهجرية .

ثم طالع بفرط شوقه وصحيح ذوقه كتبا كثيرة ودواوين شتى في العلوم المتعددة والفنون المتنوعة ، ومرّ عليها مرورا بالغا على اختلاف انحائها واتى عليها بصميم همته وعظيم نهمته بأكمل ما يكون حتى حصل منها على فوائد كثيرة وعوائد اثيرة ، اغنته عن الاستفادة عن ابناء الزمان ، واقنعته عن مذاكرة فضلاء البلدان .

وجمع بعونه تعالى وحسن توفيقه ولطف تيسيره من نفائس العلوم والكتب ومواد التفسير والحديث واسبابها ما يعسر عده ويطول حده .

واوعى من ضروب الفضائل العلمية والتحقيقات النفسية ما قصرت عنه ايدي ابناء الزمان ويعجز دون بيانه ترجمان اليراع عن ابراز هذا الشأن ، ولله الحمد على ما يكون وعلى ما كان .

ثم القى عصا التسيار والترحال بمحروسة بهوبال من بلاد مالوة الدكن ، فنزل بها نزول المطر على الدمن واقام بها وتوطن واخذ الدار والسكن .

وتمول وتولد واستوزر وناب والّف وصنّف وعاد الى العمران من بعد خراب وكان فضل الله عليه عظيما جزيلا .

والحمد لله الذي فضله على كثير ممن خلق تفضيلا .

ثم اختص بعونه تعالى وصونه بتدوين علوم الكتاب العزيز واحكام السنة المطهرة البيضاء وتلخيصها وتلخيص احكامها من شوب الآراء ومفاسد الاهواء .

وهذا ان شاء الله تعالى خاص به في هذا العهد الاخير والله يختص برحمته من يشاء كيف وعلماء الاقطار الهندية وان بالغ بعضهم في الارشاد الى اتباع السنة وقرره في مؤلفاته وحرّره في مصنفاته على وجه ثبت، به على رقاب اهل الحق والمنة .

وشمّر بعضهم عن ساق الجد والاجتهاد في الدعوة الى اعتقاد التوحيد وردّ الشرك والتقليد باللسان والبيان ، بل بالسيف والسنان ، لكن لم يدوّن احد منهم احكام الكتاب العزيز وعلوم السنة المطهرة من العبادة والمعاملة وغيرها خالصة عن آراء الرجال ، نقية عن اقوال العلماء ، على هذه الحالة المشاهدة في كتبه المختصرة والمطولة :

كالروضة الندية .

ومسك الختام شرح بلوغ المرام .

وعون الباري .

وفتح البيان ورسالة القضاء والافتاء والإمامة والغزو والفتن والنار وغير

ذلك مما طبع واشتهر وشاع وسارت به الركبان الى اقطار العالم من العرب والعجم كالحجاز واليمن وما اليها ومصر والعراق والقدس وطرابلس وتونس والجزائر ومدن الهند والسند وبلغار ومليبار وبلاد الفرس .

وهذا من فضل الله تعالى على عباده المؤمنين وكتب اليه علماء الآفاق ومحرروها ومحدثو الديار ومفسروها كتبا كثيرة اثنوا فيها على تلك التواليف ودعوا له باخلاص الفؤاد لحسن الدنيا والاخرى ، تقبل الله فيه هذه الدعوات ، وختم بالحسنى واحسن اليه بتيسير المنجيات .

وهذه الخطوط والرقائم قد ألحقت في خواتيم مؤلفاته فانظر اليها في تضاعيف محرراته يتضح لك القول الحق والكلام الصدق ان شاء الله تعالى .

ثم خوّله سبحانه من المال الكثير والحكم الكبير والآل السعداء والاخلاف الصلحاء والنسب الحميد والحسب المزيد ما يقصر عن كشفه لسان اليراع ، ولو كشف عنه الغطاء ما ازداد الواقف عليه الا يقينا وان يأباه بعض الطباع .

وهو الذي يقول لاخلافه مقتديا باسلافه بفم الحال ولسان المقال :

اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار .

وهو قد طعن الآن في عشر الخمسين من العمر المستعار مع ما هو مبتلي به من سياسة الرياسة وقلة الشغل بالعلم والدراسة وفقد الاحبة والانصار الاعداء الجاهلين بالقضايا والاقدار .

والمرجو من حضرة رب العالمين ان يجعله ممن قال فيهم (وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين) والحمد لله الذي جعله محسودا ولم يجعله حاسدا ، وخلقه صابرا شكورا ولم يخلقه فظا غليظ القلب عانداً لله در الحسد أعدله بدا بصاحبه فقتله .

وهذه اسماء كتبه المؤلفة على ترتيب حروف المعجم المطبوعة في مطابع بهوبال

المحمية ومصر والقسطنطينية والشام وغيرها من البلاد العضام ويزيد الله في الخلق ما يشاء وهو المتفضل ذو الانعام .

الالف

ابجد العلوم (ع) اتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدثين (ف) الإحتواء على مسئلة الاستواء (ه) الإدراك لتخريج احاديث رد الإشراك (ع) الاذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (ع) اربعون حَديثاً في فضائل الحج والعمرة (ع) افادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ (ف) اكسير في اصول التفسير (ف) اكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة (ع) الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح (ع) .

الباء الموحدة

بدور الأهلة من ربط المسائل بالأدلة (ف) بغية الرائد في شرح العقائد (ف) البلغة الى اصول اللغة (ع) بلوغ السول من اقضية الرسول (ع).

التاء الفوقانية

تميمة الصبي في ترجمة الاربعين من احاديث النبي صلى الله عليه وسلم (ه)

الثاء المثلثة

ثمار التنكيت في شرح ابيات التثبيت (ف)

الجيم

الجنة في الاسوة الحسنة بالسنة (ع)

الحاء المهملة

حجج الكرامة في آثار القيامة (ف) الحرز المكنون من لفظ المعصوم المأمون (ع) حصول المأمول من علم الأصول (ع) الحطة بذكر الصحاح الستة (ع) حل الاسئلة المشكلة (ف) .

الخاء المعجمة

خبية الاكوان في افتراق الامم على المذاهب والاديان (ع)

الدال المهملة

دليل الطالب الى ارجح المطالب (ف)

الذال المعجمة

ذخر المحتي من آداب المفتي (ع)

الراء المهملة

رحلة الصديق الى البيت العتيق (ع) الروضة الندية شرح الدرر البهية

(ع) رياض الجنة في تراجم اهل السنة (ع) .

السين المهملة

السحاب المركوم الممطر بانواع الفنون واصناف العلوم (ع) وهو القسم الثاني من هذا الكتاب سلسلة العسجد في ذكر مشائخ السند (ف) .

الشين المعجمة

شمع انجمن در ذكر شعراء زمن (ف)

الصاد المهملة

الصافية في شرح الشافية (ف) في علم الصرف .

الضاد المعجمَة

ضالة الناشد الغريب من بشرى الكئيب في شرح المنظوم المسمى بتأنيس الغريب (ف) .

الظاء المعجمَة

ظفر اللاضي بما يجب في القضاء على القاضي (ع) .

العين المهملة

العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة (ع) العلم الخفاق من علم الاشتقاق (ع) عون الباري بحل أدلة البخاري (ع) اربع مجلدات . .

الغين المعجمَة

غصن البان المورق بمحسنات البيان (ع) غنية القاري في ترجمة ثلاثيات البخاري (ه) .

الفــاء

فتح البيان في مقاصد القرآن (ع) اربع مجلدات فتح المغيث بفقه الحديث (ه) الفرع النامي من الاصل السامي (ف) .

القاف

قصد السبيل الى ذم الكلام والتأويل (ع) قضاء الأرب من مسئلة النسب (ع) قطف الثمر من عقائد اهل الاثر (ع) .

الكاف

كشف الالتباس عما وسوس به الخناس في ردّ الشيعة بالهندية .

اللام

لف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من الاغلاط (ع) لقطة العجلان مما تمس الى معرفته حاجة الانسان (ع) .

المــيم

مثير ساكن الغرام الى روضات دار السلام (ع) مراتع الغزلان من تذكار ادباء الزمان (ع) مسك الختام من شرح بلوغ المرام (ف) مجلدان ضخيمان منهج الوصول الى اصطلاح احاديث الرسول (ف) الموعظة الحسنة بما يخطب به في شهور السنة (ع) .

النــون

نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان (ع) نيل المرام من تفسير آيات الاحكام (ع) .

الــواو

الوشي المرقوم في بيان احوال العلوم المنثور منها والمنظوم وهو القسم الاول من هذا الكتاب (ع) .

الهــاء

هداية السائل الى أدلة المسائل (ف) .

اليــاء

يقظة اولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار واصحاب النار (ع) .

وهذا آخر ذكر الكتب المؤلفة الى هذا التاريخ .

ثم اتفق انه اتحف الى حضرة السلطان المعظم عبد الحميد خان ملك الدولة العثمانية تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن وكتب اليه كتابا في ذلك فجاء اليه من بابه العالي المثال الغالي جوابا عليه مع نشان الدرجة الثانية المسمى بمجيدية ويقال له « ارنجي » بالتركية .

وورد مكتوب من السيد خير الدين باشا الصدر الاعظم مع كتاب اقوم المسالك في احوال الممالك هدية منه اليه وهذه نسختهما .

افتخار[1] الاعالي والأعاظم مستجمع جميع المعالي والمفاخم صديق حسن خان دام علوه زوج سيدة المخدرات اكليلة المحصنات شاهجان بيكم دامت عصمتها التي هي من نوابة هند رئيسة خطة بهوبال اتصفت ذاته العالية الصفات بالأوصاف التي تُمْدح ، وتقبل لنا في حق كرامته اعتبار وتوجه سلطاني ، وقد سلمنا جنابه للدلالة على ذلك من جانبنا السني الجوانب السلطاني قطعة نشان ذي الشان من الرتبة الثانية واصدرنا اليه هذه البراءة العالية الشان حرر في اليوم العشرين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين والف انتهى .

وقد هنّاه على ذلك جمع جم من اهل العلم وارخ له المؤرخون من شعراء الرياسة منها قصيدة الشيخ الاديب والسفير اللبيب محمد حسين بن محمد اسمعيل الدهاوي المتخلص بالفقير اولها :

تجلى لنا نور الهنَا ووفى البشر ومن زَهْر افنان الورى عبق النَشرْ
وعنْدَل طيرُ الانس في روضة المنى على فَنَن الافراح وانشرح الصدر

وهذه القصيدة بتمامها مع الكتابة التي كانت على اسم حضرة السلطان محررة في تاريخ بلدة بهوبال المحمية صانها الله وايانا عن كل رزية وبلية بجاه نبيه المصطفى خير البرية صلى الله عليه وعلى آله واصحابه كل بكرة وعشية .

السيد الصالح ابو الخير مير نور الحسن خان الطيب ، ولد المؤلف الكبير جمل الله الوجود ببقائه وعطر الأكوان بثنائه ، ولد ببلدة بهويال المحمية يوم

---

(١) ترجمته بالفارسية من افندي محمد نجيب العالم التركي مصحح المطبعة الخديوية ازنوا به هندربا رئيسة خطة بهوبال سيدة المخدرات اكليلة المحصنات شاهجهان بيكم دامت عصمتها جون شوهر علي كوهرش افتخار الاعالي والاعاظم مستجمع جميع المعالي والمفاخم صديق حسن خان دام علوه باوصاف ممدوحه ومقبوله متصف بذات معالي صفات ست ورحق بزر كواريش اعتبار وتوجه شابانه ماراست براي دلالت از جانب سنى الجنوانب فلوكان ما زدوم رتبة نشان ذي شان مجيدي يك قطعة بجناب مشار اليه عط شده ابن براءت عالي شان ما تصدير شد حرر في اليوم العشرين من شهر الربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين والف الهجرية انتهى .

الاربعاء قبيل طلوع الشمس في الحادي والعشرين من شهر رجب سنة ثمان وسبعين ومائتين والف الهجرية ، ويوم ولادته هذا وافق يوم ولادة يونس بن متى عليه السلام ويوم فتح غزوة الاحزاب لنبينا ﷺ ، وحين وُلِد كتب اهل العلم تهاني كثيرة منهم شيخنا واستاذه القاضي حسين بن محسن اليماني قال : هنا كم الله بالمولود السعيد وجعله من حملة القرآن والحديث المجيد ومنهم الشيخ زين العابدين الانصاري قاضي بهوبال حرّر الكتاب وصدره بهذه الأبيات :

بشرى لقد طلعت شمس العلى وبدا　　بدر السيادة في افق الكرامات
درّ من البحر بحر العلم قد ظهرا　　نورٌ تفتح من روض السّعادات
ابقاه رب الورى بالصالحات معا　　وانبت الله سعدا خيرا نبات

قال وقد قلت عند حصول هذه النعمة وورودها ما كانت العرب تقوله عند التهاني بمولودها :

مدّ لك الله في الحياة مدّا　　حتى ترى نجلك هذا جدا
كأنه انت اذا تبدى　　شمائلا محمودة وعدّا

هناكم الله مولده وقرن بالخير مورده واطال عمره واسعده وجعله مقربا في جنابه ورباه في ظلال السادة اهل كتابه ، وكتب الشيخ الاديب علي عباس الجرباكوني رسالة فيها نصدر اليكم المسطور للتهنية والتبشير بالولد الصالح الفاقد النظير وارجو من الله ان يكون عالما بارعا وإماماً نافعا واميرا عادلا وكريما باذلا وقد وجدت له اسمين دالين على تاريخ ميلاده ظهيرا الاسلام ونظير حسن وقلت ايضا :

ليحبني بحت الوداد وسنحته　　لا زال يصطاد الخلائق فخنته
اعطاه معبود السماء وارضها　　ولداً منيرا ضحه اوفخته
قد قال لي ارّخ وسرّ الافئدة　　قد قلت تاريخا يا كرم بخته

الى غير ذلك مما هنىء به جمع جم من اهل العلم والوداد وقد وقع ولله الحمد كما هنوه به ، فانه قد نشأ على الصلاح والطاعة ، ونمى في شغل العلم بقدر الاستطاعة وبرع في الذكاء والفطرة الاقران ، وحاز من التقوى والفضائل مع حداثة سنه ما عجز عنه الاعيان .

تلمذ على جمع من اهل العلم الحاضرين ببلدة بهوبال المحمية الملازمين للرياسة العلية .

منهم الشيخ العالم المفتي محمد ايوب والشيخ الفاضل المولوي انور علي المراد آبادي والمولوي إلّهي بخش الفيض آبادي والمولوي الكامل القاضي محمد بشير الدين العثماني القنوجي والشيخ العالم محمد بشير السهسواني وشيخنا العلامة المحدث حسين بن محسن الانصاري اليماني وهذا العبد الفاني الجاني ، وهو الآن في كسب الفضائل والعلوم المنطوق منها والمفهوم له بعض تأليفات نفيسة .

منها رسالة النهج المقبول من شرائع الرسول ، وكتاب عرف الجادي من جنان هدي الهادي ، وهما في فقه السنة حررهما تحريراً بالغا وتذكرة في شعراء الفرس سماه نكارستان سخن وتذكرة اخرى في شعراء الهند وتعليقات على بعض العلوم الآلية وهو المقصود الأول والوجود الثاني لمحرر هذا الكتاب اثبت ترجمته اولا في كتابي اتحاف النبلاء وثانيا في تذكرتي للشعراء المسماه بشمع انجمن وهي ايضا محررة في صبح كلشن وغيره وجمعت له من الكتب النفيسة العزيزة الوجود خزينة ومن الأموال المحللة عدة يعيش في بها عيشة رضية ان شاء الله تعالى وهو المخاطب من جهة الرئيسة المعظمة بالخان والملحوظ بعين الشفقة الزائدة على الأقران له شعر حسن بالفارسية وكلام بليغ في العبائر الأدبية ادام الله سعده واطال حياته ومجده .

السيد الشريف ابو النصر مير علي حسن خان الطاهر ، ولد المؤلف

الصغير ، ولد ببلدة بهوبال المحمية ونشأ بها في ارغد نعمة واطيب امنية ، وكانت ولادته هذه يوم الخميس رابع الربيع الآخر من سنة **١٢٨٣** ثلث وثماني ومائتين والف الهجرية ذكرت له ترجمة في كتابي (اتحاف النبلاء) وهي محررة ايضا في (شمع انجمن) (تذكرة الشعراء) .

قرأ الفارسي على الحكيم المولوي محمد احسن البلجرامي مؤلف ارتنك فرهنك ، واخذ الصرف والنحو وهو يكتسب الآن بقية العلوم له ذكاء وفطنة وهمة وسعادة عظيمة يتدرب في الشعر حرر تذكرة لشعراء الفرس وسماها صبح كلشن واليه ينسب شرح المرقاة في المنطق الذي استفاده من المولوي إلّهي بخش الفيض آبادي ، يحفظ من النظم العربي والفارسي قسطا كبيرا ، له حواش على مؤلفاتنا كما هي لاخيه ورسالة في حكم التقليد ، كما لاخيه في الاجتهاد ، وقد طبعتا لهذا العهد في مطبعة الجوائب بالقسطنطينية ، وعليه شفقة عظيمة للرئيسة المعظمة وهي التي خاطبته بالخان وأعطته من المعايش ما يكفي لمؤون الزمان ، وكذلك هو احب اولادي اليّ وان كان قليل الاعتناء بالعلم وبما لديّ ، لكن ارجو ربّي ان يجعله من اهل العلم وخلص عباده ، ويخصه باعتمال مرضاته ومراده، وما ذلك عليه بعزيز ، وكم دعوت له ولاخيه واخته في الحرمين الشريفين واماكن الاجابة وظني ان دعواتي قد حلت ان شاء الله تعالى محل القبول والاستجابة ولا عبرة بحركات عهد الصبا انما العبرة بمَا يستقر عليه الحال عند الانتهاء احسن الله الينا جميعا فانه سبحانه كان بصيرا سميعا .

علماء بلدة بهوبال المحمية

اي الواردين بها الملازمين للرياسة العلية وهم كثيرون وان كانوا غرباء من بلاد شتى وقد حوى تراجمهم (كتاب تاريخ بهوبال) الذي حرره بعض الفضلاء

وحالتهم الراهنة وصفتهم الحاضرة تغني عن ذكرهم في هذا الكتاب ومؤلفاتهم الموجودة بين ظهراني الطلبة تنبىء عما في الباب ، كيف والفضل لا يخفى على الفضل ، والفرض لا يشتبه بالنفل ، ولكن لا بد ههنا من ترجمة ملكية هذه الرياسة فانها التي جمعت هؤلاء وهم الذين اجتمعوا على سدتها الرفيعة مستجدين للعطاء ، وهذه ترجمتها ادام الله تعالى رفعتها واطال عصمتها .

تاج الهند المكلل اهل بيتي نواب شاهجهان بيكم ملكية بلدة بهوبال المحمية ومالكة رياستها العَلِيّة جمل الله الوجود ببقائها المخاطبة بالرئيس البطل الاعظم ، من الطبقة العليا للكواكب الهند ، وُلِدَت بحصن اسلام نكر على ثلثة فراسخ من بهوبال في سنة ١٢٥٤ وجلست مجلس ابيها بالاستحقاق من غير شقاق ، وهي ابنة تسع سنين في الخامس عشر من شهر الله المحرم سنة ١٢٦٣ ، وأتت اليها خلعة فاخرة من جهة ملكة البرطانية حاكمة الهند والانكلند ، وربت في حجر امها نواب سكندر بيكم وحصلت الفنون الفارسية ، وتعلمت الخط والكتابة ، واستفادت سليقة الرياسة والسياسة حتى برعت في ذلك الاقران وامتازت بينهم في القدرة على ترجمة القرآن ، وتحرير الرسائل الدينية ، وتقرير المسائل الدولية ، جامعة للفضائل الدنيوية والاخروية ، يضرب بها المثل في الذكاء والحفظ والكرم والرحمة والجود ، فهي انسان عين الشهود وعين انسان الوجود .

لما بلغت من العمر اثنتين وعشرين سنة فوضت عنان الرياسة الى يد اقتدار امها ،واكتفت لنفسها بولاية العهد وهذا غاية الهمة والجود ، فانه لا يسمح بذلك الا القليل النادر ، وحين توفت والدتها الشريفة في شهر رجب من شهور سنة ١٢٨٥ جَلَسَتْ على مسند الرياسة وشرفت محل السياسة من جهة الابوين ، ثم تزوجت بي في سنة ١٢٨٨ بعد ما اجازته بذلك السلطنة البرطانية في عهد حكومة لارد ميو حاكم الهند نزيل دار الامارة كلكته ، وتاريخ هذا العقد بتعمية العدد

الواحد (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا) ويا له من تاريخ ينبيء عن حسنات الدارين .

اما الأولى وهي حسنة الدنيا فعموم النفع الذي سألت سيوله بهذا السبب .

واما الثانية فهي حب عقبى الدار وفي نحو هذا المحل يقال ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

ثم انها سافرت في شهر رمضان الى بندرممبيء في سنة ١٢٨٩ وهناك حصل له الخطاب العالي من الدرجة الاولى والنشان السلطاني المعنون بقلم الوزير الاعظم الذي يقال له (ممبراف دي امبرئيل آردر أف دي كرند كمندر اشتاراف انديا) ورجعت قريرة العين باعزاز خاص واختصاص عام الى دار مملكتها .

وسافرت بعد ذلك في اواخر ذي قعدة سنة ١٢٩٢ الهجرية الىٰ دار الامارة كلكته ولاقت بها برنس اف ويلز اكبر اولاد ملكة انكلند وولي عهدها .

وقد عظمها تعظيما بليغا وأعطاها تمغة نبيلة وتحائف جليلة ، من التي تعمل باقليم افرنج .

وكذلك لاقت قبل ذلك اخاه برنس ايدنبرا ، ورأت من تلقائه تشريفا كبيرا وأرسل لها من لندرة اشياء نفيسة وكنت رفيقها في هذه الاسفار كما جرت بذلك العادة .

ثم سافرت اخرى الى دهلي في سنة ١٢٩٤ وحصل لها النشان القيصري العظيم الشأن المكتوب عليه (العز من الله) .

واعطاها كورنر جنرل سيفا فرنجيا مع نطاق مطلي وصندوق محلّى وهو موجود عندنا نربطه في المحافل ، ورجعت قرينة السرورة العظيم راقية على مقام كريم ، وفي هذا الاحتفال الكبير والجمع الغفير الذي حضر فيه رؤساء الهند جميعهم قاصيهم ودانيهم ولا يلفى له نظير في الأزمنة الخالية على هذه الحالة نقرر لنا ضرب سبعة عشر مدفعا من جهة ملكة انكلند في جميع ارضها المعمولة فيها عند ورودنا وصدورنا في تلك البلاد ، ومنها ثم جاء لها خطاب آخر لفظه كرون أف

اندیا وترجمته تاج الهند وفي هذا العام الحاضر اعني سنة ١٢٩٦ الهجرية ورد مثالان عظيمان على اسمها الشريف مع نشان الدرجة العليا التي يقال لها شفقت من جهة السلطان المعظم مالك رقاب الامم عبد الحميد خان ملك الدولة العثمانية خلد الله مُلكه وجعل الدنيا بتمامها ملكه وهذه عبارتها مترجمة .

والحاصل ان مليكة بهوبال المحمية زمانها هذا زمان السعادة وأوان ترقي العلوم وموسم المسرة والرفعة لكل خادم ومخدوم ، كيف وهي تاج الهند ورأس الرؤوس، وقد قيل في المثل السائر : لا عطر بعد عروس ، وهي التي عمرت الديار بعد خرابها ، وأحيت المدارس العلمية بعد دروسها وتبابها ، وبنت المساجد العظيمة ، وقررت الوظائف الفخيمة وحفرت الآبار ، وغرست الحدائق والاشجار ، واحدثت العمائر الكبار واكرمت الصغائر والصغار ، واحيت السنن واماتت البدع وقلعت أسباب الفجور والفسوق ، واخمدت نار الصبوح والغبوق ، وطهرت الديار عن ادناس الاشراك والمحدثات .

وأسبلت ذيول المنح والعطايا على اهل المكرمات وجمعت من نفائس الكتب على اختلاف انواعها ، وتباين علومها ما يعظم قدره ويجل وصفه ، واعطت الطلبة الوفا من المصاحف والرسائل الدينية مجانا ، ولم تحرم من نوالها وجودها انسانا ، واوقفت ارزاقا كثيرة على الفقراء والمحاويج ، وقررت لهم وظائف جمة من النقودوالغلات ، ولا تزال تعطي العفاة والواردين بمملكتها من الحجاج والغزاة والمسافرين ، والطلبة والمساكين من الاموال والاقمشة والبيوت ما يعسر حده ويطول عده الى ان سالت سيول فيوضها العامة ، لكل حاضر وبادي ، وجالت خيول جودها في كل بادية ووادي ، وامن الناس في ظلها الوارف من كل خوف تالد وطارف ، تتحرى الصدق والصواب ، في كل اياب وذهاب ، وتقيم الصلوة والصوم عند كل يقظة ونوم ، لها يد عاملة في النظم فارسيا كان او هنديا ويمنى جارحة في النثر انشاء سويا ، ونظمها مضبوط في ديوان

الشعر ، وفي تذكرة الشعراء ، وقد حرر ترجمتها جمع جم من عصابة الأدباء .

وبالجملة فقد جاءت في هذا الزمان الاخير والدهر الفقير جامعة للفضائل التي قلما تجتمع في رجل فضلا عن النسوان ، حاوية للفواضل التي قصر دون تبيانها لسان الترجمان ، وهذه ذرة من ميدان مناقبها العلية ، وقطرة من بحار مكارمها الجلية .

فلنقتصر هاهنا على هذا القدر النذر فانّ المقام لا يتسع لذكرها على وجه الكمال ادام الله أيامها ، وسخّر لها الدنيا تمامها ، وجعل آخرتها خيراً من الاولى ، وأولاها مزرعة للاخرى ، انه على ما يشاء قدير ، وبالاجابة جدير .

قَد تَمَّ بعَون الله تعالى وحُسْن توفيقهِ الجُزء الثالث من كتَاب ابْجَد العلوم على يَدِ كاتبه الفَقير عَلي حسين غفر الله ذُنوبه وسَتَرَ عيوبَهُ .

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الخاتمة

سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم . نشكرك على مَا الهمتنا من الحكم وهديتنا الى طرق التعلم والتعليم ، وأصلي واسلم على نبيك الأمي الرؤوف الرحيم ، الداعي الى الصراط المستقيم ، وعلى آله وصحبه الذين ايدوا العلم ورصصوا اساس الدين القويم .

وبعد فقد تم طبع هذا الكتاب الموسوم بابجد العلوم المشتمل على ثلٰث حصص .

الاولى : في بيان احوال العلوم المسماة بالوشي المرقوم .

والثانية : في انواعها المسماة بالسحاب المركوم .

والثالثة : في تراجم اهلها الاكابر الموسومة بالرحيق المختوم الذي جمعه كريم الخصال جزيل الشمائل ، اضاض الثواكل ملاذ الارامل ، مخرج الدرر من بحر لجي ، وموقد سراج الرشاد في الليل الدجوجي ، عالم الفنون المتداولة بحذافيرها ، عارف العلوم المتدارسة بنقيرها وقطميرها ، صدر ايوان الفضائل

العليا ، متكىء سرير الفواضل الحسنى ، صاحب الآيات في علوم التفسير والحديث ، سباق الغايات في فنون اللغة والاصول والادب بالسير الحثيث رفيع القدر عظيم الشأن جامع الكمالات الممكنة لنوع الانسان حضرتنا نواب عالي الجاه امير الملك السيد محمد صديق حسن خان بهادر الحسيني البخاري القنوجي ما برح الاقبال ركائب الرغائب اليه يزجي ، ما كان الكذب يهلك والصدق ينجي ، وان امعنت النظر فيه الى تحقيقه المطالب وتدقيقه المسائل وتأليفه الكتب وتهذيبه الرسائل ، مع زحام من الهياط والمياط ، ولف للقماط على الرباط والمناط ، في ضيق من الوقت من كثرة المشاغل وضبط لمصالح الرياسة وفصل المعامل لأدركت انه يولج الجمل في سم الخياط ، ويبدل القبض بالانبساط والترح بالنشاط .

وهذا من خصائله التي لا يشاركه فيها احد من اهل العلم الحواضر والبوادي ، ولا يجاريه في ذلك واحد ممن يجلس في المدارس ويدرس في المحافل والنوادي ، اللهم احفظه من نوائب الدنيا وطوائحها واجعل عواقب اموره احسن من فواتحها ، وكتابه هذا قد حوى من الفوائد النفيسة والعوائد الجديدة ما لم تحوها الدفاتر .

وجمع من افنان الفنون الغريبة والمطالب الغزيرة ما لم تجمعه كتب المعاصرين كابرا عن كابر ، حرره تحريرا بالغا ، فمن حفظه صار في الاقران نابغا ، وهو بعبارة سهلة المساق اشهى من قطائف النعيم واشارة عذبة المذاق ، اهنى وامرى من مياه التسنيم ، وبيان واضح اطيب من أرج النسيم ، واستعارة طيبة اطرب من وجه وسيم ، مع ما اشتمل عليه من ايضاحات مستملحة ، وتلويحات موشحة ، وتحرير مهذب ، وتقرير مستعذب ، قلما اشتمل عليها كتاب ، واحتوى عليها خطاب ، فهو كتاب وأي كتاب ، وعباب من العلم الوافر وايّ عباب ، صحيفة غراء لم ينسج بَعْدُ على منوالها ، ونسخة كالغيد العذراء لم تسمح طبيعة بمثالها ، بل ما روى الراوون نحوها ، ولا رأى الراؤون صِنْوَها فيها ما

لم تطلع عليه اذهان عالية ، ولم تَعِهَا اذن واعية الى الآن كأنها حور مقصورات في الخيام لم يطمثها قبل ذلك انس ولا جان ، اذا رأيتها حسبتها لؤلؤا منثورا ، او حوجمة سقيت من كأس كان مزاجها كافورا ترتيبه الانيق يزري بعقد الدرر ، وتأليفه الرشيق يفضح حديقة الزهر ، فاق في الصفا على الرحيق ، واربى في القنوء على العقيق ، كيف وهو صنيع البحر الخضم ، والنحرير الاشم ذي العلم البارع ، والفضل الرائع المتمسك بالكتاب والسنة ، المبتّك لسدى الشرك والبدعة بلسانه الشديد المنّة يقتبس المفسرون من نوره ، ويصطلي المحدثون بحروره ، يهرع الفضلاء ليقتنصوا من شوارد افكاره ، ويسرع العلماء ليلتمسوا من أوابد انظاره ، تمكن من اعنة البيان ما لم يتمكن عليه الاعيان ، فجاء في عصره عديم النظير فيما يكون وكان وقد سحب بفصاحته في البيان ، ذيل الخمول والنسيان على سحبان ، اغترف الادباء من فضالته ، واهتدى البلغاء بدلالته ، اليه تسند غرر البيان ودرره ، واليه تضاف ملح الانشاء ونوادره ، ولا ريب انه اعجوبة هذا الزمان في جمع العلوم وتأليف الفنون ، ومن رآه ورأى حاله في ذلك لم يشك ولم يحجده الا ان يمسه ريب المنون وعيب بالجنون .

وبالجملة فلما فرغ من تأليفه صَدَرَ الامر المطاع من حضرة الرئيسة المعظمة ذات الباع بطبعه في المطبعة المنسوبة اليه المعنونة (بالصديقية) وهي التي جددت العلم الدارس في المدارس ، وانعمت على كل راجل وفارس ، اعني لسلاح الاسلام فرند ، الرئيس البطل الاعظم من الطبقة العليا التي لكواكب الهند ، حاملة لواء الرياسة والسياسة ، ذات الفهم والذكاء والفراسة والحراسة ، حامية حوزة الدين المبين ، ماحية آثار البدع والمحدثات والشرك المهين ، سالكة النهج القويم ، ناهجة الاسلوب الحكيم ، واهبة النِعَم والنَعَم حضرتنا نواب شاهجهان بيكم والية رياسة بهوبال المحمية ، ومالكة هذه الحوزة الاسلامية المخاطبة بتاج الهند المكلل ، المطرزة بطراز المجد الاول ، ادام الله لها المكارم

والمعالي ، وطابت ايامها الاتية والليالي ، ومـا برحـت سيوف عَدْلها على رؤ وس الخلائق قائمة ، وعيون الدواهي عن مملكتها نائمة ، ماسح المطـر من الغمام ، وخرج الثمر من الاكمام .

وقد اهتم بتصحيح هذا الكتاب وتنقيحه في كل فصل وباب ذو الفضل والسيادة والعلـم والشرف والسعـادة ، القائـم لله تعـالى بالعبـودية والعبـادة ، الناهض بأعباء الافادة (السيد ذو الفقار احمد) النقوي البهوبـالي اسـعف الله مراده ، بشركة النظر الثاني من الشيخ الفاضل والحبر الكامل نخبة المبـرزين ، وعمدة المتقنين المولـوي عبـد الصمـد الفشـاوري ، احسـن الله اليه في الـدنيا والدين ، وكان كتابته بيد الناسخ القوي الامين ، المبرأ عن الشـين والـرين ، المحلى بكل فاضلة وزين ، الحافظ علي حسن اللكهنوي انعم الله عليه بكل نعمة في الدارين ، تحت ادارة مدير دار الطباعة العارف بصنائع القراءة والسماعة حسن السمت في كل شأن المولوي محمد عبد المجيد خان سلمه الرحمٰن في اواخر شهر رجـب من سنـة ست وتسعـين ومائتـين والف من هجـرة من كان يرى امامـه والخلف .

وهذا تاريخ طبعه من شعراء البلد ، ينبيء عن حاله الى الابد ، اقام الله لهم كل اود واطال لهم الامد .

ايضا خاتمة الطبع للسيد الاصيل والشريف النبيل المستمد بالتوفيق الرباني والتأييد الرحماني الفاضل المولوي عبد الباري السهسواني أمَنَّ الله عليه بالأماني . نحمدك يا من ابدعت النِعم والنَعم ، وألبسَت الخلق خلعة الوجود بعدما كان في العدم ، نشكرك على ما وفقتنا التحصيل ما لم نعلم ، ويسرت لنا الوصول الى اصول الخير والشيم ، ونصلي على رسولك المبجل المكرم ، المبعوث الى العرب والعجم ، المنعوت بكونه نبيا حين لم يخلق آدم ، وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا في الله نصرة للحق بالسيف والقلم ، وفازوا بعمارة المساجد وخدمة المعابد والحرم

المحترم صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسَلَّم وعظّم وشرّف وكَرَّم .

وبعد فالعلم قد انطمست منذ ايام طوال انواره ، واندرست آثاره واختبت ناره ، واختفت انصاره ، حتى مال ماؤه الصافي الى الهطل وعـمّ الارض بأسرها الجهل ، وترى الناس عيونهم عنه كليله ، وافئدتهم بالملاعب والملاهي عليله ، ولا شكوى في ذلك من العوام ، فان هذا دَيدنهم منذ ايام بل الاسف على حالة الوجوه منهم والأعيان ، فانهم آثروا الحياة الفانية على النعمـة البـاقية ، كما هو مشاهد وليس الخبر كالعيان ،فيا لله العجب من هذا الفرح والطرب ، والتقاعد عن طلب الأدب وادب الطلب ، اما نظرتَ الى قلع المدارس لبناء المجـالس ، وهدم المساجد لعمارة الكنائس ، سخر الناس بمـن يعـظ على المنابـر ، وطعنـوا المسلمين على اتباع السنة كأنه عندهم من الكبائر :

ذهــب الـذين يعــاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلــد الاجرب

وبالجملة فهذا زمان الجور والجهل والتبعات ، وأوان فيه ظُلمات فوقهـا ظلمات ، ولكن حيث سبق الوعد من خير البشر بوجود من يجدد امر الدين ، على رأس كل مائة من السنين ، منّ الله تعالى على اهل الارض ، لا سيما على من يميز النفل من الفرض ، بنخبة علمائها ، وعمدة عرفائها ، من شمر عن ساق الجد لأشاعرة العلم ودفع فساد الزمان ، الواقع بكثـرة الجهـل فسـاد الأعيان وفـاق الاقران ، الذي زهت الدنيا بأنوار تدبيره الرائق ورياسته ، وربت الخليفة بخلقه الكريم وحسن سياسته ، وعَنَت الدولة العلية بمفرقها ، وجعلته عضد مرفقها ، وألقت اليه مقاليدَ الامور طارفها وتليدها ، وفوضت اليه ازمـة العلـوم قديمهـا وجديدها اى ان بهج لها حسنها وجمالها ، وعطرت الاكوان صباها وشمالها ، بث على اهل الارض السكينة والحلم ، وبص لهم نقود العرفان والعلم ، احاط عموم فضله الباهر بأطراف المشارق والمغارب ، وسخر الاقطار عساكر محامده والمناقب

طارت الارواح بمفاخره ، وسارت الركبان بمآثره ، جرى الدهر طوعا او كرها تحت ازمته ، وخضع له الصديق والعدو برمته ، وهو مع هذه الرتب العلية والدرجات الرفيعة على حالته الأولى من الاعتناء بشأن العلوم والفنون الشريفة ، ونشر للشرائع الدينية والاحكام النبوية المنيفة ، عَمَّر بيت العلم والدين غب ما انهدم وخرب ، حتى نسل اليه اربابه وقدم عليه اصحابه من كل حدب وسرب ، وهو الذي اجتهد في تحقيق الحق وتقرير المسائل الملية اجتهادا بالغا ، ودون احكام السنة المطهرة على وجهها تدوينا من تعلق به صار في الدنيا نابغا ، انظر الى كتابه هذا كيف جمع فيه من احوال العلوم وانواعها واصحابها وتراجمهم ما لم يجتمع في غيره من الكتب ، ولم تحوها الدواوين الكبار ولا طوال الخطب .

اذا نثر فعبد الحميد او ابن العميد ، واذا نظم فثالث عبيد ولبيد ، سقته العلوم زلالها ، ومدت عليه ظلالها ، طلع من اغوار الفنون على انجادها واطلالها ، فلم ينل واحد من الموالي والاهالي ما ناله من بللها وبلاها مفاتيحها ملقاة لديه والعوائص ملغاة لا بين يديه .

اما علم التفسير فهو بحره المحيط وكشاف رموزه باللفظ الوجيز الفائق على الوسيط والبسيط .

واما علم الحديث فهو خادم السنة وملازم حضرتها وابن عذرتها وابو بجدتها .

واما علم اللغة فهو قاموسها وقد اصّل لها اصولا هي ناموسها .

واما علم الأدب والعربية فهو إمام تلك المدينة في هذه البرية .

واما الفقه واصوله فاليه تنتهي ابوابه وفصوله .

وعلى الجملة مدحه ومن امثالنا قدح وقدحه من ابناء الرأي والزمان مدح :

ماذا يقول الواصفون له   وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة   هو بيننا اعجوبة الدهر

هو آية في الخلـق ظاهرة انـواره اربـت على الفجر

وثنائي هذا عليه ليس من المبالغة في شيء لأنه قد ظهر بين ظهراني العلماء ظهور القرم ، وبدا فضله بينهم كالشمس اذا بهر ، وبماذا احليه وعنه تقصر الحلى ، وبه يتجلى الدهر ويتحلى ضلت الافلام عن بلوغ هذا المحل ، وزلت الاقدام عند دخول هذا المنهل ، من رآه يراني فيما حررت في وصفه صادقا ، ومن لم يره او عاداه لجهله جاء للحق مشاققا ، وما ضر الشمس ان لم يرها الخفاش ، فانَّ الناقص اذا رأى الكامل يطيح عقله وقلبه طاش ، كيف وقد قمع بلسان قلمه اساس الرأي والتقليد ، وقلع بقلم لسانه ابنية الفعل المزيد ، فاهل البدع أعداء له ، واهل الحق اعتراهم في هواه وله ، وهو البحر الزاخر ومطر الخير الذي سواء منه الأول والآخر الف الكتب الكثيرة والرسائل ، ونشر السنة المطهرة وما لها من المسائل ، سلم آلافاً من مؤلفاته المطبوعة للطالبين ، وبذل اضعافا من ألوف لامصنفات على الغر المحجلين ، ففضله ظاهر وعمله مبين ، وجوده باهر وحلمه مكين ، شاعت كتبه في اقطار العرب وامصار العجم ، وجاءت اليه كتب علماء العصر والعالم ، وكلهم قالوا قولاً ذاع في الخبر وانتشر ، وهو انه جدد الدين الخالص على رأس المائة الثالث عشرة ، وقاه الله عن كل نائبة وشر ، وعافاه في حفظه عن سوء القضاء والقدر وما احقه بان يقال فيه :

قام ابـن فاطمـة في نصر شرعتنا مقـام سيد تيم اذ عصـت مضر
فأظهـر الحـق اذا آثـاره درست واخمـد الشر اذ طارت له الشرر
كنـا نحـدث عن حبـر يجـيء لنا انـت الإمـام الـذي قد كان ينتظر

ولا ريب انه في وقته هذا ثاني شيخه الشوكاني في نصر الايمان اليماني .
وثالث الحافظ ابن القيم الامام الرباني .

ونظير السيد العلامة محمد بن اسمعيل الامير الصنعاني وهـوى الشريف

ابن الشريف ابن الشريف والكريم ابن الكريم ابن الكريم اعني السيد الشريف العلامة ابي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي المخاطب بنواب عالي الجاه امير الملك بهادر لا زال على كرام اهل العلم عاطفا ولزهر الادعية من السنة البرية قاطفا ، صنف هذا الكتاب الكامل وهو من امور الرياسة في شغل شاغل ، لم ينظر فيه نظرا ثانيا ، ومع ذلك لا اجد له عديلا ولا ثانيا ، اتى فيه بنفائس الفوائد ، وحشده بأوابد العوائد ، وهذبه أبواباً وفصولا ، وقرره فروعا وأصولا .

فيه من العلوم السلفية والخلفية ما كانت القرون الخالية يتدارسونه ، وأولوا الهمم العالية من الطلبة يتمارسونه ، وقد صار في هذا الزمان دارسا ، لا يتوجه احد الى اكتسابه لا راجلا ولا فارسا ، يرتقي عدده الى سنة عشر واربعمائة ، وذكر له من المؤلفات فيه والمؤلفين له فئة .

فمن لم يطلع على كتابه هذا ابجد العلوم فقد حرم خيرا كثيرا من المنطوق والمفهوم ، ولم يدر المجهول من المعلوم ، ولم يميز بين المنثور والمنظوم .

ثم اتبع ذلك بتراجم الاكابر من اهل العلم والفضل ، واحياهم برشحات اقلامه وقطرات مداده جدا ولا هزل ، واتى في نثره المستعذب ، ونظمه المنتخب المنتجب ، بما هو واف للمطلوب ، شاف للقلوب كاف لدفع العيوب ، لم تسمح بمثله الاذهان ، ولم ينسج على منواله احد من اكابر الاعيان ، رتبه احسن الترتيب ، وبوّبه ابدع التبويب ، فجاء بحمد الله تعالى كما يروق البصائر والنواظر ويفيد الناظر والمناظر ، ينقطع دونه الظلام ، ويرتفع به قتام الاوهام ، كتاب كريم حافلا لابواب علم المحاضرة ، ينتفع به كل بادية وحاضرة ، فمن كان لديه هذا الديوان الرفيع الشأن المنيع المكان فهو نابغة الزمان ، ونادرة الاوان وروح الاكوان وعين الاعيان .

اللهم اجعله خالصا لوجهك الكريم ،مصوناً عن عين كمال الناقصين

بفضلك العميم ، وانعم على من سعى في تصحيحه وكتابته وطبعه وإشاعته ، وهم المذكورون في خاتمة الطبع الاولى التي اعرب عنهم يراع الحكيم المولوي المعنوي والصوري محمد معز الدين خان الخالص فوري سلمهم الله تعالى واحسن اليهم .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين .

وهذا تواريخ الطبع وغيره من السيد الحافظ المجيد للقرآن المجيد محمد السورتي والتالي لكتاب الله العزيز القوي والقارىء للحديث النبوي الحافظ علي حسين اللكهنوي سلمهما الله العظيم العلي .

تاريخ عام الطبع من الحافظ السَّيِّد مد السورتي سلمه ربه .

رأيت كتاباً حوى جملة　　من العلوم أملاه حبر أديب
فأرّخت لما بدى طبعه　　الا ان هذا كتاب عجيب

فهرس الجزء الثالث
من كتاب ابجد العلوم المسمى بالرحيق المختوم
ومن تراجم ائمة العلوم

مطالب	صفحة

مطالب	صفحة

مطالب	صفحة
محمد بن يوسف بن علي الكرماني شارح البخاري	٥٩
محمد بن علي بن الشريف الجرجاني	٦٠
علماء العروض والقوافي	٦٠
ابو القاسم هبة الله المعروف بابن القطان	٦٠
محمد بن علي بن عبد الرحمن	٦١
يحي بن علي بن محمد المعروف بابن الخطيب	٦١
علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع	٦٢
علماء الانشاء والادب	٦٢
ابو الفتح نصرالله بن ابي الكرم المعروف بابن الاثير الجزري	٦٢
ابو القاسم علي بن محمد الحرير	٦٣
ابو اسحق ابراهيم بن هلال الصائبي	٦٣
ابو الفضل احمد بن الحسين المعروف ببديع الهمداني	٦٤
امية بن عبد العزيز الاندلسي الداني	٦٤
ابو احمد الحسن بن عبد الله العسكري	٦٥
ابو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني	٦٥
الشيخ المجيد ابو علي الحسن بن عبد الصمد العسقلاني	٦٥
ابو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الملقب بتاج الدين البغدادي	٦٦
ابو غالب عبد الحميد بن يحيى بن سعد الكاتب المشهور	٦٦
الشريف المرتضى اخو الشريف الرضي	٦٧
ابو نصر الفتح بن خاقان صاحب قلائد العقيان	٦٧
الصاحب ابو القاسم اسمعيل بن عباد الطالقاني	٦٧
علماء المحاضرة	٦٨
مفضل بن محمد الاصفهاني ابو القاسم الراغب	٦٨
ابو المعالي محمد بن ابي سعيد بن الحسن بن حمدون	٦٨
ابو عمر واحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب كتاب عقد الفريد	٦٨
ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد الكاتب الاموي	٦٩
احمد بن يحيى بن ابي بكر المعروف بابن ابي حجلة	٧٠
كمال الدين محمد بن موسى الدمير صاحب كتاب حيوة الحيوان	٧٠

مطالب | صفحة

مطالب | صفحة

مطالب **صفحة**

مطالب	صفحة

مطالب صفحة

مطالب	صفحة

مطالب	صفحة

مطالب	صفحة

مطالب	صفحة

لا يخفى على ناظر هذا الفهرس وهذا الكتاب ان القول بان فلان العالم من اهل العلم الفلاني مبني على اطلاعه على ذلك العلم وشهرته به غالبا والا فالعلم اي علم كان اجير مشترك في اهل العلوم وغالب اصحاب هذه التراجم لهم جامعية في فنون العلوم وان كانوا قد اشتهروا ببعضها وليس الغرض الا الاشارة الى علماء علم وعلم تغيبا وشهرة من دون اختصاصهم بالفن الخاص دون غيره فليعلم ذلك ثم لا يخفى ان من مآخذ هذا الكتاب كتاب مدينة العلوم ولكن لم يتيسر الا غلطا صريحا فان وقف احد على سهو او نسيان فيه فعليه بالمراجعة الى الاصل فان الناقل معذور والعذر عند كرام الناس مقبول .

قد تم بعون الله عز وجل

فهرس الجلد الثالث من كتاب ابجد العلوم

المسمى بالرحيق المختوم

من تراجم ائمة العلوم

سنة ست وتسعين ومائتين وألف الهجرية

على صاحبها صلوة وتحية